

جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الشريعة الإسلامية

الشَّقِيْطِيُّ وَ مِنْهَجُهُ فِي التَّفْسِيْرِ

فِي كِتَابِهِ : أَضْوَاءُ الْبَيَانِ فِي إِضْحَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ

رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيْر

أَعْدَاهَا

أَحْمَدُ سَيِّدُ حَسَانِيْنَ إِسْمَاعِيْلُ الشِّمِيْ
المُعَيَّدُ بِالقِسْمِ

إِشْرَافَ

الأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ

أَحْمَدُ يُوْسُفُ سَلِيْمَانَ
أَسْتَاذِ الشَّرِيْعَةِ بِالقِسْمِ

الْجِزْءُ الْاَوَّلُ

القَاهِرَةُ

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإفتتاحية

أساتذتي العلماء الأجلاء

اهلى وضيوفى الاعزاء الفضلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بحمد الله وحوله وقوته نستفتح ، وبالصلاة والسلام على رسوله نستدفع ونستشفع
 ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الآية (١) ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الآية (٢) ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحِلِّ
 عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ الآيات (٣) .

أما بعد : فيقول ربُّ العزة والجلال فى محكم التنزيل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
 لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية (٤) ويقول تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية (٥) ويقول تعالى :
 ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية (٦) .

كما يقول رسول الله ﷺ فى الحديث النبوى : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» أى
 السنة المطهرة - الحديث (٧) ويقول ﷺ : «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما :
 كتاب الله ، وسنة نبيه» الحديث (٨) .

- (١) الممتحنة : ٤ . (٢) الأعراف : ٨٩ . (٣) طه : ٢٥ - ٢٨ (أربع آيات) .
 (٤) النحل : ٤٤ . (٥) الأنعام : ٣٨ . (٦) الحجر : ٩ .
 (٧) أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) السنة (باب) فى لزوم السنة - (طبع ببيروت) - كما أخرجه أحمد
 فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٧٢٢) - (طبع بيروت) .
 (٨) أخرجه مالك ضمن بلاغاته من رواية عمرو بن عوف - انظر الموطأ (كتاب) الجامع (باب) النهى عن
 القول بالقدر - (طبع ببيروت) - كما أخرجه ابن عبد البر من رواية أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
 ﷺ قال : «إني قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبداً : كتاب الله وسنتي» - ثم أورد
 رواية مالك المذكورة معقباً عليها بقوله : وهذا الحديث محفوظ مشهور عن رسول الله ﷺ شهرة
 يكاد يستغنى بها عن الإسناد - انظر (التمهيد) : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر -
 ٣٣١ / ٢٤ - تحقيق : (مصطفى بن أحمد العلوى) مع (محمد عبد الكبير البكرى) - وزارة عموم
 الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
 وأخرجه مسلم ضمن حديث طويل عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال : «وقد
 تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله» - انظر صحيح مسلم (كتاب) الحج (باب)
 حجة النبى ﷺ - (طبع بيروت) .

... ..
 = وأجتزأ الترمذى حديث جابر المذكور بما يناسب موضوع الباب قائلاً : عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمتعه يقول : «يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه - انظر سنن الترمذى (كتاب المناقب (باب مناقب أهل بيت النبى ﷺ) - (طبع بيروت) .

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى وزيد بن أرقم رضي الله عنهما قالوا : قال رسول الله ﷺ : «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب - انظر سنن الترمذى (كتاب المناقب (باب مناقب أهل بيت النبى ﷺ) - (طبع بيروت) - وقد أخرج أحمد نفس الحديث من رواية أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه - انظر مسند أحمد (باقي مسند الكثيرين) - حديث رقم (١١١٦٧) - (طبع بيروت) .

كما أخرج السيوطى ما رواه ابن أبى شيبه فى (مُسْنَدُهُ وَمُصَنَّفُهُ) وما رواه ابن جرير الطبرى فى (تفسيره) عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - انظر (جامع الأحاديث) : السيوطى - ٥٦/٥ - حديث رقم (١٥٦٣٩) - جمع وترتيب ومراجعة مجموعة من العلماء بإشراف : د. حسن عباس زكى - تقديم : د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر - الطبعة ١ - مطبعة خطّاب - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

شكْرٌ وَاَجِبٌ

وطلباً لمزيد فضل الله تعالى الذى وعد به عباده الشاكرين من حيث قوله : ﴿لَنْ يَشْكُرَكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية^(١) وتخلقاً بأدب رسولنا الكريم ﷺ من حيث قوله : «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ» الحديث^(٢) .

فإننى أرى لزاماً علىّ أن أزجى جزيل شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الجليل ، والداعية الإسلامى الكبير ، أستاذى الدكتور عبد الله شحاته على ما أولانى به من الرعاية والعناية والتوجيه منذ أن كان هذا البحث فى مراحل الأولى بالأمس البعيد ، وها هو فضيلته يشرفنى اليوم بقبول مناقشتى رغم ضيق وقته ، وكثرة مشاغله ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، لأستاذى الدكتور إبراهيم عبد الرحيم لتفضله بقبول مناقشتى ، مشيداً بما عهدته فيه من قربه ووده ، وطيب نفسه ، وكريم طبعه ، فضلاً عن دماثة خلقه ، ورحابة صدره ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الكبير ، أستاذى الدكتور محمد بلتاجى ، وكذا أستاذى الدكتور محمد نبيل غنايم ، وأستاذى الدكتور محمد إبراهيم شريف ، وأستاذى الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، ثم المرحوم أستاذى الدكتور إسماعيل سالم ، على ما قدموه لى من العون ، وذلوه لى من الصعاب ، أثناء مراحل البحث المختلفة ؛ فجزاهم الله تعالى عنى خير الجزاء .

أما الشكر كُلى الشكر ، والتقدير جُلُّ التقدير ، فلأستاذى الجليل ، وصاحب الفضل الكبير ، أستاذى الدكتور أحمد يوسف سليمان ، الذى رعانى ووجهنى ، ثم أكرمنى وشرفنى ، بقبوله الإشراف علىّ ، وقد علم الله تعالى أنى كنت أطرق بابه ليلاً ونهاراً ؛ فلا أجد منه إلا خيراً وترحاباً ، فضلاً عن احتفائه بى ، وكرمه لى ، مع حسن قوله ، وجميل فعله ، وهذا ما يؤكد تواضعه الجَمِّ ، وخلقته الكريم ، الذى يعرفه عنه ، ويلمسه فيه ، كل مَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ ، أو تعامل معه .

ولو ذهب لأعدّد مكرماته ، وأعرّف بصفاته ؛ فلن أوفيه حقه ، ولن أقدره قدره ،

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كتاب البر والصلة (باب) ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك - (طبع بيروت) - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب الأدب (باب) فى شكر المعروف - (طبع بيروت) - وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٧٨٧٩) - (طبع بيروت) .

ولكن يكفينى والحال هذه أن أدعو الله تعالى أن يطيل فى عمره ، وأن يحسن فى عمله ، وأن يجزيه عنى وعن طلاب العلم خير ما جزى به أستاذاً عن طلابه ، وعالمأً عن دينه .

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى ، وعظيم امتنانى وعرفانى ، لوالدىّ الكريمين ، ولجميع أهلى وإخوانى ، وسائر أساتذتى وزملائى وطلابى ، كما أخص بالشكر والتقدير كل من قدم لى عوناً ، أو أسدى لى نصحاً ، سائلاً الله تعالى أن يجزى عنى الجميع خير الجزاء ، وأن يجعله فى ميزان حسناتهم يوم اللقاء .

افسداء

إلى أساتذتي من العلماء الأجلاء ، وأصحاب الفضل علىّ من
الكرماء النبلاء ، الذين أضاءوا لي الطريق ، وكانوا لي على درب
العلم خير معين و صديق .

إلى طلاب العلم المخلصين ، وباحثيه المثابرين الراضيين ، الذين
عرفوا قدره ومقداره العظيم ؛ فوصلوا نهارهم بليلهم ، ويقظتهم
بمنامهم ، باذلين في سبيله النفس والنفس ، والغالي والرخيص ؛
حتى كانوا به وله .

إلى شهداء الحق في كل بقعة على ظهر هذه البسيطة في شتى
أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، الذين لتلبية نداء ربهم سبقونا ،
وإلى اللحاق بهم أرادونا ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين
كفروا السفلى .

إلى والديّ الكريمين ، ثم إلى رفقاء دربي ، وشركاء عمري ، أعنى
زوجتي وأولادي ، الصابرين الأحياء ، المضحجين الأوفياء .

إليهم جميعاً :

أهدى هذا العمل المتواضع عرفاناً وتقديراً ، وإجلالاً وتعظيماً ،
وما هو إلا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، عساه يردُّ إليهم ،
بعض ما لهم ، وعسانا وإياهم لرضا ربنا نحوز ، وبجنته نفوز ، إنه
على ما يشاء قدير ، وبإجابة الدعاء جدير .

المُقَدِّمَةُ

المحمود هو الله جلّ جلاله ، والمُصَلَّى عليه هو محمد وآله ، إنَّ ما قَلَّ وكفى خيراً مما
 كثر وألهى ، و ﴿إِنَّ مَا تُوَعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الآية^(١) ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
 عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الآية^(٢) ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
 الآية^(٣) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية^(٤) .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البيان^(٥) وأشهد أن
 سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيّه من خلقه وحببيّه ، آخرُ مَنْ تلقى هَدَى السَّماءِ إلى
 الأرض ، ولسانُ الصدق الذي بَلَغَ عن الحق مراده إلى الخلق ؛ فكان تاج النبيين وإمامهم ،
 وسيد المرسلين وخاتمهم ، أُرْسِلُوا إلى أقوامهم خاصة ، وأرسله ربه إلى الناس عامة ، قال
 تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية^(٦) .

أيده ربه بالمعجزة الكبرى ، وأسبغ عليه النعمة العظمى ، فأوحى إليه قرآنه العظيم ،
 وأودع قلبه ذكره الحكيم ؛ فكان أول شارح ومفسّر ، وأعظم مبين ومعلّم ، قال تعالى :
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية^(٧) وقال رسوله
 ﷺ : «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثله معه» الحديث^(٨) أي سنّته المطهّرة ، مفسّرة القرآن
 وشارحته ، ومبيّنة مراده وموضّحته .

لم تلبث الجنّة أن انتهت إلى هذا القرآن حتى آمنت به وصدّقتّه ، واهتدت بهديّه
 واتبعتّه ، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا
 ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الآيتان^(٩) .

كما لم يلبث أئمة الكفر أن استمعوه حتى اعترفوا به رغم إنكارهم ، وحكموا بصدقه
 رغم تكذيبهم ؛ فأقروا وهم لا يقصدون ، وشهدوا وهم لا يشعرون ، وها هو الوليد بن
 المغيرة يصف هذا القرآن العظيم قائلاً : (إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر

(١) الأنعام : ١٣٤ .
 (٢) البقرة : ٣٢ .
 (٣) يوسف : ٧٦ .
 (٤) الإسراء : ٨٥ .
 (٥) هذا اقتباس من قوله الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
 الرحمن : ١ - ٤ (أربع آيات) .
 (٦) سبأ : ٢٨ .
 (٧) النحل : ٤٤ .
 (٨) سبق تخريج الحديث ص ٥ من هذا البحث .
 (٩) الجن : ١ - ٢ (آيتان) .

أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وإنه ليحطم ما تحته^(١) .

ومن ثم ؛ فقد تحدى به الحقُّ جميعَ الخلقِ ، إنسهم وجنهم ، كبيرهم وصغيرهم ، شاعرهم وفصيحهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾ الآية^(٢) بل وأقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿أم يقولونَ افتراه قُلْ فأتوا بعشرِ سورٍ مثلهِ مُفترياتٍ وأدعوا من استطعتُم من دونِ الله إن كنتم صادقين﴾ الآية^(٣) وأخيراً ومبالغة أيضاً بما هو أقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثلهِ وأدعوا شهداءكم من دونِ الله إن كنتم صادقين﴾ الآية^(٤) .

وهو الأمر الذي تحقق به عجزهم وافتقارهم ، وتحدّد معه مآلهم ومصيرهم ، قال تعالى : ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النارَ التي وقودها النَّاسُ والحجارةُ أُعدتْ للكافرين﴾ الآية^(٥) وذلك فضلاً عن ظهور عداوتهم وأحقادهم ، ووضوح جحودهم

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة قبّحه الله قد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل لعنه الله فأنابه ، فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ؛ فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبّله ، قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول ؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدة منى ، ولا بأشعار الجنِّ ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وإنه ليحطم ما تحته ! قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر ؛ فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ، يآثره من غيره ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ المدثر : ١١ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه - انظر المستدرک على الصحيحين : لمحمد بن عبد المعروف بالحاكم النيسابورى - ٢ / ٥٥٠ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .
وقد أورد هذا الخبر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) فى تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) : ٢٩ / ١٢٧ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
كما أوردته أيضاً أبو عبد الله القرطبى ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : ١٩ / ٧٤ أحمد عبد العليم البردونى - الطبعة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

(٣) هود : ١٣ .

(٢) الإسراء : ٨٨ .

(٥) البقرة : ٢٤ .

(٤) البقرة : ٢٣ .

واستكبارهم ، وهو ما أثبتته الله لهم ، وسجّله عليهم ، من حيث قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية (١) .

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ، يقوم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، كما ينطق بذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية (٢) لذا فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تماماً ، لم يدع من شئونهما صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنه ودلّ عليه ، قال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية (٣) وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية (٤) وكما يصفه رسول الله ﷺ : بذلك في وصفه الجامع المانع قائلاً : «كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قيمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» الحديث (٥) .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لا بد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصرافاً يستحيل أن يردّ عليه أى شتات ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان (٦) بل إن الحق سبحانه قد تكفل بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها كما يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية (٧) .

ومن هنا كانت الأمة مأمورة بالتزامه ، ومطالبة بتطبيقه ؛ حتى تعصم من الزلل ، ولا تفرّق بها السبل ، وهو ما يوصيها به ربها في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية (٨) كما يحذرها من الإعراض عنه في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ الآيات (٩) .

(١) الأنعام : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٩ .

(٣) الأنعام : ٣٨ .

(٤) النحل : ٨٩ .

(٥) وسأتي هذا الحديث بتمامه مع شرحه وتخريجه ص من هذا البحث .

(٦) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) . (٧) الحجر : ٩ . (٨) الأنعام : ١٥٣ .

(٩) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

غير أنه لن يتأتى للأمة هذا دون معرفتها بأوامره ونواهيه ، وعلمها بتعاليمه وتكاليفه ، وذلك من خلال شرحه وتفسيره ، على مستوى مفرداته وتراكيبه ؛ لذا كانت حاجتها إلى التفسير حاجة ماسةً متجددةً بتجدد الحياة ذاتها ، وإزاء هذا فقد انبرى كثير من العلماء الأعلام ، وقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم .

وذلك على امتداد مسيرة التفسير التى تتوزع بين حقتين أساسيتين ، تبدأ أولاهما بنزول الوحي وتنتهى بنهاية الاستشهاد بأقوال التابعين فى أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وتشمل تفسير النبى ﷺ ثم تفسير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

فى حين تبدأ ثانيتهما بعصر تابعى التابعين فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وتستمر حتى عصرنا الحاضر ، بل وستظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وقد أفرزت هذه الحقبة مختلف أنواع التفاسير التى صنفها أصحابها فى شتى الأعصار والأمصار وفقاً لتمكنهم واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نحصرها فى عشرة أنواع توزعت بين تفاسير كل من : (المحدثين - القرآء - الفقهاء - المتكلمين - الفرق - المؤرخين - اللغويين - العلميين - الاجتماعيين - المثقفين) .

وعلى الرغم من تنوع هذه التفسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا أن التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحلها ، قد ظل مفتقراً حتى يومنا هذا إلى صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيري) لهذا المفسر أو ذاك ؛ بما يرسم حدوده ، ويوضح معالمه .

ولأن (تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير) والذى يتمثل فى (إحداث عملية الفهم الشامل للنص القرآنى على مستوييه الإفرادى والتركيبى) وبما يتأدى عنه النجاة فى الدنيا ، والفوز برضا الله تعالى فى الآخرة ، وهو الهدف الأسمى ، والغاية العظمى ؛ لذا فقد استهدف هذا البحث التعريف بواحد من أعلام المفسرين فى العصر الحديث ، وبيان منهجه فى التفسير ؛ ومن ثم فقد جاء موسوماً بعنوان : (الشنقيطى ومنهجه فى التفسير ، فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) .

وفيما يلى أوجز التعريف بهذا الموضوع ، مع ذكر أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختياره ، ثم بعض الصعوبات التى واجهتنى ، وأخيراً منهج البحث وخطته ، وذلك على النحو التالى :

أولاً: التعريف بالموضوع :

ويشمل التعريف بالشنقيطيّ ، ثم التعريف بمنهجه التفسيريّ :

١- التعريف بالشنقيطيّ:

وهو محمد الأمين بن محمد المختار الجكنيّ الشنقيطيّ ، ولد بمسقط رأسه (شنقيط) أو ما يعرف الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز في أول خروج له من بلاده لاداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قدر له المقام بمدينة رسول الله ﷺ حيث اشتغل هناك بالتدريس في كل من الحرم النبوي الشريف ، ثم بالجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) كما تنقل بين كل من الرياض العاصمة مدرساً بكلياتها ومعاهدها العلمية المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حيث كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلاميّ ، وداعية بارزاً في مؤتمر الحج السنويّ .

وذلك فضلاً عن رحلته للدعوة في عشرة من الأقطار الإفريقية التي انتهت ببلاده موريتانيا ، حيث كان على رأس البعثة الصيفية التي تنظمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في إطار برنامجها السنوي الذي تُكَلِّفُ به كبار العلماء للدعوة تباعاً في شتى أنحاء العالم انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية (١) .

وبعد عمر حافل بالعتاء العلميّ قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجاز ، حطّ الشنقيطيّ عصا الترحال ليلقى ربه سبحانه عقب أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليدفن بمقبرة (المُعلاة) بمنطقة (ربيع الحُجُون) التي تضم بين جنباتها مشوى أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها ببلد الله الحرام بمكة المكرمة التي بدأ مقامه في أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

٢- التعريف بمنهجه التفسيريّ:

يقوم بناء منهج الشنقيطي في التفسير على ثلاث ركائز أساسية ، تمثل كل منها سمة بارزة ، وترسم معلماً واضحاً ، من سمات هذا المنهج ومعاله ، والتي تمثلت في كل من :

(١) آل عمران : ١٠٤ .

• الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الشنقيطى إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع و رصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذي يشمل تفسير النبي ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يثنى بعد ذلك بجمع و رصد كل ما ورد بشأنها من المعقول ، والذي يشمل رأى كل من سبقه من عامة المفسرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

• التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

ويعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فينعم فيه النظر ، ويجيل فيه الفكر ؛ ليؤصله فى النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

• التحليل السائر ما يعرض له :

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطى إلى تحليل ما جمعه وأصله من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من : المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذي يشمل نقد الشنقيطى كلاً من : (الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - الفرق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذي يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفاءه ، ويزيل إشكاله ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظريته الذاتية ، ويُنْتِجُ على هَدْيِهِ رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة كذلك .

والناظر إلى هذه الركائز الأساسية التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ؛ ليتبين له مدى ما تتسم به من المنهجية والشمولية ، أما المنهجية فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقى ، وذلك التعاقب العلمى ، والذي يجمع بين هذه المراحل الثلاث ، والتى

تبدأ بالجمع ويعقبه التأصيل ، ثم يعقبه التحليل ، وفي هذا ما فيه من المنهجية بحيث تُسَلِّمُ كل مرحلة منها إلى ما بعدها ، وترتبط في الوقت ذاته بما قبلها .

وأما الشمولية فتبدو واضحة من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، والتي تجمع بين المأثور والمعقول ، ثم تؤصّل لمختلف العلوم العربية والإسلامية ، وأخيراً تحلّل ذلك كله نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، بما يمكن للشنقيطيّ معه أن يمتلك زمام المسألة التي يتناولها ، وسيطر على حدود القضية التي يعرض لها .

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع :

وأما عن أهم الأسباب التي دعنتني إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إيجازها فيما يلي :

- ١- أهمية تفسير الشنقيطي المتمثلة في شموله وموسوعيته ، وذلك نظراً لتأخره وحدثه ؛ الأمر الذي كفل له استيعاب جهود السالفين قبله ، سواء من العلماء المعبرين المعنيين بالقرآن وتفسيره خاصة ، أو من المعنيين بسائر العلوم العربية والإسلامية عامة .
- ٢- عناية الشنقيطي بعلم الأصول إلى الحد الذي يوجّه على أساسه ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، فضلاً عن احتكامه إليه كضابط رئيس إزاء ما يرجحه من قول ، أو يذهب إليه من رأى ؛ الأمر الذي ييشر باتجاه جديد في التفسير يعتمد في المقام الأول على علم الأصول وقواعده ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصولي في التفسير) .
- ٣- الرغبة الملحة في إظهار هذا التفسير ، وبيان منهج صاحبه فيه ، بما يبرز قيمته العلمية للباحثين والدارسين خاصة ، وغيرهم من طلاب العلم عامة ؛ وذلك إتماماً للفائدة ، وتعميماً للنفع ، بهذه (الموسوعة التفسيرية الشاملة) التي ينبغي أن يستفاد بها على النحو الذي يناسب قيمتها .

ثالثاً: الصعوبات التي واجهت الموضوع :

وأما عن أهم الصعوبات التي واجهتني حال اختياري هذا الموضوع فتتلخص فيما يلي :

- ١- ندرة المصادر التي عُنيت بالشنقيطي وتفسيره ؛ خاصة وأنه لم يكن يرضى أثناء حياته بالكتابة عن نفسه أو بكتابة غيره عنه ، سواء من أولاده وأقرانه والمقربين إليه خاصة ، أو من تلاميذه وغيرهم ممن يعرفونه عامة .
- ٢- تأخر الاستفادة بتلك المصادر النادرة التي عُنيت بالشنقيطي وتفسيره إلى ما بعد رحيله ؛ وذلك احتراماً من أصحابها لرغبته التي عرفوها عنه في حياته .

٣- عدم كفاية ما اشتملت عليه هذه المصادر النادرة من معلومات وفوائد ؛ وذلك إلى الحد الذى لا يمكن معه الاستغناء بها عن غيرها إزاء ترجمة الشنقيطى ، أو التعريف بمنهجه التفسيري .

غير أن الله تعالى قد أعاننى بفضلله وتوفيقه على تذليل هذه الصعاب من خلال ثلاث مراحل متعاقبة ، بدأتها بمطالعة تلك المصادر النادرة وما اشتملت عليه من معلومات يسيرة ، ثم تلوتها بمراسلة الشيخ عطية محمد سالم أخص تلاميذ الشنقيطى وأقربهم إليه ، وكان أن ختمتها أخيراً بملاقاته مع ولدى الشنقيطى وبعض أقاربه خاصة ، وكذا بعض تلاميذه ومعارفه عامة ، وذلك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

رابعاً: منهج البحث :

وأما عن منهجى فى هذا البحث فقد سكلت إزاءه جملة الخطوات المنهجية التالية :

- ١- قسّمتُ البحثُ قسمين وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، ووسمتُ كلاً منها بعنوان يدل على مضمونها ، ويناسب محتواها .
- ٢- عرضتُ لكل مسألة بالشرح والتحليل ، ثم المناقشة والترجيح ، وذلك فى إطار أدلتها الشرعية ، ووفق ضوابطها المعتمدة ؛ وصولاً بها لأصوب الآراء ، وأعدل الأقوال .
- ٣- بيّنتُ رأى كل مذهب فقهي من كتب أتباعه المعتمدة ؛ وذلك تحاشياً لنقله من كتب المذاهب الأخرى ، حرصاً على المنهجية ، وطلباً للموضوعية .
- ٤- قمتُ بتخريج الآيات القرآنية بترتيب مواضعها فى سورها ، كما خرّجتُ الأحاديث النبوية فى كتب السنة المختلفة ؛ وذلك توخياً لبيان درجتها والحكم عليها ، ثم لتمييز صحيحها من ضعيفها .
- ٥- شرحتُ بعض المفردات الغامضة ، وترجمتُ لبعض الأعلام الواردة ، وذلك كلما دعت الضرورة ، واقتضاه المقام .
- ٦- ذيلتُ البحثُ بخاتمة تُبين أهم النتائج التى توصلتُ إليها ، وبعض التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .
- ٧- وأخيراً فقد حرصت على أن ألق بالبحث فهارسه الفنية الشاملة ، والتى بدأتُ بفهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وانتهتُ بفهرس المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية ؛ وذلك لقناعتي التامة بأن فهرس البحث إنما يعد مفتاحاً له ، ومدخلاً إليه ،

وما أصدق ما وصفه به شيخ العربية أستاذنا أبو فهر محمود شاكر ، حينما نبّه على أهميته ، وأوصى بالبَدْءِ به ؛ فقال : (مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ فَهْرَسٌ جَامِعٌ ؛ فَاقْرَأِ الْفَهْرَسَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ)^(١) .

هذا ، وقد التزمت الموضوعية وسع طاقتي ، وسلكت كل سبيل إلى المنهجية قدر إمكانني ؛ فلم أتحمز لقول شخص بعينه ، ولم أتعصب لرأى مذهب بذاته ، وذلك بقصد إصابة الحق في كل ما عرضت له ، وبهدف الوصول إلى الصواب في سائر ما ذهبت إليه .

خامساً: خطة البحث:

وأما عن خطتي في هذا البحث فقد انتظمتُ قَمَسِينَ وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، تسبقها المقدمة والتمهيد ، وتُعقبها الخاتمة والفهارس ، وجاءت موزعة على النحو التالي :

المقدمة :

وتتناول التعريف بالموضوع ، وأهم الأسباب الداعية إلى اختياره ، ثم الصعوبات التي واجهته ، وأخيراً منهج البحث وخطته .

التمهيد :

ويتناول تاريخ التفسير منذ نشأته وحتى عصر الشنقيطي ، وذلك من خلال الحديث عن شمول القرآن وعمامه ، وحاجة الأمة المتجددة إلى تفسيره ، ثم بيان أنه على الرغم من تطور مراحل التفسير وتعدد أنواعه ؛ إلا أننا لا نزال نفتقر إلى منهج تفسيري واضح المعالم يمكن أن يحقق الهدف من التفسير ، ويؤتي الثمرة المرجوة منه .

القسم الأول : الترجمة :

ويعنى بسيرة الشنقيطي من حيث حياته الشخصية ، ومسيرته العلمية ، ويتنظم البابين التاليين :

(١) انظر الغلاف الداخلي لكتاب (المتنبى) ومعه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) : لشيخ العربية أستاذنا أبي فهر محمود محمد شاكر - الطبعة ١ - الناشر : (دار المدنى بجدة) مع (مكتبة الخانجي بمصر) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

الباب الأول : حياته الشخصية :

ويتنظم ستة فصول ، تحدثت في الفصل منها عن قبيلة الشنقيطي وأسرته ، وفي الفصل الثاني عن اسمه ولقبه ، وفي الفصل الثالث عن مولده ونشأته ، وفي الفصل الرابع عن صفاته الخلقية والخلقية والعلمية ، وفي الفصل الخامس عن زواجه وأولاده ، وأخيراً في الفصل السادس عن وفاته وراثته وحسن خاتمته .

الباب الثاني : مسيرته العلمية :

ويتنظم أيضاً ستة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن شيوخه من أهله ومن غير أهله ، وفي الفصل الثاني عن أقرانه ومعاصريه ، وفي الفصل الثالث عن تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة ، وفي الفصل الرابع عن نشاطه في بلاده وخارج بلاده ، وفي الفصل الخامس عن رحلاته للحج والدعوة والعلاج ، وأخيراً في الفصل السادس عن مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

القسم الثاني : المنهج :

ويعنى بالسمات العامة للمنهج الشنقيطي في التفسير ، ويتنظم الأبواب الثلاثة التالية :

الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول :

ويتنظم فصلين ، تحدثت في الفصل الأول منهما عن تفسير القرآن بالمأثور ، وفي الفصل الثاني عن تفسير القرآن بالمعقول ، ويمثل هذا الباب السمة الأولى من سمات منهج الشنقيطي في التفسير .

الباب الثاني : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

ويتنظم سبعة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن علوم القرآن ، وفي الفصل الثاني عن علوم الحديث ، وفي الفصل الثالث عن علم الأصول ، وفي الفصل الرابع عن علم الفقه ، وفي الفصل الخامس عن علم الكلام ، وفي الفصل السادس عن علوم العربية ، وأخيراً في الفصل السابع عن علم التاريخ ، ويمثل هذا الباب السمة الثانية من سمات منهج الشنقيطي في التفسير .

الباب الثالث : التحليل السائر ما يعرض له :

ويتنظم ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الأول منها عن (الانتقاد) من حيث تععيده النظرى عند الشنقيطى ، ثم تطبيقه العملى عليه من خلال نقده كلا من : (الإسرائيليات ، والمفسرين ، والمحدثين ، والأصوليين ، والفقهاء ، المتكلمين ، واللغويين ، وأخيراً المؤرخين) .

ثم تحدثت في الفصل الثانى منها عن (الاستنباط) على مستوى تععيده النظرى عند الشنقيطى من حيث ماهية وحجية وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومعجم الاستنباط ، ثم على مستوى تطبيقه العلمى على ذلك من خلال جملة من الشواهد فى مختلف فنون العلم وفروعه مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

وأخيراً فقد تحدثت فى الفصل الثالث منها عن (الاجتهاد) على مستوى تععيده النظرى عند الشنقيطى من حيث ماهية وحجية وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومعجم الاجتهاد ، ثم على مستوى تطبيقه العملى على ذلك من خلال جملة من الشواهد فى مختلف فنون العلم وفروع مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، ويمثل هذا الباب السمة الثالثة والأخيرة من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الخاتمة :

وتأتى فى نهاية البحث لتوجز ملخصه ، ولتعرض لأهم النتائج التى توصل إليها ، ولترصد أهم التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .

الفهارس :

وتأتى بعد الخاتمة لتحتوى فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ثم المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية .

* * *

وأخيراً :

فهذا هو جهدُ المُقِلِّ ، وهذه هى خطوة المُبتدئِ ؛ فإن كنت قد أصبت فيما صنعت فبفضل الله وتوفيقه ، وإن كنت قد قصرت فيما أتيت فحسبى أن الكمال لله الحق ، وأن النقص من لوازم الخلق^(١) .

(١) وما أشهر ما يشير إليه العماد الأصفهاني فى مقدمة ديوان رسائله الكبير قائلا : (إنى رأيت أنه لا =

ولا يسعنى فى الختام إلا أن أتوجه إلى الله العلىّ القدير أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا الإخلاص فى السرّ والعنّ ، وأن يجنبنا الخطأ والزلل ، كما أضرع إليه سبحانه أن يغفر لنا ما مضى وأن يسترنا فيما بقى ، وأن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ الآية^(١) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين فى الأولين والآخريين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

= يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستَحْسَنُ ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العيبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر) وسيأتى ذكر ديوانه هذا ضمن ترجمته المفصّلة ص ٦١ من هذا البحث .
(١) آل عمران : ٨ .

التمهيد

يتبلور تاريخ التفسير ، وتتضح مدى حاجة الأمة إليه ، من خلال الوقوف على مراحل المتطورة ، وذلك عبر مسيرته الممتدة من لدن بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، تلك المراحل التي تُسَلِّمُ كل منها إلى ما بعدها ، وتترتب كل منها على ما قبلها ؛ بحيث تبدو مترابطة موضوعياً ، ومتعاقبة تاريخياً ، فى إطار تسلسل يُبينُ عن ماهية هذا التطور ، ويكشف النقاب عن أهمية دوره الفاعل فى تاريخ التفسير .

فشمول القرآن وتمامه قد بعث على حاجة الأمة الماسة إلى تفسيره ؛ وهو الأمر الذى أدى بدوره إلى نشأة التفسير ، ثم كان أن تطوّر بعد ذلك عبر مراحل المختلفة من خلال تعدد التفاسير وتنوعها ، وعلى الرغم من ذلك لم تظفر الأمة بمنهج تفسيرى واضح المعالم ، بل ظلت مفتقرة إلى تحديد منهج يحقق لها الهدف من التفسير ، والذى يتمثل فى وقوفها على مراد ربها سبحانه فى كتابه الخالد ، ودستوره الدائم ، المتحقق قرآنه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(١) .

ولبيان هذا فإننا نعرض فيما يلى لتاريخ التفسير ومسيرته الممتدة من خلال نشأته ومراحل تطوره ومدى حاجة الأمة إليه ، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول

شمول القرآن وتمامه

ليس ثَمَّةَ شكٍّ فى أن القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ؛ يقوم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، فيبشر المؤمنين ، وينذر المخالفين ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۙ﴾ (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿الآيتان﴾^(٢) .

ومن ثم ؛ فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تماماً ، لم يدع من شئونها صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنه ودلّ عليه ، وهو ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) هذا اقتباس من وصف الله سبحانه قرآنه العظيم فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) الإسراء : ٩ - ١٠ (آيتان) . (٣) الأنعام : ٣٨ .

الْكِتَابَ تَبَيَّانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿الآية (١)﴾ .

كما يُسَيِّنُ رسول الله ﷺ شمول القرآن وتمامه بهذا الوصف الجامع المانع الذي رواه عنه عليُّ بن طالب رضي الله عنه حيث يقول : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنة كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يملكه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد» (١) ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجيباً) (٢) من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» الحديث (٤)

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) خَلَقَ وَخَلَقَ وَخَلَقَ وَأَخْلَقَ وَأَخْلَقَتْ : أصابه البلى ونال منه القدم ؛ فصار قديماً بالياً - انظر مادة (خَلَقَ) في كل من لسان العرب : ١٢٤٣/٢ - مختار الصحاح : ص ١٨٧ - المعجم الوسيط : ٢٦٠ / ١ .

والمراد بـ (ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد) : أى لا تذهب جدته ، ولا تقل قيمته ، بتكرار تلاوته ، وكثرة مراجعته ، على مر الأعصار ، واختلاف الأمصار ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

(٣) إشارة رلى قول الله تعالى : ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن : ١-٢ (آيتان) .

(٤) أخرجه الترمذى من رواية الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم عقب عليه بقوله : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال - انظر سنن الترمذى (كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ (باب ١٤) ما جاء في فضل القرآن - ١٥٨/٥ - حديث رقم (٢٩٠٦) - تحقيق : كمال يوسف الحوت - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

كما أخرجه الدارمى من رواية الحارث أيضاً - انظر سنن الدارمى ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) - (كتاب فضائل القرآن (باب فضل من قرأ القرآن - ٤٣٥/٢ - طبع بعناية : محمد أحمد دهمان - ونشرته : دار إحياء السنة النبوية - (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

وقد أورد الألبانى إسناده الترمذى لهذا الحديث (عن عبد بن حميد، عن حسين بن علي الجعفي، عن حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور) ثم حكم بـ (ضعف هذا الحديث بعد أن ساق حكم الترمذى السابق عليه) - انظر (ضعيف سنن الترمذى) : ص ٣٤٨ - (أبواب فضائل القرآن (باب ١٤) ما جاء في فضل القرآن - حديث رقم (٥٥٤) فى الضعيف - ورقم (٣٠٨٢) فى السنن - ضعّف أحاديثه : محمد ناصر الدين الألبانى - =

وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» الحديث^(١) .

المطلب الثاني

حاجة الأمة المتجددة إلى التفسير

لما أراد الله تعالى أن يجعل قرآنه دستور هذه الأمة الخالد ، وقانونها الثابت ؛ لذا فقد عصمه من العبث والتبديل ، وصانه عن الهوى والتحريف ، وهذا ما ينطق به قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية^(٢) .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لا بد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يرد عليه أى شتات ، وما أصدق وصف الحق الذى يشهد لقرآنه بهذا فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَمَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية^(٤) .

وأمام هذه الوصية باتباع القرآن ؛ كان التحذير أيضاً من خطر الإعراض عنه ، والذى نبه إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ الآيات^(٥) .

إذن فالأمة مأمورة بالتزام هذا الدستور ، ومطالبة بتطبيق هذا القانون ، وأتى لها هذا دون معرفتها بأمره وتكليفه ، وعلمها بنهيه وتحذيره !؟ ومن هنا ؛ كانت حاجة الأمة ماسة إلى فهم هذا القرآن العظيم ؛ لتسير على هديه فى الدنيا ، ولتنال به رضا الله تعالى فى الآخرة ؛ وإزاء هذا كان السلف رضوان الله عليهم يصرفون جُلَّ اهتمامهم لتعرُّفٍ مقاصد القرآن ، بل ويشهدون بالفضل لمن علم شيئاً من تفسيره .

وليس أدلَّ على ذلك مما يورده أبو عبد الله القرطبي من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

= وأشرف على استخراج وطباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامى - عمان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

(١) سبق تخريج هذه الرواية ص ٥ من هذا البحث .

(٢) الحجر : ٩ . (٣) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٤) الأنعام : ١٥٣ . (٥) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

لما ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم ؛ عندئذ قال له رجل : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! تصف جابراً بالعلم ، وأنت أنت ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ۗ ﴾ الآية (١) .

وقال مجاهد : أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تعالى أعلمهم بما أنزل ، وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعنى بها ، وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، فقليل له : إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ؛ فتجهز ورحل إلى الشام حتى عَلمَ تفسيرها .

وقال عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية (٢) طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته ، وقال ابن عبد البر : هو ضمرة بن حبيب .

وقال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ما يمنعني إلا مهابته ، فسألته ؛ فقال : هي حفصة وعائشة .

وقال إياس بن معاوية : مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تفسيره ، كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلاً وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَصْبَاحٌ ؛ فتداخلتهم رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمَصْبَاحٍ فَقَرَأُوا مَا فِي الْكِتَابِ (٣) .

ولئن كان السلف قد وجَّهوا اهتمامهم إلى التفسير ، وأدركوا مدى حاجتهم إليه ، فإن هذا قد سار أيضاً واستمر فيمن بعدهم ، بل وسيظل متواصلاً مطرداً كذلك على تعاقب الأجيال ، وتتابع الدهور ؛ ومن هنا كانت حاجة الأمة إلى التفسير حاجة ماسة متجددة بتجدد حياتها ذاتها ، والتي سداها ولحمتها كتاب ربها الذي فيه نبأ ما قبلها ، وحكم ما بينها ، وخبر ما بعدها .

وإذن فلن تقف هذه الأمة على ما ضيها بما ينير حاضرها ويستشرف مستقبلها ؛ إلا من خلال فهمها لقرآنها وتعاليمه ، والتزامها أحكامه وتكاليفه ، والتي تحمل لنا الحياة كل يوم بفصولها المتجددة ما يؤكد جِدَّةَ الْقُرْآنِ ويؤيد حَدَاثَتَهُ التي تتفق وجدَّةَ وحدائمه هذا الكون من

(٢) النساء : ١٠٠ .

(١) القصص : ٨٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) - ٢٦/١ (من المقدمة) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

لأن خلق الله تعالى له وإلى أن تقوم الساعة ، وما أحسن وصف السيوطي للتفسير حينما توجه بفكره الناصح إلى تصنيف العلوم فقال : النحو علم نضج واحترق ، والفقه علم نضج ولم يحترق ، وأما التفسير فعلم لا نضج ولا احترق^(١) .

فالقُرآن العظيم رغم عمومته وشموله ، وتمامه وكماله ؛ إلا أنه سيظل دوماً غصاً ثرياً ، معطاء سخياً ، وتبعاً لهذا فسيظل تفسيره متصفاً بذلك أيضاً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ لأنه بتجدد الحياة ؛ يتجدد التفسير ، ويتجدد التفسير تتجدد حاجة الأمة إليه ، وفي هذا برهان صدقه ، ودليل إعجازه ، والذي ينطق به قول الله تعالى : ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الآية^(٢) بل وأبعد من ذلك حينما يعجز إدراكنا المحدود ، عن كنهه وحقيقة ما يحمله لنا الغيب المطلق ، والذي يقرره الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية^(٣) .

المطلب الثالث

نشأة التفسير ومراحل تطوره

مرَّ تفسير القرآن الكريم على امتداد تاريخه الطويل بمراحل عدة ، وأطوار مختلفة ، منذ بدأت عناية المسلمين به من لدن نزول الوحي على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، وستظل عناية الأمة قائمة به ، ومتجهة إليه ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ لأن دوام العناية به هو من دوام حفظ الله له ، وهذا ما تكفل به سبحانه في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية^(٤) وتتنازع تلك الرحلة الطويلة التي قطعها التفسير منذ بدء الوحي وحتى يومنا هذا حقتان أساسيتان يمكننا تسميتهما فيما يلي :

● الحقبة الأولى : منذ بدء الوحي وحتى نهاية عصر التابعين :

وتشمل تفسير النسبي ﷺ أول مفسرٍ للقرآن الكريم ومبينٍ له ، ثم تفسير صحابته من بعده ، وأخيراً تفسير التابعين من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين وذلك حتى نهاية عصرهم الذي ينتهي بآخر تابعي يمكن الاستشهاد به والرجوع إليه حتى نهاية القرن الثاني

(١) المزهري في علوم اللغة وأثرها : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - ٣٢٥/٢ - شرحه وضبطه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : (محمد أحمد جاد المولى بك - علي محمد البجاوي - محمد أبي الفضل إبراهيم) - الطبعة ٣ - دار التراث - القاهرة - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٤) الحجر : ٩ .

(٣) النحل : ٨ .

(٢) فصلت : ٥٣ .

الهجرى تقريباً (١) .

● الحقبة الثانية : منذ بدء عصر تابعى التابعين وحتى عصرنا الحاضر :

وتشمل مختلف التفاسير التي وضعها العلماء فى بداية عصر تابعى التابعين فى ختام القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث الهجرى ، ثم مروراً بمختلف أعصار الأمة وأمصارها على امتداد تاريخها الذى يحفل بأحداثه وأحداثه ، ويزخر بمواقفه وطرائفه ، ويمتد حتى يومنا هذا ، بل ويستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

● آراء العلماء فى مراحل التفسير وأطواره المختلفة :

ذهب كثير من علمائنا سواء من القدامى أو المحدثين إلى تقسيمات أخرى بشأن المراحل التى قطعها التفسير ، والأطوار التى مرَّ بها ، على امتداد تاريخه الطويل من لدن نزول الوحى وحتى عصرنا الحاضر ، وفى حين نرى بعض هذه التقسيمات تصدر عن رؤية خاصة بأصحابها أحياناً ، إلا أننا نرى بعضها الآخر يصدر عن محاكاة آراء السابقين والأخذ بها أحياناً أخرى ، وهذا ما نعرض له فيما يلى :

١- من العلماء القدامى :

وغنث لهم بائنين من أبررهم مكانة ، وأكثرهم شهرة ، ممن كانت لهم عناية بتفسير القرآن والتأريخ له ، ألا وهما :

(١) وعلى وجه التحديد فإن عصر الاستشهاد بالتابعين والرجوع إليهم ينتهى بآخرهم موتاً وهو (خلف بن خليفة) الذى توفى عام (١٨٠ هـ = ٧٩٧م) وقيل : عام (١٨١ هـ = ٧٩٨م) . فى حين كان أولهم موتاً هو (أبو زيد مَعْمَر بن زيد) الذى قتل بـ (خراسان) وقيل : بـ (أذربيجان) عام (٣٠ هـ = ٦٥١م) - راجع فى ذلك كلاً من :

● تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية : الشيخ محمد نجيب المطيعى - ص ١٩٧ - مطبعة حسان - القاهرة - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

● مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - ص ٥١٩ - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤) - دار المعارف - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

● الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث : د. محمد محمد أبى شهبه - ص ٥٤٨ - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

• شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) :

حيث يمر التفسير عنده بأربعة مراحل هي : تفسير النبي ﷺ ثم تفسير الصحابة بعده ، ويليه تفسير التابعين وتابعيهم ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك^(١) .

• الحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ = ١٥٠٥م) :

ويمر التفسير عنده بأربعة مراحل مغايرة قليلاً عما ذهب إليه ابن تيمية حيث تتمثل في : تفسير النبي ﷺ ثم تفسير الصحابة ، ويليه تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك^(٢) .

٢- من العلماء المحدثين :

ونمثل لهم باثنين من أهل الاختصاص من علمائنا المعاصرين المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ، ألا وهما :

• الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي ت (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) :

حيث يرى أن التفسير قد مرَّ بثلاث مراحل تتمثل في : تفسير النبي ﷺ و صحابته ، ثم تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعدهم حتى يومنا هذا^(٣) .

(١) مقدمة في أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - ص (٤٢ - ٥٠) - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

وانظر هذه المقدمة أيضاً بتحقيق كل من :

• د. عدنان زرزور : (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة ببيروت لبنان) - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

• أبي حذيفة إبراهيم بن محمد : (مع عرض موجز لانتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

(٢) الإتقان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - (٢/٢٩٧ - ٣٢٤) على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٣) راجع في ذلك للدكتور الذهبي كلاً من :

• الإسرائيليات في التفسير والحديث : ص ٢٠ - نشر : مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

• التفسير والمفسرون : ٣٣/١ - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

• علم التفسير : ص ١٣ - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم (٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

● أستاذنا الدكتور عبد الله شحاته :

ويذهب إلى حصر المراحل التي مرَّ بها التفسير في خمسة أدوار ذكرها على النحو التالي :

- ١- دور النشأة : ويمتد من البعثة المحمدية إلى سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) .
- ٢- دور النضج : ويمتد من سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) إلى سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) .
- ٣- دور بداية التقليد : ويمتد من سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) .
- ٤- دور التقليد المطلق والجمود : ويمتد من سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) إلى ظهور المجلة العدلية سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) .
- ٥- دور اليقظة والنهضة : ويمتد من سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) حتى الوقت الحاضر^(١) .

● رأي البحث :

والحق أننا نذهب مذهباً آخر إزاء تلك التقسيمات التي ذهبت إليها قدامى علمائنا ، فضلاً عن مُحدثيهم ، بشأن ما ذكروه من المراحل والأدوار التي قطعها التفسير عبر مسيرته الطويلة ، والتي امتدت من لدن عصر التزليل وحتى يومنا هذا .

حيث نرى أن مسيرة التفسير تنازعها حقتان زمنيتان أساسيتان ، تكاد تتحدد مصادر كل حقبة منهما ، وتتصل روافدها ؛ لتنهل من معين واحد ، ولتسيل بعد ذلك في جداول تكاد تكون متشابهة ، من حيث طبيعة مسالكها ودروبها ، وحقيقة مآلها ومصيرها .

ويتضح ذلك من خلال فهمنا لواقعية الحقبة الأولى من هاتين الحقتين وموضوعيتها ، والتي تمتد من لدن تفسير النبي ﷺ وتنتهي بتفسير تابعي التابعين أواخر القرن الثاني الهجري ؛ فتابعوا التابعين اعتمدوا في تفاسيرهم على نقل المأثور عن التابعين ، والتابعون اعتمدوا بدورهم على المأثور عن الصحابة ، والصحابة نهلوا ولاشك من معين رسول الله ﷺ الذي تلقى عن أمين وحى السماء جبريل عليه السلام ، والذي تلقى بدوره عن ربِّ العزة سبحانه ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان^(٢) .

(١) التفسير بين الماضي والحاضر : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - ص ١٨ - دار الاعتصام - القاهرة

- ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

حتى إن الدكتور الذهبي نفسه يذهب إلى ما هو أبعد من عصر تابعي التابعين حين يقرر حصر التفاسير واقتصارها على المأثور دون غيره ، فيتجاوز بهذا القرن الثالث الهجري كله ، ليستقر به المقام عند ابن جرير الطبري الذي توفي أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عام (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م).

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي ما نصه : انفصل التفسير عن الحديث فأصبح علماً قائماً بذاته ، ووضِعَ التفسيرُ لكل آية من القرآن على حسب ترتيب المصحف ، وقد تم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم : ابن ماجه القزويني ت (٢٧٣ هـ = ٦٤٨ م) وابن جرير الطبري ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وليس في واحد منها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور^(١) .

أما الحقبة الزمنية الثانية والتي تمتد بالتفسير من بعد عصر تابعي التابعين مع بداية القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا ، فتكاد تتشابه خصائصها ، وتتقارب ملامحها ؛ لتجسد لنا في النهاية صورة حقيقة لما عليها واقع التفسير في هذه الحقبة الممتدة ، والذي يعتمد أولاً وآخرأ على موروث الحقبة الأولى ، فيعمد إلى تحليله وإعمال النظر فيه ؛ بهدف توجيهه أو ترجيح بعضه على بعض ، مع ما يكون من زيادة عليه من فنون العلم ، وفروعه المختلفة ، حسبما تدعو إليه الحاجة ، وتقضيه الضرورة ، وما فعل الطبري وغيره من العلماء حتى اليوم عنا ببعيد !

ولئن كان قدامى علمائنا ومحدثوهم قد لجأوا إلى تقسيم مسيرة التفسير (تقسيماً تاريخياً) إلى مراحل المذكورة ، وأدواره السابقة ، حيث أجملوا بعضها أحياناً ، وفصلوا بعضها أحياناً أخرى ، إلا أننا نرى أن تقسيمها (تقسيماً موضوعياً) إلى الحقبتين المذكورتين ، يرقى لأن يشكل أساساً جوهرياً ، ويرسم ملمحاً واضحاً ؛ يمكننا بناءً عليه أن نفرق بين هذه المرحلة أو تلك ، ونميز بين هذا الطور أو ذاك ، وهو ما لا ينهض به تقسيمها التاريخي المشار إليه^(٢) .

(١) علم التفسير : د. محمد حسين الذهبي ص ٣٦ .

(٢) وما يؤكد هذا التداخل الحادث بين مراحل التفسير وأطواره المختلفة التي ذهب إليها كثير من العلماء المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ؛ فإننا نكتفي بذكر الشاهد التالي :

فعلى الرغم من أن الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله قد أكثر من ذكر مصادر التفسير في كل مرحلة من مراحل التي ذهب إليها ، ثم أشار إلى أشهر مفسريها ، وكذا قيمة التفسير وبمميزاته أثناءها ، إلا أن ما ينطبق على هذه المرحلة أو تلك يتكرر بذاته في غيرها ، إلا من بعض الاختلاف =

وبهذا يتأكد لنا ما ذهبنا إليه بصدد كل من الحقتين الزميتين الأساسيتين اللتين نرى أنهما تتنازعان مسيرة التفسير من لدن عصر التنزيل ، مروراً بعصرنا الراهن ، بل واستمراراً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

المطلب الرابع

تعدد التفاسير وتنوعها

اتسع مجال التفسير ، وانداحت دائرته ؛ ليستوعب شتى أنواع التفاسير على تعددها ، وليشمل مختلف طوائف المفسرين على تنوعها ، إلى الحد الذي عمد فيه كل مفسر إلى الفن الذي يمتلك زمامه ، أو المذهب الذي يعتقد صحته ، فيضعه نصب عينيه ، ويجعله غالباً في تفسيره ، ومهيماً عليه ؛ وبناءً على ذلك فقد أفرز هذا الاتساع في مجال التفسير العديد من التفسير التي جاءت تبعاً لتمكن أصحابها واقتدارهم في هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذي يمكننا معه إيجاز تلك الأنواع فيما يلي :

١- تفاسير المُحدِّثين :

ويقتصرون فيها على رواية الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ والخاصة بتفسير آيات الذكر الحكيم ، ويأتي على رأس هؤلاء أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاريّ ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) الذي أفرّد في صحيحه كتابين مستقلين للتفسير وحده وسمّهما بعنواني : (كتاب التفسير) و(كتاب فضائل القرآن)^(١) .

ويشير الأستاذ أمين الخولي إلى أن هذين الكتابين يشغلان حيزاً واضحاً من (صحيح البخاريّ) تقدر نسبته بما يقرب من ثُمْنِ هذا الصحيح^(٢) .

= اليسير الذي لا يرقى لأن يشكل فارقاً واضحاً يمكن على أساسه الفصل أو التمييز بين هذه المراحل على النحو المذكور ؛ وهذا ما يؤكد ذلك التداخل الذي أشرنا إليه .

• راجع في ذلك (علم التفسير) : د. الذهبي ص ١٣ - ٣٩ (على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة) .

- (١) انظر هذين الكتابين على الترتيب في (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) كما يلي :
- كتاب التفسير : الجزء السابع عشر كاملاً ص (١ - ٣١٠) والجزء الثامن عشر كاملاً أيضاً ص (١ - ٤١٦) .
- كتاب فضائل القرآن : بعض من الجزء التاسع عشر ص (١ - ١٢٣) وبهذا يبلغ مجموع هذين الكتابين وحدهما ما يقرب من ثمانمائة وخمسين صفحة من شرح هذا الصحيح .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣٤٩/٥ - مادة (تفسير) - وضع : مجموعة من المستشرقين - تعليق : أمين الخولي - طبع دار الشعب - القاهرة - (د.ت) .

٢- تفاسير القراء :

ويهتمون برواية القراءات الثابتة عن شيوخهم ؛ بحيث لا يدعون دقيقاً ولا جليلاً يتعلق بذلك إلا أتوا به^(١) ومن هؤلاء الحسن البصرى ت (١١٠هـ = ٧٢٩م) صاحب إحدى القراءات الأربع الشاذة^(٢) .

٣- تفاسير الفقهاء :

وفيها يصرفون عنايتهم إلى إيراد الأحكام الفقهية ، مع الترجيح بين الآراء ، فضلاً عن مقارنة المذاهب ، والرد على مخالفيهم ، ومن هؤلاء أبو بكر الجصاص الحنفى ت (٣٧٠هـ = ٩٨١م) ثم عماد الدين الطبري المعروف بـ (إلكيا الهراس) الشافعي ت (٥٠٤هـ = ١١١١م) وأخيراً المالكيان : القاضي أبو بكر بن العربي ت (٥٤٣هـ = ١١٤٩م) وأبو عبد الله القرطبي ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م)^(٣) .

٤- تفاسير المتكلمين :

وهم الذين يعمدون إلى تناول الآيات المتعلقة بأسماء الله وصفاته ، فضلاً عن إقحام أقوال الحكماء ، وإيراد شبه الفلاسفة ؛ بهدف تنفيذها والرد عليها من خلال التفسير ، ومن هؤلاء فخر الدين الرازي ت (٦٠٦هـ = ١٢١٠م)^(٤) .

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير : ولي الله الدهلوى ص ١٧ - (بتصرف يسير) - عرّبه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .
(٢) ستأتى ترجمة الحسن البصرى مفصلة ضمن تراجم القراء الأربعة عشر ص من هذا البحث .
(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أحكام القرآن : الجصاص - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- أحكام القرآن : إلكيا الهراس - تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .
- أحكام القرآن : ابن العربى - تحقيق : على محمد البجاوى - دارالمعرفة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة - الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

(٤) راجع فى ذلك تفسيره المسمى بـ (التفسير الكبير) والمشهور بـ (مفاتيح الغيب) : لفخر الدين بن عمر ابن الحسين القرشى البكرى الطبرستانى - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .

٥- تفاسير الفرق :

ومن خلالها يحرص أتباع هذه الفرق على ترويج مبادئهم ، ونشر آرائهم ؛ بهدف زيادة مؤيديهم ، وتكثير سواد أنصارهم ، وتتعدد هذه الفرق ؛ كما تتنوع وفقاً لها تفاسير أتباعها ، وفيما يلي ذكر مفسري بعض هذه الفرق ، مع ذكر ما لهم من تفاسير ، على اختلاف أعصارهم ، وتباين أمصارهم :

● الصوفية :

ومنهم سهل التستري ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) وأبو عبد الرحمن السلمى ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) وأبو محمد الشيرازي ت (٦٠٦هـ = ١٢١٠م) ومحي الدين بن عربي ت (٦٣٨هـ = ١٢٤١م)^(١) .

● المعتزلة :

ومنهم القاضي عبد الجبار ت (٤١٥هـ = ١٠٢٤م) وجار الله الزمخشري ت (٥٣٨هـ = ١١٤٤م)^(٢) .

● الشيعة :

وتشمل عدة طوائف نكتفي بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفتين منها ، ألا وهما :

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- تفسير القرآن العظيم : لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري - (بدون بيانات) .
- حقائق التفسير : لأبي عبد الرحمن السلمى - (بدون بيانات) .
- عرائس البيان في حقائق القرآن : لأبي محمد الشيرازي - (بدون بيانات) .
- الفتوحات المكية : لمحيي الدين بن عربي - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى - تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مذكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الإجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا في السوربون بفرنسا) - طبع الهيئة المصرية العامة لكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

- تنزيه القرآن عن المطاعن : إملاء قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد - على نفقة : محمد سعيد الراجعي صاحب المكتبة الأزهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩هـ = ١٩١١م .
- الكشف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - وبهامشه (حاشية السيد شريف الجرحاني ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكي ، وكتاب تنزيل الآيات لمحبي الدين أفندي ، وبأعلاه النص القرآني برسم وضبط الدوري) - طبع مصطفى البايي الحلبي - القاهرة - (د.ت) .

أ - الإمامية الاثنا عشرية :

ومنهم أبو علي الطبرسي ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) ومُلاً محسن الكاشي ت (أواخر القرن الحادي عشري الهجري السابع عشر الميلادي)^(١) .

ب - الزيدية :

ومنهم عطية بن محمد النجراني ت (٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ م) ومحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م)^(٢) .

• الخواارج :

ويشملون عدة طوائف نكتفى بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفة منها ، ألا وهي :

الإباضية :

ومنهم هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، ومحمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م)^(٣) .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - طبع مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .
- تفسير الكاشي : لملا محسن الكاشي - (بدون بيانات) .

(٢) فيما يتعلق بالنجراني راجع :

- الفهرست : ابن النديم ص ٢٣ - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
- ويشير ابن النديم إلى هذا التفسير بقوله : (وقد قيل عنه : إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية) ويعقب الدكتور الذهبي على ذلك بقوله : (لم أفد عليه) - انظر (علم التفسير) : ص ٦٨ .
- وفما يتعلق بالشوكاني راجع :

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) فيما يتعلق بالهواري راجع :

- علم التفسير : د. الذهبي ص ٦٩ - حيث ذكر ما نصه : (وهذا التفسير متداول بين الإباضية في المغرب ، وقد اطلعت على بعض أجزاءه الأربعة لدى الشيخ إبراهيم إطفيش رحمه الله) .
- وفما يتعلق بمحمد إطفيش راجع :

- هميان الزاد إلى دار المعاد : محمد بن يوسف إطفيش - (بدون بيانات) - (الهميان) : كيس يوضع فيه المال ، ويشده صاحبه على وسطه بحزام محكم أو نحوه ، وهو معرب ، وجمعه (هميان وهميان) - انظر مادة (همي) في كل من مختار الصحاح : ص ٦٩٩ - المعجم الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

٦- تفاسير المؤرخين :

وفيها يصرف أصحابها همتهم إلى إيراد القصص ، وذكر أخبار مَنْ سلف ، بقطع النظر عن صحة ذلك ، أو عدم صحته ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبي ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م) وعلاء الدين الخازن ت (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م)^(١) .

٧- تفاسير اللغويين :

وهم الذين يشتغلون ببيان لغة القرآن وإعرابه ، فضلاً عن كشف لطائفة البيانية ، واستخراج نكاته البلاغية ، أما النحاة : فنذكر منهم كلاً من أبي الحسن الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) وأبي حيان الأندلسى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م)^(٢) وأما البيانىون فرائدتهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة بـ (بنت الشاطيء) ت (١٤٢٠ هـ =

(١) فيما يتعلق بالثعلبي راجع :

• الكشف والبيان فى تفسير القرآن : الثعلبي - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم (١٣٦) / ٢٠٥٦ - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر بالقاهرة - كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) - ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

وفىما يتعلق بالخازن راجع :

• لباب التأويل فى معانى التنزيل : لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن - وبهامشه (تفسير معالم التنزيل) : لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ت (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .

(٢) فيما يتعلق بالواحدى راجع كلاً من :

• البسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية - الجزء الأول (التفسير) - ص ١٣ - المخطوط رقم (٢٨٢) .

• الوسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١) ، (٢٧١) ، (٢٧٢) ، (٢٧٣) ، (٢٨٠) ، (٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .

• الوجيز فى تفسير القرآن العزيز : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٢) ، (٢٥٣) ، (٢٥٤) - (التفسير) .

وقد أشار الدكتور جودة المهدي إلى أن (الوجيز) هو التفسير الوحيد المطبوع للواحدى ، حيث طبع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) بمطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة عام (١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م) - كما تتبع الدكتور المهدي تفاسير الواحدى الثلاثة (البسيط - الوسيط - الوجيز) فَحَصَرَ نسخها وعَرَّفَ بها من خلال بحثه الموسوم بعنوان :

• الواحدى ومنهجه فى التفسير : د. جودة محمد محمد المهدي ص (٨٦ - ٩٣) - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٩٩٩م^(١) .

٨- تفاسير العلميين :

وفيها يعمد أصحابها إلى تفسير آيات القرآن بناءً على معطيات النظريات الحديثة ، ووفقاً للبحوث العلمية الجديدة ، وقد يُحمَلون بعض الآيات ما لا تحتمل ، ويلزمونها ما لا يلزم ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م)^(٢) .

٩- تفاسير الاجتماعيين :

وهم الذين يوجهون عنايتهم إلى إصلاح المجتمع ، ويجندون طاقتهم لمعالجة أدوائه ، من خلال توثيق صلة الناس بدينهم ؛ بما يقوم حاضرم ، ويستشرف مستقبلهم ، فضلاً

= وفيما يتعلق بأبى حيان راجع كلاً من :

• البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسىّ الغرناطىّ - وبهامشه (تفسير النهر المادّ من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه تاج الدين الحنفى النحوى ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - طبع القاهرة - (بدون بيانات) .

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : للشيخ طنطاوى جوهرى - طبع مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) - ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طنطاوى جوهرى قد ابتداءً هذا التفسير العلمى منذ كان مدرساً بمدسة (دار العلوم) حيث كان الأمل معقوداً عليه ليعث الأمة على درس مختلف العلوم ، وشتى الفنون ؛ بالقدر الذى يجعل من أبنائها من يفوقون الفرنجة فى الطب والهندسة والفلك والزراعة والصناعة وغيرها ، بل ويرى أن الاشتغال بهذه العلوم أفضل من الاشتغال بعلوم الفرائض ؛ ومن ثم ينحو باللائمة على المفسرين السابقين لإهمالهم تلك العلوم على الرغم من أهميتها ، وأنه بتفسيره هذا يحو وصمة التقصير فى كتبهم .

ولعل كثرة ما وُجّه إليه من نقد توحى بأن هذا المسلك مذموم فى تفسير القرآن ، والحق ليس كذلك ؛ لأن ما عيب عليه إنما هو تكلفه البيغض ، وسوء تأويله ، أما هذا المسلك العلمى فليس مذموماً على إطلاقه ؛ لأن القرآن على الرغم من ثباته إلا أنه يلائم كل زمان ومكان ، ويساير التقدم العلمى جنباً إلى جنب ، فيجمع الماضى البعيد والحاضر القريب ، ويفسر علم اليوم بما يكشف عنه البحث فى الغد ، وفى هذا دليل قوته ، وبرهان إعجازه .

راجع فى ذلك بتصريف يسير كلاً من :

• دراسات حول القرآن : د. إسماعيل أحمد الطحان ١/ ٢٢٠ - الطبعة ١ - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

• العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن : د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (من ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

عن إرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا ، وفوزهم في الآخرة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء كل من : الشيخ رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) والأستاذ سيد قطب الذى استشهد عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م)^(١) .

١٠- تفاسير المثقفين :

وهم أولئك نفر المعاصرون من غير أهل الاختصاص الذين يلجأون إلى تفسير القرآن الكريم ؛ وفقاً لمعارفهم العامة ، وتبعاً لميولهم الذاتية ، وتجدهم فى ذلك أخلاطاً شتى ، حيث يتوزعون بين أهل الطب والهندسة والفلك ، وكذا الصحافة والاقتصاد والقضاء ، فضلاً عن المعنيين منهم بالعلوم البحتة والتجريبية ، وغيرهم من ذوى القدرات العقلية الخاصة ، والمواهب النادرة المتميزة ، ممن تراودهم فكرة التفسير ، وتلح عليهم الرغبة فى ارتياده .

(١) فيما يتعلق بالشيخ رشيد رضا راجع كلاً من :

- (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بـ (تفسير المنار) : الإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ .
- رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة : لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥هـ = ١٩٣٧ م .
- منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م .
- وفيما يتعلق بالشهيد سيد قطب راجع كلاً من :
- تفسير (فى ظلال القرآن) : بقلم سيد قطب - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي - القاهرة - (د. ت) .
- وكذلك الطبعة الشرعية الثالثة عشر من نفس التفسير الصادرة عن دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد كتب على غلافها ما نصه : (الطبعة الجديدة المشروعة التى تتضمن إضافات وتقيحات تركها المؤلف وتنتشر للمرة الأولى مع المراجعة الشاملة والتصويت الدقيق) .
- سيد قطب (الشهيد الأعزل) : محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامى - القاهرة - (د. ت) .
- سيد قطب (صفحات مجهولة) : محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩ م .
- أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم : بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد عرض الباحث من خلال ذلك للمنهج التفسيري لكل من : (رشيد رضا - سيد قطب - محمد عزّة دروزة) مقارناً بينهم وبين غيرهم من المفسرين السابقين عليهم إزاء مناهجهم التى سلكوها فى تفاسيرهم .

ولتحقيق هذا الهدف ، وتلبية تلك الرغبة ؛ تراهم يورطون أنفسهم ويتكلفون مالا يطيقون ، ويهونُ عليهم ذلك كله في سبيل أن يدلوا بدلوههم ، ويجربوا حظهم ؛ إلا أن هذا يُسقطُ الكثيرين منهم في دائرة الحرج والمخالفة ، وينأى بهم عن جادة الحق والصواب ، مما كان عليه سلف هذه الأمة وخلفها ، ونكتفى في التمثيل لهم بأشهرهم من المعاصرين لنا وهو الدكتور مصطفى محمود في كتابه المسمى (القرآن : محاولة لفهم عصرى)^(١) .

المطلب الخامس

الافتقار إلى منهج تفسيري واضح المعالم

رأينا كيف أن هذه التفاسير قد بلغت عشرة أنواع ، كما رأينا كيف اعتمد أصحاب كل نوع منها على ما برعوا فيه من فن ، أو استمسكوا به من مذهب ؛ ومن ثم جاء كل تفسير منها مقصوداً على هذا الفن ، أو محصوراً في ذلك المذهب ، وعلى الرغم من تنوع هذه التفاسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا أننا لم نظفر بقانون نظري محدد ، أو منهج نظري واضح المعالم ، قد واكب هذه التفاسير وعاصر نشأتها ، بل إن المحاولات الأولى لصياغة بعض المناهج النظرية لم تظهر إلا متأخرة جداً ، وإن كانت قد طبقت في بعض الأعمال التفسيرية على نحو أو آخر^(٢) .

ومن هنا افتقر التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحلها ، حتى يومنا هذا إلى

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- القرآن (محاولة لفهم عصرى) : د. مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .
- مصطفى محمود (حياتي وفكري - آرائى ومواقفى) : مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سلمى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .
- وجدير بالذكر أن هذا التفسير قد تعرض لنقد كثير من العلماء المعنيين ، فضلاً عن غيرهم من المهتمين بالتفسير خاصة ، والدراسات الإسلامية عامة ، ونكتفى في التمثيل لهم بكل من :
- القرآن والتفسير العصرى : دة. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .
- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن : د. عبد المتعال الجابرى - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

(٢) راجع في ذلك بتصرف يسير :

- محاضرات في تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٣٣ - ألفت على طلاب الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيري) لهذا المفسر أو ذلك ؛ فيرسم حدوده ، ويوضح معالمه ، ويهذبا تنوقى التداخل ، ونأمن الخلط ، الذى ينجم من جراء تناول مختلف هذه التفاسير ، فى محاولة للاقتراب من أصحابها بما يكشف عن مسلكهم ، وينبىء عن منهجهم .

المطلب السادس

تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير

انبرى كثير من العلماء الأعلام ، فوقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم ، والكل فى سعى حثيث ، وجهد دؤوب ؛ لفهم هذا القرآن والكشف عن معانيه ، بل ومحاولة الاقتراب من مراد الله فيه .

ومن ثم ؛ فإننا (نجد أن أسلوب التفسير يتجدد مع كل مفسر ، وكذا مع كل عصر بحسبه ، وذلك أمر طبيعى ، لأن المفسرين إنما يصورون ما فهموا من كتاب الله ، وأداة فهمهم هى عقولهم ، كما أن مادة علمهم هى بيئاتهم ومعارف عصرهم ؛ فكان لزاماً أن يظهر ذلك كله جلياً فى نثبات أقلامهم ، ومعرض آرائهم^(١) .

ومن هنا ؛ فقد اختلفت (معالجة المفسرين للكشف عن معانى القرآن الكريم ، فلم تجر على نمط واحد ، ولم تكن على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، وتلك طبيعة كل كائن حتى يحيا حياة حسية أو معنوية ، وكان بدهياً أن يبدأ التفسير على صورة ضيقة ؛ لأن القوم وقت نزوله كانوا عرباً خلصاً ، يعرفون اللسان العربى ، ولا يخفى عليهم من معانيه إلا النزر اليسير ، والذى لا يلبث أن ينجلي لهم برجوعهم إلى رسول الله ﷺ ثم اتسعت دائرة التفسير متدرجة شيئاً فشيئاً بناءً على زيادة الغموض الذى اعترى الناس بسبب بعدهم عن معين العربية التى نزل بها القرآن العظيم ؛ ولهذا ستظل حاجة الناس فى ازدياد إلى التفسير بقدر زيادة هذا الغموض ، وكلما زاد ابتعادهم عن عصر النزول^(٢) .

غير أن ما ينبغى الالتفات إليه ، ويجب التنبيه عليه ، هو أن جهود المفسرين من

(١) مقاصد القرآن الكريم (مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل البقرة) : الإمام الشهيد حسن البنا ص ١٣ - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - (بتصرف يسير) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- علم التفسير : د. الذهبى ص ١٢ .
- التفسير والمفسرون : د. الذهبى ١ / ١٠٠ .

السابقين واللاحقين ، لن تُثْمِرَ ثَمَرَهَا ، ولن تُؤْتِيَ أَكْلَهَا ؛ إلا من خلال تحديد المنهج التفسيري الذى ينبغى أن يلتزمه هذا المفسر أو ذاك ، إزاء كشفه عن معانى القرآن ، وتجليتها للأفهام ؛ فتحديد المنهج يؤدي بالضرورة إلى تحديد خط السير الذى يلتزمه الناظر فى التفسير ؛ فيسير على هداه ، ويترسم خطاه ، ليأخذ بيديه فى النهاية إلى تحقيق هدفه الكلى ، والذى يتمثل فى إحداث الفهم الشامل لكلمات القرآن وآياته ، وذلك دون أن يكلفه مؤنة البحث وما فيه من المشقة ، أو يجشمه إهدار الوقت وما فيه من المضرة .

لأجل هذا ؛ كان (تحديد المنهج التفسيري) من الأهمية بمكان بحيث تتوقف عليه (عملية الفهم الشامل للنص القرآني) سواء على مستوى (الإفراد) أو على مستوى (التركيب) والذى بدون تحديده نظل نفتقد الوسيلة الفعلية التى تُوصِلُنَا لتحقيق الهدف المنشود من التفسير .

* * *

وبعد : فقد اقتضت رغبتنا فى الوقوف على ضرورة وجود منهج تفسيري ؛ أن نعرض من خلال هذا التمهيد لمسيرة التفسير ومراحل تطوره ومدى الحاجة إليه ؛ وذلك بقصد التنبيه على أهمية مثل هذا المنهج وفائدته ، والتي تتبلور من خلال تحديد موقعه ، وتوصيف دوره ، الذى يقوم به لإتمام عملية التفسير ، والتي يرتبط شمولها بشمول القرآن ذاته ، بل وتتجدد الحاجة إليها بتجدد الحاجة إلى فهم القرآن ذاته .

وعليه فإنه يمكن لهذه الأمة أن تتبّع ما فى قرآنها من الأوامر ، وتجتنب ما فيه من النواهي ؛ بما يتأدى عنه حصول نجاتها فى الدنيا ، بل وفوزها برضا ربها سبحانه فى الآخرة ، وذلكم هو هدفها الأسمى ، وتلكم هى غايتها العظمى .

القسم الأول
الترجمة

سيرة الشنقيطي

حياته الشخصية ومسيرته العلمية

وتتظم تمهيداً وبابين وتعقيماً :

- نهيد : بين الترجمة ومسلك البحث .
- ١- الباب الأول : حياته الشخصية .
- ٢- الباب الثاني : مسيرته العلمية .
- تعقيب : حول هذه الترجمة .

زهد

بين الترجمة و مسلك البحث

وتتنظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : الترجمة :

ويعالج المسائل الخمس التالية :

أ - المسألة الأولى : ماهية الترجمة .

ب- المسألة الثانية : التراجم حق العلماء .

ج - المسألة الثالثة : الترجمة بين الإقدام عليها والإجحام عنها .

د - المسألة الرابعة : أهمية الترجمة وخطر إغفالها .

هـ - المسألة الخامسة : حتمية الترجمة .

٢- المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مرحلة المطالعة .

ب- المسألة الثانية : مرحلة المراسلة .

ج - المسألة الثالثة : مرحلة الملاقاة .

المطلب الأول

الترجمة

إن الترجمة في حقيقتها تعنى الكتابة عن شخص ما ، سواء كان عالماً أو غيره ، وهي بهذا تقوم مقام شخصيته من حيث إبراز صورته ، وبيان مكانته ، وتقويم منزلته في عظمتها أو توسطها أو خلافهما ، وهذا ما يمكن أن نستجليه من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الأولى

ماهية الترجمة

وتتظم الحديث عن جانبى الترجمة وقسميها وأنواع المترجمين على النحو التالى :

● جانباً الترجمة :

والترجمة باعتبار حقيقتها تُعدُّ ذات جانبيين :

١- الجانب الشخصى :

وهو عبارة عن السيرة الشخصية التى تُعرَّفُ بشخص صاحبها وحقيقته ، وتصف صورته وهيبته ، وتبيِّنُ منزلته ومكانته ، وكأنها بذلك تستحضره لتجعله ماثلاً أمام عينى مَنْ يُطالعُ ترجمته ، ومرتسماً فى خيال مَنْ يقرأ عنه .

٢- الجانب العلمى :

وهو عبارة عن السيرة العلمية التى تُعرَّفُ بمسلك صاحبها فى طلب العلم ، وتبيِّنُ منهجه فى تحصيله ونشره ؛ بما يمكن أن يُعدَّ نهجاً يقتدى به مَنْ أراد أن يسلك سبيله ، ويحذو حذوه مَنْ أراد أن ينسج على منواله ، مستفيداً فى ذلك كله بأقواله ، ومهتدياً بأفعاله .

● قسمياً الترجمة :

كما أن الترجمة باعتبار نوعها تنقسم إلى قسمين :

١- الترجمة الذاتية :

وتشمل السيرة الشخصية وكذا العلمية التى يكتبها الشخص عن نفسه ، بادئاً فى ذلك بطفولته ، ومنتهاً بلحظة تدوين ترجمته ، وممتزماً فى هذا كله بتسجيل ماله وما عليه عبر مراحل عمره ، وأطوار حياته المختلفة ، وهذا القسم من التراجم هو أصدق ما يكون حالما التزم صاحبه الاعتدال والأمانة فيما يكتبه عن نفسه .

ولقد ترجم خلق كثيرون لأنفسهم من العلماء والفلاسفة وغيرهم ؛ فصارت تراجمهم لأنفسهم بمنزلة المرجع الرئيس لكل مَنْ كتب عنهم فيما بعد من تلاميذهم وغيرهم ، ونذكر من هؤلاء العلماء بعضاً منهم تنبيهاً بهم على غيرهم ألا وهم : (ابن سينا - العماد الأصفهاني - ابن الخطيب - ابن خلدون - وأخيراً السيوطي^(١)) .

(١) وفيما يلي موجز تراجمهم بترتيب وفاتهم على النحو التالي :

● ابن سينا (٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري الحنفي ، العلامة الشهير، الطبيب الفيلسوف، والملقب بـ (الشيخ الرئيس) برع في الطب والفلسفة والمنطق، وألّف ما يقرب من مائة مصنف منها : (الشفاء - النجاة - الإشارات - القانون) ومن رسائله البديعة : (رسالة حي بن يقظان - رسالة الطير) وقد ردّ عليه أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢م) في كتابه (تهافت الفلاسفة) فكفّره في ثلاث مسائل وبدّعه في سبع عشرة أخرى من جملة عشرين مسألة أخذها عليه ويقال : إن تاب قبل موته ، كما أنه أصيب آنذاك بمرض (القولنج) فتوفّي به ودفن بـ (همدان) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

● عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ت (٦٦٨ هـ = ١٤٦٢م) - ص (٤٣٧ - ٤٥٩) - شرح وتحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان ت (٦٨١هـ = ١٢٨٢م) - (١٥٧/٢ - ١٦٢) - تحقيق : د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (د. ت) .

● سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٥٣١/١٧ - ٥٣٧) - حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : (شعيب الأرنؤوط) مع (محمد نعيم العرقسوي) - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

● البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) - (٦٦٧/٥ - ٦٦٨) - تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركي) بالتعاون مع : (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - الطبعة ١ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٥م .

● الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت (٧٧٥هـ = ١٣٧٤م) - (٦٣/٢ - ٦٤) - تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

● العماد الأصفهاني ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) :

هو القاضي الإمام ، العلامة المفتي ، المنشئ البليغ ، الشافعي الوزير عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن الله =

= الأصبهاني الكاتب، والمعروف بابن أخى العزيز ، و(أله) : لفظ فارسي معناه (العقاب) حَدَث ببغداد والشام ومصر ، واتصل بكل من الوزير ابن هُبَيْرَة والملك نور الدين محمود زُنكى والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ؛ فقربوه إليهم ، وعلت منزلته لديهم ، وقد أَلَف مصنفات عديدة منها : (خريدة القصر وجريدة العصر - البرق الشامي - ديوان الرسائل الكبير) وقد تُوَفِّي في عامه المذكور ودفن في (مقابر الصوفية) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- سير أعلام النبلاء : للمحافظ الذهبي ٣٤٥/٢١ - ٣٥٠ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومي الحموي ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) - (١٩/١١ - ٢٨) - الطبعة الأخيرة - راجعته : وزارة المعارف العمومية - طبع : دار المأمون - القاهرة - (د.ت) .
- التكملة لوفيات النقلة : لزكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذرى ت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) - (٢/٢٨٦ - ٢٨٩) - حققه وعلّق عليه : د. بشار عواد معروف - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن على الكافى السبكي ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - (٦/١٧٨ - ١٨٣) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلوى) مع (د. محمود محمد الطناحي) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

● ابن الخطيب ت (٧٧٦ هـ = ١٣٧٤ م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني القرطبي ثم الغرناطي ، كان سلفه يعرفون قديماً ب (بنى وزير) ثم صاروا يعرفون ب (بنى الخطيب) برع في القراءات والعربية ، وأخذ الطب والمنطق والحساب عن الفيلسوف أبى زكريا يحيى بن هذيل ، وقد أَلَف مصنفات عديدة منها : (الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة - الإحاطة بما نيسر من تاريخ غرناطة - ديوان شعر في سفيرين) و (الحلل المرقومة في اللمع المنظومة : وهو أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه) عمل وزيراً لأبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد بن نصر بن الأحمر ثم من بعده لولده محمد ؛ ولعله لذلك قيل له : (ذو الوزارتين) وقد مات مخنوقاً في سجنه من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- الإحاطة في أخبار غرناطة : لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب - (٤/٤٣٨ - ٦٣٤) - حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر : مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : للمحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م) - (٤/٨٨ - ٩٣) - حققه وقدم له ووضع فهرسه : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د.ت) .

● ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م) :

هو الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البهائي ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمي ، من ولد وائل =

= ابن حجر ، التونسي الأصل ، ثم القاهري المالكي ، المعروف بابن خلدون ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وأخذ على أبي البركات البلقيني والوادي آشى وغيرهما ، كما اعتنى بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً ، فضلاً عن الأدب وأمور الخط والكتابة ، وتوجه أخيراً إلى مصر فأكرمه السلطان الظاهر بربقوق ، وتولى قضاء المالكية غير أنه احتفظ بزى بلاده ولم يتزى بزى القضاة ، وقد ألف مصنفات عديدة في الإنشاءات الثرية والشعرية ، غير أن أشهرها : (التاريخ المترجم بـ : العبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر) والذي حوت مقدمته جميع العلوم ، وقد مات ابن خلدون فجأة في رمضان المعظم من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للمؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٦م) - (١٤٥/٤ - ١٤٩) - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د.ت) .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور : لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠هـ = ١٥٢٤م) - ص ٧٥٤ - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت - ثم طبع بدار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى - (١٠٦/٤ - ١٠٧) - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .
- ابن خلدون (أبو علم الاجتماع): لسليمان فياض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية - القاهرة - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .
- المقدمة : لابن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

•• السيوطي ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الحضيرى الأسوطى أو السيوطى ، ولد بالقاهرة عام (٨٤٩هـ - ١٤٤٥م) وتوفى بها من عامه المذكور ودفن بضاحية (مصر العتيقة) أو ما يعرف الآن بمنطقة (مصر القديمة) - والحضيرى : نسبة إلى محلّة ببغداد تعرف بـ (الحضيرية) والتي نزع منها جده الأعلى (همّام الدين) زمن الدولة الأيوبية ، حيث استوطن (أسوط) ثم نشأ فيها عقبه ، وعاشت بها ذريته - وأما السيوطى : فنسبة إلى مدينة (أسبوط) بصعيد مصر حيث سقط رأس والده بعد عام (٨٠٠هـ = ١٣٩٨م) قبل قدومه إلى (القاهرة) واستقراره بها .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .
- الحافظ جلال الدين السيوطى (إمام المجتهدين والمجددين فى عصره) : عبد الحفيظ فرغلى القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٢- الترجمة غير الذاتية :

وهي مجموع ما يكتبه غيره عنه من تلاميذه خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ، ليسجلوا بهذا سيرته بجانبها الشخصي والعلمي على السواء .

• أنواع المترجمين :

غير أن هؤلاء المترجمين ينقسمون إزاء ترجمتهم لغيرهم إلى ثلاثة أنواع :

١- قريب متحيز :

حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له من خلال زاوية واحدة فقط ، ألا وهي زاوية العاطفة ؛ ومن ثم يقع تحت تأثيرها الجارف ؛ فتحالفه المبالغة والإفراط فيما يكتبه ، ويصدق عليه قول الشاعر في الشطر الأول من البيت :

وَعَيْنَ الرُّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ...

٢- بعيد متحامل :

وهو عكس النوع الأول تماماً ، حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له بعين السخط فقط ؛ ومن ثم يكون متحاملاً منفِعلاً ؛ فيحالفه التجنى والتفريط فيما يكتبه ؛ وعندئذ يصدق فيه الشطر الثاني من البيت :

... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(١)

(١) لم نستدل على هذا البيت في كل من :

- معجم الشواهد العربية: عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ م .
- معجم شواهد النحو الشعرية : د. حنا جميل حدّاد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م .
- غير أننا قد عثرنا على هذا البيت منسوباً إلى المتنبى أبي الطيب في :
- التمثيل والمحاضرة : لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ص ٣١٠ - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١ م .
- كما عثرنا على نفس البيت منسوباً إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بلفظ (فعين الرضا) بدلاً من (وعين الرضا) وذلك في :
- بهجة المَجَالِسِ وَأَنْسِ الْمَجَالِسِ ، وشحد الذاهن والهاجس : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي - ٨١٤/١ - تحقيق : محمد مرسى الخولي - مراجعة : د. عبد القادر القط - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - (د.ت) . =

٣- محايد معتدل :

أما هذا النوع من المترجمين فهو منصف في النظر إلى مَنْ يترجم له ؛ حيث ينظر إليه بعين الحياد والإعتدال ذاكراً ما له وما عليه في صدق وأمانة ، وملتزماً في ذلك بميزان الحق دون إفراط أو تفريط ؛ ولذا فإن هذا النوع من المترجمين يُعَدُّ فيما يُقَصَّرُ دون ذكره بغير قصد منه فيما يكتبه عن غيره ، وشفعيه في ذلك حرصه على التزام الحياد والاعتدال ، إلى الحد الذي ينشد معه بلوغ التمام والكمال ، وكأنه المقصود بعينه في قول أبي الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرَفْسِي عِيُوبَ النَّاسِ عِيِيًّا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ^(١)

المسألة الثانية

التراجم حق العلماء

ليس من شك في أن تراجم العلماء حَقٌّ لهم على مَنْ بعدهم من تلاميذهم خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ؛ فبالترجمة يحفظ الخلف تراث السلف ، ويقوم اللاحقون بحق السابقين في حفظ تاريخهم ، وتدوين سيرهم ؛ خدمةً لتراثهم ، وإحياءً لذكورهم ، وهم في حقيقة الأمر وواقعه إنما يحفظون العلم ذاته ، يصونون شرفه ، ويؤدون أمانته ؛ ومن ثم يُنَسَبُ الفضلُ لأهله ، ويُذكَرُ العلم بذويه ، من خلال ذكر محاسن العلماء ومآثرهم ، وطلب الدعاء لهم والترحم عليهم ، وهذا كله من بركات العلم وخيرات عوائده .

= وأخيراً فإنه يلاحظ كثرة ورود هذا البيت بلفظيه معاً (وعين الرضا) وكذا (فعين الرضا) في :

- تفسير الطبري المعروف بـ (جامع البيان عن تأويل القرآن) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - مراجعة وتخريج : أحمد محمد شاكر - تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر - سلسلة (تراث الإسلام) - الطبعة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) - نشر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) .

(١) ورد هذا البيت بلفظه المذكور في :

- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي : لأبي العلاء المعري ١٣٩/٤ - تحقيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د.ت) .

كما ورد هذا البيت بلفظ (شيئاً) بدلاً من (عياً) في كل من :

- ديوان المتنبي : ص ٤٧٦ - صَحَّحَ هذه الطبعة وقارن نسخها وجمع تعليقاتها : د. عبد الوهَّاب عزام - طبع : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .
- ديوان أبي الطيب المتنبي : ١٤٥/٤ - شرح أبي البقاء العكبري المسمى بـ (التيهان في شرح الديوان) - ضبطه وصححه ووضع فهرس : (د. مصطفى السَّقا) بالاشتراك مع (إبراهيم الإياري - عبد الحفيظ شلبي) - طبع ونشر : مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .

وليس أدلَّ على ذلك مما رواه القاضى عياض عن بعض مشايخه حينما وجَّه إليهم قولاً يحمل معنى العتاب واللوم من جانب ، كما يحمل معنى الرجاء والطلب من جانب آخر ؛ علَّهم بذلك يتذكرون ! فماذا قال لهم شيخهم ؟ لقد عاتبهم متعجباً بقوله : مالكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدون منا ، ثم تذكروننا فلا تترطمون علينا؟! (١) .

حقاً ، إنه ربط أصيل بين العلم والعالم ، وتنبهه أكيد على وجوب الاعتراف بفضل العلماء على مَنْ بعدهم ، وذلك بالترجمة لهم بعد رحيلهم ؛ حتى تُردَّ إليهم بعض حقوقهم ، وبذلك يكون تواصل العلم والتواصى به بين طلابه ومريديه عبر الأجيال المتعاقبة والعصور المتلاحقة .

المسألة الثالثة

الترجمة بين الإقدام عليهما والإحجام عنهما

وإزاء التحرج من الإقدام على الترجمة والتقصير فيها ، أو عدم تناولها والإحجام عنها ، فإننا نؤيد ما ذهب إليه الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى الأول فيما يقرره بصدد موقف كل من الأصدقاء والأعداء ومَنْ بينهما من ذلك ، حيث يقول ما نصه : وقد يتحرج الأصدقاء مخافة التهمة والتأثر بالألفة ، أو يتوقف الأعداء مكتفين بالإغضاء ، أو يتردد الآخرون خشية التقصير ؛ ولهذا فقد تذهب الشخصية الفذة دون كتابة عنها ؛ فيفتقدها الحاضرون ، ويفقد سيرتها القادمون ، علماً بأن سيرة الرجال مدرسة الأجيال (٢) .

ومن ثم ؛ فإن الإقدام على الترجمة وإن شابها شئ من التأثر أو التقصير غير المقصود ، فهى ولاشك خير وأنفع من الإحجام عنها أو التفريط فيها ؛ لما فى ذلك من الضرر البالغ ، والخطر العظيم ، وحسبنا فى ذلك قناعتنا بأن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

المسألة الرابعة

أهمية الترجمة وخطر إغفالها

إن إغفال تراجم العلماء الذين يتم تناولهم من خلال دراسة تراثهم أو تحقيقه أو تصنيفه أو ما إلى ذلك من ألوان البحث المعروفة ؛ ليعد أمراً من الخطورة بمكان من حيث إنه ضياع لحقوقهم ، وإهمال لتراثهم ، ومن ثم ضياع حقوق الأمة كلها ، وإهمال تراثها ، كما أنه

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١٢/١ (من المقدمة) .

لون من ألوان عدم الوفاء لهم أو الترحم عليهم ، كفاء ما قدموا ، وجزاء ما أفادوا !! ومن هنا كان السؤال الذى يفرض نفسه : هل يمكن أن تُغفل تراجم هؤلاء العلماء ، أو يُستَهانَ بأهميتها فى البحث ؟!

ويأتى الجواب بالنفى القاطع ، فكيف يمكن ذلك ؛ والترجمة فى المقام الأول هى مفتاح فهم تراث هؤلاء العلماء الفكرى ، وسبيل معرفة منهجهم العلمى ؛ وبالتالي فهم تراث الأمة ومعرفة منهجها على مدار عصورها المتلاحقة ، وعبر أجيالها المتعاقبة .

المسألة الخامسة

حتمية الترجمة

لما كانت الترجمة تحتل هذا الموقع من الأهمية ، ولما كان إغفالها يحتل هذا الموقع من الخطر ؛ لذا فإننا نجد المكتبات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وقد ملئت بتراجم وسير العلماء الأعلام منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحتى يومنا هذا ؛ لتكون بمثابة السجل الحافل الذى يضم بين أنصع صفحاته تراث الأمة جيلاً بعد جيل .

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن تراجم العلماء السابقين هى مدارس الحاضر واللاحقين ؛ فتراجم العلماء تجعلهم وكأنهم فى عداد الأحياء الذين يعيشون بين ظهرائنا الأجيال بسيرتهم وتاريخهم ، يهدونهم ويعلمونهم ، على مر العصور ، وتعاقب الدهور .

وصدق السخاوى فيما ذهب إليه ، حيث أثير عنه أنه قال : (مَنْ وَرَّخَ مُؤَمَّنًا فَكأنما أحياه)^(١) أى مَنْ ترجم لمؤمن وأرَّخَ لحياته ، فكأنما جعله بمنزلة الأحياء ، من حيث تسجيل سيرته ، وتدوين تاريخه ؛ ليتعرف عليه الحاضرون ، ومن بعدهم اللاحقون .

وهكذا تتأكد حتمية الترجمة ، وتتلور أهميتها القصوى ؛ لما فى ذلك من تخليد ذكر العلماء الأعلام ، ومن ثم بقاء تراث الأمة على مرّ الأيام .

* * *

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ (من المقدمة) - والقول المذكور ليس قول السخاوى ، وإنما نقله عن

أبى العباس أحمد بن على بن أبى بكر بن عيسى بن محمد الميورقى - راجع فى ذلك :

• (الإعلام بالتويخ لمن دُمَّ التاريخ) : للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت

(١٤٩٧هـ = ١٩٠٢م) - ص ٢٨ - نشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د.ت) .

المطلب الثاني

مسلك البحث

لقد سلكت إزاء ترجمة الشنقيطي كل سبيل ممكنة ، وأخذت بكل سبب مُتَّاح ؛ وذلك لمعرفة المزيد مما يتصل بحياته الشخصية ، ويُعرَّفُ بمسيرته العلمية ، من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

مرحلة المطالعة

حيث طالعت في البداية ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم بشأن ترجمته لشيخه الشنقيطي^(١) تلك الترجمة التي تعد المصدر الرئيس ، والمرجع الوحيد ، لكل مَنْ أراد أن يترجم للشنقيطي أو يكتب عنه ، بل إن ما بعدها يُعدُّ عالَةً عليها ، وهو منها بمنزلة الفرع من الأصل ؛ وذلك لما لها من السَّبْقِ والخصوصية ، والأهمية والشمولية ، بما ليس لغيرها في بابها ، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكتابتها الشيخ عطية قد حظي من شيخه بما لم يحظَ به غيره !؟

فكان له ماله من حُسْنِ الصحبة ، وطول العشرة ، ودوام الملازمة ، ومواصلة الطلب ، معهداً وجامعةً ، منزلاً ومسجداً ، ليلاً ونهاراً ، حلاً وترحالاً ؛ الأمر الذي استحق به الشيخ عطية أن يكونَ أخصَّ تلامذة الشنقيطي ، بل أقربهم إليه ، وأبرهم به .

وبالرغم من مطالعة تلك الترجمة ؛ إلا أنني اطلعت أيضاً على ما كتبه الآخرون ممن اعتمدوا عليها ، أو رجعوا إليها ، عن طريق النقل أو الاختصار أو الاقتباس ، إلى غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ وليس ذلك إلا جمعاً للنفع ، وإتماماً للفائدة ، بما قد يكون أضافه هؤلاء أولئك من ملاحظات خاصة ، أو انطباعات ذاتية ؛ مما قد يفيد منها هذا البحث حول تلك الترجمة وصاحبها^(٢) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١ - ٦٤ (من المقدمة بقلم الشيخ عطية بعنوان : مع صاحب الفضيلة والدين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله) .

(٢) راجع في ذلك كلاً من الدراسات الإسلامية الآتي ذكرها :

• الإقليد في الأسماء والصفات ، والإجتهد والتقليد) : تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزاع - الطبعة ١ - طبع : (المكتبة الإسلامية عمان الأردن) - نشر : (مكتبة ابن تيمية الطالبية الهرم الجيزة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

المسألة الثانية

مرحلة المراسلة

وبعد مطالعة ترجمة الشنقيطى بقلم تلميذه الشيخ عطية كان أن وقفت على جملة من التساؤلات والاستفسارات التي تتعلق بحياة شيخه ومنهجه في التفسير ، ولم يكن أمامي لإجابة مطلبى سوى مراسلة الشيخ عطية الذي سطر إلي رسالة جامعة بالمطلوب ، غير أن انشغاله بشئون العلم والقضاء ، وضيق وقته بهما ؛ قد حال دون رده العاجل إزاء ما طلبت ، ولما استبطأت الرد ؛ كان أن أرسلت إليه العديد من الرسل الذين أوصيتهم بلقائه ، ومتابعة الأمر معه^(١) .

- = ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشرة والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
- حلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبو زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار النفائس بيروت لبنان - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) - نشر : (دار الاعتصام القاهرة - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) .
- القول السديد في كشف حقيقة التقليد : نشر مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .
- منسك الإمام الشنقيطى : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى (المتوفى في ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣هـ) وهو مجموع من تفسيره : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) - جمع ورتبه وحققه وعلق عليه ووضع عناوينه وفهارسه وعرف به وبمؤلفه كل من : (د. عبد الله ابن محمد بن أحمد الطيار) مع (د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان) - الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- نثر الورود على مراقى السُّعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود محمد الخضر القاضى - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .
- (١) وأخص منهم الأخ الأستاذ محمد خضر القوصى المصرى رئيس القسم الإسلامى بجريدة (المدينة المنورة) بجدة بالمملكة العربية السعودية ، والأخ الأستاذ محمد حلفاية المصرى المصحح اللغوى بنفس الجريدة .

وبعد حوالى عام تفضل مشكوراً بالرد على رسالتى من خلال (شريط مسجل) أحال فى بعض منه على ترجمته لشيخه فى مقدمة (أضواء البيان)^(١) .

المسألة الثالثة

مرحلة الملاقاة

خامرنى إحساس عميق ، وراودتنى رغبة مُلحة ؛ فى لقاء الشيخ عطية وأبناء الشنقيطى وذويه ؛ وذلك العظيم يقينى ، وكبير ثقتى ؛ بأن هناك جوانب كثيرة من حياة الشنقيطى لازالت بحاجة إلى الإضاءة والإيضاح ، بل إن بعضاً منها لا يزال مستوراً لما يكشف عنه النقاب ؛ ومن ثم فقد تحتم اللقاء .

ولم يَمُضِ وقت طويل حتى أكرمنى الله تعالى بأول عُمرة لى فى حياتى ؛ والتى على إثرها كان لِقائى الأول بالمدينة المنورة بكل من الشيخ عطية ، والدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى^(٢) ثم بالابن الأصغر الدكتور عبد الله^(٣) .

ثم توالى اللقاءات فيما بعد بهم جميعاً، وكذا ببعض بنى عمومة الشنقيطى^(٤) وتلامذته^(٥) وذلك عن طريق صُحبة طيبة من المصريين الأخيار الذين تربطهم بهم صلة قلبية وعلمية^(٦) .

(١) كانت رسالتى إلى الشيخ عطية بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨م على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .

كما كان رده على رسالتى بعد عام تقريباً بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩هـ = ١٨ من أبريل ١٩٨٩م على مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ولازلت أحتفظ بكل من الرسالة والرد المسجل عليها .

(٢) وكان ذلك فى غضون عام ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م حيث تم هذا اللقاء عشاءً بمنزل الدكتور محمد المختار الذى يحمل رقم ٣ بحارة المغربى بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوى الشريف ، وهو ذات المنزل الذى كان يقطنه والده الشنقيطى ، بل وبين جدران مكتبته الخاصة التى كان يطالع فيها .

(٣) وكان ذلك بمنزله أيضاً بأطراف المدينة المنورة .

(٤) ومنهم الأستاذ محفوظ بن محمد الأمين الجكنى الشنقيطى مدير إدارة العلاقات العامة بمجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(٥) ومنهم الدكتور يعقوب طالب عبيدى الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو من الشناقطة كذلك .

(٦) ونخص منهم بالذكر كلا من :

- الأخ عبد الفتاح الزينى : المالك الوحيد لحق طبع مؤلفات الشنقيطى بموجب إذن رسمى من ورثته الشرعيين ، وصاحب مكتبة ابن تيمية بالطالبيية بالهرم بمصر ، والقائمة على طبع تلك المؤلفات ونشرها .

- الأخ عادل السُكرى : مدير دار البخارى للنشر والتوزيع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والقائم على طبع معظم مؤلفات ابنى الشنقيطى : الدكتور محمد المختار ، وأخيه الدكتور =

وبهذا اللقاء أتاحت ليّ الفرصة لسماع وجمع الأخبار من مصادرها الأصيلة المباشرة ، والتي لم تتضمنها ترجمة الشنقيطيّ السابقة بقلم تلميذه الشيخ عطية ، والذي أشار نفسه إلى جدوى وضرورة اللقيا والسماع بالنسبة لكل من يريد الترجمة لشيخه أو الكتابة عنه ؛ حيث يقول : والحال أنه لا مرجع لمن يكتب عنه إلا الخلطة وطول العشرة ، وتصيد الأخبار من ذويه الأخبار^(١) .

هذا بالإضافة إلى المحاضرة القيّمة التي ألقاها الدكتور عبد الله عن والده الشنقيطيّ تحت عنوان : (الدرُّ الثمين في سيرة الشيخ الأمين) والتي أضاءت جوانب جديدة من حياته الشخصية والعلمية^(٢) .

* * *

وبعد : فيقول الشيخ عطية في ترجمته لشيخه الشنقيطيّ ما نصه : وإنسى لأعتبر ما أقدمه بداية لانهاية ، وتذكرة للآخرين من حاضرين وغائبين ؛ لعلهم يتمون ما بقى ، ويكلمون ما نقص^(٣) . ثم يختم تلك الترجمة بقوله : هذا ما وسعني ذكره ، ولعل من أبنائه الحضور أو غيرهم من لديه المزيد على ذلك^(٤) .

والحق أن الشيخ عطية على صواب فيما ذهب إليه بهذا الصدد ؛ لأن الترجمة لشخص ما ، أو الكتابة عنه ، لن تكون شافية كافية ، ولا وافية ضافية ؛ إلا بتعدد الكتاب عنه ؛ وكثرة ورود الأقلام عليه .

= عبد الله ، الأستاذين بنفس الجامعة .

• الأخ الدكتور جمال السيّد : الباحث بمركز السنّة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأحد أبنائها الذين تربطهم صلة قوية بأبناء الشنقيطيّ وذويه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطيّ ١٢/١ (من المقدمة) .

(٢) أقيمت هذه المحاضرة ليلة الثلاثاء الموافق (الثالث من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ = التاسع من ديسمبر ١٩٩١م) وقد سُجِّلت على شريط أصدرته كل من : تسجيلات الآثار الإسلامية بجدّة ، وتسجيلات

مكتبة النجاة السمعية بالمدينة المنورة - ولا زالت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطيّ ١٦/١ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٥٩/١ (من المقدمة) .

الباب الأول

حياته الشخصية

وينتظم تمهيداً وستة فصول :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١- الفصل الأول : قبيلته وأسرته .

٢- الفصل الثاني : اسمه ولقبه وسُمِّيهِ .

٣- الفصل الثالث : مولده ونشأته .

٤- الفصل الرابع : صفاته الخلقية والخلقية والعلمية .

٥- الفصل الخامس : زواجه وأولاده .

٦- الفصل السادس : وفاته وراثؤه وحسنُ خاتمته .

تمهيد

بين يدي هذا الباب

يدور حديثنا في هذا الباب حول حياة الشنقيطي الشخصية بما تتضمنه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة عمره الممتدة ، والتي بدأها بمولده ومهده ، واختتمها بوفاته ولحده .

ففي أسرته الصغيرة كانت ولادته ، وبين أحضان قبيلته (بنى جاكبان) كانت نشأته ، خلقت على هيئتهما ، وتكوينه على خصالهما ، ولا يزال كذلك حتى شبَّ عن الطوق ، وطلب العلم ، آخذاً منه بخط وافر ، ومظهراً فيه نبوغاً ملحوظاً .

وهنا يستجيب لداعى الفطرة فيتزوج بعد كثير إلهام ، وينجب ثلاثة بنتاً وولدين من هذا النكاح ، ثم بعد هجرته إلى بلاد الحجاز ومقامه بها يوافيه الأجل ؛ فيضع عصا الترحال ببلد الله الحرام عقب رجوعه من حجه الأخير ، وليصير مثواه بذات الثرى الذى يضم مثوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بمقبرة (المعلآة) بمنطقة (الحجون) بمكة المكرمة .

وفيما يلي نعرض لرحلة عمره الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :

الفصل الأول قبيلته وأسرته

ويتنظم المبحثين التاليين :

١- المبحث الأول : قبيلته .

٢- المبحث الثاني : أسرته .

المبحث الأول قبيلة

وتتظم المطالبين التاليين :

- ١- المطالب الأول : أصل القبيلة .
- ٢- المطالب الثاني : صفات القبيلة .

المطلب الأول

أصل القبيلة^(١)

ينحدر الشنقيطي من أسرة تنتمي إلى قبيلة : (بني جاكَن أو بني جاكَن) نسبة إلى جدّها الأكبر المعروف بـ : (جاكَن الأَبَر) كما يعرف (الجاكَنيون) بـ : (تَجَكَّانَت)^(٢) ويتنازع أصل هذه القبيلة قولان :

● القول الأول : إن أصلها يرجع إلى (حَمِير) :

ومن قال به الشيخ عطية ، واستدل عليه بما ورد على لسان شاعر موريتاني مجهول الاسم في قوله :

يا قائلاً طاعناً في أننا عربٌ قد كَذَّبْتَكَ لَنَا لُسُنٌ وَأَلْوَانُ
وَسَمُّ العَرُوبَةِ باد في شمائلنا وفي أوائلنا عزٌ وإيمانُ
أَسَادُ (حَمِيرٍ) والأبطالُ مِنْ مُضَرٍ حُمُرُ السُّيُوفِ ، فما ذَلُّوا ولا هَانُوا^(٣)

● القول الثاني : إن أصلها يرجع إلى (غَالِب) :

وهو جَدُّ رسول الله ﷺ ومن قال به الشيخ أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي ، واستدل عليه بما ورد على لسان الشاعر الموريتاني محمد الحسن بن الإمام الحاجي الجكني في قوله :

(١) بدأ هذا الفصل بذكر قبيلة الشنقيطي وأسرته قبل ذكره ؛ نظراً لأنهما سابقتان عليه في الوجود ، فضلاً عن كونهما البيئة الأولى التي احتضنته بعادتها وطبعتُه بتقاليدها ؛ ومن ثم كان من الأنسب البدء بذكرهما قبل ذكره ، لإمكان الاستدلال بهما عليه من حيث صفاته التي اكتسبها منهما في صغره ثم ظهرت عليه في كبره .

(٢) انظر وصف (الجاكَنيين) بـ : (تَجَكَّانَت) في كل من :

● أضواء البيان : الشنقيطي ١٨/١ (من المقدمة) .

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٢٧٧ - ط ٣ - عناية : فؤاد سيد (أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية) - نشر : (مكتبة الحاجي بمصر) مع (مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء بالمغرب) - ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م - حيث وصف صاحب الوسيط (شعراء الجكنيين) بقوله : (شعراء تجكانت) - أما كلمة (تجكانت أو تكانت) فهي تعني الغنابة في لسان الشناقطة ؛ ومن ثم فإنهم يطلقونها كعلَم على موضع عظيم المساحة عندهم - راجع (الوسيط) : ص ٤٤٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١٩/١ (من المقدمة) - وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد صرَّح برأيه هذا من خلال ردّه المسجل على رسالتنا إليه .

نحن الكرام (بنى جاكان) من مُضَرٍ من (غَالِب) جَدُّ مَنْ فاقَ الْوَرَى خَبِيراً
يكفيكَ مَنْ شرفَ مَحْضٍ لَنَا وَعُلاً أَنَا (قُرَيْشٌ) وكلُّ دُونِنَا أَنْحَادَرَا
النهجُ منهجُنَا ، والأَمْنُ مَأْمُنُنَا والحقُّ مذهبُنَا ، والرشدُ فيه سَرَى^(١)

● رأى البحث :

والحق أننا نرجّح ما ذهب إليه أصحاب القول الثانى الذين يرون أن قبيلة (بنى جاكان) إنما ترجع فى الأصل إلى (غالب) جدّ رسول الله ﷺ وذلك للأسباب التالية :

١- أن الشيخ أحمد بن أحمد المختار قد وضع أيدينا على موطن الخلط ، وكشف ما حدث من لبس ؛ حيث أوضح لنا أن وجود اسم (تبع) فى سلسلة نسب الجكنيين جعل أصحاب القول الأول يتوهمون أنه من (التبابعة الحميرية) بيد أن الأمر على خلاف ذلك ؛ ف (تبع) المذكور هو اسم علم لأحد أجداد الجكنيين أنفسهم .

٢- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه بما هو مدون ومسجل فى النسخ المحفوظة فى كتب مشائخ الجكنيين أنفسهم ، وهو فى حد ذاته شاهد قوى ومقبول^(٢) .

٣- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه كذلك بشاعر معلوم أولاً ، ثم جكنى من نفس قبيلته ثانياً ، وذلك فى معرض دفاعه الشعرى السابق عن قبيلتهما (بنى جاكان) رداً على مخالفيها من أهل البدع وأعوانهم ؛ ومن ثم فهما أدرى من غيرهما بنسبهما .

٤- أن الشيخ عطية من أصحاب القول الأول قد استشهد على رأيه بشاعر موريتانى مجهول ، ولا تشفع له موريتانيته ؛ إذ ليس كل موريتانى (جكنياً) والعكس صحيح ، كما أن هذا الشاعر قد جمع بين (حمير) و (مُضَر) فى معرض دفاعه عن عروبتهما معاً ؛ ومن ثم لم ينص على انتمائه إلى أحدهما عامّة ، فضلاً عن عدم نصه على (بنى جاكان) خاصّة .

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ - الطبعة ١ - مراجعة : عبد الله إبراهيم الأنصارى - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامى - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

(٢) راجع فى ذلك (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ .

- وبهذا يخلص البحث إلى أن نسب الشنقيطي لا يرجع في الأصل إلى (حمير) وإنما يتصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ من جهة جدهما (غالب)^(١) .

المطلب الثاني

صفات القبيلة

لا يخفى ما يمتاز به الجكنيون من كريم السجايا ، وحميد الخصال ، التي يلمسها كل مَنْ حَلَّ بهم ، أو نزل عليهم ، أو حتى سمع بهم ، أو قرأ عنهم ، ونستطيع أن نوجز تلك الصفات بأدلتها فيما يلي :

١- الاصاله :

وليس أدل على أصالة الجكنيين وعراقتهم من اتصال نسبهم بنسب رسول الله ﷺ حيث عمق عربوتهم ، وكرم أرومتهم ، وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : لقد كانت خصائص العروبة ومميزاتها موفورة لدى الشيخ رحمه الله ، ولدى أهله وذويه ، في النظم والثر^(٢) .

بل إن أحد شعرائهم يعبر عن ذلك بارتضاعهم العروبة من أمهاتهم ؛ فيخاطب مَنْ ينكر عليهم ذلك بقوله :

لنا العروبةُ الفصحى ، وإننا أحقُّ العالَمين بها اضطلاعاً
عن الكتب اقتبستموها انتفاعاً بما فيها ، ونرضعها ارتضاعاً^(٣)
وهذا شاعرهم محمد فال ولد العينين يستدل بفصاحتهم على عربوتهم ؛ حيث يفاخر بذلك قائلاً :

إنا بنو حَسَنٍ دَلَّكَتْ فصاحتنا أنا إلى العرب الأقحاح نتسبُّ

(١) حيث إن نسبه الزكى ﷺ هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤي بن (غالب) . . . إلى آخر نسبه الشريف حتى آدم عليهما الصلاة والسلام .

• انظر تمام نسبه الشريف ﷺ في (السيرة النبوية) : لابن هشام - (٣/١ - ٦) - قَدَّمَ لها وضبطها وعلق عليها: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

(٢) قوله : (الشيخ) أى الشنقيطي - انظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١٩/١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١٩/١ .

إن لم تقم بيناتُ أننا عـربُ ففى (اللسان) بيانُ أننا عربُ^(١)

٢ - العلم :

وإذا كان طلب العلم ، ورعاية طلابه ، يمثلان الهَمَّ الأول ، والهدف الرئيس عند (الزوايا) من الشناقطة) عامة ؛ فإن ذلك مشهور عن (الجبكتيين) من الزوايا خاصة ؛ حيث عُرِفَ عنهم حبهم للعلم وطلبهم له فى جميع أحوالهم ، سواء كان ذلك فى حلهم وترحالهم ، أو ظعنهم وأسفارهم .

وها هو شيخهم المختار بن بونا الجبكتى^(٢) يصف طريقتهم فى طلب العلم ، وهيئة تدريسهم له فىقول :

ونحن ركبٌ من الأشراف منتظمٌ أجلُّ ذا العصرِ قدراً ، دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس^(٣) مدرسةً بها نبينُ دينَ الله تبياناً^(٤)

ولذا ؛ فقد شاع فى أفواه العامة فضلاً عن غيرهم من أهل شنقيط قولهم : (العلم

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) - ويقصد بقوله (اللسان) : أى كلامهم ونطقهم بالعربية الفصحى ، فإن لم يقم دليل على عروبتهم ؛ فيكفى لسانهم وما ينطقون به دليلاً على ذلك .

(٢) هو المختار بن بون أو بوناً الجبكتى ، ويعرف فى بلاده شنقيط بعدة ألقاب منها : (الشيخ العلامة) و (تاج العلماء) و (أبو النحر الموريتانى) مولده ووفاته هناك بين عامى (١٠٨٥ - ١٢٢٠هـ) عن مائة وخمسة وثلاثين عاماً هجريا من المعمرين المعروفين آنذاك .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٢٧٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٦٢ .

(٣) العيس : هى الإبل البيض التى يخالط بياضها شئاً من الشقرة أو الصفرة ، ويقال لها : (كرائمُ الإبل) - انظر مادة (عيس) فى كل من : لسان العرب : ٣١٨٩/٤ - مختار الصحاح : ص ٤٦٥ - المعجم الوسيط : ٦٦٣/٢ .

(٤) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدته (النونية) التى مطلعها : (حدّثْ حدّاةَ بنى يحيى بن عثمان) فى معرض حديثه عن منهج طلب العلم فى محضرته ، ووصفه لهيئة التدريس فيها .
راجع هذه الأبيات فى كل من :

- التعليم فى موريتانيا من المحاضرة إلى الجامعة : مجلة الأمة ص ٥٢ - العدد ٦٠ - السنة ٥ - قطر - ذو الحجة ١٤٠٥هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥م .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠/١ - ٢١ (من المقدمة) .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ١٥ .
- إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجبكتى الشنقيطى ص ١٢ .

جكنى) ويحكى أن أول مَنْ قال هذا هو الشيخ سِيدَى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى^(١) .

٣ - الكرم :

أما عن الكرم فى الجكنيين ، فهم مفطورن عليه ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، ويأخذه صغيرهم عن كبيرهم ؛ فتراهم يتفانون فى إكرام ضيفهم ، ويجودون له بأقصى ما عندهم ، ولو كان فى ذلك مشقتهم وعناؤهم ، فضلاً عن عسرتهم وضيق حالهم .

وفى ذلك يقول الشيخ عطية : أما كرم الطبع ، فهذا سجية فى جميعهم ، وأمر يُشَبُّ فيه الصغير ، ويشيب عليه الكبير ، وقد ألفوا الضيف لُنُجَّةَ منازلهم^(٢) .

ومن عاداتهم إذا نزل وفد على بيت ؛ فإن أهل هذا المنزل يرسلون لأهل بيت المضيف مما عندهم قلّ أو كثر ؛ مشاركة فى قِرَى الضيف ، وتعاوناً مع المضيف ، حتى لو كان مُعدماً ؛ غَدّاً واجداً ، ويرحل الضيف وهو فى غاية الرضا ، وهكذا دواليك^(٣) .

وهذا يعنى أن المضيف لو كان معدماً فقيراً رقيق الحال لا يجد ما يكرم به ضيفه ؛ إلا أنه بمشاركة الجكنيين من أهل قبيلته له ، وتتعاونهم معه ، فإنه يصير واجداً ما يقدمه لضيفه ، قادراً على إكرامه وحُسن وفادته .

ولذا ؛ فقد تواترت فى وصف كرم الجكنيين الأشعار ، وسارت بذكرهم الركبان ؛ فداع صِيَتهم ، وطار خبرهم ، فى تفانيهم فى قِرَى ضيفهم ، وسعادتهم بقاصدى ديارهم ، وفى التمثيل لتلك الأشعار التى تصف كرم الجكنيين نكتفى بالنماذج الثلاثة التالية :

(١) هو الشيخ سِيدَى (سِيدَى) عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام مَحَنَصُ العلوى ، المتوفى فى حدود عام (١٢٣٠هـ = ١٨١٥م) وقيل : (١٢٣٣هـ = ١٨١٨م) ببلاده شنقيط ، وله تأليف عديدة ، وشروح كثيرة ، من أشهرها : (مراقى السعود) وشرحه (نشر البنود) فى أصول الإمام مالك رحمته .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٧ .

• ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورثانية : يحيى بن البراء ص ١٠٣ .

(٢) النُّجَّةُ بوزن الرُّقعة : طلب الكلأ فى موضعه ، وقصد ذى المعروف لمعروفه - انظر مادة (نَجَم) فى كل من : لسان العرب : ٤٣٥٣/٦ - مختار الصحاح : ص ٦٤٧ - المعجم الوسيط : ٩٤٠/٢ - وعلى هذا يصير معنى (نُجعة منازلهم) : أى يقصد الأضياف ديار الجكنيين لاشتهارها بأنها مواضع صنع المعروف لقاصديها ، ومواطن الكرام لوافديها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢١/١ (من المقدمة) .

أ - فهذا هو رئيس القضاء الشرعى فى موريتانيا الشيخ محمد سالم بن محمد على بن عبد الودود يقول بلسان حال الموريتانيين أنفسهم :

جزى الله عنا الحىَّ (جاكان) خيراً ما جزى معشراً من حُسْنٍ ما صنعوا بنا
هم خَلَدُوا فى كل قطر ثَوَّأ به من الذكر مجدداً شامخاً لشعوبنا
ونحسدُهم فينا ، ونجحد فضلهم لنهدم ما شادوا ، وقد رفعوا بنا^(١)

ب- وهذا الشريف محمد بن محمد الأمين بن سيد المختار ينشئ قصيدة كاملة فى كرم الجكنيين يقول فيها :

فقيروهم فى النائبات وغيره^٢ سواسية فى البذل متفقان
طباعُ بها سادوا القبائل كلَّها وتأهوا فخاراً ، والعيون رَوَانِي^(٣)
إذا قيل : أىُّ الناس خَيْرُ قبيلةٍ ؟ أشارتْ إلى (جاكان) كلُّ بُنَانِ^(٤)

ج- وأخيراً يقف الشيخ بابا بن الشيخ سيدياً محياً بنى جاكان ، مشيداً بكرمهم فيقول :

عيدُ الوفود لَدَى اللأواء^(٥) (جاكان) وليس ذاك حديثَ العهد ، بل كانوا

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .
(٢) رَوَانِي من رَانَ أو رَوَّنَ اليوم يروُنُ رَوْنًا : أى اشتد حرُّه وغمُّه - انظر مادة (رَوَّن) فى كل من لسان العرب : ١٧٨٣/٣ - المعجم الوسيط : ٣٩٧/١ .

وعلى هذا يصير معنى (والعيون رَوَانِي) : أى والعيون تنظر بحسرة وغم شديدتين إلى الجكنيين ؛ حسداً لهم على كرمهم الذى سادوا به القبائل كلها ، ولم يستطع غيرهم أن يبلغ شأوهم فيه .
(٣) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٥ .
(٤) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة وشدة المرض ، وفى الحديث الشريف : «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبِرَ عَلَى لَأَوَاتِهِنَّ ؛ كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ» - انظر مادة (لَأَى) فى كل من : لسان العرب : ٣٩٧٨/٥ - مختار الصحاح : ص ٥٨٨ - المعجم الوسيط : ٨٤٤/٢ .

وعلى هذا يصير معنى البيت : أن الجكنيين كانوا ولازالوا كعبة للكرم ؛ يقصدها الوفود والأضياف ، إذا ضاق بهم العيش ، واشتدت بهم الحاجة ؛ وبهذا يذهب عنهم ما بهم ، وكأنهم من سرورهم فى عيد بين ديار بنى جاكان ووسط عشائرتهم .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه ابن ماجه فى سننه من رواية عقبة بن عامر الجهنى رضي الله عنه - انظر سنن ابن ماجه (كتاب) الأدب (باب) بر الوالد والإحسان إلى البنات - كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه فى (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٩٥٠) - وأخرجه بمعناه أيضاً من رواية عوف بن مالك رضي الله عنه فى (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٤٧١) وحديث رقم (٢٣٤٨٧) .

وحيشما كان مجدٌ ، كان معشرهم ولو يكون مقررَ المجدِ شوْكَانُ^(١)
 وفى المآثرِ مِنْ آثارهم طرقٌ وعندهم لِمَحَالِّ المجدِ إمكانُ^(٢)
 وكأن لسان حال الموريتانيين جميعهم يعلن أن : (الكرم جكنى) كما أعلنوا من قبل
 أن : (العلم جكنى) .

٤ - الفروسية :

جمع الجكنيون إلى الأصالة والعلم والكرم ، أخلاق الفروسية من القوة والشجاعة ،
 والحسم وشدة البأس ، إلى جانب إغائة الملهوفين ، ونجدة المستغيثين وإلى ذلك يشير الشيخ
 عطية بقوله : وقبيلة الجكنيين خاصة ، قد جمعت بين طلب العلم ، وفروسية القتال ، مع
 عفة عن أموال الناس^(٣) .

وها هو الشيخ بابا بن سيدياً يمدح شجاعتهم وعفتهم ، وعزهم ورفعتهم فيقول :

وَهُمْ أُسُودٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ضَارِيَةٌ وَهُمْ لِكَعْبَةِ بَيْتِ الْعِزِّ أَرْكَانُ^(٤)

وأخيراً يذكر لنا صاحب (الوسيط) يومين من أيام حروب الجكنيين مع غيرهم من
 القبائل الشنقيطية ، أما أحدهما : فيعرف بـ (يوم الفلح)^(٥) وفيه انتصر الجكنيون على قبيلة
 (كُنتَه) وألجأوهم إلى الفرار ، وأما ثانيهما : فيعرف بـ (يوم تَأَغَطَّافَتِ)^(٦) وفيه انسحب
 الجكنيون أمام قبيلة (الأغلال) التى لجأت إلى الحيلة والخدعة لإحراز النصر آنذاك^(٧) .

والمأمل فى ذلك يتبين له أن حروب الجكنيين لم تكن بهدف الإغارة والاعتداء ، وإنما
 كانت دفاعاً ورداً للعدوان ؛ لذا فقد كان النصر حليف بنى جاكابان فى معظم حروبهم ؛
 لشرف هدفهم ، ونبيل مقصدهم ، إلا من مرات قليلة لجأ فيها عدوهم إلى الخداع
 والخيانة ، والمكرو المباغته ؛ ليوقعهم فى شرَكِهِ ، ويُنزِلُ بهم هزيمته .

(١) الشُّوَيْكَةُ وشوْكَ وشوْكَانُ : كلها أسماء لمواضع - انظر مادة (شوْكَ) فى لسان العرب : ٢٣٦٣/٤ -
 ولعلها أماكن معروفة بكثرة شوْكها ، فضلاً عن قحطها وجديها ، وكذا سوء أرضها وتضاريسها .

(٢) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٠ (من المقدمة) .

(٤) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٥) الفلح : أى الأُخْدُوْدُ أو الشَّقُّ من فَلَحَ الأرض إذا شَقَّها للحرث ، وفى المثل : (الحديد بالحديد
 يُفْلِحُ) أى يُشَقُّ ويُقَطَعُ - انظر مادة (فَلَح) فى كل من : لسان العرب : ٣٤٥٩/٥ - مختار الصحاح
 : ص ٥١٠ - المعجم الوسيط : ٧٢٦/٢ .

(٦) تَأَغَطَّافَت : لا ندرى ما المقصود بمعناه فى لسان الشناقطة ، ولم يورد صاحب (الوسيط) شيئاً عن
 ذلك ، على خلاف ما صنع عند ذكره معنى (الفلح) ولعل (تَأَغَطَّافَت) عَلَّمُ على الساحة التى دارت
 عليها رَحَى هذه الحرب ؛ ومن ثم فهى اسم لها وحسب .

(٧) الوسيط فى تراجم أدياب شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٥٠٧ .

المبحث الثاني أسرته

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : والد الشنقيطي .
- ٢- المطالب الثاني : والدة الشنقيطي .
- ٣- المطالب الثالث : إخوة الشنقيطي .

المطلب الأول

والد الشنقيطي

لا نعرف عنه سوى أن اسمه : محمد المختار ، وهو جكنى من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنه ابن عم زوجته والدة الشنقيطي ، حيث يجتمع نسبهما في جدهما لأبيهما والمعروف بـ : (أحمد نوح) وقد وُلِدَ والد الشنقيطي ببلاده شنقيط ، ثم كانت وفاته بها كذلك وقت أن كان الشنقيطي دون العاشرة من عمره ، حيث كان لا يزال آنذاك يحفظ جزء (عمّ) وقد ترك والده الشنقيطي لابنه ثروة من الحيوان والمال ؛ حيث انتقل إلى بيت أخواله ليقوموا على رعايته وتربيته .

وفي ذلك يسوق الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطي ما نصه : توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عمّ) وترك لي ثروة من الحيوان والمال ، وكانت سُكُنَى في بيت أخوالي ، وأمى ابنة عم أبي^(١) .

المطلب الثاني

والدة الشنقيطي

لا نعرف عنها كذلك سوى أنها جكنية من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنها وُلِدَتْ ببلادها شنقيط ، واسم أبيها (محمد المختار) كاسم زوجها ، وقد عُمِرَتْ والدة الشنقيطي بعد وفاة زوجها دون أن تتزوج غيره ؛ حيث تفرغت للعناية بالشنقيطي كأشد ما تكون عناية الأم بولدها ، ثم كانت وفاتها ببلادها بعد أن جَهَّزَتْ ولدها لطلب العلم وتحصيله ، بل وهيأت له كل سُبُلِهِ ، وذلك بعد أن أتم مرحلة البلوغ في السادسة عشرة من عمره ، وبمساعدة أخواله ؛ فرحاً به ، وترغيباً له^(٢) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢١/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع في ذلك كلا من :

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة له عن حياة والده

الشنقيطي ، ولازلت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٢٨/١ (من المقدمة) .

المطلب الثالث

إخوة الشنقيطيّ

نشأ الشنقيطيّ وحيد والديه ، حيث لم ينجبا غيره ؛ ومن ثم فقد وجد منهما من العناية والرعاية ما ساعد على إعداده كأحسن ما يكون الإعداد ، بل إنهما عملا على تهيئة كل الأجواء المحيطة به لتكون في خدمته ؛ إلى الحد الذي كانا يفرغان له الدار وقت نومه وراحته عقب فراغه من طلب العلم وتحصيله^(١) .

* * *

● **ويعد:** فهذه هي أسرة الشنقيطي ، وتلكم هي قبيلته (بنو جاكأن) التي تعدُّ أشهر قبائل شنقيط ؛ بما لها من أصالة النسب الذي يمتد إلى رسول الله ﷺ فضلاً عما لها من كريم السجايا ، وحميد الخصال .

(١) راجع في ذلك كلا من :

- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطيّ (محاضرة مسجلة) .
- أضواء البيان : الشنقيطيّ ٢٨/١ (من المقدمة) .

الفصل الثاني اسمه ولقبه وسميه

ويتنظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١- المبحث الأول : اسمه وشهرته .
- ٢- المبحث الثاني : لقبه واشتقاقه .
- ٣- المبحث الثالث : سميّه وشبيهه .

المبحث الأول

اسمه وشهرته

ويتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : اسمه .

٢- المطلب الثاني : شهرته .

المطلب الأول أصل القبيلة

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدى أحمد بن المختار من أولاد أولاد الطالب أوبك ، وهذا من أولاد أولاد كيرير بن الموافى بن يعقوب بن جاكَن الأَبْرَّ (١) ثم ينتهى نسب (جَاكَن الأَبْرَّ) بدوره إلى (غَالِب) جدُّ رسولِ الله ﷺ (٢) .

المطلب الثاني شهرته

اشتهر الشنقيطى بين العلماء ، ولدى طلاب العلم وباحثيه ، فى البلاد الحجاز خاصة ، وسائر بلاد العالم الإسلامى عامة ، باسم : (محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى) .

١- (ما (محمد الأمين) و(محمد المختار) :

فكلاهما عَلمٌ مركبٌ من اسمين :

● محمد :

وهو تبرك باسم رسول الله ﷺ وإلى هذا يشير الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى بقوله : وهذه ترجمته رحمه الله كما سمعتها منه مباشرة ، الاسم : هو محمد الأمين ، وهو علم مركب من اسمين ، وذكر محمد تبرك (٣) .

● الأمين والمختار :

وهما من الأسماء التى يكثر اقترانها باسم (محمد) عند الشناقطة ؛ تبركاً وتيمناً أيضاً برسول الله ﷺ (٤) وإلى هذا يشير الشيخ محمد المجذوب بقوله : والأمين كالمختار من

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع نسب أسرة الشنقيطى الذى يرجع إلى (غَالِب) جدُّ رسولِ الله ﷺ كما أثبتته البحث ص .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٤) حيث عُرِفَ ﷺ قبل بعثته بـ (الصَّادِقُ الأَمِين) كما أنه (المختار) الذى اختاره ربه سبحانه واصطفاه على جميع خلقه لحمل رسالة الإسلام الخاتمة .

الأسماء التي كثيراً ما تقرن باسم محمد عند الشنقيطين ؛ تبركاً وتيمناً وتعبيراً عن حبهم لرسول الله ﷺ (١) .

٢- وأما الجكني :

فنسبة إلى قبيلته (بنى جاكَن أو بنى جاكَاَن) التي تسمى باسم جدها الأكبر (جاكَن الأبر) ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنيين) .

٣- وأما الشنقيطي :

فنسبة إلى مقسط رأسه ببلاده (شنقيط) والمعروفة الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) .

● ملاحظات حول اسمه :

١- يذكر البعض اسمه بتقديم الشنقيطي على الجكني ، والأولى خلاف ذلك كما جاء في عنوان تفسيره ؛ حيث كتب على الغلاف ما نصه : (تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي) وليس (الشنقيطي الجكني)^(٢) وجدير بالذكر أن هذا العنوان قد كتب في حياة الشنقيطي بعدما أقره ووافق عليه .

٢- يذكره البعض كذلك باسم : (محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر اليعقوبي)^(٣) وذلك نسبة إلى (يعقوب بن جاكَن الأبر) المذكور في سلسلة نسبه السابق .

٣- يختصر البعض اسمه فيذكرونه بـ : (محمد الأمين الشنقيطي) اكتفاءً منهم بنسبته إلى بلاده (شنقيط) عن غيرها من النُّسب الأخرى^(٤)

٤- وهم البعض ؛ حيث اختلط عليه الأمر فذكر الشنقيطي باسم : (محمد أمين) بدلاً من (محمد الأمين) بتكثير (أمين) بدلاً من (الأمين) بتعريفها^(٥) والواقع أن (محمد أمين) غير

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧١/١ .

(٢) انظر غلاف تفسيره المسمى : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) في جميع طبعاته .

(٣) ومنهم تلميذه وابن قبيلته : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في كتابه (إعداد المهج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي) .

(٤) ومنهم تلميذاه في ترجمتهما له :

● الشيخ عطية محمد سالم في (أضواء البيان) : ١/٣-٦٤ (من المقدمة) .

● الشيخ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) : ١٧١/١ - ١٩١ .

(٥) ومنهم : مقتدى حسن الأزهرى في كتابه الذي وسَّمه بعنوان : (القول السديد في كشف حقيقة التقليد) - راجع في ذلك ص من هذا البحث .

القسم الأول : الباب الأول : حياته الشخصية _____ الفصل الثاني : اسمه ولقبه وسببه

(محمد الأمين) المعنى بالبحث ؛ وقد وقع الخلط بينهما لأن كلا منهما (شنقيطي) كما سيأتي بيان ذلك بعد قليل .

٥- ينطق البعض اسمه بلفظ : (الشَنْقِيطِيّ) بكسر الشين المعجمة ، والصواب : (الشَنْقِيطِيّ) بفتحها ؛ وذلك نسبة إلى (شَنْقِيط) بالفتح ، وليست (شَنْقِيط) بالكسر^(١) .

(١) راجع الضبط الصحيح للفظ شنقيط ومعناه ص من هذا البحث .

المبحث الثاني
لقبه واشتقاقه

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : لقيه .
- ٢- المطلب الثاني : اشتقاقه .

المطلب الأول

لقبه

يلقب الشنقيطى بـ : (أباً) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء^(١) .

المطلب الثاني

اشتقاقه

إذا نظرنا إلى أصل هذا اللقب في اللغة نجد أنه من الفعل : (أَبَى يَأْبَى إِبَاءً وَإِبَاءَةً) إذا استعصى أو امتنع وترَفَّع ، ويقال : (رجل أَبَاءٌ أو أَبَاءٌ) إذا أبى أن يُضَام (أى رفض أن يُظَلَم) أو إذا تَرَفَّعَ عن حقه ؛ لأن له نفساً أَيْبَةً تَعَفُّ عَمَّا لَهَا من حقوق^(٢) ؛ ومن ثم فإننا نرى أن أصل (أباً) هو : (أَبَاءٌ أو أَبَاءٌ) غير أنها جاءت ممدودة الهمزة في أولها ، مقصورة في آخرها ، وكأن الهمزة التي قصرت في آخرها قد زيدت في أولها فصارت (أَبَاءٌ) ثم سَكُنَتِ الهمزة الثانية المنقولة ، في حين ظلت الهمزة الأولى الأصلية على حالها ؛ لتصير الكلمة (أَبَاءٌ) ثم أدغمت الساكنة في المتحركة لتصبح ألفاً ممدودة ؛ ولتؤول الكلمة في النهاية إلى (أباً) كما هو اللقب .

ولهذا ما يؤيده في لسان الشناقطة ؛ حيث يكثر ميلهم إلى نطق أول الكلمات المهموزة بألف ممدودة ، ومن أمثلة ذلك : آدارا بدلاً من أدرار^(٣) وأطار بدلاً من أطار^(٤) وأوكار بدلاً من أوكار^(٥) .

كما يميل الشناقطة كذلك إلى قصر الممدود ، وهذا أكثر من أن يُحْصَى ؛ حيث إنه معروف في اللغة ، مشهور في لسان العرب ، ومنه : سَمَاءٌ بدلاً من سماء ، وصحرا بدلاً من صحراء ، وخضرا بدلاً من خضراء ، وهكذا دواليك .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) .

(٢) انظر في ذلك مادة (أبى) في كل من : لسان العرب : ١٤/١ - مختار الصحاح : ص ٣ - المعجم الوسيط : ٤/١ .

(٣) أدرار : تعنى عند الشناقطة (الجبل) ولذا يتخذونها علماً على جبال شاهقة الارتفاع في بلادهم - انظر (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٢٨ .

(٤) أطار : تعنى عندهم (الطريق) ويطلقونها اسماً لمدينة عظيمة ، أكثر دوراً ونخياً من مدينة شنقيط - انظر المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ٥٤١ .

(٥) أوكار : هى اسم لأرض شاسعة المساحة بها كثير من المناهل والقفار بالبلاد - انظر المصدر السابق أيضاً : ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

● ملاحظة حول لقبه :

ذكر الشيخ محمد النحوى لقب الشنقيطى على أنه (آب ابن أخطور) بمد الألف من (آب) وفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة من (أخطور) وذلك فى معرض حديثه عن نظام (المَحَاضِر) فى بلاده شنقيط^(١) حيث يقول مانصه : ومن سفراء المحظرة فى الديار السعودية الشيخ محمد الأمين آب بن أخطور صاحب : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن)^(٢) .

كما عرَّضَ الطيب بن عمر بن الحسين لتعريف الشنقيطى بهذا اللقب أيضاً قائلاً : هو محمد الأمين الملقب (آب) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء ، ابن محمد المختار الملقب (أخطور) اختصاراً للمختار^(٣) .

وواضح أن لفظ (آب) يقابل (آبَا) أما لفظ (أخطور) فيقابل (المختار) على عادة الشناقطة الغالبة فى مثل هذه الألقاب ؛ ومع ذلك فلم نقف على ذكر الشنقيطى بهذا اللقب (آب بن أخطور) عند غير الشيخين : (النحوى والطيب) المذكورين .

(١) راجع تفصيل ذلك من خلال (التعليم فى شنقيط) ص من هذا البحث .

(٢) دور التعليم التقليدى فى نشر الإسلام والعربية فى موريتانيا : الشيخ خليل النحوى - مجلة الأمة ص ٦٣ - العدد ٦٧ - السنة ٦ - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - رجب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦ م .

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٤ .

المبحث الثالث سَمِيَهُ وَشَبِيهُهُ

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : العلماء الثلاثة .
- ٢- المطلب الثاني : العلماء الآخرون .

تمخض البحث عن ثلاثة من علماء الشناقطة كلهم يلتبس اسمه باسم الشنقيطي ، هذا بالإضافة إلى مَنْ اشتهر منهم باسم الشنقيطي بعيداً عن ذلك اللبس ؛ وللتمييز بين هؤلاء العلماء وبين الشنقيطي ؛ فقد لجأنا إلى وصفه بـ (الشنقيطي المفسر) أمناً لللبس ، ورفعاً للخلط ، الذي قد يتوهم بينه وبينهم .

ويمكننا إيجاز الحديث عن العلماء الثلاثة ، ثم عن الشناقطة الآخرين ، ممن اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطي) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

العلماء الثلاثة

منهم اثنان (سَمِيَّانِ) للشنقيطيّ (المفسر) من حيث التطابق التام بين اسميهما واسمه ، في حين أن الثالث (شبيهه) له .

● سَمِيَّةُ الْأَوَّلِ : الشنقيطيّ الشارح :

هو محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بن المختار بن سيدى الأمين بن المختار بن أحمد بن الطالب الإبراهيمي الجكني الشنقيطي ، والمشهور باسم (محمد الأمين الشنقيطي) مولده ووفاته ببادية موريتانيا بين عامي (١٢٤٠هـ = ١٣٥٠هـ) على وجه التقريب ، وله من التأليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ما يربو على العشرين مؤلفاً ، أغلبها من شروح المتون الشرعية واللغوية المختلفة ، وكأنه مختص بالشروح دون غيرها ؛ ولذا كان تمييزنا له بوصف (الشنقيطي الشارح)^(١) .

● سَمِيَّةُ الثَّانِي : الشنقيطيّ السّفير :

هو محمد الأمين الشنقيطي ، حيث لم نعر على اسمه كاملاً ، كما لم نقف على تاريخ مولده ، أما وفاته فقد وقعت على الأرجح في أعقاب الخمسينيات في حدود عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) وقد عمل سفيراً للأردن لدى كل من السعودية والسودان ، كما كان مشرفاً عاماً على كلية الشريعة (أو المعهد الشرعي سابقاً) بالأردن في نهاية

(١) ومن أشهر هذه الشروح : (شرحه على مختصر خليل - وشرحه على مراقي السُّعود - وشرحه على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) وكلها في الفقه المالكي ، وكذا (شرحه على ألفيه المختار بن بونا الجكني في النحو العربي) .

● انظر ترجمته في (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي ص ١٧ .

الخمسينيات ، والتي كان يرأسها آنذاك الأستاذ تيسير ظبيان ، وقد عُرِفَ بمكارم أخلاقه ، وتقديم العون لمحتاجيه ، من أهل بلاده خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة^(١) .

● شَيْبُهُ: الشنقيطي المؤسس:

هو أبو يوسف أو أبو عائشة محمد أمين (بدون الألف واللام) بن عبدی بن فال الخير ابن حبيب الله ابن أبي بن حبيب بن أحمد بن أعمَرَ بن كدّاش (أو أكداش) الحسني الشنقيطي ، والمشهور باسم (محمد أمين الشنقيطي) مولده ببلاده شنقيط عام (١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦م) أما وفاته فكانت بمدينة الزبير العراقية عام (١٣٥١ هـ = ١٩٣٢م) .

وقد ظل ينتقل معلماً وداعياً بين مصر والحجاز وغيرهما ، إلى أن حطَّ عصا الترحال بمدينة الزبير ، حيث أسس بها (جمعية النجاة الأهلية) عام (١٣٤١ هـ = ١٩٢٢م) ثم (مدرسة النجاة أو مدرسة الشنقيطي) التابعة للجمعية ذاتها عام (١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣م) ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى يومنا هذا ، ويقوم منهجها على مدارس العلوم الشرعية واللغوية ؛ بهدف تربية وتخريج أجيال متلاحقة من العلماء العاملين ، والدعاة الجادّين^(٢) .

ولما كان اسم (محمد أمين) يشبه اسم الشنقيطي المُفسَّر (محمد الأمين) إلا من (الألف واللام) في (أمين) لذا فقد أطلقنا عليه : (شَيْبُهُ) ثم ولما غلب على نشاطه أيضاً تأسيس كل من (جمعية النجاة) ثم (مدرسة النجاة) التابعة لها ؛ لذا فقد أطلقنا عليه : (المؤسس) .

المطلب الثاني

العلماء الآخرون

ونقصد بهم أولئك العلماء الذين اشتهروا بلقب (الشنقيطي) غير الثلاثة المذكورين ، وقد ورد ذكر هؤلاء العلماء عند كل من الزركلي ، وكحالة ، كما تمخض البحث عن وجود غيرهم بنفس الشهرة كذلك ، ويمكن إيجاز ذكر هؤلاء وأولئك على النحو التالي :

(١) راجع إيجاز ترجمته في : (ذكريات مع الشيخ الراحل محمد الأمين الشنقيطي) : عدنان ساري الزين - مجلة الشريعة ص ١٤ - العدد ٢٩٠ - إصدار وزارة الشباب - عمان - الأردن - رجب ١٤١٠ هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠ م .

(٢) راجع تفصيل ترجمته في كل من :

● من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة : الدليشي الخالدي ص ١١ ، ٢٣٩ .
● الشنقيطي ومدرسة النجاة في الزبير : د. علي أباً حسين - مجلة الدارة ص (١٠٤ - ١٢٨) - العدد ١ - السنة ١٣ - الرياض - المملكة العربية السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧ م .

● المشهورون باسم (الشنقيطي) عند الزركلي :

أورد خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) تسعة منهم ، ونكتفى في التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطي (أحمد بن الأمين) :

نزيل القاهرة والمتوفى بها عام (١٣٣١هـ = ١٩١٣م) ، وصاحب كتاب (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) المرجع الأول ، والمصدر الرئيس ، للحديث عن شنقيط وأدبائها^(١) .

٢- الشنقيطي (محمد الخضر بن ماياي) :

جكنى ، مفتى المالكية بالمدينة المنورة ، والمتوفى بها عام (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م)^(٢) .

٣- الشنقيطي (محمد محمود بن التلاميذ) :

ويعرف أيضا بـ (التركزى) و(ابن التلميذ) نزيل القاهرة ، والمتوفى بها عام (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م)^(٣) .

● المشهورون باسم (الشنقيطي) عند كحالة :

أورد عمر رضا كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) ثلاثة عشر منهم ، بزيادة أربعة فوق التسعة المذكورين عند الزركلي ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطي (أحمد البدوى) :

المجلىّ النسب ، ثم البوحمدي يعقوبى الأموى المدنى ، نَسَابَةٌ شهير ، أحيا

(١) الأعلام : الزركلى ٩٧/١ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :

● كتابه (الوسيط) : ص ٧ - ١٠ .

● معجم المطبوعات العربية والمعربة : جمع وترتيب يوسف إيلان سركيس ص ١١٤٨ - مكتبة

ومطبعة سركيس - القاهرة - ١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م .

(٢) الأعلام : الزركلى ٣٤٧/٦ .

(٣) الأعلام : الزركلى ٣١١/٧ .

● كما وردت ترجمته كذلك فى كتاب (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٨١ - ٣٩٧

(وقد جاء فيه : أن التلاميذ بالذال المهملة هى تصحيف التلاميذ بالذال المعجمة) .

● ومن المصادر التى ذكرته بـ (ابن التلميذ) كتاب (الروض الفتيق الفائق ، ومؤنس الكتيب

العاشق) : لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهّاب بن داود الهمداني ص ٤٤٤ - الطبعة ٢ - شرح

وتحقيق : سعيد ناصر الدعان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

أنساب العرب بنظمه (عمود النسب) وأجاد فيه ، وكانت وفاته عام (١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م)^(١) .

٢- الشنقيطي (باب بن أحمد) :

علويّ ، عالم أديب ، كانت وفاته في حدود عام (١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤ م)^(٢) .

٣- الشنقيطي (محمد بن محمد) :

كنيته (أبو عبد الله) وكان فاضلاً متصوفاً ، كما كان حياً بعد عام (١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م)^(٣) .

● المشهورون باسم (الشنقيطي) بين يدي البحث :

تمخض البحث عن وجود سبعة من العلماء اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطي) فوق الذين ورد ذكرهم عند كل من الزركليّ وكحالة ، ويمكن إيجاز ذكرهم فيما يلي :

١- الشنقيطيّ (أحمد بن أحمد المختار) :

الجكني ، المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، وصاحب كتاب : (إعداد المهج ، للاستفادة من المنهج ، في قواعد الفقه المالكيّ) كما أنه أحد تلاميذ صاحبنا الشنقيطيّ المفسر^(٤) .

٢- الشنقيطيّ (أحمد المختار) :

الجكني ، عالم بالأنساب ، وصاحب كتاب : (التعليق الصواب على تحفة الألباب)^(٥) .

(١) معجم المؤلفين : كحالة ١/١٧٣ - كما وردت ترجمته كذلك في كل من :

● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

● إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادي ١/١٢٦ - نشر مكتبة المثني - بغداد - العراق - (د.ت) .

(٢) معجم المؤلفين : كحالة ٣/٣٣ - كما وردت ترجمته كذلك في كل من :

● الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٤ - ٣٧ .

● اليراقيت الشيمنة في أعيان مذهب عالم المدينة : لمحمد البشير ظافر الأزهرى ١/١١٧ - مطبعة الملاجيء العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى - القاهرة - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

(٣) معجم المؤلفين : كحالة ١١/٢٢٣ .

(٤) راجع تفصيل ترجمته في (السلفية وأعلامها في موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ - ٣٩٩ .

(٥) راجع تفصيل ترجمته في (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .

● و(التعليق الصواب) هو عبارة عن حاشية على : (تحفة الألباب في شرح الأنساب) للشيخ

حمّاد بن الأمين المجلسيّ الموريتانيّ - انظر (التحفة وحاشيته التعليق) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١ -

مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣- الشنقيطي (الحسن بن أبيه) :

الحسنى ، أديب معروف ، وقد استشهد صاحبنا الشنقيطي بشعره غير مرة فى تفسيره ، ومن ذلك استشهاده على عِظَم كيد النساء فى معرض تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴾ الآية^(١) بقول الشاعر الذى يبيِّنُ به سبب عِظَم هذا الكيد قائلاً :

ما استعظمَ الإلهُ كَيْدَهُنَّ إِلَّا لِإِنَّهِنَّ هُنَّ هُنَّ^(٢)

٤- الشنقيطي (محمد بن أحمد) :

ولقبه (الدَّاه) صاحب كتاب : (فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة) حيث جاء بآخره أن الفراغ منه كان فى شعبان من عام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)^(٣) .

٥- الشنقيطي (محمد بن أبى مدين) :

ومن آثاره كتاب : (الصوارم والأسنة فى الذبِّ عن السنة) والذى صدر فى طبعته الأولى عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)^(٤) .

٦- الشنقيطي (محمد بن حنبل) :

ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البوحَسَنى) من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو والشعر وغيرهما ، كما عُرِفَ عنه انقطاعه لطلب العلم وتعليمه وحضه الناس على ذلك^(٥) .

(١) يوسف : ٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي : ٧٢/٣ .

• وقد أراد الشاعر أن يعبر بقوله هذا عن مدى تعجبه وحيرته إزاء تفسيره لعِظَم كيد النساء ، غير أنه لم يجد لذلك من سبب إلا أن النساء هُنَّ النساء ؛ ومن ثم فالكيد باق ما بقيت النساء ؛ لذا نراه يؤكد هذا المعنى تأكيداً لفظياً بقوله : (هُنَّ هُنَّ) فالثانية تؤكد للأولى ، أما الهاء الساكنة فلضرورة التصريح بين قافية البيت وعروضه (هُنَّ : هُنَّ) .

(٣) انظر فى ذلك كتابه :

• فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة : محمد بن أحمد الملقب بـ (الدَّاه الشنقيطي) - ثلاثة

أجزاء - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة بميدان الأزهر - مصر - شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧ م .

(٤) الصَّوَارِمُ وَالْأَسْنَةُ فى الذَّبِّ عن السُّنَّة : محمد بن أبى مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الشنقيطي -

الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧ م .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أديب شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣١١ -

وقد أكثر صاحبنا الشنقيطي المفسر من الاستشهاد بشعره ، خاصة بقصيدته البائية التي يحض فيها على طلب العلم قائلاً :

لا تَسُوءَ بِالْعِلْمِ ظَنًّا يَا فِتْنَى إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ عَطَبٌ^(١)

٧- الشنقيطي (محمد المصطفى) :

ابن الإمام العلوي ، وقد كان أحد أفاضل العلماء الذين وافقوا الشيخ سليمان العمري في دعوته إلى ضرورة صلاة الوتر في جماعة واحدة خلف الإمام الراتب بالحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ وقد استأنسا في دعوتهما هذه بقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ الآية^(٢) .

* * *

● **وبعد** : فهؤلاء هم العلماء الذين اشتهروا باسم (الشنقيطي) كاسم صاحبنا (الشنقيطي المفسر) حيث بلغ مجموعهم ثلاثة وعشرين عالماً ، أما غيرهم ممن لم يشتهروا بذلك من علماء الشناقطة فيندون عن الحصر والإحصاء ؛ وذلك لكثرتهم وانتشارهم في شتى أنحاء المعمورة ، ومن أمثالهم : محمد بن الطلب اليقوي ، والمختار بن بونا الجكني ، والشيخ ماء العينين^(٣) وغيرهم من علماء الشناقطة خلق كثير^(٤) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٦٢ (من المقدمة) .

ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَضْرَمَ الْهَمَّ سُخَيْرًا فَالْتَهَبُ لَمَعُ بَرْقِ بَرِيَّاتِ الذَّهَبِ

وقد وردت بتمامها ضمن ترجمة الشاعر في كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن

الأمين الشنقيطي ص ٣١٤ - ٣١٨ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

والشيخ سليمان العمري كان قاضياً بالمدينة المنورة، فضلاً عن عمله كرئيس للمدرسين بالحرم النبوي الشريف، ومراقبته على الدروس العلمية به - انظر ذكر الشيخين العمري ومحمد المصطفى الشنقيطي في :

● التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ﷺ : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤٦ ، ١٥٠ ،

١٥١ - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة -

١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

(٣) راجع تفصيل تراجمهم على الترتيب في :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص (٩٤ - ١٩٠) - (٢٧٧ -

(٢٨٣) - (٣٦٥ - ٣٦٧) .

(٤) انظر المزيد من هؤلاء العلماء في كل من :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ١١ - ١٥ .

● ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة المورثانية : يحيى بن البراء ص ٩٣ - ١٢١ .

غير أننا أثّرنا ذكر مَنْ اسمه الشنقيطيّ غير صاحبنا المفسّر ؛ وذلك أمناً لللبس ، ورفعاً للخلط ، الموهم بينه وبينهم ؛ الأمر الذي لا يتداركه كثير من الباحثين ، فضلاً عن غيرهم من طلاب العلم ، خاصة وأن هؤلاء العلماء قد اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطيّ) .

ولما لم يشتهر أيُّ من هؤلاء العلماء الشناقطة بالتفسير سوى صاحبنا الشنقيطيّ ؛ لذا فلم نجد بُدّاً في التمييز بينه وبينهم ، إلا أن نصفه بـ (الشنقيطيّ المفسّر) وذلك نسبة إلى تفسيره : (أضواء البيان) المعنى في هذا البحث ، والذي صار مقروناً به ، ودالاً عليه .

الفصل الثالث مولده ونشأته

وينتظم المبحثين التاليين :

١- المبحث الأول : مولده .

٢- المبحث الثاني : نشأته .

المبحث الأول مولده

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : تاريخ مولده .
- ٢- المطلب الثاني : موطن مولده .

المطلب الأول

تاريخ مولده

وُلِدَ الشنقيطى عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ)^(١) وهو ما يقابل بالتقويم الميلادى عام سبعة وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٠٧م)^(٢) .

• ملاحظة حول تاريخ مولده :

حيث وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية من أن مولد شيخه الشنقيطى كان عام خمسة وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٠٥ هـ ، وذلك فى معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال تقديمه لرحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام^(٣) .

وقد دفعنى هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطى بسؤال كل من : تلميذه الشيخ عطية ، وولديه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله ؛ حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ) وهو ذات التاريخ الذى أثبتناه فى صلب البحث والتزمناه فى ثناياه^(٤) .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد أثبت ذات التاريخ دون التنبيه إلى ما وقع فيه من تصحيف ، فى حين نَبَّه البعض الآخر إلى ذلك^(٥) وفى مقابل هؤلاء وجدنا

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٩/١ (من المقدمة) .

(٢) قد قابلنا هذا التاريخ فى كل من :

• الأعلام : الزركلى ١/١٥١ - وذلك فى معرض ترجمة الدكتور أحمد السَّمان ، حيث أورد الزركلى تاريخ مولده ووفاته بين عامى : (١٣٢٥ - ١٣٨٦هـ) الموافق لعامى : (١٩٠٧ - ١٩٦٦م) .

• التقويم اليابانى الهجرى الميلادى (هيل هـ - م) : لحساب شركة كهرباء الشرق - جدة - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

• برنامج المؤذن العربى (الإصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د. ت) .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص ١٤ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

(٤) وقد تم هذا من خال لقائى معهم فى غضون عام (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) بمنزل الدكتور محمد المختار ، وهو ذات منزل والده الشنقيطى بباب الكومة بالمدينة المنورة بالقرب من الحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(٥) ومن المصادر التى لم تشر إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٠٠ =

بعضاً من الباحثين الآخرين قد وقع في التصحيف المشار إليه ؛ فسايره ولم يتنبه إليه^(١) .

المطلب الثاني

موطن مولده^(٢)

ولد الشنقيطى عند عين للماء تعرف بـ (بئر تَنْبَه) بجانب ذلك الوادى الفسيح ، ذى البطاح والمياه والنخيل ، حيث مسقط رأسه بقرية (قرو) التابعة لمديرية (كَيْفًا) من القطر المسمى (شنقيط) أو (جمهورية موريتانيا الإسلامية الحديثة) الآن ، وتبعد مدينة (كَيْفًا) عن مدينة (نواكشوط) عاصمة البلاد بمسافة ستمائة وستة كيلو مترات ٦٠٦ كم شرقاً ، فى حين تبعد (تَنْبَه) عن مدينة (كَيْفًا) بمسافة ستين كيلو متراً ٦٠ كم شمالاً .

وكما أن (تَنْبَه) اسم البئر ، فكذلك (كَيْفًا أو كَيْفَه) اسم لبئر مشهورة بمائها المالح ؛ وبالرغم من ذلك إلا أنها تعد إحدى المناهل العظيمة التى تردّها الإبل ، فتتعم بشربها ، ويكثر لبنها ، كما أنها ملقط عظيم للصمغ العربى ذى الجودة العالية .

-
- = منسك الإمام الشنقيطى : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) - ١٣/١ .
 - علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧١/١ .
 - الإقليد فى الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص ٨ - تحقيق وتعليق : شريف بن محمد فؤاد بن هزاع ص ٨ .
 - (١) و من المصادر التى أشارت إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :
 - نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١٧/١ .
 - السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
 - محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة محمد الأمين الشنقيطى ص ٨ - تحقيق وتعليق وعنوان : ساعد عمر غازى - ص ٨ .
 - (٢) انظر موطن مولده ولفظ شنقيط ومعناه فى كل من :
 - أضواء البيان : الشنقيطى ١٩/١ (من المقدمة) .
 - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ٤٠ .
 - الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٥١ .
 - السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
 - موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٥ .
 - ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٤ .
 - الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنقيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ١١ .
 - مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ .
 - المقدمة فى التاريخ : لعبد الرحمن بن خلدون ١٤٤/٦ .

وأما (شَنْقِيط) فكانت ولا تزال اسماً لقرية من أعمال مديرية (آطار) في أقصى الشمال الغربي من موريتانيا ، وهي تعنى عندهم (عيون الماء التي كانت تشرب منها الخيول) ثم سمي القطر كله باسم (شَنْقِيط) من باب تسمية الشيء باسم بعضه أو تسمية الكل باسم الجزء ، وقد سبق الحديث عن مدينة (شَنْقِيط) وما لها من مزايا وخصوصية من حيث حُسْنُ مناخها وبطاحتها وجودة ثمرها الذي لا يصبر عليه آكله ، إلى غير ذلك من الميزات الظاهرة عندهم .

وأما (آطار) فتعنى عندهم الطريق ، وقد صارت علماً على تلك المدينة العظيمة التي تفوق (شَنْقِيط) من حيث كثرة دورها ونخيلها ، وتبعد عنها مسافة يومين من جهة الجنوب الغربي ، كما تجاورها أودية كثيرة ، ويعرف أهلها بـ : (السَّمَّاسِدَة) .

المبحث الثاني

نشأته

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : مرحلة الطفولة .
- ٢- المطالب الثاني : مرحلة البلوغ .
- ٣- المطالب الثالث : مرحلة الطلب .

المطلب الأول مرحلة الطفولة

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي منذ مولده ونعومة أظافره ، حتى بلوغه سن العاشرة ، وتتميز بما خالطها من الطرافة والغرابة ؛ حيث لم يكن أول هذه الطفولة المرحّة المدللة ليدل على ما انتهى إليه آخرها من مواصلة الجهد ، وظهور النجابة ، في تحصيل العلوم النافعة ، وحفظ المتون الجامعة ، وهذا ما يتضح لنا من خلال تطورات طفولته التالية :

● الشنقيطي وحيد والديه :

نشأ الشنقيطي يتيماً ؛ حيث تُوفّي والده وهو لا يزال صغيراً يقرأ في جزء (عمّ) وقد ترك له ثروة مناسبة من الحيوان والمال ، ثم صار أمره إلى أمه التي وقفت نفسها على تربيته والعناية به كأشد وأبلغ ما تكون تربية الأم وعنايتها بوحدها ، غير أنه كان لابد لهذه الأم ووحدها من الرعاية والعون ما يمكنهما من مواصلة رحلتهما في الحياة .

ومن ثم ؛ فقد انتقلت أم الشنقيطي مع وحدها إلى بيت أخواله الذين هم أبناء عمّ أبيه ؛ وبسكنّي الشنقيطي في بيت أخواله نال ضعفين من الرعاية والعناية ؛ حيث صار له حظه من رعاية وعناية أخواله به فوق حظه من رعاية وعناية أمه به ، وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصه : توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عمّ) وترك لي ثروة من الحيوان والمال ، وكانت سكناي في بيت أخوالي ، وأمّي ابنة عمّ أبي ، وقد عنيت بي والدتي وأخوالي أشدّ عناية^(١) .

● الشنقيطي في بيت أخواله (المدرسة الأولى الأهلية) :

يمثل بيت أخواله (مدرسة الأولى الأهلية) حيث كان جميع مشايخه ومدرسيه فيها هم أهله وذووه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم ؛ وفي تلك المدرسة الأهلية بدأ يتكون الشنقيطي الطفل الصغير ؛ فينمو جسده ، ويتبلور عقله ، ويتلون فكره ، وتتضح بواكير ومعالِم شخصيته ؛ ليصير فيما بعد جزءاً من كل ، ووحدة صغيرة في بناء كبير هو بناء قبيلته (بني جاكّان) .

تلك القبيلة التي تأثر الشنقيطي بحميد خصالها ، وكريم سجايها ، من الأصالة والعلم ، والكرم والفروسية ، إلى غير ذلك من الصفات والأخلاق التي بوّأتها موقع الصدارة ،

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بني جاكّان) ص من هذا البحث .

وجعلتها أشهر القبائل ؛ ومن ثم كان شرفها وعلو شأنها ، وكذا ارتفاع سهمها وذبيوع صيتها ، فى طول البلاد وعرضها^(١) .

ذلكم هو المَنَّاخ الذى احتوى الشنقيطى منذ أن فتح عينيه على هذه الدنيا ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه فى بناء أساسه الأخلاقى ، وتشكيل وجدانه النفسى ؛ تمهيداً لتربية ملكاته العقلية ، ورسم ملامحه الفكرية ، اضطلاعاً بما يؤمله فيه أهله وذووه كأحد علماء الإسلام النابهين .

● الشنقيطى لا يميل إلى الدراسة :

نشأ الشنقيطى مرفهاً مدلاً ؛ ومن ثم مالت نفسه إلى المرح واللعب ، أكثر من الدرس والطلب ، ولم يكن هذا السلوك غريباً من طفل نشأ فى مثل بيئته ، وحظى بمثل رعايته ؛ حيث اجتمعت عوامل عدة على جعله موضع الاهتمام ، ومَحَطَّ الأنظار ، لدى القائمين على أمره ، والمعنيين بتربيته ، بدءاً بأمه ، ومروراً بأخواله ، وانتهاءً بسائر أهله وذويه .

ولا يخفى أن محور هذه العوامل جميعها يتمثل فى كون الشنقيطى نشأ وحيد والديه ، ثم ذاق مرارة اليتيم مبكراً ؛ ليصير بذلك وحيد أمة التى أرضعته حنانها ، وورثه عصارة قلبها ؛ ولتعوضه بذلك عن فقد أبيه وترى فيه امتداداً له ، غير أنها ما لبثت أن رحلت عنه بعد أن أتم مرحلة البلوغ ، لتلحق بأبيه .

ومع ذلك ؛ لم يكن الشنقيطى يتيم أبويه محروماً أو مُعَدَمًا ، بل كان طفلاً مرفهاً مدلاً ، فشاباً موسراً قادراً ؛ بما تركه له والده من الثروة ، فوق ما حظى به من رعاية أخواله له ، وعنايتهم به ، وَهُمْ بِدورهم مَنْ هُمْ مِنْ يُسْرِ الحَال ، ورغد العيش ؛ لهذا كله لم يعرف الحرمان إلى قلبه سبيلاً ، ولم يقعد به اليتيم عن انطلاقه طفلاً مدلاً ، وشاباً ميسوراً .

وقد دفعه ذلك إلى إيثار لهو وبراءة المرح واللعب ، على عناء ومثابرة الدرس والطلب ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وكان وحيد والديه ؛ فكان فى مكان التدلل والعناية)^(٢) كما يسوق على لسان شيخه ما نصه : (قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة)^(٣) .

بل والأكثر من هذا أننا نرى الشنقيطى يجتهد آنذاك فى خَلْقِ الأعذار التى مِنْ شأنها أن تصرفه عن الدراسة والطلب ، وتسلمه إلى المرح واللعب ، ومن ذلك عدم صبره على حفظ

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جاكأن) ص من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

الحروف الهجائية ؛ حيث لم يجد سبيلاً للإفلات من هذا المأزق إلا أن يقول لأهله وذويه ممن يحفظونه إياها ما نصه : فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ؛ كى يتركونى^(١) .

إلا أن الله تعالى أنفذ مشيئته ، وأجرى قدره ، فى ذلك الطفل الصغير ؛ حيث صيرَ أمر الدراسة والطلب ، أقربَ إلى قلبه ، وأحبَّ إلى نفسه ، من المرح واللعب ؛ وحقاً لا يقع فى كون الله تعالى ما يريد الله تعالى ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية^(٢) .

كما يُعبّرُ ابن الرومى عن تلك الإرادة الإلهية النافذة فى معرض رثاء ابنه فيقول :

ولكن ربي شاء غير مشيئتي وللربِّ إمضاء المشيئة لأ العبد^(٣)

● الشنقيطى وحفظ الحروف الهجائية :

لم يلبث أهله وذووه أن أحسوا بذلك التَّحول الحاد ، وهذا الميل الملموس ، اللذين أبداهما الشنقيطى فى تطور مفاجىء إزاء إقباله على الدرس والطلب ، بعد أن كان منصرفاً عنهما إلى المرح واللعب ؛ وعندئذ بدأوا معه أولى خطوات رحلته الطويلة مع الدرس والتحصيل بتعليمه وتحفيظه حروف الهجاء بنطقها ورسمها على طريقتهم الخاصة فى ذلك .

غير أنهم فوجئوا بذهنه المفتق ، وموهبته المبشرة ؛ فما إن وصلوا معه إلى الحرفين الثالث والرابع حتى لاحظوا نهمه الشديد ، واستعداده الملحوظ ، لإكمال بقية الحروف من تلقاء نفسه دون الحاجة إليهم ، ونراه يصف ذلك قائلاً : وبدأوا يقرئونى الحروف الهجائية بالحركات بـاء فتحة (بأ) بـاء كسرة (بى) بـاء ضمة (بو) وهكذا (ت ، ث) إلخ ؛ فقلت لهم : أو كل الحروف هكذا ؟ قالوا : نعم ؛ فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ، فقالوا : اقرأها ؛ فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة ، وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة ؛ فعرفوا أنى فهمت قاعدتها ، واكتفوا منى بذلك ؛ ومن ثم حُببتُ إلى القراءة^(٤) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

(٢) الإنسان : ٣٠ - التكوير : ٢٩ .

(٣) ديوان ابن الرومى (أبى الحسن على بن العباس بن جريج) : ٦٢٥/٢ - البيت رقم (١٥) - تحقيق : د. حسين نصار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث) -

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (بتصريف يسير من المقدمة) .

● الشنقيطي وحفظ القرآن الكريم :

وما إن أتم الشنقيطي تعلمه وحفظه حروف الهجاء ؛ حتى عاود حفظه للقرآن الكريم الذي توقف فيه عند جزء (عمّ) بسبب وفاة والده آنذاك ؛ وهناك وفي بيوت أخواله واصل الشنقيطي الحفظ حتى أتم القرآن كله على يد خاله وشيخه (عبد الله بن محمد المختار ابن إبراهيم بن أحمد نوح) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

وبتمام حفظه للقرآن يختتم الشنقيطي مرحلة طفولته ، بعد أن أُرسِيَ له حجر الزاوية الذي يعد أساساً لانطلاقه فيما بعد إلى مرحلتى البلوغ والطلب ، حيث الجِدُّ والاجتهاد ، والصبر والمثابرة ، على عناء الدرس ، ومشاق التحصيل .

المطلب الثاني

مرحلة البلوغ

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي من سن العاشرة وحتى بلوغه السادسة عشرة من عمره ، وتتميز بإقباله الشديد ، ونهمه الواضح ، على تعلم رسم المصحف الأم المعروف بـ (المصحف العثماني) مع تجويده القرآن بقراءة (نافع) بروايتها : (ورش) من طريق (أبي يعقوب الأزرق) ورواية (قالون) من طريق (أبي نسيط) وذلك على ابن خاله (سيدي محمد ابن أحمد بن محمد المختار) بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ .

وذلك بالإضافة إلى حفظ بعض المتون ، ودراسة بعض المختصرات ، في النحو والفقه والأدب والتاريخ والسير ، وقد تم له ذلك وهو لم يزل في (مدرسته الأولى الأهلية) في (بيوت أخواله) حيث شيوخه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم وسائر أهله وذويه .

وعن الملامح المميزة لتلك المرحلة ، وما لها من منهج علمي خاص في حياة الشنقيطي ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلًا : تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجاً متكاملًا ، لا تقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف (أى نوع كتابته) ما كان موصولاً أو مفصولاً ، وما رُسم فيه المد أو ما كان يُمدُّ بدون وجود حرف المد ، ثم ضبط ما فيه من منشأيه في الرسم أو التلاوة ، ومن المشهور عندهم في هذا : رجز (محمد بن بوجه) المعروف باسم : (البحر) .

وقد تعرّض فيه لكل كلمة جاءت في القرآن مرة أو مرتين أو ثلاثة مرات إلى سبع وعشرين مرة من الكلمات المشتبهة ، كما أفرد لكل عدد منها فصلاً خاصاً به ، فمثلاً كلمة (أَعْيُنُهُمْ) بالرفع جاءت ثلاث مرات في القرآن ، وفيها يقول :

أَعْيُنُهُمْ بِالرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ حَضُورٍ مِنْ بَعْدِ كَانَتْ وَتَوَلَّتْ وَتَدُورُ^(١)

ومن الثنائى : كلمة (الأشياء) بالعين ، والتي جاءت مرتين فى القرآن ، وفيها يقول :

أَشْيَاءُ بِالْعَيْنِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ فِي سَبَاٍ مِنْ قَبْلِ بَأَشْيَاءِهِمْ ذُكِرُ^(٢)

وقد درس رحمه الله هذا كله ، وكانت له زيادة نظم عليه ؛ تذييلاً لزيادة الفائدة ، ومن ذلك تذييله على هذا البيت الأخير ؛ مبيناً حركاته وإعرابه قائلاً :

فِي سُورَةِ الْقَمَرِ حَاطِبٌ وَأَنْصَبًا وَجُرَّهُ وَغَيَّبَهُ فَمَى سَبَاٍ

أى فى سورة (القمر) تكون تلاوة كلمة (أشياء) بالخطاب والنصب ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ الآية^(٣) وفى سورة (سبأ) تكون تلاوتها بالغيبة والجر ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ كَمَا فَعَلْ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية^(٤) .

وهذه دراسة لا تكاد توجد إلا ما شاء الله تعالى ، وهى من المهام العلمية التى بها يُحفظ رسمُ القرآن من التغيير والتبديل ، كما أنها من آثار تعهد الله تعالى بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه^(٥) .

وعن حفظ المتون ، ودراسة المختصرات ، بعد حفظ القرآن وتجويده ، وإتقان رسمه

(١) والمقصود أن كلمة (أَعْيُنُهُمْ) جاءت مرفوعةً دالَّةً على جماعة النائين بالضمير (هُم) فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، وهى بحسب ترتيب الناظم كمايلى :

• من بعد (كانت) أى فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ الكهف : ١٠١ .

• من بعد (تَوَلَّتْ) أو (تَوَلَّوْا) أى فى قوله تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ التوبة : ٩٢ .

• من بعد (تدور) أى فى قوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ الأحزاب : ١٩ .

(٢) والمقصود أن كلمة (أشياء) جاءت فى سورة (القمر) وبعدها ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ كما جاءت فى سورة (سبأ) بعد ذلك وبعدها ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

(٤) سبأ : ٥٤ .

(٣) القمر : ٥١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢ - ٢٣ (بتصرف يسير) .

وقد تعهد الحق سبحانه بحفظ قرآنه الكريم على مر العصور ، وتعاقب الدهور ، من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل ، أو أن يصيبه عبث العابثين ، من أعداء هذا الدين ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر : ٩ .

وإعراجه ، يضيف الشيخ عطية على لسان شيخه قوله : ثم قال رحمه الله تعالى : وقد درست بعض المختصرات في فقه الإمام مالك كرجز الشيخ ابن عاشر ، كما درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالي أم ولد الحال ، أي أن ولد خاله كان يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

قال : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات ودروساً واسعة في أنساب العرب وأيامهم ، وكذا نظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي^(١) وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وأيضاً نظم عمود النسب له وهو بالآلاف ، مع شروحهما لابن أخته المعروف بـ: حماد^(٢) الذي وصل في شرحه لـ : (عمود النسب) إلى خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين^(٣) .

وبهذا يتخرج الشنقيطي في (مدرسته الأولى الأهلية) في (بيوت أخواله) بعد أن أتم فيها مرحلتى (طفولته وبلوغه) حيث أبدى إبداعاً ملحوظاً ، وأحرز تفوقاً ملموساً ؛ يكفيان لتأهليه لالتحاق بـ : (مدرستيه الثانية والثالثة) أثناء (مرحلة الطلب) .

المطلب الثالث

مرحلة الطلب

تمتد هذه المرحلة في حياة الشنقيطي منذ أن كان شاباً يافعاً في السادسة عشرة من عمره ، وحتى استوى عوده ، وبلغ أشده ، وامتلك نصاب العلم الذي أهله لأخذ مكانه بين صفوف العلماء في بلاده ، وقد قارب آنذاك الثلاثين ، وتتميز بانطلاقه خارج (مدرسته الأولى الأهلية) حيث (ديار أخواله) وسائر أهله وذويه ؛ بعد ما بزَّ أُنْدَادَه ، وتفوق على أقرانه ، في كل ما قرروه له في مرحلتى الطفولة والبلوغ ، من حفظ القرآن وتجويده ، ومختصرات العلم ومتونه .

(١) راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) هو حماد المجلسي أو المدلشي نسبة إلى قبيلة (مدلش) ثم البوحمدى الشنقيطي ، عالم متفّن ، ولغوى متقن ، ابن أخت أحمد البدوي السابق ، وشارح نظميّه : (عمود النسب) و (المغازي) إلا أنه وقع في أغلاط كثيرة في شرح الأنساب .

● راجع تفصيل ترجمته في (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص

٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٢٣ - ٢٤ (بتصرف يسير) .

وعن خروجه للطلب ، وتجهيز أهله له ، يحدثنا قائلاً : لما حفظت القرآن^(١) وأخذت الرسم العثماني^(٢) وتفوقت فيه على الأقران ؛ عنيت بى والدتى وأخوالى أشد عناية ، وعزموا على توجيهى للدراسة فى بقية الفنون ؛ فجهزتنى والدتى بجملين ، أحدهما عليه مركبى وكتبى ، والآخر عليه نفقتى وزادى ، وصحبنى خادم ومعه عدة بقرات^(٣) وقد هيات لى مركبى كأحسن ما يكون من مركب ، وملابسى كأحسن ما تكون ؛ فرحاً بى ، وترغيباً لى فى طلب العلم ، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل^(٤) .

● مدرسته الثانية (القبلية الجكانية) :

وفىها جعل الشنقيطى يتصل بشيوخه (الجكنيين) من علماء قبيلته (بنى جاكأن) حيث تلقى على أيديهم ما نقصه من مختلف الفنون التى لم يكن أتمها من قبل فى مرحلتى الطفولة والبلوغ فى (مدرسته الأولى الأهلية) فى (بيوت أخواله) وسائر أهله وذويه .

ومن ثم ؛ نراه يبدأ بطلب الفقه المالكى^(٥) فيدرس مختصر خليل على يد شيخه (محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم الجكنى) الذى وصل معه إلى (قسم العبادات) كما درس عليه ما يقرب من نصف ألفية ابن مالك فى النحو ، وعلى مشايخه الآخرين من مشاهير علماء الجكنيين فى قبيلته نجده يكمل بقية الفنون من تفسير وحديث وأصول ونحو وصرف وبلاغة وإلى ذلك يشير بقوله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ من الجكنيين كل الفنون (الفقه المالكى والنحو والصرف والأصول والبلاغة وبعض التفسير والحديث)^(٦) .

● مدرسته الثالثة (الذاتية الخاصة) :

وفىها اعتمد الشنقيطى على مطالعته الشخصية ، وبحثه الذاتى ، حيث إدامة النظر ،

(١) كان ذلك فى (مرحلة الطفولة) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

(٢) كان ذلك فى (مرحلة البلوغ) وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

(٣) وهذا ما يؤكد نشأة الشنقيطى فى يسر ورغد من العيش ، وكيف لا ، وحاله تلك !؟ حيث مركبه وكتبه على جملى ، ونفقتة وزاده على جملى ثان ، وفوق ذلك خادمه وبقراته ؛ فياله من تعظيم لقدر العلم ، وياله من تقدير لشرف طالبيه !! .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٩/١ .

(٥) وهو المذهب الفقهي السائد فى غرب أفريقيا عامة ، وفى شنقيط خاصة ؛ بحيث لو حاول أحد أن يتعلم مذهباً غيره لما وجد أحداً يعلمه ذلك فى شنقيط بأسرها - انظر (نثر الورود على مراقى السعود) : شرح الشنقيطى ١٨/١ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٥/١ (من المقدمة) .

القسم الأول : (الباب الأول : حياته الشخصية) _____ الفصل الثالث : مولده ونشأته

ومواصلة القراءة ؛ لتحصيل ما فاتته ، واستدراك ما غاب عنه ، من فنون العلم وفروعه المختلفة ، وخاصة علم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، وإلى هذا يشير بقوله : أما المنطق وآداب البحث والمناظرة ، فقد حصلناه بالمطالعة^(١) .

كما يصف الشيخ المجذوب تحصيل الشنقيطي هذين العلمين قائلاً : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، وفي ما درس وفي ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس في علمي المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلا الأقلون^(٢) .

ولم يلبث الشنقيطي أن أتم مرحلة طلبه هذه ؛ حتى طار خبره ، وانتشر ذكره ، فجلس للدرس والفتيا ، ثم اشتهر بالقضاء والفراصة فيه ؛ وذلك لعظيم ثقة المتقاضين في قضاائه وعدله ، وتقدير مواطني بلاده لاجتهاده وعلمه .

* * *

وهكذا يمر الشنقيطي أثناء نشأته بمراحل ثلاث ، حيث الطفولة والبلوغ والطلب ، كما ينتقل خلالها أيضاً بين مدارس ثلاث ، حيث مدرسته الأولى (الأهلية) في مرحلتى الطفولة والبلوغ ، ثم مدرسته الثانية (القبليّة الجكنية) والثالثة (الذاتية الخاصة) وكتاهما في مرحلة الطلب ؛ ومن ثم يأخذ الشنقيطي مكانه بين مصاف العلماء العاملين ، مترسماً نهجهم وخطاهم ، ومتحلياً بصفاتهم وأخلاقهم .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٣ .

الفصل الرابع

صفاته

الْخُلُقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ

ويتنظم المباحث الثلاثة التالية :

١- المبحث الأول : الصفات الخلقية .

٢- المبحث الثاني : الخلقية .

٣- المبحث الثالث : الصفات العلمية .

المبحث الأول
صفاته الخلقية

ويتنظم المطالب الثلاثة :

- ١- المطالب الأول : لونه وملامحه .
- ٢- المطالب الثاني : جسمه وبنيته .
- ٣- المطالب الثالث : ملبسه وهيئته .

المطلب الأول

لونه وملامحه

يُعرف الموريتانيون بغلبة السُّحْمَةِ عليهم^(١) والتي تشمل كلاً من : السودان (وهم شديدي السواد أو الزوج) في مقابل البيضان (وهم الأقل سواداً أو البيض) .

وفي حين يمثل السودان النسبة الغالبة من سكان البلاد ؛ نجد أن البيضان يمثلون القلة الباقية من هذه السُّحْمَةِ ، وهم يختلفون عن أهل أوروبا الذين يميزون عند الشناقطة باللون (الأصفر) ليشيروا به إلى البشرة (البيضاء) أو (الشقراء) .

أما (البيض أو البيضان) فهم يشبهون (عرب شبة الجزيرة) وهذا ما أشار إليه محمد يوسف مقلد بقوله : (وأهل موريتانيا يشبهون إلى حد كبير عرب اليمن والكويت والبحرين والسعودية)^(٢) ويقصد بـ (أهل موريتانيا) أى (البيض أو البيضان) وهذا ما يؤكده فى كتابه الذى جاء يحمل عنوان : (موريتانيا الحديثة أو العرب البيض فى أفريقيا السوداء)^(٣) .

وإلى البيض أو البيضان ينتمى الشنقيطى وقبيلته بنو جاكان ، كما أفاد بذلك تلميذه الشيخ عطية على وجه العموم والإجمال^(٤) .

(١) السَّحْمُ والسُّحَامُ والسُّحْمَةُ : أى السَّوَادُ ، ويقال للرجل الأسود : أسَحَمَ كما فى حديث الملاعة : «إن جاءت به أسَحَمَ أحتم» أى أسود ، كما يقال للمرأة السوداء : سَحْمَاءُ كما فى حديث أبى ذر : «وعنده امرأة سَحْمَاءُ» أى سوداء - انظر مادة (سَحَم) فى كل من : لسان العرب : ٣/١٩٥٩ - المعجم الوسيط : ٤٢٦/١ .

● وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخارى فى صحيحه بالاقتران على (أسحم) دون (أحتم) وكلاهما بمعنى (أسود) - انظر صحيح البخارى (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» النور : ٦ .

● وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٥٢/١٨ - حديث رقم (٤٧٤٥) - راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلّق عليه : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٣ .

(٣) انظر غلاف هذا الكتاب الموسوم بالعنوان المذكور .

(٤) ضمن رده المسجّل على رسالتنا إليه .

المطلب الثاني

جسمه وبيته

كان الشنقيطي ربعةً بين الرجال^(١) لا بالقصير ولا بالطويل الزائد ، معتدل القامة ليس بالأحذب ، كما لم يكن نحيفاً نحيلاً ، أو بديناً ذا بطن^(٢) وإنما كان وسطاً فى ذلك كله^(٣) .

المطلب الثالث

ملبسه وهيئته

كان الشنقيطي فى ملبسه وهيئته العامة كسائر أهل بلاده المعروفين بزيتهم الصحراوي الخاص ، وألوانه الموروثة المميزة ، وهو ما يصفه لنا الشيخ المجذوب بقوله : والمخالطون للشناقطة عن كذب يلمسون احتفاظهم بالكثير من طوابع بيتهم الأولى ، مهما طال بعدهم عنها وفراقهم لأهلها ، وقد لاحظت امتيازهم^(٤) بهذه الخاصة على سائر جيرانهم من الأفاارقة ، حتى فى ثيابهم والألوان التى يؤثرونها ، وفى المدينة المنورة غير قليل من مهاجرينهم لا يكادون يفارقون أزياء الصحراء التى انتقلوا عنها .

ثوب الرجل منهم^(٥) صورة من الخيمة التى ألفها فى بلاده ؛ فهو عبارة عن قطعة فضفاضة من القماش المصبوغ بالزرقة ، وقد شُقَّ أعلاه لإدخال الرأس ، كما أُسْبِغَ سائره على الجسم فوق السراويل ، وقد احتفظ فى ذات الوقت بفتحتين ممتدتين على جانبيه لتسرب الهواء ، كما تحتفظ خيمة البادية بباين متقابلين للغرض نفسه^(٦) .

غير أن الشنقيطي كغيره من علماء بلاده ، وكذا طلاب العلم منهم ، ممن يعيشون فى

(١) يقال: (رجل ربعة أو ربعة) أى مربع الخلق ، وسيط القامة ، لا بالطويل ولا بالقصير ، ويوصف به المذكر والمؤنث - انظر مادة (ربيع) فى كل من :

لسان العرب : ١٥٦٦/٣ - المعجم الوسيط : ٣٣٧/١ - مختار الصحاح : ص ٢٨٨ .

(٢) البطنة : امتلاء البطن وبروزه الشديد من الشبع وكثرة الطعام ، ويوصف بها فى قولهم : رجل بطن وبطن ومبطن ، كما يقال : (البطنة تذهب الفطنة) - انظر مادة (بطن) فى كل من : لسان

العرب : ٣٠٣/١ - المعجم الوسيط : ٦٣/١ - مختار الصحاح : ص ٥٦ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) والأنسب أن يقال : (تميزهم) فالمقام يقتضى التفرقة لا التفوق .

(٥) أما ثوب المرأة فيغلب عليه الحجاب الشرعى المعروف .

(٦) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ .

المدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، غالباً ما يدخلون تعديلاً على زعمهم هذا ليتقربوا به من الثوب الحجازي المعروف ؛ ولذا فقد استثناهم الشيخ المجذوب بقوله : مع أن أهل العلم منهم شيوخاً وطلاباً ، قد يُعدُّون في أثوابهم ؛ فيقتربون من الثوب الحجازي، إلا أنهم لا يستتشفون أن يراجعوا ثوبهم الموروث بين الحين والآخر ؛ وقد ساعدهم ذلك على الاحتفاظ بالكثير من خصائصهم المتوارثة^(١) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ .

المبحث الثاني صفاته الخُلقية

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطالب الأول : بعده عن الغيبة وإعراضه عن اللغو .
- ٢- المطالب الثاني : زهده في الدنيا وحذره منها .
- ٣- المطالب الثالث : عبادته وورعه وتقواه .
- ٤- المطالب الرابع : خيريته ووجهه للمسلمين .
- ٥- المطالب الخامس : مروءته وتواضعه وهيبته .

كان للشنقيطي من الأخلاق الرفيعة ، والسجايا الكريمة ، مالا يخفى على كل من لازمه وخالطه بصفة خاصة ، فضلاً عما أخذ عنه وتلقى عليه بصفة عامة ، كما أن هذه الأخلاق كانت من الكثرة والشمول بحيث لا يسعف في ذكرها سوى الإيجاز والإجمال ؛ مراعاة هنا لما يقتضيه المقام ، وتستلزمه الحال .

وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : أما الناحية الشخصية من حيث تقويمه الشخصي لسلكه وأخلاقه وآدابه وما إلى ذلك ؛ فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث ، وهذا لا يُعلمُ إلا لمن خالطه ، وليس كل من خالطه يعرف ذلك منه ، بل من داخله ولازمه ، وإنى لا أستطيع الآن تصويره ، ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله ؛ ولكن قد تكفى الإشارة إذا لم تسعف العبارة^(١) .

ونحن بدورنا نكتفي بالإشارة والتمثيل ؛ استغناءً بهما عن التصوير والتفصيل ، إزاء ما نتناوله من أخلاقه وسجاياه ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بعده عن الغيبة ، وإعراضه عن اللغو

لم يكن الشنقيطي يفتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، كما كان مجلسه منزهاً عن اللغو وفضول الكلام ، فضلاً عن إيذاء المسلمين والخوض في أعراضهم .

ويحدثنا تلميذه الشيخ عطية عن ذلك قائلاً : لم يكن رحمه الله تعالى يفتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، وكثيراً ما يقول لإخوانه : اتكأيسوا^(٢) أى من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، كما كان يقول : إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته ؛ فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب^(٣) .

ويبين لنا الدكتور عبد الله مدى خوف أبيه من غيبة الناس ، وعدم صبره على ذلك فيقول : كان رحمة الله عليه لا يقبل شخصاً يتكلم في شخص في مجلسه ، بل ويصف ذلك بأنه ضعف وخور ، ثم يحذر من أكل الغيبة والنيل من أعراض المسلمين قائلاً : اعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة ؛ فاتركوها ولا تتكلموا فيها ، واعلموا أن الله تعالى

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٦٠ - ٦١ (من المقدمة) .

(٢) فعل أمر في اللهجة العامية لدى الشناقطة والحجازيين ، ويعنى التزام الكياسة بحفظ اللسان وتزنيه عن كل مالا يليق .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٦٣ (من المقدمة) .

القسم الأول : (الباب الأول : حياته الشخصية) _____ الفصل الرابع : صفاته الخلقية والخلقية والعلمية

بَشَعَ ذَلِكَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية^(١) والله ، لو قتلتم أبنائي وأخذتم أموالى لسامحتكم ، ولكن أن تأخذوا حسناتى فلا ؛ فأخذ حسناتى وأنا شائب لا صبر لى عليه^(٢) .

وعن تنزيه مجلسه عن اللغو ، وإعراضه عن فضول الكلام ، يقول تلميذه الشيخ عطية : ومن صفاته الجليلة رحمة الله علينا وعليه تنزيه مجلسه عن كل ما لا يليق من اللغو وفُحش القول ونحوهما^(٣) .

المطلب الثانى

زهده فى الدنيا وحذره منها

تمثل زهد الشنقيطى فى تلك القناعة التى جعلته راضياً من دنياه بتحصيل الضرورى منها ؛ ومتعافياً بذلك عما فى أيدى الناس ، ويصف لنا الشيخ عطية مناعة شيخه قائلاً : وسمعتة يقول : (لقد جئت معى من البلاد^(٤) بكنز عظيم ؛ يكفينى مدى الحياة ، وأخشى عليه الضياع ، فقلت له : وما هو ؟ قال : القناعة) كما كان شعاره فى ذلك قول الشاعر :

الجوع يُطردُّ بالرغيفِ اليابسِ فعَلَامَ تَكْثُرُ حَسْرَتِي ووساوسى ؟!
والموتُ سَوَى حِينَ عَدَلَّ قَسْمَهُ بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ^(٥)

أما حذره من الدنيا ووجهه من إقبالها عليه فقد تمثل هذا فى نصحه لأبنائه وطلابيه قائلاً : (لو كانت الدنيا ميةً لأباح الله منها سدَّ الخلة^(٦)) ونحن لا نريد إلا سدَّ الخلة^(٧)) لأجل هذا ؛ لم يطلب منذ أن حلَّ بأرض الحجاز عطاءً أو مكافأةً ، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه^(٨) .

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) المقصود بها بلاده شنقيط .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦١/١ (من المقدمة) .

(٦) الخلة : أى الفقر والاحتياج ، ومنها دعاؤهم : (اللهم اسدِّدْ خَلَّتَهُ) وكذلك دعاؤهم (لا أَخْلِكَ اللهُ إلى هذا) والمقصود هنا ب (سدِّدْ الخلة) أى : ما يفي بالحاجة الضرورية فقط - انظر مادة (خَلَّل) فى

كل من لسان العرب : ١٢٤٨/٢ - المعجم الوسيط : ٢٦١/١ مختار الصحاح : ص ١٨٧ .

(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٦١/١ (من المقدمة) .

بل دفعته قناعته هذه إلى تعففه عن راتبه ، وكذا عن حقه فى مؤلفاته ؛ فلم يكن يتكسب بها ، وإنما تركها لطلاب العلم ، ولو شاء لساقت إليه المال الوفير ، كما لم يكن يُقرض أحداً قرضاً ينتظر رده ، أو يعقد صفقة ينتظر ربحها ؛ ومن ثم فقد كان يتعفف عن ذلك كله ابتغاءً وجه الله تعالى (١) .

المطلب الثالث

عبادته وورعه وتقواه

كان الشنقيطى دائم الذكر ، مجتهداً فى طاعة ربه سبحانه ، فرضاً كانت أم نفلأ ، متقلباً بين الخوف والرجاء ؛ خاصة إذا رأى أو سمع ما يغضب الله تعالى ، أو يخالف سنة نبيه ﷺ قولاً كان أو فعلاً ، بل يبدو وكأنه يحترق بنيران حقيقية .

ويصور لنا ابنه الدكتور عبد الله تلك الحال بقوله : كنا إذا جئنا بالسيارة إلى محطة الوقود ، وسمع بعض الأغاني تنبعث من هنا أو هناك ؛ يكون عندئذ مثل المحروق ويقول : جاءنا السوء يا ولدى ! اطلع اطلع ، أعوذ بالله أعوذ بالله !! (٢) .

كما كان يرد من يحتجون فى جواز هذا بكثرة من يفعله من الناس ، ومنهم ابنه الدكتور عبد الله فى صغره ، قائلاً له : الناس فى السوء ليسوا بحجة ؛ والله تعالى يقول : «وَأَن تَطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» الآية (٣) ويقول : «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» الآية (٤) ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح : «أن نصيب الجنة واحد من الألف» (٥) .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٦٠ (من المقدمة) .

• رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ١٨٨ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) الأنعام : ١١٦ .

(٤) يوسف : ١٠٣ .

(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عمر بن حفص عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يارب وما بعث النار؟ قال : من كل ألف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ؛ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال رسول الله ﷺ : من يأجوج =

ويتجلى خوفه من الله تعالى ، ورجاؤه في رحمته سبحانه ، في ذلك الموقف الذي وقع له قبيل موته مع ابنه الدكتور عبد الله ، والذي يروي لنا بقوله : ومرة كنت أقرأ عليه القرآن قبل موته ، فقال : يا ولدي في القرآن آية تفرحني كثيراً ، ثم بكى !!

فقلت : ماهي ؟ أهي قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية^(١) ؟ فقال : لا ، بل هي قول الله تعالى : ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ الآيتان^(٢) فالكبائر إن شاء الله ما تقربها ، والصغائر نترك منها ما استطعنا ، والله يقول : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ الآية^(٣) فلما نظرت إليه وجدته يبكي يرحمه الله ، ثم قال لى : يكفيك هذا^(٤) .

المطلب الرابع

خيريته وحبه للمسلمين

كان الشنقيطى بمثابة الأب لشتى قبائل الجالية الشنقيطية من أبناء بلاده الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، كما كان يتولى الأراميل واليتامى ، ويرعى المعوزين وأصحاب الحاجات ، بل يروى عنه أن الناس كانت تأتيه من كل فج ، من المشرق والمغرب ، على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ، سواء كانوا من السنة أو الشيعة أو غيرهما ؛ فكان يعطى كلاً منهم ما يستحق إن كانت عنده حاجتهم ، أما إن كانت حاجتهم ليست عنده ؛ فإن هذا يدفعه إلى أن يكون شفيعاً لهم هنا وهناك ، لقضاء مطالبهم الكبيرة والصغيرة على السواء .

بل قد يدفعه حبه للمسلمين وخيريته لهم إلى مخالفة منهجه بأن يذهب إلى كبار التجار في المدينة المنورة فيقترض منهم على حساب نفسه ليعطى الفقراء والمحتاجين ، ولو كان ذلك

= ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا» وقال أبو أسامة عن الأعمش : «ترى الناس سكارى وما هم بسكارى» قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية : سكرى وماهم بسكرى - أنظر صحيح البخارى (كتاب تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ الحج : ٢ - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٤٤ / ١٨ - حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(١) فاطر : ٣٢ . (٢) النجم : ٣١ - ٣٢ (آيتان) . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

لنفسه ما فعله وما أقدم عليه ؛ لأنه ليس من طبعه ولا عاداته ؛ ولكنه فعل الخير ، وحب المسلمين^(١) .

المطلب الخامس

مروءته وتواضعه وهيبته

كانت المروءة والتسامح في حق نفسه ومراعاة شعور مَنْ يتعاملون معه ويتصلون به ، أهم ما يحكمه في جميع أقواله وأفعاله ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وإذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بـ (المروءة) فإن المروءة كانت شعاره ودثاره ، بل هي التي كانت تحكمه في جميع تصرفاته ، سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه ، أو مع غيرهم مَنْ عرفهم ومَنْ لم يعرفهم .

وأما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه ، فهذا فوق حد الاستطاعة ؛ فمذ صَحِبْتَهُ لم أسمع منه مقالاً لأى إنسان ولو مخطيء عليه يكون فيه جرح لشعوره ، وما كان يعاتب إنساناً في شيء يمكن تداركه ، كما كان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه ، وحيثما كنت أسأله في ذلك يقول :

ليس الغبىُّ بسيدِّ في قومهِ لكنَّ سيِّدَ قومهِ المتغابى^(٢)

وقد دفعته مروءته هذه إلى تواضعه ولين جانبه لكل مَنْ يراه أو يلقاه ، أينما نَزَلَ وحيثما حَلَّ ، وهذا ما يوضحه لنا تلميذه الشيخ عطية كذلك بقوله : وأما عاداته فعادات بلاده وما يوجد في المدينة المنورة ومكة المكرمة من مكارم أو محاسن العادات ، ولم يكن له عادة يتميز بها عن الآخرين فيما نعرفه ، وليست هناك تقاليد خاصة به ، وإنما هي السائدة من عادات الناس وتقاليدهم ، اللهم إلا كرم أخلاقه ، وتواضعه مع أهله وغيرهم .

كما أنه في حلق الدروس الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الحاضرة مع الحاضرين كأحدهم دون تميز في جلسة أو مكان أو غير ذلك ، وإنما يتميز بما يلقيه رحمة الله من دروس وبيان^(٣) .

ويضيف الدكتور عبد الله عن تواضع أبيه قوله : والشيخ كان متواضعاً بشكل عجيب ؛ إلى درجة أن الذى يراه ولم يكن يعرفه يحسب أنه عامى^(٤) .

(١) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٦٠ - ٦٣ (من المقدمة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وبالرغم من تواضع الشنقيطي ولين جانبه ؛ إلا أنه كان مهاباً جليلاً ، ومحترماً وقوراً ، يجمع إلى هيبة العلماء ، جلال الحكماء ؛ بل إن قوة شخصيته ، وحكمة منطقته ، تحمل كل مَنْ رآه على احترامه وتقديره ، سواء كان حاكماً أو محكوماً ، طالب علم أو غيره ، كبيراً كان أو صغيراً ، على مختلف مستوياتهم ومواقعهم من المسؤولية .

ولقد تجلت هيئته وحكمته في طلبه من الملك سعود بن عبد العزيز التنازل عن الحكم لأخيه الملك فيصل بناءً على إجماع مؤتمر العلماء بالرياض على إنابة الشنقيطي عنهم في ذلك ؛ فكان أن قام بالمهمة خير قيام ؛ حيث كان لشخصيته القوية ، وكلمته الحكيمة ، أظيب الأثر في نفس الملك سعود ، والذي أعلن عقب لقائه بالشنقيطي عن ثقته التامة بنصيحة العلماء ، وامتناله وخضوعه لمقرراتهم^(١) .

بل وقد بلغ الأمر بأحد الحكام الأفارقة أن أصر على عدم مفارقة الشنقيطي لا في حل ولا ترحال ؛ إلى درجة أنه كان يحمله في سيارته الخاصة التي يقودها بنفسه إلى الأماكن المعدة للزيارة ، وقد ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطي حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخفي عنه حقيقة الحكم الجائر الذي كان يمارسه في بلاده^(٢) .

وأما هيئة الشنقيطي لدى طلاب العلم خاصة ، فضلاً عن غيرهم من الناس عامة ؛ فليس أدل على ذلك مما يسوقه تلميذه الشيخ عطية قائلًا : وإن تفصيل ذلك لمتروك لمن خالطه عن قرب ، وقد استعصى على المقال في ذلك ، ولكأني بقول القائل :

أهَابُكَ إِجْلَالًا ، وَمَا بِكَ سُلْطَةً عَلِيٌّ ، وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيْبُهَا^(٣)

* * *

وفي الجملة : فقد جمع الشنقيطي - إضافة إلى الصفات السابقة - بين كل من : الأدب والحياء ، والكرم والعطاء ، والدقة والنظام ، والروح الخفيفة والإحساس الجيَّاش ، مع حبه للرماية والصيد .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .

(٢) وكان ذلك ضمن بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برئاسة الشنقيطي إلى عشرة من الأقطار الأفريقية .

● انظر (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٦٠ (من المقدمة) .

والبيت المذكور من شعر (نُصَيْبِ بْنِ رَبَّاحٍ) وقد ورد بلفظ (وَمَا بِكَ قُدْرَةً) بدلاً من (وَمَا بِكَ سُلْطَةً) - انظر (شعر نُصَيْبِ بْنِ رَبَّاحٍ) : ص ٦٨ - جمع وتقديم : د. داود سلّوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

فضلاً عن عنايته بالتربية والسلوك لأولاده وطلابه ؛ الأمر الذى يقرر معه كل من تلميذه الشيخ عطية ، وابنه الدكتور عبد الله : أن ما استفاد من الشنقيطى فى جانب السلوك ، أكثر مما يؤخذ منه فى جانب العلم^(١) .

هذا بالإضافة إلى غير ما ذكرنا من أخلاقه الحسنة ، وسجاياه الكريمة ، والتي يستحق أن يُفردَ كلُّ خُلُقٍ منها بحديثٍ وحده ، غير أن هذا مما لا يحتمله المقام .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

المبحث الثالث صفاته العلميّة

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطلب الأول : بواكيره المبشّرة وأمارات نجابته .
- ٢- المطلب الثاني : استغراقه التام وتفرغه الكامل .
- ٣- المطلب الثالث : استقصاؤه وشموله وموسوعيته .
- ٤- المطلب الرابع : معاصرته وثقافته الحاضرة .
- ٥- المطلب الخامس : تورعه عن الفتيا ورجوعه للحقّ .

كان للشنقيطي من الصفات العلمية ما دَلَّ على ما صار إليه أمره فيما بعد كواحد من أبرز علماء عصره في بلاده وخارجها ، ونستطيع أن نرصد فيما يلي بعض هذه الصفات عبر مراحل عمره المختلفة طفلاً وشاباً وعالماً ، وذلك على سبيل الاستشهاد والتمثيل ؛ اكتفاءً به عن الحصر والتفصيل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بِوَاكِيْرَةِ الْمَبْشُرَةِ وَأَمَارَاتِ نَجَاتِهِ^(١)

بدا الشنقيطي متميزاً منذ الصغر بما ظهر عليه من علامات النجاة والذكاء ، وبما لوحظ عليه من بديهة حاضرة ، وهمة عالية ؛ الأمر الذي كان له أكبر الأثر وأعظمه في تفتق مواهبه العقلية ، وتفجير طاقاته الفكرية ، وقد تجلّى هذا واضحاً من خلال ما يلي :

● سرعة الحفظ والقدرة على القرآن^(٢)

فإلى جانب حفظ القرآن الكريم وإتقان رسمه وتجويده ، إلا أن الشنقيطي أظهر في ذات الوقت قدرة فائقة على حفظ العديد من متون العلوم ومختصرات الفنون كعلوم القرآن والفقه وعلوم العربية ، إلى جانب ما لا بد من معرفته في بلاده من سيرة النبي ﷺ وغزواته ، وكذا أنساب العرب وأيامهم .

ولم يكن حفظ هذه المتون واستيعاب تلك المختصرات بالشىء الهين ؛ خاصة المطولات منها ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : وبين مراجع هذه العلوم متون منظومة تبلغ المئات من الأبيات ؛ ومن هنا كان ما نلمسه في حديث الشيخ من تبحر ، يغنى عن الرجوع إلى مختلف الأسفار^(٣) .

(١) (بواكير جمع باكورة ، كطواحين جمع طاحونة) وباكورة كل شىء : أى أوله ، أو أول ما يدرك منه - انظر مادة (بَكَرَ) فى كل من : لسان العرب : ٣٣٣/١ - مختار الصحاح : ص ١٣٨ - المعجم الوسيط : ٦٩/١ .

والمقصود ببواكيره هنا : أى مواهبه الأولى التى بدت عليه ، ولمسها فيه أهله وذووه .

(٢) المقصود بالقرآن هنا أى الجمع بين أكثر من علم فى وقت واحد .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٢/١ .

ومن أمثلة هذه المتون : (نظم الغزوات) وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وكذا (نظم عمود النسب) وهو يُعدُّ بالآلاف ، وكلاهما من نظم أحمد البدوى المجلسى الشنقيطي ، مع شروحهما لابن أخته حماد المجلس الشنقيطي .

● راجع فى ذلك ص من هذا البحث .

وبالرغم من أن أفراد الفنون يُعدُّ أصلاً ثابتاً من أصول الدراسة في المحاضرة الشنقيطية ؛ حيث لا يجمع الشيخ على تلميذه أكثر من فن واحد في وقت واحد ؛ إلا أن شيوخ الشنقيطى كانوا يلزمونه دوماً بالقرآن بين كل فنين معاً ؛ لملاحظتهم قدرته الفائقة على الجمع بينهما في آن واحد ، وهذا ما يصوره لنا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قُدُماً ، حيث ألزمه بعض مشايخه بالقرآن ؛ فصار يُقرن بين كل فنين ؛ حرصاً على سرعة تحصيله ، وتفرياً له في القدرة على ذلك^(١) .

● علو الهمة والتفوق على الأقران :

ومن بواكير الشنقيطى المبشرة ، وأمارات نجاحته المبكرة ، ذلك الإقبال على طلب العلم وتحصيله بتلك الهمة العالية الملحوظة ، وهذا التفوق الملموس ، تلك الهمة التي يحدثنا عنها تلميذه الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : ومن ذلك ما حدثني رحمه الله قال : قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ، ولم يكن يعرفني من قبل ؛ فسأل عني من أكون ؟ وكان في ملأ من تلامذته ؛ فقلت له مرتجلاً :

هذا فتى من بنى جاكأن قد نزلأ به الصبأ ، عن لسان العرب قد عدلأ
رمت به هممةً عليساء نحوكم إذ شامُ برق علومِ نوره اشتعلأ
فجاء يرجو ركاماً من سحائبه تكسو لسان الفتى أزهاره حللأ
إذ ضاق ذرعاً بجهل النحو ، ثم أبى الأ يميز شكل العين من فعلا
قد أتى اليوم صبأً مولعاً كلفا ب (الحمد لله) لا أبغى به بدلا^(٢)

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك بقوله : فالشنقيطى يمدح الشيخ بالإشارة إلى ما اشتهر به من العلم ، ثم يفخر هو بنسبه وعلو همته ؛ ليعرض بعد ذلك حاجته إلى علم الصرف ، حاصراً مطلبه في لامية الأفعال المبدوءة ب : (الحمد لله)^(٣) .

وأما تفوق الشنقيطى وتميزه على أقرانه وأنداده منذ صغره وصباه ، فهذا ما يؤكد بنفسه من خلال ما يذكره عنه تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني ، وتفوقتُ فيه على الأقران)^(٤) .

وأيضاً ما يورده الشيخ عطية من سبب دفن شيخه لنظم له في أنساب العرب معروفٍ بـ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٠ / ١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٩ / ١ (من المقدمة) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٥ / ١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨ / ١ (من المقدمة) .

(خالص الجُمَان في ذكر أنساب بني عدنان) حيث يقول في ذلك ما نصه : وقد أَلَّفَهُ قَبْلَ البلوغ ، ثم دَفَنَهُ بَعْدَ البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران^(١) .

● الاجتهاد والإبداع :

وقد تجلّى هذا واضحاً فيما كان للشنقيطي من إبداع مبكر إزاء ما يدرسه من علوم مختلفة وفنون شتى ، حيث تمثل هذا الإبداع في الجانبين التاليين :

الجانب الأول : نظمه الخاص به :

ومن ذلك ما أنشأه من نظمه الطويل في أنساب العرب ، والذي أسماه : (خالص الجُمَان في أنساب بني عدنان) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشنقيطي قد أَلَّفَهُ قَبْلَ البلوغ ، ثم دَفَنَهُ بَعْدَ البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران ، وتجدر الإشارة إلى أن شيوخته قد لاموه على ذلك ، ثم قالوا له : كان من الممكن تحويل النية وتحسينها لإمكان الإفادة منه بوجهٍ أو بآخر^(٢) .

الجانب الثاني : زيادته على نظم غيره :

من ذلك ما زاده الشنقيطي على رجز (محمد بن بُوَجَه) المشهور عدنهم بـ (البحر) والذي يختص بضبط رسم المصحف وتلاوته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك^(٣) .

المطلب الثاني

استغراقه التام وتفرغه الكامل

كان لبواكير الشنقيطي المبشرة ، ومواهبه الأولى المبكرة ، أكبر الأثر وأعظمه في إلزام أهله ومشايخه له بالاستغراق التام في طلب العلم ، وتفرغه الكامل لتحصيله ، وقد تجلّى ذلك واضحاً من خلال ما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥١/١ (من المقدمة) .

(وَالجُمَانُ جَمْعُ جُمَانَةٍ) : وهو اللؤلؤ أو حَبٌّ من الفضة يشبه الدرّ ، وفي صفته عليه السلام : «يَتَحَدَّرُ مِنْهُ الْعَرَقُ مِثْلَ الْجُمَانِ» - انظر مادة (جَمَن) في كل من : لسان العرب : ٦٨٩/١ - مختار الصحاح : ص ١١٢ - المعجم الوسيط : ١٤٢/١ .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي) (باب) حديث الإفك - (طبع بيروت) - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ٣/١٦ - حديث رقم (٤١٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ (من المقدمة) .

(٣) راجع في ذلك ص من هذا البحث .

● صبره ومثابرته :

حيث كان يواصل البحث والمطالعة متحلياً في ذلك بصبر ملحوظ ومثابرة ملموسة ؛ إلى الحد الذي يجعله يصل أحياناً ليله بنهاره في سبيل إزالة بعض اللبس ، أو إيضاح بعض المشكل ، مما لم يتسع له شرح بعض مشايخه ، ولم يشبع نهمه ويرو ظمأه على ما تعود من ذلك في طلبه وتحصيله .

ومن ذلك ما حدث له عندما وصل إلى (كتاب النكاح في مختصر خليل) حيث قام من عند شيخه ولم يشف نفسه إزاء فهم بعض النصوص ، وعندئذ أخذ كتبه بعد انتهاء درس الشيخ ليتوفر على البحث والدرس من بعد الظهر في ذلك اليوم وحتى قبيل الظهر من اليوم التالي ؛ وقد زال اللبس ، وتم الفهم ، واستغنى بذلك عن درسه القادم .

وفى تلك الأثناء كان لا يقوم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام مستعيناً في ذلك بخادمه الذي يوقد له الضوء ويصنع له الشاهي الأخضر ليستروح به كلما أصابه شيء من الملل أو داخله بعض الإرهاق .

وهكذا كان الشنقيطي يقضى نهاره ، ويبيت ليله ، في طلب العلم مفكراً وباحثاً ، حتى يدلل صعبه ، ويوضح مشكله ، بل إنه يصف ذلك بنفسه قائلاً :

أَبَيْتُ مَفْكَراً فِيهَا ؛ فَتَضَحَى لِفَهْمِ الْفَدَمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ^(١)

بل إن صبره هذا ، ومثابرته تلك ؛ قد أفضيا إلى استغراقه التام وعزلته الملحوظة بالرغم من وجوده بين الناس ، فقد كان معهم وليس معهم ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان رحمه الله يدخل عليه في مجلس الاستقبال في البيت بعض الضيوف ، وقد يكونون كباراً من ذوى الشأن ؛ ومع ذلك لا يتنبه إليه الشيخ إلا إذا نَبَّهَتْهُ إليهم ؛ ولذا فقد كان بعض مَنْ لا يعرف الشيخ يقول : دخلنا على الشيخ ولم يُسَلِّمْ علينا !!

والحقيقة أنه لا يكون متنبهاً إليهم ؛ حيث يكون مشغولاً بتأليف (أضواء البيان) في

(١) راجع في ذلك كلاً من :

● أضواء البيان : الشنقيطي ٣١/١ (من المقدمة) .

● الدر الثمين في سيرة الشيخ الأين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

وقوله : (الفَدَم) أى ثقيل الفهم أو قليله - انظر مادة (فَدَم) في كل من : لسان العرب :

٣٣٩٥/٥ - مختار الصحاح : ص ٤٩٤ - المعجم الوسيط : ٧٠٢/٢ .

ذهنه ، فيجمع الآيات ويضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف بين العديد من المسائل المختلفة ؛ ومن ثم يكون مع الجماعة وليس معهم لانشغاله بالتأليف وهو بينهم^(١) .

● **أَخْرَقَ لَا يُحْسِنُ إِلَّا الْعِلْمَ^(٢) :**

نشأ الشنقيطي وله مَنْ يخدمه ويتولى أمره منذ صغره ونعومه أظافره ؛ ومن ثم لم ينشغل أو يشغل باله بأى عمل من أعمال الدنيا ، بل كان كل تفرغه لطلب العلم وتحصيله ، ويصف لنا الشيخ عطية أثر ذلك على شيخه بقوله : كان رحمه الله تعالى يقول عن نفسه : (إنى أَخْرَقَ لَا أَحْسِنُ صِنْعَةً) وفعلاً ما كان لو كَلَّفْتَهُ بأن يعمل أى شىء ، ولو أن يعقد حبلاً عقدة محكمة ، أو يحزم فراشه ، لما استطاع لذلك ولم يتعوده^(٣) .

بل إن الشيخ عطية يُشَبِّهُ حالة شيخه من حيث تفرغه للعلم وعدم إتقانه لِصِنْعَةٍ غيره ، بحالة الشافعى فى ذلك ، حيث يقول : وقد ذكرتى هذه الحالة أمر ذلك الرجل الذى نزل ضيفاً على الشافعى ، فلما كان الليل لاحظ هذا الضيف أن الشافعى بعد كل فترة من الليل ينادى خادمة عنده توقد له السراج ؛ فقال له الضيف : لقد أشغلت هذه الجارية !! لِمَ لَا تشعل أنت السَّرَاجَ لنفسك؟! فرد عليه الشافعى بقوله : إن معاناة السراج لتشغل قلبى ، وكان الشافعى يطلب إشعال السراج ليقيد شيئاً خطراً بباله فى نومه .

وأعتقد أن هذه الحالة من تفرغ الشافعى الكامل لطلب العلم ؛ قد هيأت له هذا التحصيل الكبير ، ولعل شيخنا الشنقيطي رحمة الله تعالى علينا وعليه كان من هذا القبيل^(٤) .

● **فَرُوضُ الْكِفَايَةِ فَرَضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ :**

كان لقدرة الشنقيطي على الحفظ والقِرْآن كمظهر من مظاهر بواكيره المبشرة ومواهبه المبكرة ، إلى جانب صبره ومثابرتة على طلب العلم وتحصيله ، السبب المباشر ، والدافع الأول ، إزاء إلزام شيوخه له بما لم يلزموا به غيره من أُنْدَادِهِ وَأَتْرَابِهِ ؛ إلى الحد الذى جعلوا فروض الكفاية على غيره فرض عين عليه .

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
(٢) الأَخْرَقُ : هو الجاهل بعمل الأشياء ، ولم يكن فى يَدَيْهِ صِنْعَةٌ يكتسب بها ، ويقال للرجل : أَخْرَقَ ، وللمرأة : خَرَقَاءَ - انظر مادة (خَرَقَ) فى كل من : لسان العرب : ١١٤٣/٢ - المعجم الوسيط : ٢٣٧/١ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

وفى ذلك يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول :
نفعى الله تعالى بشيخ لى كان يقول لى : يا فلان اعلم أن الفقهاء يقولون : والضرورى من
علوم الشرع أنه إذا كان هناك شخص ذكى ذكاءً خارقاً ؛ فإن فروض الكفاية تبقى فرض عين
عليه ، فاتق الله واعلم أن فروض الكفاية فرضٌ علين عليك .

وكان يعلمنى دائماً أبياتٍ من شعرِ محمد بن حنبل الشنقيطى^(١) يقول فيها :

لا تَسُوءَ بالعم ظناً يا فتى إنَّ سُوءَ الظنِّ بالعلم عَطْبُ
لا يُزهِدُكَ أذى فى العلم أن غَمَرَ الجَهالُ أربابَ الأدبِ
إنَّ ترَ العالمَ نضواً مُرملاً صَفَرَ كَفٌّ لم يُساعده سَبَبُ
وترى الجاهلَ قد حاز الغنى مُخَرَزَ المأمولِ من كُلِّ أَرَبِ
قد تجوعُ الأسدُ فى آجامها والذئبُ الغُبسُ تَعَمَّامُ القَتَبِ
جَرَعَ النفسَ على تحصيله مَضَضَ المرين : ذُلٌّ وَسَغَبِ
لا يَهَابُ الشُّوكُ قَطَّافُ الجَنَى وإِبَارَ النحلِ مُشْتَارُ الضَّرَبِ^(٢)

فقال : نفعى الله بهذا الشعر ، وبشيخى الذى كان يقول لى : إن فروض الكفاية
فرض عين عليك^(٣) .

● إيثارة العلم على الزواج :

شُغِلَ الشنقيطى بمتعة العلم عن متعة الأُنس بالزوجة ؛ مع شدة الحاجة إلى ذلك خاصة
فى سن الفتوة والشباب ؛ ولكنه الإيثارة الذى جعله يفضل العلم على كل ما عداه ،
حتى لو اقتضته الضرورة ، ودعا إليه ميسر الاحتياج ، كما سيأتى بيانه فى موضعه من
البحث .

(١) ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البُوحَسَنِى) وهو من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو
والشعر وغيرهما - راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) استهل الشاعر قصيدته هذه بمطلعها الذى يقول فيه :
أَضْرَمَ الهَمَّ سَحِيرًا فَالتَهَبُ لَمَعَ بَرَقَ بَرِيَّاتِ الذَّهَبِ
وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين
الشنقيطى ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثالث

استقصاؤه وشموله وموسوعيته

درج الشنقيطى منذ صغره على نوع خاص من مناهج طلب العلم وتحصيله ، ذلك المنهج الذى يتسم بالتؤدة الواضحة ، والتركيز الملحوظ ؛ بحيث لا ينتقل الطالب إلى مسألة جديدة فى هذا العلم أو ذاك إلا إذا أتقن المسألة التى قبلها إتقاناً تاماً ، واستوعبها استيعاباً كاملاً ؛ وهذا ما غرس فى الشنقيطى ذلك النوع من الاستقصاء والشمول والموسوعية ، والذى بدت ملامحه واضحة من خلال ما يلي :

● الدراسة الجردية^(١) :

وهى تلك الدراسة التى تعتمد على إتقان وتفصيل المسألة الواحدة فى الباب الواحد فى الفن الواحد ؛ وبما يشبه أن يكون تنبعاً تفصيلاً لهذه المسألة أو تلك ، وإلى الحد الذى لا يتجاوز معه الطالب الذكى سطرين اثنين من متون بعض العلوم ، فلا يتجاوزهما إلى غيرهما حتى يتقنهما إتقاناً تاماً ، ودون النظر فى ذلك إلى عامل الوقت أو السرعة إزاء إتمامها وإتقانها ؛ لأن الدراسة ترتبط بالكتب لا بالسين^(٢) .

● قراءة المطولات :

كان الشنقيطى يعمد دائماً إلى قراءة الكتب المطولة فى شتى فنون العلم وفروعه ، مبتعداً بذلك عن المختصرات المفردة أو المجموعة ، وعن هذا يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلًا : كان الوالد رحمه الله تعالى لا يقرأ المختصرات ، وإنما قراءته كلها كانت فى المطولات مثل : فتح البارى لابن حجر أو شرح العيني أو البداية والنهاية لابن كثير أو المغنى لابن قدامة أو المبسوط للسرخسى أو تفسير الطبرى وغيرها من كتب العلوم المطولة^(٣) .

(١) الجردية : تعنى بلسان الشناقطة (التبعية والتفصيل) بما يتأدى عنهما (الاتقان التام) و (الاستيعاب الكامل) - راجع فى ذلك (ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المرثانية) : يحيى بن البراء ص ١٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كل من :

● الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

● أضواء البيان : الشنقيطى ٢٥/١ - ٢٧ (من المقدمة) .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● التبحر والإتقان :

وانطلاقاً من موسوعية الشنقيطي في طلب العلم وتحصيله نجده في مرحلة الطلب يتبحر في مسائل كل باب يتناوله من أبواب العلوم المختلفة ، جامعاً لذلك شتى المراجع ، ومحيطاً بأدق التفاصيل ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله بقوله : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : كنت في أيام الطلب لا أقرأ الفنون فناً بعد فن ، وإنما كنت أخذ باباً من الفن وأجمع له كل المراجع ، ثم أعكف عليه شهراً أو شهرين حتى أقرأ كل ما يحيط بهذا الباب ، ثم أستريح أسبوعاً أو أسبوعين ، ثم أعود لباب آخر .

فمثلاً كان يأخذ كتاب (القياس) ويجمع كل ما حوله من كتب الأصول فيقرأها تماماً ، ثم يحفظ المتون والشروح والحواشي ؛ وعندئذ ينتقل إلى باب (الاجتهاد) ثم باب (الإجماع) وهكذا^(١) .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطي إذا تكلم في أمر لا يتركه حتى يُفصِّله تفصيلاً بما لا يدع معه زيادة لمستزيد ؛ بل يبدو كأنه إمام في هذا الأمر دون غيره من الأمور ؛ وذلك لفرط إتقانه وعمق تبحره في مختلف فنون العلم وفروعه ؛ الأمر الذي حدا بابنه الدكتور عبد الله إلى تشبيهه بالطبري الذي يراه إماماً في كل العلوم ، وذلك بقوله : كان الوالد رحمه الله عليه إذا تكلم ظهر علمه في مختلف الفنون كالفقه والمنطق والنحو والبلاغة والتاريخ والسيرة ؛ وهو في ذلك مثل ابن جرير الطبري الذي كان عالماً في كل العلوم ؛ ولهذا يقول الحافظ ابن حجر : (سَلِمَ لابن جرير مَالَمَ يَسْلَمَ لغيره) لأن كل مفسر يظهر فيه التخصص ، أما ابن جرير فقد كان متخصصاً في كل العلوم ، والوالد رحمه الله تعالى كان كذلك^(٢) .

المطلب الرابع

مُعَاصِرَتُهُ وَتَفَاقُتُهُ الْحَاضِرَةَ

كان الشنقيطي من أولئك النفر من العلماء الذين يهتمون بمجريات الأحداث في أيامهم ، ويدلون بأرائهم في مستجدات الأمور من حولهم ؛ وليس أدل على ذلك من مناقشته مختلف القضايا الراهنة التي يكثر حولها الجدل ، وتختلف بشأنها الآراء ؛ الأمر الذي تجلّت معه معاصرته وإحاطته بتلك القضايا بصورة واضحة من خلال مايلي :

(١) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

(٢) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

● مناقشة القضايا الراهنة :

وذلك من خلال تعرضه لتفسير الآيات التي يتناول تحتها تلك القضايا ، ومن أمثلتها :

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(١) حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا تعدد الزوجات ، وكون الطلاق بيد الرجل ، وكون ميراث الرجل أكثر من ميراث المرأة ، وقضية الرقيق وجواز رقهم من عدمه إلخ .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية^(٢) حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضية الاجتهاد والتقليد وموقف الأمة منها .

وقوله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الآية^(٣) حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية مسألة القياس والرد على منكريه .

وقوله تعالى : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية^(٤) حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا البيوع والإيجارات والشركات ، وسائر ما يتعلق بذلك من مسائل ومشكلات .

● الاهتمام بواقع المسلمين :

كان الشنقيطي واسع الإهتمام بواقع الأمة الإسلامية على مستوى حكامها وشعوبها على حد سواء ، حتى إن ابنه الدكتور عبد الله يُحدِّثُ عنه في ذلك قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يُحدِّثُ من حكام بعض الدول الإسلامية الذين فسدت عقيدتهم، ومنبهاً إلى مدى ضررهم الذي يلحق شعوبهم من جراء شرورهم التي تنذر بخراب ديارهم، وإفساد حياتهم^(٥) .

● متابعة الأحداث العالمية :

ولم يقتصر اهتمام الشنقيطي على الدول الإسلامية فحسب ؛ بل تعداه إلى متابعة الأحداث العالمية ، ومواكبة الصراعات الدولية التي تنشأ هنا أو هناك ، وإلى هذا يشير أيضاً ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحدثني وأنا لازلت صغيراً في المتوسط^(٦) بكلام رأيت كتباً صدرت به فيما بعد ، ومن أمثلتها كتاب (لعبة الأمم) الذي طالعت فيه جملة الكلام الذي حدثني عنه الوالد رحمه الله تعالى من قبل^(٧) .

(٢) محمد ﷺ : ٢٤ .

(٤) الكهف : ١٩ .

(١) الإسراء : ٩ .

(٣) الأنبياء : ٧٩ .

(٥) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة بتصرف) .

(٦) والمتوسط يعادل في مصر المرحلة الإعدادية من التعليم الأساسي .

(٧) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) . .

المطلب الخامس

تورعه عن الفتيا ورجوعه للحق

كان الشنقيطي من أولئك النفر من العلماء الذين يتورعون عن الفتوى ويتأون بأنفسهم عنها ؛ وليس ذلك إلا على سبيل التواضع الذي ألفوا تربية أنفسهم عليه ، وهذا سمّت العلماء المعتبرين من سلف هذه الأمة ، والذين أثرت عنهم أقوالهم العديدة في التنبيه على التورع عن الفتوى ، وتحذيرهم من خطر الإقدام عليها في غير ما ضرورة ، ومن ذلك قولهم : (جنة العالم : لا أدري ؛ فإذا أغفلها أصيبت مقاتله)^(١) وقولهم : (ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول : لا أدري ؛ حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدري)^(٢) وأخيراً : فقد صحّ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : (لا أدري نصف العلم)^(٣) .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

• الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبي حنيفة ومالك والشافعي رضي الله عنهم) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم : للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البرّ النمرى القرطبيّ ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - ص ٣٧ - عن نسخة (دار الكتب المصرية) مع إتمامها ومقابلة بعضها (بنسخة كوبريلي محمد باشا بالآستانة) - عني بنشره : حسام الدين القدسي - مكتبة القدسي - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠ م .

• سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - ٦٩/٨ - أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط - وحقق هذا الجزء : نذير حمدان - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

و (الجنة) : هي السترة والوقاية ، بل وكل ما وقى من سلاح وغيره ، وهي مأخوذة من قولهم : (جنّ جنّاً) أى استتر ، والجمع : (جنّ) - انظر مادة (جنّ) في المعجم الوسيط : ١٤٦/١ .

وعليه فقوله هنا : (جنة العالم) أى وقايته وحمايته التى تنأى به عن مزالق الخطر ، وتكفيه

شر الوقوع فى الفتيا بغير ضرورة ؛ وذلك بإلزام نفسه قول : (لا أدري) وتدريبها عليه .

(٢) الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب : لابن فرحون المالكي ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧ م) -

١١٢/١ - تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدي أبى النور - دار التراث للطبع والنشر - القاهرة -

(د.ت) .

(٣) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : للحافظ أبى عمر بن عبد البرّ ص ٣٨ .

ويلاحظ أنه على الرغم مما اشتهر عن الإمام مالك من قوله (من قال لا أدري فقد أفتى) أو :

(من قال لا أدري فقد أتى بنصف الإجابة) إلا أن ابن عبد البرّ لم يورده فى فضائل الإمام مالك من

خلال مصنفه المذكور الذى قصره على فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعي)

متعقباً إياها فى مظانها المختلفة ، كما أننا لم نقف بدورنا على هذا القول المشهور عن مالك فيما توفر

تحت أيدينا من مصادر .

ومن ثم ؛ لم يكن شيء أسهل على الشنقيطي من قول : (لا أدري) كما أنه لم يكن ليتكلم في شيء إلا إذا سُئِلَ عنه ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان يجلس في مجلسه رحمه الله تعالى كل مَنْ شاء ، وكان يتأدب مع كل الناس ، غير أنه لا يتكلم إلا إذا سُئِلَ أو تكلم أحد أمامه بالخطأ كما كنت أتعلم ذلك أحياناً في بعض المسائل لأعرف رأيه فيها ؛ وعندئذ يجيب رحمه الله تعالى بالواقع كيفما اتفق حتى لو كان فيه تجريح للسائل ؛ لأنه مادام قد سأله فلا بد أن يُبين له الحق ، أما إذا سُئِلَ وكان لا يعرف فإنه يقول : لا أعرف ، وما رأيت أحداً أسهل عليه : (لا أدري) منه رحمه الله تعالى .

وفي التحذير من خطر الكلام بدون علم كان يقول لي دائماً : يا ولدي :

إذا ما قتلتَ الشيءَ علماً فقلْ به ولا تقل الشيءَ الذي أنتَ جاهلُهُ
فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَّصِراً ويكره (لا أدري) أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(١)

كما يضيف الشيخ عطية عن تورع شيخه عن الفتوى إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك فيقول : ومما لوحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده رحمه الله تعالى عن الفتيا ، وإذا اضطر إليها كان يقول : لا أتحمّل في ذمتي شيئاً ، ولكن العلماء يقولون : كذا وكذا ؛ وقد سألته ذات مرة عن ذلك فقال : إن الإنسان في عافية مالم يكن مصاباً بابتلاء السؤال ؛ لأنك تقول عن الله تعالى ، ولا تدري أتصيب حكم الله تعالى أم لا ؟! فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التحفظ فيه^(٢) .

غير أن الشنقيطي بالرغم من صلابته في بيان الحق ، مع قوة حجته وصدق لهجته في ذلك كما سيأتي بيانه في مواضعه من البحث ؛ إلا أنه كان رجاعاً للحق ، بل وسهلاً ليناً في الأخذ به متى ظهر له ؛ وهو في ذلك يصدر عن حديث رسول الله ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها» الحديث^(٣) .

ومن المواقف التي تحسب للشنقيطي إزاء رجوعه إلى ما ظهر له من الحق ، نذكر ما قرره بشأن كل من :

(١) وفي رواية : (أن يُرى متقولاً) - راجع ذلك بتصرف في (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

وهكذا يرى الشنقيطي أن حب الصداقة ، والتعرض للافتاء بدون علم ، إنما هو موت محقق لصاحبه ، وكأنه وجّه بيده سهاماً نافذة إلى صدره فأصاب مواقع القتل منه .
(٢) أضواء البيان : الضنقيطي ٦٣/١ (من المقدمة) .

(٣) أخرجه الترمذى في سننه (كتاب) العلم (باب) ما جاء في فضل الفقه على العبادة - (طبع بيروت) - كما أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب) الزهد (باب) الحكمة - (طبع بيروت) .

• الأشهر الحُرْم :

حيث كان يقول بنسخها ثم عدلَ عن ذلك إلى القول بإحكامها ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : في آخر دروس الشيخ في الحرم النبوي في رمضان الماضي^(١) في سورة (براءة) حيث أعلن عن رجوعه عن القول في الأشهر الحرم بأنها منسوخة^(٢) وقال : الذي يظهر لي أنها محكمة ليست منسوخة ، وكنا نقول بنسخها في (دفع إيهام الاضطراب)^(٣) ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة ، وهو الحق الذي ينبغي اعتماده والتعويل عليه^(٤) .

• زكاة الحلي :

يحدثنا الشيخ عطية أيضاً عن رجوع شيخه عما كان قد رآه بشأن زكاة الحلي للنساء فيقول ما نصه : ومما وقع لي معه رحمه الله تعالى وأكبرته فيه تواضعه وإنصافه فيما سمعت منه في مبحث زكاة الحلي في (أضواء البيان) عند سرد الأدلة ومناقشتها أن من أدلة الموجبين حديث المرأة اليمنية ومعها ابتها وفي يدها مسكتان غليظتان من ذهب^(٥) فسألها رسول الله ﷺ : «أتؤدين زكاة هذا ؟ فقالت : لا ؛ فقال : هما حسبك من النار ؛ فخلعتهما وألقت بهما» الحديث^(٦) .

وأجاب المانعون : بأن هذا كان قبل إباحة الذهب للنساء ، فتساءلت مستوضحاً منه رحمه الله تعالى : وماذا يسمى هذا منه ﷺ : سكوته عن لبسه وهو مُحَرَّم ، وسؤاله عن

(١) ويقصد به شهر رمضان المعظم من عام وفاة الشنقيطي في (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث .

(٢) وعددها أربعة أشهر ، منها ثلاثة سُرد متتابعة هي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر قَرْد هو : رجب ، وقد حَرَّمَ الله تعالى فيها القتال بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ براءة أو التوبة : ٣٦ .

(٣) وتما اسمه : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) وهو أحد مؤلفات الشنقيطي كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨/١ (من المقدمة) .

(٥) مسكتان أي سواران ، المفرد مسكة والجمع مسك : وهي الأسورة أو الخلاخل من الذئبل أو القرون أو العاج أو الذهب أو الفضة أو نحو ذلك مما يجعله المرأة في يديها أو رجليها - انظر مادة (مسك) في كل من لسان العرب : ٤٢٠٢/٥ - المعجم الوسيط : ٩٠٤/٢ .

(٦) أخرجه النسائي في سننه (كتاب الزكاة (باب) زكاة الحلي - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الزكاة (باب) الكثر ما هو ؟ وزكاة الحلي - - (طبع بيروت) .

زكاته؟! فقال : عجباً!! إن هذا يتضمن وجود اللبس عند السؤال ، بل ويدل على إباحته آنذاك ؛ لأنه عليه السلام لا يُقَرُّ أحداً على مُحَرَّمٍ ، ولا يتأتى أن يسكت عن لبسها إياه وهو ممنوع ، وفي ذات الوقت يهتم لزكاته ، ولو أعيد طبع الكتاب لَتَبَّهْتُ عليه رغم أن جميع المراجع لم تلتفت إليه^(١) .

ويعقب الشيخ عطية على كلام شيخه بقوله : والشيخ رحمه الله تعالى يلحن طلبه العلم بهذا درساً في موقفه من الحق ، ولكأنى بكلام عمر رضي الله عنه في كتابه لأبي موسى رحمه الله تعالى : (لا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ ، ثم راجعت فيه نفسك وظهر لك الحق ؛ أن تأخذ به ، فالحق أحق أن يتَّبَعَ) وقد رأينا من قبل للشافعي القديم والجديد ، وهذا ما تقتضيه أمانة العلم وإنصاف العلماء^(٢) .

* * *

وفي الجملة : فقد جمع الشنقيطي - إضافة إلى الصفات السابقة بين كل من : التمكن والاعتدال من حيث حفظه واستحضاره لآيات القرآن الكريم ، وكذا امتلاكه ناصية اللغة والشعر على الرغم من بغضه نسبة الشعر إليه ، وأخيراً حبه وإنصافه غيره من العلماء من لدن سلف هذه الأمة إلى معاصريه منهم .

غير أن أخص ما يميز الشنقيطي هو عمق فكره ، وغزارة علمه ؛ الأمر الذي لم تتسع له مؤلفاته على ما فيها من موسوعية ظاهرة ، واستقصاء ملحوظ ؛ وهذا ما يشهد به غير واحد من علماء عصره الذين يقررون أن علمه أغزر مما في كتبه كما سيأتي بيان ذلك في موضعه من البحث .

وهكذا يفضى الإمام بصفات الشنقيطي الخلقية والخلقية والعلمية إلى تحديد معالم شخصيته ؛ واستحضار هيئته وصورته ؛ والذي يعين بدوره على فهم وتحليل إنتاجه الفكري ، بل واستجلاء أصول منهجه العلمي ؛ وتلكم ضرورة يقتضيها فضول البحث ، وتحتمها منهجيته ؛ وهو الأمر الذي ينبغي أن يتم الاتفاق على أهميته وعدم الاستهانة به أو إغفاله ، إزاء تناول العلماء بالترجمة لهم ، أو الحديث عنهم .

وهذا ما فعله الدكتور أحمد الحوفي في معرض ترجمته لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري حيث يَنْصُ على ذلك قائلاً : ورسمت صورة لشخصيته من صفاته الجسمية والخلقية والعقلية ، بالقدر الذي استطعت أن أعثر على ألوانه في المصادر التي أرخَّت له ، بل نراه

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٩/١ (من المقدمة) .

القسم الأول : (الباب الأول : حياته الشخصية) _____ الفصل الرابع : صفاته الخلقية والخلقية والعلمية

يخصص لذلك الفصل الرابع كاملاً تحت عنوان (معالم شخصيته) والذي ضمَّه عناصر شخصية الطبرى بما له من صفات جسدية وخلقية ونفسية وعقلية ، ثم يختم ذلك بذكر أثر هذه الشخصية على علم الطبرى ومنهجه الفكرى^(١) .

وليس أدل على أهمية ذكر تلك الصفات من الاستئناس لذلك مع الفارق بجملته الأحاديث والآثار التى وردت فى وصفه ﷺ (٢) فمع كثرة هذه الأحاديث ، وتعدد تلك الآثار ؛ إلا أنه لا يُخْتَلَفُ على أهميتها ، بل وضرورة تناولها بالدراسة والبحث .

(١) انظر كتاب (الطبرى) : د. أحمد الحوفى ص ٥ (من المقدمة) - ثم ص (٤٢ - ٨٢) - (الفصل الرابع : معالم شخصيته) - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣ م .

(٢) انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - (٤٩/١٤ - ٦٧) - (باب) صفة النبى ﷺ - (الأحاديث والآثار من رقم ٣٥٤٢ إلى رقم ٣٥٦٨) مراجعة كل من : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

الفصل الخامس زواجه وأولاده

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١- المبحث الأول : زواجه .
- ٢- المبحث الثاني : أولاده .

المطلب الأول

مرحلة ما قبل الزواج

آثر الشنقيطي متعة العلم على متعة الأنس بالزوجة ؛ على الرغم من شدة احتياجه إليه في فتوته وشبابه ، غير أن تفرغه الكامل واشتغراقه التام للطلب العلم وتحصيله صار هدفاً سامياً يحتل من نفسه موقع الصدارة من حيث اهتمامه له ، وانشغاله به .

بل دفع به هذا الهدف إلى تفضيل العلم على كل ما عداه من الرغبات المشروعة ، والمتطلبات المباحة ، التي يرغب فيها المرء ، وتميل إليها النفس ؛ حتى لو اقتضتها الضرورة ، ودعا إليها ميسر الاحتياج ، ومنها بل وأهمها الزواج بلا خلاف .

ومع ذلك ؛ لم يتردد الشنقيطي لحظة ولا أقل من ذلك في الرد على بعض أقرانه الذين فاتحوه في أمر الزواج أثناء مرحلة التحصيل والطلب ، حيث أجابهم على الفور بإيثاره العلم وانشغاله بأبكار فنونه العذارى ، عن زواجه بالفاتنات الأبيكار العذارى .

ونترك المقام هنا للشنقيطي ليحدثنا بنفسه عن مرحلة ما قبل زواجه قائلاً : كنت في أخريات زمني في الاشتغال بطلب العلم دائم الاشتغال به عن التزويج ؛ لأنه ربما عاق عنه ، وكان إذ ذاك بعض البنات ممن يصلح لمثلي يرغب في زواجي ويطمع فيه ؛ فلما طال اشتغالي بطلب العلم عن ذلك المنوال ؛ أيست مني فتزوجت ببعض الأغنياء ، فقال لى بعض الأصدقاء : إن لم تتزوج الآن من تصلح لك ؛ تزوجت عنك ذوات الحسب والجمال ، ولم تجد من تصلح لمثلك ، يريد أن يعجلني عن طلب العلم ؛ فقلت في ذلك هذه الآيات :

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النِّكَاحِ	غَدَاةً تَزُوجْتُ بَيْضَ الْمَلَّاحِ
فَقَالَوَالِي : تَزُوجْ ذَاتَ دَلٍّ	خَلُوبَ اللَّحْظِ ، جَائِلَةَ الْوَشَّاحِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : دَعُونِي ؛ إِنَّ قَلْبِي	مِنَ الْغَيِّ الصُّرَّاحِ الْيَوْمَ صَّاحِي
وَلِي سُفْلٌ بِأَبْكَارِ عَذَارَى	كَأَنَّ وَجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَّاحِ
أَيُّتُ مَفْكَرًا فِيهَا فَتَضْحَى	لِقَهْمِ الْقَدَمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبْحَتْ حَرِيمَهَا جَبْرًا عَلَيْهَا	وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحِ ^(١)

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٨ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وتقام هذه الآيات أحد عشر بيتاً اخترنا منها ما أثبتناه من باب دلالة البعض على الكل ، كما وردت هذه الآيات بتمامها في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣١/١ - ٣٢ (من المقدمة) .

ويعقب تلميذه الشيخ عطية على ذلك بقوله : نعم ، إنه كان يبسط في طلب العلم مفكراً وباحثاً ؛ حتى يذلل الصعاب ، وقد طابق القول العمل^(١) .

كما يردف الشيخ المجذوب ذلك بقوله : فقد كان مشغولاً بمتعة العلم عن الأنس بالزوجة ؛ حتى ليصرفه التفكير بالمعاني الغوامض عن حاجة نفسه التي هي أشد ما تكون فتتحاً إلى ذلك الأنس^(٢) .

المطلب الثاني

مرحلة الزواج

ظل الشنقيطي يؤثر العلم على الزواج إلى أن تم له النصاب الذي أهله للدرس والفتيا والقضاء كواحد من أبرز العلماء في بلاده ؛ وعندئذ جمع العزم على الزواج ، وعقد النية عليه ؛ وما أحرى عالماً كالشنقيطي بالامتثال لأمر الله تعالى ، واتباع سنة رسوله ﷺ ، بشأن الترغيب في النكاح والحث عليه^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣١/١ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٥/١ .

(٣) ومن آيات القرآن المرغبة في ذلك قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم : ٢١ .
ومن أحاديث السنة المرغبة في النكاح ، الحائثة على الذرية الصالحة تذكر مايلي :

• عن أنس رضي عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها ؛ فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ؛ فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا ، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» .

أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب النكاح (باب) الترغيب في النكاح - واللفظ له - (طبع بيروت) - وانظر كذلك فتح الباري بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلاني (كتاب) النكاح (باب) الترغيب في النكاح - ١٢٥/١٩ - حديث رقم (٥٠٦٣) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) النكاح (باب) استحباب النكاح - (طبع بيروت) .

• ومن ذلك أيضاً قول رسول الله ﷺ : «لم ترَ للمتحابين مثل النكاح» - أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء في فضل النكاح - (طبع بيروت) .

• وأخيراً ما رواه معقل بن يسار رضي عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إنني أصبت امرأة ذات حَسَبٍ وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال : «لا» ثم أتاه الثانية : «فنهاه» ثم أتاه الثالثة فقال : «تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم الأمم» - أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) النكاح (باب) النهي عن تزويج مَنْ لم يلد من النساء - (طبع بيروت) - كما أخرجه النسائي في سننه (كتاب) النكاح (باب) كراهية تزويج العقيم - (طبع بيروت) .

ومن ثم ؛ تزوج الشنقيطى الأولى ، وهى أم أولاده وقد توفيت عنه ، ثم تزوج الثانية ولم ينجب منها وتوفيت عنه كذلك ، فتزوج الثالثة غير أنه فارقها ولم ينجب منها أيضاً ، ثم كان أن تزوج الرابعة والأخيرة وقد تُوفِّيَ هو عنها ولم ينجب منها كذلك^(١) .
وأما حُسنُ معاشرته ، وطيبُ معاملته لزوجاته ، فهذا ما يحدثنا عنه ابنه الدكتور عبد الله قاتلا : لازالت زوجته الأخير تبكى إلى الآن كلما ذكَّرتُه ، وكان يعاملها كأنها ضيف فى البيت ، ويقول : هذه ضيفة ؛ كلمة تخرجها من البيت^(٢) .

● ملاحظات حول زواجه :

- ١- تأخر زواج الشنقيطى خلافاً لأنداده وأترابه الذين يتم تزويجهم فى سن مبكرة على عاداتهم فى بلادهم ؛ وذلك لإيثاره العلم ، وانشغاله بتحصيله كما سلف بيانه .
- ٢- بالرغم من أنه تزوج أربع نسوة ؛ إلا أنهن كُنَّ من الشيبات جميعاً ؛ ومن ثم لم يتزوج بكرةً قط فى حياته^(٣) .
- ٣- لم ينجب الشنقيطى سوى من زوجته الأولى أم أولاده ، والتي توفيت عنه فى بلاده .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ (بتصرف) .

(٢) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٧ .

(٣) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ .

المبحث الثاني

أولاده

ويتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : البنت الكبرى .
- ٢- المطالب الثاني : الولد الأول .
- ٣- المطالب الثالث : الولد الثاني .

المطلب الأول البنات الكبرى

وهي البكر ؛ حيث كانت أول ما رزقَ به الشنقيطي من الذرية ، ولا تزال مقيمة ببلادها شنقيط ، غير أننا لا نعلم من خبرها سوى ما ذكرنا ، وإلى هذا يشير شيخ عطية تلميذ أبيها بقوله : والواقع أن له ثلاثة من الأولاد ، بنتاً وولدين ، أما البنت وهي الكبرى : فهي في البلاد موريتانيا^(١) .

المطلب الثاني الوليد الأول

الدكتور محمد مختار ، واسمه كاسم جدّه لأبيه ، ويعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الأصول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية ما يلي :

- ١- مقابلة ومراجعة كتاب والده الشنقيطي المسمى : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) حيث جاءت في نهايته ما نصه : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليها^(٢) في ٢٥ من رجب عام ١٣٩٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي^(٣) .
- ٢- تحقيق ودراسة أحد مؤلفات أصول المالكية والمسمى : (مرآقي السعود إلى مرآقي السعود) لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني الشنقيطي^(٤) .

(١) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) والضمير يعود هنا على رحلة والده الشنقيطي في حجه إلى بيت الله الحرام .

(٣) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطي ص ٢٨٤ (نهاية الكتاب) - وهذا التاريخ يوافق ٢٠ من يونيو عام ١٩٧٩ م .

(٤) وقد نال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة في رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١ م .

• انظر النشرة الإخبارية الصادرة عن وحدة المعلومات التابعة للندوة العالمية للأنشطة العلمية الإسلامية - العدد (٥) - دار البحوث العلمية - الكويت - جماد الأول ١٤٠٢ هـ = مارس ١٩٨٢ م .

• ويلاحظ أن هذا الكتاب قد ورد باسم : (مراقي الصُّعود إلى مراقي السعود) على لسان أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في كتابه المسمى : (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) ص ١٦ .

والدكتور محمد المختار لا يزال يقيم حتى الآن مع أولاده في بيت والده الشنقيطي بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم^(١) .

المطلب الثالث الولد الثاني

الدكتور عبد الله ، العميد السابق ، وأستاذ ورئيس قسم التفسير الحالى بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية نذكر : تحقيق ودراسة كتاب : (الواضح فى التفسير) للدينورى^(٢) إلى غير ذلك من الدراسات النافعة حول كتاب الله تعالى .

والدكتور عبد الله يقيم مع أولاده فى دار واسعة المرافق فى ضواحي المدينة المنورة^(٣) .

* * *

وهكذا أثمر زواج الشنقيطي ولدين من أهل العلم ورجالاته ؛ حيث سارا على دربه ، ولا يزالان يكملان المسيرة بعده ، فى نشر العلم وتدرسه ، عبر الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء ، بالإضافة إلى نشاطهما المكثف فى الدعوة إلى ضرورة التمسك بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ واتباع منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ امثالاً منهما لقول الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية^(٤) .

وقد لاقت دعوتهما الاستحسان والقبول ، سواء بين أعضاء الجالية الموريتانية فى مكة

(١) وهو بيت متواضع مبنى من الطوب اللبن يُعرفُ هناك بـ (البيت الشعبى) ويشبه إلى حد كبير بيوت الريف المصرى المبنية من الطين ، ويحمل هذا البيت رقم (٣) بحارة الأشراف بساب الكومة ، وقد زرت هذا البيت المكوّن من طابقين وفناء واسع ، حيث جعل الطابق الثانى لأهل البيت مع المكتبة التى هى مكتبة الشنقيطي ذاته ، فى حين جعل الطابق الأول مع الفناء لطلاب العلم وكذا الأضياف من الشناقطة وغيرهم ، وما أكثرهم كما هى حالهم فى حياة الشنقيطي .

(٢) وقد نال به درجة الدكتوراه من قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

● انظر (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٦ .

(٣) وقد زرت هذا البيت الذى يضم مكتبة طيبة ، ومجلساً رحباً عامراً بحلقات النقاش والبحث ، فيما يتعلق بأحوال المسلمين وواقعهم المعاصر فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

(٤) النحل : ١٢٥ .

المكرمة والمدينة المنورة ، أو فى موريتانيا نفسها من خلال بعثات الدعوة التى توفدها الجامعة الإسلامية فى صيف كل عام إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى^(١) وليس ذلك إلا لتواضعهما وكرم نفسيهما ، وأدبهما وطيب معدنهما ، إلى آخر ما يتمتعان به من جملة الأخلاق الحسنة ، والسجايا الكريمة ، التى ورثاها عن والدهما الشنقيطى ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية^(٢) .

(١) راجع فى ذلك (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٧ .

(٢) آل عمران : ٣٤ .

الفصل السادس

وفاته ورثاؤه وحسنُ خازمته

ويُنظّم المباحث الثلاثة التالية :

- ١- المبحث الأول : وفاته .
- ٢- المبحث الثاني : رثاؤه .
- ٣- المبحث الثالث : حسنُ خاتمته .

المبحث الأول

وفاته

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١- المطلب الأول : حَجُّ الأَخْـمِير .
- ٢- المطلب الثاني : مرضه الذي تُوَفِّي فيه .
- ٣- المطلب الثالث : الشنقيطى يُسَلِّم الرُّوحَ لخالقه .
- ٤- المطلب الرابع : غُسُّه والصلاة عليه ودفنه .
- ٥- المطلب الخامس : صلاة الغائب على الشنقيطى .

بعد عُمرٍ حافلٍ بالعطاء ، وحياةٍ زاخرةٍ بالإيثار ، يلقي الشنقيطيُّ عصارَ التسيار ؛ فَيُسَلِّمُ رُوحَه ، ويقضى نَجَبَه ، عما يناهز ثمانية وستين عاماً ، قضى منها ما يقرب من اثنين وأربعين عاماً في بلاده شنقيط ، ثم أمَّها بستة وعشرين عاماً في بلاد الحجاز حيث وفاته بها^(١) .

وقد سبقتُ وفاةَ الشنقيطيِّ إرهاصاتٌ مبدئيةٌ كَوَّنتُ لديه إحساساً عاماً يُؤدِّنُ بالنهاية ويَدُلُّ عليها ، وذلك بَدءً مِنْ حَجَّه الأخير ، وانتهاءً بمرضه الذي توفي فيه ، وهذا ما نعرضه له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

حَجَّه الأخير

على الرغم من سوء صحته الشنقيطي في أخريات أيامه ، إلا أنه أصرَّ على الحج في السنة التي توفي فيها ؛ خاصة وأنه أراد أن يكفر به عن سفره للعلاج بلندن التي كان قد رجع لتوه منها ، ولما راجعه تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي في ترك الحج في تلك السنة نظراً لسوء صحته ؛ كان أن ردَّ عليه قائلاً ما نصه : دَعْ عنك المحاولة إن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لا بد أن أكفر عنه بحج^(٢) .

وبالفعل فقد أنفذ الشنقيطي عزمه على حجه من سنته تلك ، حيث خرج من المدينة المنورة قاصداً البلد الحرام بمكة المكرمة مفرداً مليئاً كعادته في نسكه كل عام ، حتى إذا كان السعى للحج ؛ هاجمته بواكير الألم ، وهذا الذي يحدثنا عنه تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطي قائلاً : لما جاء الشيخ رحمه الله للسعى يوم الحج الأكبر ، سعى شوطاً واحداً على قدميه ، ثم أُخِذَتْ له العربة ؛ غير أنه كان قد حصل له ضيق في التنفس من ذلك الشوط الذي طافه على قدميه^(٣) .

ومع ذلك ؛ فقد أتم الشنقيطي مناسك ذلك الحج كاملة ، حتى جاء اليوم الخامس عشر من ذى الحجة بعد انتهاء شعائر الحج بيومين ، وعندئذ كان من أمره ما كان .

(١) هذه السنوات بحساب التقويم الهجرى ، أما حسابها بالتقويم الميلادى فهو : سبعة وستون عاماً ، ثم واحد وأربعون عاماً ، وأخيراً ستة وعشرون عاماً على الترتيب .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
• المعين والزاد في الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطي ص

المطلب الثاني

مرضه الذى توفى فيه

لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذى الحجة أصيب الشنقيطى بوعكة صحية بسبب (فيروس الأنفلونزا) وكان العلاج مركباً من مادة (البنسلين) غير أنه كان يعاني منذ زمن من (حساسية شديدة) من هذه المادة ، فلما تعاطى هذا العلاج ؛ زادت عليه تلك الحساسية بدرجة كبيرة ؛ الأمر الذى أدى إلى نقله على الفور إلى (مستشفى أهلى) كان قد افتتح منذ أشهر قليلة ، وذلك بواسطة (رابطة العالم الإسلامى) بمكة المكرمة ، وكانت تحت مسئولية الشيخ القزاز الذى تولى أمر الشنقيطى بنفسه آنذاك .

ولما كان الصباح ؛ قرَّب الشنقيطى الطُّهور ، ثم صلَّى الصلوات التى ما كان صلّاها فى الليل ؛ حتى إذا فرغ من صلاته قال : والله ما أظنُّ هذا إلا مرضَ الموت^(١) .

المطلب الثالث

الشنقيطى يُسلمُ الرُّوحَ لِخالقه^(٢)

لما أحسَّ الشنقيطى بأنه مرض الموت ؛ كان أن شعر بدوار شديد راح يَغطُّ بعده فى نوم عميق دوغماً حرّاك ، ثم كان أن نقلوه إلى بيته بمكة المكرمة^(٣) فى يوم الأربعاء السادس عشر من ذى الحجة ، وقد ظل الشنقيطى على حاله تلك بين النوم العميق غالباً ، والإفاقة الخاطفه أحياناً ؛ حتى أسلم روحه لله تعالى فى وقت الضحى من يوم الخميس السابع عشر من ذى الحجة من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق العاشر من يناير

(١) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .

• حلية طالب العلم : د. بكر أبى زيد ص ١٢ .

• الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

• المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطى ص ١٠٤ .

(٣) ويقع هذا البيت بجبل (بُومَطَشْش) - حارة (الأشراف) - شارع (المنصور) - حى (العزيزية) - مكة المكرمة - كما أفاد بذلك ابنه الدكتور عبد الله فى محاضرتة المسجلة بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

من عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد (١٧-١٢-١٣٩٣هـ = ١٠-١-١٩٧٤م)^(١) وإلى تلك اللحظة المهيبة يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : لقد مات رحمة الله عليه وأنا ضامه على .

المطلب الرابع

غسله والصلاة عليه ودقته^(٢)

تولّى غسل الشنقيطي بيته بمكة المكرمة كل من ابنه الأصغر الدكتور عبد الله ، وتلميذه وابنه عمه أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي ، ورجل ثالث من الصالحين ممن يقال : إنه من آل بيت النبي ﷺ .

وقد صلى عليه صديقه وقرينه رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز في الحرم المكي بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، مع من حضر من المسلمين ممن لا يُحصون عدداً من جموع المقيمين والحجيج على السواء .

ثم كان أن دُفِنَ بمقبرة (المعلاة) بمنطقة (ربيع الحجون) وهي ذات المقابر التي تضم بين جنباتها مشوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بالبلد الحرام بمكة المكرمة .

ولما سُئِلَ ابنه الدكتور عبد الله عن رغبة والده في حياته : هل كان يفضل أن يُدْفَنَ بمكة المكرمة أم بالمدينة المنورة ؟ فأجاب قائلاً : كان يرغب أولاً في المدينة المنورة ، ثم صار في أخريات حياته يرغب في مكة المكرمة ، مكتفياً في التعليل لذلك بترديد قوله : إن مكة أمرها عجيب ! إن مكة أمرها عجيب !

وكان الشنقيطي قد أحسَّ دُؤُوَ الأجل ، واستشرف مشواه في مكة المكرمة ؛ ومن ثم صار يميل إليها مؤخراً بعد أن كان يميل دوماً إلى المدينة المنورة التي كان متوقفاً أن يُقْبَرَ

(١) أخذت مقابلة التقويم الهجري بالميلادي من كل من :

• التقويم الهجري الميلادي (هيل هـ - م ١) : طوكيو - اليابان - لحساب شركة كهرباء الشرق - (الدمام - الرياض - جدة) - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

• المؤذن العربي (إصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د.ت) .

(٢) راجع في ذلك بتصرف كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧/١ (من المقدمة) .

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

١٧٨ .

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

فيها نظراً لإقامته الدائمة بها ؛ غير أن أمرَ الله نافذ ، وله سبحانه إنفاذُ المشيئة لا العبد ، وما أصدق قول الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآية (١) .

والمرء عاجز لا محالة عن معرفة ساعته ومثواه ، وما أبعدُه أبداً عن جواب : متى ؟ وأين ؟ وما أحكم قول الحق سبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية (٢) .

المطلب الخامس

صلاة الغائب على الشنقيطي^(٣)

وقد أقيمت عليه صلاة الغائب ليلة الأحد العشرين من ذى الحجة الموافق الثالث عشر من يناير (٢٠ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ = ١٣ - ١ - ١٩٧٤ م) بعد موته بثلاثة أيام في الحرم النبوي الشريف ، وصلى عليه آنذاك صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوي ورئيس المحاكم الشرعية بمنطقة المدينة المنورة ، وذلك بعد صلاة العشاء من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَضَرَ من المسلمين مِمَّنْ لَا يُحْصَوْنَ عدداً من المقيمين والحجيج على السواء .

كما أقيمت عليه صلاة الغائب بمسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم تابعت فيما بعد في سائر المساجد الأخرى في أرجاء المملكة المختلفة .

(٢) لقمان : ٣٤ .

(١) الإنسان : ٣٠ .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ١/٧-٨ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

المبحث الثاني رثاؤه

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١- المطالب الأول : رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية .
- ٢- المطالب الثاني : رثاء ثانی تلامذته الشيخ المجدوب .
- ٣- المطالب الثالث : رثاء الشناقطة له خاصة .
- ٤- المطالب الرابع : رثاء غير الشناقطة له عامة .

اعتصر الألم ، وألجم الحزن ، كل من عرف الشنقيطى أو سمع عنه بصفة عامة ، وكل من لازمه وتلمذ عليه من بنى عمومته وغيرهم بصفة خاصة .

وإزاء مصابهم فيه ؛ فقد رثاه هؤلاء وأولئك بفيض مما اعتمل فى نفوسهم نظماً ونثراً ، غير أن المقام لا يحتمل تسجيل كل ما قالوا ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بإيراد البعض تنبيهاً به على الكل ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية

حيث رثى شيخه ونعاه إلى كل من تحدث إليهم ، بادئاً ذلك بخطاب شيخه ذاته قائلاً :
إلى رحمة الله وحسن جواره ، فقيد العلم يا علم الرجال ، نعاك العلم فى حلق السؤال^(١)
نعم فقيد الدرس يا علم الرجال ، نعاك الدرس فى فصل المقال^(٢) .

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة وعلم الأعلام ، الشيخ الجليل الإمام الهمام ، زكى النفس رفيع المقام ، كريم السجايا ذو الخلق الرزين ، عفا المقال ، حميد الحصال ، التقى الأمين ، شيخنا محمد الأمين الشنقيطى .

وإنى كأحد أبنائه ، ومن جملة تلاميذه ، أقف اليوم معزياً متعزياً ، ومترجماً مترحماً ، وقد عظم المصاب ، وعز فيه العزاء ؛ فأقول ما قد قلته على البديهة عندما سألتى سائل قائلاً : من هذا الذى نعزبه فى الشيخ ؟ فأجبت بهذه الأبيات :

أقول للسائل لما سأل :	من ذا نعزى فيما نزل ؟!
كل من لا قيت فعزه	وأبدأ بنفسك فى الأول
عز الجميع بموته	واعلمه أن الخطب جلل
موت العالم رزء العالم	فى موته يأتى الخلل
لو نزل الرزء بقممة	فوق الجبال لهد الجبل
خير التعازى فى أننا	نرد إلى الله عز وجل ^(٣)

(١) الحلق والحلق : جمع حلقة وحلقة وهى تحلق القوم واجتماعهم فى شكل دائرى - انظر مادة (حلق) فى مختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٢) لعله يقصد بذلك الفصل بمعنى مكان الدرس ، أو الفصل بمعنى الحاسم الصائب من القول ، وكلا الوجهين محتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٨-٥- (من المقدمة) .

• وعجز البيت الأخير تضمين لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة : ١٥٦ .

ويعارض الشيخ عطية قول أبي ذؤيب الهذلي قاتلاً : ولئن قيل :
وتجلدى للشامتين أريهموا أني لربِّ الدهر لا أتضعضُ
فإني أقول :
وتجلدى للسامعين أريهموا شمس الحقيقة من سناه تطلع^(١)
وأخيراً يبكي الشيخ عطية شيخه متمثلاً قول النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت : ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأيب
وصدر أراح الليل عازب هممه تضاعف فيه الحزن من كل جانب
على لعمر نعمة بعد نعمة لوالده ، ليست بذات عقارب^(٢)

المطلب الثاني

رثاء ثاني تلامذته الشيخ المجذوب

وجّه الشيخ محمد المجذوب ذات يوم عشرة أبيات من شعره إلى شيخه الشنقيطي ، وهو لا يدري أنه سيوجه إليه ذات الأبيات في مقام رثائه ليخاطبه بها بعد موته كما خاطبه بها من قبل في حياته ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الآية^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٦/١ (من المقدمة) .

• وانظر بيت أبي ذؤيب المذكور في (ديوان الهذليين) : ٣/١ - (شعر أبي ذؤيب وساعده بن جؤية) - الطبعة ١ - طبع : دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٥/١ - ١٦ (من المقدمة) .

وانظر جملة هذه الأبيات المذكور في (ديوان النابغة الذبياني) ضمن قصيدته التي افتتحها بقوله :

أرسماً جديداً من سعاد تجنّب عفت روضته الأجداد منها فيثقب

• ديوان النابغة الذبياني بتمامه : صنعة الإمام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ت (٢٤٤هـ = ٨٥٩م) - ص ٥٤ - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكري فيصل - دار الفكر - القاهرة (د.ت) .

• وطبعة أخرى بتحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٤٠ - دار المعارف - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الجن : ٢٦ .

وها هو يبكى شيخه قائلاً : إنه أحد الأفاضال الذين يُخشى إذا فقدوا ألا يعوضوا ، وإلى ذلك أسرت في هذه الأبيات التي وجهتها إليه ذات يوم تحت عنوان : (قبس ونبوع) فقلت :

دُمْتَ يَا شَيْخَنَا الْأَمِينَ لِدِينِ	اللَّهُ ذُخْرًا وَعِصْمَةً لِلْحَيَارَى
إِنَّمَا أَنْتَ نَفْحَةٌ مِنْ تَرَاثِ	كَانَ فِي ظُلْمَةِ الْوُجُودِ مَنَارًا
(قَبَسٌ) مِنْ كِتَابِ رَبِّي وَ(نَبُوعٌ)	هُدًى مِنْ (بَيَانِهِ) لَا يُمَارَى
ذَكَرْتَنِي (أَضْوَاؤُكَ) الْغُرُّ أَفْذَا	ذَا مِنْ السَّابِقِينَ فَاقُوا الْبِحَارَا
أَوْرَثُونَا مِنْ فَضْلِهِمْ كُلَّ عِلْمِ	لَمْ يَسِرْ قَطُّ كَوْكَبٌ حَيْثُ سَارَا
لَوْ قَضَيْنَا حَيَاتِنَا نَنْعَمُ الْفِكْرَ	بِأَغْوَارِهِ ؛ لَفَاتَتْ وَخَارَا
فَلَيْمَتَّعَكَ ذُو الْجَلَالِ بِعُمُرِ	يَمَلَأُ الْخِصْبَ لَيْلَهُ وَالنَّهَارَا
وَدَّ كُلُّ لَوْ يَسْتَطِيعُ لَهُ مَدًّا	بِشَطْرِ مَنْ عُمُرُهُ مُخْتَارَا
كُلُّ طُولٍ فِي عُمُرٍ مِثْلِكَ طَوَّلٌ	فِي قَوَى الْحَقِّ يُرْهِبُ الْكُفَّارَا
وَكَثِيرُونَ إِنْ يَعِيشُوا فَلَا خَيْرَ	وَإِنْ يَهْلِكُوا فَشَرُّ تَوَارَى

وليس من قبيل الإطراء المؤلف دعائي له بطول العمر ، وودى له لو أعيره بعض عمري طمعاً في المزيد من خدماته للإسلام ؛ فإنني كنت شديد القلق عليه لما أرى من ظواهر الضعف في صحته ، بل وتماديه في هذا الضعف ؛ حتى إنني في عصر يوم ، ونحن على باب عمر رضي الله عنه من المسجد النبوي ، وقد لاحظت الجهد الضخم الذي كان يبذله أثناء درسه العام ؛ فقلت له : يا شيخ ! إن صحتك ليست ملكك ، إنها للعلم وللمسلمين ؛ فافرق بها ولا تعجل عليها^(١) .

المطلب الثالث

رتاء الشناقطة له خاصة

وبعد رثاء أول وثاني تلامذته الشيخين عطية والمجنوب ، فإننا نأتي إلى رثاء أبناء بلاده من الشناقطة على وجه الخصوص ، بدءاً بمن وردت قصائدهم أولاً ، ثم من أشير إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائي التالي :

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجنوب ١/ ١٨٥ - ١٨٦ (بتصريف يسير) .

أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قِصَادُهُمْ :

١- أحمد بن أحمد الجكنى الشنقيطى :

وهو تلميذه وابنه عمه وأحد الثلاثة الذين عَسَلُوهُ ، وقد رثاه بقصيدة من ستة وعشرين بيتاً قال فيها :

موت الإمام الحَبِيرِ مِنْ (جَاكَانِي) رُزءٌ أَلَمَ بِأُمَّةِ الْعَدْنَانِي
يا للمصيبة للبرية أنها فقدت عظيم مناهل العرفان
أبكى الأمين محمداً وإننى أبكى الأمين لشرعة القرآن
أرجو الذى جمع العزيز بأهله مناً عليه بنعمة الإحسان
أَنْ يَحْتَفَى بِلِقَائِنَا فِي جَنَّةٍ مشحونة بالحور والولدان^(١)

٢- أحمد بن محمد عبد الله بن آد الشنقيطى :

وقد رثاه بقصيدة من اثني عشر بيتاً قال فيها :

أَعَيْنِي جُوداً بِالدَّمِوعِ السَّوَاكِبِ لَمَنْ (ضَوْؤُهُ) قَدْ فَاقَ ضَوْءَ الْكَوَاكِبِ
أَعَيْنِي جُوداً لَا تَقُولَا لِي أَنْتَهَى فَلَسْتُ بَعِيدَ الْيَوْمِ مِنْكُمْ بِطَالِبِ
دَمِوعاً وَلَا حُزْناً لِأَنْدُبَ بَعْدَمَا نَدَبْتُ خِيَارَ النَّاسِ مَاشٍ وَرَاكِبِ
لَهُ الْفَضْلُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ رُمْتُ بِأَحْتَا وَفِي الْفِقْهِ وَالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
خَلِيلِي هَذَا عَالِمُ الْعَرَبِ قَدْ سَمَا بِهِ الْعِلْمُ فِي شَتَى الْعُلُومِ الْأَطْيَابِ^(٢)

٣- محمد الأمين بن مختار الجكنى الشنقيطى :

ويلقب بـ (التعدى) وهو ابن عم الشنقيطى ، وقد رثاه بقصيدة من ثمانية عشر بيتاً قال

فيها :

هُوَ الْمَوْتُ لَا يَنْفَكُ يَفْجَعُ مَعْشَرًا بَكُوكِبِهِ الدَّرِيَّ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
فَتَى لَمْ يَرِ الرَّأؤُونَ شَرَوَاهُ بَعْدَهُ وَلَا الْمَجِبْتَ شَرَوَاهُ بِيضُ الْكَوَاعِبِ
يُرْوَى الْبَرَايَا مِنْ رَوَايَا عُلُومِهِ بِنَقْلِ صَحِيحٍ عَنْ فُحُولِ الْمَذَاهِبِ
وَتَفْسِيرِهِ مِنْ حَفْظِهِ كُلِّ آيَةٍ بِأَخْتِ لَهَا أَعْظَمَ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِ

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٨٩ .

عجيبٌ غريبٌ في البرايا وإنما غرائبُه في العلمِ فوقَ الغرائبِ^(١)

٤- محمد بن عبد الله بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي :

وقد رثاه بثلاث قصائد مختلفة القوافي ، أما أولاها فعلى قافية الدال ، وتبلغ ثمانية وستين بيتاً قال فيها :

نَمَى الْهُدَى فَعَلَا الْقُلُوبَ سَوَادُ	وَتَفَطَّرَتْ لِمُصَابِهَاتِ الْأَكْبَادِ
خَطْبٌ يَجَلُّ عَنِ الْبُكَاءِ وَفَجِيعَةٌ	هَدَّتْ رَوَاسِيَ الْأَرْضِ أَوْ لَتَكَادُ
بَكَتِ الْمَثَانِي تَرْجُمَانِ بَيَانِهَا	حَامِيمُهَا تَبْكِي عَلَيْهِ وَصَادُ
وَكَذَا الْمَعَانِي كَالْمَثَانِي ثَوَاكِلَا	أُمَّاتُهَا تَبْكِي وَتَبْكِي الضَّادُ
هَذَا الْبَيَانُ وَهَذِهِ أَضْوَاؤُهُ	عَزَّتْ لِغَيْرِ الشَّيْخِ لَا تَنْقَادُ ^(٢)

وأما قصيدته الثانية فجاءت على قافية الميم ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً قال فيها :

نَمَى الْأَمِينُ نَعَاةً قَدْ نَعَوْا عَلَّمَا	بِحِرّاً خَضَمًا بِمَوْجِ الْعِلْمِ مُلْتَطَمَا
أَبَكَّتْهُ أَجْيَالُ عِلْمٍ حِينَ عُدَّ لَهُ	رَبِيعُ الْحُجُونِ مُصِيراً بَعْدَمَا خُتَمَا
مَا كَانَ يَرْغَبُ فِي السُّكْنَى بِذِي بَلَدٍ	غَيْرِ الْمَدِينَةِ طَابَتْ مَسْكَنَ الْكُرْمَا
مَنْ لِلنَّوَازِلِ مِثْلُ الشَّيْخِ إِنْ نَزَلَتْ	أَوْ لِلْحَوَادِثِ إِنْ أَدْمَتْ بِنَا كَلَمَا
أَضْوَاؤُهُ كَشَفَتْ أَبْعَادَ مَطْلَبِهِ	وَالدَّفْعُ يَدْفَعُ مَا فِي الْوَحْيِ قَدْ وَهَمَا ^(٣)

وأخيراً جاءت قصيدته الثالثة على قافية النون ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً أيضاً قال

فيها :

هُوَ الْمَوْتُ أَمْرٌ فِي أَنْتِظَارِكَ كَانَا	لِقَاؤِكَمَا حَتَمٌ وَحِينُكَ حَانَا
وَرُزُوكَ عَمَّ الْعَامِلِينَ مُصَابُهُ	وَعَمَّقَ جُرْحَ الْأَقْرَبِينَ جَكَانَا
وَمَوْتُكَ بَتْرٌ لِلْبَيَانِ فَمَا أَرَى	إِلَى الْحَشْرِ لِلْمَبْتُورِ مِنْهُ بَيَانَا
فَمَا الْوَقْفُ عِنْدَ الْحَشْرِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ	تَشِيرُ إِلَى الْحَشْرِ الْبَعِيدِ مَكَانَا ^(٤)

(١) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن ابن عبد العزيز السديس ص ١٨٧ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات في (المعين والزاد في الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكني الشنقيطي ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨١ .

(٤) إشارة إلى آخر سورة فسرهما الشنقيطي في (أضواء البيان) حيث أتم (المجادلة) ووقف على أول (الحشر) فلم يبدأ فيها .

فَمَنْ كَانَ أَعْطَاكَ الْبَيَانَ تَفْضُلًا يُحَقِّقُ بِالرُّضْوَانِ عَنْكَ رَجَانًا^(١)

٥- محمد بن مدين الشنقيطي :

وهو شاعر كبير ببلاد شنقيط ، وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً قال فيها :

الله أكبر مات العلم والورع يا ليت ما قد مضى من ذاك يرتجع
يكي الكتاب كتاب الله غيبته كذا المدارس والآداب والجُمع
مفسر الذكر الحكيم وما من الحديث إلى المختار يرتفع
فهو الإمام الذي من غيره تبع له ، وهل يستوى المتبوع والتبع ؟!
حدث بما شئت من حلم ومن كرم وانشر مآثره فالباب متسع^(٢)

ثانياً : من أشير إلى قصائدهم^(٣) :

١- عبد الله بن بونا أو بونه الشنقيطي : وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً .

٢- محمد أحمد بن عبد القادر الغلاوي الشنقيطي : وقد رثاه بقصيدة من أربعة عشر بيتاً .

المطلب الرابع

رثاء غير الشناقطة له عامة

وبعد رثاء أبناء بلاده له من الشناقطة على وجه الخصوص ، فإننا نأتى إلى رثاء غير الشناقطة له من الخلائق على وجه العموم ، بدءاً أيضاً بمن وردت قصائدهم أولاً ، ثم من أشير إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيب هجائهم التالى :

أولاً : من وردت قصائدهم :

ويمثلهم فى هذا المقام واحد منهم فقط ممن توفرت لدينا قصيدته ، ألا وهو :

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى

الجنكى الشنقيطي ص ١٠٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن

عبد العزيز السديس ص ١٨٦ .

(٣) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .

١- عبد الرحمن المنير :

ويعمل أستاذاً بالمعهد العلمي التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من ثلاثين بيتاً قال فيها :

صُرُوفُ اللَّيَالِي لَا يَقَرُّ قَرِينُهَا
أَتَانِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا سَدَّ مَسْمَعِي
إِمَامٌ تَوَلَّى مِنْ تَوَقُّدِ ذَهْنِهِ
أَقُولُ لِنَادِي الْحَيِّ : مَا فِيكَ نَدْوَةٌ
أَذْكَكَ لِلضَّرَاءِ أَمْ ذَاكَ دَيْنُهَا ؟!
فَكَادَتْ لَهَا رُوحِي يُجَنُّ جُنُونُهَا
حُصُونُ الْمَثَانِي وَهُوَ بَابٌ يَصُونُهَا
إِذَا مَا خَبَا عِلْمٌ وَوَلَّى أَمِينُهَا
فَشَحَّتْ بِهِ مَعْلَاتُهَا وَحُجُونُهَا^(١)
تَرَقَّبْتُهُ مِنْ حِجِّ مَكَّةَ سَالِماً

ثانياً : مَنْ أَشِيرَ إِلَى قَصَائِدِهِمْ^(٢) :

١- أحمد بن إسماعيل اليماني : وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من أحد عشر بيتاً ، غير أنها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر .

٢- الدكتور سقر بن عبد الرحمن الحوَالِي : ويعمل أستاذاً ورئيساً لقسم العقيدة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقصيدته غير موجودة .

* * *

وبعد : فقد رثى الشنقيطى خلقاً كثير من غير هؤلاء وأولئك من تلاميذه ومحبيه في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، والذين أحسوا مرارة فقده ، وافتقدوا على إثره درسه .

(١) انظر تمام هذه الأبيات في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن

السديس بن عبد العزيز ص ١٨٨ .

• وقوله : (مَعْلَاتُهَا وَحُجُونُهَا) يقصد به مقابر (المُعَلَاة) التي تقع بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة حيث دُفِنَ الشنقيطى ، وهي ذات المقابر التي تضم مشوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كما أخبرني بذلك مَنْ صحبني في زيارتي لها ببلد الله الحرام .

(٢) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم في (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .

المبحث الثالث
حُسْنُ خَازِمَتِهِ

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١- المطلب الأول : الأمور المصاحبة لوفاته .
- ٢- المطلب الثاني : المرائي الطيبة التي رُوِّيت له .

صَاحِبَتْ وَفَاةَ الشَّنْقِيطِيِّ جَمَلَةً مِنَ الْأُمُورِ وَالرَّائِيِ التِّي يَحْتَسِبُهَا نَاطِرُهَا أَنَّهَا مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ خَاتَمَتِهِ ؛ مِمَّا يُوسِّعُ دَائِرَةَ رَجَاءِ أبنَائِهِ وَتِلَامِذَتِهِ وَمَحْبِيهِ فِي أَنْ يَشْمَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَبُولِهِ ، وَأَنْ يَتَغَمَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الْآيَةُ (١) .

المطلب الأول

الأمور المصاحبة لوفاته

وتتمثل في الأمور الخمسة التالية :

١- وفاته يوم الخميس :

ولا يخفى ما لهذا اليوم من الفضل الذي تواترت به أحاديث رسول الله ﷺ بل أعظم به من يوم تُعْرَضُ فِيهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ ﷺ كَمَا يُعْرَضُ الْحَصِيرُ عَوْدًا عَوْدًا (٢) وفوق هذا ؛ فإنه يتلوه خير يوم طلعت عليه الشمس ، ألا وهو يوم الجمعة (٣) .

فياله من يوم عظيم ، ويعقبه يوم عظيم ؛ يعمُّ فضلها سائر الأحياء والأموات ؛ مما يؤمل فيهما أن تكون ليلة وحشة المسلم ووحده في قبره هي ذات ليلة أنسه وبشارته برحمة ربه وغفرانه .

٢- القراءة في العشاء قبيل صلاة الغائب :

قدّر الله تعالى أن يقرأ الإمام في صلاة العشاء التي سبقت صلاة الغائب على الشنقيطي في الحرم النبوي الشريف من الآيات ما يحمل البشرى والتفاؤل برحمة الله ورضوانه ، وذلك على غير قصد منه (٤) .

وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي بقوله : ومن حسن التفاؤل أن يقرأ الإمام في صلاة العشاء في الركعة الأولى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا

(١) المجادلة : ٢٢ - البيئة : ٨ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بمعناه (باقي مسند المكثرين) - حديث رقم (٩٨٨٣) - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجمعة) (باب فضل يوم الجمعة) - (طبع بيروت) .

(٤) وكان الإمام آنذاك هو صديق الشنقيطي وقريته الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح رحمه الله تعالى - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

بَشْرٌ مِّثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴿الآيات (١)﴾ .

وفى الركعة الثانية قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ ﴿الآيات (٢)﴾ .

وقد سألت فضيلته عن هذه القراءة : أهو قاصدٌ لهذه الآيات ومختارٌ لها ، أما جاءت عفواً؟! فقال : بل عفواً ؛ فما الملاحظة عليها؟! فقلت : إنها من أغرب الصُّدْفِ (٣) لأنك صليت على الشيخ الأمين بعدها ؛ فظننت أنك قصدت إليها ؛ فكان هذا من المناسبات الحسنة ، تَعَمَّدَ اللهُ الشيخَ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَسَكَنَهُ فِسِيحَ جَنَّتِهِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ ، رَوْوْفٌ رَحِيمٌ (٤) .

٣- صلاة الحجيج عليه ودَعَوَاتُهُمْ له :

ومن فضل الله على الشنقيطى أن يحضر صلاة جنازته فى الحرم المكى الشريف ، وكذا صلاة الغائب عليه فى الحرم المدنى الشريف ، مالا يُعَدُّ ولا يُحْصَى من المسلمين من أمة محمد ﷺ من حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ ، وزائرى رسوله ﷺ بالمدينة المنورة ؛ حيث نالته دعواتهم المخلصة ، التى اتجهت بها نياتهم الصادقة .

فهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين أجناسهم وأوطانهم ؛ قد جاءوا رجالاً ورُكَبَانًا ، من كل حذب وصوب ، ومن كل فج عميق ؛ فدَعَوْا جميعهم للشنقيطى دون معرفتهم له ، وترَحَّمُوا عليه دون صلتهم به إلا من صِلَّةِ هذا الدين العظيم ؛ وأعْظَمَ بها من صِلَّةِ حَرِيَّةٍ بَأَن تَكُونَ مُظَنَّةً إِبْجَابَةَ دَعَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ ، وَصَدَقَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٥) .

٤- البداية بالحجِّ والنهاية بالحجِّ :

شاء الله تعالى أن يكون أول عهد الشنقيطى بأرض الحجاز كآخر عهده بها ، فها هو يدخلها على نية الحج قبيل شهر ذى الحجة ضحى يوم الاثنين المبارك السابع عشر من ذى

(٥) الكهف : الآيات ١٠٧ - ١١٠ (أربع آيات) .

(٢) مريم : الآيات : ٩٦ - ٩٨ (ثلاث آيات) .

(٣) راجع التنبيه على هذا التعبير ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٧ - ٨ (من المقدمة) . (٥) المائدة : ٢٧ .

القعدة (١٧ - ١١ - ١٣٦٧هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) وليستقر مقامه بها بعد أداء مناسك حجة الأول^(١) .

ثم ها هو يُقضى أجله ويُدفنُ بها أيضاً ضحى يوم الخميس المبارك ، وأيضاً السابع عشر من ذى الحجة (١٧ - ١٢ - ١٣٩٣م) الموافق (١٠ - ١ - ١٩٧٤م) وأيضاً بعد أداء مناسك حجة الأخير^(٢) .

وهكذا بدأت حياة الشنقيطى فى أرض الحجاز بالحج وكذلك انتهت فيها بالحج ؛ ولعل هذا يحمل من الاستبشار فى رحمة الله تعالى ومغفرته بقدر ما جاء على لسان رسول الله ﷺ فى قوله : «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرِفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» الحديث^(٣) فعسى الشنقيطى أن يكون من أهل هذا الوعد ؛ فيستحق مغفرة ربه ، ويحظى بعفوه .

٥- آخر ما كتبه وفسره :

إن من بشائر حسن خاتمته أن يكون آخر م خطه الشنقيطى تفسيره هو قول الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضلاً من الله ونعمةً والله عليم حكيم﴾ الآيتان^(٤) وأن يكون آخر ما وقف عنده فى تفسيره (أضواء البيان) هو قول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية^(٥) .

حتى إن أحد شعراء الشناقطة قد صورَ وقف الشنقيطى عند آخر المجادلة وأول الحشر بأنه إشارة إلى الحشر البعيد يوم أن يرث الله تعالى الأرضَ ومن عليها ، وبهذا يرثى الشنقيطى قائلاً :

وَمَوْتُكَ بَتْرٌ لِلْبَيَانِ فَمَا أَرَى إِلَى الْحَشْرِ لِلْمَبْتُورِ مِنْهُ بَيَانًا

فَمَا الْوَقْفُ عِنْدَ الْحَشْرِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ تَشِيرُ إِلَى الْحَشْرِ الْبَعِيدِ مَكَانًا^(٦)

فيا له من ختام طيب عله يستحق به بشارة رسول الله ﷺ : «يقال لقارىء

(١) راجع تفصيل حجه الأول ص من هذا البحث .

(٢) راجع تفصيل حجه الأخير ص من هذا البحث .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب الحج (باب) فضل الحج المبرور - (طبع بيروت) وانظر (فتح فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ١٥٤/٧ - حديث رقم (١٥٢١) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الحجرات : ٧ - ٨ (آيتان) .

(٥) المجادلة : ٢٢ .

(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

القرآن : اقرأ وارْتَقِ ؛ فمقامك عند آخر آية ، وقفتَ عندها ^(١) ولئن كان هذا لقارئ القرآن ومرتلِهِ ؛ فما أجدرُهُ بكتابِهِ ومفسِّرِهِ .

المطلب الثاني

المَرَائِي الطَّيِّبَةُ الَّتِي (وُيِّتَ لَهَا) ^(٢)

وتتمثل في المرائي الأربع التالية :

١- الرؤيا الأولى :

وكانت قبل موت الشنقيطي بأسبوع واحد، حيث رأى أحد أقاربه ممن كانوا يحجون معه في سيارته أن النبي ﷺ قد توفي ومُسَجَّى عليه ثوبٌ ، وقد دخل عليه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ليُغسله ، ثم جاء الرائي فرفع الثوب فوجد أن الميت نبيٌّ ولكنه ليس رسول الله ﷺ فقبله في جبينه وانصرف .

ولما قصَّ الرائي رؤياه هذه على الشنقيطيِّ ، تَغَيَّرَ وَجْهُ الشنقيطيِّ على الفور ، ثم قال مؤكداً : نعم ، هذا ليس بالنبي ﷺ ولكن يقضى الله خيراً ، ثم سكت .

وكان الشنقيطيُّ استشعر أن هذا الميت ليس إلا هو نفسه ، وأنه سيغسله واحد من آل بيت النبي ﷺ وبالفعل ؛ فقد شاء الله تعالى أن يقضى الشنقيطيُّ نَجَبَهُ بعد هذه الرؤيا بأسبوع ، ثم كان ممن دخل عليه ليغسله رجلٌ من الصالحين ممن يقال : إنه من آل بيت النبي ﷺ .

٢- الرؤيا الثانية :

وكانت بعد موت الشنقيطيِّ بأيام قلائل ، وفيها رآه ابنه الأصغر الدكتور عبد الله ، وقد جاءه أناس فسألوه كتابه بيمينه ؛ وعلى الفور شدَّ عليه يده بحرصٍ بالغٍ حتى وهَرَ العِرْقُ الذي في ظاهر يده اليُمْنَى ، وكان من عادته أن يعطي هذا الكتاب ابنه عبد الله ليقراه له ، غير أنه في هذه المرة لم يُعْطِهِ هذا الكتاب الذي كان مدوناً فيه ما يشبه الأرقام الحسائية .

(١) أخرجه الترمذى في سنَّته (كتاب) فضائل القرآن (باب) ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر - وقال : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود في سنَّته (كتاب) الصلاة (باب) استحباب الترتيل في القراءة - (طبع بيروت) .

(٢) راجع في ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

١٧٩ .

• الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

٣- الرؤيا الثالثة :

حيث رأى الدكتور عبد الله والده الشنقيطي بعد موته فسأله عن المقصود بمن يملك العفو في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ الآية (١) أهو الوكي أم الزوج ؟ وعندئذ يكتفى الشنقيطي في الإجابة عن هذا بإشارة من يده تفيد عدم ترجيحه ، بل وعدم رغبته في الإفتاء .

الأمر الذي حدا بابنه الدكتور عبد الله في نومه إلى أن يظن إلى عزوف والده عن الفتوى ، وعدم ميله إلى ترجيح الولي على الزوج ، أو العكس ، وهو ذات رأيه الذي أثبتته في كل من : (أضواء البيان) و (مذكرة أصول الفقه) (٢) .

٤- الرؤيا الرابعة :

وقد رآها له أحد تلامذته عقب موته ، حيث وجده وقد أخذ حبلاً مجدولاً ، متيناً قوياً ، مثل حبل السفينة ، فوضعه على ظهره ، ثم لبس عليه جبة ضافية ومشى ؛ فانزعج الرائي عندئذ ، وقص ما رأى على الدكتور عبد الله الذي قال على الفور مطمئناً إياه : والله إنى لأعرف هذا في حياة الوالد ؛ فقد كان رحمة الله عليه يقول : القرآن حبل الله المتين ، من تمسك به نجى (٣) .

* * *

وفى الجملة : فلا نجد في ختام حديثنا عن وفاة الشنقيطي خيراً مما ذكره أول وأخص تلامذته الشيخ عطية محمد سالم ، حيث أجمل ذلك قائلاً : مات رحمه الله تعالى بعد أن أحيا علوماً درست ، وخلف تراثاً باقياً ، ورى أفواجاً متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي المعاهد والكلديات بالرياض ، فضلاً عن خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في مختلف أنحاء البلاد (٤)

(١) البقرة : ٢٣٧ .

(٢) راجع ذلك إجمالاً في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ .

• مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٢٢٥ - ٢٣١ .

(٣) وفى ذلك إشارة إلى وصف رسول الله ﷺ للقرآن الكريم فى جزء من حديث طويل قال فيه : «هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» - وقد سبق تخريج هذا الحديث بروايتيه ص من هذا البحث .

(٤) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

ابن من أبنائه ، وفي كل قطر إسلاميّ بعثة تعليميّة عن طريق المنحِ الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ ما مات إلا بعد أن ترك في كل مكتبة ، بل في كل بيت (أضواء البيان) التي تبدد الظلام ، وتهدى السبيل ؛ فلا يبعد ولا يغالي مَنْ يقول : ما مات مَنْ خَلَّفَ هذا التراث ، وأدّى تلك الرسالة ؛ لسيقى بذلك أثراً خالدًا على مرّ الأجيال والقرون .

حقاً لقد أدّى رسالة عظمى ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ؛ ليحصد ما زرع ، ويجني ثمار ما غرس ، وينعم بما قدّم ، بعد أن صارت أعماله تترجم عنه ، ومؤلفاته تُعرّفُ به ؛ حتى عرّفهُ الصغير والكبير ، والقاصي والداني ، والعالم والعامي ، فَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسعةً (١) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٨/١ - ٩ (من المقدمة بتصرف) .

الباب الثانى

مسيرته العلمية

ويتنظم تمهيداً وستة فصول :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١ - الفصل الأول : شيوخه من أهله ومن غير أهله .

٢ - الفصل الثانى : أقرانه ومعاصروه .

٣ - الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة .

٤ - الفصل الرابع : نشاطه فى بلاده وخارج بلاده .

٥ - الفصل الخامس : رحلاته للحج والدعوة والعلاج .

٦ - الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

تمهيد

بين يديّ هذا الباب

يبدور حديثنا في هذا الباب حول مسيرة الشنقيطي العلمية بما تنتظمه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة طلبه الممتدة ، والتي بدأها من مسقط رأسه ببلاده (شنقيط) ثم استكمل اليسير الذي تبقى منها ببلاد (الحجاز) .

ففي بلاده كان شيوخه من الشناقطة ، بل من قبيلته (بنى جاكان) من أهله الذين تربطه بهم صلة الدم المباشرة ، ومن غير أهله الذين تربطه بهم صلة القرابة البعيدة داخل إطار القبيلة .

ومن هؤلاء وأولئك كانت مدرسته الأولى الأهلية ، ثم مدرسته الثانية القبليّة ، حتى إذا ما اكتمل نصابه منهما انتقل بعدهما إلى مدرسته الثالثة الذاتية التي استدرك فيها ما فاتته من فنون العلم وفروعه المختلفة عن طريق اطلاعه الشخصي ، ودراسته الذاتية .

وبعد نشاطه العلمي الملحوظ في بلاده يرحل لأداء حجة الإسلام على نية الرجوع ، غير أنه يستقر به المقام ببلاد الحجاز التي واصل فيها نشاطه العلمي والدعوى ، والذي صاحبه فيه كثير من أقرانه وتلامذته ، بل وصنّفَ من خلاله معظم مؤلفاته فضلاً عن القليل الذي كان منها في بلاده .

وفيما يلي نعرض لمسيرته العلمية الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :

الفصل الأول
شيوخه
من أهله ومن غير أهله

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : شيوخه من أهله .
- ٢ - المبحث الثاني : شيوخه من غير أهله .

يتمى جميع شيوخ الشنقيطى إلى ذات قبيلته (بنى جساكان) ومن ثم فإن لهم ما لتلك القبيلة من كريم السجايا ، وحميد الخصال ؛ الأمر الذى كان له أعظم الأثر وأبلغه فى إثراء الشنقيطى أخلاقياً ، وتوجيهه تربوياً ، فضلاً عن رعايته علمياً ، وإعداده دعويًا ؛ ليضطلع فيما بعد بأمانة هذا العلم ، ولينال شرف نشره والدعوة إليه فى الآفاق .

ومع أن هؤلاء الشيوخ وإن كانوا جميعاً من الجكنيين ، إلا أن قليلاً منهم تربطه بالشنقيطى صلة الدم المباشرة ، فى حين أن أكثرهم لا يمت إليه إلا بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة .

ولذا ؛ فقد آثرنا أن نتناول شيوخه من الجكنيين من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول شيوخه من أهله

ويتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطالب الأول : خال الشنقيطى .
- ٢ - المطالب الثانى : ابن خال الشنقيطى .
- ٣ - المطالب الثالث : زوجة خال الشنقيطى .

ويمثلون مدرسته الأولى في بيوت أخواله ، والتي أطلقنا عليها من قبل : (المدرسة الأولى الأهلية) حيث شيوخه الأوائل من أخواله وأولادهم وذويهم^(١) وهم الذين نستطيع إيجاز ذكرهم من خلال المطالب الثالثة التالية :

المطلب الأول

خال الشنقيطي

وهو الشيخ عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح إلى آخر نسب الشنقيطي السالف ذكره^(٢) وقد أتم الشنقيطي على خاله هذا حفظ القرآن الكريم وهو إذ ذاك في العاشرة من عمره^(٣) وتجدر الإشارة إلى أن خال الشنقيطي المذكور ليس له آثار مكتوبة بالرغم من علو كعبه في القرآن وعلومه .

المطلب الثاني

ابن خال الشنقيطي

الشيخ سيدى محمد بن أحمد بن محمد المختار ، عالم بالقراءات القرآنية ، ومن آثاره كتاب (الخريدة في علم القراءات)^(٤) وقد أخذ عليه الشنقيطي رسم المصحف العثماني المعروف ب : (المصحف الأم) كما قرأ عليه التجويد ، وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : قال رحمه الله تعالى : تعلمت رسم المصحف العثماني (المصحف الأم) عن ابن خالى سيدى محمد بن أحمد بن محمد المختار ، كما قرأت عليه في مقراً نافع برواية ورش من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وبرواية قالون من طريق أبى نشيط^(٥) كما أخذت عنه سنداً بذلك إلى النبى ﷺ وعمرى آنذاك

(١) راجع ذلك مفصلاً ص من هذا البحث .

(٢) راجع ذلك النسب كاملاً ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢١/١ (من المقدمة) .

(٤) انظر في ترجمته (السلفية وأعلامها في موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ - ويلاحظ

أن والد سيدى هو خال الشنقيطي الثانى ، وأخو خاله الأول عبد الله بن محمد المختار المتقدم ذكره .

(٥) ورد في الأصل : (وقالون من رواية أبى نشيط) كما فى (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢٢/١ (من

المقدمة) - وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ؛ حيث إن سند القراءة ، ورتبة نقلها ، يقتضى تسلسلها

على الترتيب التالى : القراءة فالرواية فالطريق ؛ فكل قراءة لها روايتان ، وكل رواية لها طريقان ، ثم

كل طريق له بدوره طريقان أو أكثر من الطرق الفرعية - انظر تفصيل ذلك فى :

• المهذب فى القراءات العشر من طريق طيبة النشر : د. محمد سالم محيسن ٧/١ - الطبعة ٢ -

مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .

ست عشرة سنة^(١) .

المطلب الثالث

زوجة خال الشنقيطي

وهي عائشة بنت الأمين الجكنية، لغوية أدبية، على معرفة واسعة بعلم الأنساب وأيام العرب ، وليس لها أى آثار مكتوبة^(٢) كما أنها شيخته الوحيدة من أهله ، وقد أخذ عليها دراسات واسعة فى النحو والأدب ، وكذا السير والتاريخ والأنساب .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : قال رحمه الله تعالى : درست دراسة واسعة فى الأدب على زوجة خالى أم ولد الخال ، أى أن ولد خاله يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

ويواصل رحمه الله تعالى قوله : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمارين واسعة فى أنساب العرب وأيامهم ، والسيرة النبوية ، ونظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطي الذى يزيد على خمسمائة بيت مع شروحه لابن أخت المؤلف المعروف بـ : حمّاد .

هذا بالإضافة إلى نظم عمود النسب للمؤلف نفسه والذى يعدُّ بالآلاف مع شرحه أيضاً لابن أخته المذكور ، والذى وصل فيه إلى شرح خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٢/١ (من المقدمة) .

(٢) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٣/١ - ٢٤ (من المقدمة) - وانظر ترجمة كل من : أحمد البدوى

الشنقيطي صاحب النظم ص وابن أخته حماد المجلسى الشنقيطي صاحب الشروح ص من

هذا البحث .

المبحث الثاني شيوخه من غير أهله

ويتنظم المطالب السبعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني .
- ٢ - المطالب الثاني : أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكني .
- ٣ - المطالب الثالث : أحمد فال بن أدّه الجكني .
- ٤ - المطالب الرابع : أحمد بن مؤد الجكني .
- ٥ - المطالب الخامس : محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكني .
- ٦ - المطالب السادس : محمد النعمة بن زيدان الجكني .
- ٧ - المطالب السابع : جملة العلوم التي حصلها عليهم .

ويمثلون مشاهير العلماء في قبيلته (بنى جاكان) وهم وإن كانوا لا يمتون إليه بصلة الدم المباشرة ؛ إلا أنهم يمتون إليه بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة ، وهم الذين يمكننا إيجاز التعريف بهم من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول

أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى

يوصف بأنه علامة زمانه ، وفائق أقرانه ، وعليه تدور رحى القضاء والفتيا في عصره ، كما امتاز بالأدب وجودة الشعر ، ومن آثاره العلمية : (نظم في التوسل بأسماء الله الحسنى)^(١) وهو الشيخ الوحيد الذى نقل عنه الشنقيطى فى التفسير واصفًا إياه بقوله : (شيخى الكبير)^(٢) .

المطلب الثانى

أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنى

أصولى وفقهه ، له معرفة بعلمى المنقول والمعقول ، وقد اشتهر بقوة ذاكرته مع سرعة بديهته وصحة استنباطه ؛ غير أنه لم ترد له أية آثار مكتوبة على الرغم من اضطلاعهِ بِفَنَىِ الأصول والفقه وغيرهما^(٣) .

المطلب الثالث

أحمد فال بن آدّه الجكنى

علامة متبحر فى الفنون ، له اليد الطولى فى النحو والفقه ، اشتهر بالحفظ وقوة

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٧/٧ - ٣٤٨ .

حيث يذكر الشنقيطى اللغات الواردة فى مادة : (غَنَى) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ الجائية : ١٠ - ثم يقول: وهذه اللغات التى ذكرنا فى مادة (غَنَى) كنت تلقيتها فى أول شبابى فى درس من دروس الفقه لقتنيها (شيخى الأكبر) أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى ، وقد ذكر لى بيتى رجز فى ذلك لبعض أفاضل علماء القطر ، وهما قوله :

وضد فقرك (إلى) وك (سَحَاب) النفع ، والمطرب أيضًا ك (كتاب)
وك (فَتَى) إقامَة ، وك (هُنَا) جمع لُغْنِيَة لمسا به الغنى

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

الذاكرة ، وقد تولى القضاء وسار فيه سيرة حسنة ، وكانت وفاته ببلاده حوالي عام (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م)^(١) .

المطلب الرابع

أحمد بن مؤد الجكنى

أصولى وفقه مالكى ، أخذ الطريقة التجانية ثم رجع عنها ، اشتهر بالتواضع والورع ، بالإضافة إلى المواظبة على العبادة ، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فضلاً عن رجوعه إلى الحق متى ظهر له ، وكانت وفاته ببلاده عام (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م)^(٢) .

المطلب الخامس

محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأنقرم الجكنى

قال عنه مترجموه : إنه أحاط بالعلوم في بلاده ، سواء في ذلك جليها وغامضها ، من قرآن وتوحيد ، وأصول وفقه ، وقواعد ولغة ، كما اشتهر بالورع والزهد وكثرة العبادة والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى شدة إنكاره على المتصوفة ، وقد جرت في ذلك محاورات بينه وبين شيخ التجانية في قبيلته محمد بن سيدى الجكنى ، ومن آثاره العلمية : (طرد البدعة عن أهل الملة بواضح الأدلة) و (إرشاد المغرور) وقد كانت حياته ووفاته ببلاده شنقيط^(٣) .

المطلب السادس

محمد النعمة بن زيدان الجكنى

ويعدُّ آخر شيوخ الشنقيطى من مشاهير العلماء في قبيلته (بنى جاكان) غير أننا لم نعثر على أى تعريف به في مظان ترجمته المتاحة لدينا^(٤) .

- (١) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .
- (٢) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .
- (٣) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .
- (٤) ومن مظان ترجمته نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٤ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٩٣ .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .

المطلب السابع

جملة العلوم التي حصلها عليهم

وعن جملة العلوم التي حصلها الشنقيطي على هؤلاء المشايخ يسوق تلميذه الشيخ عطية على لسانه ما نصه : قال رحمه الله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون كالفقه المالكي وهو المذهب السائد في البلاد^(١) والنحو والصرف^(٢) والأصول ، والبلاغة ، وبعض التفسير والحديث^(٣) .

وأما المعقول من العلوم كالمنطق وآداب البحث والمناظرة فقد صرح بأنه حصله عن طريق النظر الخاص والمطالعة الذاتية ، وإلى هذا يشير بقوله : وأما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة^(٤) .

وهذا ما يصفه أيضاً الشيخ المجذوب بقوله : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، في ما درس وفي ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس في علمي المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاويه فيه إلا الأقلون^(٥) .

كما نرجح أن يكون الشنقيطي قد سلك ذات السبيل في تحصيل علم التفسير ، وهو ما يذهب إليه تلميذه الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي معللاً ذلك بقوله : والذي يظهر لي والله أعلم أن علم التفسير الذي فاق فيه الأولين والآخرين إنما قرأه على نفسه ؛ وذلك لأمرين الأول : أن البلاد هناك ما كانت خصبة لقراءة التفسير ، ولا كانت المشايخ على استعداد لإقراءه الناس ، على تقدير معرفتهم به ، والثاني : أنى سمعته يقول : عكفت على كتاب الله في البلاد أتبعه آية آية ، كل آية بانفرادها ؛ فهذا دليل عندي على أنه درس التفسير على نفسه^(٦) .

وأخيراً يعقب الشيخ عطية على جملة تلك العلوم التي حصلها شيخه الشنقيطي سواء

(١) راجع انتشار المذهب المالكي وسيادته دون غيره في بلاد شنقيط : ص من هذا البحث .
(٢) والأصل الذي يعولون عليه في ذلك هو : (ألفية ابن مالك الأندلسي) بشروحها العديدة منذ دخولها شنقيط في القرن الثامن الهجري وحتى الآن .

● انظر (ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة المورثانية) : يحيى بن البراء ص ٣٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ (من المقدمة) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٣/١ .

(٦) نثر الورود على مراقي السعود : شرح الشنقيطي ١٩/١ .

على مشايخه السالف ذكرهم ، أو بمطالعتة الذاتية فيقول ما نصه : علماً بأن الفن الذي درسه على المشايخ أو مطالعة من الكتب ، فإنه لم يقتصر في تحصيله على دراسته ، بل كان يديم فيه النظر ، ويواصل التحصيل ؛ حتى غدا في كل منه كأنه متخصص فيه ، بل وله في كلِّ منه اجتهادات ومباحث مبتكرة^(١) .

* * *

وهكذا يصل مجموع شيوخ الشنقيطي السالف ذكرهم إلى تسعة مشايخ ، توزعوا بين ثلاثة من أهله ممن تربطه بهم صلة الدم والقربة ، في حين لا يمت إليه شيوخه الستة الآخرون بتلك الصلة ، إلا أن هؤلاء وأولئك ينتمون جميعهم إلى ذات القبيلة التي ينتمى إليها الشنقيطي ؛ فكلهم جكنيون مثله من بنى جاكان .

ومع أن الشيخ عطية قد اقتصر في ذكر مشايخ شيخه الشنقيطي على هؤلاء التسعة ؛ إلا أنه أشار في عقبهم إلى غيرهم ممن أخذ عنهم الشنقيطي ، دون تسميته إياهم ، ولكنهم محصورون كذلك في علماء قبيلته (بنى جاكان) وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : وغيرهم من المشايخ الجكنيين^(١) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٥/١ (من المقدمة) .

الفصل الثانی أقرانه و معاصروه

وینتظم المبحثن التالین :

- ١ - المبحث الأول : أقرانه .
- ٢ - المبحث الثانی : معاصروه .

المبحث الأول أقرانه

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : أقرانه الراحلون .
- ٢ - المطلب الثاني : أقرانه الباقون .

ونعنى بهم أنداده وأترابه من العلماء الذين يماثلونه فى شرف حمل أمانة العلم والدعوة إليه ، فضلاً عن الاضطلاع بمهامه الجسيمة من حيث تعليمه وتدريبه للأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء فى شتى أنحاء المعمورة .

وأقران الشنقيطى من المنزلة والفضل بما لا يتسع المقام لاستيفاء تراجمهم ، وتام التعريف بهم ؛ حيث يلزم لهذا سفر ضخم وبحث مستقل ، وهذا ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بالإشارة إليهم حسب الترتيب الهجائى لأسمائهم ؛ وذلك خروجاً من تقديم أو تأخير بعضهم على بعض ، خاصة وأنهم جميعاً نخبة فاضلة من العلماء الأجلاء الذين يصعب التمييز بينهم فى الصفة ، أو المفاضلة بينهم فى المنزلة .

ولما كان أكثر أقران الشنقيطى قد رحلوا مثله عن عالمنا إلى جوار ربهم سبحانه ، فى حين أن قليلاً منهم لا يزال قائماً بين ظهرانينا حتى اليوم ؛ لذا فسوف نبدأ بذكر الراحلين منهم ثم نتبعهم الباقين ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

أقرانه الراحلون

ونكتفى بذكر أربعة منهم من جلة العلماء وهم :

١ - الشيخ عبد الرزاق عفيفى :

وهو مصرى المولد والمنشأ ، سعودى الهوية والمهجر ، حيث استقر به المقام فى الرياض ثم أسندت إليه رئاسة المعهد العالى للقضاء منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) وكان الشنقيطى ممن يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة فى علمى التفسير والأصول ، على نظام الدراسة آنذاك والذي بدأ باستقدام الأساتذة الزائرين^(١) .

وقد تدرج الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى المناصب العلمية إلى أن صار نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التى كان يترأسها الشيخ ابن باز^(٢) .

هذا بالإضافة إلى تدريس الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى معاهد وكليات الرياض

(١) راجع (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة) .

(٢) راجع كتاب (٩٩ سؤالاً وجواباً فى البيع وصوره) : يجب عليها أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمعها صالح بن أحمد صالح بن ذياب - المطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

المختلفة ، ومن آثاره العلمية محاضرة بعنوان : (دراسات في التوحيد : قواعده وأصوله) إلى غير ذلك من المصنفات والفتاوى المختلفة^(١) .

٢ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقي :

حيث كان يقوم بتدريس علم الحديث في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض ، في حين كان يقوم الشنقيطي بتدريس علم الأصول في نفس المسجد لكبار طلاب العلم آنذاك ، ومع ذلك فقد كان يحضر درسه هذا العامة والخاصة الذين كانوا يتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض^(٢) .

٣ - الشيخ عبد العزيز بن باز :

وقد صاحب الشنقيطي على مدار واحد وعشرين عاماً منذ أن كانا يُدرِّسان معاً في معاهد وكليات الرياض المختلفة، وحتى انتقالاً سوياً إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث صار ابن باز نائباً لرئيس الجامعة ، في حين صار الشنقيطي عضواً في مجلس إدارتها ، هذا بالإضافة إلى تدريسهما بها .

وقد ظلا كذلك حتى صار ابن باز رئيساً للجامعة وإلى أن توفي الشنقيطي عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) حيث صار ابن باز بعد ذلك رئيساً عاماً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م) وحتى وفاته يوم الأربعاء (٢٧-١-١٤٢٠ هـ) الموافق (١٢-٥-١٩٩٩ م) بعد رحيل الشنقيطي بقرابة سبعة وعشرين عاماً .

هذا بالإضافة إلى صحبتهما في هيئة كبار العلماء بالرياض ، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وغيرهما من الهيئات والمحافل الإسلامية المختلفة^(٣) .

وعن منزلة ابن باز لدى الشنقيطي يحدثنا الدكتور عبد الله قائلًا : كان الوالد رحمه الله تعالى يحب الشيخ ابن باز ويقول : هذا الرجل أمره عجيب ؛ حيث لم أر شخصاً أبصر

(١) راجع (تعدد الزوجات وتحديد النسل) : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٣ - سلسلة (الرسائل

المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥ / ١ (من المقدمة) .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٥ - ٧ (من المقدمة) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ٧٧ ، ١٨٢ (بتصرف) .

• مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار

السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

بعلم الفرائض منه، ثم قال لى : كنت يوماً أبحث فى (سُنن أبى داود) عن حديث ، فزارنى الشيخ عبد العزيز بن باز وقال لى : افتح الكتاب صفحة كذا ؛ فوجدت الحديث ، فجزاه الله تعالى خيراً^(١) .

٤ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبار العلماء) فى المملكة العربية السعودية ، وأستاذًا بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم ، وقد صاحب الشنقيطى فى الرياض أثناء تدريسه فى معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ودرس على الشنقيطى فى المعهد العلمى فى الرياض ، ثم فى كلية الشريعة بها .

وطيلة حياته لم يقم الشيخ العثيمين إلا بمنزله المتواضع ببلدته (عُنيزة) بالمنطقة الشرقية ، حيث كان يقصده طلاب العلم من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ من داخل المملكة وخارجها ، وقد عَدَّتْ أقدامهم الطريق الترابية الموصلة إلى بيته هذا الذى كان مَسْبِيًّا من الطوب اللبن ، أما غير هذا البيت من الأبنية الحديثة والقصور الفاخرة مما كان يُهدى إلى الشيخ من قَبْلِ أولى الأمر فى البلاد ؛ فقد جعله كله لطلاب العلم وباحثيه على السواء .

وهو فى زهده هذا يذكرنا صاحبه وشيخه الشنقيطى الذى كان يسير على نفس الدرب ، ويتتهج ذات السبيل ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، وهو الأمر الذى ظل يذكره له ، ويشنى عليه خيراً ، صاحبه وتلميذه العثيمين حتى أواخر حياته حيث كانت وفاته يوم الأربعاء (١٥ - ١٠ - ١٤٢١ هـ) الموافق (١٠ - ١ - ٢٠٠١ م) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة ثمانية وعشرين عاماً^(٢) .

المطلب الثانى

أقرانه الباقون

ونكتفى بذكر أبرزهم من جِلَّة العلماء الآن ألا وهو :

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

• الشيخ حماد الأنصاري :

وقد صاحب الشنقيطي على مدار سبعة عشر عامًا ، منها عامان في دار العلوم والحرم النبوي الشريف عامي (٦٩ / ١٣٧٠ هـ = ٤٩ / ١٩٥٠ م) ثم سبعة أعوام في الرياض تدريسيًا في معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ومجاورًا له في السكن من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) حتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) وهو العام الذي افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ حيث انتقل إليها الشنقيطي منذ البداية ، ثم لحق به الشيخ الأنصاري من عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) مدرسًا معه في نفس الجامعة على مدار ثمانية أعوام حتى وفاة الشنقيطي عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)^(١) .

والشيخ الأنصاري كان من أبرز علماء الحديث في الجامعة الإسلامية خاصة ، ولا يزال كذلك بالمدينة المنورة عامة ، كما أن مكتبته الخاصة لا تزال عامرة بأنفس المخطوطات وأندرها ، فضلاً عن آلاف التصانيف التي تند عن الحصر في مختلف فروع العلم وفنونه ، والمكتبة مفتوحة أمام طلاب الشيخ خاصة ، وغيرهم من طلاب عامة من شتى أنحاء العالم ، ولكن حسب توجيهات الشيخ وإرشاداته .

* * *

وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء كثيرون غيرهم من أمثال : عبد العزيز آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوي الشريف ، وعبد اللطيف آل الشيخ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مدير معاهد وكليات المملكة ، وعبد الله الزاحم رئيس القضاء الشرعي بمنطقة المدينة المنورة ، وأخيراً محمد بن إبراهيم آل الشيخ الحفيد الثاني للشيخ محمد بن عبد الوهّاب مفتي الديار السعودية آنذاك .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

المبحث الثاني معاصروه

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : الملوّك .
- ٢ - المطلب الثاني : الأمراء .
- ٣ - المطلب الثالث : الأدباء .

ونعنى بهم معاصريه من غير أقرانه من العلماء السالف ذكرهم ، ويشملون هنا كلاً من الملوك والأمراء والأدباء الذين اقتربوا من الشنقيطى وقربوه إليهم ؛ فأنزلوه منزلته ، وعرفوا له قدره ؛ وبهذا يخرج كلُّ مَنْ عاصره مِنْ غير الأصناف المشار إليها هنا ، سواء من تلامذته أو غيرهم مِمَّنْ صحبوه فى حِلِّه وترحاله عامة ، ورحلاته العلمية والعلاجية خاصة ، فإن هؤلاء وأولئك يندون عن العَدِّ والإحصاء ، ويستعصون على الحصر والاستقصاء ، وهذا ما لا يقصد إليه البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فإننا نستطيع ذكر معاصريه الذين قصدناهم بحسب ترتيبهم الزمنى من خلال المطللين التاليين :

المطلب الأول

الملوك

وقد عاصره منهم أربعة ملوك راحلين ، عرفوا له قدره ، ولجأوا إلى مشورته ، وأعملوا رأيه ألا وهم :

١ - الملك عبد العزيز^(١) :

وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود الذى تولى الحكم فى البلاد عام (١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م) والمتوفى بمدينة الرياض فى حياة الشنقيطى عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م)^(٢) .

(١) وهو غير جده الملك عبد العزيز الذى فتح الرياض عام (١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م) بعد أن أخرج منها (دهام بن دواس) الذى فرَّ هارباً ، ثم كان أن قضى الملك عبد العزيز نجه وهو ساجد على أثر طعنة جنجر نافذة بيد رجل من الشيعة العراقية كان متنكراً فى صورة درويش ، حتى إذا قربه الملك إليه وأكرمه ؛ فعل فعلته وكان عندئذ ما كان فى رجب الحرام من عام (١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م) .
وقد جاء هذا انتقاماً من الملك عبد العزيز الذى كان قد أمر ابنه وولى عهده الأمير سعود بغزو العراق عام (١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م) حيث هدم قبة قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء بعد أن أنزل بشيعتها خسائرها هائلة .

راجع تفصيل ذلك فى :

• الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لأحمد بن حجر آل أبو طامى قاضى المحكمة الشرعية بقطر ص ٢٧ - الطبعة ١ - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

• أطلس العالم الإسلامى : جمع وإعداد مجموعة من المتخصصين جغرافياً وتربوياً بإشراف : دة . دولت أحمد صادق أستاذة الجغرافيا البشرية ص (ب) من المقدمة - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وكان الشنقيطي قد رغب في جوار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة قائلاً : ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ وقد تم له ما أراد بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بداية من عام (١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م) وليستمر الدرس قرابة ربع قرن من الزمان حتى وفاة الشنقيطي عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

كما كان الشنقيطي أول من ساهم في تأسيس وإنشاء النهضة العلمية الحديثة بالرياض بناءً على رغبة وتكليف الملك عبد العزيز له بذلك ، وقد بلغ تقدير الملك عبد العزيز للشنقيطي أن منحه الجنسية، بل وأكثر من ذلك عندما منحه أمراً ملكياً خاصاً يمنح بمقتضاه تلك الجنسية لكل من يتمي إليه ، بل وجميع من في كفالته ؛ وذلك ثقةً به ، وإكراماً له^(١) .

٢ - الملك سعود :

وهو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذي تولى حكم البلاد عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م) عقب وفاة أبيه ، وحتى تنازله عن العرش لأخيه الملك فيصل عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)^(٢) .

وقد واصل الملك سعود نهج أبيه الملك عبد العزيز في إكرام الشنقيطي وتقديره ، بل وإعمال رأيه، والنزول على رغبته ؛ إلى الحد الذي قبِلَ معه التنازل عن عرش البلاد لأخيه الملك فيصل نزولاً على رغبة كبار علماء البلاد الذين أنابوا الشنقيطي ليلبغ عنهم تلك الرغبة للملك سعود ؛ فكان لحكمة الشنقيطي وقوة حجته ، فضلاً عن علو قدره ومكانته ؛ أبلغ الأثر وأعظمه في استجابة الملك سعود لذلك ؛ إثارةً منه لمصلحة البلاد ، وحفاظاً على مقدسات المسلمين^(٣) .

٣ - الملك فيصل :

وهو فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود والذي تولى

(١) راجع تفصيل ذلك في كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٣٧/١ ، ٤٣ ، ٤٧ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جميع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد في :

- أطلس العالم الإسلامي : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (ج) من المقدمة .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٥ .

حكّم البلاد بعد تنازل أخيه الملك سعود له عن العرش عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)^(١) .
وقد ظل ملكاً على البلاد منذ ذلك التاريخ وحتى نالت منه يدُ أئمة غادرة لشباب غير
مستول من الأسرة المالكة ؛ وليقضى بذلك نجبة على الفور عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م)
ولتفقد أمتنا الإسلامية برحيله واحداً من خيرة أبنائها العظام ، وأبرز حكامها الأعلام^(٢) .
وأما تقدير الملك فيصل للشنقيطي فلم يكن أقل شأنًا عن والده الملك عبد العزيز وأخيه
الملك سعود ؛ بل ظل للشنقيطي في عهد الملك فيصل ما له من المكانة والتقدير في شتى
المحافل العلمية عامة ، وفي كل من رابطة العالم الإسلامي والحج بمكة المكرمة ، وكذا
بالجامعة الإسلامية والحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة خاصة .

ثم توج الملك فيصل تقديره للشنقيطي بأن كلفه برئاسة لجنة من كبار العلماء للإشراف
على إصدار طبعة معتمدة من المصحف الشريف بالمدينة المنورة برواية ورّش عن نافع من
طريق أبي يعقوب الأزرق ، وذلك قبل رحيل الشنقيطي بعام واحد وقبل رحيل الملك فيصل
بثلاثة أعوام .

وإلى هذا يشير آخر هذه الطبعة بما نصه : بأمر من صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد
العزيز آل سعود أطال الله عمره ، أُلِّفَتْ لجنة من كبار علماء المسلمين في المدينة المنورة
برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، وضبطت هذه النسخة على
قراءة ورّش عن نافع ، من طريق يوسف أبي يعقوب الأزرق عن ورّش عن نافع ، وهو
أصح الحروف وأثبتها في قراءة ورّش عن نافع .

وكان لصاحب الجلالة الملك فيصل الفضل في إظهار هذه الطبعة المصححة من جميع
وجوهها ، سواء من ناحية ضبط القراءة أو ضبط الخطوط ، إلى حيز الوجود ، وذلك في
المدينة المنورة في تاريخ الثامن عشر من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من
الهجرة النبوية ، حيث أشرف على تصحيح هذه النسخة الشيخ محمد الأمين بن محمد
المختار الشنقيطي وصحح ما فيها من الخطأ ، ثم توقيع الشنقيطي بخط يده : (محمد
الأمين) وبعده الناشرون : دار الكتاب اللبناني^(٣) .

(١) راجع تاريخ حكمه للبلاد في :

• أطلس العالم الإسلامي : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (د) من المقدمة .
(٢) كما طالعتنا بذلك في حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية في مصر
وخارجها .

(٣) انظر في ذلك الصفحات الداخلية الأخيرة من :

• المصحف الشريف برواية ورّش عن نافع : الطبعة ١ - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان

- ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤ - الملك محمد الخامس :

وهو جدُّ الملك الحالي محمد السادس الذي اعتلى عرش المملكة المغربية عقب وفاة والده الملك الحسن الثاني في غضون عام (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م)^(١) .

وقد عرف الملك محمد الخامس للشنقيطي قدره ومنزلته ؛ حيث تجلّى ذلك واضحاً عندما زار الرياض ، ثم استأذن آنذاك في صحبة الشنقيطي إلى المدينة المنورة ؛ ومن ثم فقد صحبه الشنقيطي تقديراً وإكراماً ، بل وألقى بحضرة الملك محاضرة قيمة بالحرم النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد جاءت هذه المحاضرة بعنوان قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الآية^(٢) .

المطلب الثاني

الأمراء

وقد عاصره ثلاثة منهم كلهم عرفوا له قدره وعلمه ؛ فأكرموا وفادته وأحسنوا معاملته منذ بداية مقدمه إلى المملكة لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى وفاته ، وهؤلاء الأمراء بترتيبهم الهجائي هم :

١ - الأمير تركي السديري :

وكان أمير منطقة (أبها) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطي مع أخيه الأمير خالد السديري كما سيأتي ذكره الآن .

(١) كما طالعنا بذلك في حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية في مصر وخارجها .

وانظر في ترجمة الملك محمد الخامس :

• الجاش الريط في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط : محمد الإمام ابن ماء العينين الشريف الإدريسي الشنقيطي ص (ب) - من المقدمة - الطبعة ١ - سلسلة (مكتبة صحراء المغرب) - الكتاب رقم (١) - مطبوعات دار العلم - رباط الفتح - المغرب - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

(٢) المائدة : ٣ - وراجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦/١ ، ٥٥ (من المقدمة) .
• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨/١ .

٢ - الأمير خالد السديري :

وكان أمير منطقة (تبوك) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطي مع أخيه الأمير تركي السالف ذكره ، وذلك أثناء حجه الأول عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وقد كان سبب ذلك اللقاء مذاكرة أدبية حول بيت شعرٍ لجرير يهجو فيه الأخطل وقومه بنى تغلب ، ولم يسعف الأميرين في ذلك سوى الشنقيطي الذي وجداه ساحلاً لا بحر له .

وعن هذا اللقاء يحدثنا الشنقيطي نفسه قائلاً : وفى يوم عرفة بقرب مسجد (نَمْرَة) مررنا مصادفة من غير قصد على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان اللذان هما أخوان وهما : الأمير السامى تركى أمير (أبها) السديري ، والأمير السامى أخوه خالد السديري أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً فى ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا ، فأوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ، وسألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره :

هَلْ تَتْرُكْنَ إِلَى الْقِسِيِّنَ هِجْرَتَكُمْ وَمَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

وعن إعراب (قربانا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه ، ويعيرهم بدين النصرانية ، وذكرنا له القصيدة ومعنى البيت وإعراب الكلمة^(١) .

٣ - الأمير عبد الله بن عبد الرحمن :

وهو شقيق الملك عبد العزيز السالف ذكره، وكان من أشد الناس حباً وتقديراً للشنقيطي ؛ إلى الحد الذى جعله الشيخ عطية من أحق الناس تعزية فى شخص شيخه الشنقيطي^(٢) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٧٠ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

والبيت المذكور من قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتاً ، وقد ذكرها الشنقيطي من حفظه على الفور بدءاً بمطلعها الذى يقول فيه جرير :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
حَى الْمَنَازِلِ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلَا بِالْدَارِ دَارًا وَلَا الْجَسِرَانِ جِسْرَانَا

إلى أن يختمها بقوله :

هَلْ تَتْرُكْنَ إِلَى الْقِسِيِّنَ هِجْرَتَكُمْ وَمَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا
لَنْ تَدْرِكُوا الْمَجْدَ أَوْ تَشْرَوْا عِبَاءَ تَكُمُ بِالْحَزِّ أَوْ تَجْمَعُوا التَّنُومَ ضُمْرَانَا

(٢) حلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد (وكيل وزارة العدل السعودية) - ص ١٢ - الطبعة

٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ =

١٩٨٩ م .

ومما يذكر أن الأمير عبد الله قد أهدى الشنقيطي بيتاً في الطائف ، كما أذن للبنك الأهلى بالمدينة المنورة أن يعطيه ما يطلب من المال ، غير أن الشنقيطي ردَّ هذا وذاك ، ولم يقبل شيئاً منهما ؛ وذلك لما عُرِفَ عنه من زهده فى الدنيا ، وعدم حاجته إليها^(١) .

المطلب الثالث

الأديب

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم من حيث شدة قربه من الشنقيطي ، وطول ملازمته له ، ألا وهو :

• الأديب العبودي :

وهو الأديب الأريب محمد ناصر العبودى الذى كان يشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك ؛ ولطول صحبته للشنقيطي ، وكثرة اجتماعهما معاً ؛ نراه يستعيد ذكرى تلك الجلسات العديدة التى كانت تضمهما فى مجلس الجامعة قائلاً :

وَكُنَّا كُنْدَمَانِيَّ جَدِيمَةَ حَقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ ؛ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا ؛ كَأَنى وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(٢)

* * *

وهكذا يجتمع أقران الشنقيطي وأنداده مِمَّنْ يماثلونه فى العلم والفضل ، مع معاصريه من الملوك والأمراء والأدباء ممن اقتربوا منه وتعاملوا معه ؛ حيث يجتمع هؤلاء وأولئك من راحلين وباقيين فضلاً عن غيرهم ، فى إنزال الشنقيطي منزلته ، وقدرهم إياه حَقَّ قدره ؛ ولا غرو ؛ فتلكم مكانة العلماء العاملين ، وذلكم تقدير الأمة لهم ، على مَرِّ العصور ، وتعاقب الدهور .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص

. ١٩٨

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٢ .

الفصل الثالث

تلامذته

من أقرانه و من الشناقطة و من غير الشناقطة

ويتنظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : تلامذته من أقرانه .
- ٢ - المبحث الثاني : تلامذته من الشناقطة .
- ٣ - المبحث الثالث : تلامذته من غير الشناقطة .

جلس الشنقيطى لتدريس فنون العلم وفروعه المختلفة قرابة أربعين عاماً ، منها حوالى ثمانية أعوام فى بلاده شنقيط منذ أن أتم مرحلة الطلب فى الثلاثين من عمره تقريباً ، وحتى خروجه من بلاده لحجة الإسلام وهو ابن ثمانية وثلاثين عاماً فى أول رحلة له إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وعقب فراغه من الحج استقر به المقام ببلاد الحجاز ، حيث أخذ فى مواصلة عطائه على مدار ثمانية وعشرين عاماً بدأها بالتدريس فى كل من دار العلوم والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ؛ ثم فى المعهد العلمى وكلية الشريعة واللغة بالرياض ، ثم مرة أخرى فى كل من الجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، حيث ظل يدرس بهما حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

ومن ثم ؛ فقد تتلمذ عليه خلق كثيرون ، نهلوا من علمه ، وعبأوا من معينه ، سواء فى بلاده التى كان يمثل فيها مدرسة متنقلة ، بل جامعة سيارة لما لا يعد ولا يحصى من طلابه النابهين فى سائر العلوم ، وشتى الفنون ، بالإضافة إلى تخريجه خمس عشرة دفعة من طلاب دار العلوم بالمدينة المنورة ، والمعهد العلمى وكلية الشريعة واللغة بالرياض ، وكذا تخريجه ثلاث عشرة دفعة من طلاب الجامعة الإسلامية وحدها بالمدينة المنورة .

فضلاً عن تلامذته الذين درسوا عليه فى غير المدارس النظامية سواء فى بيته من خاصة طلابه بالرياض والمدينة المنورة ، أو من غيرهم فى الحرم النبوى الشريف من زائرى رسول الله ﷺ أثناء العمرة والحج ، أو من المقيمين فى المدينة المنورة من مجاورى رسول الله ﷺ .

وقد بلغ من حب الشنقيطى للتعليم والتدريس أن أثرهما على التفرغ للتأليف والتصنيف ، وهذا ما يشير إليه عبد الرحمن السديس بقوله : عرض الشيخ عطية وفقه الله على شيخه الشنقيطى رحمه الله التفرغ للتأليف وترك التدريس بالجامعة الإسلامية ؛ فأجابه الشيخ قائلاً : (إن هؤلاء التلاميذ فيران قمره ، يأخذون العلم منا ، ثم ينشرونه فى الآفاق) فقد شبههم بالفئران فى الليلة القمرية ؛ حيث يتجهون إلى نواح كثيرة ، وأماكن متعددة .

وهذا من بعد نظره رحمه الله ؛ فقد كانت الجامعة الإسلامية تضم طلاباً من جميع دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى ، أخذوا العلم وانتشروا فى سائر بلاد المعمورة ،

حتى إن الشيخ عطية يحدثني أنه لقي عدداً غير قليل منهم في بعض دول جنوب شرق آسيا^(١) .

وبهذا تتضح لنا تلك الكثرة الهائلة ، وذلك العدد الضخم ، من طلاب العلم وباحثيه ، ممن تلمذوا على الشنقيطي ، وأخذوا عنه ؛ بما لا يحصيهم قلم مستوعب ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ؛ لذا فسوف نكتفي إزاءهم بذكر أشهرهم تبييناً بهم على غيرهم ، بدءاً بتلامذته من أقرانه ، ثم تلامذته من الشناقطة ، وأخيراً تلامذته من غير الشناقطة ، وذلك من خلال المباحث الثلاث التالية :

(١) راجع في ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

المبحث الأول تلاذذته من أقرانه

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : الشيخ حمّاد الأنصاري .
- ٢ - المطلب الثاني : الشيخ عبد العزيز بن باز .
- ٣ - المطلب الثالث : الشيخ عبد العزيز آل صالح .
- ٤ - المطلب الرابع : الشيخ عبد الله الزاحم .
- ٥ - المطلب الخامس : الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

وكلهم من جِلَّةِ العلماء وأكابرهم ؛ ومع ذلك فقد أخذوا عن الشنقيطى ودرسوا عليه جملة من العلوم الرئيسة ، والتي تمثلت فى كل من : (التفسير - الأصول - اللغة - المنطق - آداب البحث والمناظرة) وذلك لما لمسوه من تضلعه وعلو كعبه فى تلك العلوم وغيرها التى قلما تجتمع لغيره ؛ ومن ثم لم يمنعهم ما عُرِفَ عنهم من علم وفضل من أن يحرصوا أشد الحرص على ملازمة الشنقيطى والاستفادة منه ، على الرغم من كونهم جميعاً أقرانه وأنداده فى شرف حمل العلم ، وأمانه تدريسه لطلابه وباحثيه على السواء .

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم مِمَّنْ تلمذوا عليه بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول الشيخ حماد الأنصارى

حيث التقى بالشنقيطى قبيل الحج عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) بمكة المكرمة ، ثم بعد الحج بالمدينة المنورة حيث لازم درسه فى التفسير فى دار العلوم والحرم النبوى الشريف عامى (١٣٧٠ / ٦٩ هـ = ١٩٥١ / ٥٠ م) ثم جاوره فى الرياض من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) إلى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث نُقِلَ إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد لحق به الشيخ حماد الأنصارى عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وظل ملازمًا له فيها وفى الحرم النبوى الشريف حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)^(١) .

ومما أخذه الشيخ حماد على الشنقيطى علما التفسير والمنطق ، وهو إذ ذاك أستاذ يُدرِّسُ معه للطلاب ، وفى ذات الوقت تلميذ له ، يتلقى عنه ، ويأخذ عليه .

المطلب الثانى الشيخ عبد العزيز بن باز

حيث أخذ على الشنقيطى (شرح سُلَّم الأخصرى) فى فن المنطق ، كما كان يحضر له حلقة التفسير فى الحرم النبوى الشريف على مدار خمسة أعوام من عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وحتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) والشيخ ابن باز إذ ذاك من

(١) راجع تفصيل ذلك فى :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ .

أكابر العلماء وأبرزهم ، كما كان نائباً لرئيس الجامعة الرسلامية ، ثم رئيساً لها بالمدينة المنورة^(١) .

المطلب الثالث

الشيخ عبد العزيز آل صالح

حيث كان إمام الحرم النبوي الشريف ، ورئيس محاكم المدينة المنورة ، وأحد العالمين اللذين أوصى الأمير خالد السديري أمير (تبوك) آنذاك بضرورة لقاء الشنقيطي بهما في المدينة المنورة .
ومما درسه الشيخ آل صالح على الشنقيطي علما الصرف والبيان ، فضلاً عن شدة قربه منه وملازمته له في كل من : معهد القضاء العالي بالرياض على مدار سبع سنوات دراسية كاملة منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) ، وفي هيئة كبار العلماء بالرياض على مدار اثنين وعشرين عاماً منذ تشكيلها عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) فضلاً عن ملازمته له بالمدينة المنورة حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)^(٢) .

المطلب الرابع

الشيخ عبد الله الزاحم

وكان إمام الحرم النبوي الشريف ، ورئيس محاكم المدينة المنورة ، والعالم الثاني الذي أوصى الأمير خالد السديري بضرورة لقاء الشنقيطي به مع صاحبه الأول الشيخ عبد العزيز آل صالح^(٣) .

وقد شارك الشيخ الزاحم صاحبه الشيخ ابن صالح في دراستهما على الشنقيطي ، فضلاً عن كونهما أقرب الناس إليه ، وأكثرهم مجالسة معه ، وأدومهم ملازمة له^(٤) وهما إذ ذاك من أكابر العلماء وجلتهم ، بالإضافة إلى توليها قضاء المدينة المنورة ، فضلاً عن إمامتهما في الحرم النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفي هذا من الفضل ما فيه ، مما لا يدانيه غيره ، ولا يرقى إليه سواه .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديري ص ٢١٣ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٦/١ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٦/١ - ٣٧ (من المقدمة بتصرف) .

(٤) وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله الشنقيطي في محاضراته المسجلة عن والده بعنوان : (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) .

المطلب الخامس

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

حيث كان أحد الأعضاء البارزين في (هيئة كبار العلماء) في المملكة العربية السعودية ، إلى جوار عمله كأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم .

ومما درسه على الشنقيطي علم الأصول ، وعلم المنطق ، فضلاً عن آداب البحث والمناظرة ، وذلك في كل من المعهد العلمي وكلية الشريعة أثناء تدريس الشنقيطي بهما في الرياض ، وذلك من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذي انتقل فيه الشنقيطي للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ اليوم الأول لافتتاحها من ذلك العام^(١) .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

البحث الثاني تلامذته من الشناقطة

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى .
- ٢ - المطالب الثانى : أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطى .
- ٣ - المطالب الثالث : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى .
- ٤ - المطالب الرابع : بقية تلامذته من الشناقطة .

ما إن وصل الشنقيطي بلاد الحجاز عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) واستقر بها ؛ حتى بدأ طلاب العلم الشناقطة في التوافد عليه ، وبعضهم كان قد سبقه إلى البلاد ، في حين جاء معه البعض الآخر أو لحق به فيما بعد .

غير أنه قد تزايد عددهم بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كان الهدف من إنشائها تعليم أبناء المسلمين ، بصرف النظر عن جنسياتهم وأقطارهم ، وكان من حسن حظهم أنهم وجدوا الشيخ الأمين رحمه الله مدرساً بهذه الجامعة ؛ فلازموا دروسه في الجامعة ، بل وخارجها أيضاً .

ويحدثنا الشيخ الحسين بن عبد الرحمن أبرز الطلاب الشناقطة القدامى الذين درسوا على الشنقيطي ولازموه منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) عن سلوك شيخه مع طلابه قائلاً : إن شيخنا محمد الأمين رحمه الله كان يُسكِننا في حجرات بيته ، وينفق علينا من ماله الخاص ، فضلاً عما يقوم به من تعليم وتربية ، وقد ظللنا كذلك حتى تخرجنا مع مَنْ تخرج من طلاب الأقطار الإسلامية الأخرى^(١) .

وفيما يلي نعرِّفُ ببعض من تبيهاً بهم على غيرهم ، وذلك بحسب تربيهم الهجائي من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي^(٢)

ولد في شنقيط عام (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م) ثم رحل فيما بعد إلى الحجاز ليأخذ العلم على الشنقيطي الذي أجازته في كل من التفسير والأصول واللغة العربية .

عمل مدرساً في الحرم المكي ثم أحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) فرجع إلى بلاده ليستقر بها ؛ حيث يعد أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين هناك ، بل وأكثرهم نشاطاً ، وأشدهم إنكاراً للبدع ، ولا سيما بدع مَنْ يدعون التصوف ويتسبون إليه .

ومن آثاره العلمية : (إكمال تحفة الألباب شرح الأنساب - ومواهب الجليل على مختصر خليل - وإعداد المنهج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي) .

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٢ ، ٤١٣ .

(٢) انظر تفصيل ترجمته في :

• السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ .

المطلب الثاني

أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطي

وعنه يتحدث شيخه الشنقيطي في معرض استضافة تلميذه له أثناء رحلته إلى الحج فيقول : فنزلنا عند تاجر منا ، طيب السمائل والأخلاق ، اسمه : أحمد بن الطالب الأمين ، وهو من أخص إخواني وتلامذتي ؛ فبالغ في إكرامنا ، وأهدى لنا ثياباً ، ودفع عنا أجرة السيارة إلى بلد (مبتي) التي بادرنا السفر إليها ، وقد ركب معنا أخونا أحمد المذكور في السيارة^(١) .

المطلب الثالث

أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطي^(٢)

ولد في شنقيط أول العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري وكان أبوه إذ ذاك رئيس قبيلته ورئيس المحاكم الشرعية ، ولما توفي أبوه بعد المرحلة الابتدائية أخذ يطلب العلم بهمة عالية ، حتى إذا أتم دراسته ؛ سافر آنذاك لأداء فريضة الحج عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) .

وهناك لازم شيخه وابن عمه الشنقيطيَّ وصار من أخص تلامذته ، بل ومن أكثرهم

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٩٠ .

والمقصود هنا بقوله : (منا) أي من نفس قبيلة الشنقيطي (بنى جاكاه) فهو جكنى مثله ، غير أن أحمد بن الطالب الأمين كان إلى جوار طلبه العلم يعمل بالتجارة في بلدة تسمى (بمكو أو بمكوكو) بجمهورية (مالي) حيث نزل عليه شيخه الشنقيطي ومن معه آنذاك ، ولا تبعد تلك البلدة كثيراً عن بلدة (مبتي) التي سافر إليها الشنقيطي مع صحبه يرافقه تلميذه المذكور داخل حدود الجمهورية نفسها .

ولزيد من التعريف بـ (بمكو) و (مبتي) بجمهورية (مالي) انظر :

● الأطلس العربي : ص ٤٧ (خريطة إفريقيا السياسية) - ط ٥ - طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(٢) انظر تفصيل ترجمته في كل من :

● أضواء البيان : الشنقيطي ١/٤٥ (من المقدمة) .

● ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ .

● نثر الورود على مراقي السعود : الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي ١/٢٣ - نشر : محمد محمود محمد الحنّضر القاضي - ط ١ - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

انتفاعاً بعلمه ؛ حتى إنه طلب من شيخه أن يمليه شرحاً على (مراقى السُّعود لمبتغى الرُّقىّ والصُّعود) فى أصول المالكية ، وقد أجابه الشنقيطى إلى طلبه بما يسمى (نثر الورود على مراقى السُّعود) غير أنه ترك ما يقرب من خُمس الكتاب لم يشرحه ؛ لضيق وقته ، وكثرة مشاغله .

وقد ظل أحمد بن محمد الأمين يعمل مدرساً بالحرم المكى إلى أن أُحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) ومن آثاره العلمية : (مواهب الجليل من أدلة خليل فى أربعة مجلدات - تحقيق وتكملة عمود النسب فى أنساب العرب فى ثلاثة مجلدات - اختصار زهر الأفتان على حديقة ابن الونان فى الأدب - نظم فى علم البلاغة فى ثمانمائة بيت - شرح لمنظومة عمته أم الخير فى معجزات النبى ﷺ - نظم له فى أمهات النبى ﷺ - شرح على لامية الأفعال - وأخيراً تهذيب لشرح محمد الأمين بن أحمد زيدان على المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

المطلب الرابع

بقية تلامذته من الشناقطة

أما بقية تلامذته من الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذي لا يفى به إلا سفر ضخم ، وهو ما لا يقصد إليه البحث ، وليس بموضعه ، وفيما يلي قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائى ، مع الإحالة على مصادر تراجعهم على النحو التالى :

- ١ - إبراهيم بن عثمان .
- ٢ - د . بابا بن بابا بن أدّه الجكنى .
- ٣ - التلميذ بن محمود .
- ٤ - الحسين بن عبد الرحمن .
- ٥ - د . سيد محمد ساداتى .
- ٦ - مأمون محمد أحمد بن أمينوه .
- ٧ - محفوظ بن سيدات .
- ٨ - محمد أحمد دادح بن الشيخ .
- ٩ - محمد أحميد بن عمر .
- ١٠ - محمد الأمين بن الحسين .
- ١١ - د . محمد الخضر بن الناجى بن ضيف الله الجكنى .
- ١٢ - د . محمد ولد سيدى ولد حبيب (ابن عم شيخه الشنقيطى) .
- ١٣ - محمد عبد الله بن أحمد مزيد .
- ١٤ - د . محمد عبد الله بن الصديق .
- ١٥ - د . محمد عبد الله بن عمر .
- ١٦ - د . محمد بن عمر بن حوية الجكنى .

- ١٧ - د . محمد بن ماديك .
- ١٨ - د . محمد بن محمد المختار الجكني .
- ١٩ - د . محمد المختار بن سيدي محمد .
- ٢٠ - د . محمد يعقوب بن طالب عبيدي .
- ٢١ - د . محمود محمد الأمين باب .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُقُونَ بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء في بلادهم شنقيط بعد رجوعهم إليها ، أو في بلاد الحجاز حيث لا زال أكثرهم يُدرِّسُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عمل بعضهم بالقضاء الشرعي والإفتاء بدولة الإمارات العربية المتحدة خاصة ، وغيرها من حواضر الإسلام ، ودياره العامرة عامة^(١) .

(١) راجع تفصيل تراجمهم في كل من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
- الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د . عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .
- السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .
- نثر الورود على مراقي السعود : شرح الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د . محمد ولد سيدي ولد الحبيب ١٧/١ - ٢٢ .

المبحث الثالث

تلامذته من غير الشناقطة

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : الدكتور بكر أبى زيد .
- ٢ - المطالب الثانى : الشيخ عطية محمد سالم .
- ٣ - المطالب الثالث : الشيخ محمد الجنوب .
- ٤ - المطالب الرابع : بقية تلامذته من غير الشناقطة .

وهم كأسلافهم من تلامذته من الشناقطة ، من حيث الكثرة والتعدد ، وكذا العلم والفضل ، وفيما يلي نُعرِّف أيضاً ببعض منهم تبييناً بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائي من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

الدكتور بكر أبو زيد

وهو بكر بن عبد الله أبو زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ، وأخص تلامذة الشنقيطي من أهل الحجاز ، وأكثرهم ملازمة له على مدار عشرة أعوام كاملة ، كما لم يتخلف يوماً واحداً عن حلقة تفسير شيخه للقرآن الكريم أثناء شهر رمضان المعظم من كل عام في الحرم النبوي الشريف .

ومن العلوم التي حصلها عليه الأصول وآداب البحث والمناظرة من خلال دروس شيخه الخاصة في المسجد والمنزل ، أما علم الأنساب فهذا ما تفرد بتحصيله الدكتور بكر دون سائر تلامذة شيخه من خلال كتابي ابن عبد البر المعروفين بـ : (القصص والأسم ، في معرفة أنساب العرب والعجم ، وأول من تكلم بالعربية من الأمم) و (الإنباه على قبائل الرواة) حيث قيّد على ذلك بعض التحريرات والتعليقات ، من نكات شيخه وضوابطه العلمية .
وإلى هذا التفرد يشير الشنقيطي نفسه في خطابه إلى تلميذه بكر قائلاً : ما أخذ عنى علم الأنساب في هذه البلاد غيرك^(١) .

ويحدثنا الدكتور عبد الله عن تلميذة الدكتور بكر على والده الشنقيطي قائلاً : ومن أكثر من لازم الشيخ من طلابه بكر أبو زيد صاحب التصانيف الكثيرة ، ولم يأخذ على الشيخ في هذا البلد من علم النسب غيره ، وقد كان بكر يقرأ كثيراً ثم يأتي إلى الشيخ يصحح عليه ويستفيد منه ؛ حتى أنه كان يجلس مرة في آخر الحرم النبوي الشريف وكنت معه آنذاك صغيراً ، وقد قال له الشيخ وقتها كلاماً في حديث : «الطلاق مرتان» ثم قال : البخاري هو الذي فهم الحديث ، أما أنا والحافظ ابن حجر فلسنا فاهمين للحديث !!
فذهبت إلى بكر أبو زيد وقلت له : ماذا كان يقول لك الشيخ من أنه هو والحافظ ابن حجر لم يفهما الحديث ، والذي فهمه تماماً هو البخاري؟! فقال بكر : نعم أتذكر ، ولكنني نسيت !! فبحثنا معاً عن شيء يكون مسجلاً بهذا الصدد عند أحد من طلاب الشيخ

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ - ويقصد بقوله : (هذه البلاد) أي بلاد الحجاز عامة ، والمدينة المنورة خاصة .

هنا أو هناك ؛ لكن مع الأسف لم نجد شيئاً من هذا ؛ لذا كان بكر أبى زيد كثير الاستفادة من الشيخ^(١) .

ومن ثم ؛ فقد دَلَّ هذا البحث من الدكتور بكر مع ابن شيخه على حرصه على تسجيل كل ما يسمعه من شيخه ؛ بحيث لا يفوته منه شيء ، حتى ولو كان يسيراً أو عابراً ؛ فإنه بالنسبة إليه يعنى الشيء الكثير .

ومن آثاره العلمية : (كتاب حليّة طالب العلم) الذى ذكر فيه خبر لقائه وتلمذته على شيخه الشنقيطى^(٢) .

المطلب الثانى

الشيخ عطية محمد سالم^(٣)

هو عطية محمد سالم عطية سالم الذى كان يعمل قاضياً بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ثم قاضياً للتمييز بها ، كما ظل يُدرّس بالحرم النبوى الشريف حتى قبيل وفاته يوم الاثنين (٦ - ٤ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٩ - ٧ - ١٩٩٩ م) .

ولد الشيخ عطية بقرية (المهديّة) من أعمال (الشرقية) إحدى محافظة الوجه البحرى بمصر عام (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م) غير أنه هاجر إلى المملكة العربية السعودية فى ريعان الشباب لبدأ هناك على الفور مرحلة التحصيل والطلب ، والتي يمكننا تقسيمها إلى ثلاث مراحل دراسية متعاقبة هى :

١ - الدراسة الخاصّة :

حيث الحلقات العلمية المختلفة فى الحرم النبوى الشريف ، والتي تكاد تتوارى من حياة

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك :

• حليّة طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد (وكيل وزارة العدل بالسعودية) ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(٣) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب / ٢ (٢٠١ - ٢٢٦) - الطبعة ٣ - (طبع دار الفائس ببيروت لبنان) - (نشر دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

• مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السنّة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

• ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

القسم الأول : الباب الثانى : سيرته العلمية ----- الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة

المسلمين اليوم ، إلا فى بعض حواضر الإسلام كحلقات الأزهر الشريف بمصر ، والقائمة على مدار ألف عام ولا تزال حتى اليوم .

٢ - الدراسة النظامية :

حيث معاهد ودور العلم الحكومية ؛ بقصد نيل المؤهلات العلمية المختلفة ، والتي بدأها الشيخ عطية بالثانية الثانوية بالمعهد العلمى بالرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ومنه إلى كليتى الشريعة واللغة اللتين تخرج فيهما بعد ذلك .

٣ - الدراسة الجامعة :

وهى تلك التى أخذها على شيخه الشنقيطى ، وتميزت آنذاك بأنها جمعت الدراستين السابقتين الخاصة والنظامية معاً ؛ ومن ثم طاب لنا وصفها بـ : (الدراسة الجامعة) .

ونترك الحديث للشيخ عطية ليصف لنا هذه الدراسة على شيخه قائلاً : بيد أن الدراسة التى جمعت بين الخاصة والنظامية ، وامتازت على سائر الدراسات المختلفة فهى ملازمتى فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى على مدى اثنين وعشرين عاماً ، لا أكاد أفارقه فى حلٍّ ولا ترحال ؛ حتى رحلته إلى الحج ، ورحلته إلى دول إفريقيا .

وكانت تلك الملازمة فرصة العمر للتحصيل ؛ إذ كنت أستفيد منه بيان ما أشكّل على من المقررات النظامية ، وأتوسع فى مدارسها ، ومن الدروس التى حضرتها عليه : التفسير وأصوله ، وأصول الفقه والبلاغة ، وأدب البحث والمناظرة ، والفرائض ، ومقدمات فى المنطق ، وبخاصة مبحث التصور والتصديق .

وأهم من هذا كله : الجانب المسلكى من حياته الفاضلة ، فإنى وإن لم أستطع مجاراته ؛ فإنى لم أُحرَم الإفادة منه ، والحمد لله^(١) .

وأما عن آثار الشيخ عطية العلمية فهى من الكثرة والتنوع بحيث تكفى الإشارة إليها على النحو التالى :

أ - آثاره المطبوعة :

وتشمل مراجعته وتعليقاته على مؤلفات شيخه الشنقيطى مثل : مراجعة تفسير (أضواء البيان) وعمل فهارسه الفنية المختلفة ، وكذا مراجعة كل من : رسالة الناسخ والمنسوخ ، وكتاب دفع إيهام الاضطراب ، وجمع مذكرة أصول الفقه ، وأخيراً : تقديمه وتعليقه على كتاب (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٢/٢٠٢ .

كما تشمل آثاره المطبوعة ما له من المؤلفات الخاصة مثل : ترجمته لشيخه ، و (تنمة تفسير أضواء البيان)^(١) والرُّق : معاملته وحقوقه فى الإسلام ومقارنته بينه وبين النظم والقوانين الأخرى ، وأخيراً : سلسلة الرسائل المدنية التى وصلت إلى اثنى عشر كتاباً فى مختلف البحوث الفقهية والعلمية^(٢) .

ب - آثاره المسموعة :

وتشمل مجالسه القضائية والعلمية ، وحلقات تدريسه المنتظمة فى الحرم النبوى الشريف ، وكذا محاضراته ومؤتمراته العلمية التى يدعى إليها داخل المملكة وخارجها ، وأخيراً : أحاديثه العديدة فى مختلف وسائل الإعلام السعودية والعربية .

ج - آثاره الشعرية :

ومعظمها فى رثاء شيخه كما أسلفنا ذلك من خلال حديثنا عن وفاة الشنقيطى وراثته وحسن خاتمته .

المطلب الثالث

الشيخ محمد المجدوب

حيث كان يعمل مدرساً بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب : (علماء ومفكرون عرفتهم) والذى ترجم فيه لشيخه الشنقيطى ، حيث ذكر أنه صاحب شيخه تلميذاً وزميلاً بالجامعة الإسلامية على مدار أحد عشر عاماً منذ معرفته به عام (١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

(١) كما سيأتى ذكر ذلك مفصلاً من خلال تناولنا لتفسير (أضواء البيان) للشنقيطى ضمن الحديث عن آثاره العلمية فى موضعه من البحث .

(٢) وقد صدرت هذه السلسلة فى طبعها الأولى عن مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة عام (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م) وجاءت تحت العناوين التالية :

التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام - مع الرسول ﷺ فى رمضان - تحريم نكاح المتعة لأبى الفتح المقدسى : تحقيق وتخريج - زكاة الحلى على المذاهب الأربعة - تعريف عام بعموميات الإسلام - منهج الإسلام فى كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين - أصول الخطابة والإنشاء - معالم على طريق الهجرة - تعدد الزوجات وتحديد النسل - رمضانيات من الكتاب والسنة - آداب زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله ﷺ - وأخيراً : مع الرسول ﷺ فى حجة الوداع .

هذا فضلاً عن مواظبته على دروس شيخه في التفسير بالحرم النبوي الشريف ، وكذا مجالسه العلمية لخاصة طلابه الذين كانوا يدرسون عليه بمنزله بالمدينة المنورة^(١) .

وقد ظل الشيخ المجذوب يذكر شيخه الشنقيطي ويثنى عليه خيراً حتى قبيل وفاته يوم الاثنين (١ - ٣ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٤ - ٦ - ١٩٩٩ م) بعد رحيل شيخه بقراءة سبعة وعشرين عاماً^(٢) .

المطلب الرابع

بقية تلامذته من غير الشناقطة

أما بقية تلامذة الشنقيطي من غير الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذي لا يفى به إلا سفر ضخم ، وهو ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ، وفيما يلي قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائي ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالي :

- ١ - إحسان إلهي ظهير .
- ٢ - صالح اللحيدان .
- ٣ - صالح بن هلابي .
- ٤ - عبد الحميد أبي زيد .
- ٥ - د . عبد العزيز قارى .
- ٦ - عبد الله بن جبرين .
- ٧ - عبد الله الزايد .
- ٨ - عبد الله بن غديان .
- ٩ - د . عبد الله قادري .
- ١٠ - عبد المحسن عبّاد .
- ١١ - د . محمد ربيع مدخلي .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أو في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عضوية كثير منهم بـ (هيئة كبار العلماء) وكذا (اللجنة الدائمة للإفتاء) بالمملكة العربية السعودية .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - (١٧١/١ - ١٩١) - حيث استغرقت هذه الترجمة عشرين صحيفة يتصدرها نموذج خطي بيد الشنقيطي ، وقد جاء ترتيبه العاشر بين ترجمات عشرين عالماً ضمهم الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

هذا بالإضافة إلى عمل الآخرين منهم على مختلف مواقعهم من المسؤولية العلمية والدعوية ببلادهم المختلفة على امتداد حواضر الإسلام ، ودياره العامرة^(١) .

* * *

● ملاحظات حول تلامذة الشنقيطي :

١ - لقد استثنينا من تلامذته كلاً من ابنه : الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله الأستاذين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة^(٢) فهما ولداه ، أحب الناس إليه ، وأقربهم إلى قلبه ؛ ومن ثم فلا يفتقر مقام أبوته لهما إلى دليل يبرهن على بدهة تلمذتهما عليه .

وإلى خصوصية تلك التلمذة ، وبعض ملامحها ، يشير الدكتور عبد الله قائلاً : وأكثر ما استفدت من الوالد رحمة الله عليه أني درست عليه في صيف أحد الأعوام حوالي ثلاثين آية لمدة ثلاثة أشهر ، حيث كان يعطيني كل يوم كلمة واحدة يشرحها لي لغة وإعراباً وحكماً ؛ حتى إنني جلست آنذاك تسعين يوماً من : «آلَم» في أول البقرة حتى قول الله تعالى فيها : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿ بما يعادل ربع جزء تقريباً^(٣) .

وفي الحقيقة كانت هذه هي أنفع قراءة قرأتها على الشيخ ؛ فبالرغم من قلة مدتها ؛ إلا أنها كانت تمثل منهجاً كاملاً من حيث كونها دراسة معمقة وجردية^(٤) .

٢ - إن تلامذة الشنقيطي من أقرانه السالف ذكرهم ليعُدُّون من جلة العلماء وأكابرهم ، وهم مع تصريحهم بتلمذتهم عليه كقولهم : (شيخنا العالم القرآني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عليه رحمة الله) ومع ما يبدو ما في ذلك القول من بالغ تواضعهم وجم أدبهم ؛ إلا أن الأمر لا يخلو من الاستفادة المتبادلة بينه وبينهم .

(١) راجع تفصيل تراجمهم في كل من :

● ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .

● الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

● السلفية وأعلامها في موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .

● منسك الإمام الشنقيطي : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) ٢٨/١ - ٣٠ .

(٢) راجع التعريف بهما ص من هذا البحث .

(٣) البقرة : ٣٠ - وبهذه الآية يصير ربع الجزء الأول بحاجة إلى ثلاث عشرة آية حتى يتم بنهاية نصف

الحزب الأول عند قول الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾ البقرة : ٤٣ .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه التلمذة مزدوجة بينه وبينهم ، فكما استفادوا منه بعض العلوم ، فقد أفاد منهم أخرى ؛ حتى غدا كل منهما للأخر أستاذاً تلميذاً ، وتلميذاً أستاذاً ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وهنا كلمة يجب أن تقال للحقيقة ولطلبة العلم خاصة ، ونضعها في ميزان العدالة وقانون الإنصاف : لقد كان لجلوس الشيخ رحمه الله فائدة مزدوجة ؛ حيث استفاد وأفاد ، واستفادته في هذا أمر حتمي ، ومنطقه علمي^(١) .

٣ - يعد الشيخ عطية محمد سالم أخص تلامذة شيخه الشنقيطي ، بل أقربهم إلى قلبه ، وأخلصهم إلى نفسه ؛ حيث حظى من شيخه بما لم يحظَ به غيره ؛ وهذا ما يحدثنا عنه الشيخ عطية نفسه قائلاً : لقد أكرمني الله بصحبته ، وطول ملازمته ليل نهار ، وكثرة مرافقته في الظعن والأسفار ، داخل المملكة وخارجها ، وسمعت منه رحمه الله الشيء الكثير والكثير جداً ، إنه لشيخى ، وأعز عليّ من والدى ، إنه حقاً والدى حساً ومعنىً ؛ فقد وجدت منه العناية والرعاية كأشد ما يرعى الوالد ولده ، مما يطول ذكره ، ولا يُنسى فضله^(٢) .

ومن ثم ؛ فقد كان أن خصصنا الشيخ عطية دون سائر تلامذة الشنقيطي بشيء من بسط القول إزاء ترجمته والتعريف به ؛ وذلك لما له من خصوصية هذه الخطوة ، وعمق تلك العلاقة ، التي ربطته بشيخه على مدار سني حياته .

وفى الجملة : فإن الشيخ عطية يشير إلى وفرة تلامذة شيخه ، وانتشارهم في الآفاق ، على مختلف مواقعهم من المسئولية ، سواء في المملكة العربية السعودية أو خارجها ؛ الأمر الذي لا يمكن معه حصرهم ، ومن ثم استقصاؤهم وجمعهم .

وفى هذا يقول الشيخ عطية ما نصه : لقد كان لتدريس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله ، سواء رسمياً في المعهد العلمي بالرياض ، أو كليتي الشريعة واللغة بها ، وكذلك تدريسه في مسجد الشيخ بالرياض^(٣) أو المسجد النبوي الشريف بالمدينة

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٧/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١٣/١ (من المقدمة) .

(١) ويقصد به : (مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ) مفتى الديار السعودية آنذاك ، وإليه مرجع الهيئات الإسلامية الكبرى بها ، كما كان يعرف بـ (المفتى الحفيد) لكونه حفيد الشيخ محمد ابن عبد الوهّاب ، وقد كان مسجده الواقع بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض يمثل جامعة إسلامية عالمية يلتقى فيها كل من العلماء والطلاب على السواء من شتى أنحاء المعمورة لتدريس مختلف فنون العلم وفروعه ، وكان الشنقيطي من أبرز هؤلاء العلماء آنذاك .

المنورة ، وكذا تدريسه في منزله بالرياض ومكة والمدينة ؛ فقد كان لهذا كله أثر طيب ، ونتائج حسنة ؛ بحيث لا يسع متحدثاً أن يتحدث عنها بقدر ما تحدثت هي عن نفسها ، وذلك في أعمال كافة المتخرجين المنتشرين في أنحاء المملكة من البرّزين في أعمالهم ، بل وفي أعلى المناصب في كافة الوزارات المختلفة .

ومن ثم ؛ فلا يستطيع إنسان أن يحصر تلامذة الشيخ رحمه الله ؛ لوفرة من أخذوا عنه ، وبخاصة في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وكذلك المسجد النبوي الشريف ؛ إلا أن هناك الخصوصيات من بنى عمومته ، فضلاً عن الأشخاص الذين لازموه الزمن الطويل في حله وترحاله ، واستفادوا من تلك المرافقة والرحلات .

ولذا ؛ لا يغالي من يقول : إن كل من تخرّج أو يتخرّج ، فهو إما تلميذ للشيخ ، أو تلميذ لتلاميذه ؛ فهم بمثابة أبنائه وأحفاده ، وكفى^(١) .

= راجع تفصيل ذلك في كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٤٢ - ٤٥ (من المقدمة) .
 - علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .
 - ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- (١) انظر في ذلك كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٤٥ - ٤٦ (من المقدمة) .
 - ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

الفصل الرابع

نشاطه

فنى بلاده وخارج بلاده

وينتظم المبحثن التالين :

١ - المبحث الأول : نشاطه فى بلاده .

٢ - المبحث الثانى : نشاطه خارج بلاده .

المبحث الأول نشاطه في بلاده

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : الدرس والفتيا .
- ٢ - المطلب الثاني : القضاء .

يُعدُّ نشاط الشنقيطي ببلاده يسيراً محدوداً إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها وعزومه على البقاء بأرض الحجاز ، والتي بلغ بها ذروته ، ووصل فيها إلى غايته ومداه .
وقد تمثل نشاطه ببلاده فيما كان يقوم به من أعمال تميزه عن سائر علمائها ، وذلك من خلال اضطلاعاه بالدرس والفتيا والقضاء^(١) وهذا ما يتبين لنا من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول الدرس والفتيا

كان عمل الشنقيطي بالتدريس والإفتاء يمثل مرجع الكافة ببلاده في سائر الشئون ؛ فقد كان بمثابة المعلم والمفتي ، والواعظ والمرشد ، بل الموجه والمصلح لكل من قصده ، أو لجأ إليه ، من خلال علوم الشرع واللغة بفروعهما المختلفة .

المطلب الثاني القضاء

وبالرغم من اشتغال الشنقيطي بالدرس والفتيا ، إلا أنه قد اشتهر بالقضاء خاصة ، بل وعُرفَ بالفِرَاسَة فيه ، وهذا ما يتضح من خلال ما يلي :

• الشيخ القاضي :

كان الشناقطة عظيمى الثقة فى شيخهم وقاضيهم الشنقيطى على الرغم من وجود الحاكم الفرنسى فى البلاد آنذاك^(٢) الأمر الذى دفع مواطنيه ليفدوا إليه من مختلف أنحاء البلاد ،

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤/١ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٦/١ .

(٢) حيث كانت بلاد شنقيط ترزح آنذاك تحت نير التبعية الفرنسية ، وقد ظلت على تلك الحال حتى نالت استقلالها التام عن فرنسا عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) غير أنها ظلت ضمن دول الاتحاد الفرنسى الأفريقى المعروف بـ (الكومنولث) وفى (١٨ من جماد الأول ١٣٨١ هـ = ٢٧ من أكتوبر ١٩٦١ م) انضمت موريتانيا رسمياً إلى (الأمم المتحدة) ثم إلى (جامعة الدول العربية) فى (٢ من ذى القعدة ١٣٩٣ هـ = ٢٦ من نوفمبر ١٩٧٣ م) ثم كان أن انفصلت عن (الكومنولث) لتصبح عضواً فى (اتحاد المغرب العربى) الذى يضم كلاً من (ليبيا والجزائر والمغرب) وذلك فى (جماد الثانى ١٤٠٩ هـ = فبراير ١٩٨٩ م) برعاية ملك المغرب الراحل الحسن الثانى .
راجع الزيد عن مسيرة موريتانيا السياسية منذ الحرب العالمية الثانية عام (١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م) وحتى تم لها ما أرادت ، وذلك فى كل من :

فيذهبون إليه حيث يكون نازلاً مهما كلفهم ذلك من النفقة والمشقة والوقت ، ويهون عليهم هذا كله في سبيل قضائه بينهم ، وفصله في خصوماتهم .

• طريقته في القضاء :

كان إذا أتاه الطرفان المختصمان ليقضى بينهما ؛ يعمد إلى استكتابهما برغبتهما في التقاضى إليه أولاً ، ثم قبولهما حكومته وما يقضى به بينهما ثانياً ، وبعد ذلك يقوم بإثبات الدعوى ، ثم إثبات اعترافات كل خصم على حدة ، وبيزائها ردود الغريم ؛ وبهذا يكون قد جمع بين أركان القضية الثلاثة والتي تشمل نص الدعوى ، ثم اعتراف المدعى ، وأخيراً رد المدعى عليه .

وعقب ذلك يصدر الشنقيطى حكمه في هذه الخصومة أو تلك مُعللاً ومُؤيداً بالأدلة الشرعية التي يستقيها غالباً من مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى السائد في بلاده شنقيط خاصة ، وبلاد الغرب الأفريقي عامة^(١) وحالما يفرغ الشنقيطى من ذلك ؛ يدفع بالدعوى ومعها الردود والحكم إلى الطرفين المتنازعين قائلًا لهما : اذها بها إلى من شتتا من المشايخ أو الحكام .

• ثقة المشايخ والحكام في قضائه :

أما المشايخ فلا يكاد يأتي أحدهم حكمُ الشنقيطى في قضية قضاها إلا صدقوا عليها في الترو والحال ، وأما الحكام فلا تكاد أيضاً تصلهم قضية حكمَ فيها إلا نفذوا حكمه فور وصوله إليهم دون أدنى شك أو تردد .

هكذا كان قضاء الشنقيطى في كل قضية تُعرضُ عليه ، إلا قضاء الدماء حيث كان لذلك قضاء خاص .

-
- = موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض في القارة السوداء) : محمد يوسف مقلد ص ١٧٣ - ط ١ - دار الكتاب اللبناني - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .
 - العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقي ص ١٤٩ - ط ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد ٣٧٩ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
 - جريدة (الشعب) الموريتانية الحكومية التي تصدر في العاصمة (نواكشوط) - ثمان صفحات - العدد ٢٥٠٢ - السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ أباً - السبت ٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ٧ من مايو ١٩٨٨ م .
 - (١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٦ .

● قضاء الدماء :

والمقصود به القصاصُ أو حكمُ الإعدام الذي كان له قضاء خاص به في أنظمة السلطات الفرنسية التي كانت تهيمن على البلاد آنذاك ، حيث يتمثل هذا القضاء الخاص بالدماء في نظر المحاكم الفرنسية في كل ما له صلة بالقصاص أو الإعدام ، وبعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق ، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة ؛ يقضى الحاكم الفرنسي بالقصاص أو الإعدام ، ثم يُعرضُ هذا الحكم على لجنة خاصة تعرف بـ : (لجنة الدماء) .

● لجنة الدماء :

وتتألف من عالمين جليلين من كبار علماء الشريعة بالبلاد ، ولا يتم إنفاذ حكم القصاص أو الإعدام إلا بموافقة هذه اللجنة وتصديقها عليه ، وقد كان الشنقيطي أحدَ هذين العالمين المعتمدين في هذه اللجنة على مدار أعوام عديدة .

* * *

● أهم ما يميز به نشاطه في بلاده :

وبعد : فإنه يتبين لنا مما سبق أن أهم ما يميز نشاط الشنقيطي في بلاده هو فرأسته في القضاء ، تلك الصفة التي يجب توافرها فيمن يضطلع بهذا العبء الثقيل ، والذي يستلزم بالضرورة قدرة خاصة على تمحيص أقوال المتقاضين ، وتفنيد حيلهم ، وكشف ما قد يكون من خداعهم ؛ وذلك بهدف نصفة المظلوم ، والضرب على يدي الظالم بما يستحق من الجزاء .

هذا فضلاً عن الثقة العظمى التي كان يتمتع بها الشنقيطي من قبل المواطنين والمشايخ والحكام على السواء ؛ وليس ذلك إلا لما جربوه عليه من قوة حجته ، ثم عدله ونزاهته .

المبحث الثاني نشاطه خارج بلاده

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : حجه وعزمه على البقاء بالمملكة .
- ٢ - المطلب الثاني : بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة .

ونقصد به ذلك النشاط العلمى الواسع الذى قام به الشنقيطى منذ أن حلَّ بأرض الحجاز وإلى أن توفى بها ، والذى امتد على مدار ستة وعشرين عامًا من عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) قضاها فى سائر أرجاء المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى كل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة^(١) .

وفيما يلى ذكر نشاطه بأرض الحجاز منذ أن حلَّ بها وإلى أن توفى فيها ، وذلك من خلال المطليين التاليين :

المطلب الأول

حجه وعزمه على البقاء بالمملكة

ويشمل وصوله المملكة ، وأداءه حجة الإسلام ، ثم سبب عزمه على البقاء بأرض الحجاز :

١ - وصوله المملكة :

وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عن طريق البحر ، حيث دخل مدينة (جدة) فى العشر الأوسط من ذى القعدة من عام ١٣٦٧ هـ الموافق للعشر الأوسط من سبتمبر من عام ١٩٤٨ م^(٢) .

وقد نزل الشنقيطى ومنَّ معه آنذاك فى بيت عمومى خَصَّصَهُ (آل جمجوم) لنزول أهل القطر من الشناقطة ، وبعد أن مكث بـ (جدة) ليلتين من غير أن يجتمع بأحد من أهلها ، إلا برجل سودانى موظف ببعض الشركات هناك اسمه أحمد البكرى ، حيث أحسن إليهم وحملهم إلى (مكة المكرمة) بواسطة رجل طيب من موظفى إدارة الحج اسمه سامى كنى .

٢ - أدائه حجة الإسلام :

ركب الشنقيطى من (جدة) بعد صلاة المغرب هو ومنَّ معه ، محرمين ملبين قاصدين

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٥ - ٥١ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ - ٢٨٤ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) انظر مقابلة التقويم الهجرى بالميلادى فى كل من :

- برنامج (تقويم أم القرى) : إصدار (هـ - م ١) .
- برنامج (المؤذن العربى) : إصدار (١٠١) .

البيت الحرام بالبلد الحرام ، ولم يكن نُسكُ الشنقيطى تمتعاً ولا قرآناً ، وإنما كان إفراداً بالحج كما هو الأفضل فى مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذى كان عليه الشنقيطى حتى ذلك الحين .

وإلى هذا يشير بقوله : وكان إحرامنا بالحج مفرداً ، وإنما أحرمتنا إفراداً من غير تمتع ولا قرآن ؛ لأن الأفراد فى مذهبنا أفضل من التمتع والقرآن ؛ وأفضلية الأفراد التى هى مذهبنا معاشر المالكية قال بها مالك وأصحابه ، وذلك هو الصحيح من مذهب الشافعى^(١) .

٣ - سبب عزمه على البقاء بالمملكة :

خرج الشنقيطى من بلاده لأداء حجة الإسلام على نية العودة إليها ثانية ؛ غير أن الله تعالى شاء غير مشيئته ؛ حيث بدأت مرحلة جديدة من حياته عندما تجددت نيته على البقاء بالمملكة عامة ، ومدينة رسول الله ﷺ خاصة ؛ وذلك بسبب مدارس أدبية دارت بينه وبين الأمير خالد السديرى أمير تبوك آنذاك حول بيت من الشعر قاله جرير ضمن قصيدته التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، حيث وجد الأمير خالد من الشنقيطى بحراً لا ساحل له .

وعن تلك المدارس الأدبية يحدثنا الشنقيطى قائلاً : وبعد أن تمت مناسك حجنا جعله الله حجاً مبروراً ، وسعيًا مشكوراً ، أمين أمين ، كان أن مررنا فى يوم عرفة بقرب مسجد (نَمْرَة) مصادفة من غير قصد^(٢) على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان ، اللذان هما أخوان ، وهما الأمير السامى تركى أمير (أبها) السديرى ، والأمير السامى أخوه خالد السديرى أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً فى ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا ، فأوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ؛ حيث سألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره : (وَمَسْحَهُمْ صُلْبُهُمْ رَحْمَنٌ قُرْبَانًا) وعن إعراب :

(١) وقد توسع الشنقيطى فى حشد الأدلة على أفضلية الأفراد بالحج عند المالكية ، مقارنة ذلك بأقوال المذاهب الأخرى ومُفَنِّدًا لها - انظر تفصيل ذلك فى كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : ص ٢٥٥ - ٢٦٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الشنقيطى قد عدل عن المذهب المالكي بعد إقامته بالمملكة واستقراره بها ؛ حيث صار إلى اتباع الدليل دون تعصب إلى أى من المذاهب الأربعة ، وسوف نورد ذلك مفصلاً فى موضعه من البحث من خلال حديثنا عن منهجه فى عرض الأحكام الفقهية .

(٢) قوله : (مُصَادَفَةٌ) فيه نظر ؛ حيث لا يُفَضَّلُ التعبير بهذه الكلمة فى مجال الدراسات الشرعية لما قد تَلَقَّى به من ظلالٍ حول إلغاء القَدَر ، أو الوقوع فى صفات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا ما لا يجوز =

(قُرْبَانًا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه ، ويعيرهم بدين (النصرانية) ثم ذكرنا له القصيدة ، ومعنى البيت ، وإعراب الكلمة^(١) .

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك قائلاً : وهكذا تعمل المقادير الحكيمة عملها في تحركات الشيخ والإعداد لمصيره الجديد ؛ فإذا بخيمة الشيخ بجوار خيمة الأمير خالد السديري دون علم من أي منهما ، ودون أن يعرف أحدهما الآخر ، وإذا بالحديث يتدرج بالأمير خالد وجلسائه إلى بعض الشعر ، فلما أشكل هذا البيت^(٢) على المتحدثين رأوا أن يسألوا جارهم عنه ، وربما دفعهم إلى هذا كلام سبق أن سمعوه من الشيخ يسامر به من معه ؛ فتوسموا فيه العلم ، وكان هذا مقدمة لمسيرة ظلت حتى وفاته^(٣) .

كما يرصد الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي سبب عزم شيخه على البقاء بالمملكة قائلاً : وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتاً في الأدب^(٤) وهو ذواقة أديب ، وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركونهم ؛ فوجدوا بحراً لا ساحل له ، ومن تلك الجلسة وذاك المنزل تعدلت الفكرة^(٥) بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة .

= بحال ؛ لأنه لا يقع في كون الله تعالى إلا ما يريد الله تعالى ، ألا ترى قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان : ٣٠ - فإن لم يكن هناك قصد بشري ، إلا أن هناك دائماً قصداً إلهياً ؛ ومن ثم فلا مجال للمصادفة بحال من الأحوال ، وعليه فالأنسب أن يقال : (قَدَرًا) بدلاً من (صُدْفَةً أو مُصَادَفَةً) .

(١) ويقام هذا البيت :

هَلْ تَتَرَكُنَّ إِلَى الْقَسِيِّنَ هَجْرَتِكُمْ وَمَسَحَهُمْ صَلِبُهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانًا
وهو البيت قبل الأخير من قصيدة طويلة لجرير تبلغ ثلاثة وسبعين بيتاً ، قال في مطلعها :
بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوغَتْ مَا بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ حَبَاكِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا
انظر هذه القصيدة بتمامها في كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- ديوان جرير : شرح محمد بن حبيب (١/ ١٦٠ - ١٨٧) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

(٢) ويقصد به بيت جرير المتقدم .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٨ (بتصرف) .

(٤) ويقصد به بيت جرير المتقدم كذلك .

(٥) وقصد الشيخ عطية بهذه الفكرة : أي ما كان عليه شيخه الشنقيطي كسائر علماء بلاده من الشناقطة ، حيث كانوا يسمعون الكثير من الدعاية ضد بلاد الحجاز ، والتي تعرف عندهم باسم : (الوَهَابِيَّة) نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب (على غير قياس) . غير أنه سرعان ما تعدلت فكرة الشنقيطي إلى الصواب منذ أن حلَّ بأرض الحجاز عامة ، وبالمدينة المنورة خاصة ، كما سيأتي بيانه بعد قليل .

ولقد أوصاه الأمير خالد إن هو قدم المدينة أن يلتقى بالشيخين عبد الله الزاحم رحمه الله ، وعبد العزيز آل صالح حفظه الله^(١) وفي المدينة بهما رحمه الله ؛ ومن ثم تجددت نيته في البقاء بهذه البلاد بعد وصوله إليها^(٢) .

المطلب الثاني

بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة

ويشمل نشاطه العلمي الموسع الذي بدأه في المدينة المنورة ، ومنها إلى الرياض حاضرة البلاد ، وأخيراً مكة المكرمة ، وفيما يلي نعرض لنشاطه في كل منهما على النحو التالي :

• أولاً: المدينة المنورة:

بعد أن فرغ الشنقيطي من مناسك حجة الإسلام ، كان أن قضى عدة أيام بمكة المكرمة قبل أن يتوجه إلى المدينة المنورة قاصداً زيارة مسجد رسول الله ﷺ وفي طيبة الطيبة حرص الشنقيطي أن يلتقى أول ما يلتقى بكل من الشيخين : عبد الله الزاحم ، وعبد العزيز آل صالح رحمهما الله تعالى ؛ وذلك إنفاذاً لما أوصاه به الأمير خالد السديري أمير (تبوك) آنذاك من ضرورة البدء بـبلقائهما عند مقدّمه مدينة رسول الله ﷺ .

وقد جاء لقاء الشنقيطي صريحاً مع الشيخين الزاحم وآل صالح فيما كان يسمعه عن مذهب أهل الحجاز في الفقه ، ومنهجهم في العقيدة ؛ ومن ثم كان الشيخان حكيمين معه في كل ما يعرضانه عليه بهذا الصدد ؛ إلا أن الشيخ آل صالح كان أكثر الشيخين مباحثة مع الشنقيطي ، وأثراهما مناقشة معه ؛ حيث قدّم له كتاب (المغنى) لابن قدامة كأصل للمذهب الحنبلي ، بالإضافة إلى بعض كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كمنهج للعقيدة .

وبعد فراغ الشنقيطي من قراءة تلك الكتب عن آخرها ، كان أن تعددت اللقاءات وطالت الجلسات ؛ ليجد بهذا مذهباً معلوماً لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، ومنهجاً سليماً لعقيدة سلف الأمة كما بينها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

ومن ثم ؛ فقد تبددت الغيوم ، وتكشفت الأمور ، بعد أن ذهب زيفُ الدعايات ، وظهر معدنُ الحقيقة ؛ والتي على أثرها توصلت العلاقة بين الشنقيطي والشيخ آل صالح ،

(١) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حياً آنذاك ، وقد عمّر بعد الشنقيطي قرابة اثنين وعشرين

عاماً حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٣٥ - ٣٦ (من المقدمة) .

بل كان أن تُوجَّتْ في النهاية بأن تجددت الرغبة المتبادلة بين الطرفين في بقاء الشنقيطي بالمدينة المنورة لإفادة المسلمين^(١) .

وبهذا يبدأ الشنقيطي سلسلة نشاطه في بلاد الحجاز انطلاقاً من مدينة رسول الله ﷺ في كل من :

١ - الحرم النبوي الشريف :

رغب الشنقيطي في هذا الجوار الكريم بالقرب من رسول الله ﷺ وتفسير القرآن الكريم بمسجده الشريف ، معبراً عن ذلك بقوله : (ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله تعالى في مسجد رسول الله ﷺ)^(٢) وبالفعل فقد تم للشنقيطي ما أراد بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود ملك البلاد آنذاك ، والذي على أثره بدأ درسه في التفسير حيث فُسرَّ القرآن الكريم ثلاث مرات منذ ذلك الحين وحتى وفاته .

وهذا ما يخبر به تلميذه الشيخ عطية بقوله : فُسرَّ الشيخ رحمه الله تعالى القرآن في المسجد النبوي وحده ثلاث مرات تقريباً ، وقد سمعته يقول : (ما من آية في المصحف إلا وعندي عنها ما قيل فيها) وقد ظهر ذلك جلياً في (أضواء البيان) بحمد الله تعالى^(٣) .

ولم يكن جلوس الشنقيطي لتفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ إلا امتداداً للشيخ الطيب^(٤) وتلامذته من بعده من أولئك العلماء الذين اضطلعوا بشرف التدريس آنذاك بمسجد رسول الله ﷺ الذي يُعدُّ جامعة الإسلام الأولى .

وندعَّ المقام للشيخ عطية ليحدثنا عن طبيعة التدريس بالحرم النبوي الشريف ، وليصف لنا درس شيخه الشنقيطي به قائلاً : يعتبر التدريس في المسجد النبوي من أهم التدريس في كبريات جامعات العالم في نشر العلم ، فهو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامي ، منذ عهد النبوة وحين كان جبريل عليه السلام يأتي لتعليم الإسلام في مجالس رسول الله ﷺ ومنذ كانت مجالس الخلفاء الراشدين ، وعلماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ؛ إذ كانت

(١) راجع ذلك بتصرف في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٨ (الجزء الأول من التمهة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٨ (الجزء الأول من التمهة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٤) توفى الشيخ الطيب عام (١٣٦٣ هـ = ١٩٤٣ م) بعد أن نفع الله تعالى بدرسه في التفسير بالحرم النبوي الشريف ، وذلك قبل أربع سنوات من جلوس الشنقيطي لذات الغرض عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

المدينة العاصمة العلمية ، بل ظلت محافظة على مركزها العلمي ، حيث لم تخل في زمن من الأزمان من عالم يقوم بحق الله فيها .

ومن هؤلاء العلماء شيخنا الشنقيطي رحمه الله ، حيث كان درسه في التفسير أشبه ما يكون بحديقة غناء ، احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار ، في تنسيق الغرس وجمال الجداول ، تشرح الصدر ، وتشفى القلب ، وتروق للعين ؛ فيستفيد منه جميع الناس ، ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه ، وفي الجملة ، فقد كان نفعه رحمه الله في المسجد النبوي للمقيم والقادم ، للقاصي والداني ، نفعاً عظيماً^(١) .

٢ - الجامعة الإسلامية :

منذ أن فَتَحَت الجامعة الإسلامية أبوابها للدراسة بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) والشنقيطي في طليعة الفوج الأول من العلماء الذين تولوا التدريس بها ، بل ظل أحد أعمدها الأساسية ، وأبرز أعضاء مجلسها المعبرين على مدار اثني عشر عاماً حتى توفي وهو على ذلك^(٢) .

وعن نشأة هذه الجامعة ودور الشنقيطي فيها يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلًا : إن من يعرف نشأة الجامعة الإسلامية ، وقد عرف الحركة العلمية الحديثة بالرياض ؛ ليقول : إن افتتاح الجامعة قد جاء امتداداً لهذه الحركة ، كما أن المتتبع للحركات العلمية في العالم الإسلامي ليقول : إن افتتاح الجامعة الإسلامية في ذلك التاريخ عناية من الله تعالى ، وتدارك للتعليم الإسلامي حينما أصيبت بعض دور العلم الكبرى بهزات في برامجها ؛ ولعل افتتاح هذه الجامعة بالمدينة المنورة جزء من تحقيق حديث رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى حُجْرها » الحديث^(٣) .

ومعلوم أن الإيمان عقيدة وعمل ، وأن العلم قبله ؛ ومن هنا نجد القول بأهمية الجامعة الإسلامية ومدى وجودها بالمدينة المنورة ، وبالتالي مجئ أبناء العالم الإسلامي إليها بهدف

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١/١ - ٤٢ (من المقدمة) .

(٢) حيث كانت وفاة الشنقيطي أثناء رئاسة صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن باز للجامعة عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الحج باب) الإيمان يأرز إلى المدينة (ضمن أحاديث فضائل المدينة) - (طبع بيروت) - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ٢٢٣/٨ - حديث رقم (١٨٧٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان باب) بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين - (طبع بيروت) .

الدراسة والتربية في هذا الجو الروحي ؛ وبهذا تبرز لنا قيمة العمل في هذه الجامعة برسالتها التربوية بجانب رسالتها العلمية ؛ والتي على أثرها منعت الانتساب إليها دون الحضور بها .

وقد كان لوالدنا الشنقيطي رحمه الله في هذه المجالات اليد الطولى ، والمجهود الأكبر ؛ فلم يدخر وسعاً في تعليم ، ولم يتوان في توجيه ، سواء في دروسه أو أحاديثه أو محاضراته ، وسواء مع الطلاب أو المدرسين ؛ فكان للجميع كالأب الرحيم ، والداعية الناصح الأمين^(١) .

بل إنه ترك بصماته بارزة على كل من أخذ عنه وتلقى عليه من خريجي هذه الجامعة المباركة ممن لا يُحصون عدداً من تلك الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى^(٢) .

٣ - دار الحديث :

وبالإضافة إلى محاضرات الشنقيطي بالجامعة الإسلامية ، وكذا دروسه العامة بالحرم النبوي الشريف ، فقد كان يُدعى لإلقاء العديد من المحاضرات العلمية النافعة ضمن المواسم الثقافية التي تقيمها الجامعة الإسلامية في نهاية كل عام دراسي في دار الحديث التابعة لها بالمدينة المنورة ، والتي تدعو إليها كبار العلماء من المملكة خاصة ، ومن شتى حواضر الإسلام وأمصاره المختلفة عامة^(٣) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦/١ - ٤٨ (من المقدمة بتصرف) .

ولزيد من التفصيل حول الجامعة الإسلامية ووصف رسالتها التربوية والعلمية ؛ راجع (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١٨٤/١ .

(٣) كانت تضم الجامعة الإسلامية آنذاك طلاباً من تسعين جنسية وهي الآن تضم ما يربو على مائة وإحدى عشرة جنسية ، وهذا ما تنطق به سجلات المقبولين بعمادة شؤون الطلاب بالجامعة .

(١) انظر من هذه المحاضرات على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب (محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في موسمها الثقافي للعام الدراسي ٩٣ / ١٣٩٤ هـ = ٧٣ / ١٩٧٤ م) حيث جاء هذا الكتاب في ثلاثمائة وثمانين صحيفة ، وضم بين دفتيه خمس عشرة محاضرة في مقدمتها محاضرة الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة آنذاك ، والتي تحمل عنوان : (مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله) وقد أقيمت ليلة الجمعة (٩ من المحرم ١٣٩٤ هـ = ١ من فبراير ١٩٧٤ م) بعد واحد وعشرين يوماً من وفاة الشنقيطي ، واستغرقت إحدى وثلاثين صحيفة كاملة من صفحات الكتاب المذكور .

٤ - بيته^(١) :

كان بيت الشنقيطي بالمدينة المنورة بمثابة (المدرسة الخاصة) التي تقتصر فيها دروسه على خواص طلابه من أهل العلم وباحثيه من مختلف أقطار العالم عامة ، والإسلامية منها خاصة ، وقد جعل مواعيد هذه الدروس الخاصة بعد العصر من كل يوم إلا أن تحول دون ذلك ضرورة قاهرة تلجئه إلى تأجيلها أو التغيير المؤقت في مواعيدها لترجع بعد زوال تلك الضرورة إلى سيرتها الأولى .

وتتجلى أهمية هذه الدروس المنزلية ويبرز نفعها في تلك الشروح والمؤلفات التي أملاها الشنقيطي على بعض طلابه ، والتي أفاد منها جمهور الناس ، عوامهم وخواصهم على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم^(٢) .

ثانياً : الرياض :

يعد نشاط الشنقيطي بالرياض مرحلة وسيطة امتدت على مدار عشر سنوات كاملة منذ مقدمه إليها من المدينة المنورة عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كُفِّ بالتدريس في الجامعة الإسلامية منذ أول يوم لافتتاحها من ذلك العام ، وقد ظل يُدرِّسُ بهذه الجامعة إلى جانب تدريسه بكل من الحرم النبوي الشريف ، ودار الحديث التابعة للجامعة ، فضلاً عن دروسه المنزلية لخواص طلابه حتى وفاته المنية وهو على ذلك .

غير أنه لحينه الدائم لرسول الله ﷺ فقد كان يحرص على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة طيلة السنوات العشر التي قضاها بالرياض ؛ ومن ثم فلم يكن تحول نشاط الشنقيطي من المدينة المنورة إلى الرياض في تلك الفترة إلا بناءً على اختياره للمساهمة في الحركة العلمية الجديدة الحادثة في الرياض آنذاك ، والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

• الحالة العلمية بالرياض :

كانت الرياض عاصمة نجد علمياً وسياسياً ؛ حيث كان يفد إليها الطلاب من شتى

(١) ويحمل هذا البيت رقم ٣ بحارة المغاربة بباب الكؤممة على مقربة من الحرم النبوي الشريف ، ولا يزال يقطنه حتى الآن الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .

ومن هذه الشروح التي أملاها الشنقيطي في بيته على خواص طلابه ذلك الشرح المسمى : (نشر البنود على مراقي السُّعود) في أصول المالكية ، والذي أملاه على تلميذه : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

أنحاء نَجِدَ لأخذ العلم وتلقيه على آل الشيخ^(١) وذلك من خلال المساجد التي كانت تعد مراكز الدراسة والتدريس آنذاك ، إلا الخواص من طلاب سماحة المفتي الذين كانوا يدرسون عليه في بيته ضحى ، حيث كان عماد هذه الدراسة يقوم في الأصل على التوحيد والفقه والحديث ، إلى جانب السيرة والنحو، وقد تخرج عليها جُلُّ علماء نجد آنذاك^(٢) .

الحركة العلمية الجديدة :

تطورت حلقات التدريس بالمساجد لتأخذ شكلاً أكثر توسعاً وتنظيماً لما عُرف آنذاك بالحركة العلمية الجديدة ، والتي صارت فيما بعد النواة الأساسية للنهضة العلمية الشاملة التي عمت سائر أرجاء الحجاز، حيث ترعاها العناية الملكية ، وتشرف عليها الكفاءات العلمية .

وعن نشأة هذه الحركة والأهداف المرجوة منها يحدثنا الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطي قائلاً: كانت نشأتها كما سمعت منه رحمه الله استجابة لرغبة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ؛ حيث قال لجماعة من العلماء وهم في مجلسه الخاص : لقد كانت الرياض مليئة بالعلماء ، عامرة بالدروس ، وقد انتقل الكثير منهم إلى رحمة الله ، ولم يخلفهم من يماثلهم ؛ وقد أردت تعاونكم مع سماحة المفتي في تربية جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة ؛ فنحن وأنتم مشتركون في هذه المسؤولية .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه النهضة العلمية ترعاها عناية ملكية ، وتقوم عليها كفاءة علمية ؛ حيث تولى إدارة معاهدها الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، في حين صارت رئاستها لأخيه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله^(٣) .

ولكن ماذا عساه يكون نصيب الشنقيطي من الإسهام في نشاط هذه الحركة آنذاك ؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن في تقرير ذلك النشاط المكثف الذي اضطلع به الشنقيطي منذ قيام هذه الحركة عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه إلى المدينة المنورة ثانية عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث توزع نشاطه على مدار عشر سنوات كاملة بين جهات ستٍ شملت كلاً من :

(١) والمقصود بهم آل الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الذين منهم حفيده سماحة مفتي الحجاز الشيخ محمد إبراهيم بن محمد بن عبد الوهَّاب ، وكذا أخوه سماحة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الذي كان من كبار علماء البلاد آنذاك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢/١ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣/١ (من المقدمة بتصرف) .

١- في المعهد العلمي^(١) :

افتتحت الإدارة العامة للتعليم بالرياض هذا المعهد العلمي في غضون عام (١٣٧١ هـ = ١٩٤٩ م) وكان يقوم نظام التدريس فيه على اختيار نخبة من كبار العلماء من داخل المملكة وخارجها لتولى مسئوليته والإشراف عليه ، وكان الشنقيطي في طليعة هؤلاء العلماء ، حيث ظل يُدرّسُ مادتي التفسير والأصول على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٢- في كليتي الشريعة واللغة^(٢) :

افتتحت هاتان الكليتان عقب افتتاح المعهد العلمي في نفس العام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وكانتا تمثلان آنذاك النواة الأولى للجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض ، وكان الشنقيطي على رأس العلماء الذين اختيروا آنذاك لتدريس مادتي التفسير والأصول في هاتين الكليتين على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٣- في معهد القضاء العالي^(٣) :

استحدث هذا المعهد بالرياض في عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، إلا أن الشنقيطي كان قد رجع آنذاك إلى المدينة المنورة منذ عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) ليتولى التدريس بالجامعة الإسلامية التي افتتحت أبوابها هناك في ذلك العام .

ومع ذلك ؛ فقد كان يُدعى بين الحين والآخر لإلقاء جملة المحاضرات المطلوبة في مادتي التفسير والأصول اللتين ظل يدرسهما بهذا المعهد حتى وفاته المنيّة بعد سبع سنوات

(١) صُنِّفَت الدراسة تبعاً للحركة العلمية الجديدة الحادثة بالرياض آنذاك على أربع مراحل دراسية متتالية تمثل في :

- القسم التمهيدي : ويبدأ من الرابعة الابتدائية ، ويستمر حتى السادسة الابتدائية .
- القسم الثانوي : ويبدأ بعد السادسة الابتدائية ، ويستمر على مدار ثلاث سنوات كاملة .
- المعهد العلمي : ويعد المرحلة الوسيطة التالية للثانوي والسابقة على الجامعة .
- كليتا الشريعة واللغة : وتعدان آنذاك بمثابة النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض .

راجع في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٣/١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) راجع في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٢/١ (من المقدمة) .

(٣) راجع في ذلك بتصرف كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٨/١ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٣/١ .

دراسية كاملة رافقه خلالها كل من صديقيه وقرينيه الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح اللذين كانا يُدْعَيَانِ أيضًا إلى ذات المعهد لنفس الغرض .

٤- في هيئة كبار العلماء^(١) :

شكّلت هذه الهيئة بالرياض من سبعة عشر عالمًا بتاريخ (٨ من رجب الفرد الحرام ١٣٩١ هـ = ٢٩ من أغسطس آب ١٩٧١ م) بموجب الأمرين الملكيين رقمي (١/١٣٧ - ١/١٣٨) وذلك عقب وفاة شيخ البلاد الحجازية وصاحب فتاها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المعروف بـ : (المفتي الحفيد)^(٢) ومنذ تشكيل هذه الهيئة وحتى اليوم وهي تمثل أكبر هيئة علمية ببلاد الحجاز خاصة ، بل وتعد من كبريات الهيئات الإسلامية في العالم عامة .

وقد كان الشنقيطي أبرز الأعضاء السبعة عشرة بهذه الهيئة منذ تشكيلها وحتى وفاته على مدار عامين كاملين رافقه خلالهما الكثير من أصدقائه وأقرانه العلماء من أعضاء تلك الهيئة ، وعلى رأسهم كل من : الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين .

ومما اتسمت به عضوية الشنقيطي في تلك الهيئة سياسته الرشيدة ، وإدارته الحكيمة ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه في تحقيق النتائج الحميدة ، والانتهاء إلى العواقب الحسنة ؛ وهذا ما تجلّى واضحًا وشهد له به الجميع أثناء ترأسه إحدى دورات الهيئة ، حيث يشير تلميذه الشيخ عطية إلى ذلك بقوله : لقد سمعت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح حفظه الله^(٣) وهو عضو فيها ، يقول : ما رأيت قبله أحسن إدارة منه ، مع بُعد نظر في الأمور ، وحسن تدبر للعواقب^(٤) .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٩/١ (من المقدمة بتصرف) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٣ (بتصرف) .

(٢) أي حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب .

(٣) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حيًا آنذاك ، وقد عمّر بعد الشنقيطي قرابة اثنين وعشرين عامًا حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٠/١ (من المقدمة) .

٥ - في مسجد الشيخ^(١) :

والمقصود به مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الحفيد ، وهو مسجد كبير مشهور يقع بمنطقة (دُخْنَه) في الرياض ، وكان سماحة المفتي يُدرِّسُ فيه بنفسه مع مَنْ كان يدعوهم من كبار العلماء الذين كانوا يُدرِّسون بالرياض آنذاك؛ حيث كانوا يلقون دروسهم في مختلف الفنون بهدف إفادة طلبة العلم والعامه على السواء^(٢) .

وقد كان الشنقيطي في مقدمة هؤلاء العلماء ، حيث بدأ درسه في قواعد الأصول لكبار الطلاب وخاصتهم ، غير أنه ما لبث أن حضره العوام الذين كانوا يحرصون على ذلك ، ويتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض .

الأمر الذي صار معه هذا الدرس الأصولي بمثابة فتح جديد في هذا الفن الذي أفاد منه الخواصُّ والعوامُّ على السواء على مدار عشر سنوات كاملة قضاهها الشنقيطي بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذي رجع فيه إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية التي افتتحت هناك في ذلك العام .

٦ - في بيته :

كان بيت الشنقيطي بالرياض أشبه ما يكون بالمدرسة الخاصة التي اقتصر فيها الدراسة على خواصِّ طلابه الذين رافقوه للدراسة عليه على مدار عشر سنوات كاملة قضاهها بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة للتدريس بالجامعة الإسلامية التي افتتحت هناك عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) .

ويعد نشاط الشنقيطي في بيته امتداداً لنشاطه العَلَميِّ بمسجد الشيخ بالرياض ، حيث كانت دروسه بالمسجد تتصف بالعمومية في حين تتصف دروسه في بيته بالخصوصية ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : ولما كان درس الأصول في المسجد عاماً ، ومن الطلبة خواصُّ رغبوا آنذاك في درس خاص في بيته رحمه الله ؛ لذا فقد جعل لهم درساً خاصاً بهم بعد العصر ، وبهذا كان بيته رحمه الله كـمدرسةٍ سواءٍ ينال فيها هؤلاء ما كان يناله أبنائهم الآخرون الذين رافقوه للدراسة عليه^(٣) .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ (من المقدمة بتصرف) .
 - علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .
 - ضمن ردِّ الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- (٢) من هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحمن الإفريقي الذي كان يُدرِّسُ الحديث بهذا المسجد آنذاك .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥/١ (من المقدمة بتصرف) .

ثالث : مكة المكرمة :

يعد نشاط الشنقيطي بمكة المكرمة نشاطاً موسميّاً حيث تمثل في كل من : رابطة العالم الإسلاميّ التي كان ينتقل إليها ليشترك في اجتماعاتها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ثم مشاركته في أعمال مؤتمر الحج السنويّ الذي كان يعقد في موسم الحج من كل عام ، هذا بالإضافة إلى بيته الذي كان يقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التي يقوم أثناءها بنشاطه المعتاد في كل من مجلس الرابطة ومؤتمر الحج ، وذلك على النحو التالي :

١ - في رابطة العالم الإسلامي :

تعد هذه الرابطة من كبريات الهيئات الإسلامية العالمية التي تُعنى بشئون المسلمين وتسعى لحل مشكلاتهم في سائر أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، ولا يحكم نشاط هذه الرابطة ولا يبيّن فلسفة مبادئها التي قامت عليها سوى ما تدعو إليه هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى ، أما أولاهما فقول الله تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية^(٢) وأما ثانيتهما فقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية^(٣) .

وفي ضوء هذا التوجيه القرآنيّ السديد باشر الشنقيطي دوره في هذه الرابطة من خلال عضويته في مجلسها التأسيسي ؛ حيث تجلّت حكمته وسطّعت حجّته في العديد من المواقف الحرجة التي كادت تعصف بالرابطة وتهوى بها في هوة الخلاف والفرقة .

وعن طبيعة هذا الدور الذي قام به الشنقيطي منذ تأسيس هذه الرابطة وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وفي رابطة العالم الإسلاميّ كان والدنا الشيخ محمد الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه عضو المجلس التأسيسي ، حيث لم تقلّ خدماته فيه عن خدماته في غيره ، وإنّي لأذكر له موقفاً حدثني به جنب الرابطة مازقاً كاد أن يُدخل عليها شقاقاً وانثلاماً ؛ وذلك حينما قدّم مندوب إيران في الرابطة طلباً يريد فيه اعتراف الرابطة بالمذهب الجعفرىّ ، ومرفقاً معه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير التي تؤيده على دعواه وتجيئه إلى طلبه^(٣) ومن ثم ؛ فإنّهم قبلوا طلبه دخلوا مازقاً ، وإنّهم رفضوه واجهوا حرجاً ؛ وعندئذ اقترحوا أن يتولى الأمر فضيلته في جلسة خاصة .

(٢) المائدة : ٢ .

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) لم يفصح الشيخ عطية عن تلك الجهات التي أيدت طلب هذا المندوب الإيرانيّ آنذاك .

وقد أجاب طلبهم حيث قال في ذلك المجلس ما نصه : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصولٍ تتمثل في : (الإسلام دين الجميع ، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله تعالى ، والكعبة قبلة الجميع ، والصلوات الخمس ، والصوم ، وحج بيت الله الحرام) كما أننا مجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك ؛ وهذا القدر كلف للاجتماع والترابط .

غير أن هناك أموراً نعلم جميعاً أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها ، فإن رغب العضو الإيراني بحثها واتباع الحق فيها ؛ فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ، فيبحثون ما اختلفنا فيه ، ويُعلن الحق ويُلتزم به ، أو يسحب طلبه الآن .

فما كان من الجميع إلا أن أقر قوله ، وما كان من العضو الإيراني إلا أن سحب طلبه^(١) .

٢- في مؤتمر الحج السنوي:

ليس من شك في أن هذا المؤتمر السنوي يُعدُّ بمثابة الاجتماع العالمي الذي يعقد في موسم الحج من كل عام بالبلد الحرام ، والذي تُبحث فيه شئون المسلمين ، وينظر من خلاله فيما يطرأ على مجتمعاتهم من أمور جديدة وقضايا معاصرة ؛ الأمر الذي يستلزم اجتماع علماء الأمة ، والتنسيق بين جهودهم ؛ لإنتاج الحلول المناسبة والاتفاق على كلمة سواء ؛ بما يعود في النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم ، وهو بعض ما عناه الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الآيات^(٢) .

ويأتي الشنقيطي على رأس هؤلاء العلماء الذين يشاركون في أعمال مؤتمر الحج السنوي ؛ حيث كانت تتوافد إليه جموع الحجاج من قاصدي البيت الحرام لحضور مجالسه وسماع محاضراته ، بل والأخص من ذلك ما يذكره الشيخ المجذوب بقوله : وهناك وفود الحجاج الذين يتدفقون على المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ وبينهم رجال العلم والفكر الذين لا يرون مندوحة عن الإمام بالجامعة الإسلامية وزيارة بعض فصولها الدراسية للاطلاع على نشاط هذه المؤسسة العالمية الحديثة ، وقلما يحضر وفد من هؤلاء

(١) أضواء البيان : الشنقيطي / ١ - ٥٠ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) الحج : ٢٧ - ٢٨ (آيات) .

الزوار إلى الجامعة ثم لا يشهد محاضرات الشيخ بها ، فضلاً عن دروسه بالحرم النبوي الشريف^(١) .

٣ - في بيته^(٢) :

اتخذ الشنقيطي هذا البيت ليقوم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التي كان يقوم خلالها بنشاطه المعتاد وأعماله الدورية في كل من المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ومؤتمر الحج السنوي العالمي الذي كان يُعقد في موسم الحج من كل عام .

وعلى الرغم من تواجد الشنقيطي المؤقت في بيته آنذاك ؛ إلا أن هذا البيت ما كان ليفرغ بحال من الأحوال من جيرانه وزائريه من طلاب العلم خاصة ، وجموع المسلمين عامة ؛ والذين كانوا يحرصون على ملازمة الشنقيطي والإفادة من علمه أثناء فترات إقامته القصيرة ما بين الحين والحين بالبلد الحرام .

بل وقد بلغت ملازمتهم له إلى حد مرافقته في سيارته الخاصة ذهاباً لأداء الصلاة في البيت الحرام وإياباً منه إلى بيته ، كما بلغ حياؤه منهم وكرمه لهم الحد الذي جعل ابنه الدكتور عبد الله يترجل ماشياً في أغلب الأحيان من وإلى الحرم لعدم وجود مكان له في سيارة والده الذي كان دائماً ما يقول له: يا ولدي من العيب أن تُنزل أحداً من السيارة ؛ لأن السيارة لمن سبق إليها^(٣) .

* * *

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٤ (بتصرف) - وجدير بالذكر أن محاضرات الفصل الدراسي الجديد كانت تبدأ بالجامعة الإسلامية بعد الحج مباشرة ، ولا تزال كذلك حتى اليوم .

(٢) ويقع هذا البيت بجبل (بُومَطَشُّش) بحى (العزيرية) بمكة المكرمة ، وقد اضطر الشنقيطي إلى شراء هذا البيت بعد أن واجه موقفًا حرجًا بخصوص البيت الذي كان يؤجره من قبل ؛ حيث طالبه صاحب البيت آنذاك بالخروج من بيته لأنه يعتزم الانتفاع به وعدم تأجيله بعد ذلك اليوم ، غير أن الوقت كان ليلاً ولم يهمله صاحب البيت حتى الصباح ؛ الأمر الذي اضطر الشنقيطي لثمن بيت تلك الليلة في الشارع لعدم وجود أماكن فارغة بأي من الفنادق المزدهمة عن آخرها آنذاك، ومن تلك الليلة رأى الشنقيطي أن هذا لا يليق بأهل المروءة فقرر شراء قطعة أرض بمكة والمدينة وبنى عليهما بيتين قائلاً: هذا يعينني على العمرة والحج وهذا يعينني على المدينة ، وغير هذا لا أريده .

• راجع في ذلك (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) مسجلة .

(٣) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

ملاحظات حول نشاط الشنقيطي ببلاده وخارجها :

مما سبق تتبين لنا جملة من الملاحظات التي ترد على نشاط الشنقيطي العلمي الذي بدأه ببلاده شنقيط ثم واصل عطاءه فيه بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز وحتى وفاته بها ، حيث يمكننا إيجاز تلك الملاحظات فيما يلي :

١ - بدأ الشنقيطي نشاطه ببلاده وهو في الثلاثين من عمره تقريباً عندما بلغ نصاب العلم وأتم مرحلة الطلب عام (١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) وقد ظل يواصل العطاء ببلاده على مدار اثني عشر عاماً حان خروجه منها وهو في الثانية والأربعين من عمره في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وفي بلاد الحجاز استقر به المقام حيث بلغ نشاطه ذروته وأخذ مداه على مدار ستة وعشرين عاماً انتهت بوفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن نشاط الشنقيطي ببلاده يعد سيراً محدوداً من حيث طبيعته ومدته إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها واستقراره ببلاد الحجاز .

٢ - تمثل المدينة المنورة المنطلق الأول ، والمركز الرئيس لنشاط الشنقيطي ببلاد الحجاز ؛ حيث قضى بها ستة عشر عاماً منها أربعة أعوام في البداية منذ وصوله البلاد عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى مغادرته إلى الرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ثم اثنا عشر عاماً متصلة بعد عودته من الرياض عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

على أنه كان يحرص طيلة الأعوام العشرة التي قضاها بالرياض على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة لحينه الدائم لرسول الله ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن المدينة المنورة كانت بمثابة المقر الدائم لنشاط الشنقيطي بها خاصة وببلاد الحجاز عامة أما الرياض فكانت تمثل المرحلة الوسيطة أو البينية من هذا النشاط ، في حين كانت مكة المكرمة المرحلة الانتقالية أو الموسمية منه .

٣ - بالرغم من نشاط الشنقيطي المكثف في كل من المدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة من خلال دور العلم ومعاهده الكبرى فضلاً عن الحرمين الشريفين ؛ إلا أنه كان يحرص دائماً على أن يكون في بيته في تلك المدن الثلاث بمثابة المدرسة الخاصة التي تقتصر فيها الدراسة على خواص طلابه الراغبين في الاستزادة والتحصيل .

وقد عمَّ نفعُ هذه الدروس المنزلية الخاصة وتجلَّتْ فائدها في بعض الشروح التي أملاها

الشنقيطيّ على أحد خواصّ طلابه آنذاك^(١) ؛ ومن ثم فإننا نخلص إلى أن (البيت) كان يمثل حجر الزاوية في فكر الشنقيطي من حيث موقعه وأهميته في طلب العلم وتحصيله ؛ وليس هذا بمستغرب على عالم كالشنقيطي درّج منذ نعومة أظفاره على هذا النهج الذي فتح عليه عينيه في بيوت أخواله والتي كانت تمثل له آنذاك (المدرسة الأولى الأهلية) حيث شيوخته الأقربون ومعلموه الأوائل من أهله وذويه .

(١) وهو تلميذه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكني الشنقيطي الذي طلب من شيخه الشنقيطي أن يمليه شرحاً على (مراقى السعود) في أصول المالكية ، وقد أجابه إلى طلبه بما سُمي (نثر الورود على مراقى السعود) .

الفصل الخامس
رحلاته
للحجّ والدعوة والعلاج

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : رحلة الحج .
- ٢ - المبحث الثاني : رحلة الدعوة .
- ٣ - المبحث الثالث : رحلة العلاج .

القسم الأول : الباب الثاني : مسيرته العلمية _____ الفصل الخامس : رحلاته للحجّ والدعوة والعلاج

تنازعت رحلات الشنقيطي ثلاثة مقاصد ارتبط كل قصد منها برحلة من رحلاته الثلاث التي قام بها على امتداد سني حياته ، أما أولى هذه الرحلات فكانت من مسقط رأسه ببلاده شنقيط إلى بيت الله الحرام بقصد الحج ، وأما رحلته الثانية فكانت من مهاجره بالمدينة المنورة إلى عشرة من الأقطار الإسلامية بقارة إفريقيا بقصد الدعوة ، ثم كانت رحلته الثالثة والأخيرة من المدينة المنورة أيضاً إلى كل من مصر وأوروبا بقصد العلاج .

وفيما يلي إيجاز الحديث عن هذه الرحلات الثلاث وطبيعة كل منها من خلال المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول رحلة الحج

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطالب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطالب الثانى : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطالب الثالث : وسائل الانتقال فى هذه الرحلة .
- ٤ - المطالب الرابع : الأقطار التى شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطالب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمى والأدىبى .

تختلف رحلة الشنقيطى هذه اختلافاً بيناً عن غيرها من سائر الرحلات الأخرى التى يقوم بها غيره من الرّحالة والعلماء إلى شتى بقاع الأرض ومختلف جناباتها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب الباعث على هذه الرحلة فظاهرٌ جليٌّ حيث يتمثل فى عزم الشنقيطى آنذاك على أداء حجة الإسلام المكتوبة ؛ وذلك امثالاً لأمر الله عز وجلّ واتباعاً لسنة رسوله ﷺ وهذا ما يشير إليه الشنقيطى ذاته بقوله : كان مما أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ الآية^(١) فقد بلغنا هذا وآمنا بكل ما فيه ، واثمنا بأوامره وانتهينا بنواهيه ؛ فهو النور المبين والحبل المتين^(٢) وقد جعلناه فى أمور ديننا دليلاً ؛ فتحررنا من مسقط الرأس بقول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الآية^(٣) .

جعلنا الله مِمَّنْ يَأْتُرُ بِالْأَوَامِرِ ، وينزجر بالزواجر ، فامثال هذه الآية الكريمة جَسَمْنَا هذا السفر المبارك السعيد ، حتى أتينا من مكان بعيد ؛ فيها نهضنا هذه النهضة السريعة ، لا بقول عمر بن أبى ربيعة :

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ أَقَمْتَ لَهَا مَاذَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ؟^(٤)

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) وَوَصَفُ الْقُرْآنَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمُتَيْنِ جَاءَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فى جزء من حديث طويل قال فيه : « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم » وفى رواية أخرى يصفه رسول الله ﷺ بقوله : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » - وقد سبق تخريج الروايتين ص ٥ هـ ٢ من هذا البحث .

(٣) آل عمران : ٩٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ .

ورد هذا البيت فى الأصل بلفظ : (أَوْ نَعِمْتَ لَهَا - فَمَا أَخَذْتَ) بدلاً من : (أَوْ أَقَمْتَ لَهَا - مَاذَا أَخَذْتَ) - انظر (شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة) : لمحمد محبى الدين عبد الحميد ص ٢٨٤ - الطبعة ٢ - (مطبعة السعادة) مع (المكتبة التجارية الكبرى) - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

المطلب الثاني

زمن هذه الرحلة ومدتها

خرج الشنقيطى من مسقط رأسه ببلاده شنقيط بعد فجر يوم السبت الثامن من جمادى الآخرة من عام سبعة وستين وثلاثمائة وألف للهجرة (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) قاصداً بلاد الحجاز التي دخلها آنذاك عن طريق ميناء جدة السعودى ضحى يوم الاثنين السابع عشر من ذى القعدة من العام نفسه (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) وهذا ما يشير إليه من خلال حديثه عن يوم خروجه من بلاده ، ثم يوم وصوله الحجاز عن طريق (ميناء جدة السعودى) قادماً من (ميناء سواكن السودان المصرى)^(١) .

(١) يجرى على لسان الشنقيطى قوله : (السودان المصرى) تعبيراً به عن (السودان الشرقى) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لمصر من الناحية الجنوبية بشرق أفريقيا ؛ وذلك اتباعاً منه للمصادر الأفريقية التى درجت على هذا الوصف تمييزاً له عن (السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السودان من الزنوج وغيرهم فى غرب القارة الأفريقية التى يطلق عليها (أفريقيا الغربية) أو (القارة السوداء) أو (عالم الملونين) .

ومن الجدير بالذكر أن (السود أو السودان) يتشرون بكثرة فى شنقيط أو موريتانيا ويشملون (اللحمية) وهم العبيد والحرقيون من الزنوج السود ، بالإضافة إلى (الحرأطنة) وهم المعتقون من الرق من البيضان ذوى الأصل الأسود أو السودان ذوى الأصل الأبيض نتيجة للتزاوج بينهما .

وفى مقابل هؤلاء يأتى (البيض أو البيضان) الذين تسكن قلة منهم فى وسط وجنوب موريتانيا على ضفاف نهر السنغال فى الحدود الفاصلة بين البلدين ، ويشملون (بنى حسان) وهم العرب البيض من المحاريين ، بالإضافة إلى (الزوايا) وهم العلماء البيض من السادة الذين منهم الشنقيطى وقومه (بنوجاكان) .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الجأش الربيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ٢٧ .
- جمهورية موريتانيا الإسلامية : عبد البارى النجم ص ٦٥ .
- العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ .
- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ٣/١١٢٣ .
- من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ٢٣ .
- موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤١ - ٧٩ .
- الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٧٥ .
- موريتانيا: عبد الله عنان ص ٢٤ - مجلة العربى - العدد ٢٥ - السنة ٢ - الكويت - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .
- مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ - مجلة المستقبل العربى - العدد ٧٢ - السنة ٢ - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

أما يوم خروجه من بلاده فيذكره بقوله : كان يوم الخروج لهذه القاعدة الكبيرة^(١) لسبع مضيئ من جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، أمننا الله من الأمام والخلف^(٢) .

وأما يوم وصوله (ميناء جدة) بعد قضاء ما جملته ستة أيام منذ تحركه من (ميناء سواكن) في بداية العشر الأوسط من ذى القعدة من العام نفسه فيذكره بقوله : سافرنا من تلك الليلة في العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، فسرنا متوجهين تلقاء (سواكن) فبتنا دونها ، وجئناها من الغد في المقييل ، ثم بعد لأيٍ تحصلنا على الجوازات والتذاكر بعد أن سلمنا الرسوم المقررة ، ثم مكثنا في محل النظر في (صحة الحجاج) ثلاثة أيام ، ثم ركبنا في السفينة متوجهين إلى (جدة) فمكثت بنا يوماً وليلة في البحر ، ثم نزلنا من الغد في جدة^(٣) .

وبهذا يتبين لنا أن هذه الرحلة قد استغرقت ما يقرب من مائة وستين يوماً هجرياً أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يوماً ميلادياً منذ خروج الشنقيطى من بلاده في (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧-٤-١٩٤٨ م) وحتى وصوله الحجاز في (١٧-١١-١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) .

المطلب الثالث

وسائل الانتقال في هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة برية في أغلب مراحلها حيث شملت منذ بدايتها سائر وسائل الانتقال المعروفة من إبل وسيارات وقطارات بالإضافة إلى التَّجْلُّ أو السير على الأقدام كما لا يخفى ؛ حتى إذا ما وصل الشنقيطى ميناء سواكن^(٤) ركب البحر في طريقه إلى جدة التي وصلها بعد يوم وليلة هو ومن معه من مرافقيه آنذاك .

(١) ويقصد بها حجة الإسلام المتمثلة في الحج الأكبر (الركن الخامس من أركان الإسلام ، أو القاعدة الخامسة من قواعده) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ (بتصرف) .

(٤) يقع (ميناء سواكن) بجوار نظيره (ميناء بورسودان) على الساحل الغربي للبحر الأحمر بجمهورية السودان الديمقراطية ، وفي مقابله تقريباً يقع (ميناء جدة) على الساحل الشرقى للبحر الأحمر بالملكة العربية السعودية - انظر موقع الميناءين بالسودان والسعودية على الترتيب في كل من :

• أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ٩٦ - ص ٧ .

• الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٢٥ - ص ٣٥ .

• الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٢٣ - ص ٣٠ .

وعن سبب إثارة الشنقيطى لأن تكون رحلته إلى الحج رحلة برية يرجع الشيخ المجذوب ذلك إلى أمرين اثنين يذكرهما بقوله : لعل ذلك عائد إلى أمرين : أحدهما ألفتُهُ ظهورَ الإبل التى قضى معها العشرات من سنينهِ حتى خالطت آثارها كيانه ؛ بل بعد استقراره فى مدينة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واستعماله السيارة فى تنقلاته ؛ فإنه لا يبارحه الحنين إلى ذلك العهد ، وما أدرى كم من حجة أداها على متن البعير ، ضاحي الرأس للشمس التى طالما ألفتها فى صحراء شنقيط . أما ثانى التعليلين : فلا أستبعد أن يكون مرده رغبة الشيخ الأمين فى لقاء العلماء ، وتعرف معالم الديار الإسلامية التى تقتضيه الرحلة الطويلة أن يتخذها عمراً^(١) .

غير أننا نرجح ثانى التعليلين الذى لم يستبعده الشيخ المجذوب ؛ وذلك لأنه يتفق والطابع العلمى لهذه الرحلة^(٢) والتى تهدف فى المقام الأول إلى التعرف الشنقيطى على طبيعة وأحوال تلك الأقطار الأفريقية التى يمر عليها فى طريق رحلته لإمكان نشر الدعوة بين شعوبها وإفادتهم علمياً ، وذلك فضلاً عن إثراء لغة الحوار والمناظرات العلمية بين الشنقيطى من جانب وعلماء تلك الأقطار من جانب آخر ، ولا يخفى ما فى ذلك من منافع سامية ، وفوائد جمّة .

المطلب الرابع

الأقطار التى شملتها هذه الرحلة^(٣)

بلغ عدد هذه الأقطار ستة أقطار أفريقية بدأت بدولة السنغال ، ثم مالى ، والنيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية ، وأخيراً السودان المصرى ، وذلك باستثناء بلاده شنقيط التى خرج منها بقارة أفريقيا ، وكذا المملكة العربية السعودية التى وصلها بقارة آسيا .

وقد أثرنا تسمية هذه الأقطار الستة بذات أسمائها التى أوردها الشنقيطى حيث ذكر بعضها مقروناً بجنسية مستعمرها آنذاك قبل أن يتم تحريرها واستقلالها مثل قوله : (النيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية) فى حين ذكر آخرها بدلالة القطر المجاور له مثل قوله : (السودان المصرى) وليس ذلك إلا لتمييز هذه الأقطار والدلالة عليها بما

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ .

(٢) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل من خلال حديثنا عن فقه هذه الرحلة وطابعها العلمى .

(٣) قد تبعتها هذه الأقطار فى مواضعها المتفرقة على مدار خمسين صفحة من كتاب الشنقيطى المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والبالغ مائتين وأربعاً وثمانين صفحة .

يزيل اللبس ويرفع الخلط بينها وبين غيرها مما يشابهها من الأقطار الأفريقية الأخرى^(١) .

المطلب الخامس

طابع هذه الرحلة العلمية والأدبية

تضمنت هذه الرحلة مباحث عديدة ومسائل جلية فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية التى أجاب بها الشنقيطى إثر ما كان يُوجَّهُ إليه من أسئلة أو يُجرى معه من محاورات على امتداد رحلته هذه من بدايتها وحتى نهايتها .

الأمر الذى ميَّزَ هذه الرحلة عن غيرها من الرحلات الأخرى بذلك الطابع العلمى والأدبى الذى تجلَّى من خلاله فقه الشنقيطى ، والذى سنعرض له من خلال حديثنا عن كتابه المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) ضمن آثاره العلمية ومؤلفاته .

(١) ومن ذلك اللبس ما قد يحدث بين كلمتى (نيجر) و (نيجيريا) بل وأشهر من ذلك ما يُفَرَّقُ به

الجغرافيون بين ثلاث حالات تتعلق بدولة غينيا حيث يقولون : (غينيا) ثم (غينيا بيساو أو البرتغالية)

وأخيراً (غينيا الاستوائية) - وانظر فى ذلك خارطة (أفريقيا السياسية) فى كل من :

• أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٧ .

• الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

• الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٤١ .

ومن ذلك أيضاً تفريق الشنقيطى على عادة المصادر الأفريقية بين (السودان المصرى) الذى يعنى

(السودان الشرقى) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لجنوب مصر بشرق أفريقيا ، وبين

(السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السوداء من الزنوج وغيرهم فى دول غرب أفريقيا .

المبحث الثاني رحلة الدعوة

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلوب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطلوب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطلوب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .
- ٤ - المطلوب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطلوب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمي والأدبي .

تأتى هذه الرحلة فى إطار قيام الشنقيطى بواجبه المنوط به تجاه خدمة هذا الدين ، والذي يحتم عليه تبيانه لما أشكَلَ منه على أبنائه ، بل ودفاعه عما اتُّهِمَ به من أعدائه ، وذلك من خلال تلك البراهين الساطعة ، والأدلة الناصعة ، التى يستدعيها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب الباعث على هذه الرحلة فيأتى فى إطار سياسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التى ترمى إلى نشر الدعوة وتدعيمها بين شعوب الدول الإسلامية عامة ، والأفريقية منها خاصة ، وهذا هدفها الخاص الذى يبلوره (شعارها الرسمى) المتمثل فى قول الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية^(١) حيث تربي من خلال هذا المنهج أجيال متلاحقة من طلاب العلم الذين يضطلعون بنشر الدعوة فى بلادهم عند عودتهم إليها إثر انتهاء دراستهم وتمام إعدادهم .

وأما الهدف العام لهذه الجامعة فيتمثل فى تدعيمها هؤلاء الدعاة ومساندتها لهم فى إطار سياسة الجامعة التى تقوم على إيفاد بعثات سنوية دائمة من كبار علمائها لمتابعة هؤلاء الدعاة وحل المشكلات التى تعترض الدعوة فى بلادهم ؛ وذلك انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية^(٢) .

وعليه ؛ فقد كان الشنقيطى على رأس بعثة الجامعة الموفدة إلى قارة أفريقيا للاضطلاع بهذه المهمة الجليلة ، وإلى هذه البعثة يشير تلميذه الشيخ عطية قائلًا : إذا كانت الجامعة الإسلامية قد فتحت للبلاد^(٣) نوافذ تطل منها على العالم الإسلامى كله ، وجعلت من حق أولئك الأبناء ما يجب لهم من رعايتهم ، ومن حق تلك الأقطار ما يلزم لها من تقوية أواصر الروابط معها ؛ لذا فقد كانت فكرة إرسال بعثات إلى الأقطار الإسلامية عامة والأفريقية منها خاصة ، على رأس أولويات الجامعة التى تهدف إليها سياستها الثابتة ، وترمى إليها خطتها الدائمة^(٤) .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٣) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة بتصرف) .

المطلب الثانى

زمن هذه الرحلة ومدتها^(١)

خرج الشنقيطى من المدينة المنورة فى بداية العطلة السنوية للجامعة الإسلامية من عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) على رأس بعثة الجامعة آنذاك إلى قارة أفريقيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهرين عاد بعدها الشنقيطى ومرافقوه إلى المدينة المنورة مرة ثانية فى نفس العام .

المطلب الثالث

وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة جويةً فى أغلب مراحلها إلا فى بعض المراحل البرية التى كان ينتقل فيها الشنقيطى ومرافقوه بالسيارة داخل الأقطار التى شملتها هذه الرحلة بصحبة ولاة الأمر وكبار المسئولين فيها .

ويشهد لهذا ما أصرَّ عليه أحدُ الحكام الأفارقة فى هذه الأقطار من مرافقة الشنقيطى وعدم مفارقتة فى حلّه وترحاله إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المُعدَّة للزيارة ، بل ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخفى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده ، وفى هذا ما فيه من هيبّة الشنقيطى لدى هؤلاء الحكام ، فضلاً عن اهتمامهم به ، وتقديرهم له .

المطلب الرابع

الأقطار التى شملتها هذه الرحلة

بلغ عدد هذه الأقطار تسعة أقطار أفريقية بدأت بجمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، وداهومى^(٢) ومالى ، وساحل العاج^(٣) وغينيا^(٤) والسنغال ، ثم

(١) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٤ .

(٢) وهى ما تعرف الآن بدولة (بنين) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (أطلس العالم الإسلامى) : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٦ .

(٣) وهى ما تعرف الآن بدلة (كوت دى فوار) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (الأطلس العربى) : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

(٤) وهى غير (غينيا بيساو أو البرتغالية) وكذا (غينيا الاستوائية) كما سبق تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

انتهت بجمهورية موريتانيا الإسلامية حيث سقط رأس الشنقيطي، وذلك باستثناء مهاجره بالمملكة العربية السعودية التي بدأ منها الشنقيطي رحلته ، وكذا جمهورية السودان الديمقراطية التي مر بها ثانية حسبما كان يتطلبه طريق عودته آنذاك إلى المملكة .

إلا أن الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي قد ذكر أن هذه الرحلة قد شملت عشرة أقطار بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا الوطن الأول لشيخه ، وقد وافقه في ذلك الشيخ محمد المجذوب^(١) .

ولما اكتفيا بالإشارة إلى عدد هذه الأقطار دون تسميتها^(٢) فقد دفعني هذا إلى استيضاح الأمر من الشيخ عطية الذي أجابني بما نصه : وأما عن تسمية هذه الدول العشر التي مرَّ بها فضيلته رحمة الله تعالى علينا وعليه في رحلة أفريقيا ، فالواقع أنها بدأت بالسودان ، ثم نيجيريا ، والنيجر ، ومالي ، والسينغال^(٣) وموريتانيا ، ثم داهومي ، وساحل العاج ، وغينيا ، ثم العودة إلى السودان ، فالمملكة مرة أخرى^(٤) .

● غير أنه يلاحظ على هذه الإجابة أمران :

١ - أن عدد هذه الأقطار تسعة أقطار كما قررنا من قبل ، وليست عشرة كما ذكر الشيخ عطية ؛ إلا أن يكون قد عدَّ المملكة ضمن هذه الأقطار ، أو عدَّ السودان مرتين ذهاباً وإياباً .

وكلا الأمرين لا يتفق مع ما ذكره من قبل أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا ؛ مما يفهم منه أن المملكة ليست داخله عنده في حساب هذه الأقطار ، كما أنه عدَّ السودان مرة واحدة لا مرتين ؛ وبهذا يتأكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الرحلة قد شملت تسعة أقطار لا عشرة .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

● أضواء البيان : الشنقيطي ٤٨/١ (من المقدمة) .

● علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ .

(٢) بل ولم ترد تسمية هذه الأقطار عند غيرهما كذلك .

(٣) وتكتب أيضاً (السنغال) و (السينغال) و (السينكال) و (السانكال) كما تعرف كذلك بـ (بلاد إندر) -

راجع في ذلك كلا من :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٦٦ - ص ٤٢٢ .

● ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ٥ .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

٢ - أن ترتيب الأقطار الذي ذكره الشيخ عطية يقتضى توسط موريتانيا بينها ، وهذا ما يخالف قوله بوقوع موريتانيا فى نهاية هذه الرحلة لا منتصفها .

كما أن الترتيب الذى ذكره لا يتفق مع الترتيب الجغرافى لمواقع هذه الأقطار وتجاور بعضها من بعض كما بينا ذلك من واقع الخارطة السياسية لقارة أفريقيا ؛ بل إن الترتيب الذى ذكرناه يقتضى البدء بالسودان والانتها بموريتانيا ، وهذا ما يتفق مع قول الشيخ عطية من أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا .

المطلب الخامس

طابع هذه الرحلة العلمى والأدبى

أشار الشيخ عطية إلى ذلك على وجه الإجمال ، حيث نوه بما حوته رحلة شيخه هذه من مباحث علمية عديدة ، وقضايا أدبية مفيدة .

وهذا ما يحدثنا عنه قائلاً : كان لهذه البعثة فى تلك البلاد أعظم الأثر ، وأذكر فى مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا فى حفل تكريم للبعثة وكَلَّ إلى رحمة الله كلمة الجواب^(١) فكان منها : (إن الذكريات لتحدث ، وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان ؛ حيث نشأ الشيخ فى بلادكم ثم هاجر إلى الحجاز ، ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد ورياسة بعثة ، فبعد أن نبتت غرسة علمه هنا عندكم ، ذهب إلى الحجاز فنمت وترعرعت ، وامتدت أغصانها حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام شرقاً وغرباً ؛ وها نحن فى موطنه نجنى ثمار غرسها ، ونستظل بوارف ظلها) حقاً ؛ لقد كانت هذه الرحلة حلقة اتصال ، وتجديد عهد ، وإحياء لمعالم الإسلام^(٢) .

كما أشار الشيخ محمد المجذوب إلى شىء من هذا بقوله : لقد حفلت هذه البعثة بالكثير من نشاط الشيخ رحمه الله ، حيث كان موضع الحفاوة البالغة من حكام تلك الأقطار وعلمائها ، ولم يدعُ بلداً من تلك الدول إلا بذل فيها من علمه ما أخذ بالألباب^(٣) .

ويشهد لهذا رد الفعل الذى أحدثته إجابات الشنقيطى المفصلة ، وروده المستفيضة ،

(١) ويقصد بكلمة الجواب : أى كلمة الرد على .ترحيب أفاضل موريتانيا وعلمائها ، بل وشكرهم على حفاوتهم البالغة بشيخه الشنقيطى ومرافقيه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩/١ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .

على جملة المسائل العلمية التي وجهت إليه ، وخاصة ما كان منها فى مسقط رأسه بقرية (قرو) ببلاده موريتانيا ؛ حيث علّق قاضى القرية على ذلك بقوله : لم يبق لأحد هنا كلام فقد ظهر الحق ، ولا سؤال فقد زال اللبس ، وإن الحضور بين أحد رجلين : عالم فقد عرف الحق فلم يبق له سؤال ، وجاهلٍ فلا يحق له أن يسأل^(١) .

ولأهمية هذه الإجابات ، وفائدة تلك المحاضرات ؛ فقد أكد الشيخ عطية احتفاظه بها وعزمه على إخراجها ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : وكان له رحمه الله العديد من المحاضرات والمحادثات التي سُجِّلت كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة عندي ، وإنى لآمل أن أوفق لنقلها وطبعها إتماماً للفائدة إن شاء الله تعالى^(٢) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤١/١ (من المقدمة) .

وجدير بالإيضاح أن المقصود بقول قاضى قرية قرو : (وجاهلٍ فلا يحاق له أن يسأل) أى لن يحتاج الجاهل للسؤال ؛ لأنه تم له ما أراده من المعرفة بدون سؤال ؛ وإلا فالأصل أن من حق الجاهل أن يسأل أهل العلم عما يجهله ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
النحل : ٤٣ - الأنبياء : ٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩/١ (من المقدمة) .

ونحن بدورنا نأمل أن يُوفّقَ الشيخ عطية لذلك ، حيث لم ترّ هذه الآثار النور حتى الآن ، وعساه أن يكون قريباً .

المبحث الثالث رحلة العلاج

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .
- ٢ - المطلب الثاني : زمن هذه الرحلة ومدتها .
- ٣ - المطلب الثالث : وسائل الانتقال في هذه الرحلة .
- ٤ - المطلب الرابع : الأقطار التي شملتها هذه الرحلة .
- ٥ - المطلب الخامس : موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها .

تختلف هذه الرحلة عن سابقتيها من حيث الشكل والمضمون ، فضلاً عن موقف الشنقيطي منها ورأيه فيها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

السبب الباعث على هذه الرحلة

لا يخفى أن هذا السبب ظاهر جليّ حيث تمثل في سفر الشنقيطي بقصد علاجه من جملة الأمراض التي كانت تعتريه، بل وصار يعاني آلامها الشديدة في أخريات حياته ، غير أنه لم ترد أية إشارة عن طبيعة هذه الأمراض أو أسمائها ، اللهم إلا (حساسية الشنقيطي ضد البنسلين) كما سيأتي تفصيل ذلك من خلال حديثنا عن وفاته وراثته وحسن خاتمته .

المطلب الثاني

زمن هذه الرحلة ومدتها

بدأت سلسلة أسفار الشنقيطي للعلاج في غضون عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة بعد الحج (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وذلك على وجه التقريب ، ثم تكررت تلك الرحلات العلاجية أكثر من مرة على فترات مختلفة .

وهذا ما يفهم من الإشارة الضمنية لتلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي في قوله : وكان من من الله علىّ أني ذهبت إلى الحجاز سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف ، وبعد انتهائي من فريضة الحج بدأ لي أني لا يبد أن أقرأ (مراقي السعود) ولما هممت بقراءته على الشيخ ، فإذا به مشغول جداً في تأليف (أضواء البيان) والتدريس في (الجامعة الإسلامية) والتدريس في (الحرم النبوي) مع ما يعتريه من الأمراض التي أُلجأته إلى السفر للعلاج أكثر من مرة^(١) .

ومع أنه لم يرد أي تحديد لعدد هذه الرحلات أو مدتها إلا أن الشنقيطي كان يُقدّم على ذلك كلما دعت الضرورة ، كما كان يرجع إلى المدينة المنورة على الفور عندما كانت تسمح حالته الصحية بذلك .

أما آخر أسفار هذا العلاج فقد كان قبيل الحج من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) وفور رجوعه من سفره هذا قام بأداء مناسك الحج من العام نفسه ، ثم كان أن اخترمته المنية ووفاه الأجل بعد الحج بأيام قلائل .

(١) نثر الورود على مراقي السعود : الشنقيطي - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي ١١/١ .

المطلب الثالث

وسائل الانتقال في هذه الرحلة

كانت رحلات الشنقيطى للعلاج جوية في جميع مراحلها إلا من بعض التنقلات البرية الداخلية التي كانت تقتضيها طبيعة العلاج تحت الإشراف الطبي الكامل ، وفي ظل الرعاية الصحية اللازمة .

المطلب الرابع

الاقطار التي شملتها هذه الرحلة

شملت رحلة علاج الشنقيطى كلاً من مصر وأوروبا اللتين سافر إليهما أكثر من مرة لهذا الغرض ، وهذا ما أشار إليه تلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى بقوله : لقد أُلجأتها الأمراض التي كانت تعتريه إلى الذهاب إلى مصر وأوروبا أكثر من مرة^(١) .

أما رحلاته العلاجية إلى مصر فقد كان فيها نزيل حاضرتها حيث القاهرة بالتحديد ، وقد صحبه في بعضها تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آده الجكنسى الشنقيطى^(٢) .

في حين كانت رحلاته العلاجية إلى أوروبا تنحصر في بريطانيا التي كان فيها نزيل حاضرتها حيث لندن بالتحديد ، غير أنه لم يرد أى ذكر بشأن مرافقيه آنذاك^(٣) .

المطلب الخامس

موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها

ليس من شك في أن الذى حمل الشنقيطى بصفة عامة على السفر للعلاج بكل من القاهرة ولندن هو تلك الضرورة الملحة التي أُلجأتها إلى ذلك رغماً عنه .

(١) نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد

حبيب الجكنسى الشنقيطى ١١/١ .

(٢) راجع في ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد

العزیز السديس ص ٢٠٠ .

(٣) راجع في ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد

العزیز السديس ص ٢٠٢ .

فإذا جئنا إلى موقفه من سفره إلى لندن ورأيه في ذلك بصفة خاصة ؛ فإننا نجد حالة من عدم الرضا عن سفره إلى تلك البلاد لكونها ليست من ديار الإسلام ؛ بل قد دفعه ورعه إلى جعل هذا السفر بمنزلة الإثم الذي يلزمه التكفير عنه ، لا بطاعة عادية ، وإنما بحج أكبر ، وهذا ما يحدثنا به تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى قائلاً ما نصه : راجعت الشيخ رحمه الله في ترك الحج في السنة التي توفي فيها نظراً لسوء صحته ؛ فقال : دَعُ عَنْكَ المحاولة ! فإن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لا بد أن أكفر عنه بحج^(١) .

لكن الأمر يختلف تمامًا بالنسبة لقناعته الكاملة ورضاه التام عن سفره إلى القاهرة بلد الأزهر الشريف الجامع والجامعة ، كعبة العلم والعلماء العاملين ، وحاضرة ديار الإسلام والمسلمين .

* * *

ملاحظات حول رحلات الشنقيطى :

تشابه رحلات الشنقيطى في بعض الخصائص وتختلف في بعضها الآخر ، وهذا ما نحاول رصده من خلال جملة الملاحظات التالية :

١ - الطابع العلمى :

بالرغم من إقدام كثير من الأدباء على تسجيل وقائع رحلاتهم من خلال ذلك الأسلوب الأدبى الذى يتوزع بين القصص تارة والخيال تارة أخرى ، والذى يعتمدون من ورائه إلى الحديث عن أحوال البلاد والعباد من حيث وصف عاداتها وتقاليدها ، ورصد طرائفها وغرائبها .

وبالرغم من إجماع كثير من العلماء عن تسجيل وقائع رحلاتهم إلا من الشئ اليسير الذى لا يكاد يُبينُ ، ومن خلال ذلك الأسلوب العلمى الذى يعبرون به عن بعض الذكريات التى تحملها خواطرهم ، والتى قد يعدو جلّها طيُّ النسيان؛ مما يجعل من الصعوبة على الباحثين بمكان أن يتناولوها بالبحث والتحليل ، ويُجلُّوا ما بها من مسائل عديدة ، وقضايا مفيدة .

إلا أنه باستثناء رحلة العلاج ؛ فقد جمعت رحلتنا الشنقيطى للحج والدعوة بين العلم

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

والأدب ، وذلك من خلال الأسلوب العلمى المتأدب الذى يسوق المسألة العلمية فى حُلة أدبية ، كما يعرض للقضية الأدبية معتمدةً على حقيقة علمية ؛ وهذا ما جعل رحلات الشنقيطى بما حوته من علم وأدب مغايرةً لما عداها من الرحلات الأخرى التى تنضوى تحت أحدهما دون الآخر فتكون علمية تارة ، وأدبية تارة أخرى .

ومن ثم يحدد لنا الشيخ عطية موقع رحلات شيخه من ذلك قائلاً : يغلب على أساليب الرحلات وموضوعاتها أن يكون مبناهما عرضَ خطِّ السير من منطلق صاحبها إلى متنها ، وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير ، وما جرى لصاحبها من أحداث تسر أو تمزق ، وتضحك أو تبكى ، وقلما تشتمل على مجالس أدبية أو مباحث علمية .

وبين أيدينا من أشهر الرحلات رحلة (ابن بطوطة) ورحلة (ابن جبير) وكلاهما رحل من المغرب إلى الحجاز وعاد إلى بلده فلم أجد فيهما من المجالات العلمية أكثر من عرض لمشاعر الحج .

ولم أقف على رحلة عُنيَتْ بمسائل علمية ، أو مجالس العلماء ، ومباحث دقيقة وجليّة ، اللهم إلا رحلة (النايلسى) إلى المدينة ؛ فقد بسط فيها مباحث فقهية ، وأحاديث نبوية ، وإن كانت لم تتعرض لشيء من العقول كالمنطق والأصول ، كما كانت مباحثها كلها فى المدينة المنورة ، وكذا رحلة (أبى على القالى) .

ولأن أدب الرحلات فن متميز ؛ لذا فإنه يتطلب قدرة على التعبير ، ودقة فى التصوير ، حيث يصف المواقع والمواقف وما يمر له مما يستحق التسجيل بوضوح العبارة ؛ حتى يجعله كالمحسوس المدرك بالإشارة ، مع حسن الاختيار وذوق فيما يختار ، ويبرز ما شاهد من مرئيات بأدق وأصدق العبارات ؛ مما يتطلب ذوقاً حساساً ، وحساً ذوقاً ، ولا يقوى على ذلك إلا عالم أريب ، أو مثقف أديب .

وقد اجتمع كل ذلك لصاحب هذه الرحلة رحمه الله تعالى ؛ فجاءت سلسة الأسلوب ، شيقة الحديث ، عذبة الألفاظ ، كما جمعت من الطُرفِ أطيبها ، ومن الحقائق العلمية أدقها ، ومن المؤانسات الشعرية أعذبها ، بل ربما اشتملت على ليالٍ نابغية^(١) وساعاتٍ

(١) ويقصد بها ليالى النابغة الذبياني فى محنته المشهورة التى قاسى ويلاتها ، وتجرّح الآمها ؛ من جراء غضب النعمان بن المنذر أمير الحيرة عليه ؛ حيث لم يكن أمام النابغة آنذاك من سبيل لإبداء الندم ، وطلب الصفح ؛ سوى أن ينشئ قصيدته المعروفة التى يسترضى بها النعمان ، والتى يقول فيها :

أَتَانِي - أَيْتَ اللَّعْنِ - أَنْكَ لَمْتَنِي وتلك التى أهتمُّ منها وأُفْسَبُ

ذهبية ، شأن كل رحالة عظيم الشأن ، يلقي المخاطر ، ويجازف ويغامر ، ويقابل كل ظرف وحال ، بما يناسبه من صبر وتحمل ، واستثناس وتجميل .

فهى بحق كحديقة غنّاء بها غروس مورقة ، وزهور ناعمة ، وثمار يانعة ، وقد تجد فيها أشواكاً بارزة ، وأحجاراً صلدة ، وجداول باسمة ، ورمالاً جائمة ؛ فتكتمل الصورة الطبيعية التى تمتع النظر ، وتثير الفكر ، وتورث العبر ، ويجد كل ذى طبع ما يلائمه ، وكل ذى رغبة ما يوافق ، وهى بحق ممتعة كل قارئ ، مهما اختلفت العادات ، أو تنوعت الاتجاهات ، أو تعددت الاختصاصات من : (تفسير وأصول وفقه وعقائد ونحو وأدب ومنطق وتاريخ وبيئة وطبيعة) مما يراه القارئ بنفسه ، ويدركه بحسه^(١) .

٢- تباعد الأزمنة واختلاف المدة :

اختلفت رحلات الشنقيطى الثلاث فيما بينها من حيث تاريخ كل منها والفترة التى استغرقتها ، أما رحلته الأولى للحج فقد بدأت فى (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) من بلاده شنقيط فى طريقه إلى بلاد الحجاز التى وصلها بعد قرابة مائة وستين يوماً هجرياً أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يوماً ميلادياً فى (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) .

وبعد ثمانية عشر عاماً هجرياً كاملاً جاءت رحلته الثانية للدعوة بقارة أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى بدأت مع العطلة السنوية للجامعة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) واستغرقت أكثر من شهرين بقليل .

ولم تمر إلا ثلاثة أعوام على وجه التقريب حتى بدأ رحلته الثالثة والأخيرة للعلاج فى غضون عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) والذى اضطره للسفر إلى القاهرة ولندن أكثر من مرة

= قَبْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْتَنِي هِرَاسًا بِهِ يُعَلَى فِرَاشِي وَيُقَشَّبُ
حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وِرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

● انظر تلك الأبيات بترتيبها المذكور فى (ديوان النابغة الذبياني) = ص ٧٢ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د . ت) .

وقد شبه الشيخ عطية بعض ليالى رحلة شيخه الشنقيطى إلى الحج بليالى النابغة الذبياني لجامع النَّصَبِ والتعب ، مع اختلاف الهدف والسبب .
(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ (من المقدمة) .

على مدار خمس سنوات حتى قبيل الحج الذي توفي بعد أن أدى مناسكه بأيام قلائل من عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

٣ - موقع موريتانيا من رحلاته :

ونقصد به موقع بلاد الشنقيطى الذى احتلته ، وحيزها الذى شغلته من رحلاته ، ونصيبها من نشاطه فيها ، فهى وإن جاءت فى مقدمة رحلته الأولى بحكم خروجه منها إلى بلاد الحجار للحج ؛ إلا أنه حرص كل الحرص على أن يعود إليها ثانية بعد ثمانية عشر عاماً ليختم بها رحلته للدعوة فى أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وفى هذا ما فيه من الأصالة والوفاء لموطنه الأول عامة ، ولسقط رأسه بقرية (قرو) خاصة ؛ والتي كان لزيارته لها ، واجتماعه بأهلها ، عوامهم وخواصهم ، علمائهم وفضلائهم ، أكبر الأثر وأعظمه فى جلاء عقولهم ، وصفاء قلوبهم ؛ إلى الحد الذى لخصه قاضيهم بلسانه ، وترجمه بإحساسه ، من خلال تعقيبه على محاضرة الشنقيطى ، ورد فعله إزاءها .

٤ - تسعة أقطار لا عشرة :

على الرغم من أن كل الذين أشاروا إلى رحلة الشنقيطى للدعوة قد وافقوا تلميذه الشيخ عطية فى أنها شملت عشرة أقطار دون تسميتها^(١) إلا أننا نعود فنؤكد أنها تسعة أقطار لا عشرة ، وهذا ما عرضنا لبيانه بالتفصيل قبل قليل .

أما اشتراك بعض هذه الأقطار فى زيارة الشنقيطى لها فى رحلته للدعوة بأفريقيا كما مرّ عليها فى رحلته للحج من قبل فتنحصر فى ستة منها هى : (جمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، ومالى ، والسنغال ، ثم بلاده موريتانيا) أما الثلاثة الأخرى وهى : داهومى (أو بينين) وساحل العاج (أو كوت دى فوار) وغينيا ، فقد شملتها رحلته الثانية دون الأولى .

(١) وعن وافقوا الشيخ عطية فى ذلك نذكر كلاً من :

● عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس فى كتابه (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : ص ٧٤ .

● الطيب بن عمر بن الحسين فى كتابه (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : ص ٣٧١ .

● الدكتور عبد الله الطيار مع الدكتور عبد العزيز الحجيلان فى كتابهما (منسك الإمام الشنقيطى) : ٢٤/١ .

٥ - المرافقون :

لم يشر الشنقيطى إلى مرافقيه إلا فى رحلته للحج حيث عبّر عن ذلك بضمير (نا) لجماعة الفاعلين كقوله : (خرجنا وارتحلنا وبتنا وركبنا ونزلنا) دون تسمية أى منهم^(١) .

أما رحلته للدعوة بأفريقيا فقد رافقه فيها كل من تلامذته : الشيخ عطية محمد سالم ، والشيخ محمد أمان من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والشيخ سيد الأمين المامى الجكنى الشنقيطى من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة^(٢) .

ثم كان مرافقه فى رحلة علاجه بالقاهرة تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آده الجكنى الشنقيطى^(٣) غير أننا لا ندرى كم مرة رافق فيها شيخه ، كما لا ندرى خبراً عن علاج الشنقيطى فى لندن ومرافقيه فيها .

٦ - عدد الحجّات :

يتبين لنا من خلال سيرة الشنقيطى مواظبته على أداء مناسك الحج كل عام بما جملمته ست وعشرون حجّة على مدار ستة وعشرين عاماً هجرياً قضاهها بأرض الحجاز منذ وصوله إليها قادماً من بلاده لأداء حجة الإسلام الأولى عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وإلى أن توفى بها عقب أدائه مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

ويقوم على هذه المواظبة شاهدان :

أولهما : تكليف الشنقيطى بالمشاركة فى أعمال (مؤتمر الحج السنوى العالمى) الذى يجتمع من خلاله مع كبار علماء الأمة للبحث فى شئون المسلمين ، والنظر فيما يستجد على مجتمعاتهم من مسائل ملحة وقضايا مهمة ؛ الأمر الذى يستلزم اتفاقهم على كلمة سواء بشأن إنتاج الحلول المناسبة التى تعود فى النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفعة العميم .

وثانيهما : إصرار الشنقيطى على أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ - ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

• ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عبد العزيز ص ٧٤ .

• السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٧١ هـ ١ .

(٣) انظر (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٢٠ .

على الرغم من معاناته الآلام المبرحة الناجمة عن جملة الأمراض التي كانت تعتربه ، والتي كان قد رجع لِتَوَّه من (لندن) في رحلة علاجه الأخيرة منها ؛ حتى إنه رفض مراجعة تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطي التي يرجوه فيها أن يترك الحج من عامه هذا لشدة مرضه وأمه ، إلا أنه أنفذ حجه الذي كان يريد .

٧ - التدوين :

حظيت رحلة الشنقيطي للحج بتدوينه لها حيث ضمَّها كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والذي ستتناوله من خلال عرضنا لأثاره العلمية ومؤلفاته .

أما رحلة الدعوة إلى القارة الأفريقية فلا تزال مسجلة على أشرطة حتى الآن طَرَفَ تلميذه الأول ومرافقه فيها الشيخ عطية محمد سالم الذي كان قد أشار قبل موته إلى أمله في أن يُوقَّقَ لإخراجها لتتم بها الفائدة ويَعُمَّ بها النفع^(١) .

وأما رحلة العلاج فلم يرد أي تفصيل بشأنها اللهم إلا على سبيل الإشارة فحسب .

وليس من شك في أنه يحدُّونَا ذاتُ الأمل الذي كان يراود الشيخ عطية في تدوين وإخراج الرحلتين الأخريين للدعوة والعلاج ؛ حتى تكتمل سلسلة رحلات شيخه التي بدأها برحلة الحج ، ولن يعدم طلاب العلم لذلك من فائدة ، ولن يُحرِّمُوا به من نفع ؛ ففساه أن يكون قريباً .

* * *

وفي الجملة : فإن الناظر في رحلات الشنقيطي يتبين له أنه مُقَلِّدٌ منها إذا ما قيس بغيره من العلماء والأدباء ، فضلاً عن غيرهم من الرِّحَّالين والجَوَّالين ، مما تمثل لهم كثرة الأسفار همَّهم الأول ، وقد يكون الأخير .

فحياة مديدة ، وسنونٌ عديدة ، تستغرقها رحلتان فقط ؛ لِحَرِيٍّ بصاحبها أن يُعَدَّ من جملة المقلِّين ، وذلك باستثناء رحلة العلاج التي اضطر إليها الشنقيطي اضطراراً ، على خلاف رحلتيه الأخريين للحج والدعوة اختياراً .

(١) وجدير بالذكر أن تلميذ الشنقيطي ومرافقه الثاني في تلك الرحلة الشيخ سيد الأمين المامي الشنقيطي قد أشار إلى بعض وقائعها وأثارها من خلال انطباعاته الذاتية في كتابه المسمى (لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الأفريقية) : ص ٥٣ - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

غير أن ذلك راجع فيما نرى إلى كثرة رحلاته الداخلية ببلاد الحجاز بصفة عامة ، وكل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة ؛ الأمر الذي لم يترك له نشاطه فيها فرصة لكثرة رحلاته وأسفاره بعيداً عنها ؛ خاصة أن حاجة الحجاز إليه في الداخل أكثر من حاجة غير الحجاز إليه في الخارج .

كما أن في الحج بصفة خاصة ، وفي الجامعة الإسلامية والحرم النبويّ بصفة عامة ، كانت تتوافد إليه جموع المسلمين من حجاج ومعتمرين ، وباحثين ودارسين ؛ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، من كل حدب وصوب ، وكل فج عميق ؛ ليستمعوا لدرسه ، ويفيدوا من علمه ، وفي هذا ما فيه للشنقيطي من العوض عن أسفاره ، والغنى عن رحلاته .

الفصل السادس

مؤلفاته

الموجودة والمفقودة والمنسوبة

وينتظم المباحث السبعة التالية :

- ١ - المبحث الأول : مؤلفاته المخطوطة .
- ٢ - المبحث الثاني : مؤلفاته المطبوعة .
- ٣ - المبحث الثالث : مؤلفاته المسجلة .
- ٤ - المبحث الرابع : مؤلفاته الشعرية .
- ٥ - المبحث الخامس : مؤلفاته المفقودة .
- ٦ - المبحث السادس : مؤلفاته المنسوبة .
- ٧ - المبحث السابع : حصر مؤلفاته وتصنيفها .

تظل مؤلفات العلماء أدل آثارهم العلمية التي تُعرَّفُ بهم ، وترجم عنهم ، معبرة عن أفكارهم ، وشاهدة على آرائهم ، من لدن تدوينهم لها ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وتلكم أهميتها لهم ، وخطورة موقعها منهم ؛ وما أصدق الشاعر حين قال :

وما من كاتبٍ إلا سبقتُ كتابتهُ وإن فنيتهُ يدهُ
فلا تكتبِ بكفك غيرَ شيءٍ يسركُ في القيامةِ أن تراهُ^(١)

وبالنسبة للأمة ؛ فإن مؤلفات علمائها تعد ذاكرتها المقروءة ، وسجلها الحافل ، الذي يحفظ تراثها ، ويخلد مآثرها ، ويضع مدوناتها بين أيدي أبنائها من الأجيال المتلاحقة على مرِّ العصور وتعاقب الدهور ؛ فيعمدون إليها بالتصنيف والتعريف ، والبحث والتحليل ، ليُجَلِّوا ما بها من علم ، ويكشفوا عما بها من فائدة .

ولعل من أهم الشواهد وأقوى الأدلة على أهمية تدوين تلك المؤلفات في حفظ تراث الأمة ، وإبراز آثار السلف للخلف ؛ أن القرآن والسنة ذاتهما قد تم تدوينهما حتى يظلا بين ظهراني هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، مع أن لهما ما لهما من فارق الشرف والخصوصية ، والتزيه عن التمثيل والتدنية ، من حيث تكفل الله بهما وحفظه لهما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية^(٢) وذكر الله قرآنه ، كما أن سنة نبيه ﷺ بعض وحيه كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ الآيتان^(٣) وكما جاء على لسان نبيه ﷺ : « ألا إنى أوتيت القرآن ومثلهُ معه » الحديث^(٤) .

ولا يخفى هذا على أعداء الله ورسوله من الحاقدين على هذه الأمة ؛ حيث لا يعمدون في بدء اعتداءاتهم الغاشمة على الإسلام والمسلمين إلا إلى تراثها المدون في مؤلفات علمائها ، فإما سلبوها ونقلوها إلى ديارهم ، وإما حرقوها وأبادوها ، وما فعلَ التتر بيغداد عنا ببعيد !!

ومن هنا ؛ كانت مؤلفات علماء الأمة هي أبقى آثارها العلمية الدالة عليها ، بل وأهمها على الإطلاق ؛ بمالها من الانتشار والاستمرار في مختلف الأعصار والأمصار .

وهذا ما يبلور أهمية وحتمية تناولنا لمؤلفات الشنقيطي بالإحصاء والاستقصاء ، فضلاً عن التصنيف والتعريف من خلال المباحث السبعة التالية :

(١) العقْدُ الفريد : لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ٢٠٨/٢ - شرحه وضبطه وصححه وعثونَ موضوعاته ورتبَ فهارسه : (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإيبارى) - الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .
(٢) الحجر : ٩ .
(٣) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

المبحث الأول
مؤلفاته المخطوطة

ويتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : مخطوطاته ببلاده شنقيط .
- ٢ - المطلب الثاني : مخطوطاته ببلاد الحجاز .

ومعظمها كان ببلاده شنقيط قل أن يستقر به المقام بأرض الحجاز ، وقد غلب عليها (النظم) الذى يسود متون مختلف العلوم التى يحفظها الشناقطة وَيَدْرُسُون شروحها ، وإلى هذا يشير الشيخ المجذوب بقوله : تمثل هذه المؤلفات عدداً من الأراجيز على غرار تلك المنظومات التى شَبَّ شيخنا الشنقيطى على حفظها ودراستها^(١).

كما أن هذه المخطوطات قد تنوعت فنونها ، وتعددت علومها ، على النحو الذى يشير إليه الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى بقوله : لقد وجدت للشيخ رحمه الله مؤلفات مخطوطة فى الفقه المالكي والمنطق والفرائض وغيرها ، والكل فى محاولة لطبعه إن شاء الله^(٢) .

وباستقصاء هذه المخطوطات وحصرها تبين أنها تشمل سبع مخطوطات ، منها خمس ببلاده شنقيط ، واثنان ببلاد الحجاز كما يلي :

المطلب الأول مخطوطاته ببلاده شنقيط

١ - الفية المنطق :

وهو نظم فى فن المنطق يربو على ألف بيت بدأه الشنقيطى بقوله :

حَمْدًا لِمَنْ أَظْهَرَ لِلْعُقُولِ حَقَائِقَ الْمَقُولِ وَالْمَعْقُولِ
وَكَشَفَ الرَّيِّنَ^(٣) عَنِ الْأَذْهَانِ بَوَاضِحِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ
وَفَتَّحَ الْأَبْوَابَ لِلْأَلْبَابِ حَتَّى اسْتَبَانَتْ مَا وَرَاءَ الْبَابِ^(٣)

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٧ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٦٩٧ (الجزء الثانى من التمه) .

(٣) الرِّينَ والرَّيُونَ : الصدا الذى يعلو كل شىء ويغطيه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى

قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين : ١٤ - فإذا اشتد الرين صار (طَبَعًا) ومنه قول الله تعالى :

﴿وَوَطَّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة : ٨٧ - وإذا اشتد الطبع صار (إِقْقَالًا) ومنه قول الله

تعالى : ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمد ﷺ : ٢٤ - انظر مادة (رَيْن) فى كل من لسان

العرب : ٣/١٧٩٦ - مختار الصحاح : ص ٢٦٦ - المعجم الوسيط : ١/٤٠٠ .

وقد عبّر الشنقيطى بـ (الرَيْن) هنا للدلالة على كل ما تعيا العقول عن فهم حقيقته ، وتعجز

الأذهان عن إدراك معناه ؛ لغلبيته عليها ، واستحكامه بها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .

٢ - زيادة نظمه على رجز (البحر) :

وهو نظم مشهور فى علوم القرآن لمحمد بن بُوَجَّه المعروف عند الشناقطة بـ (البحر) حيث يتناول فيه كل ما يتعلق بضبط ورسوم وتلاوة القرآن ، وذلك من خلال عرضه لكل كلمة متشابهة وردت فى القرآن مرة أو أكثر إلى سبع وعشرين مرة ، حيث يفرد لكل منها فصلاً خاصاً بها .

ومن أمثلة ذلك كلمة (أشباع) التى وردت فى القرآن مرتين ، فنراه ينظم موضعياً هذين بقوله :

أشباعُ بالعين « فهل من مُدَكِّرٌ » فى سبأ « من قبل إنهم » ذُكِرُ

وكان الشنقيطى قد حفظ هذا النظم ودرسه كاملاً فى طفولته ، ثم كانت له زيادة نظم على بعض أبياته كتلك التى زادها على هذا البيت لتوضيح معناه وبيان المراد منه بقوله :

فى سورة (القمر) خَاطِبٌ وَأَنْصَبًا وَجُرَّهُ وَغَيْبَهُ فِى (سَبَأ)

ويوضح الشنقيطى بقوله هذا مراد الناظم من أن كلمة (أشباع) قد وردت منصوبة لجماعة المخاطبين فى سورة القمر فى قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ الآية^(١) فى حين وردت فى سورة سبأ مجرورة لجماعة الغائبين فى قوله تعالى : ﴿كَمَا فَعَلْ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية^(٢) :

وهكذا كان نهج الشنقيطى إزاء كل ما كان يحفظه أو يدرسه ويرى أنه بحاجة إلى زيادة فائدة أو زيادة إيضاح كهذا النظم وغيره من النظم الأخرى فى شتى العلوم ومختلف الفنون^(٣) .

٣ - شرحه على (سَلَّمَ الأَخْضَرِيّ) :

وهو شرح مُفَصَّلٌ على (سَلَّمَ الأَخْضَرِيّ) فى فن المنطق كان قد أملاه الشنقيطى على مَنْ طَلَبَهُ منه أثناء إقامته بدولة (النيجر) فى طريق رحلته للحج ، وقد أشار إلى هذا بقوله : وفى مدة إقامتنا عند الحاج (الكيدى توره) جاءنا رجل من أهل العلم من قبيلة تسمى (الطُّلابه) اسمه (محمد إبراهيم) وطلب منا أن نبين له معانى (سَلَّمَ الأَخْضَرِيّ) فى فن المنطق (بدرسٍ شافٍ فأجبتّه ، فكان يكتب ما أُملي عليه من إيضاح معانيه ليلاً ونهاراً ؛

(٢) سبأ : ٥٤ .

(١) القمر : ٥١ .

(٣) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٢/١ (من المقدمة) .

خوفاً من معاجلة السفر قبل الإتمام حتى أتى على آخره ؛ فجاء ذلك الإملاء شرحاً وافياً ، وعن غيره كافياً ، والحمد لله رب العالمين^(١) .

٤ - نظم في علم الفرائض :

وهو نظم طويل في علم المواريث بدأه الشنقيطي بقوله :

تَرَكَهُ الْمَيْتَ بَعْدَ الْخَامِسِ مِنْ خَمْسَةِ مَحْصُورَةٍ عَنْ سَادِسٍ
وَحَصَرُهَا فِي الْخَمْسَةِ اسْتِقْرَاءً وَانْبِذَ لِحَصْرِ الْعَقْلِ بِالْعَرَاءِ
أُولَئِهَا الْحَقُوقُ بِالْأَعْيَانِ تَعَلَّقْتُ : كَالرَّهْنِ أَوْ كَالْجَانِي
وَكَزَاةِ التَّمْرِ وَالْحَبُوبِ إِنْ مَاتَ بَعْدَ زَمَنِ الْوَجُوبِ^(٢)

٥ - النظم الكبير في فروع مذهب مالك :

وهو رجز طويل يصل عدد أبياته إلى عدة آلاف ، ويختص بالعقود من بيع ورهن وغيرهما ، وقد بدأه الشنقيطي بقوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ نَدَبَا لِأَنَّ نَمِيزَ الْبَيْعِ عَنْ لَبْسِ الرَّبَا
وَمَنْ بِالْمَوْلُفَيْنِ كَتَبَا تَتْرَكَ أَطْوَادَ الْجَهَّالَةِ هَبَا
تَكْشِفُ عَنْ عَيْنِ الْفَوَادِ الْحُجْبَا إِذَا حِجَابٌ دُونَ عِلْمٍ ضُرِبَا^(٣)

وقد استشهد الشنقيطي ببعض من هذا الرجز في سياق إقامته الحجة على أن القول المعتبر المقبول إنما هو بينة المشتري لا البائع في كلِّ غائبٍ تمَّ بيعه بالوصف ، لا بالنظر والمعاينة ، ولا بالرؤية المتقدمة ، وفي ذلك يقول ما نصه : قال مقيد هذه الرحلة عفا الله عنه في (نظم الكبير في فروع الإمام مالك) رحمه الله :

وَالْبَيْعُ إِنْ بِالْوَصْفِ لَا بِالنَّظَرِ فَالْقَوْلُ فِي الصِّفَةِ قَوْلُ الْمُشْتَرِي^(٤)

- (١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٩٤ .
- (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ (من المقدمة) .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/١ (من المقدمة) .
- (٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٧١ .

المطلب الثاني مخطوطاته ببلاد الحجاز

١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة في الطائرة :

وهو العنوان الذى وضعه الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى لرسالة والده هذه والتي يبين فيها حكم صلاة المسافر بالطائرة لمن طَلَبَ منه ذلك ، حيث يقول فى مقدمتها ما نصه : أما بعد : فقد طلب منى بعض فضلاء إخواننا أن أقيد لهم حروفاً تظهر بها صحة صلاة مَنْ صَلَّى فى الطائرة ؛ فأجبناهم إلى ذلك .

وقد بينَ الشنقيطى وجه استنباط صحة هذه الصلاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم من كلام العلماء على طريقة المناظرة الشرعية الخالية من اللجاج والجدل ، ولا تزال هذه الرسالة فى حوزة ابنه الدكتور عبد الله حتى الآن^(١) .

٢ - هل الخلقُ مروزقٌ من بركته ﷺ أو إن للرزق أسباباً أخرى ؟ :

وقد صدر هذا السؤال من أحد أمراء شنقيط حيث أرسله إلى الشنقيطى يريد منه الجواب ؛ ومن ثم فقد أفاض الشنقيطى فى الجواب مبيناً أن الحكمة التى خُلِقَ من أجلها العالمُ ورزقَ إنما هى : (إلهية ربانية وليس نبوية) وقد جاءت هذه الرسالة فى إحدى عشرة صفحة ، ولا تزال أيضاً فى حوزة الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى حتى الآن^(٢) .

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٩ .
(٢) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٨ .

المبحث الثاني
مؤلفاته المطبوعة

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : تفسير (أضواء البيان) خاصة .
- ٢ - المطلب الثاني : بقية مؤلفاته المطبوعة عامة .

وكلها كانت بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز ، وبلغ عددها خمسة عشر مؤلفاً شملت كتبه ومحاضراته التي صدرت سواء في حياته أو بعد رحيله ، ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات تفسيره : (أضواء البيان) وهو المعنى في هذا البحث ؛ ومن ثم فقد رأينا أن نبدأ بإفراد الحديث عنه ، ثم تتبعه بقية هذه المؤلفات ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الاول

تفسير (أضواء البيان) خاصة

وتمام اسمه : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) وهو أدل أعمال الشنقيطي الموسوعية ، بل يعد أضخمها وأكملها ، وأعمها وأشملها ، وفيما يلي نعرف بهذا التفسير بشيء من التفصيل الذي يناسب موقعه من هذا البحث ، وذلك من خلال تناولنا لكل من :

١ - السبب الباعث على تأليف الاضواء :

جاء تفسير (أضواء البيان) إثر سؤال وجهه الشيخ عطية إلى شيخه الشنقيطي أثناء قراءته عليه تفسير سورة البقرة الذي أتمه على مدار عامين كاملين في حلقة الدرس الخاصة التي كانت تعقد يومياً ما بين المغرب والعشاء ببيت الشيخ في الرياض .

وفي هذا يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : كانت تلك الدراسة على الشيخ رحمه الله هي رأس مالي في جُلِّ تحصيلي ، وعليها أساس دراستي الحقيقية سواء في المقررات أو غيرها ؛ لأن في سورة البقرة جميع أبواب الفقه ، وعلى مباحثها تنطبق جل قواعد الأصول ، ولا يبعد من يقول : إن ما بعدها من السور يُعتبر تفسيراً لها ، أو أن من أتقن تفسيرها سهل عليه تفسير ما بعدها ، وقد كانت دراستها سبباً في تأليف كتابي : (دفع إيهام الاضطراب) و (أضواء البيان) وكل منهما إثر سؤال وجواب^(١) .

ومع أن الشيخ عطية قد ذكر نص سؤاله الذي أَلَّف شيخه على إثره كتابه الأول^(٢) إلا أنه لم يذكر نص سؤاله الثاني الذي كان سبباً في تأليف شيخه للتفسير .

٢ - طبعات الاضواء :

ما لبث أن فرغ الشنقيطي من تأليف الجزء السابع من (أضواء البيان) حتى سارع كثير

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٤/١ (من المقدمة) .

(٢) وسيأتي ذكر ذلك بعد قليل ضمن حديثنا عن بقية مؤلفات الشنقيطي المطبوعة .

من الأمراء والمحسنين والهيئات الإسلامية في (المملكة العربية السعودية) إلى طبع هذا التفسير وتوزيعه مجاناً وفقاً لله تعالى على طلاب العلم .

هذا بالإضافة إلى دور النشر الخاصة في كل من (مصر ولبنان) التي تتولى طبع ونشر وتوزيع هذا التفسير كلما نفذ ؛ نظراً لما يلقاه من رواج ملحوظ ، وما يحظى به من قبول ملموس لدى طلاب العلم وباحثيه على السواء .

وفيما يلي نستعرض طبقات هذا التفسير منذ أن صدر في طبعته الأولى في حياة الشنقيطي وحتى طبعته الشرعية السابعة بعد رحيله ، وذلك على النحو التالي :

• الطبعة الأولى :

صدرت هذه الطبعة في حياة الشنقيطي عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) على نفقة صاحب المعالي الشيخ محمد بن عوض بن لادن وفقاً لله على طلبة العلم ، وقد تولت إصدارها مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) بإشراف وتقديم صاحبها ومديرها الأستاذ عليّ صبح المدني .

وقد وقعت هذه الطبعة في سبعة أجزاء بدأت بتفسير (الفاتحة) وانتهت بتفسير (المجادلة) وقد لوحظ خلوها من ترجمة الشنقيطي وكذا خلوها من تصويب الأخطاء المطبعية ، بالإضافة إلى عدم ذكر الجملة الدعائية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير^(١) .

• الطبعة الثانية :

أصدر السلفيون هذه الطبعة التي تحمل رقم الإصدار الخامس عشر لهم ، وجاءت مسابقتها من حيث وقوعها في سبعة أجزاء ، بالإضافة إلى خلوها من كل من : ترجمة الشنقيطي ، وتصويب الأخطاء المطبعية ، والجملة الدعائية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير .

ومع أن هذه الطبعة قد صدرت بدون تاريخ محدد ؛ إلا أن صدورها في حياة الشنقيطي يحصرها ما بين عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) وهو (تاريخ الطبعة الأولى) وعام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وهو (تاريخ وفاة الشنقيطي) .

(١) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك ؛ ومن ثم لم تكتب هذه الجملة الدعائية إلا بعد وفاته ، أما خلوها من ترجمة فلأنه لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه أو كتابة غيره عنه في حياته جرياً على ما يشبه أن يكون فهماً سائداً أو اتفاقاً ضمناً لدى الباحثين من أن (المعاصرة حجاب) .

• الطبعة الثالثة :

وهي الطبعة الثانية التي أصدرها المدنيّ عام (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) بعد وفاة الشنقيطي ، وجاءت في عشرة أجزاء شملت الأجزاء السبعة التي فسرها الشنقيطي ، بالإضافة إلى الجزأين الثامن والتاسع من تلميزه الشيخ عطية بداية من تفسير (الحشر) وانتهاءً بتفسير (الناس) واللذين وُسِمَا بعنوان : (الأول والثاني من التتمة) واشتملا على (رسالة في الناسخ والمنسوخ) عبارة عن شرح للشنقيطي على عشرة أبيات للسيوطي ، بالإضافة إلى (فهرس فقهي لكامل أضواء البيان) من عمل الشيخ عطية .

أما الجزء العاشر والأخير فقد جاء مشتملاً على مؤلفين للشنقيطي هما : (منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز) و(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) بالإضافة إلى ترجمة الشنقيطي بقلم تلميزه الشيخ عطية .

• الطبعة الرابعة :

صدرت هذه الطبعة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى ، وقد جاءت كسابقتها تماماً دون أدنى فرق يُذكر ، كما جعلت وفقاً لله على طلبة العلم .

• الطبعة الخامسة :

وهي الطبعة التي اعتمدها هذا البحث ، والصادرة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن المطابع الأهلية للأوقاف بالرياض ، على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز ، وفقاً لله تعالى على طلبة العلم .

وقد جاءت هذه الطبعة في عشرة أجزاء ، ولم تخالف سابقتها إلا في موقع ترجمة الشنقيطي التي جاءت في أول الأضواء لا في آخره ، ووُسِمَتُ بعنوان : (مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - بقلم تلميذ الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة) واستغرقت أربعاً وستين صفحة .

أما اعتماد البحث هذه الطبعة فقد جاء بناءً على أنها أوضح وأحسن ، وأنسق وأضبط ، وأدق وأصوب طبعات الأضواء التي صدرت حتى اليوم ، وإن لم تكن أحدثها كما سيأتي بيانه بعد قليل .

هذا فضلاً عن أنها أول طبعة يشتمل عنوانها على تاريخ وفاة الشنقيطي حيث جاء نص

العنوان كالتالى : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ رحمه الله) .

• الطبعة السادسة :

صدرت هذه الطبعة عن مؤسسة (عالم الكتب) ببيروت بلبنان بدون تاريخ ، إلا أنها جاءت بعد الطبعة الخامسة المعتمدة فى هذا البحث ، وليس ثمة فارق بينها وبين الطبعة الثالثة إلا من حيث اشتمالها على (جداول لتصويب الأخطاء المطبعية) بنهاية كل جزء من أجزاء الأضواء العشرة .

• الطبعة السابعة :

وهى الطبعة الشرعية الوحيدة التى أصدرها أخونا وصديقنا الأستاذ عبد الفتاح الزينى صاحب مكتبة (ابن تيمية) بالطالبيه بالهرم عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) وذلك بموجب حصوله على كافة الحقوق الشرعية من ورثة الشنقيطى ليس فيما يتعلق بـ (أضواء البيان) فحسب ، بل وسائر آثاره العلمية الأخرى^(١) .

وقد جاءت هذه الطبعة فى تسعة أجزاء فقط ؛ حيث اشتملت على الأجزاء السبعة التى فسرها الشنقيطى ، ثم الجزأين الثامن والتاسع (أو الأول والثانى) من تنمة تلميذه الشيخ عطية ، وتمت طباعتها بمطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، كما اشتملت فى أولها على تقديم موجز استغرق أربع صفحات مهور فى نهايته باسم : (محمد بن أحمد بن إسماعيل عفا الله عنه)^(٢) .

ومن الملاحظ على هذا التقديم الموجز أمران :

- ١ - أنه مُقْتَبَسٌ جُلُّهُ ما لم يكن كله من مجموع ما كتبه كل من : الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى ، والشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك^(٣) .
- ٢ - أنه يفتقد إلى موضوعية الباحث ، ومنهجية التخصص ؛ وهذا ما يشهد له استعمال بعض المصطلحات فى غير موضعها ، من حيث اضطرابها فى الدلالة على المعنى

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / قبل أ (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١ / أ - د (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ١ / ٣ - ٦٤ (طبعة الرياض) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١ / ١٧١ - ١٩١ .

المقصود بها في مجال البحوث الشرعية ، ومن أمثلة هذه المصطلحات : وصف الشنقيطي بأنه (من فقهاء المفسرين)^(١) ثم وصف التفسير بأنه (التفسير السلفي الأثرى الفقهي)^(٢) .

وهكذا يبدو ضم هذه المصطلحات بعضها إلى بعض لتكوّن عبارات عديدة الدلالة على المعنى الذي وُضِعَتْ له في الاصطلاح ؛ الأمر الذي طبعها بالاضطراب وعدم الدقة ؛ لما يعوزها من التخصص والمنهجية .

٣ - عمل الشنقيطي في الأضواء :

فَسَّرَ الشنقيطي ثمانى وخمسين سورة بدأت بـ (الفاتحة) وانتهت بـ (المجادلة) حوتها سبعة أجزاء من (أضواء البيان) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وأربعين صفحة (٤٩٤٥ ص) وذلك باستثناء الجزء العاشر الأخير الذى يُعْنَى بعلوم القرآن ويشتمل على كتابى : (منع جوار المجاز) و (دفع إيهام الاضطراب) حيث إنهما ليسا من صلب التفسير ، وإن كانا يتعلقان بموضوعه .

٤ - عمل التلميذ في الأضواء :

أتم الشيخ عطية محمد سالم تفسير (أضواء البيان) بعد رحيل شيخه الشنقيطي ؛ وذلك استجابة لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، والذي حثه على وجوب إتمام هذا التفسير من حيث انتهى شيخه^(٣) .

وبناءً على هذا التكليف قام الشيخ عطية بتفسير ست وخمسين سورة بدأت بـ (الحشر) وانتهت بـ (الناس) فى الجزأين الثامن والتاسع من (الأضواء) أو الأول والثانى من (التممة) واللذين استغرقا ألفاً وأربعمائة واثنين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) .

هذا بالإضافة إلى تلك المراجعة المستوعبة لسائر التفسير ، مع شرح بعض المفردات ، وكذا تحقيق بعض المواضع ، أو التعقيب على أخرى ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ب (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١/ج (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٣) راجع هذا التكليف فى كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٩/٦٩٣ (طبعة الرياض) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٩/٧٤٤ (طبعة عالم الكتب ببيروت) .

• فمثال شرح المفردات :

ذكره معنى (التَّبَان) بضم وتشديد التاء ثم فتح وتشديد الباء أى (السراويل الصغير بمقدار الشبر الذى يستر العورة)^(١) .

• ومثال تحقيق بعض المواضع :

تخريجه بيت طرفة بن العبد فى معلقته ، حيث قال : والذى فى معلقته (لهجسٍ خَفِيٍّ) بدلاً من (لِرِكْزٍ خَفِيٍّ)^(٢) .

• وأما مثال تعقيبه على بعض المواضع الأخرى :

فتعليقه على ما ذهب إليه شيخه من وجوب اللؤلؤ والمرجان فى كل من الماء الملح والعذب على السواء وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ الآية^(٣) حيث علّق على ذلك بقوله : يعتبر ذلك فتحاً من الله ؛ لأنه توصل إليه استنتاجاً ؛ فجاء الواقع يشهد بذلك ، وإن لم يطلع عليه رحمه الله^(٤) .

هذا بالإضافة إلى قيام الشيخ عطية بعمل الفهارس الفنية لكامل أضواء البيان (الأصل والتممة) كما توضحه النقطة التالية .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٣/٣ (طبعة الرياض) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف : ٢٤ .

وقد قصر صاحب اللسان (التَّبَان) على السراويل الصغير الذى يستعمله الملاحون ، حيث يكون بمقدار الشبر الذى يستر عورتهم المغلطة فقط ، وذكر فى ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « صَلَّى رَجُلٌ فِي تَبَانٍ وَقَمِيصٍ » والعرب تستعمله مذكراً وتجمعه على (تَبَائِينَ) - انظر مادة (تَبَن) فى لسان العرب : ٤٢٠ / ١ .

(٢) وفى هذا البيت يصف طرفة قوة سَمِعَ ناقته بقوله :

وَصَادَقَتَا سَمِعَ التَّوَجُّسِ لِلْسُرَى لِهَجْسِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنَدِّ

أى لها أذنان شديدتا الاستماع أثناء سيرها فى الليل بحيث يمكنها سماع الصوت الخفى فضلاً عن سماعها الصوت المرتفع - انظر معلقة طرفة بن العبد فى (شرح المعلقات السبع) : الزوزنى ص ٤٥ - دار بيروت للطباعة والنشر - لبنان - بيروت - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

وفى رواية أخرى : (لِحْرَسِ خَفِيٍّ) - انظر (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) : لأبى بكر محمد بن قاسم الأتبارى ص ١٧٧ - تحقيق وتعليق : عبد السلام هارون - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٣) الرحمن ٢٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ هـ ١ .

٥ - فهارس الأضواء :

وكلها من عمل الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى ، وتشمل الفهارس الثلاثة التالية :

● فهارس الاصل :

ونقصد بها فهارس الأجزاء السبعة التى فَسَّرَهَا الشنقيطى من (أضواء البيان) وشملت ثمانى وخمسين سورة بداية بـ (الفاتحة) وانتهاءً بـ (المجادلة) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسا وأربعين صفحة (٤٩٤٥ ص) وجاء توزيعها كالتالى :

- ١ - الجزء الأول : ويشمل أربع سور من (الفاتحة) حتى (النساء)^(١) .
- ٢ - الجزء الثانى : ويشمل ست سور من (المائدة) حتى (يونس) .
- ٣ - الجزء الثالث : ويشمل سبع سور من (هود) حتى (بنى إسرائيل أو الإسراء) .
- ٤ - الجزء الرابع : ويشمل أربع سور من (الكهف) حتى (الأنبياء) .
- ٥ - الجزء الخامس : ويشمل سورتين هما (الحج) و (المؤمنون) .
- ٦ - الجزء السادس : ويشمل أربع عشرة سورة من (النور) حتى (الصافات) .
- ٧ - الجزء السابع : ويشمل إحدى وعشرين سورة من (ص) حتى (المجادلة) .

● فهارس التتمة :

وتشمل فهرسَ الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (تتمة الأضواء) التى فَسَّرَ فِيهَا الشيخ عطية ستاً وخمسين سورة بداية بـ (الحشر) وانتهاءً بـ (الناس) واستغرقت ألفاً وأربعمائة واثنين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) وجاء توزيعها كالتالى :

- ٨ - الجزء الثامن من الأضواء (الأول من التتمة) : ويشمل تسع عشرة سورة من (الحشر) حتى (المرسلات) .
- ٩ - الجزء التاسع من الأضواء (الثانى من التتمة) : ويشمل سبعاً وثلاثين سورة من (النبأ) حتى (الناس) .

وبهذا يكتمل أضواء البيان (الأصل والتتمة) بأجزائه التسعة التى شملت جميع سور

(١) مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الجزء الأول قد حوى فى أوله (ترجمة الشنقيطى) بقلم تلميذه الشيخ عطية ، بالإضافة إلى مقدمة فى (أنواع البيان) وذلك على مدار مائة صفحة كاملة .

القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) واستغرقت ستة آلاف وأربعمائة وسبعاً وثلاثين صفحة (٦٤٣٧ص) على وجه التحديد ، أو ستة آلاف وخمسمائة صفحة (٦٥٠٠ص) على وجه التقريب .

• الفهرس الفقهي الكامل الأضواء :

وعن هذا الفهرس الفقهي وإطلاع شيخه الشنقيطي على بعض منه في حياته يحدثنا الشيخ عطية قائلًا : ومن فهارس الكتاب فهرس فقهي (لمواضيع الفقه الموجودة في مواضع متفرقة في جميع أجزائه ، وقد جُمعت مرتبة على أبواب الفقه ، ومُبين مرجع كل مسألة بعنوانها في البحث ، مع ذكر السورة والآية ، ثم رقم الجزء والصحيفة ؛ لِيَسْهُلَ تناولها والاستفادة منها ، وذلك تيسيراً على الدارس ، وتوفيراً للوقت ، وكان شيخنا رحمه الله قد اطلع على هذا الفهرس إلى الجزء السادس فاستحسنه ، ولم يمانع في طبعه مع الجزء الأخير من الكتاب^(١) .

وبالفعل فقد ألحق هذا الفهرس الفقهي بآخر الجزء التاسع الأخير من الأضواء (الثاني من التتمة) واستغرق خمس عشرة صفحة ، حيث تضمن تسعة عشر باباً فقهيًا بالترتيب التالي : (الطهارة والنجاسة - الصلاة - الجنائز - المساجد - الزكاة - الصيام - الحج - البيوع والربا - الإجارة - النكاح - الخلع - اللباس والزينة - الأطعمة - الميراث - الوقف - الأيمان والندور - الرق - الجهاد - وأخيراً : القضاء)^(٢) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٦/٩ - ٧٤١/٩ (الجزء الثاني من التتمة بتصرف يسير) .

(٢) راجع تفصيل هذا الفهرس الفقهي في كل من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٧٤/٩ - ٧٥٦ (طبعة الرياض) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٤٥/٩ - ٧٦٠ (طبعة المدني) .

• أضواء البيان : الشنقيطي ٧٤٥/٩ - ٧٦٠ (طبعة عالم الكتب بيروت) .

ومما يجدر الالتفات إليه أن هذا الفهرس الفقهي يتفق في أرقام صفحاته مع سائر طبعات (أضواء البيان) التي تأتي ترجمة الشنقيطي بآخرها كطبعة المدني بالقاهرة ، وطبعة عالم الكتب ببيروت ، في حين لا يتفق مع تلك الطبعات التي تأتي ترجمة الشنقيطي بأولها وتستغرق أربعاً وستين صفحة في بداية الجزء الأول مثل طبعة الرياض ، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

ولذا ؛ فإنه يلزم إضافة أربع وستين صفحة إلى كل رقم من صفحات الفهرس الفقهي في طبعتي (المدني وعالم الكتب) وما شابههما؛ حتى تتفق مع ترقيم الطبعات الأخرى (كطبعة الرياض) ، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) وما شابههما؛ الأمر الذي ينبغي عليه توحيد صفحات هذا الفهرس الفقهي في سائر الطبعات ؛ تيسيراً للفائدة ، وتوفيراً للوقت .

المطلب الثاني

بقية مؤلفاته المطبوعة عامة

وعدها أربعة عشر مؤلفاً نورد التعريف بها بحسب ترتيبها الهجائي التالي :

١- آداب البحث والمناظرة :

يقع هذا الكتاب في جزأين ، ويختص موضوعه بـ (فن المنطق) وقد اقتصر الجزء الأول على (المقدمات المنطقية) في حين تضمن الجزء الثاني (مسائل هذا الفن وقضاياها) ثم ختمه الشنقيطي تحت عنوان (خاتمة حسنة) ذكر فيها ما نصه : وفي الختام نوصي أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحي الصحيح في المعتقد وغيره ؛ لأن السلامة متحققة في اتباع الوحي ، وليست متحققة في غيره :

وَنَهَجُ سَبِيلِي وَأُضِحُّ لِمَنْ اهْتَدَى وَلَكِنِّهَا الْأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتَتْ

ويهذا الذي ذكرنا تعلم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : (مذهب السلف أسلم) إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ (أسلم) صيغة تفضيل من (السلامة) وما كان يُفْضَلُ غيره ويفوقه في السلامة فهو أحكم منه وأعلم ؛ وبه يظهر أن قولهم : (ومذهب الخلف أحكم وأعلم) ليس بصحيح ، بل الأحكم والأعلم هو الأسلم كما لا يخفى^(١) .

وقد فرغ منه الشنقيطي بالمدينة المنورة يوم الخميس (١٤ - ٥ - ١٣٨٨هـ) الموافق (٨ - ٨ - ١٩٦٨م) ثم أشرف على طبعه ووضَعَ عناوينه تلميذه الشيخ عطية المشرف آنذاك على مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي تولت على الفور طبع هذا الكتاب للمرة الأولى ، بل وقررت على طلابها بالفرقتين الأولى والثانية بكلية الدعوة وأصول الدين .

ثم توالى بعد ذلك طبعات هذا الكتاب بجزأيه والبالغ مجموع صفحاتهما مائتين وسبعاً وثلاثين صفحة ، منها ثمان وتسعون في الجزء الأول ، ومائة وتسع وثلاثون في الجزء الثاني^(٢) .

٢- الإسلام دين كامل :

وهو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشنقيطي بالحرم النبوي الشريف بحضرة ملك المغرب

(١) آداب البحث والمناظرة : الشنقيطي ١٣٦/٢ - طبع مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة -

ومكتبة العَلَمِ بجدة بالمملكة العربية السعودية - (د . ت) .

(٢) راجع نفس الطبعة السابقة .

الراحل محمد الخامس عند زيارته المدينة المنورة ، وقد دار موضوعها حول تفسير قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ الآية^(١) .

وكان الشنقيطي قد ألقى هذه المحاضرة نزولاً على رغبة ملك المغرب الذي استأذن في صحبة الشنقيطي في طريقه من الرياض إلى المدينة المنورة؛ فرافقه تقديراً وإكراماً، وإلى هذا يشير بقوله : (وبعد فهذه محاضرة ألقيتها في المسجد النبوي بطلب من ملك المغرب)^(٢) .

وقد ضَمَّنَ الشنقيطي تفسير هذه الآية عشرَ مسائل مهمة جعل عليها مدار الدنيا وخير الآخرة ، حيث قال ما نصه : وهذه الآية الكريمة نص صريح في أن دين الإسلام لم يترك شيئاً يحتاج إليه الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا أوضحه وبينه كائناً ما كان ، وسنضرب لذلك المثل ببيان عشر مسائل عظام عليها مدار الدنيا من المسائل التي تهتم العالم في الدارين ، وفي البعض تنبيه لطيف على الكل :

(الأولى : التوحيد - الثانية : الوعظ - الثالثة : الفرق بين العمل الصالح وغيره - الرابعة : تحكيم غير الشرع الكريم - الخامسة : أحوال الاجتماع بين المجتمع - السادسة : الاقتصاد - السابعة : السياسة - الثامنة : تسليط الكفار على المسلمين - التاسعة : مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار في العَدَدِ والعُدَدِ - العاشرة : مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع) وسنوضح علاج تلك المشاكل من القرآن الكريم^(٣) .

ونزولاً على الرغبة الملحة لطلاب العلم ؛ فقد قام الشنقيطي بتقييد هذه المحاضرة مشيراً إلى ذلك بقوله : وقد طلب مني بعض إخواني تقييدها لنشرها ؛ فليت طلبه، راجياً من الله تعالى أن ينفع بها^(٤) .

وقد طبعت هذه المحاضرة مراراً في حياة الشنقيطي وبعد رحيله، وكان آخرها طبعة (دار الحديث الخيرية) بالمدينة المنورة تحت عنوان: (محاضرة كبيرة الفائدة للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي) وجاءت في كتيب من القَطْع الصغير بلغ عدد صفحاته اثنتين وثلاثين صفحة .

ولما كان حق طبع هذا الكتيب مكفولاً لكل مسلم كما ورد ذلك مدوناً على صفحته الداخلية ؛ لذا فقد قامت (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) بإصداره مصوراً على طبعة (دار الحديث

(١) المائدة : ٣ .

(٢) الإسلام دين كامل : للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي ص ٥ - (محاضرة ألقاها في المسجد النبوي الشريف) - طبعة مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٣) الإسلام دين كامل : الشنقيطي ص ٦ - ٧ .

(٤) الإسلام دين كامل : الشنقيطي ص ٥ .

الخيرية) غير أنها استبدلت بعنوانه عنواناً آخر استوحته من فحوى الآية ألا وهو : (الإسلام دين كامل) وهو ذات العنوان الذي اعتمده البحث وعوّل عليه .

٣ - بيان الناسخ والمنسوخ :

وتمام اسمه : (بيان الناسخ والمنسوخ من آى الذكر الحكيم) وهو عبارة عن رسالة بالغة الإيجاز تقع فى ست صفحات شرح فيها الشنقيطى عشرة أبيات للسيوطى من كتابه : (الإتقان فى علوم القرآن) .

وكان الشنقيطى قد أملاها على تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى (ذى الحجة ١٣٧٣ هـ = يوليو ١٩٥٤ م) والذي يشير إلى هذا بقوله : كنت قد درستها عليه ، وأعطانيها بخطه ، فبيضتها وصححتها عليه ، ثم ألحقها فيما بعد بالتفسير لقوة ارتباطها به^(١) .

وفيما يلى نص هذه الأبيات العشرة كما نقلها الشيخ عطية عن خط شيخه الشنقيطى ، وكما قرأها عليه :

وَأَدْخَلُوا فِيهِ آيَا ^(٣) لَيْسَ تَنْحَصِرُ ^١	قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ^(٢) الْمَنْسُوحِ مِنْ عَدَدِ
عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الْخُذَّاقُ وَالْكُبَّرُ ^٢	وَهَاكَ تَحْرِيرَ آيِ ^(٤) لَا مَزِيدَ لَهَا
يُوصَى لِأَهْلِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ مُحْتَضِرُ ^٣	أَيُّ التَّوَجُّهِ حَيْثُ الْمَرْءُ كَانَ وَأَنْ
وَفَسْدِيَةِ لِمَطِيقِ الصُّومِ مُشْتَهَرُ ^٤	وَحَرْمَةُ الْأَكْلِ بَعْدَ النَّوْمِ مَعَ رَقْتِ
وَفِي الْحَرَامِ قِتَالٌ لِلأُولَى كَفَرُوا ^٥	وَحَقِّ تَقْوَاهُ فِيمَا صَحَّ مِنْ أَثَرِ
وَأَنْ يُدَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ ^٦	وَالِاعْتِدَادُ بِحَوْلِ مَعَ وَصِيَّتِهَا
كُفْرٌ وَإِشْهَادُهُمُ وَالصَّبْرُ وَالنَّفْرُ ^٧	وَالْحَلْفُ وَالْحَبْسُ لِلزَّانِي وَتَرْكُ أُولَى
وَمَا عَلَى الْمُصْطَفَى فِي الْعَقْدِ مُحْتَظَرُ ^٨	وَمَنْعُ عَقْدِ لَزَانٍ أَوْ لَزَانِيَةِ
وَأَهُ كَذَاكَ ^(٥) قِيَامُ اللَّيْلِ مَسْتَظَرُ ^٩	وَدَفْعُ مَهْرٍ لِمَنْ جَاءَتْ وَآيَةُ نَجْ
وَآيَةُ الْقِسْمَةِ الْفُضْلَى لِمَنْ حَضَرُوا ^{١٠}	وَزَيْدُ آيَةِ الْاسْتِئْذَانِ مِنْ مَلَكَتْ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٤ و ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .

(٢) وردت فى الأضواء (من) و صوابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .

(٣) وردت فى الأضواء (أبا) و صوابها (آيا) جمع (آية) .

(٤) وردت فى الأضواء (أى) و صوابها (آى) جمع (آية) .

(٥) وردت فى الأضواء (كذلك) و صوابها (كذلك) حتى يستقيم الوزن المذكور .

ويختتم الشيخ عطية شرح شيخه على هذه الآيات معقباً بقوله : تمت بحول الله رسالة فضيلة الشيخ محمد الأمين المختصرة في بيان آيات السيوطي الرمزية تقريباً في هذا الفن ، وهى على إيجازها واختصارها كافية شافية للطالب الدارس ، أما المدارس والباحث المدقق والمناقش للأقوال ؛ فإن هناك المطولات لتتمة البحث لبيان إثبات النسخ على منكريه ، وبيان حكمته وأقسامه ، وبيان قوة النسخ من كتاب أو سنة ، ومراتبه من شدة إلى ضعف والعكس ، إلى غير ذلك^(١) .

• ملحوظة حول هذه الرسالة :

على الرغم من أن السيوطي قد ذكر عشرين موضعاً للنسخ تضمنتها آياته ؛ إلا أن الشنقيطي قد زادها إلى واحد وعشرين موضعاً أثبت النسخ في ثمانية عشر موضعاً ، ونفاه في موضعين ، ثم ذكر الخلاف فيه في موضع واحد ، كما أنه لم يشرح البيتين الأول والثاني لخلوهما من الآيات محل النسخ الذى تضمنته الآيات الثمانية الأخرى .

وقد صدرت هذه الرسالة فى أولى طبعاتها بآخر الجزء التاسع من (الأضواء) والثانى (من التتمة) فى (آخر رمضان المعظم ١٣٩٦هـ = آخر سبتمبر ١٩٧٦ م) بعد رحيل مؤلفها .

٤ - دفع إيهام الاضطراب :

وغم اسمه : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ويختص موضوعه بـ (علوم القرآن) ويقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد صدر لأول مرة مع رسالة أخرى للشنقيطي بعنوان : (منع جواز المجاز فى المنزّل للتعبد والإعجاز) حيث ضمهما الجزء العاشر من (أضواء البيان) من طبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) وهى ذات الطبعة التى اعتمدها البحث وعوّل عليها .

وعن السبب الباعث على تأليف الشنقيطي مثل هذا الكتاب فى علوم القرآن ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلًا : كان سببه سؤالاً عند الدرس عن مدى التوفيق بين قول الله

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٩/٩ - ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .

• وراجع نص هذه الآيات فى (الإتقان فى علوم القرآن) : للحافظ جلال الدين السيوطي ٧٧/٣ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

تعالى : ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَوْلُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ الآيتان^(١) مع قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ الآية^(٢) ؟ فأجاب رحمه الله باستفاضة ، وذكر لها أمثلة عديدة قائلاً : إن السؤال متنوع ، والمواقف متعددة ؛ فسألته عن تأليف فيها ؟ فقال : لا أعلمه .

فكان رجائي منه أن يؤلف فيه لنفع المسلمين ؛ فوعده خيراً ثم فعل ، وقد تتبع هذا النوع في القرآن من أوله إلى آخره ، وهو تجربة أولى موفقة ، ولو أعيدت كتابته فإن في القرآن بعض مواطن من موضوع الكتاب^(٣) .

ثم بين الشيخ عطية ما لموضوع هذا الكتاب من خصوصية في بابه فيقول : وهذا الكتاب من أخص ما كُتِبَ في علوم القرآن ، وموضوعه الجواب عن كل ما يوهم تعارضاً أو اضطراباً بين بعض آيات القرآن مع بعض ، وهذا وإن كان موضوعه من حيث هو موجود كمفردات تَرُدُّ في مجالها من التفسير ؛ إلا أنها لم يوجد فيها كتاب قد تتبعها في القرآن كله ، وجمَعها في محلٍّ واحد يسهل تناوله ، بل ولا يوجد التنبيه على كل ما جاء فيه في عمومات التفسير^(٤) .

ويوضح الشيخ محمد المجذوب الهدف من هذا الكتاب قائلاً : ويريد شيخنا الشنقيطي رحمه الله بهذا الكتاب إيضاح ما قد يُشكِلُ على الغافلين ، وما يثيره بعض المشككين ، من توهم التعارض بين بعضٍ وبعضٍ من آيات الله تعالى^(٥) .

ثم يحدثنا الشنقيطي ذاته عن المنهج الذي توخاه في هذا الكتاب ، والذي ضمَّته المقدمة فيقول : أما بعد : فإن مقيد هذه الحروف عفا الله عنه أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يُظنُّ بها التعارض في القرآن العظيم ، مرتباً لها بحسب ترتيب السور ، فيذكر الجمع بين الآيتين غالباً في محل الأولى منهما ، وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة ، وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى ، وربما يحيل عند محل الأخيرة ؛ ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يُظنُّ تعارضه إلا تلك الآية ؛ فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم^(٦) .

(١) الصافات : ٢٤ - ٢٥ (آيتان) .

(٢) الرحمن : ٣٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٣/١ - ٦٩٥/٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٩٥/٩ (تحت عنوان : شكر وتقدير) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ (بتصرف) .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١٠ .

• ملاحظات حول هذا الكتاب :

وبعد أن عرضنا لسبب تأليف هذا الكتاب ، وعرفنا بموضوعه ، ثم بينا الهدف منه ، وأوضحنا منهج مؤلفه فيه ؛ فإننا نأتى إلى جملة تلك الملاحظات التي ترد على هذا الكتاب ، والتي نرصدها فيما يلي :

١ - أورد الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي ، وتابعه في ذلك الشيخ محمد المجذوب من حيث ذكرهما هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشنقيطي تحت عنوان : (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) بذكر (آي) بدلاً من (آيات) التي نصَّ عليها الشنقيطي نفسه^(١) .

ومع أن معنى (آي) لا يختلف عن معنى (آيات) من حيث كونهما جمعاً لـ (آية) إلا أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما اختاره غيره ؛ ومن ثم لزم هذا التنويه من باب ضبط اسم الكتاب وتحريره كما وضعه مؤلفه ، واختاره له .

٢ - تتبع الشنقيطي في هذا الكتاب كل ما يوهم التعارض في جميع سور القرآن بحسب ترتيبها في المصحف عدا اثنتي عشرة سورة هي : (الفاتحة في أول القرآن) ثم إحدى عشرة سورة بعد المجادلة شملت كلاً من : (الشرح - البينة - التكاثر - الهمزة - الفيل - قريش - الكوثر - المسد - النصر - الإخلاص - الفلق) .

٣ - لم يورد الشنقيطي بعض الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض في مواضعها من سور القرآن ، سواء في كتابه (دفع إيهام الاضطراب) أو تفسيره (أضواء البيان) بل نراه يورد بعض الإشكال على بعض الآيات في (الدفع) ولا يورده في (الأضواء) .

ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض من بين قول الله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية^(٢) وبين كل من قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية^(٤) .

(١) راجع في ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٥٣/١ - ٦٩٥/٩ .

• علماء ومفكرون عرقتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .

(٢) النور : ٢٦ . (٣) التحريم : ١٠ .

(٤) التحريم : ١١ - وانظر هذا الإشكال وجوابه في (سورة النور) في (دفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب) المطبوع بآخر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢١٧/١٠ - ٢١٩ .

وأما بعض ما أورده من إشكال فى (الأضواء) ولم يورده فى موضعه المفروض فى (الدفع) فمثاله ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ الآية^(٢) .

وأما دون ذلك من الإشكالات فقد كررها الشنقيطى فى كل من (الدفع) و (الأضواء) فى مواضعها من سور القرآن ، ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآيتان^(٤) .

٤ - صدر هذا الكتاب فى طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض ، ومن هذه الطبعات المنفصلة (طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالقاهرة) والتي أصدرها عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)^(٥) .

٥ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :

صدر هذا الكتاب بعد وفاة الشنقيطى فى طبعته الأولى عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن دار الشروق بجدة بالمملكة العربية السعودية تحت عنوان : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى^(٦) .

ويقع هذا الكتاب فى مائتين وسبع وثمانين صفحة ، استغرقت منها أحداث هذه الرحلة

(١) سورة محمد ﷺ : ٣٥ .

(٢) الأنفال : ٦١ - وانظر فى ذلك (أضواء البيان): الشنقيطى ٥٩٦/٧ - ٥٩٩ (من تفسير سورة محمد ﷺ) .

(٣) مريم : ٧١ .

(٤) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢ (آيتان) - وانظر فى ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٨/٤ (تفسير سورة مريم) .

• دفع إيهام الاضطراب (ضمن أضواء البيان) : الشنقيطى ١٩٢/١٠ - ١٩٣ (سورة مريم) .

(٥) انظر كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ =

١٩٨٦ م .

(٥) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى - ط ١

- دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

• والجدير بالملاحظة أن يقال : (الجكنى الشنقيطى) وليس : (الشنقيطى الجكنى) لأن الأصوب

تقديم النسب إلى القبيلة (بنى جاكان) على النسب إلى القطر (شنقيط) .

تسعا وأربعين صفحة ، فى حين استغرقت المباحث العلمية جُلَّ الصفحات الباقية والبالغ عددها مائتين وثمانى وثلاثين صفحة ؛ مما يؤكد غلبة الطبيعة العلمية على هذه الرحلة .

وقد قدّم الشيخ عطية لكتاب شيخه هذا بمقدمة شاملة نافعة ، ضمنها موقع هذه الرحلة من أدب الرحلات ، فضلاً عن مغايرتها لأغلب الرحلات المعروفة ، مبيّناً ما اشتملت عليه من المباحث العلمية سواء الشرعية منها أو اللغوية ، ومشيراً إلى براعة شيخه فى عرضها واقتداره فى تناولها^(١) .

كما قام الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى بمقابلة هذه الرحلة على أصليّين لها ، مشيراً إلى ذلك فى نهايتها بقوله : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليّها فى (٢٥ رجب عام ١٣٩٩ هـ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(٢) .

وعن الهدف الذى حمل الشنقيطى على تقييد رحلته هذه فيوضحه فى المقدمة بقوله : أما بعد : فليكن فى علم ناظره أنا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام ، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام ، وأخبار البلاد والرجال ، وما تجوّل فيه الأدباء من المجال ، والغرض الأكبر من ذلك هو تقييد ما أجبنا به عن كل سؤال علميّ سألنا عنه فى جميع رحلتنا^(٣) .

وأما منهج الشنقيطى فى هذا الكتاب فيوضح لنا معالمة تلميذه الشيخ عطية قائلاً : لقد تميزت هذه الرحلة عن جميع الرحلات بما زخرت به من مباحث غاية فى الدقة ، وآية فى الروعة ، واشتملت صنوّفاً وفنوّناً كالرّوض ، أزهير وأفانين ؛ فنرى الشيخ رحمه الله قد بدأ رحلته بمقدمة رائعة الخيال فى براعة الاستهلال ، حيث بيّن الدوافع على السفر ، واقتحام العقبات ، وركوب الخطر ، ومفارقة الأوطان ، وفراق الإخوان ، وهو امثال أمر الله تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾^(٤) ثم أخذ يسجل ما ألقى عليه من الأسئلة ، وما قدّم عليها من الأجوبة ، بأحسن ما يقال ، فى دروس تُشدُّ إليها الرّحال^(٥) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ١١ (المقدمة بعنوان : رحلة صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين رحمه الله) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٨٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ (تحت عنوان : فائدة تقييد رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

(٤) آل عمران : ٩٧ . (٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧ (بتصرف) .

وفيما يلي نعرض لبعض أمثلة تلك المباحث العديدة ، والمسائل المفيدة ، من جملة العلوم الشرعية واللغوية التي احتواها هذا الكتاب ، وذلك على النحو التالي :

• العلوم الشرعية :

وشملت ثمانية فنون تمثلت في كل من :

١ - التفسير :

مثل تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية^(١) وقد عرض الشنقيطى من خلال تفسيره هذه الآية لموضعها المتعلق بقصة الغرانيق^(٢) ثم أزال الإشكال المتوهم بين رسالة النبي ورسالة الرسول^(٣) .

٢ - علوم القرآن :

وتشمل أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والإسرائيليات ، ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطى من سبب نزول قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الآية^(٤) .

٣ - الحديث :

ومثاله ما شرحه الشنقيطى من قول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتلهُ » الحديث^(٥) .

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الغرانيق والغرانقة : الذكور من طيور الماء البيضاء من ذوات الأعناق والقوائم الطويلة ، مثل طيور (الكركى أو الكركى) وواحدتها : (غرثوق وغرثوق، وغرثيق وغرثيق، وغرثاق، وغرثاق، وغرثاق، وغرثوق) كما يعبر به عن كل أبيض شاب ناعم جميل ، ومنه قول الشاعر :

أَلَا إِنَّ تَطْلَابَ الصَّبَا مِنْكَ ضَلَّةٌ وَقَدْ فَاتَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ الْغُرَانِقِ

• انظر مادة (غرثوق) فى لسان العرب : ٣٢٤٨/٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٤) الرد : ٣١ - وانظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطى ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب الفتن (باب) لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٢/٦٢ - حديث =

٥ - الأصول :

ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطي من الفروق بين كل من (دلالة الاقتضاء ، ودلالة الإشارة ، ثم دلالة الإيماء والتبنيه) ومع أنها تندرج جميعها تحت دلالة الالتزام ؛ إلا أن الشنقيطي قد عرض لاختلاف الأصوليين بشأن : هل هي من المنطوق غير الصريح أو من المفهوم؟^(١)

٥ - الفقه :

ومن ذلك ما فصل في الشنقيطي القول بشأن أنسك الحج ، حيث حشد الأدلة على تفضيل الأفراد على كل من التمتع والقِرآن ؛ وذلك كما يقتضيه مذهب الإمام مالك ، والذي كان عليه آنذاك قبل أن يستقر به المقام ببلاد الحجاز بعد حجه هذا^(٢) .

٦ - العقيدة :

ومن ذلك ما أورده الشنقيطي بشأن مذهب أهل السنة في آيات الصفات ، حيث بين أنه المذهب الذي يُسلمُ صاحبه من ورطتى التعطيل والتشبيه ، وهو ما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين^(٣) .

٧ - علم الكلام :

ومن ذلك حديث الشنقيطي عن الصفة النفسية عند المناطقة ، والتي بين أنه لا يدرك بدونها الموصوف ، وكذا حديثه عن تلك العداوة والبغضاء الناشبة بين فرق اليهود والنصارى ، وإقامته الدليل على ذلك كله^(٤) .

٨ - التاريخ والسير :

ومثال ذلك ما أشار إليه الشنقيطي من قتال المسلمين والتُّرك ، وأن الأدلة تقتضى كونه من أشرار الساعة^(٥) .

= رقم (٢٩٢٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الفتن وأشرار الساعة (باب) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ؛ فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - (طبع بيروت) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٧٣ - ٨٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٦ - ٢٥٤ .

• العلوم اللغوية :

وشملت أربعة فنون تمثلت في كل من :

١- النحو :

ومن ذلك تبيان الشنقيطى أن اجتماع الواو والياء فى كلمة واحدة ، وكانت السابقة منهما ساكنة سكوناً أصلياً ليس عارضاً ؛ فإنه يجب قلب الواو ياءً وإدغامها فى الياء ، ومن أمثله : سَيْدٌ وأصله (سَيُودٌ) ومَيِّتٌ وأصله (مَيُّوتٌ) وصَيِّبٌ وأصله (صَيُّوبٌ) .

وهذا ما بيّنه الشنقيطى من خلال تحقيقه البيتين التاليين من ألفية ابن مالك :

إِنْ يَسْكُنِ السَّابِقُ مِنْ وَأَوْ وَيَا وَأَتَّصَلَا ، وَمِنْ عُرُوضٍ عَرِيَا
فِيَاءُ الْوَاوِ أَفْلَبَسْنَ مُدْغَمَا وَشَدَّ مُعْطَاً غَيْرَ مَا قَدَّرُ سِمَا^(١)

٢- الأثاب :

ومن ذلك قصيدة جرير التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، والتى بدأها بقوله :

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَوْ طُوِّغَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
حَى الْمَنَازِلِ إِذْ لَا تَبْتَغَى بَدَلَا بِالْدَارِ دَارًا وَلَا الْجِيْرَانَ جِيْرَانَا

وقد ذكر الشنقيطى تلك القصيدة بكاملها ، ثم شرح البيت الذى سئل عنه ، والذى يُعيرُ جريرٌ به الأخطلَ وقومه بدين النصرانية وبتقربهم وتمسحهم بصُلْبَانِ النصارى ؛ مُدْعِينَ أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله ، حيث يقول :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إِلَى الْقَسِيْنَ هِجْرَتَكُمْ وَمَسَحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا^(٢)

(١) راجع شرح هذين البيتين فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٣٧ - ١٤٢ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢٢٧/٤ (باب الإبدال) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) ويقع هذا البيت قبل الأخير من تلك القصيدة البالغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتاً ، التى ختمها جرير بقوله :

لَنْ تَذْرِكُوا الْمَجْدَ أَوْ تَشْرُوا عِبَاءَ تَكُمُ بِالْحَزْزِ أَوْ تَجْعَلُوا التُّنُومَ ضَمْرَانَا
انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٦ .

٣ - البلاغة :

ومن ذلك مبحثنا الاستعارة والمجاز اللذان تناولهما الشنقيطي بالتحليل والتفصيل^(١) .

٤ - المعاجم :

ومن أمثلتها تأصيل الشنقيطي لكلمة (المُطْرَقَة) واشتقاقها في اللغة، والتي حشد على فصاحتها أدلته من القرآن كما في قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ الآية^(٢) ومن السنة كما في قول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صِغَارَ الأَعْيُنِ حُمْرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوفِ كَأَنَّ وجوههم المِجَانُ المُطْرَقَةُ ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ » الحديث^(٣) ومن كلام العرب كقول زهير بن أبي سلمى :

أَهْوَى لَهَا أَسْفَعُ الحَدِيدِ مُطْرَقٌ رِيشَ القَوَادِمِ لَمْ تُنْصَبْ لَهُ الشَّبِكُ^(٤)

• ملاحظات حول هذا الكتاب :

بالرغم من عناية كل من الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطي ، وكذا الشيخ عطية تلميذ الشنقيطي بهذا الكتاب ؛ إلا أنه تردُّ عليه جملة من الملاحظات التي نرصدها فيما يلي :

= • ديوان جرير : شرح محمد بن حبيب / ١ (١٦٠ - ١٦٧) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٦٩ م .

و (التتوم) : نوع من الشجر ينبت في الصحراء ، أوراقه تميل إلى السواد ، وله حبوب دَسَمَةٌ تدقها النساء في البادية ويأخذن من عصيرها دُهْنًا أَرَقَ اللون فيه لزوجة قَيْدِهِنَّ به إذا امْتَسَطْنَ - انظر مادة (تَنَم) في لسان العرب : ٤٥١/١ .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٣٨ - ص ٢٨١ .

(٢) المؤمنون : ١٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الجهاد والسَّيْر (باب) قتال التُّرك - وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ١٢/٦٣ - حديث رقم (٢٩٢٨) - (طبع بيروت) .

(٤) راجع في ذلك كلا من :

• مادة (طَرَقَ) في لسان العرب : ٢٦٦٤/٤

• رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

• شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ (ثعلب) - ص ١٧٢ - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ضمن سلسلة (المكتبة العربية) من إصدار : وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة (١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م) - الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

١ - بُعدُ الفارق الزمني بين الفراغ من مقابلة الدكتور محمد المختار لهذا الكتاب على أصليه عام (١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م) وبين صدور أول طبعة له عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) حيث مرَّ على ذلك ما يقرب من أربعة أعوام دونما سبب ظاهر لهذا التأخير ؛ رغم الحاجة الماسة إلى الكتاب لدى طلاب العلم وباحثيه .

٢ - أورد الشيخ عطية بعد تقديمه هذا الكتاب ترجمة موجزة لشيخه الشنقيطي بعنوان : (ترجمة حياة موجزة للمؤلف رحمه الله) إلا أن إيجاز هذه الترجمة واختصارها جعلها دون الترجمة الضافية الوافية التي أوردها الشيخ عطية في أول (أضواء البيان)^(١) .

٣ - مع أن الشنقيطي قد أشار بنفسه إلى رحلته هذه في كتابه : (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز)^(٢) ومع أن تلميذه الشيخ عطية قد أشار إلى ذلك أيضاً فى ترجمته لشيخه فى أول (أضواء البيان)^(٣) إلا أن الشيخ عطية لم يورد (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطي ، لا فى ترجمته التامة بـ (أول أضواء البيان) ولا فى مختصرها بـ (أول كتاب رحلة الحج) .

وإذا كان هذا راجعاً إلى مجيء هذه الترجمة عام (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م) قبل صدور كل من الكتاب والتفسير ؛ إلا أن الشيخ عطية لم يستدرك ذلك بعد صدورهما عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

بل إن الشيخ محمد المجذوب قد تابع الشيخ عطية فى ذلك ؛ حيث لم يشر إلى (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفات الشنقيطي فى ترجمته له للمرة الثالثة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) أى بعد صدور هذا الكتاب بثلاثة أعوام^(٤) .

وذلك على الرغم من إشارته إلى أخبار هذه الرحلة فى ترجمته الأولى للشنقيطي بقوله : والمؤسف أننا لا نعرف الكثير عن انطباعات شيخنا الشنقيطي أثناء هذه الرحلة ، ويفهم من محاضرة لتلميذه الشيخ عطية أنه كتب فيها أوراقاً ضمَّتها مباحث جلييلة ، وقد

(١) قارن بين ترجمة الشنقيطي فى أول (أضواء البيان) على مدار اثنتين وستين صفحة من القطع الكبير (٣/١ - ٦٤) وبين مختصر هذه الترجمة فى أول (كتاب رحلة الحج) بعد المقدمة على مدار سبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط (ص ١٢ - ٣٨) .

(٢) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطي ٥٢/١٠ (طبعة الرياض) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٥/١ (من المقدمة) .

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ - ط ٣ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

رَكَّزَ فيها على مشكلات أثارها معه بعض علماء أم درمان في المعهد العلمي بالسودان حول مبحث (القضايا الموجهة في المنطق) وقد سمعنا بعض أخبار هذا الحوار منه رحمه الله ، وخلصته أن بعض الإشكالات في هذا الأمر كانت تعترى أولئك الفضلاء ؛ فكان لحواره معهم يومئذ أثره الطيب في جلائها^(١) .

٤ - صدر كتاب تحت عنوان : (مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي) في ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها ألفاً ومائة وإحدى وتسعين صفحة من القطع الكبير، وقد تَصَمَّنَ هذا الكتاب مسائل الحج والعمرة كما فَصَّلَهَا الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) والتي قام بجمعها والتعريف بها وترتيبها وتحقيقها والتعليق عليها وَوَضَعَ عناوينها وفهارسها ، بالإضافة إلى التعريف الموجز بمؤلفها كل من : الدكتور عبد الله الطيَّار ، والدكتور عبد العزيز الحجيلان ، الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بالمملكة العربية السعودية^(٢) .

وقد نَبَّهْنَا إلى هذا الكتاب لثلاثي يَتَوَهَّمُ أنه يختص برحلة الشنقيطي إلى حج بيت الله الحرام ؛ خاصة وأن عنوانه قد جاء مَوْسُومًا بـ : (مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي) وهو ما قد يُفْهَمُ منه تعلقه بالرحلة ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٦ - الرُّقُّ : أصله ومشروعيته في الإسلام :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطي ضمن محاضراته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي عُنِيَتْ بإصدار هذه المحاضرة في كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التي تقوم بإهدائها وتوزيعها^(٣) وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ - ط ١ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● مَنْسَكُ الإمام الشنقيطي : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى في (١٧/١٢/١٣٩٣ هـ) وهو مجموع من تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) - جَمَعَهُ وَرَتَّبَهُ وَحَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَوَضَعَ عناوينه وفهارسه وقام بالتعريف به ومؤلفه كل من : الدكتور عبد الله بن محمد أحمد الطيَّار الأستاذ بقسم الفقه، والدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان الأستاذ المشارك بقسم الفقه - كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - ٣ أجزاء - ط ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٣) الرُّقُّ (أصله ومشروعيته في الإسلام) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - من مطبوعات وإهداء وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (د.ت) .

الذى تناول فيه شبهة الرقيق ، ورفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار^(١) .
وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد سلك سبيل شيخه إزاء نفس الموضوع الذى دارت
عليه محاضراته بالجامعة الإسلامية ، والتي جاءت بعنوان : (الرُّق : معاملته وحقوقه فى
الإسلام ، ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى فى معاملته) ضمن محاضرات الموسم
الثقافى السنوى للجامعة الإسلامية^(٢) .

٧- المثل العتيق :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى فى افتتاحية الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وقد أصدرتها فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها
التي تقوم بإهدائها وتوزيعها ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه
الذى بين فيها المثالية فى العقيدة والتشريع والأخلاق^(٣) .

٨- مذكرة اصول الفقه :

وهى شرح على كتاب : (رَوْضَةُ النَّاطِرِ ، وَجَنَّةُ الْمُنَاطِرِ) لابن قدامة الحنبلى^(٤) جمع

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤/١ (من المقدمة) .
- تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ محمد عطية محمد سالم ص ١٤ - من المقدمة التى
جاءت بعنوان : (الجامعة الإسلامية ورسالتها) - المحاضرة رقم (٨) - سلسلة (الرسائل المدنية)
- الكتاب رقم (٩) - ط ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- (٢) تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤ - المحاضرة رقم (٩) .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤/١ (من المقدمة) .
- (٤) ابن قدامة ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) :

هو شيخ الإسلام الإمام المجتهد القدوة العلامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن
محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر المقدسى الجَمَاعِيلى ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى ، و(الجماعىلى)
نسبة إلى مولده بقرية (جماعيل) بجبل (نابلس) .

كان إماماً فى التفسير والحديث والأصول وعلم الخلاف والنحو والحساب ، كما كان أوحد زمانه
فى الفقه والفرائض ، وقد تَفَقَّهَ ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فبرع فيه وأفتى به ، وله
مُصَنَّفَاتٌ عديدة مثلها : (المُغْنَى فى شرح مختصر الحرقى - الكافى - المُقْنَع - جزء فى مسألة العلو
- جزء فى الاعتقاد - جزء فى ذم التأويل - جزء فى فضل العشر) كما يَعِدُّ كتابه (رَوْضَةُ النَّاطِرِ
وَجَنَّةُ الْمُنَاطِرِ) من أشهر المصادر وأكثرها عناية بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل خاصة ، مع بيانه
لأصول المذاهب الأخرى فى مواطن الخلاف عامة .

وقد عُرِفَ عنه زلهده وورعه وجوده وحيازه وتواضعه ، مع حُسْنِ أخلاقه وجمال سَمْتِهِ ونوره
وبهائه ، ثم كثرة عبادته وقوة إتباعه ، وكانت وفاته بمنزله بدمشق يوم عيد الفطر حيث صَلَّى عليه من =

فيه الشنقيطي بين أصول المذاهب الثلاثة : الحنبلي والمالكي والشافعي ، بالإضافة إلى المذهب الحنفي في مواطن الخلاف^(١) .

ويوضح لنا الشيخ عطية السبب الباعث على تأليف شيخه هذه المذكرة في هذا الفن قائلاً : في عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) افتتحت الكليات في الرياض ، وقد بدأت آنذاك بكلية الشريعة ، وقرّر فيها كتاب (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) للعلامة ابن قُدَامَةَ من أشهر أئمة الحنابلة ، وقد اختير هذا الكتاب لسعته وملاءمته وعنايته بقواعد مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، مع بيانه لأصول بقية المذاهب فيما فيه الخلاف .

ولما كانت دراسة هذا الفن جديدة آنذاك ؛ لذا فقد كان الطلاب يجدونه غريباً وصعباً ، ولا سيما أن الكتاب المقرر بأسلوبه المتقدم ، وتفريعاته الواسعة ، كان لا بد للطلاب من مذكرة عليه تحمل إشكاله ، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتفصل مجمله .

وكان الذي تولى تدريسه هو فضيلة المؤلف حفظه الله^(٢) ومن ثم فقد أملى هذه المذكرة في السنوات الأولى من تدريسه في الرياض ، غير أن الطلاب ظلوا يتناقلونها فيما بينهم دون أن تطبع لهم إلى أن تخرجت الدفعات الأربع الأولى .

وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) انتقل فضيلة المؤلف إلى الجامعة منذ عامها الأول ، وقد تولى تدريس المادة في نفس الكتاب (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) وتناقل الطلاب أيضاً نفس المذكرة^(٣) .

ولا يخفى الهدف المقصود من تأليف هذه المذكرة، والذي يوضحه الشيخ عطية في

= الغد ودُقِنَ بِسَفْحِ جَبَلِ (قاسيون) من عامة المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ١٦٥/٢٢ - ١٧٣ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١١٦/١٧ - ١٢٠ .
- التكملة لوفيات النقلة : زكي الدين المنذرى ١٥٨/٥ - ١٥٩ .
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي - (١٣٣/٢ - ١٤٩) - صححه ووقف على طبعه : محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .
- (١) مذكرة أصول الفقه : تأليف صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة) ص ٤ - ٥ (بتصرف ويسير) - الطبعة ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .
- (٢) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك ؛ ومن ثم قال : (حفظه الله) ولم يقل : (رحمه الله) .
- (٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٤ - ٥ (بتصرف) .

تقديمه لها بقوله: تحل هذه المذكرة للطلاب إشكال هذا الفن ، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتُفصّلُ مجمله ؛ ومن ثم يجدون فيها أكثر ما تصبو إليه نفوسهم ، وتتطلع إليه أفكارهم فى فن الأصول ؛ مما يمكن أن تغنيهم عن غيرها ولا يكاد يغنى غيرها عنها ، ولا سيما فى مواطن الترجيح والمباحث العقلية ؛ حيث يجدونها بعيدة عن تعقيد الفلسفة ، وخالصة من شوائب السفسطة ، وناصعة بنور الحق على هدى الكتاب والسنة وعقيدة سلف الأمة^(١) .

وليس من شك فى أن هذه المذكرة قد تركت أثرها الواضح على الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم فى بلاد الحجاز خاصة ، والعالم الإسلامى عامة ، وهذا ما يقرره الشيخ عطية بقوله : كانت هذه المذكرة المباركة هى الأساس لجميع المتخرجين فى كليات الإدارة العامة للمعاهد والكليات لآل الشيخ^(٢) بل وقد عمّ نفعها والله الحمد حتى أصبح لطلابها المتخرجين عليها مؤلفات فى هذا الفن ضمن مقررات المعاهد العلمية التى درسوا فيها ، بالإضافة إلى معهد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومعاهد أخرى ثانوية خارج بلاد الحجاز^(٣) .

شرح الشنقيطى فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) لابن قدامة من خلال أربعة أقسام موزعة على مقررات أربع سنوات دراسية جاء بيانها على النحو التالى :

- ١ - مقرر السنة الأولى : ويشمل حقيقة الحكم وأقسامه ، ثم باب أدلة الأحكام وأولها القرآن الكريم .
- ٢ - مقرر السنة الثانية : ويشمل السنة وهى ثانياً الأدلة ، ثم الإجماع وهو ثالث الأدلة مع تعريفه لغةً وشرعاً ، وتقسيمه إلى قَطْعِيٍّ وَظَنِّيٍّ .
- ٣ - مقرر السنة الثالثة : ويشمل اللغة من حيث تقسيم الكلام ، ثم مسألة الأمر يقتضى الفور ، وأخيراً باب الفحوى والإشارة .
- ٤ - مقرر السنة الرابعة : ويشمل القياس ، ثم الاجتهاد والتقليد ، وأخيراً تختتم المذكرة بملحق يتعلق بمبحث القياس .

ولشدة حاجة طلاب العلم إلى هذه المذكرة ، وما تحويه من المسائل الأصولية المهمة ؛ فقد قام الشيخ عطية بجمعها قائلاً : لما كانت هذه المذكرة متناثرة الأطراف لدى الطلاب ،

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ - ٦ .

(٢) ويقصد به سماحة مفتى الحجاز الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

بحيث لا تكاد توجد مجتمعة عند أحدهم ؛ لذا فقد لَمَسْتُ فيها من مهام هذا الفن وتوجيهات قضاياه ما حَمَلَنِي على جمعها كلها والعناية بها^(١) .

ويعود الشيخ عطية إلى مراجعة هذه المذكرة تمهيداً لطبعها من قِبَلِ الجامعة الإسلامية التي رغبت في هذا ؛ حيث يقول ما نصه : وقد رغبت الجامعة الإسلامية في جمعها مكتملة بعد تحقيقها وتدقيقها وتصحيحها على فضيلة المؤلف حفظه الله^(٢) لتكون أثراً من آثارها المجيدة ، فكان ذلك نعمة متجددة لي بدراستها وإتقانها ، وما هي بين يدي الطلاب^(٣) .

وبالفعل فقد صدرت هذه المذكرة في طبعتها الأولى عام (١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م) في حياة مؤلفها الشنقيطي ضمن مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجاءت في ثلاثمائة وثمان وستين صفحة بتقديم جامعها الشيخ عطية تلميذ المؤلف ، وهي ذات الطبعة التي اعتمدها البحث وعوّل عليها .

ملاحظات حول هذه المذكرة :

وبعد التعريف بهذه المذكرة ومحتواها ، وبيان السبب الباعث للشنقيطي على تأليفها ، وكذا هدفها الذي توخّاه منها ؛ فإنه تَرِدُ عليها جملة من الملاحظات التي نرصدها من خلال :

١ - على الرغم من أن كتاب (رَوْضَةُ النَّاطِرِ وَجُنَّةُ النَّاطِرِ) لابن قدامة يُعْنَى بأصول المذهب الحنبلي ، إلا أنه قد تأثر بأصول المذهب الشافعي ، ثم جاءت المذكرة متأثرة بدورها بأصول المذهب المالكي ، ومقارنة بأصول المذهب الحنفي في مواطن الخلاف .
وجمع المذكرة لأصول هذه المذاهب الأربعة هو ذات ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله :
والجدير بالذكر أن الكتاب المقرر (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) متأثر كثيراً بكتاب (المُسْتَصْفَى) للغزالي^(٤)

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ .

(٢) حيث كان الشنقيطي حياً آنذاك كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٥ .

(٤) أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢ م) :

هو الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، تفقه على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وفنون عديدة ؛ حتى إنه ساد في شببيته ، فدرّس في (النظامية) ببغداد ، وكان يحضر له رؤوس العلماء في وقته آنذاك كابن عقيل وأبي الخطاب من أئمة الحنابلة ، وقد تعجبوا من فصاحته وذكائه واطلاعه .

فى أصول الشافعية ، وهذه المذكرة متأثرة أيضاً بـ (مَرَاقِي السُّعُود) فى أصول المالكية^(١) وبهذا التأثر المزوج تكون تلك المذكرة مفيدة أصالةً فى المذاهب الثلاثة : الحنبلى والشافعى والمالكي ، وأيضاً فى المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف حينما تتعرض له^(٢) .

وهذا خلاف ما قد يفهم من أن هذا الكتاب (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) لابن قدامة ، وشرح الشنقيطى عليه فى (مذكرة أصول الفقه) إنما يختصان فقط بأصول المذهب الحنبلى ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٢ - شَرَحَ الشَّنْقِيطِيُّ فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَةُ النَّاطِرِ) كاملاً إلا مقدمة مؤلفه ابن قدامة ، وهذا ما يبيئه الشيخ عطية بقوله : شملت هذه المذكرة (روضة الناظر) كلها ما عدا المقدمة المنطقية التى افتتح بها المؤلف كتابه ، والمتضمنة ما لا بد منه من اصطلاحات المتكلمين المتداخلة لهذا الفن ؛ وذلك تسهيلاً لفهمها ، ومسيرة لمنهج دراستها ، وقد شملت مباحث : (الحد والبرهان ، وأنواع الدلالة ، ثم أقسام القضايا) ونحو ذلك مما لم تتعرض له هذه المذكرة^(٣) .

٣ - اختتم ابن قدامة كتابه (روضه الناظر) وتابعه الشنقيطى فى شرحه عليه فى (مذكرة أصول الفقه) بمبحث القياس، غير أن الشيخ عطية قد أثبت بنهاية المذكرة (مُلْحَقًا) بهذا المبحث كان قد سَجَّلَهُ ونقله عن شيخه الشنقيطى ، وهذا ما يوضحه بقوله : مُلْحَقٌ

= خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على أعمال الآخرة ، فكان يرتزق من النَّسْخ ، وقد رحل إلى الشام فأقام بدمشق حيناً ، ثم رحل إلى بيت المقدس مدة صنَّف خلالها كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) ومن مصنفاته الأخرى العديدة : (البسيط - الوسيط - الوجيز - الخلاصة - المستصفى - المنخول - اللباب - المنتحل فى الجدل - تهافت الفلاسفة - مَحَكُّ النظر - شرح الأسماء الحسنى - المنقذ من الضلال) وغيرها .

وقد ابتنى رباطاً له فى داره ببلده (طوس) وغرس فيها بستاناً أنيقاً ، ثم أقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، وقد ظل على حاله تلك حتى كانت وفاته الاثني عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢١٦/٤ - ٢١٩ .
 - سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦ .
 - طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ١٩١/٦ - ٣٨٩ .
 - البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ٢١٣/١٦ - ٢١٥ .
- (١) سيأتى التعريف به ضمن حديثنا عن شرح الشنقيطى عليه المسمى : (نثر الورود على مراقي السعود) فى أصول فقه المالكية ص من هذا البحث .
- (٢) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .
- (٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ (بتصرف يسير) .

لمبحث القياس كنت قد سجّلته من دروس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين الشنقيطيّ في المسجد النبويّ في (رمضان عام ١٣٨٩ هـ = نوفمبر عام ١٩٦٩ م) في التفسير عند قول الله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الآية (١) .

وقد ناقش فيه فضيلته إثبات القياس على منكريه ، وأورد أقسامه وأمثله العديدة ؛ مما لا يتسع له محلّه من الكتاب المقرر ، ولا يستغنى عنه طالب لإيضاحه وشموله ، وقد دونته وصححته على فضيلته ، ثم عرض بعد ذلك على سماحة رئيس الجامعة (٢) فارتأى طبعه مع هذه المذكرة تعميماً للفائدة (٣) .

٤ - صدرت هذه المذكرة في عدة طبعات أخرى بعد ذلك نذكر منها هاتين الطبعتين الأولى : وهي طبعة المدرسة السلفية ، وقد كتب عليها (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) وهذا ما لم نعهده على مؤلفات الشنقيطيّ ألبتة !! بل ويخالف المبدأ الذي التزمه في عدم التكسب بتلك المؤلفات التي جعلها لوجه الله الكريم ؛ خدمة لطلاب العلم وباحثيه ، والثانية : وهي طبعة المكتبة السلفية ، والتي قام بنشرها صاحبها محمد عبد المحسن الكتبيّ بالمدينة المنورة ، وقد لوحظ صدور هاتين الطبعتين بدون تاريخ ، فضلاً عن عدم ذكر موطن الأولى منهما .

٩ - المصالح المرسلّة :

وهو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشيخ عطية نيابةً عن شيخه الشنقيطيّ ضمن محاضرات الموسم الثقافي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م) (٤) والتي أشار إليها ضمن مؤلفات شيخه بقوله : لقد بين رحمته الله في هذه المحاضرة ضابط استعمال المصالح المرسلّة بين الإفراط والتفريط (٥) .

وقد قامت الجامعة الإسلامية بطبع هذه المحاضرة في كتيب صغير بلغ عدد صفحاته

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) والمقصود به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، الذي كان رئيساً للجامعة الإسلامية آنذاك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطي ص ٣٤١ (بتصرف يسير) .

(٤) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٥٤ (من المقدمة) .

سبع عشرة صفحة ضمن مطبوعاتها التي تقوم بإهدائها وتوزيعها^(١) .

١٠- المنظوم وشرحه في فن المنطق :

جاء ذكر هذا الكتاب على لسان الشنقيطي عقب ذكره مبحث (السبّر والتقسيم) عند المناطقة بقوله :

والسبّر والتقسيم عند المناطقة هو الشرطيّ المنفصل ، وهو ثلاثة أقسام ؛ لأن الشرطية المنفصلة التي يتركب منها الشرطيّ المنفصل ثلاثة أقسام ، وقد حررنا هذه المباحث في كتابنا : (المنظوم وشرحه في فن المنطق)^(٢) .

• ملاحظات حول هذا الكتاب :

١ - بالرغم من إشارة الشنقيطي السابقة إلى كتابه هذا ؛ إلا أن تلميذه الشيخ عطية لم يورده ضمن مؤلفات شيخه عند ترجمته ، بل وقد تابعه الشيخ محمد المجذوب في ترجمته للشنقيطي كذلك^(٣) .

٢ - طُبِعَ هذا الكتاب طبعة تعليمية في حياة مؤلفه اقتصرت على طلاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والذين دَرَسَ لهم أستاذنا الدكتور الحسيني أبي فرح هذا الكتاب من خلال مادتي : (المنطق) و (الرد على المناطقة) عام ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م^(٤) . ومنذ ذلك الحين لم يطبع هذا الكتاب طبعة تجارية يمكن من خلالها نشره خارج بلاد الحجاز بعيداً عن هذا الغرض التعليمي .

٣ - لعل أصل هذا الكتاب مأخوذ عن (ألفية المنطق) التي أسلفنا ذكرها ضمن مؤلفات الشنقيطي المخطوطة .

(١) المصالح المرسله : محاضرة لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - من

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) راجع في ذلك كلاً من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ١/ ٥٣ - ٥٥ (من المقدمة) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٦ - ١٨٨ .

(٤) كما أخبرني بذلك أثناء ريارتي العلمية لفضيلته بمنزله بالقاهرة عصر الجمعة (٢٨ - ٥ - ١٤٠٦ هـ)

الموافق (٧ - ٢ - ١٩٨٦ م) فجزاه الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء .

١١- منع جواز المجاز :

وتام اسمه : (منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز) وهو ما يعرفه الشيخ عطية بقوله : هو عبارة عن رسالة موضوعها إبطال إجراء المجاز فى آيات الأسماء والصفات ، وإفائها على الحقيقة^(١) .

والسبب الباعث على تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فى علوم القرآن ، يوضحه تلميذه الشيخ عطية كذلك قائلاً : كان رحمه الله قد كتبها رداً على مناقشات أثيرت حول آيات الصفات ، وما يدور فيها من نقاش بين مذهبي السلف والخلف ، وإتيانها على حقائقها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

وقد بينَ صرفها عن حقائقها بنوع تأويل على أسلوب المجاز فى اللغة العربية على ما هو متعارف ؛ فكان القول بالمجاز فى اللغة أقوى موجب للتأويل فى آيات الصفات ؛ ومن ثم كانت هذه الرسالة لهذا الموضوع^(٢) .

أما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى بتأليف هذه الرسالة فهو ما جاء على لسانه فى قوله : والمقصود من هذه الرسالة نصيحة المسلمين وتحذيرهم من نفي صفات الكمال والجلال ، التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه العزيز ؛ بادعاء أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيه ؛ لأن ذلك من أعظم وسائل التعطيل^(٣) .

ويزيد هذا الهدف توضيحاً تلميذه الشيخ عطية بقوله : وكان الغرض من هذه الرسالة هو الحفاظ على آيات الصفات من إدخال المجاز ، وعمدة ما فيها : أن المجاز وإن كان أسلوباً لغة ؛ فليس كلُّ ما جاز لغةً جاز قرآناً^(٤) .

كما يضيف الشيخ المجذوب بعداً آخر للهدف من تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فيقول : وغرض شيخنا الشنقيطى من رسالته هذه هو نفي ادعاء المجاز فى أسماء الله وصفاته ، وإجراؤها على طريقة السلف ، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، كما يفعل بعض المتكلمين الذين يكادون يبطلون كلَّ ما أثبته الله لذاته فى الكتاب ، وكلَّ ما أثبته له رسوله ﷺ فى الحديث الصحيح^(٥) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٤/٩ (الجزء الثانى من التمه) .

(٣) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/١٠ (طبعة الرياض) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٥/٩ (الجزء الثانى من التمه) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٧/١ .

وقد تضمنت مقدمة هذه الرسالة منهج الشنقيطي فيها ، والذي يبينه قائلاً : **وسميته** (منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز) **وربّته** على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلي :

المقدمة : في ذكر الخلاف في وقوع المجاز في أصل اللغة ، وأنه لا يجوز في القرآن على كلا القولين .

الفصل الأول : في بيان أنه لا يلزم من جواز الشيء في اللغة جوازه في القرآن ، وذكر أمثلة لذلك .

الفصل الثاني : في الجواب عن آيات زعموا أنها من المجاز نحو قول الله تعالى : **﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾** الآية^(١) .

الفصل الثالث : في الأجوبة عن إشكالات تتعلق بنفي المجاز ونفي بعض الحقائق ، ويشتمل على أمور تتعلق بالموضوع .

الفصل الرابع : في تحقيق المقام في آيات الصفات ، مع نفي المجاز عنها .

الخاتمة : في وجه مناظرة النافي لبعض الصفات بالطرق الجدلية^(٢) .

وقد وقع هذا الكتاب في اثنتين وستين صفحة ، وصدر في أولى طبعاته مضموماً إلى كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ضمن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

وكان الشنقيطي قد أشار إلى فراغه من جمعه أثناء إقامته بمدينة الرياض ، حيث ذكر ذلك في الخاتمة بقوله :

وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَزِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

وهنا انتهى ما أردنا جمعه بمدينة الرياض المحروسة ، جعلها الله آمنة مطمئنة ، ونرجو الله أن يرزقنا الإخلاص في العمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(٣) .

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) منع جواز المجاز الشنقيطي ٤/١٠ - ٥ (طبعة الرياض) .

(٣) منع جواز المجاز : الشنقيطي ٤/١٠ - ٥ (طبعة الرياض) .

وجدير بالذكر أن إقامة الشنقيطي بمدينة الرياض قد امتدت على مدار عشر سنوات منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذي افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتي انتقل إليها الشنقيطي للتدريس بها في أول أيامها واستمر على ذلك حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

• ملاحظتان حول هذا الكتاب :

١ - ذكر الشيخ عطية فى نهاية الجزء التاسع من (أضواء البيان) أو (الثنى من التمة) أن من مؤلفات شيخه رسالة : (منع جواز المجاز عن المنزّل للتعبد والإعجاز) حيث ذكر (عن) بدلاً من (فى) خلافاً لاختيار المؤلف الذى ذكر (فى) ولم يذكر (عن)^(١) .

ومع أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض فى اللغة ؛ إلا أنه لا يخفى أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما يختاره سواه ؛ ومن ثم لزم هذا التنبيه .

بل إن الشيخ عطية نفسه قد أثبت اسم الكتاب فى مواضع أخرى بذكر (فى) بدلاً من (عن) كاختيار شيخه فى ذلك^(٢) .

٢ - صدر هذا الكتاب فى طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض ، ومن هذه الطبعات : طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالهرم بالقاهرة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)^(٣) .

١٢ - منهجٌ ودراساتٌ لآياتِ الأسماءِ والصفاتِ^(٤) :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى ضمن محاضراته العديدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك فى (رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م) حيث أصدرتها الجامعة لأول مرة آنذاك ضمن مطبوعاتها ، وجاءت فى ست وعشرين صفحة متوسطة ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه بقوله : ومن المحاضرات العديدة ذات المواضيع المستقلة التى طبعت كلها ونفذت محاضرة : (آيات الصفات) التى أوضح فيها رحمه الله تحقيق إثبات صفات الله تعالى^(٥) .

وقد أعيد طبع هذه الرسالة فى ست وعشرين صفحة من قبيل دار الاعتصام للطبع

(١) منع جواز المجاز : الشنقيطى ٤/١٠ (طبعة الرياض) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١١ (من المقدمة) .

(٣) منع جواز المجاز فى المنزّل للتعبد والإعجاز : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - الهرم - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطى - ط ١ - من مطبوعات

الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤/١ (من المقدمة) .

والنشر والتوزيع بالقاهرة التي تولت إصدارها عدة مرات^(١) .

وأما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى فى هذه الرسالة العقائدية فيتمثل فى إبانته عن منهج السلف فى الاعتقاد من حيث فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، وهذا ما يوضحه فى مقدمة الرسالة بقوله : أما بعد : فإننا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف ، والطريق المنجى نحو آيات الصفات ، واعلموا أن كثرة الخوض والتعمق فى البحث فى آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة فى ذلك الأمر ؛ كل هذا من البدع التى يكرهها السلف^(٢) .

كما يحدد الشنقيطى الأسس الثلاثة التى ارتكز عليها منهجه فى هذه الرسالة فيقول : اعلموا أن مبحث آيات الصفات دلّ القرآن العظيم على أنه يتركز على ثلاثة أسس ، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ﷺ ومن أخلّ بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ ، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم كما يلى :

• أما أول هذه الأسس : فهو تنزيه الله جلّ وعلا عن أن يشبهه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾^(٥) .

• وأما ثانى هذه الأسس : فهو الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية^(٦) والإيمان بما وصفه به رسول ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال فى حقه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ الآيتان^(٧) .

• وأما ثالث هذه الأسس : فهو قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا ما نص الله عليه فى قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الآية^(٨) .

(١) انظر تلك الطبعة بنص العنوان التالى :

• منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطى المتوفى عام ١٣٩٣هـ -

رحمه الله وغفر له ، وأجزل له الأجر والثواب - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة - نشر دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطى ص ٣ .

(٣) الشورى : ١١ .

(٤) الإخلاص : ٤ .

(٥) النحل : ٧٤ .

(٦) البقرة : ١٤٠ .

(٧) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٨) طه : ١١٠ - وانظر (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) : الشنقيطى ص ٣ -

ص ٢٤ (بتصرف) .

وفى النهاية يختم الشنقيطى رسالته هذه بنصيحة المسلمين قائلًا : وختامًا يا إخوانى :
نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله ، وأن تمسكوا بهذه الكلمات الثلاث ، ثم أورد ذات الأسس
الثلاثة التى سلف ذكرها^(١) .

١٣ - منهج التشريع الإسلامى وحكمته :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى فى افتتاح الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) حيث طبعها مركز شؤون الدعوة الإسلامية
بالجامعة لأول مرة آنذاك تحت رقم (٦٧) وجاءت فى خمس وعشرين صفحة^(٢) .

وقد بينَّ الشيخ عطية مضمون محاضرة شيخه، موضحًا نضج وشمول ، وكمال وعموم
منهج التشريع الإسلامى ؛ بما جعله منهجًا فريدًا متميزًا عما سواه ، خاصة وأن حكمة هذا
المنهج تتمثل فى فوز من يلتزمه ويتمسك به بنعيم الدارين فى الدنيا والآخرة ، وبهذا يقدم
لهذه المحاضرة قائلًا : وهذه المحاضرة مرآة ونبراس يعتر به كل مسلم يعمل لإعزاز دينه ؛
فهى تكشف له جانبًا هامًا^(٣) من جوانب عظمة هذا الدين القويم فى منهجه وحكمته ؛ كما
سيجد الداعى إلى الله حجة وسلطانًا للمناضلة أمام تيارات الغرب الجارفة ؛ تُسكتُ أبواق
الدعاية الغربية ، وعُدَّة لإحباط الحملات المنظمة للنيل من عزة الإسلام وحضارته .

بل هى كالصخرة التى تتحطم عليها تيجان عزة القوانين الوضعية^(٤) التى هى غاية منتهى
صنع البشر ونهاية إنتاج عقولهم ، فتجعلها تتهاوى على أطرافها أشلاءً وألوانًا تعبر عن
حقيقة نشأتها من تلون الفكر الإنسانى وتغيره أمام المشاكل والأهداف ؛ فتتخرَّ صاغرة أمام
عظمة هذا المنهج الإسلامى القويم الذى جاء من لدن حكيم عليم لا يعزبُ عن علمه مثقال
ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وسع كل شىء رحمة وعلماً ، فهو سبحانه العالم بكل
شىء ، والقادر على كل شىء ، ورحمته وسِعَتْ كل شىء .

فبمقتضى علمه لا يطراً على منهجه خللٌ ، لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطى ص ٢٦ .

(٢) منهج التشريع الإسلامى وحكمته : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى - الطبعة ١ -

الكتاب رقم (٦٧) - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) وصوابه (مهمًا) من قولهم : (أمرٌ مهمٌّ) أى يدعو إلى اليقظة والتدبير - انظر مادة (همم) فى المعجم

الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

(٤) لا وجه هنا لإثبات العزة وتيجانها للقوانين الوضعية ؛ فهذا ما يؤدى إلى نقيض قصد المؤلف الذى

يتمثل فى إبرازه تمام وكمال المنهج الإلهى الذى لا تدانيه عزة ولا تسمو فوقه تيجان !! ومن ثم فلا

مسوخ لهذا التعبير سوى تخريجه على (تيجان العزة المزعومة) على حدِّ ادعاءات واضعى هذه

القوانين ، ووفقًا لافتراءاتهم .

وَبِمَقْتَضَى قُدْرَتِهِ لَا يَلْحَقُهُ عَجْزٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَبِمَقْتَضَى رَحْمَتِهِ يَخْلُو مِنْهُجَهُ عَنْ كُلِّ ضَرْبٍ وَيَجْلِبُ لَنَا كُلَّ خَيْرٍ ؛ وَبِمَقْتَضَى الْجَمِيعِ يَكُونُ مِنْهُجَ شَرِيعَتِهِ شَامِلًا لِكُلِّ خَيْرٍ ، مُبْرَأً مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ ، كَمَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَرَكْتُ خَيْرًا إِلَّا بَيَّنَّتهُ لَكُمْ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا تَرَكْتُ شَرًّا إِلَّا بَيَّنَّتهُ لَكُمْ وَحَذَرْتُكُمْ مِنْهُ » الْحَدِيثُ (١) .

وسيرى قارئ هذه المحاضرة كيف سائرت الحكمة والرحمة هذا المنهج من مبدئه إلى اكتماله ؛ حتى أصبح شاملاً وافياً مستغرفاً لجميع نواحي الفرد والجماعة والأمة ، عباداتهم ومعاملاتهم ، حركاتهم وسكناتهم ، لدنياههم وآخرتهم ؛ مما يكفل للسائرين عليه الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة (٢) .

(١) لم أفق عليه بهذا اللفظ ، وما وجدته من روايات قريبة منه فيانها كالتالي :

أخرج عبد الرزاق عن معمر بن عمران عن صاحب له قال : إن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا قد بينته لكم » - انظر (المصنف) : للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت (٢١١ هـ = ٨٢٧ م) - (كتاب) الجامع (باب) القدر - ١٢٥/١١ - حديث رقم (٢٠١٠٠) - ومعه كتاب (الجامع) للإمام معمر بن راشد الأزدي برواية عبد الرزاق الصنعاني - الجزء الحادي عشر - عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامي - عمان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وأخرج الطبراني من طريق فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » - انظر (المعجم الكبير) : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م) - ١٦٦/٢ - حديث رقم (١٦٤٧) - حققه وخرجه أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي - الطبعة ١ - (الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع (لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف) - العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

وأخرج البيهقي من طريق عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » - انظر (السنن الكبرى) : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٧٦/٧ - وفي ذيله (الجواهر النقي) : للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) - الطبعة ١ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

وأخيراً فقد أورد الألباني قول رسول الله ﷺ : « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » - انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ١١٦/٤ - حديث رقم (١٨٠٣) - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) منهج التشريع الإسلامي وحكمته : الشنقيطي ص ١٥ - ١٧ .

• ملاحظتان حول هذه المحاضرة :

١ - طبعت هذه المحاضرة بعد طبعها الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدة طبعات كان آخرها طبعة دار التراث بالمدينة المنورة ، وذلك ضمن الكتاب التاسع من سلسلة (الرسائل المدينة) والذي ضم هذه المحاضرة مع محاضرة الشيخ عطية في (تعدد الزوجات وتحديد النسل) وقد بلغ عدد صفحات هذا الكتاب مائة وثلاثاً وخمسين صفحة ، استغرقت محاضرة الشنقيطي أربعين منها من القطع المتوسط ، وذلك عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) ^(١) .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه في ترجمته له تحت عنوان : (حكمة التشريع) وليس : (منهج التشريع الإسلامي وحكمته) وقد تابعه في ذلك الشيخ المجذوب في ترجمته للشنقيطي ^(٢) ومن ثم فقد لزم التنبيه .

١٤ - نثرُ الوُرُودِ على مَرَاقِي السُّعُودِ :

وهو شرح للشنقيطي على كتاب : (مَرَاقِي السُّعُودِ لِبُتَيْغِي الرُّقِيِّ وَالصُّعُودِ) للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي الذي نظم فيه كتاب تاج الدين السبكي المسمى : (جمع الجوامع) في علم الأصول، مع زيادات كثيرة عليه بلغت به نحو ألف بيتٍ وبيتٍ .

وكان الشنقيطي قد أملى هذا الشرح على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكني الشنقيطي عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) في بيت الشنقيطي بالرياض بناءً على طلبه الذي قصد إليه عند أدائه حجة الإسلام آنذاك .

وقد أجابه الشنقيطي إلى ما طلب غير أنه ترك ما يقرب من خمسٍ هذا النظم دون شرح بما يعادل مائة وخمسة وثمانين بيتاً ، منها واحد وعشرون بيتاً من أول النظم حتى قول الناظم :

كَلَامُ رَبِّي إِنْ تَعَلَّقَ بِمَا يَصِحُّ فَعَلَّا لِلْمُكَلَّفِ اعْلَمَا

ثم مائة وأربعة وستون بيتاً من بقية مبحث (المجاز) حيث قول الناظم :

(١) انظر (منهج التشريع الإسلامي وحكمته) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - ومعه (تعدد الزوجات وتحديد النسل) : لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدينة) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
(٢) راجع في ذلك كلا من :

• أضواء البيان : الشنقيطي ٥٤/١ (من المقدمة) .

• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨/١ .

وَأَنَّ يَجِيءُ الدَّلِيلُ لِلْخِلَافِ فَقَدَّمْنَاهُ بِأَخْتِلافِ
وانتهاءً بمبحث (العَام) حيث قول الناظم :

خِطَابٌ وَأَحَدٌ لَغَيْرِ الحِنبَلِيِّ مِنْ غَيْرِ رَعَى النَّصُّ وَالْقَيْسُ الجَلِيُّ

وقد أكمل الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى تلميذ الشنقيطى وابن عمه هذا الشرح الذى جاء فى جزأين بلغ عدد صفحاتهما سبعمائة وإحدى وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وصدر فى طبعته الأولى عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م)^(١) .

ويتضح وصف هذا الشرح ومنهج الشنقيطى فيه من خلال الافتتاحية التى جاء تحتها ما نصه : لقد شرح الشيخ رحمة الله عليه هذا النظم شرحاً لا مثيل له ، يُغنى عن غيره ولا يُغنى عنه غيره ؛ حيث امتاز عن غيره من كتب أصول الفقه بكثرة الأمثلة التى لم يعتن بها الأصوليون غالباً ، كما جمع فيه ثمرة الكثير من كتب الأصول ، واستطرد كثيراً من المسائل الفقهية ، وأبدى اعتراضات على بعض الأصوليين موضعاً وجه الصواب فيها .

فصار هذا الشرح دُرَّةً ثمينة وجوهرة غالية ، استعمل فيه شيخنا الأسلوب السلس ، وتحاشى فيه الغموض الذى ملأ كتب أصول الفقه ؛ فهو لا غنى عنه للمبتدئ ولا للمتعمق ، بل يستطيع غير المتخصص فى فن الأصول أن يتابع دراسته فيه دون مشقة ولا إرهاق ، فى حين يستفيد منه المتخصص استفادة لا تحصى ولا ترام ؛ خاصة وأن الشيخ رحمة الله عليه قد جنَّبَ هذا الشرح الكثير من كلام المنطقيين والجدليين والمتكلمين ؛ فجاء الكتاب صفوة الكتب السابقة ، وغنى عن الكتب اللاحقة^(٢) .

• ملاحظات حول هذا الشرح :

١ - ظل هذا الشرح مخطوطاً لمدة أربعين عاماً تقريباً منذ أن كان الشنقيطى ببلاده شنقيط ، وحتى إملائه على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى عام (١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م) ببيت الشنقيطى بالرياض ، ثم إكماله على يد تلميذه

(١) انظر هذا الشرح بنص عنوانه التالى :

• نثر الورود على مراقى السُّعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) - تحقيق وإكمال تلميذه : الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الناشر : محمد محمود محمد الحُضْر القاضى - جزآن - الطبعة ١ - توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ١/٦ - ٧ (بتصرف يسير) .

وابن عمه أيضًا الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى الذى فرغ منه يوم الخميس (٣-١١-١٤١٣هـ) الموافق (٣-٧-١٩٩٢م) ببلد الله الحرام مكة المكرمة، وقد أعقب ذلك صدور الكتاب فى أول طبعة له عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) (١).

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذا الشرح ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطى بقوله : وقد أملى رحمه الله شرحًا على (مرآقى السُّعود) فى بيته بمدينة الرياض على أختنا أحمد الأحمـد الشنقيطى (٢).

٣ - صدرت عدة شروح على (مرآقى السُّعود) غير شرح الشنقيطى المُسمى (نثر الورود) نذكر منها :

- نشر البنود على مراقى السُّعود : لصاحب النظم عبد الله بن إبراهيم العلوى الشنقيطى الذى جاء شرحه هذا وافيًا على نظمه (٣).
- فتح الودود على مراقى السُّعود : للشيخ محمد يحيى الولاتى الشنقيطى ، وهو على شرح مختصر على هذا النظم (٤).
- مرآقى السُّعود إلى مرآقى السُّعود : للشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنى الشنقيطى ، وهو شرح مختصر أيضًا على هذا النظم (٥).

وقد حقق هذا الشرح الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى ، ونال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى (رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١ م) .

(١) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ١/ ٧ ، ١١ - ٦٦١/٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .

(٣) صدر هذا الشرح على وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالملكة المغربية بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وجاء فى جزأين بلغ عدد صفحات الأول منهما ثلاثمائة وست صفحات بتقديم الداى ولد سيدى بابا وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، فى حين بلغ عدد صفحات الجزء الثانى ثلاثمائة وستًا وخمسين صفحة بتقديم الدكتور أحمد رمزى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب .

وقد صدر هذا الكتاب بجزأيه فى طبعته الأولى عن المطبعة الحجرية بفاس بالملكة المغربية ، ورغم صدوره بدون تاريخ إلا أن اختلاف وزيرى الأوقاف فى تقديم الجزأين يدل على وجود الفارق الزمنى بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثانى آنذاك .

(٤) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ص ١٠ .

(٥) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ص ١٠ .

المبحث الثالث
مؤلفاته المسجلة

وتشمل أحاديث الشنقيطي العديدة التي جرت على لسانه من خلال دروسه ومحاضراته العامة ، أو فى جلساته ومناظراته الخاصة ، والتي لا تزال مسجلة على أشرطة محفوظة سواء عند ولديه الدكتور محمد المختار الابن الأكبر ، أو الدكتور عبد الله الابن الأصغر ، أو عند أول وأخص تلامذته الشيخ عطية محمد سالم والذي أشار إلى ذلك قائلاً : وكان له رحمه الله تعالى العديد من الدروس والأحاديث والمحاضرات التي لم يدخر من خلالها وسعاً فى تعليم ، ولم يتوان فى توجيه ، سواء مع الطلاب والمدرسين ، أو الحكام والعوام ؛ مما يرسم الطريق الصحيح للدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد سجّلت كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة ، وإنى لآمل أن أوفق لنقلها وطبعها إتماماً للفائدة إن شاء الله تعالى^(١) .

وعندما سئل الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطي عن كيفية الحصول على آثار والده المسجلة وسبل الاستفادة منها ، والتي تبلغ ما يقرب من ألف شريط فى كل من مكتبة الحرم المكي ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحدهما ؛ فأجاب عن ذلك قائلاً : كانت تلك الأشرطة عندي ، غير أننى أعطيتها لعمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عقب وفاة الشيخ رحمة الله عليه ؛ لأن الإنسان فى الحقيقة ضعيف ؛ ومن ثم كنت متأثر تأثراً بالغاً إذا سمعت صوت الوالد فى السنوات الأولى التى أعقبت وفاته ، خاصة أننى كنت أستحضر ساعتها جلوسى فى الحلقة بالمسجد النبوى ، وصوته المباشر الذى يختلف تماماً عن الخط أو الكتابة ؛ ولهذا فقد كان أن أخذت هذه الأشرطة كلها ودفعتها إلى عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية كما ذكرت .

غير أن أغلب أشرطة الوالد موجودة عند الشيخ سيد حبيب^(٢) الذى كان يسجل منذ عشرات السنين ؛ بما كوّن عنده الآلاف من تلك الأشرطة ، وسوف أحاول لقاءه بالمدينة المنورة لأبحث معه أمر هذه الأشرطة ، ولنجعل الواضح منها فى طريق ويعمم بإذن الله تعالى^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن تفسير الشنقيطي للقرآن الكريم قد سجّل كاملاً فى أشرطة من خلال حلقات التفسير بالحرم النبوى الشريف ، وهذا ما ينوّه إليه ابنه الدكتور عبد الله

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٧/١ - ٤٩ (من المقدمة بتصرف يسير) .

(٢) وهو صاحب (مدرسة العلوم الشرعية) المعروفة ، والتي تقع خلف (البقيع) بمنطقة الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة .

(٣) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة بعنوان (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د . عبد الله الشنقيطي .

بقوله : أخبرني بعض الناس أن تفسير القرآن الكريم كله مسجل بصوت الشيخ في أشرطة لدى الشيخ سيد حبيب الذي دأب على ذلك بالحرم النبويّ منذ زمن بعيد ؛ وتلك الأشرطة هي التي تُنبئُ عن علم الشيخ الحقيقي ؛ لأن كل كتب الشيخ لها منهج ، وليست مفتوحة كحلقات تفسيره ودروسه آنذاك^(١) .

وفي الجملة يصوّر لنا الشيخ المجذوب كثرة ما خَلَفَهُ الشنقيطي من الآثار المسجلة ، فضلاً عن تنوعها وعظيم نفعها للقاصي والداني فيقول : إن ما سُجِّلَ وحُفِظَ من كلام الشيخ رحمة الله عليه لو نُقِلَ إلى الطُّروس^(٢) لألَّفَ قائمة طويلة من المؤلفات العظيمة ؛ فهناك دروسه القيّمة في فصول الجامعة الإسلامية ، ثم دروسه العامة في المسجد النبويّ ، ثم محاضراته التي كان يُدعى لإلقائها في دار الحديث الخيرية التابعة للجامعة أثناء المواسم الثقافية الخاصة بهذه المحاضرات ، فضلاً عن وفود الحجيج الذين كانوا يحضرون إلى الجامعة ليشهدوا محاضراته ، بالإضافة إلى دروسه الأخرى التي كان يختصُّ بها بعض أهل العلم في بيته^(٣) .

(١) راجع في ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الشنقيطي بعنوان : (الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين) .

وقد يَسِرُّ لى الله تعالى الحصول على شريط من تفسير الشنقيطي لقول الله سبحانه : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف : ٣١ - مما يظهرُ معه علمُ الشنقيطي ، ويقومُ شاهداً على تمكنه من أدواته في التفسير .

(٢) الطُّروسُ والأطراسُ : أى (الكتبُ والصحفُ) ، ومفردها الطُّرسُ أو الطُّلسُ : أى (الصحيفة أو الكتاب الذى مُحِيَ ثم كُتِبَ) - انظر مادة (طَرَسَ) في لسان العرب : ٢٦٥٥/٤ .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٤ (بتصرف يسير) .

البحث الرابع
مؤلفاته الشعريّة

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : قرّضه الشعراً ثم انصرفه عنه .
- ٢ - المطلب الثاني : نظمه العلمى وشعره المتنوع .

قَرَضَ الشنقيطى الشعرَ فى فتوته وشبابه أثناء مرحلة الطلب ببلاده ، ثم انصرف عنه مع قدرته عليه قبيل خروجه من بلاده لأداء حجة الإسلام والمقام ببلاد الحجاز ، وفيما يلى نعرض لسبب هاتين الحالتين مع ذكر إنتاج الشنقيطى من النظم العلمى ثم من الشعر المتنوع ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

قَرَضَهُ الشُّعْرَ ثُمَّ انصَرَافَهُ عَنْهُ

١ - سبب قرَضِ الشنقيطى الشعر :

حملَ الشنقيطى على قرَضِ الشعرِ ذلك المخزونُ الوافرُ الذى كان يحفظه ويتذوقه من شعر العرب ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : إن الغزارة فى محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه ؛ ولا بد للحافظ المتذوق أن تواتيه المهوبة على صياغته ، وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه ، فهو رهيف الحس ، سريع التأثر بالكلمة البليغة ، وقد طالعنا ببعض محاولاته الأولى ؛ فلمحنا ما وراءها من استعداد طيب آنذاك للتقدم والاستمرار^(١) .

٢ - سبب انصرافه عن الشعر مع قدرته عليه :

وعلى الرغم من علو كعب الشنقيطى فى الشعر وتمكنه منه ؛ إلا أنه تركه ترفعا واستحياء ، لأنه لا يراه من صفات العلماء الأفاضل ، وهذا ما يسوقه عنه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وبالرغم من الشاعرية الرقراقة ، والمعانى العذّاب الفياضة ، والأسلوب السهل الجزل ؛ فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه .

وقد سألته رحمه الله عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فيه ؛ فقال : لم أراه من صفات الأفاضل ، وخشيت أن أشتهر به ، وتذكرت قول الشافعى فيما يُنسبُ إليه :

ولولا الشعرُ بالعلماء يزرى لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيدٍ

ولأن الشاعر يقول فى كل مجال ، والشعر أكذبه أعذبه ؛ فلم أكثر منه لذلك^(٢) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢ (من المقدمة) .

وانظر البيت المذكور فى (ديوان الإمام الشافعى) : لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - ص ٣٩ (تحت عنوان : الوقار وخشية الله) - جمعه وعلّق عليه : محمد عفيف الزعبي - الطبعة ٣ - نشر دار الجيل مع (مؤسسة الزعبي) - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

غير أن الشيخ المجذوب يُوجّه قول الشنقيطيّ : (لم أراه من صفات الأفاضل) قائلاً : وإنما يريد بنفيه عن الأفاضل ما يرى لبعض المتعاطين له من زلات يربأ بنفسه أن يتعرض لها ، لا كما فهمها بعض الجاهلين للشعر ، إذا اعتبروه منافياً لكرامة العلم ، وهم الذين لا يحسنون إقامة البيت إذا حاولوا قراءته ؛ فليس مثلهم حق في الحكم عليه^(١) .

والحق أننا نتفق مع الشيخ المجذوب فيما ذهب إليه من توجيهه ؛ حيث يشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى ويؤكدده في سياق تناوله قضية (الشعر والشعراء) من المنظور الشرعيّ ؛ فعلى الرغم من ذم الله تعالى الشعراء العابثين الذي يخوضون في كل مجال ، ويتخبطون في كل وادٍ ، دون قيد أو ضابط ؛ إلا أنه استثنى سبحانه منهم تلك الطائفة الفاضلة التي تدعو من خلال شعرها إلى تأصيل الفضائل ، وترسيخ الأخلاق .

وهذا ما يقوم شاهداً عليه قول الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴿ الآيات (٢) .

وقد حفظ لنا تاريخنا الإسلاميّ المجيدُ نماذجَ عديدةَ لهؤلاء الشعراء الفضلاء الذين تمثل لهم بالشاعر المخضرم والصحابيّ الجليل حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه حيث كان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعر الإسلام الأول الذي دافع عنه ونافح ؛ فأفحم خصومه ودحر أعداءه^(٣) .

ويؤكد الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطيّ انصراف والده عن الشعر تورعاً وخشية مع قدرته عليه وتمكنه فيه فيقول : والوالد كان شاعراً مقلِّقاً ، وعنده أحاسيس جيّاشة ؛ ومع ذلك فقد كان يستاء أن يقال عنه : (شاعر) ولأن أغلب شعره كان في الغزل والنسيب ؛ لذا كنت إذا ذكرت له شعره يغضب غضباً شديداً ، وينهرني قائلاً : (استح يا ولدي !! هذا الشعر أعوذ بالله منه ؛ فلا أنا أريده ، ولا أريد أن أشتهر به)^(٤) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب / ١ / ١٩٠ .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧ (أربع آيات) .

(٣) انظر في ذلك (ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري) : صحّحه وشرحه د. محمد عزت نصر الله - من

منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٤) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثاني

نظمه العلمي وشعره المتنوع

للسنقيطى الكثير من النظم العلمى فى فنون متعددة ، فضلاً عن أشعاره المتنوعة بأغراضها المختلفة ، والتي جاءت مبنوثة فى مؤلفاته العلمية ، بالإضافة إلى ما ذكره عنه تلميذه الشيخ عطية فى ترجمته له .

• نظمته العلمى :

للسنقيطى خمسة نظوم علمية بلغت أبياتها عدة آلاف ، وقد سبق أن فصلنا القول فى أربعة منها ضمن مؤلفاته المخطوطة بالإضافة إلى النظم الخامس الذى سيأتى ذكره ضمن مؤلفاته المفقودة بعد قليل .

• شعره المتنوع :

اختلف شعر السنقيطى باختلاف أغراضه ؛ بحيث واكب كل غرض من الأغراض ما يناسبه من الشعر الذى يترجم عنه ويدل عليه ، وهذا ما يتضح من خلال النماذج التالية :

١ - فى الغزل (أيام صباه :

ومما قاله السنقيطى متغزلاً فى أيام صباه الأولى تسعة أبيات ، نورد منها ما يلى :

بشْفَى الأَحْيَمِرِ ^(١) قد عَرَفْتُ لِرَادِ	داراً ، مُرَادِي أَنْ تَكُونَ مُرَادِي
عَهْدِي بِهَا ، وَبِهَا فَتَاةٌ هَمُّهَا	أَعَذَبُ بِهَا تَعَذِيبَ كُلِّ فَوَادِ
والله لا أنسى مبيتى عندها	بشْفَى الأَحْيَمِرِ عن جنوب الوادِ
إذ بتُّ أشفى من رُضَابِ ^(٢) بارد	داءً تقادم حره بفؤادِ
ويل أمها ! ما كان أطيّب ريقها	يا برد ريقتها على الأكبادِ ^(٣)

٢ - فى إثارة طلب العلم على الزواج :

لما طال اشتغال السنقيطى بطلب العلم وتحصيله عما سواه ؛ أيست منه من كانت ترغب فى الزواج منه وتطمح إليه ، ومن ثم تزوجت ببعض الأغنياء ؛ وعندئذ نصحه أصدقاؤه

(١) وهو اسم موضع معروف عندهم يقع جنوب (وادي سنقيط) وهذا ما أوضحه فى آخر البيت الثالث .

(٢) الرُّضَابُ: الرِّيقُ عامّةً ، أو المرشوفُ منه خاصّةً - انظر مادة (رَضَب) فى المعجم الوسيط: ٣٦٢/١ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : السنقيطى ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

بتعجيل الزواج خشية ألا يجد مَنْ تصلح له مِنْ ذوات الحَسَبِ والنَّسَبِ والجمال إن هو تأخر أكثر من ذلك .

غير أن الشنقيطي أجابهم بما يفيد إيثاره العلم على ذلك كله ، بل وحثهم على تحصيله والانشغال به عما سواه ؛ ليسلكوا ذات سبيله ويترسموا نفس خطاه ، وبما قاله في ذلك أحدَ عشرَ بيتاً ، نورد منها ما يلي :

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النِّكَاحِ	غَدَاةً تَزَوَّجْتَ بِيضُ الْمَلَّاحِ
فَقَالُوا لِي : تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلٍّ	خَلُوبَ اللَّحْظِ جَائِلَةَ الْوَشَّاحِ ^(١)
فَقُلْتُ لَهُمْ : دَعُونِي إِنْ قَلْبِي	مِنَ الْعِيِّ الصَّرَّاحِ ^(٢) الْيَوْمَ صَاحِي
وَلِي شُغْلٌ بِأَبْكَارِ عَذَارَى ^(٣)	كَأَنَّ وَجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَّاحِ
أَبَيْتُ مَفْكَراً فِيهَا فَتَضَحَى	لِفَهْمِ الْفَدَمِ ^(٤) خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبَحْتُ حَرِيمَهَا جَبْراً عَلَيْهَا	وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحِ ^(٥)

٣ - فِي عَرَضِ حَاجَتِهِ إِلَى عِلْمِ الصَّرْفِ :

قَدَّمَ الشنقيطيُّ على بعض المشايخ ببلاده شنقيط ليدرس عليه ، ولم يكن الشيخ يعرفه ؛ فسأله مَنْ يكون؟! وعلى الفور أجابه الشنقيطي بخمسة أبيات ارتجلها في مَلَأٍ من تلامذة الشيخ قائلاً :

- (١) الدَّلُّ : الدلال - الخَلُوبُ : الفاتنة - اللَّحْظُ : النظر بطرف العين - جَائِلَةُ الْوَشَّاحِ : وشاحها مرفوع ظاهر - الْوَشَّاحِ : نسيج عريض مُرْصَعٌ بالجواهر تشده المرأة على صدرها ما بين كتفها وخصرها - وانظر مواد (جَوْلَ - خَلَبَ - دَلَّلَ - لَحَظَ - وَشَّحَ) على الترتيب في كل من :
- لسان العرب : ٧٣٠ / ١ - ١٢٢٠ / ٢ - ١٤١٣ / ٢ - ٤٠٠٧ / ٥ - ٤٨٤١ / ٦ .
 - المعجم الوسيط : ١٥٣ / ١ - ٢٥٧ / ١ - ٣٠٤ / ١ - ٨٥١ / ٢ - ١٠٧٥ / ٢ .
- والمعنى : تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلَالٍ تَفْتَنُ مَنْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِطَرَفِ عَيْنِهَا ؛ فتأخذ لُبَّهُ ، وتملك قلبه ، خاصة وأنها لا تخطئها عين الناظرين لطول قَدِّهَا وتميز هيتها .
- (٢) الْعِيُّ : الجهل بالشئ أو العجز عن بيان المراد منه - الصَّرَّاحُ : الخالص مما يشوبه ويكدره - انظر مادتي (صَرَّحَ - عَيَّى) على الترتيب في المعجم الوسيط : ٥٣١ / ١ - ٦٦٥ / ٢ .
- (٣) ويقصد به معضلات العلم ومسائله البكر العذراء التي لم يسبقه غيره إليها بالبحث من قبل لحل مشكلها وبيان مجملها .
- (٤) الْفَدَمُ : ثقيل الفهم - انظر مادة (فَدَمَ) في المعجم الوسيط : ٧٠٢ / ٢ .
- (٥) انظر تمام هذه الأبيات في (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطي ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

هَذَا فِتْيَ مِنْ (بَنِي جَاكَانَ) قَدْ نَزَلَا
رَمَتْ بِهِ هَمَّةٌ عَلِيَاءُ نَحْوَكُمْ
فَجَاءَ يَرْجُو رُكَامًا مِنْ سَحَائِبِهِ
إِذْ ضَاقَ ذَرْعًا بِجَهْلِ النَّحْوِ ثَمَّ أَبِي
قَدْ أَتَى الْيَوْمَ صَبًّا مُوَلَعًا كَلَفَا
بِهِ الصَّبَا ، عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ قَدْ عَدَلَا
إِذْ شَامَ بَرْقِ عُلُومِ نَوْرِهِ اشْتَعَلَا
تَكْسُو لِسَانَ الْفِتْيِ أَزْهَارُهُ حُلَلَا
أَلَّا يَمِيزَ شَكْلَ الْعَيْنِ مِنْ فَعَلَا
بِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) لَا أُبْغِي بِهِ بَدَلَا

ويقصد بذلك عرض حاجته لدراسة علم الصِّرف الذي حصره في (لأمية الأفعال) المبدوءة بـ (الحمد لله) (١) .

٤ - في رده دعوى من اتهمه بأنه هجاء :

وقعت شحنة بين رجلين من أهل العلم من قبيلة الشنقيطي (بني جاكأن) هما : (السالم) و (محمد محمود) وذلك بسبب رفض الأول إجازة الثاني وتزكيتة لقادح ديني يعتقد فيه ؛ ومن ثم فقد غضب الثاني وهجأ الأول بعدة أبيات لاذعة .

غير أن الهاجى قد ادعى على الشنقيطي أنه دسَّ بعض الأبيات للمهجو ليتقم بها منه ؛ فغضب الشنقيطي ورد هذه الدعوى التي لا تليق به على صاحبها محمد محمود (الهاجى) وذلك من خلال قصيدة طويلة عارضه بها ، وبلغت ثلاثين بيتاً نورد منها ما يلي :

أَرَى الرَّبْعَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَسُعَادِهِ
إِذَا فَجَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَلْتُ : إِنِّي أُجِبْتُ
وَتَمَنُّعِنِي مِنْ ذَلِكَ نَفْسٌ عَزِيزَةٌ
وَإِنِّي لَمْ أَنْطِقْ بِشَيْءٍ عَلِمْتُهُ
وَإِنِّي لَأَكْسُو الْخُلَّ حُلَّةً سُنْدُسُ
صَلَاةٌ إِلَهِ الْعَرْشِ مَا ذَرَا شَارِقُ
وَسُعْدَاهُ قَفْرًا غَيْرَ بَاقِي رَمَادِهِ
وَرَبُّكَ حَسْبِي فِي الْأُمُورِ الْبَوَادِهِ
عَنْ (إِلَى السَّالِمِ حَبْرٍ بِلَادِهِ) (٢)
غَلَا سَعْرُهَا فِي السُّوقِ يَوْمَ كَسَادِهِ
سِوَى مَجْدِهِ قَدَمًا وَطُولِ نَجَادِهِ
إِذَا مَا كَسَانِي مِنْ ثِيَابِ حَدَادِهِ
عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ هَادِي عِبَادِهِ (٣)

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٩/١ - ٣٠ (من المقدمة) .

(٢) يشير الشنقيطي بذلك إلى قصيدة محمد محمود التي هجأ بها السالم ، والتي يقول في مطلعها :

إِلَى السَّالِمِ الْفَقِيهِ حَبْرٍ بِلَادِهِ أَخِي الْفَضْلُ وَالْإِفْتَاءُ طَبَقَ مَدَادِهِ

(٣) ذَرَا : طلع - الشَّارِقُ وَالشَّارِقَةُ وَالشَّرْقُ : الشمس - انظر مادتي (ذَرَا - شَرَقَ) على الترتيب في

المعجم الوسيط : ٣٢٣/١ - ٤٩٩/١ .

وعليه فقوله (ما ذَرَا شَارِقُ) : أى كلما طلعت الشمس ؛ وذلك لإفادة دوام الصلاة على =

٥ - في تأسفه لعدم ملاقاته ابن عمه :

قَدِمَ محمد البيضاويّ باشا ابن عم الشنقيطي من مسافةٍ جدِّ بعيدةٍ بقصد زيارة الشنقيطيّ وأهله من (بنى جاكأن) غير أن الشنقيطيّ لم يدرك لقاءه والاجتماع به ؛ فأنشأ في ذلك عدة أبيات يتأسف بها على فوات هذه الفرصة ، إلا أنه لم يورد منها سوى البيتين التاليين :

بَلْ إِنَّمَا اهْتَجَ الْفَوَادُ لَشَأْنَهُ أَنْ فَاتَهُ مَرَأَى حُلَى الْأَفْوَاجِ
رَأَصَتْ بِهِ (جَاكَأَن) أَثْبَاجَ الْعُلَا مِنْ بَعْدِ زَلْزَلَةٍ عَنِ الْأَثْبَاجِ^(١)

٦ - في خروجه للصيد :

كان الشنقيطي يداوم على الخروج للصيد كل جمعة في ضواحي المدينة المنورة خارج الحرم ، فلا يصيد فيه ، ولا يأخذ السواك منه ، كما كان رامياً من الطراز الأول ؛ فلا يكاد يخطئ إذا رمى ، وقد توفى وعنده بندقيتان إحداهما من نوع (شُورَن) والأخرى من نوع (سَاكْتُون) .

ومما أنشأه وكان دائماً ما يكرره إذا خرج للصيد مع أبنائه وتلاميذه تلك الأبيات الأربعة التي تتسم بخفة الروح ، وطرافة الموضوع حيث يقول :

قَالَتْ قُتَيْبَةٌ : مَا تَبَقَى دَرَاهِمُنَا يَوْمًا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُمْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا وَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْخَيْرَاتِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صَرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخَلِّدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَرِقُ^(٢)

٧ - في عزيمته على ترك الشعر :

ولما عقد الشنقيطيّ العزمَ على هجر الشعر سبَّبَ ذلك بعدة أبيات بينَ فيها أن مقاصد

= رسول الله ﷺ - وانظر تمام هذه الأبيات الثلاثين للشنقيطيّ ، وكذا الأحد عشر بيتاً التي ردَّ عليها

فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطيّ ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(١) رَأَصَتْ : ذَلَّتْ وَمَلَكَّتْ - أَثْبَاجٌ : جمع ثَبَجٍ وهو وسط كل شيء عندما يصير بارزاً متميزاً - انظر

مادتي (تَبَجٌ - رَوَضٌ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ٩٧/١ - ٣٩٥/١ .

والمعنى : أن قبيلة الشنقيطيّ من (بنى جَاكَأَن) قد حازت بزيارة المذكور لها قمة العزة والمجد ،

بعد أن كانت تفتقد ذلك فى حالة بُعْدِهِ عنها .

(٢) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطيّ بعنوان : (الدر الثمين

فى سيرة الشيخ الأمين) .

القسم الأول : الباب الثاني : سيرته العلمية _____ الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والنسوية الشعراء ليست له بمقاصد ، من حيث توصلهم بشعرهم إلى أغراضهم ، فضلاً عن تكسبهم وأكلهم به عند ذوى السلطان من الملوك والأمراء ، وما أنشأه فى ذلك أربعة عشر بيتاً نورد منها ما يلى :

أُنْقِذْتُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى بِعِلَاجٍ شَيْبُ يَزِينُ مَفَارِقِي كَالْتَّاجِ
قَدْ صَدَّنِي حُلْمُ الْأَكَابِرِ عَنْ لَمَى شَفَا الْفِتَاةَ الطُّفْلَةَ الْمَغْنَجِ^(١)
مَاءُ الشَّيْبَةِ زَارِعٌ فِي صَدْرِهَا رُمَاتِنِي رَوْضِ كَحَقِّ الْعَاجِ
وَكَأَنَّهَا قَدْ أُدْرِجَتْ فِي بُرْفَعٍ يَا وَيْلَتَاهُ بِهَا شُعَاعُ سِرَاجِ
وَكَأَنَّهَا شَمْسُ الْأَصِيلِ مَذَابِةٌ تَنْسَابُ فَوْقَ جَبِينِهَا الْوَهَّاجِ^(٢)

وهذه الأبيات وإن كانت قد قيلت فى ترك الشنقيطى الشعر ، إلا أنها تحمِلُ الطابع الغزلى مما يجعلها صالحة لأن تكون نموذجاً من شعره فى الغزل الوصفى .

-
- (١) المغنَجُ والغنَجَةُ : المرأة التى تتدلل على زوجها بشتى العبارات والحركات التى تزيدها ملاحاةً عنده - انظر مادة (عَنَج) فى المعجم الوسيط : ٦٨٨/٢ .
- (٢) انظر تمام هذه الأبيات فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢/١ - ٣٣ (من المقدمة) .
 - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

المبحث الخامس
مؤلفاته المفقودة

ويمثلها مؤلف واحد فقط كان الشنقيطي قد نظمه قبل البلوغ في بلاده شنقيط ، ثم عن له بعد ذلك أن يتخلص منه التماساً لتصحيح نيته التي كانت موجهة بهذا النظم للتفوق على أقرانه آنذاك .

وعن هذا النظم يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قاتلاً : ومن مؤلفاته رحمه الله ما كان منها في بلاده مثل : (نظم في أنساب العرب) وكان قد ألفه قبل البلوغ ، حيث يقول في أوله :

سَمِيَتْهُ بِـ (خَالِصِ الْجُمَانِ)^(١) فِي ذِكْرِ أَنْسَابِ بَنِي عَدْنَانَ

وبعد البلوغ دَفَّنَهُ ؛ مسبباً ذلك بقوله : (لأنه كان على نية التفوق على الأقران) وقد لأمه مشايخه على دفنه ، وقالوا له : (كان من الممكن تحويل النية وتحسينها)^(٢) .

(١) الجُمَانُ : اللؤلؤ ، وواحدته (جُمَانَةٌ) - انظر مادة (جَمَنَ) في المعجم الوسيط : ١ / ١٤٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١ / ٥١ - ٥٢ (من المقدمة) .

المبحث السادس

مؤلفاته المنسوبة

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : نمط مُوهِمٌ من هذه المؤلفات .
- ٢ - المطلب الثاني : نمط صحيح من هذه المؤلفات .

تظهر ما بين حين وآخر مؤلفات مستقلة يجتزؤها أصحابها من تفسير (أضواء البيان) للشنقيطي ، ثم يقومون بوضع عناوين خاصة لها مقرونة باسم الشنقيطي .

ومع أنهم يشيرون بداخلها إلى طبيعة عملهم فيها من حيث التقديم والتحقيق ، أو الترتيب والتعليق ، أو الفهرسة والتصنيف ، أو غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ إلا أن الناظر إلى هذه المؤلفات يتوهم للوهلة الأولى أنها (مؤلفات جديدة) للشنقيطي قد أخذت طريقها إلى النور مؤخراً ، والحق أنها ليست من وضعه ولا صنيعه على هذا النحو الذي صدرت به .

وإزاء هذا فإنه يمكننا أن نعرض لبعض من هذه المؤلفات تنبيهاً بها على غيرها من خلال نمطين اثنين أولهما : (نمط موهم من هذه المؤلفات) وثانيهما : (نمط صحيح من هذه المؤلفات) وذلك من خلال المطلقين التاليين :

المطلب الأول

نمط موهم من هذه المؤلفات

ونكتفي منها بذكر ثلاثة نُسبتَ عناوينها إلى الشنقيطي مما يُوهم بأنها من مؤلفاته ، وذلك وفق ترتيبها الهجائي التالي :

١ - الإقليد في الأسماء والصفات . والاجتهاد والتقليد :

وهو نقل لنص المسألة الثالثة من تفسير سورة محمد ﷺ في (أضواء البيان) والتي أوردها الشنقيطي من جملة المسائل الثلاث حول تفسير قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية^(١) وقد عقد الشنقيطي هذه المسألة بعنوان : (المسألة الثالثة : فى التقليد وبيان معناه لغةً واصطلاحاً ، وأقسامه ، وبيان ما يصح منها وما لا يصح)^(٢) .

كما جاء هذا الكتاب فى حوالى مائة وعشر صفحات ، وتم تحقيقه فى (عمّان بالأردن) وقد شملَ عملُ محققه وضعَ العنوان ، ثم المقدمة التى عرض من خلالها لموضوع الكتاب ومسائله والتنبيهات الواردة عليه ، ثم أتبع ذلك بتعريف موجز للغاية بالشنقيطي المؤلف استقاه من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) انظر نص هذه المسألة على مدار تسع وتسعين صفحة فى (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/ ٤٨٥-٥٨٣ .

عن ذكر إشارات الشنقيطي من (أضواء البيان) مع التعليق على بعض المواضع في الكتاب^(١) .

٢ - القول السديد في كشف حقيقة التقليد :

وهو نفس موضوع ومادة الكتاب السابق مع اختلاف العنوان واسم المحقق ، وقد جاء هذا الكتاب في مائة وعشر صفحات ، وانحصر عمل ناشره في وضع العنوان والتقديم له تحت عنوان : (كلمة الناشر) .

ويلاحظ أن الناشر قد ذكر الشنقيطي في عنوان هذا الكتاب باسم : (محمد أمين) خلافاً للصواب وهو : (محمد الأمين) بالألف واللام^(٢) .

٣ - محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه :

وهو نقل لنص تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(٣) من (أضواء البيان) للشنقيطي^(٤) .

وقد جاء هذا الكتاب في مائة وخمس صفحات ، وتلخص عمل محققه في وضع عنوان الكتاب ومقدمته ، ثم إيراده ترجمة موجزة للشنقيطي اقتبسها من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً عن نقل إشارات الشنقيطي من (أضواء البيان) مع جملة من التعليقات المشفوعة بذكر بعض المصادر التي رجع إليها في ذلك^(٥) .

(١) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● الإقليد في الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - تحقيق : شريف بن محمد فؤاد بن هزاع - الطبعة ١ - نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● القول السديد في كشف حقيقة التقليد : العلامة محمد أمين الشنقيطي - نشره : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) الإسراء : ٩ .

(٤) انظر نص تفسير هذه الآية على مدار تسع وأربعين صفحة في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣/٤٠٩ - ٤٥٧ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله - تحقيق وتعليق : الأستاذ ساعد عمر غازي - الطبعة ١ - نشر المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

المطلب الثاني

تمتّ صحيح من هذه المؤلفات

وعلى الرغم من وجود أنماط من تلك المؤلفات المنسوبة السابق ذكرها ، والتي تُوهَم بأنها من مؤلفات الشنقيطيّ ؛ إلا أن هناك نمطاً صحيحاً من هذه المؤلفات التي اجتزأها أصحابها من (أضواء البيان) غير أنهم قرنوا عنوان الكتاب باسم التفسير ؛ مما يبيّن أنه اجتزأ منه ، ولا يُوهَم بأنه مؤلف جديد من مؤلفات الشنقيطي .

ومن أمثلة تلك المؤلفات كتاب (الحاكمية في تفسير أضواء البيان) والذي يدور موضوعه حول مسألة (الحكم بما أنزل الله) بأدلتها وشواهداها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا ما استعرضه جامع هذا الكتاب في المقدمة بقوله : وقد قمت باستخراج كلام شيخنا الشنقيطي رحمه الله على هذه المسألة من ثلاثة مواضع في (أضواء البيان) هي :

الأول : عند قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(١) والثاني : عند قوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية^(٢) والثالث : عند قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية^(٣) .

وهناك موضع رابع ليس من كلامه في (الأضواء) وإنما قام بعض الإخوة بتفريغه من كلامه المسجل بصوته ضمن دروسه في المسجد النبويّ حول تفسير قول الله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية^(٤) .

وقد جاء هذا الكتاب في أربع وستين صفحة من القطع الصغير شملت المقدمة والمواضع الأربعة المذكورة^(٥) .

(٢) الكهف : ٢٦ .

(٤) التوبة : ٣١ .

(١) الإسراء : ٩ .

(٣) الشورى : ١٠ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالي :

● الحاكمية في تفسير أضواء البيان: جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

المبحث السابع
حَصْرُ مَوَلِّفَاتِ الشَّقِيظِطِ وَتَصْنِيفِهَا

القسم الأول : الباب الثاني : مسيرته العلمية _____ الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة

وباستثناء مؤلفاته (المسجلة والشعرية والمنسوبة) فقد بلغت مؤلفاته (المخطوطة والمطبوعة والمفقودة) ثلاثة وعشرين (٢٣) مؤلفاً في مختلف فنون العلم وفروعه ، وجاء تصنيفها على النحو التالي^(١) :

• **أولاً: التفسير :**

وله في ذلك تفسيره المشهور بـ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) وهو موضوع هذا البحث .

• **ثانياً: علوم القرآن :**

وله في ذلك أربعة مؤلفات هي :

- ١ - بيان الناسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم .
- ٢ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .
- ٣ - زيادة نظمه على رجز البحر (مخطوط) .
- ٤ - منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز .

• **ثالثاً: العقيدة :**

وله في ذلك كتابه المعروف بـ (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) .

• **رابعاً: علم الأصول :**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - مذكرة أصول الفقه .
- ٢ - نثر الورد على مرآة السُّعود .

• **خامساً: الفقه :**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - النظم الكبير في فروع مذهب مالك (مخطوط) .
- ٢ - نظم في علم الفرائض (مخطوط) .

• **سادساً: فن المنطق :**

وله في ذلك أربعة مؤلفات هي :

(١) مبيّنات المخطوط من هذه المؤلفات بوضع لفظ (مخطوط) بين قوسين أمامها ، أما سوي ذلك فقد مبيّنناه بلفظ (مطبوع) باستثناء مؤلف واحد مفقود وضعنا أمامه لفظ (مفقود) .

- ١ - آداب البحث والمناظرة .
- ٢ - ألفية المنطق (نظم مخطوط) .
- ٣ - شرحه على سلم الأخصريّ (مخطوط) .
- ٤ - المنظوم وشرحه في فن المنطق (طبعة جامعة تعليمية) .

• **سابعاً: التاريخ والسير:**

وله في ذلك مؤلفان هما :

- ١ - خالص الجمان في أنساب بنى عدنان (نظم مفقود) .
- ٢ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام .

• **ثامناً: موضوعات عامة:**

وله في ذلك سبعة مؤلفات هي :

- ١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة في الطائرة (مخطوط) .
- ٢ - الإسلام دينٌ كاملٌ .
- ٣ - الرقُّ : أصله ومشروعيته في الإسلام .
- ٤ - المثلُّ العُلْيَا .
- ٥ - المصالح المرسلة .
- ٦ - منهج التشريع الإسلاميّ وحكمته .
- ٧ - هل الخلقُ مرزوقٌ من بركته ﷺ أو أن للرزق أسباباً أخرى ؟

* * *

•• **وفي الجملة:**

فقد كان الشنقيطي مُقِلّاً في التأليف إذا ما قيسَ بما كان منه في دروسه ومحاضراته العامة ، فضلاً عن جلساته ومناظراته الخاصة ؛ وهذا ما التهمَ جُلّ وقته ، ولم يترك له إلاّ التزر اليسير ، والذي استوعبته بدورها مؤلفاته المذكورة .

وإلى انشغال الشنقيطي بالمشافهة ، وضيق وقته بها عن التأليف ، ينوه الشيخ المجذوب بقوله : إن مشاغله العلمية رحمه الله في الدروس والمحاضرات ، وكذا المجالس العامة والخاصة ؛ قد ضيّقت عليه نطاق التأليف ، فلم يتيسر له الانقطاع إليه إلا قليلاً^(١) .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمّد المجذوب ١/١٨٤ - ١٨٦ (بتصرف يسير) .

بل إن تلميذه الشيخ عطية يؤكد أن مشافهة شيخه كانت أوسع مدى من تدوينه ، كما كانت دروسه أكثر رحابة من كتبه ، مع تمكنه واقتداره في كلا الأمرين ، وفي هذا يحدثنا قائلاً : في الواقع أن دروسه الشفوية كانت أوسع مدى وأكثر انطلافاً ، وقد سمعته رحمة الله عليه يقول : الارتجال أوسع مجال ؛ لأنه يترك الإنسان يتجاوب مع شعوره وما يخطر بباله ، أما التقييد بالكتابة فهو أدق ؛ لأنه لا يُفوّتُ على الإنسان شيئاً مما يقتضيه المقام .

غير أنه رحمة الله عليه كان إذا شافه استوفى واستغرق ، وإذا كتب وحررَ دَقَّقَ وحقَّقَ ، وكلا الجانبين قلَّ أن يستكملا لإنسان ؛ ولكنه فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده^(١) .

(٢) ضمن ردّه المُسجَّل على رسالتنا إليه .

تعقيب

حول هذه الترجمة

وبعد هذا التطواف في حياة الشنقيطيِّ بمراحلها المتعاقبة ، وأطوارها المختلفة ، منذ مولده وحتى وفاته ، بما حَوَّته من نشاط علميٍّ ورحلات ، وما خَلَّفَتْه من آثار علميةٍ ومؤلفات ؛ فإنه يطيب لنا أن نشير في الختام إلى الأمرين التاليين :

أولاً: علمية هذه الترجمة ومنهجيتها:

تُعَدُّ هذه الترجمةُ هيَ أوَّلُ ترجمةٍ علميةٍ منهجيةٍ مسئولةٍ ؛ فلم تكن كغيرها من السير الذاتية ، أو التراجم التاريخية ، والتي يغلبُ عليها طابع السرد والحكاية ، أو القصِّ والرواية ؛ فقد جاءت مصبوغة بالطابع العلمي ، ومُتَّسمةً بالتناول المنهجيِّ ؛ من حيث توخي الموسوعية والتفصيل ، والمناقشة والتحليل .

لذا ؛ فقد كان مما قَصَدْتُ إليه أن تكون هذه الترجمة مختلفة علمياً ومنهجياً عن نوع تلك التراجم السطحية التي يَعْمَدُ فيها أصحابها إلى الاكتفاء بذكر اسم المُترجم له مقروناً بتاريخ وموطن ميلاده ، ثم إيرادهم أثراً أو اثنين من مُصنِّفاته ومؤلفاته ، وأخيراً إشارتهم إلى حيثية نهايته ووفاته .

ناسين في ذلك أو متجاهلين حَقَّ هذه الترجمة وأهميتها ، غير مدركين أو مقدِّرين خطر إغفالها وسطحياتها ؛ الأمر الذي أدَّى ببعض الباحثين أن ساد لديهم تصورٌ دائم مفاده أن الترجمة ليست على هذه الدرجة من الأهمية ، بل بالغ بعضهم حينما اعتقد وجزمَ بأنها لا تَمُتُّ إلى العِلْمِ بصلَّةٍ .

والحقُّ أن هذا المذهبَ على جانب عظيم من الخطر ؛ لأنه مما ينبغي أن يُعلم أن تراجم الرجال مدارس الأجيال ، ولا يُعرَفُ العلماء الأعلام إلا باستيعاب تراجمهم على مرِّ الأيام .

ثانياً: صعوبة هذه الترجمة ومشقتها:

تمثلت تلك الصعوبة التي اعترضتني إزاء هذه الترجمة في ندرة المصادر التي تحدت عن الشنقيطيِّ أو تناولته بالذكر ، سواء من معاصريه أو لاحقيه ، مِمَّنْ يُعْنَوْنَ بتراجم المفسرين وتصنيف مناهجهم؛ خاصة وأن الشنقيطيِّ لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه في حياته ، كما لم يكن يرضى بأن يكتب عنه غيره سواء من أبنائه أو حتى أخص تلامذته .

هذا فضلاً عن مشقة تصنيف حياته على امتدادها وراثتها إلى عدة مراحل متعاقبة ، ثم وَضَع كل مرحلة تحت العنوان الذى يناسبها ويعرّف بها ، بل يترجم ويدل على مضمونها .

وحياة بهذا الامتداد ، وذلك الشمول ، كحياة الشنقيطى التى حفلت بما لا يُحصى من الأخلاقيات والطرائف ، والسلوكيات والمواقف ، والتى تجلّت فيها أسمى صور البذل ، وتحققت من خلالها أعلى درجات العطاء ، فضلاً عما حفلت به مما لا يُعدّ من الأشخاص الذين التقى بهم الشنقيطى ، أو ممن سَعَوْا ، بل وحرصوا على القرب منه ، على اختلاف مواقعهم من المسئولية ، وتباين مستوياتهم الفكرية والاجتماعية .

فمما لا شك فيه أن تناول مثل هذه الحياة بالدراسة والتصنيف ؛ لا يفى به إلا سفرٌ ضخمٌ يستوعب مراحلها المتعاقبة ، ويحتوى أطوارها المختلفة ، وهو أمر شاق كطبيعة الحياة ذاتها ؛ ولكن حسبنا أن هذا هو شأن البحث ومتعته ، وهو مما لا يخفى بحال ، ولا يُنكرُ فى هذا المجال .

لكل ما سبق كانت حتمية هذه الترجمة وأهميتها ، وكذا علميتها ومنهجيتها ، بكل دقائقتها وتفصيلها ، ومناقشتها وتحليلها ؛ ولاسيما أنها تدور فى فلك الدراسات المتخصصة ، وتندرج تحت جملة الأبحاث المسئولة ؛ وهى تهدف فى المقام الأول إلى تسليط الضوء على حياة الشنقيطى ، بما يكشف عن خصوصيتها وراثتها ، وبما يبين عن مدى فائدتها ونفعها ؛ أملاً فى أن تُسهم بوجه أو بآخر فى إفادة من يرجع إليها ، أو يعول عليها .

* * *

•• واخيراً:

فإنه لا يسعنا إلا أن نقول : رَحِمَ اللهُ تعالى الشنقيطى ، وجعل حياته فى ميزان حسناته يوم اللقاء ، وجزاه كفاء ما قدّم لدينه خير الجزاء ، وصدق سبحانه فيما وعدّ به عباده ، إذ يقول تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الآية (١) .

بل وأكثر من هذا حينما يعدّهم سبحانه بأن يُوفّى لهم الجزاء ، ويُجزّل لهم العطاء ، بأزيد مما قدّموا ، وأحسن مما عملوا ، إذ يقول تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية (٢) ويقول تعالى : ﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ الآية (٣) .

(٣) المزمل : ٢٠ .

(٢) يونس : ٢٦ .

(١) الرحمن : ٦٠ .

القسم الثاني

المنهج

السّمات العامّة

لمنهج الشنقيطي في التفسير

وتتنظم تمهيداً وثلاثة أبواب وتعقيماً :

• تمهيد : بين المنهج ومسلك البحث .

الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول .

الباب الثاني : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية .

الباب الثالث : التحليل لسائر ما يعرض له .

• تعقيب : حول هذا المنهج .

زُهَيْد

بين المنهج ومسلك البحث

ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : المنهج :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : ماهية المنهج .

ب - المسألة الثانية : أهمية المنهج .

٢ - المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مقدمة التفسير .

ب - المسألة الثانية : متن التفسير .

ج - المسألة الثالثة : تَمَّةُ التفسير .

المطلب الأول

المنهج

ونعرض للحديث عنه من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

ماهية المنهج

تتمثل ماهية المنهج في تلك الركائز الأساسية ، والدعائم الرئيسة ، التي يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتي يشكل كل منها معلماً بارزاً ، ويرسم ملمحاً واضحاً ، من معالم هذا المنهج وملامحه ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نعتبر هذه الركائز ، وتلك الدعائم ، بمثابة (السمات العامة لمنهج الشنقيطى فى التفسير) والتي تمثلت فى كل من :

١ - السمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الشنقيطى إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذي يشمل تفسير النبى ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يُثنى بعد ذلك بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المعقول والذي يشمل رأى كل من سبقه من عامة المفسرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

٢ - السمة الثانية : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فيُنعم فيه النظر ، ويُجبل فيه الفكر ؛ ليُوصِّله فى النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

٣ - السمة الثالثة : التحليل السائر ما يعرض له :

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطى إلى تحليل ما جمعه وأصله من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من :

المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذي يشمل نقد الشنقيطى كلاً من : (الإسرائيليات- المفسرين- المحدثين- الأصوليين- الفقهاء- الفرق الإسلامية - اللغويين- المؤرخين) .

ثم يأتي المحور الثاني المتمثل في (الاستنباط) والذي يلجأ إليه الشنقيطي عندما لا ينتهي من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفأه ، ويُزيل إشكاله ، وذلك في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل في (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطي عندما يفترق النص الذي يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرتة الذاتية ، ويُتَّجَّح على هديه رأيه الخاص ، وذلك في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة كذلك .

المسألة الثانية

أهمية المنهج

تتلور أهمية المنهج من خلال أهمية سماته الثلاث المذكورة ، والتي تتبلور بدورها في الخاصتين التاليتين :

١- المنهجية :

ونعنى بها تلك العلاقة المتوالية المتنامية ، بل ذلك الارتباط المتدرج المُحكَّم ، والذي تنتظم في سلكه هذه السمات الثلاث ؛ بحيث تعتمد كل سمة منها على سابقتها ، وتُسَلِّمُ في ذات الوقت إلى لاحقتها ، وذلك إضافة إلى دلالة مسميات هذه السمات على مضامينها ، حيث تبدأ بالجمع ، ثم تمر بالتأصيل ، وتنتهى أخيراً بالتحليل .

أما الجمع فيَعَدُّ البداية المنطقية ، والخطوة الأساسية ، والتي يتم من خلالها استحضار ورصد كل ما ورد من المأثور والرأى بشأن ما يتناوله الشنقيطي من آيات ، أو يعرض له من تفسير .

وهذا الجمع يُسَلِّمُ بطبيعة الحال إلى التأصيل ، والذي يتم من خلاله إدراج وتصنيف ذلك الرصيد المجموع تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية العديدة ، وما يتصل بها من مسائلهما وفنونهما المختلفة .

ثم إنَّ هذا التأصيل يُسَلِّمُ بدوره إلى التحليل ، والذي يتم من خلاله البحث والتفنيذ والمناقشة والتوجيه والترجيح ، أو رفع خفأ النص وإزالة إشكاله ، أو إنتاج رأى جديد غير منصوص عليه قياساً على ما هو منصوص عليه ، وهى ما نعبر عنها جميعاً بـ (الانتقاد) ثم (الاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) .

وهكذا تتضح بجلاء منهجية هذه السّمات الثلاث التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير جمعاً وتأصيلاً وتحليلاً .

٢ - الشمولية :

وبالنظر إلى جملة هذه السّمات الثلاث ؛ فإنه يتبين لنا مدى ما تتميز به من الشمول ، ومدى ما يتحقق فيها من الاستيعاب ؛ والذى يتأدى عنه بالضرورة شمول منهج الشنقيطى واستيعابه .

لأن المنهج عندما يكون قائماً على جمع المادة ، ثم النظر فيها لتأصيلها ، وأخيراً تحليلها نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، من خلال هذا التسلسل المنطقى ، وذلك التابع المنهجى ؛ فلا بد وأن يتصف بالشمولية ، ويتّسم بالاستيعاب .

وهذا هو الشأن بالنسبة لمنهج الشنقيطى فى التفسير ، والذى يستطيع من خلال شموله واستيعابه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يعرض لها .

المطلب الثانى

مسلك البحث

وإزاء تحديد السّمات العامة التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى تمثلت فى (الجمع) و (التأصيل) و (التحليل) فقد كان أن اعتمدتُ على دراسة واستقراء كل من (مقدمة التفسير) ثم (متن التفسير) وأخيراً (تتمّة التفسير) والتى استخلصتُ من مجموعها ملامح منهج الشنقيطى ومعاله ، ثم كان أن صغّتها فى السّمات الثلاث المذكورة بعد أن بينتُ ما ورد فى (المقدمة والمتن والتتمّة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الاولى

مقدمة التفسير

حيث يُضمّنُها الشنقيطىُ السببَ الذى بعثه على تأليف تفسيره ، مشيراً من خلال ذلك إلى بعض الخطوات المنهجية التى سلكها إزاء ما فسّره من آيات القرآن العظيم ، قائلاً ما نصه : أما بعد فإننا لما عرفنا إعراض أكثر المُتسمّينَ باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ، ونبذهم له وراء ظهورهم ، وعدم رغبتهم فى وعده ، وعدم خوفهم من وعيده ؛ علمنا أن ذلك مما يُعينُ على مَنْ أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته فى خدمته ، من بيان

معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة الإشكال عما أشكل منه ، وبيان أحكامه ، والدعوة إلى العمل به ، وترك كل ما يخالفه .

واعلم أن السنة كلها تندرج في آية واحدة من بحره الزاخر وهي قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية^(١) ومن أهم المقاصد في ذلك هو هذا الكتاب المبارك الذي هذه ترجمته^(٢) .

ثم اعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، والثاني : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبيّنة في هذا الكتاب ، والذي تضمن أموراً زائدة على ذلك كتتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتاج إليه من صرف وإعراب ، والاستشهاد بشعر العرب ، وتحقيق ما يُحتاج إليه من المسائل الأصولية ، والكلام على أسانيد الأحاديث .

وبعد ذلك نذكر مقدمة في تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحتاج إليه من مسائلهما من غير تطويل ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى في المقصود مرتباً على ترتيب سور القرآن العظيم ، ونرجو من الله الكريم على ما فينا أن نكون داخلين في قول رسول الله ﷺ الثابت في (صحيح البخارى) من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفي رواية له : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » الحديث^(٣) .

كما نرجوه تعالى أن يوفقنا للعمل بما علمنا من كتابه ، والتخلُّق بما فيه من المكارم ، والتأديب بآدابه ، وأن يُعلِّمنا ما جهلنا ، ويذكرنا ما نسينا منه ، وأن يرزقنا إخلاص النية في جميع الأعمال ، وأن يحفظنا بفضلِهِ ورحمته من فساد القصد في الأعمال إنه رحيم كريم^(٤) .

المسألة الثانية

مَنْ تَنْتَسِرُ

ويشتمل على تفسير ثمان وخمسين سورة بدأها الشنقيطى بـ (الفاتحة) وختمها بـ (المجادلة) واستغرقت سبعة أجزاء من تفسيره (أضواء البيان) وقد ضمنها جُلِّ ما أشار إليه في (المقدمة) من حيث التزامه بها ، وتطبيقه لها .

(١) الحشر : ٧ .

(٢) ويقصد بقوله : (هذا الكتاب المبارك) أى تفسيره (أضواء البيان) .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه بروايته (كتاب فضائل القرآن) باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه -

(طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٩/٨٩ -

حديث رقم (٥٠٢٧) وحديث رقم (٥٠٢٨) - (طبع الأزهرية) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٧ - ٦٩ (من المقدمة) .

والى نهاية ما فسره الشنقيطى يشير تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى آخر الجزء السابع قائلاً: قد انتهى ما كتبه فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزَلَ له المثوبة ، وأعلَى له المنزلة ، ونَفَعَه بعد موته بما ورَثَ من علمه ، ونفع بعلمه طلابه ، وضاعف له بنفعهم ثوابه ، إنه سميع مجيب .

ولقد كان رحمه الله تعالى حريصاً كل الحرص على إنجاز هذا الجزء المبارك وتقديمه لطلاب العلم ، كما كان حريصاً على إتمام الكتاب لإكمال منهجه فيه والاستفادة منه ، ولكن إرادة الله نافذة ، وقدرته غالبية ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وجوار ربه سبحانه ؛ ومن ثم فقد قام أبناؤه وخاصة طلابه بالعمل على إنجاز هذا الجزء المبارك ، وتقديمه لطلاب العلم على النحو الذى كانوا يعملونه معه رحمه الله ، وهم جادُونَ فى إكمال الكتاب على ما ييسره الله لهم .

فَرَحِمَ اللهُ المؤلفَ بوسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وشكر الله لأبنائه وطلابه وكل مَنْ ساهم فى هذا العمل من بعده، إنه وكَيْ ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارَكَ على عبده ورسوله محمد ﷺ (١) .

المسألة الثالثة

تتمة التفسير

وهى من عمل الشيخ عطية محمد سالم أول وأخص تلاميذ الشنقيطى ، بل أقربهم إليه ، وأكثرهم ملازمة له ، وقد اشتملت على تفسير ست وخمسين سورة بدأها الشيخ عطية بـ (الحشر) وختمها بـ (الناس) واستغرقت الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (التتمة) .

وفى بداية هذه التتمة يشير الشيخ عطية إلى محاولة التزامه منهج شيخه والسير عليه ، مع اعتذاره سلفاً عما قد يشوب ذلك من تقصير فيقول : وبعد فإن لكل كتاب مقدمة تنبئ عن موضوعه ، وتوجه القارئ إلى ما اشتملت عليه مباحثه، وتبين منهج مؤلفه، ليستهدى القارئ بها فى دراسته، ويتعرف منها على مقاصده ؛ فيسير معه ، ولا يخرج عنه ، وتتمة

(١) أضواء البيان : الشنقيطى / ٧ / ٨٨٠ .

الأضواء هذه التي نقدم لها ليست بكتاب مستقل يتطلب مقدمة مستقلة ، ولا هي جزء مما تَقَدَّمَهَا فَيُكْتَفَى لها بمقدمة الكتاب المتقدم ، بل إنها بمنزلة البعض التابع للكل ؛ فلا هي بمستقلة عنه ، ولا هي جزء منه .

وقد عمل الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه لكتاب (الأضواء) مقدمة واسعة شاملة ، أودعها منهجه في كتابه ، وبيَّن فيها مقاصده من تأليفه ، ثم بيَّن أن المسلك الذي سلكه واجب ومتحتم على كل من أعطاه الله علماً بكتابه ، ثم دعا لانصراف الهمة لخدمته في بيان معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة كل إشكال عما يشكل منه ، وبيان أحكامه وطريقة استنباطها ، ثم الدعوة القوية إلى تحكيمه والعمل به ، وترك كل ما يخالفه ؛ لأنه الذي ضمن الله للمتمسكين به الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة كما قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ الآية^(١) كما بيَّن علاقته بالسنة ، وعلاقة السنة به .

وقد كان رحمه الله حريصاً كل الحرص على إتمامه ؛ ولكن وافته المنية قبل ذلك بعد أن أنجز مهمته وأتم مقاصده ، وذلك صِعَابَهُ وفتح أبوابه ، إلا اليسير اليسير منه ، وهو ما بعد سورة (قد سمع) ومن ثم ؛ فقد كان على أكابر العلماء الذين أعطاهم الله حظاً من علم الكتاب والسنة أن ينهجوا نهجه ، ويتموا عمله ؛ وقد رجوت ورغبت الكثيرين في ذلك ممن هم أحق وأولى بهذا من غيرهم ، فاعتذروا بأعمالهم وكثرة تبعاتِهِمْ ، لا قصوراً فيهم ، ولا تقصيراً منهم .

وبمواجهة الأمر الواقع من شدة الحاجة لإتمام الكتاب ، ومن اعتذار أصحاب الفضيلة عن ذلك ، ولما كان حقاً للشيخ على طلابه - وخاصة الذين لازموه وعملوا معه فيه ، ثم علموا مسلكه ومنهجه - أن يتموه ؛ لذا فقد استخرنا الله تعالى في القيام بما أمكن ، مستعينين الله تعالى ، معترفين بالقصور ، مؤملين العذر في التقصير .

غير أنه لما كان معلوماً عرفاً ، وموجوداً فعلاً ، في فن التأليف ، أنه لا يتأتى من أي شخص أن يكمل كتاباً لغيره ، ويكون على نفس المنهج الذي ابتدئ به ، مهما كان ذلك الشخص ، من حيث القدرة العلمية ، ومهما كان بينهما من تقارب في الفهم ، اللهم إلا النادر الفذ كتفسير (الجلالين) مثلاً ، وقد ساعد على تناسقهما إيجازه الذي لا يظهر معه

الْفَرْقُ عَادَةً^(١) لَأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْهُجَةً الْخَاصَّةَ ، وَمَشْرَبَةً الْذَاتِيَّةَ ، وَمَسْلَكَةً الْعِلْمِيَّةَ ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي التَّفَاسِيرِ الْمُسْتَقْلَةِ .

وقد سمعت الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه يؤكد هذا المعنى بقوله : (لو أن الإنسان يكتب من تلقاء نفسه ؛ لكان أيسر من التزامه بكتاب لغيره ، له وجهة نظره ، ولا يتأتى الخروج عليه) لذا ؛ فقد كان من العسير جداً ، أو المتعذر فعلاً ، أن يأتي أحد بمنهج الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، ولا سيما مع ما أعطاه الله من سعة العلوم في عدة فنون ، كالمختص في كل فن .

ولعل في ذلك العذر الشافي ، والاعتذار الكافي ، إزاء ما قمتُ به وأتممتُه ؛ فإن وجد القارئ الكريم فيه غناءً ولو يسيراً ، فبفضل من الله وإمداده ، ثم بتوجيه من الشيخ رحمه الله وحسن إعداده ، واستفادة من منهجه وإرشاده ؛ فله الحمد والشكر والثناء الجميل ، وللشيخ الرحمة والثواب الجزيل ، وإن كان صحيفةً ومداداً ؛ فإلى الله المشتكى من جهدٍ قليل ، وقلة التحصيل ، وعلى أهل الفضل الإصلاح والتعديل .

ونرجو الله تعالى أن يجعل من أبناء الشيخ خير خلفٍ لخير سلفٍ ، إنه سميع مجيب ، وأن يرزقنا جميعاً إخلاص النية ، وحسن الطوية ، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه ، إنه وكلي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلّم وبارك على صفيّه من خلقه ، وخاتم رسله ، وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢) .

كما ختم الشيخ عطية محمد سالم الجزء الثاني من هذه التّمة بما يشبه ذلك من (الاعتذار) فضلاً عن (الشكر والتقدير) لكل من عمل معه في (أضواء البيان) فساهم في إنجازه ، وعاون على إتمامه^(٣) .

* * *

(١) انظر (تفسير الجلالين) : للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلّيّ ت (٨٦٤ هـ = ١٤٥٠ م) وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - طبعة دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

(٢) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣/٨ - ٨ (بتصرف من الجزء الأول من التّمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

(٣) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٩/٦٩١ - ٦٩٤ (الجزء الثاني والأخير من التّمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

● ● **وبعد :**

فإنّ هذه السّمات الثلاث (الجمع والتأصيل والتحليل) بماهيتها وأهميتها ، لتضافر جميعها ، وتتكاتف فيما بينها ؛ بهدف تجلية منهج الشنقيطى ، وإبرازه للعيان ؛ ومن ثم فإنها تثمر ثمرها ، وتؤتّى أكلها ، من حيث تحديدها خط السير الذى يلتزمه الناظر فى تفسير الشنقيطى ، مستهدياً بحدود هذا المنهج ، ومستضيئاً بعالمه .

ولياخذ بيديه فى النهاية إلى تحقيق الهدف الكلى المنشود ، والذى يتمثل فى (إحداث عملية الفهم الشامل للنص القرآنى سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى التركيب) ودون أن يكلفه ذلك مؤنة البحث ومشقته ، أو يجشّمه إهدار الوقت وإضاعته .

وبدون تحديد هذه السمات الثلاث لا يتم تحديد منهج الشنقيطى ؛ ومن ثم نظل نفتقد الوسيلة الفعلية ، والأداة العملية ، لتحقيق الهدف المنشود من تفسيره .

الباب الأول

السمة الأولى الجمعة بين المأثور والمعقول

وينتظم تمهيداً وفصلين :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

١ - الفصل الأول : تفسير القرآن بالمأثور .

٢ - الفصل الثاني : تفسير القرآن بالمعقول .

تمهيد

بين يدي هذا الباب

وقبل أن نشرع في تناول السمة الأولى من سمات منهج الشنقيطي الثلاث ؛ فإن
الضرورة المنهجية تقتضينا أن نقدم بين يدي ذلك بهذا التمهيد الذي يشمل الأمرين التاليين :

١ - التفسير عند الشنقيطي :

يأتي التفسير عند الشنقيطي مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتبين لنا بجلاء
ووضوح من خلال التععيد النظري الذي ضمّنه مقدمة تفسيره ، ثم أكدّه من خلال التطبيق
العملي الذي أورده في ثناياه المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

١ - التععيد النظري :

حيث جاء (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) كقاعدة نظرية ينطلق منها الشنقيطي في فهمه
لهذا المصطلح ، والذي يُضمّنه مقدمة تفسيره قائلاً ما نصّه : إنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها
تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بـ (معنى) كلام الله جلّ وعلاّ من الله جلّ
وعلاّ^(١) .

فهو يذكر هنا (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتفق بدوره مع تعريف
التفسير في كل من اللغة والاصطلاح ، وهو ما تبلوره خلاصة ما انتهى إليه البحث إزاء رأيه
في مصطلح التفسير ، والذي مفاده : (أنّ التفسير عبارة عن عملية الفهم الشامل ،
والاستيعاب الكليّ ، للنصّ القرآنيّ ، على مستوى لفظه المفرد ، ومستوى جملته المركبة)
وذلك بهدف استنطاق معناهما الظاهر القريب ، أو حملهما استنباطًا أو اجتهادًا إلى المعنى
المؤول البعيد ، في إطار الضوابط المعتمدة من اللغة والأصول ، ومن خلال الاستعانة بكل
علمٍ يؤدي إلى تحصيل تلك الغاية المرجوة ، وإدراك ذلك الهدف المنشود .

ب - التطبيق العملي :

ويؤكد الشنقيطي تعييده النظريّ لمفهوم التفسير كمرادفٍ للمعنى ومُساوٍ له ، وذلك من
خلال تطبيقه العملي على هذا ، والذي نكتفي هنا بذكر بعض شواهد تبيينها بها على غيرها
مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي تتمثل فيما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٧/١ (من المقدمة) .

• الشاهد الاول :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ الآية^(١) نراه يشرع فى ذلك قائلاً : قال بعض العلماء : (يعنى) إذا أخرجوا التوبة إلى حضور الموت فتابوا حيثئذ ، وهذا التفسير يشهد له قول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ الآية^(٢) .

ثم يستطرد قائلاً : وقال بعض العلماء : (معنى) « لن تقبل توبتهم » أى لن يوفقوا للتوبة حتى تقبل منهم ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ الآية^(٣) .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه^(٤) .

• الشاهد الثاني :

وفى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ الآية^(٥) نراه يشرع فى ذلك قائلاً : (يعنى) ليزعموا أن النبى ﷺ إنما تعلم هذا القرآن بالدرس والتعليم عن غيره من أهل الكتاب ، كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من (جبر ويسار) وكانا غلامين نصرانيين بمكة ، وقد أوضح الله بطلان افتراءهم هذا فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ الآية^(٦) وكقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (٢٦) ﴾ الآيات^(٧) (معنى) يؤثر : أى يرويه محمد ﷺ عن غيره فى زعمهم الباطل .

ثم يستطرد الشنقيطى حتى ينتهى إلى أن تفسير كل من قول الله تعالى : ﴿ وكذلك نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ وقوله تعالى فى ذات الآية : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ إنما يرجع إلى (معنى واحد) وهو ما يصرح به فى قوله : قال مقسده عفا الله عنه : (ومعناهما) آيل إلى شىء واحد ، ويشهد له القرآن فى آيات كثيرة دالة على أنه يبين الحق واضحاً فى هذا الكتاب ليهدى به قوماً ، ويجعله حجة على آخرين ، كقول الله تعالى : ﴿ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

(٣) النساء : ١٣٧ .

(٢) النساء : ١٨ .

(١) آل عمران : ٩٠ .

(٦) النحل : ١٠٣ .

(٥) الأنعام : ١٠٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٤٣ .

(٧) المدثر : ٢٤ - ٢٦ (ثلاث آيات) .

بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿١﴾ الآية (١) .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه (٢) .

• الشواهد الأخرى :

وما صنعه الشنقيطى فى الشاهدين السابقين من استعماله (التفسير) كمرادف لـ (المعنى) هو ذات ما صنعه أيضاً فى معرض تفسيره لجملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية (٣) وفى قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ الآية (٤) وفى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الآية (٥) الذى يبين (معناه) قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية (٦) وفى قوله تعالى : ﴿وَسِعَلِمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الآية (٧) وأخيراً فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ (٨) .

هذا إلى غير ذلك من الآيات العديدة التى يعرض الشنقيطى لـ (تفسيرها) على أنه مرادف لـ (معناها) وقد حرصنا على أن تشمل هذه الشواهد هنا أجزاء التفسير السبعة بمعدل شاهد من كل جزء ، وفى جملتها هذه تنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا التفسير المختلفة .

٢ - الجمع عند الشنقيطى :

ونعنى به جمع الشنقيطى بين المأثور والرأى فى تفسير ما يتناوله من الآيات ، حيث نقصد بالمأثور عنده كلاً من تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسنة ، وأخيراً تفسير القرآن بالأثار التى تشمل بدورها آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أما الرأى عنده فى المرتبة الثانية ، ونقصد به تفسير القرآن بأراء العلماء السالفين من المفسرين الاعتباريين من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصر الشنقيطى الذى كان فيه .

(١) مريم : ٩٧ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠٦/٢ .

(٣) الإسراء : ٦٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٠٣/٣ .

(٤) مريم : ٣٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٧٥/٤ .

(٥) الحج : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٨٩/٥ .

(٦) البقرة : ١٩٨ .

(٧) الشعراء : ٢٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٣/٦ - ٣٩٤ .

(٨) الأحقاف : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٧٧/٧ .

أما رأيه هو والذي يتمثل فى قوله الخاص ، ونظرته الذاتية ، إزاء ما يعرض له من قضايا ، أو يذهب إليه من آراء ؛ فذلكم ما تتضمَّنه السُّمة الثالثة من سمات منهجه ونعنى بها (التحليل) والذي يشمل بدوره كلاً من (الانتقاد) و (الاستنباط) و (الاجتهاد) .

* * *

وفيما يلى نعرض لتفسير الشنقيطى بكل من المأثور والرأى ، حيث نبدأ ذلك بتقعيده النظرى لكل منهما ، ثم نُثني بعده بتطبيقه العملى عليهما .

الفصل الأول

تفسير القرآن بالمأثور

ويتنظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .
- ٢ - المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة .
- ٣ - المبحث الثالث : تفسير القرآن بالآثار .

المبحث الأول تفسير القرآن بالقرآن

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطالب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطالب الثانى : التطبيق العملى .
- ٣ - المطالب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول التقعيد النظري

وينتظم المسائل الخمس التالية :

- ١ - المسألة الأولى : إجماع العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .
- ٣ - المسألة الثالثة : تأكيده لموقفه .
- ٤ - المسألة الرابعة : احتجاجه بكلام السيوطي .
- ٥ - المسألة الخامسة : استحفاظه القرآن واستظهاره له .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالقرآن كقاعدة نظرية ، وركيزة أساسية ، ينطلق منها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وفيما يلي نبين ذلك من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الاولى

إجماع العلماء

يُجْمَعُ المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، على أن أعظم وأجل ما يُفسَّرُ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ؛ ومن ثم فقد نصوا على أن تفسير القرآئب القرآن إنما يُعدُّ المصدر الأول للتفسير ، بل وينقل السيوطى إجماعهم على هذا قائلاً : قال العلماء : مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز ؛ فإنه يطلبه أولاً من القرآن ؛ فما أُجْمِلَ منه فى مكان فقد فُسِّرَ فى مكان آخر ، وما اختَصِرَ منه فى موضع فقد بُسِطَ فى موضع آخر^(١) .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطى

ويعد : فماذا عساه يكون موقف الشنقيطى من ذلك ؟

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفاً واضحاً ليوافق به إجماع العلماء على أن أول ما يجب أن يُفسَّرَ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، بل ويعلل ذلك بأنه لا أحد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ من الله عزّ وجلّ ، وهذا ما ينصُّ عليه فى أحد الأمرين اللذين قصد بهما تأليف تفسيره ، وقد ضَمَّنَهُمَا مقدمته قائلاً : واعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران ، أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ؛ لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله جلّ وعلا^(٢) .

المسألة الثالثة

تأكيد موقفه

حيث نرى الشنقيطى يؤكد تعميده النظرى هنا من خلال تفسيره لقول الله تعالى :

(١) الإتيان فى علوم القرآن : السيوطى ١٧٤/٤ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٧/١ (من المقدمة) .

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية^(١) حيث يقول في ذلك ما نصه : ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه نَزَلَ على رسوله هذا الكتاب العظيم تبیاناً لكل شيء ، وبين ذلك في غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية^(٢) على القول بأن المراد بالكتاب فيها (القرآن) أما على القول بأنه (اللوح المحفوظ) فلا بيان بالآية .
وعلى كل حال ؛ فلا شك أن القرآن فيه بيان كل شيء ، بل والسنة كلّها تدخل في آية واحدة منه وهي قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الآية^(٣) .

المسألة الرابعة

احتجابه بكلام السيوطي

وحالما يفرغ من ذلك نراه يفيض في ذكر تفسير السيوطي لهذه الآية ، والتي يبين من خلالها شمول القرآن وعمومه لكافة ما يتعلق بأمور الخلاق في دنياهم وأخراهم ؛ وإزاء هذا ينقل نصّ كلام السيوطي بطوله وتماه من كتابه الموسوم بـ : (الإكليل في استنباط التنزيل) والذي يمكننا معه أن نوجز فحواه فيما يلي :

يبدأ السيوطي كلامه في كتابه المذكور بقوله :

قال الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية^(٤) وقال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية^(٥) وقال ﷺ : « ستكون فتنٌ ، قيل : وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » الحديث^(٦) وعن ابن مسعود قال : (مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ خَيْرَ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ)^(٧) قال البيهقي : أراد به أصول العلم .

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) الحشر : ٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣/ ٣٣٥ .

(٣) النحل : ٨٩ .

(٤) الأنعام : ٣٨ .

(٥) الأنعام : ٣٨ .

(٦) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٧) ذكره السيوطي في كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) : ص ٥ - راجعه وصححه : أبو الفضل

عبد الله محمد الصّدّيق الغماري الحسني - طبع على نفقة السيد : أسعد الدرابزوني - دار العهد

الجديد للطباعة - الحرفنش - القاهرة - (د.ت) .

وهذا القول أخرجه سعيد بن منصور عن حُدَيْج بن معاوية عن أبي إسحاق بن مرة عن ابن

مسعود رضي الله عنه - انظر (سنن سعيد بن منصور) ت (٢٢٧هـ = ٨٤٢ م) : ٧/١ - حديث رقم (١) -

(قسم التفسير) - دراسة وتحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد - الطبعة ١ - دار =

وعن الحسن البصرى قال : (أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة : التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، ثم أودع الثلاثة الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب ؛ فمن علم تفسيرها كمن علم تفسير الكتب المنزلة ^(١) .

وعن الإمام الشافعى قال : (جميع ما تقول الأمة شرح للسنة ، وجميع شرح السنة شرح للقرآن ^(٢)) وعن بعض السلف قال : (ما سمعت حديثاً إلا التمسست له آية من كتاب الله ^(٣)) وعن سعيد بن جبير قال : (ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه ؛ إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله ^(٤)) وعن ابن مسعود قال : (إذا حدثتكم بحديث ؛ أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله ^(٥)) وعنه أيضاً قال : (أنزل فى القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا فيه ^(٦)) .

= الصمىعى للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .
كما أخرجه البيهقى من طريق سعيد بن منصور عن حديث به - انظر (شعب الإيمان) : لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٣٣٢/٢ - حديث رقم (١٩٦٠) - تحقيق : أبى هاجر محمد السعيد بن بسونى زغلول - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م - وقد أشار المحقق إلى أن هذا القول سنده ضعيف إلا أنه صحيح لغيره .

وقد لاحظت أنه وقع فى (شعب الإيمان) اسم (خديج) بالخاء المعجمة وهو خطأ ، وصوابه (خديج) تصغير (حديج) بالخاء المهملة ، وقد ترجمه الحافظ المزى على الصواب باسم (خديج بن معاوية بن خديج بن الرُّحَيْل بن زُهَيْر ابن خيشمة الجُعْفَى الكوفى) - انظر (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى ت (٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) = (٤٨٨/٥ - ٤٩٠) - حققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(١) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ - كما أخرجه البيهقى فى (شعب الإيمان) : ٤٥٠/٢ - حديث رقم (٢٣٧١) .

(٢) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٣) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٤) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٥) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٦) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه الطبرى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل : ٨٩ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - ١٦٢/١٤ - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والحردلة والبعوضة » الحديث^(١) وعن الشافعي قال : (جميع ما حكّم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن) ويؤيد هذا قوله ﷺ : « إني لا أحلُّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه ، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه » الحديث^(٢) .

وعن الشافعي أيضاً قال : (ليست تنزل بأحد نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسنة !؟ قلنا : إن ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة ؛ لأن كتاب الله ﷺ أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله ، وذات مرة كان الشافعي بمكة فقال : سلوني عما شئتم ؛ أخبركم عنه من كتاب الله ، فقيل له : ما تقول في المحرم يقتل الزنبر ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ذكره السيوطي في كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوى) : ٢٨٧/٢ - مطبعة السعادة - القاهرة - (د . ت) - وانظر تخريجه أيضاً في (موسوعة أطراف الحديث النبوي) : إعداد خادم السنة المطهرة أبي هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول - ١٨٦/٣ - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - محرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

● ويقصد بـ (الذرة) هنا ما جاء من ذكرها بمواضعها الستة في جملة الآيات التالية :
 في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٤٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يونس : ٦١ - وقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سبأ : ٣ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سبأ : ٢٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ الزلزلة : ٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة : ٨ .

● كما يقصد بـ (الحردلة) ما جاء من ذكرها في موضعها من الآيتين التاليتين :
 في قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ الانبياء : ٤٧ - وقوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان : ١٦ .

● وأخيراً فإنه يقصد بـ (البعوضة) ذكرها في موضعها الوحيد في القرآن في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ البقرة : ٢٦ .

(٢) ذكر السيوطي تخريج الطبراني له في (معجمه الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - انظر (الإكليل

في استنباط التنزيل) ص ٥ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية (١) وقال النبي ﷺ : « اقتدوا باللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » الحديث (٢) وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أمر بقتل الْمُحْرِمِ الزُّبَيْرِ) (٣) .

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ٣٨٢/٥ - حديث رقم (٢٣٢٩٣) - ٣٨٥/٥ - حديث رقم (٢٣٣٢٤) - ٣٩٩/٥ - حديث رقم (٢٣٤٣٤) - ٤٠٢/٥ - حديث رقم (٢٣٤٦٧) - (طبع قرطبة) .

كما أخرجه الترمذى في سننه (كتاب ٥٠) المناقب عن رسول الله ﷺ (باب ١٦) في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما - ٥٦٩/٥ - حديث رقم (٣٦٦٢) - ٥٧٠/٥ - حديث رقم (٣٦٦٣) - (طبع العلمية) .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب ٦١) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين (باب) ذكر أمر المصطفى ﷺ المسلمين بالاعتداء بأبي بكر وعمر بعده - قال المحقق : هذا حديث صحيح إسناده حسن - انظر (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : تأليف الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي ت (٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م) - ٣٢٧/١٥ - حديث رقم (٦٩٠٢) - حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

أما ما أورده الشنقيطى من رواية السيوطى التى ذكرها عن الشافعى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير بن ربيع بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرجه البيهقى عن الشافعى بإسناده إلى حذيفة رضى الله عنه - انظر (معرفة السنن والآثار ، عن الإمام أبى عبد الله محمد ابن إدريس الشافعى ، مُخرَّجٌ على ترتيب مختصر أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى) : تصنيف الإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى - ٢٣٣/٤ - حديث رقم (٣٢٣٦) - تحقيق : سيد كسروى حسن - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

(٣) أخرجه البيهقى بسنده عن الشافعى من رواية سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير بن ربيع بن حراش عن حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « اقتدوا باللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » - كما أخرج البيهقى بسنده عن الشافعى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أنه أمر بقتل الزبير) - انظر (معرفة السنن والآثار) : البيهقى (كتاب ١٢) المناسك (باب ٦٨٢) أصل ما يحلُّ قتله من الوحش وما يحرمُّ عليه - ٢٣٣/٤ - حديث رقم (٣٢٣٦) .

● وقد لاحظت أنه وقع فى (معرفة السنن والآثار) اسم (طاووس بن شهاب) وهو خطأ ، وصوابه (طارق بن شهاب) وقد ترجمه ابن أبى حاتم الرازى على الصواب باسم (طارق بن شهاب البجلي الأحمسى) - انظر (كتاب الجرح والتعديل) : للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الخنظلى الرازى ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - ٤٨٥/٤ - الطبعة ١ - (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند) بالتعاون مع (دار الكتب العلمية ببيروت بلبنان) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

كما ترجمه الحافظ المزنى على الصواب كذلك باسم (طارق بن شهاب) فى كتابه (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) : ٣١٨/٢١ .

وعن ابن مسعود قال : (لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمَسْتَوْشِمَاتِ ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمَتَنَمِصَاتِ ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ ، الْمَغِيرَاتِ لِحَلْقِ اللهِ) فقالت له امرأة في ذلك ! فقال : (وما لي لا ألعن مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهو في كتاب الله ١٩) فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ؟! قال : لئن قرأته فلقد وجدته ! أما قرأت قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الآية^(١) قالت : بلى ؛ قال : فإنه قد نهى عنه^(٢) .

وعن ابن بَرَجَانَ^(٣) قال : (ما قال النبي ﷺ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ فِي الْقُرْآنِ ، أَوْ فِيهِ

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب ٦٥) تفسير القرآن (باب ٤) ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر : ٧ - انظر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) : لابن حجر العسقلاني ٦٣٠ / ٨ - حديث رقم (٤٨٨٦) - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، واستقصى أطرافه ونَبَّه على أرقامها في كل حديث : محمد فؤاد عبد الباقي - كما قام بإخراجه وتصحيح تجاربه ، وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة - (د. ت) .
وقد أخرجه البخاري مختصراً في أربعة مواضع أخرى من (كتاب اللباس) في الجزء العاشر من (صحيحه) على النحو التالي :

(كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٢) المتفلجات للحسن - ٣٧٢ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٣١) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٤) المتنمصات - ٣٧٧ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٣٩) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٥) الموصولة - ٣٧٨ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٤٣) - وأخيراً (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٧) المستوشمة - ٣٨٠ / ١٠ - حديث رقم (٥٩٤٨) .

كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٣٧) اللباس والزينة (باب ٣٣) تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجات والمغيرات خلق الله - انظر (صحيح مسلم) : ١٦٧٨ / ٣ - حديث رقم (٢١٢٥) - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه ، وعدَّ كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلَّق عليه مُلَخَّصُ شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة ، خادم الكتاب والسُّنة : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة - (د. ت) .

(٣) ابن بَرَجَانَ ت (٥٣٦ هـ = ١١٤٢ م) :

هو الإمام القدوة أبو الحَكَمَ عبد السلام بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللَّخْمِيّ الْمَغْرِبِيّ الإفريقي ثم الأندلسي الإشبيلي ، وضبط (بَرَجَانَ) بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدهما جيم مفتوحة ثم ألف ونون .

كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام ، كما عُرِفَ بالتصوف والزهد وكثرة العبادة فأطلق عليه (شيخ الصوفية) ومن تصانيفه المفيدة : (كتاب شرح أسماء الله الحُسنى) وغيره ، وقد توفي مُغْرَبًا عن وطنه بـ (مَرَاكُش) ودُفِنَ بجوار قبر الزاهد الكبير (أبي العباس العريف) من العام المذكور .

أصله قَرُبَ أو بَعُدَ ، فهمه مَنْ فهمه ، أو عَمَهُ عنه مَنْ عَمَهُ ، وكذا كُلُّ ما حَكَمَ أو قَضَى به (وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لَمَنْ فَهَمَهُ اللهُ تعالى ؛ حتى إن بعضهم قد استنبط عُمُرَ النَّبِيِّ ﷺ ثلاثاً وستين سنةً من قول الله تعالى : ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ الآية^(١) فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وقد عَقَّبَهَا بسورة (التغابن) ليظهر التغابن في فَقْدِهِ .

ثم ينقل السيوطي بعد ذلك كلاماً طويلاً عن الإمام المُرسِي^(٢) بشأن شمول القرآن وإحاطته ، وهو ما يمكننا أن نوجز منه قوله التالي :

جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ؛ بحيث لم يُحِطْ بهما علماً حقيقةً إلا المتكلم به

= راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلْكَانَ ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٧٢/٢٠ - ٧٤ .
- طبقات المُفسِّرين : للحافظ شمس الدين الداودي ٣٠٠/١ - ٣٠١ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ٦٩/١ - ٧٠ .

(١) المنافقون : ١١ .

(٢) الإمام المُرسِيّ ت (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م) :

هو العَلَمَةُ المُفسِّرُ المحدث الأديب النحوي الفقيه ذو الفنون شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي الفضل السُّلَمِيّ المرسِيّ الأندلسي نسبة إلى مولده بمدينة (مُرسِيَّة) ببلاد الأندلس ، وقد كان نبيلاً ضريراً يحدث بكتاب (السُّنن الكبرى) للبيهقي ، وكتاب (غرائب الحديث) للخطَّابي ، ومن مصنفاته العديدة : (الضوابط النحوية في علم العربية - الإملاء على المُفصَّل - كتاب في أصول الفقه والدين - كتاب في البلاغة والبديع - مختصر صحيح مسلم - الكافي في النحو - تعليق على موطأ مالك) وغيرها - كما كان كثير الشيوخ والسماع ، وقد حدث بالكثير في كل من : (مصر والشام والعراق والحجاز) ثم كانت وفاته (بين العريش والزَّعَقَة في طريقه إلى دمشق) فَدُفِنَ بَتل الزعقة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته في كل من :

- معجم الأدباء : لياقوت الرومي الحموي ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) - (٢٠٩/١٨ - ٢١٣) .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ت (٧٤٨ هـ = ١٣٧٤ م) - (٢٣/٢٣ - ٣١٢) .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - (٦٩ /٨ - ٧٠) .
- تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلوي) مع (د. محمود محمد الطناحي) .
- بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - (١٤٤/١ - ١٤٦) - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

سبحانه ، ثم رسوله ﷺ خلا ما استأثر الله تعالى به ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس الذى قال : (لوضع لى عقالٌ بعير لوجدته فى كتاب الله) ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم تقاصرت السهم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ؛ ومن ثم فقد نوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى (القرءاء) بضبط لغاته وتحرير كلماته ، واعتنى (النحاة) بالمعرب منه والمبنى وجميع ما يتعلق بهما ، واعتنى (الأصوليون) بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد النظرية ، وأحكم (الفقهاء) صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، وتكلم (المؤرخون) ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ، وتنبه (الخطباء والوعاظ) لما فيه من الحكم والمواعظ والأمثال التى تقلقل قلوب الرجال وتكاد تُدكدكُ الجبال ، واستنبط (المعبرون) ما فيه من أصول التعبير فى الرؤيا والعرف ، وأخذ منه (أهل الفرائض) سهام الموارث وأربابها ، ونظر (الفلكيون) إلى آياته الدالة على المواقيت وما يتعلق بها ، ونظر (الكتّاب والشعراء) إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم .

وإلى جانب هذه الفنون التى أخذتها الأمة الإسلامية من هذا القرآن العظيم ، فقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل مثل : (الجدل - الهيئة - الطب - الهندسة - الجبر - المقابلة - النجامة) وغيرها ، كما حوى من أصول الصنائع التى تدعو الضرورة إليها كلاً من : (البناء - الغزل - النسج - الصيد - الرمي - الغوص - الخبز - الطحن - الطبخ - الغسل - الحدادة - الخياطة - الصباغة - الصياغة - الزجاج - الفخارة - القصار - الفلاحة - الملاحة - الجزارة - الحجارة - النجارة - التجارة)^(١) فضلاً عما فيه من أسماء الآلات ، وما اشتمل عليه من ضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع وتقع فيه الكائنات .

(١) الزجاج : أى صناعة الزجاج ، وهى مهنة الزجاج - انظر مادة (زجاج) فى المعجم الوسيط : ٤٠٣/١ .

● القصار : أى تقصير الشعر ، وهى مهنة (القصار) وهو المعروف لدينا اليوم بـ (الحلاق) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الفتح : ٢٧ - وانظر مادة (قصر) فى لسان العرب : ٣٦٤٤/٥ .

● الحجارة : أى العمل فى الأحجار بالنحت أو القطع أو التكسير أو ما شابه ذلك ، وهى مهنة (الحجّار) الذى يقوم بهذا فى (المحجر) أى فى المكان الذى تقطع منه الأحجار فى الجبال - انظر مادة (حجر) فى المعجم الوسيط : ١٦٣/١ .

ثم يضيف السيوطي إلى كلام المُرسِي السابق قوله : وقد اشتمل كتاب الله على كل شيء ، فأنواع العلوم ليس منها باب ولا مسألة هي أصل ؛ إلا وفي القرآن ما يدل عليها ، كما أن فيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والأرض ، وما في الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ، وبدء الخلق ، ومشاهير الرسل والملائكة ، وأخبار الأمم السالفة ، كما أن فيه شأن النبي ﷺ وسيرته ، وبدء خلق الإنسان إلى موته وكيفيته ، وعذاب القبر وسؤاله ، ومقر الأرواح ومصيرها ، وأشراط الساعة الكبرى وعلامتها ، وأحوال البعث وشئون الحساب بدرجاته ودركاته^(١) .

وأخيراً فقد اشتمل القرآن على جميع أسماء الله الحسنى إلى جانب ألف اسم من أسمائه المطلقة سبحانه ، فضلاً عن اشتماله على جملة من أسماء النبي ﷺ ثم شُعب الإيمان البُضْع والسبعين ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر ، وكذا أنواع الكبائر وكثير من الصغائر ، ثم ختام ذلك كله باشماله على تصديق كل حديث ورد عن النبي ﷺ .

وحالما يفرغ الشنقيطي من نقله نصّ كلام السيوطي هذا ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى التعقيب على هذا النقل مُعللاً طوله وتمامه بقوله : وإنما أوردناه بِرُمَّتِهِ مع طوله ؛ لما فيه من إيضاح أن (القرآن فيه بيان كل شيء) وإن كانت في الكلام المذكور أشياء جديدة بالانتقاد ، غير أننا تركنا مناقشتها خوف الإطالة المملة ، مع كثرة الفائدة في جملة الكلام المذكور^(٢) .

المسألة الخامسة

استحفاؤه القرآن واستظهاره له

أتم الشنقيطي الحفظ عندما أتم العاشرة من عمره ، حتى إذا استوى عوده ، ونَضِجَتْ مداركه ؛ عمّد عندئذ إلى معايشة القرآن لفظاً ومعنى ، وظل يدأب على هذا حتى استقر كتاب الله في جنائبه : (قلبه وعقله) وقد ساعده ذلك على استقراء القرآن والإحاطة به ، فضلاً عن استيعاب دقائقه وتفصيله ، وكذا الإلمام بجملة علومه المختلفة .

(١) الدرّجات عكس الدرّكات : فالأولى بمعنى الارتقاء والصعود ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف : ٧٦ - وأما الثانية فبمعنى الانحطاط والهبوط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء : ١٤٥ - والله تعالى أعلى أعلم .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٣٣٦ - ٣٤٥ (بتصرف واسع) .

حتى إذا ما قصد الشنقيطى إلى التفسير وتوجّه إليه ؛ تَجَلَّى وقتئذ أثر استحفاظه القرآن واستحضاره جميع الآيات المتماثلة فى موضع الشاهد الذى يريده ويعرض له ، وكان القرآن بهذا منشور أمامه ، وموضوع نصب عينيه ، يقع فيه على ما يشاء وتماماً يشاء ، من أقرب السبل وأيسرها ؛ وصدق الحق سبحانه فى تيسيره هذا القرآن العظيم ، لِمَنْ رغب فيه ، وأقبل عليه ؛ إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ الآية^(١) .

والشنقيطى دون أى شك وبلا أدنى ريب أحد هؤلاء العلماء الذين أتم الله عليهم النعمة ، وأسبغ لهم المنّة ؛ فنالوا بذلك حظاً وافراً ، وغنموا قسطاً عظيماً ، من تيسير القرآن لهم ، وجمعه واستحفاظه فى صدورهم .

* * *

•• وبعد :

فقد رأينا كيف أن الشنقيطى يفيض فى الاحتجاج لموقفه ، بل والتأكيد عليه من خلال ما يحشده من الأدلة الشرعية ، وما يسوقه من الشواهد المعبرة ، التى تُطبّق جميعها على حقيقة موقفه الذى يمكننا ذكر خلاصته بقولنا :

إن تفسير القرآن بالقرآن إنما يُعدُّ عند الشنقيطى بمثابة تلك القاعدة النظرية ، والركيزة الأساسية ، التى ينطلق منها ، بل ويعتمد عليها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وقد ساعده على ذلك كله استحفاظه القرآن واستظهاره له ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التقعيد النظرى .

المطلب الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : الأشكال الأربعة :

وذلك من خلال كل من : (جزء الآية -
كل الآية - أجزاء الآيات - جملة
الآيات) .

٢ - المسألة الثانية : الطرائق الأربعة :

وذلك من خلال كل من : (التمائل -
الإيضاح - الإحالة - التكرار) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالقرآن ، والذى يُجسّد من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفعيده النظرى ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى أشكال أربعة تنازعتها بدورها طرائق أربعة ، وفيما يلى نعرض لتفصيل شواهدنا من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

الأشكال الأربعة

لم يلتزم الشنقيطى نمطاً واحداً إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وإنما اختلف تناوله من آية إلى آية ، ومن سورة إلى سورة ؛ الأمر الذى أنتج بدوره الأشكال الأربعة التالية :

١- جزء الآية :

حيث يلجأ الشنقيطى أحياناً إلى تفسير جزء أو أكثر من الآية الواحدة ، تاركاً بذلك أجزاءها الأخرى دون تفسير ، وقد تجلّى ذلك واضحاً فيما يلى :

١- مثال الجزء من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الآية^(١) نراه لا يفسّر من هذه الآية سوى قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ حيث يقول ما نصه :

الاستعانة بالصبر على أمور الدنيا والآخرة لا إشكال فيها ، وأما نتيجة الاستعانة بالصلاة فقد أشار الله تعالى لها فى آيات من كتابه ؛ فذكر أنّ من نتائج الاستعانة بها : النهى عما لا يلىق وذلك فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الآية^(٢) وأنها تجلب الرزق وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ الآية^(٣) ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمرٌ بادر إلى الصلاة^(٤) .

ب- مثال الجزأين من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ الآية^(٥) نراه لا يفسّر من هذه الآية

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١٣٧/١ .

(١) البقرة : ٤٥ .

(٣) طه : ١٣٢ .

(٥) البقرة : ٤٠ .

سوى قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ حيث يقول ما نصه :

قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لم يبين هنا ما النعمة التي أنعمها عليهم ، ولكنه بينها في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ الآية^(٣) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ الآيتان^(٤) إلى غير ذلك من الآيات^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ لم يبين هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بين ذلك في مواضع أخرى كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية^(٦) فعهدهم هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضاً بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية^(٧) إلى غير ذلك من الآيات^(٨) .

٢ - كل الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطي أحياناً إلى تفسير الآية كلها ، إمّا بتناولها دفعة واحدة ، وإمّا بتناولها على عدة دفعات ، وقد تجلّى ذلك واضحاً فيما يلي :

١ - مثال الدفعة الواحدة :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية^(٨) نراه يعرض لتفسير هذه الآية بتمامها دفعة واحدة ، حيث يقول ما نصه :

(٢) البقرة : ٤٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ١/١٣٦

(٦) آل عمران : ١٨٧ .

(٨) الكهف : ٦٥ .

(١) البقرة : ٥٧ .

(٣) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٥) المائدة : ١٢ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ١/١٣٦ .

هذا العبد المذكور في هذه الآية الكريمة هو (الخضر) عليه السلام بإجماع العلماء ، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ وهذه الرحمة والعلم اللدني اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما ، لم يبين هنا : هل هما رحمة النبوة وعلمها ، أو رحمة الولاية وعلمها ؟ كما أن العلماء مختلفون في الخضر : هل هو نبي أو رسول أو ولي ؟! وفي ذلك يقول الراجز :

واختلفت في (خضر) أهل العقول قيل نبي أو ولي أو رسول

وقيل : إنه ملك ، ولكنه يفهم من بعض الآيات أن هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوة ، وأن هذا العلم اللدني علم وحى ، مع العلم بأن في الاستدلال بهما على ذلك مناقشات معروفة عند العلماء .

وقد استطرده الشنقيطي في ذكر تلك المناقشات وتحليلها ، مع الإدلاء برأيه فيها ، والرد على مخالفيها ، على مدار اثنتين وعشرين صفحة كاملة^(١) .

ب - مثال العدة دفعات :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية^(٢) نراه يعرض لتفسير جليل هذه الآية على أربع دفعات جاءت على النحو التالي :

قوله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ .

وقد استغرق تفسيره لهذه المقاطع الأربعة من خلال تلك الدفعات الأربع قرابة ست صفحات كاملة^(٣) .

٣ - أجزاء الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطي أحياناً إلى تفسير الجزء الأخير من نهاية آية مع الجزء الأول من بداية الآية التي تليها ، أو الجزء الأخير من نهاية آية مع كامل الآية التي تليها ؛ وضابط الشنقيطي في ذلك إنما يرجع إلى (تمام المعنى) لذلك يجمع بين تلك الأجزاء ، على ما يذهب إليه ويراه ، وقد تجلّى ذلك واضحاً فيما يلي :

(٢) الكهف : ٢٦ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/ ١٥٧ - ١٧٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/ ٨٠ - ٨٥ .

١ - مثال آخر الآية مع أول التي تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ﴿ الآيتان^(١) نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى التى حيث قول الله تعالى : ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ الآية^(٢) مع المقطع الأول من الآية الثانية حيث قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ﴾ الآية^(٣) .

ب - مثال آخر الآية مع كامل التي تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿ الآيتان^(٤) نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى حيث قول الله تعالى : ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ مع كامل الآية التى تليها^(٥) .

٤ - جملة الآيات :

حيث كثيراً ما يلجأ الشنقيطى إلى الجمع بين تفسير جملة من الآيات داخل السورة الواحدة ، وأغلب ما يقع منه ذلك فى السور ذوات الآيات القصيرة ، وقد تراوحت جملة هذه الآيات التى يجمع بين تفسيرها فى آن واحدة ما بين آيتين وخمس وتسع وأربع عشرة آية ؛ حيث لم تقل جملة هذه الآيات المجموعة عن آيتين ، ولم تزد على أربع عشرة آية على مدار تفسيره كله ، ومن ذلك ما يلى :

١ - الجمع بين آيتين :

وذلك فى معرض جمعه بينهما فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلُّ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ الآيتان^(٦) .

(٢) طه : آخر الآية ٨٦ .

(١) طه : ٨٦ - ٨٧ (آيتان) .

(٣) طه : أول الآية ٨٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤ / ٤٩١ - ٤٩٦ .

(٤) طه : ٨٧ - ٨٨ (آيتان) .

(٥) طه : آخر الآية ٨٧ مع كامل الآية ٨٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤ / ٤٩٦ - ٤٩٧ .

(٦) طه : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤ / ٤٠٥ .

وأيضاً في معرض جمعه بين قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان^(١) .

ب - الجمع بين خمس آيات :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ الآيات^(٢) .

ج - الجمع بين تسع آيات :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) ﴾ الآيات^(٣) .

د - الجمع بين أربع عشرة آية :

وذلك في معرض جمعه بين جملة هذه الآيات في قول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) ﴾ الآيات^(٤) .

(١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥٦٠ / ٤ - ٥٦١ .

(٢) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٦٠٥ / ٦ .

(٣) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧١١ / ٧ .

(٤) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربع عشرة آية) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٦٦٨ / ٧ .

المسألة الثانية

الطرائق الأربعة

لم يلتزم الشنقيطي طريقة واحدة ، ولم يَسِرْ على درب واحد ، إزاء تفسيره تلك الأشكال الأربعة من الآيات ، وإنما سلك في سبيل تحقيق ذلك أربع طرائق تفسيرية ، وقد استمرت هذه الطرائق الأربعة واطَّرَدَتْ من مَبْدَأِ تفسيره حتى منتهاه ، وتتمثل فيما نَعْرِضُ له بالتفصيل من خلال شواهدنا التالية :

١ - التماثل :

حيث يلجأ الشنقيطي في تفسيره للآية التي هو بصدها إلى ذكر الآيات المماثلة لها في المعنى ؛ حتى يوشك بذلك أن يَحْصُرَ جميع ما يناظرها في معناها في مختلف مواضعها من سُورِ القرآن الكريم وآياته ؛ الأمر الذي يبدو وكأنه (قاموس قرآني شامل) أو (معجم مفهرس جامع) من حيث حصره جميع الآيات التي تماثل الآية المفسرة في المعنى ؛ والذي يتأدى عنه في النهاية تحقيق معنى هذه الآية المقصودة ، عن طريق المعاني المماثلة لتلك الآيات المحصورة .

غير أن هذا الحصر قد يكون ناقصاً وهو ما نسميه بـ (التماثل بالقلَّة) وقد يكون كاملاً تقريباً وهو ما نسميه بـ (التماثل بالكثرة) وهما ما نَعْرِضُ لهما على النحو التالي :

١ - التماثل بالقلَّة :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١) الآية^(١) نراه يورد جملة من الآيات القليلة التي لا تمثل حصراً كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه : قوله تعالى في هذه الآية عن إبليس : ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ يدل فيه إنكار إبليس للوجود بهمة الإنكار على إباطه واستكباره عن السجود لمخلوق من طين .

وقد صرَّح بهذا الإباء والاستكبار في مواضع أُخَر ، فصرح بهما معاً في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية^(٢) وصرَّح بإباطه في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الآية^(٣) وصرَّح باستكباره في قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية^(٤) كما بين سبب استكباره في قوله تعالى : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ

(١) الحجر : ٣١ .

(٢) البقرة : ٣٤ .

(٣) الإسراء : ٦١ .

(٤) ص : ٧٤ .

مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ الآية في موضعين^(١) .

فتلکم ست آيات مماثلة لمعنى الآية المذكورة ، وهو عدد قليل بالنسبة لجملة الآيات الأخرى المماثلة ، والتي عرضت لقضية إباء إبليس واستكباره على السجود لآدم ؛ حيث بلغ مجموع هذه الآيات اثنتى عشرة آية ، وباستثناء الآيات الست المذكورة هنا ؛ يصير الباقي منها ست آيات لم يذكرها الشنقيطى .

وفيما يلى نورد نص هذه الآيات الست بحسب ترتيب سورها فى القرآن على النحو

التالى :

فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢) وفى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴿الآيتان^(٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الآية^(٤) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ الآية^(٥) وأخيراً فى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الآية^(٦) .

ب - التماثل بالكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية^(٧) نراه يعرض لقضية الرِّقِّ فى الإسلام ، فيفسر من خلالها (ملك الرقيق) على أنه (ملك اليمين) مورداً فى ذلك جملة من الآيات الكثيرة التى توشك أن تمثل حصراً كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه :

قال مقيد عفا الله عنه وغفر له : لم يختلف المسلمون فى جواز الملك بالرِّقِّ ، ومعلوم أن سببه أسرُ المسلمين الكفار فى الجهاد ، والله تبارك وتعالى يعبرُ فى كتابه عن الملك بالرِّقِّ بعبارة هى أبلغ العبارات فى تأكيد ثبوت ملك الرقيق وهى ملك اليمين ؛ لأن ما ملكته يمين

(١) الأعراف : ١٢ مع ص ٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٠٤/٣ .
 (٢) الأعراف : ١١ . (٣) الحجر : ٣٢ - ٣٣ (آيتان) . (٤) الكهف : ٥٠ .
 (٥) طه : ١١٦ . (٦) ص ٧٥ . (٧) سورة محمد ﷺ : ٤ .

الإنسان فهو ملك له تماماً ، وتحت تصرفه تماماً ؛ وذلك كقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَالجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الآية^(٦) وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الآية^(٧) وقوله تعالى : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية^(٨) وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتَ الْمُؤْمِنَاتَ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية^(٩) وقوله تعالى : ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية^(١٠) وقوله تعالى : ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾ الآية^(١١) .

فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات هو الملك بالرق ، ثم إن الأحاديث والآيات التي بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهي معلومة ؛ فلا ينكر الرق في الإسلام إلا مكابر أو ملحد أو من لا يؤمن بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ^(١٢) .

فهذه اثنتا عشرة آية ساقها الشنقيطي نظراً لتماثل معناها مع معنى الآية المذكورة ، وهذا ما يشبه أن يكون حصراً كاملاً لجميع هذه الآيات المماثلة ؛ ومن ثم فإننا نرى أن قول الشنقيطي : (والآيات التي بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهي معلومة) هو قول غير دقيق من حيث دلالاته على مقصوده ؛ لأن هذه الآيات التي لم يذكرها لا تتجاوز ثلاث آيات فقط هي قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية^(١٣) وقوله تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية^(١٤) وقوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية^(١٥) .

- | | | |
|--|-----------------------------------|---------------------|
| (١) النساء : ٣ . | (٢) المؤمنون : ٦ - المعارج : ٣٠ . | (٣) النساء : ٢٤ . |
| (٤) النور : ٣٣ . | (٥) النساء : ٣٦ . | (٦) الأحزاب : ٥٢ . |
| (٧) الأحزاب : ٥٠ . | (٨) النور : ٣١ . | (٩) النساء : ٢٥ . |
| (١٠) النحل : ٧١ . | (١١) الروم : ٢٨ . | (١٣) النور : ٥٨ . |
| (١٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١٩/٧ - ٤٢٠ . | | (١٥) الأحزاب : ٥٥ . |
| (١٤) الأحزاب : ٥٠ . | | |

وبهذا تصل جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة خمسَ عشرة آية تمثل الحصر الكامل لجميع هذه الآيات في القرآن ؛ ومن ثم فأين تَعَدُّرُ هذا الحصر الذي يصرِّح به الشنقيطي ؟! خاصة وأنه أورد اثنتي عشرة آية من المجموع الكلي لهذه الآيات والبالغ خمسَ عشرة آية !! فهذه الآيات الثلاث لا ترقى لئن تكون مُسَوِّغاً لحكم الشنقيطي عليها بتعذر الحصر ، كما لا يشفع له في ذلك العلمُ بها !!

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطي من ذكره جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية التي يَعرِّضُ لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك في (الفهرس الشامل) الذي وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة في حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدنا تنبيهاً بها على غيرها مما ورد في فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ والآيات المُفهِمة معنى ذلك^(١) وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ والآيات المشيرة لمعنى ذلك^(٢) وقوله تعالى : ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ وصف القلوب بالكظم الذي هو صفة أصحابها، ونظير ذلك من القرآن^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى﴾ والآيات التي بمعناها^(٤) وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ والآيات المشابهة لها في المعنى^(٥) .

٢ - الإيضاح :

حيث يلجأ الشنقيطي في تفسيره للآية التي هو بصددها إلى ذكر الآيات المُوضِّحة لمعناها غير المنصوص عليه فيها ، وذلك بخلاف طريقة التماثل السابقة التي تختص بالآيات التي يدور معناها حول قضية رئيسة منصوص عليها تماثل ذات القضية التي يدور حولها معنى الآية المقصودة بالتفسير مثل قضية (عدم سجود إبليس لآدم) وقضية (ملك الرقيق بمعنى ملك اليمين) كما سبق ذكرهما قبل قليل .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطي يعمد إلى إيراد الآيات المُوضِّحة لمعنى الآية المقصودة ، إما عن

-
- (١) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١٢/٢ (من الفهرس) .
 - (٢) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١٢/٢ (من الفهرس) .
 - (٣) غافر : ١٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٨٢/٧ (من الفهرس) .
 - (٤) الاعراف : ١٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥٢٠/٢ (من الفهرس) .
 - (٥) سبأ : ٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧٢٧/٧ (من الفهرس) .

فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ الآيتان^(١) إلى غير ذلك من الآيات^(٢) .

وهكذا يتراوح عدد الآيات المَوْضِحَة لمعنى الآية المقصودة ما بين آية إلى اثنتين إلى ثلاث آيات ، وهذا مما يعد قليلاً قياساً إلى جملة الآيات الكثيرة التي يعمد إليها الشنقيطى لتوضيح معانى بعض الآيات الأخرى .

ب - الإيضاح بالكثرة :

لا يكتفى الشنقيطى بإيراد جملة الآيات الكثيرة التي توضح معنى الآية المقصودة ، وإنما يلجأ إلى إيراد المزيد من تلك الآيات المَوْضِحَة ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نعرض لهذا الإيضاح هنا من خلال نوعيه التاليين :

١ - الكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ الآيتان^(٣) نراه يورد جملة من الآيات الكثيرة التى توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية أن أهل النار يدعون ربهم فيها فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إلى ما لا يرضيك بعد إخراجنا منها فإننا ظالمون ، وأن الله يجيبهم بقوله تعالى : ﴿اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أى امكثوا فيها خاسئين أى أذلاء صاغرين حقيرين ، لأن لفظه (اخسأ) إنما تقال للحقير الدليل كالكلب ونحوه ، فقوله تعالى : ﴿اخْسُئُوا فِيهَا﴾ أى ذلوا فيها ماكثين فى الصغار والهوان .

وهذا الخروج من النار الذى طلبوه قد بين الله تعالى أنهم لا ينالونه ، وذلك فى عدة آيات أحر كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يُخْرَجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية^(٦) وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يُخْرَجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية^(٧) إلى غير ذلك من الآيات .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٣٦ .

(٤) المائدة : ٣٧ .

(٦) الحج : ٢٢ .

(١) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٣) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٥) البقرة : ١٦٧ .

(٧) السجدة : ٢٠ .

وقد جاء في القرآن أجوبة متعددة لطلب أهل النار ، فهنا قالوا : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فأجيبوا ﴿أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ الآيتان^(١) وفي موضع آخر قالوا : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فأجيبوا : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآيتان^(٢) وفي موضع آخر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فأجيبوا : ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ الآيتان^(٣) وفي موضع آخر : ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فأجيبوا : ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ الآية^(٤) وفي موضع آخر : ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون : ﴿أَوْ لَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ الآية^(٥) وفي موضع آخر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجابون : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذِكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ الآية^(٦) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مثل هذه الأجوبة^(٧) .

وهكذا يصل مجموع تلك الآيات التي ساقها الشنقيطي لإيضاح معنى الآية المقصودة وما يتفرع عليها إلى عشر آيات ، وهذا مما يُعدُّ كثيراً إذا قيس بما اتبعه سابقاً في (الإيضاح بالقلَّة) .

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطي من ذكره جملة الآيات الموضحة لمعنى الآية التي يعرض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك في (الفهرس الشامل) الذي وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة في حياة شيخه ويعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدا تنبئها بها على غيرها مما ورد في فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآيات الموضحة لها^(٨) وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ والآيات الموضحة لمعناها^(٩) وقوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَابَ﴾ والآيات الموضحة لذلك^(١٠) وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والآيات

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٢) السجدة : ١٢ - ١٣ (آيتان) .

(٤) الزخرف : ٧٧ .

(٣) غافر : ١١ - ١٢ (آيتان) .

(٦) فاطر : ٣٧ .

(٥) إبراهيم : ٤٤ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٢٦/٥ - ٨٢٧ .

(٨) البقرة : ٢٥٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .

(٩) البقرة : ٢٧٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .

(١٠) البقرة : ٢٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٥١١/١ (من الفهرس) .

المُوضَّحَةَ لِمَعْنَى غَنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ^(١) وقوله تعالى : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ والآيات المُوضَّحَةَ لِمَعْنَى ذَلِكَ^(٢) وقوله تعالى : ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا نَبِيَّيَ﴾ والآيات المُوضَّحَةَ لِهَذَا الِاعْتِدَارِ الَّذِي اعْتَدَرَ بِهِ هَارُونَ^(٣) وقوله تعالى : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وما يُوَضِّحُ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ^(٤) .

٢ - الزيادة :

ونظراً لكثرة ما يلجأ إليه الشنقيطى من ذكره المزيد من الآيات المُوضَّحَةَ لِمَعْنَى الآيَةِ الَّتِي يَعْرِضُ لَهَا بِالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية لا يفتأ أيضاً أن يشير إلى ذلك فى فهرس التفسير فيقول ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك^(٥) وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك^(٦) وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك^(٧) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وما يزيد ذلك إيضاحاً من القرآن^(٨) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وما يزيد ذلك إيضاحاً^(٩) .

٣ - الإحالة :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصدددها إلى الإحالة على الآيات المماثلة لها فى المعنى ، وسواء كانت هذه الآيات قد سبق أن فسرها فى مواضع أخرى من قبل ، أو تلك التى يتتوى أن يفسرها فى مواضع أخرى من بعد .

-
- (١) آل عمران : ٩٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٣/١ (من الفهرس) .
 - (٢) آل عمران : ١٩٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٥/١ (من الفهرس) .
 - (٣) الأعراف : ١٥٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٢٠/٢ (من الفهرس) .
 - (٤) الحجج : ٧٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٨/٥ (من الفهرس) .
 - (٥) يوسف : ٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤١/٣ (من الفهرس) .
 - (٦) الرعد : ١٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤٢/٣ (من الفهرس) .
 - (٧) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٥٨/٣ (من الفهرس) .
 - (٨) المؤمنون : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .
 - (٩) المؤمنون : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .

وقد تنازعت هاتين الإحالتين السابقة واللاحقة ثلاثة أنواع شملت الإحالة بالنص ، ثم الإحالة بالمعنى ، وأخيراً الإحالة العامة ، وفيما يلي نَعْرِضُ لقسمي الإحالة الاثنتين مع أنواعها الثلاثة على النحو التالي :

● قِسْمَا الإِحَالَةِ :

١- إِحَالَةٌ سَابِقَةٌ :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآيات (١) يقول ما نصه : قد قدمنا ما يُوَضِّحُ هذه الآيات إلى آخر القصة من القرآن فى سورة (مريم) فأغنى ذلك عن إعادته هنا (٢) .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا فى تفسير هذه السبع عشرة آية المتعلقة بقصة نبي الله إبراهيم بالإحالة على تفسيره للآيات العشر المتعلقة بالقصة ذاتها ، والتي سبق له أن تناولها فى سورة (مريم) بدءً من قول الله تعالى : ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآيات (٣) .

وهذه الإحالة تعد طويلة نسيباً من حيث كثرة عدد هذه الآيات التى قامت مقام تفسيرها ؛ ومن ثم جعلناها هنا بمثابة الشاهد البارز على (الإحالة السابقة) تبييناً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

ب- إِحَالَةٌ لَّاحِقَةٌ :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الآية (٤) يقول ما نصه : واعلم أن مسألة الحجاب وإيضاح كون الرجل لا يجوز له النظر إلى شئ من بدن الأجنبية ، سواء كان الوجه والكفين أو غيرهما ، فقد وعدنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك وغيرها من المواضع بأننا سنوضح ذلك فى سورة (الأحزاب) فى الكلام على آية الحجاب ، وستفى إن شاء الله تعالى بالوعد فى ذلك بما يظهر به للمتصف ما ذكرنا (٥) .

(١) الأنبياء : ٥١ - ٦٧ (سبع عشرة آية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨٧/٤ .

(٣) مريم : ٤١ - ٥٠ (عشر آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٨٢/٤ - ٢٩٠ .

(٤) النور : ٣١ . (٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠٠/٦ .

والمقصود بهذا الوعد الذى قطعه الشنقيطى على نفسه هو ما ذكره فى مقدمة تفسيره حيث قال ما نصه : ومن أنواع البيان الذى تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء فى الآية قولاً ، ويكون فى نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول ، ومن أمثله : قول كثير من الناس : إن آية الحجاب وأعنى بها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية^(١) خاصة بأزواج النبي ﷺ .

غير أن تعليل الله تعالى لهذا الحكم الذى هو (إيجاب الحجاب) بكونه أظهر لقلوب الرجال والنساء من الرئية فى قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية^(٢) هو قرينة واضحة على قصد تعميم هذا الحكم ، وسنرى إن شاء الله تحقيق مسألة (الحجاب) فى سورة (الأحزاب)^(٣) .

وهكذا يقيم الشنقيطى الإحالة اللاحقة فيما بعد من سورة (الأحزاب) مقام تفسير هذه الآيات هنا من سورة (النور) وفيما ذكرناه تنبيه به على غيره .

• أنواع الإحالة :

١- الإحالة بالنص :

وفىها يُسمَّى الشنقيطى موضع النص الذى يُحيل عليه ، ويشمل ذلك كلاً من الآية ، أو السورة ، أو الآية والسورة معاً ، وذلك كما يلى :

١- نص الآية :

فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿أَوَلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ الآية^(٥) يقول ما نصه : قد قدمنا الآيات الموضحة لهما فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الآية^(٦) وقوله تعالى : ﴿أَوُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ الآية^(٧) .

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٥/١ - ٧٧ (من المقدمة) - وانظر تفسير الآية المذكورة من سورة

(الأحزاب) فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٨٤/٦ - ٦٠٣ .

(٦) ص : ٤ .

(٥) القمر : ٢٥ .

(٤) القمر : ٢٤ .

(٧) ص : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧٢١/٧ .

٢ - نص السورة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ الآية^(١) يقول ما نصه : تقدم إيضاحه فى سورة (الحج) وغيرها^(٢) .
وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية^(٣) يقول ما نصه : قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية فى أول سورة الأعراف وأول سورة الكهف^(٤) .

٣ - نص الآية والسورة معا :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ الآيات^(٥) يقول ما نصه : إلى آخر القصة ، قد قدمنا إيضاحه فى سورة (الحجر) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَنَبِّئُهُم عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الآيات^(٦) وفى سورة (هود) فى القصة المذكورة ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا^(٧) .
وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية^(٨) يقول ما نصه : قد قدمنا الآيات الموضحة له فى سورة (ق) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ الآية^(٩) .
وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية^(١٠) يقول ما نصه : قد قدمنا الكلام عليه فى سورة (الزخرف) فى بعض المناقشات التى ذكرناها فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآية^(١١) .

ب - الإحالة بالمعنى :

وفىها يُسَمَّى الشنقيطى موضع المعنى الذى يُحِيلُ عليه فى السورة القرآنية التى تتحدث عنه وتشير إليه ، ونكتفى من ذلك بالشاهد التالى :

- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) الفرقان : ٥٥ . | (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٤٢ . |
| (٣) الفرقان : ٥٦ . | (٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٤٤ . |
| (٥) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربع عشرة آية) . | (٦) الحجر : ٥١ - ٦٠ (عشر آيات) . |
| (٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٦٦٨ . | (٨) الذاريات : ٤٧ . |
| (٩) ق : ٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٧٢٩ . | (١٠) القمر : ٤٩ . |
| (١١) الزخرف : ٨١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٦٦٩ . | |

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنْ سَعَيْهِ سَوْفَ يُرَى (٤١) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾ الآيات^(١) نراه يُحِيل على المعنى المماثل لمعنى هذه الآيات مُسَمِّيًا موضعه فى سورة (الإسراء) فيقول ما نصه : وقد قدمنا تفسيره مُوضَّحًا فى سورة (بنى إسرائيل) وأن الإنسان لا يملك ولا يستحق إلا سعى نفسه ، وقد اتضح بذلك أنه لا يمكن أن يتحمل إنسان ذنوب غيره ، وقد دَلَّتْ على ذلك آيات كثيرة معلومة^(٢) .

ويقصد بذلك تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الآية^(٣) والذي سبق له تناوله من خلال تفسيره لسورة (الإسراء)^(٤) .

ج - الإحالة العامة :

وفىها يُعْرَضُ الشَّنْقِيطَى عن تَسْمِيَةِ المَوْضِع الذى يُحِيل عليه سواء كان آية أو سورة أو هما معًا ، مكتفياً فى ذلك بمجرد الإشارة العامة المُبْهَمَةَ إلى ما سبق أن تناوله من الآيات المماثلة فى مواضع متقدمة من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ الآيات^(٥) نراه يكتفى فى تفسيرها هنا بالإحالة على تفسير مثيلاتها من الآيات التى فسرها من قبل ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : تقدّمت الآيات المُوضَّحَةَ له مراراً^(٦) .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ الآية^(٧) نراه يكتفى فى ذلك أيضاً بالإحالة العامة المُبْهَمَةَ ، والتى يشير إليها فيقول ما نصه : قد قدمنا الآيات المُوضَّحَةَ له ، وأحلّنا عليها مراراً^(٨) .

٤ - التكرار :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددتها إلى تكرار تفسير ما يماثلها من

- | | |
|--------------------------------------|---|
| (١) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) . | (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١١ . |
| (٣) الإسراء : ١٥ . | (٤) أضواء البيان: الشنقيطى ٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠ . |
| (٥) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) . | (٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٦٠٥ . |
| (٦) النجم : ٤٧ . | (٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ . |

الآيات الأخرى التى سبق له أن تناولها من قبل ، وهو لا يفتأ أن يشير إلى تكراره هذا بين الحين والآخر فى موضعه من التفسير ، ومن أمثلة هذا التكرار نذكر ما يلى :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية^(١) نراه يقول ما نصه : واعلم أن الله جلّ وعلا بيّن فى آيات كثيرة صفات مَنْ يستحق أن يكون له الحُكْم ؛ فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة ، ويقابلها مع صفات البشر المُشْرِعِينَ للقوانين الوضعية ، فينظر هل تنطبق عليهم صفات مَنْ له التشريع ؟ سبحانه الله وتعالى عن ذلك ، فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون ؛ فليتبع تشريعهم ، وإن ظهر يقينا أنهم أحقر وأخسّ ، وأذلّ وأصغر من ذلك ؛ فليقف بهم عند حدّهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية ، سبحانه وتعالى أن يكون له شريك فى عبادته ، أو حُكْمِهِ ، أو مُلْكِهِ^(٢) .

ثم يسوق الشنقيطى بعد ذلك ثمانى عشرة آية تتضمن صفات مَنْ له الحُكْم والتشريع ، نذكر منها قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الآية^(٦) وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الآية^(٧) .

وعلى الرغم من هذه الطائفة الكثيرة من الآيات التى ساقها هنا ليفسّر بها الآية المقصودة ، وفضلاً عما تناوله من آيات أخرى مماثلة لهذه الآية فى مواضع سابقة من التفسير ؛ إلا أنه يقرر إعادة وتكرار ما يراه كافياً فى هذا الموضع من تلك الآيات التى سبق أن فسّرهما من قبل ، وفى ذلك يقول ما نصه : والآيات الدالة على هذا كثيرة ، وقد قدمناها مراراً ، وسنعيد منها ما فيه كفاية^(٨) .

وعندئذ يشرع الشنقيطى فى إعادة وتكرار ما سبق أن تناوله من آيات مماثلة ، والتى من أبرزها عنده آيتان فى سورة (الأنعام) وآيتان فى سورة (النحل) حيث عمّد إلى تكرارهما على النحو التالى :

- | | |
|--------------------|-------------------------------------|
| (١) الشورى : ١٠ . | (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٣/٧ . |
| (٣) القصص : ٨٨ . | (٤) القصص : ٧٠ . |
| (٥) يوسف : ٤٠ . | (٦) يوسف : ٦٧ . |
| (٧) الأنعام : ٥٧ . | (٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ . |

أ- آيات الأنعام :

وهما قول الله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية^(٢) .

وقد مهدَّ الشنقيطي لتكرار تفسيرهما هنا بقوله : وَقَعَتْ مناظرة في زمن النبي ﷺ بين حزب الرحمن ، وحزب الشيطان ، في حكم من أحكام التحريم والتحليل ، وحزب الرحمن يتبعون تشريع الرحمن في تحريمه ، وحزب الشيطان يتبعون الشيطان في تحليله ، وقد حكَّم الله تعالى بينهما ، وأفتى فيما تنازعا فيه ، فتوى سماوية قرآنية تُتلى في سورة الأنعام^(٣) .

وهذا على الرغم من أنه سبق له تفسير هاتين الآيتين في موضعيهما من سورة (الأنعام) خاصة الآية الثانية التي استغرقت وحدها ما يقرب من ثنتين وثلاثين صفحة^(٤) .

ب- آيات النحل :

وهما قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الآية^(٦) .

وقد مهدَّ الشنقيطي أيضاً لتكرار تفسيرهما هنا بقوله : ومن الآيات الدالة على نحو ما دَلَّتْ عليه آيات الأنعام المذكورتان قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ حيث صرَّح بتوليهم للشيطان أى باتباع ما يزين لهم من الكفر والمعاصي ؛ مخالفاً لما جاءت به الرسل ، ثم صرَّح بأن ذلك إشراك به سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ كما صرَّح أن الطاعة فى ذلك الذى يُشْرَعُهُ الشيطان ويُزينه لهم إنما هى عبادة منهم لهذا الشيطان^(٧) .

وهذا على الرغم من أنه سبق له أيضاً تفسير هاتين الآيتين في موضعيهما من سورة (النحل)^(٨) .

(٢) الأنعام : ١٤٥ .

(١) الأنعام : ١١٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١٦٩/٧ .

(٤) راجع تفسير آيتي (الأنعام) المشار إليهما بترتيبهما فى (أضواء البيان) : الشنقيطي (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) - (٢٤٦/٢ - ٢٧٧) .

(٦) النحل : ١٠٠ .

(٥) النحل : ٩٩ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ١٧١/٧ .

(٨) راجع تفسير آيتي (النحل) المشار إليهما بترتيبهما فى (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٥٧/٣ - ٣٥٩ .

المطلب الثالث التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : ما يفسره من الآيات .
- ٢ - الملاحظة الثانية : ما لم يفسره من الآيات .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : ما يتوقف عن تفسيره من الآيات .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : ظاهرة الإحالة .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : الجمع بين الطرائق .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسيره للقرآن بالقرآن ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تردُّ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

ما يفسره من الآيات

وإزاء ما يعرض له الشنقيطى من الآيات بالتفسير فإن هناك ثلاث ملاحظات تتعلق بكل من :

١ - ترقيم الآيات :

حيث من الملاحظ على الشنقيطى أنه لم يلتزم بذكر أرقام الآيات فى سورها حال عرضه لها بالتفسير ، وهذا ما سار عليه فى ثنايا تفسيره المختلفة بأجزائه السبعة ، ولا يُستثنى من ذلك سوى الجزء الرابع منه ، والذى يضم بدوره تفسير أربع سور تمثلت فى : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) والتى التزم بترقيم جميع ما فسره من آياتها ، وذلك على النحو التالى :

١ - ذكره رقم آية واحدة :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ حيث يقول : آية (١١)^(١) .

٢ - ذكره رقمى آيتين معا :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بَجَدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ حيث يقول : آية (٢٥ و ٢٦)^(٢) .

٣ - ذكره ارقام جملة من الآيات :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

(١) مريم : ١١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤ / ٢٢٠ .

(٢) مريم : ٢٥ مع ٢٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤ / ٢٤٩ .

فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿﴾ حيث يقول بعد ذكره جملة هذه الآيات : آية (٤١ - ٤٥)^(١)

والحق أن التزام المفسرين عامة ، والشنقيطي منهم خاصة ، بترقيم ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يُعدُّ أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن ترك المفسر ترقيم ما يفسره من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يُعدُّ من جملة (المأخذ الشكلية) التي تُحسب عليه في منهجه التفسيري ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطي .

ب - تخريج الآيات :

لا يلتزم الشنقيطي غالباً بتخريج الآيات التي يسوقها في معرض تفسيره للآية المقصودة ، في حين يعمد أحياناً إلى تخريج تلك الآيات ، وذلك كما يلي :

• امثلة تخريجه :

١ - تخريجه لايتين :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿﴾ الآية^(٢) حيث يسوق الشنقيطي اثنتي عشرة آية مماثلة لهذه الآية في المعنى .

ومع ذلك نراه لم يُخَرِّجْ من جملة هذه الآيات سوى آيتين اثنتين نظراً لتكرارهما في سورتين معاً ، وهما قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ (الآيتان) حيث يعقب إيرادها بقوله : في سورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة (سأل سائل)^(٣) .

ومن ثم ؛ فقد كان لزاماً على الشنقيطي أن يُخَرِّجْ هاتين الآيتين نظراً لتكرارهما في هاتين السورتين معاً .

(١) مريم : ٤١ - ٤٥ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤ / ٢٨٢ .

(٢) سورة محمد ﷺ : ٤ .

(٣) المؤمنون : ٥ - ٦ (آيتان) مع المعارج : ٢٩ - ٣٠ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي

٢ - تخريجه لجملة من الآيات :

في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧) قَالَ اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ الآيتان^(١) حيث يسوق الشنقيطى جملة من الآيات الموضحة لهاتين الآيتين ، مع تخريجه إياها في سورة الأربع التي شملت كلاً من : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) بترتيب ذكره لها، ثم يسوق جملة أخرى من الآيات الموضحة لجواب الملائكة على أهل النار ، مع تخريجه إياها أيضاً في سورها الست التي شملت كلاً من : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) بترتيب ذكره لها .

وهكذا يصل عدد السور التي خرج الشنقيطى آياتها هنا إلى عشر سور لم يلتزم بمثلها سوى في مواضع قليلة من تفسيره^(٢) .

• امثلة عدم تخريجه :

١ - عدم تخريجه للآية الواحدة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ الآية^(٣) حيث يفسر هذه الآية بآية أخرى مماثلة لها في المعنى وهى قول الله تعالى : ﴿أَقَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ الآية^(٤) ومع أن هذه الآية هى الوحيدة المماثلة للآية المقصودة فى القرآن كله ؛ إلا أن الشنقيطى لم يخرجها فى موضعها من القرآن^(٥) .

٢ - عدم تخريجه لجملة من الآيات :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ الآيات^(٦) حيث يسوق خمس آيات مماثلة فى المعنى لهذه الآيات المعنية هنا بالتفسير ، ومع ذلك لم يعمد الشنقيطى إلى تخريج أى من هذه الآيات الخمس ، وهذا ما يتبعه غالباً فى تفسيره سوى بعض المواضع القليلة التى يُخرِّج فيها مثل هذه الآيات .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٨٢٦/٥ .

(٤) الزمر : ٢٢ .

(٦) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٣) الأنعام : ١٢٥ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢١٠/٢ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٦١١/٣ .

والحق أن التزام المفسرين عامة ، والشنقيطي منهم خاصة بتخريج ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم تخريج المفسر لما يتناوله من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يعد من جملة (المآخذ الشكلية) التي تحسب عليه في منهجه التفسيري ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطي.

ج- ترتيب الآيات :

لا يلتزم الشنقيطي بالترتيب المصحفي للآيات التي يسوقها في معرض تفسيره للآية المقصودة ، وسواء في ذلك ما كان مُخرَجاً من هذه الآيات أو ما كان غير مُخرَجٍ منها ، وذلك كما يلي :

١- في حالة تخريجه للآيات :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ الآيتان^(١) حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطي قد أورد في معرض تفسيره لهذه الآية عشر آيات مع تخريجه لها في سورها ، أما الآيات الأربع الأولى التي وضح بها معنى الآية المقصودة فقد أوردتها على غير ترتيبها المصحفي وهي : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) مع أن ترتيبها المصحفي هو : (البقرة - المائدة - الحج - السجدة) .

وأما الآيات الست الأخرى التي وضح بها جواب الملائكة على أهل النار فقد أوردتها على غير ترتيبها المصحفي كذلك وهي : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) مع أن ترتيبها المصحفي هو : (إبراهيم - المؤمنون - السجدة - فاطر - غافر - الزخرف)^(٢) .

٢- في حالة عدم تخريجه للآيات :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ الآيتان^(٣) حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطي قد

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦١١/٣ .

(٣) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

أورد في معرّض تفسيره لهذه الآية خمس آيات مع عدم تخريجها لها في سورها، حيث أورد هذه الآيات على غير ترتيبها المصحفيّ وهي : (يونس - الأنعام - العنكبوت - لقمان - الزمر) مع أن ترتيبها المصحفيّ هو : (الأنعام - يونس - العنكبوت - لقمان - الزمر)^(١) .

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطي منهم خاصّة ، بالترتيب المصحفيّ لمّا يعرّضون له من الآيات بالتفسير إنّما يعد أمراً منهجياً محموداً ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث في الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أنّ القارئ العادي سينال حظه أيضاً من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم التزام المفسر بالترتيب المصحفيّ لما يتناوله من الآيات في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنّما يعد من جملة (المآخذ الشكلية) التي تُحسبُ عليه في منهجه التفسيريّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطي .

الملاحظة الثانية

ما لم يفسره من الآيات

إن الناظر في تفسير الشنقيطي يلحظ من الوهلة الأولى أنه لا يتناول جميع ما يمرّ به من الآيات بالتفسير ؛ ويشهد لذلك ما قمنا به من إحصاء فعليّ للآيات التي فسرها في الجزء الرابع من التفسير ، والذي يضم بدوره أربع سور هي : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) وذلك بقصد تحديد نسبة ما فسره الشنقيطي إلى ما لم يفسره من آيات هذه السور .

وقبل أن نشرع في إجراء هذا الإحصاء فإنه يجدر بنا أن نشير إلى أن اختيارنا قد وقع على هذا الجزء الرابع من التفسير نظراً لأنه الجزء الوحيد من أجزاء التفسير السبعة الذي فسّر الشنقيطي آياته مقرونة بأرقامها في سورها ؛ الأمر الذي كان سبباً في تيسير عملية الإحصاء المنشودة ، والتي تتضح من خلال الجدول التالي :

السورة	عدد آياتها	عدد ما فسره	النسبة %
الكهف	١١٠	٦٤	٥٨ %
مريم	٩٨	٧٥	٧٧ %
طه	١٣٥	٦٦	٤٩ %
الأنبياء	١١٢	٦٤	٥٧ %

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦١١/٣ .

وبالنظر إلى هذا الجدول الإحصائي فإنه يتبين لنا أن الشنقيطى قد فسّر من آيات هذه السور ما تتراوح نسبته التقريبية ما بين النصف إلى الثلاثة أرباع ؛ وهو ما يؤكد أنه لا يفسّر جميع ما يمرُّ به من آيات السورة ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم بقوله : وعليه ؛ فإنه ينبغي أن يُعلمَ أن (أضواء البيان) ليس تفسيراً شاملاً لجميع آى القرآن كما يظنه البعض ويتطلب فيه تفسير كلِّ ما أُشكِلَ عليه^(١) .

الملاحظة الثالثة

ما يتوقف عن تفسيره من الآيات

يتمتع الشنقيطى أحياناً عن تفسير بعض الآيات مُعلّلاً لذلك بأنه لم يجد ما يماثلها فى المعنى أو ما يوضّحها من آيات القرآن الأخرى ؛ ويشهد لذلك ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية^(٢) حيث نراه يسوق قولين للعلماء فى وصف السماء وحالتها يوم القيامة ، أما أولهما : فوصفها بحُمْرَةٍ لَوْنُهَا الذى يشبه لون الجلد الأحمر ، وأما ثانيهما : فوصفها بحالة الدويان والميوعة التى تشبه الدهن الذائب المائع .

وهنا يردُّ الشنقيطى القول الأول مُعلّلاً ذلك بأنه لا يَعْلَمُ من آيات القرآن ما يشهد لهذا الوصف حيث يقول ما نصه : أما على القول الأول فلا نعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن هذه الآية على أن السماء سنحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر^(٣) .

وحرى بالذكر أن تَوَقَّفَ الشنقيطى عن تفسير بعض الآيات لذات العِلَّةِ أو لغيرها ، لم يقع منه فى تفسيره إلا نادراً ، وأن ما استشهدنا به هنا هو من قبيل النادر الذى نقصده ، والذى نبّه إليه ، ونصّ عليه ، أما تلك الآيات التى تركها دون تفسير ؛ فهى مما يجرى على طريقته التى تقضى بعدم تعرضه للآيات التى لا تحتاج إلى تفسير ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها .

ومن ثم ؛ فإنه لا يَعْرضُ لتفسير مثل هذه الآيات دون أن يَنْبَهَ إلى ذلك أو يَنْصَحَ عليه ، مثل صنيعه فى الآية المذكورة هنا حيث نبّه إلى عدم تفسيره لها ونصّ عليه ، مُعلّلاً ذلك بأنه لا يعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن أن السماء ستحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٨ (الجزء الأول من التتمة) .

(٢) نلرحمن : ٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٥١ .

ومن تلك الآيات التي تركها الشنقيطي دون أن يعرض لتفسيرها ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها ، نذكر جملة الآيات التالية تبييناً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي تشمل كلا من :

١ - قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الآية^(١) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الآية^(٣) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الآية^(٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ الآيات^(٤) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية^(٦) .

٣ - قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الآية^(٧) حيث ترك الشنقيطي تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية^(٨) وقوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية^(٩) .

الملاحظة الرابعة

ظاهرة الإحالة

توشك الإحالة أن تشكل (ظاهرة بارزة) في منهج الشنقيطي في تفسيره لـ (القرآن بالقرآن) وقد بدأ هذا واضحاً من خلال كثرة هذه الإحالات التي وقعت منه في تفسيره ، ثم أثر هذه الإحالات التي انعكس على ثنايا تفسيره المختلفة ، وهذا ما نعرض له فيما يلي :

- (١) البقرة : ٣ . (٢) البقرة : ٢ .
 (٣) البقرة : ٣ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/١٠٧ .
 (٤) البقرة : ٤ - ٦ (ثلاث آيات) . (٥) البقرة : ٣ .
 (٦) البقرة : ٧ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/١٠٧ - ١٠٩ .
 (٧) المجادلة : ١٨ . (٨) المجادلة : ١٧ .
 (٩) المجادلة : ١ - وانظر في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/٨٢٢ - ٨٢٧ .

١- كثرة هذه الإحالات :

أكثر الشنقيطى من الإحالات فى تفسيره للقرآن بالقرآن ، وذلك فى تفسيره عامة ، وفى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصة^(١) .

وقد تنازعت هذه الإحالات الكثيرة حالتان أما أولاهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير بعض الآيات ، وأما ثانيتهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير معظم الآيات ، وذلك على النحو التالى :

١- إحالات بمنزلة بعض الآيات :

ومن الأمثلة التى تقوم شاهداً على ذلك ما صنعه الشنقيطى فى معرض تفسيره لأربع آيات متتالية من سورة (الفرقان) حيث تمثّل تفسيره لها فى إحالاته فقط والتى استغرقت صفحة كاملة من تفسيره على النحو التالى :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية^(٢) نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لأول سورتي الأعراف والكهف ، ويقصد بذلك كلاً من قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ ١ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ ٢ مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ۝ ٣﴾ الآيات^(٤) .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ الآية^(٥) نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ الآية^(٦) .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الآية^(٧) نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية^(٨) ثم يكمل بقية

(١) حيث يبلغ مجموع السور التى يشتمل عليها هذان الجزآن خمساً وثلاثين سورة ، موزعة بين أربع عشرة سورة يضمها الجزء السادس تبدأ بـ (النور) وتنتهى بـ (الصافات) وإحدى وعشرين سورة يضمها الجزء السابع تبدأ بـ (ص) وتنتهى بـ (المجادلة) - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) :

الشنقيطى (الجزء السادس) من (١) إلى (٧٣٢) - (الجزء السابع) : من (١) إلى (٨٨٠) .

(٢) الأعراف : ٢ .

(٣) الفرقان : ٥٦ .

(٤) الكهف : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

(٥) الفرقان : ٥٧ .

(٦) الفرقان : ٥٨ .

(٧) هود : ٢٩ .

(٨) الفاتحة : ٧ .

الآية فى قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ فيُحِيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(١) .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية^(٢) نزه يحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية^(٣) .

٢ - إحالات بمنزلة معظم الآيات :

وأحياناً تستغرق إحالات الشنقيطى معظم آيات السورة التى يتناولها بالتفسير ؛ إلى الحد الذى توشك أن تقوم معه تلك الإحالات مقام تفسيره للسورة كلها ، ومن الأمثلة التى تقوم شاهداً على ذلك نذكر ما يلى تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

● فى سورة (ص) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير ثمانىَ وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ست عشرة إحالةً ، أى ما يزيد على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة^(٤) .

● وفى سورة (الزمر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير إحدى وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها أربع عشرة إحالةً ، أى ما يزيد كذلك على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة^(٥) .

● وفى سورة (غافر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير أربعاً وأربعين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ثمانىَ وعشرين إحالةً ، أى ما يزيد أيضاً على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة^(٦) .

وهكذا يبدو تفسير هذه السور الثلاث (ص - الزمر - غافر) وكأنه إحالة كله أو معظمه ، خاصةً وأن ما تبقى من آياتها إنما يسلك فيه الشنقيطى سبيل التماثل أو الإيضاح السابق ذكرهما .

(١) الإسراء : ١٧ . (٢) الفرقان : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦ / ٣٤٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٥ - ٣٨ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٤١ - ٦٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٦٩ - ١٠١ .

ب - أثر هذه الإحالات :

انعكس أثر الإحالات الكثيرة بصورة واضحة جلية على تفسير الشنقيطي عامة ، وعلى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصة ؛ وقد تمثل أثر هذه الظاهرة في (اقتصاد واختصار) الشنقيطي لسور هذين الجزأين اللذين يضمّان خمسا وثلاثين سورة ، وذلك على النحو التالي :

• ففي الجزء السادس :

بلغ عدد السور التي يضمها أربع عشرة سورة ، غير أن الشنقيطي قد اقتصد في تفسير عشر سور منها شملت كلاً من : (الشعراء - القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يس - الصافات)^(١).

• وفي الجزء السابع :

بلغ عدد السور التي يضمها إحدى وعشرين سورة ، غير أن الشنقيطي قد اقتصد في تفسير سبع سور منها شملت كلاً من : (ص - الدخان - الفتح - ق - الطور - القمر - الحديد)^(٢).

وهكذا يصل مجموع السور التي اقتصد الشنقيطي في تفسيرها إلى سبع عشرة سورة ، وهو ما يعادل تقريباً نصف السور التي يضمها هذان الجزآن معاً .

• وفي فهرس الجزء السابع :

لا يخفى على الناظر في فهرس هذا الجزء الأخير من التفسير أثر ظاهرة الإحالات الكثيرة التي يشير إليها وينص عليها الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي الأول ، وواضع فهرس التفسير في حياة شيخه ويعلمه .

ومن آثار هذه الإحالات الكثيرة نذكر بعض الأمثلة التالية تبييناً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الآية^(٣) والآيات الموضحة لذلك ، وقد تقدّم البحث في سورة المائدة عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ الآية^(٤) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٦ - ٧٣٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٧ - ٨٨٠ .

(٣) الزمر : ٣ .

(٤) المائدة : ٣٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/ ٨٣٠ (من الفهرس) .

- ٢ - قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية^(١) والإيضاح على ما يماثل ذلك في سورة (يس)^(٢) .
- ٣ - قول الله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ الآية^(٣) مع بيان الإنذار ، والإحالة على بيانه السابق وأنواعه في (الأعراف)^(٤) .
- ٤ - قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ الآية^(٥) إعرابه وبيان معناه ، وبيان قرب قيام الساعة ، وأدلة ذلك من القرآن ، والتحويل عليه في أول سورة (النحل)^(٦) .
- ٥ - قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ الآية^(٧) والآيات الموضحة لها ، والإحالة على أمثالها مراراً^(٨) .
- ٦ - قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ الآيتان^(٩) والآيات الموضحة لهما ، مع الإحالة على مثلهما كثيراً^(١٠) .
- ٧ - قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية^(١١) مع الإحالة على إيضاح ذلك في سورة (الروم) وغيرها^(١٢) .

الملاحظة الخامسة

الجمع بين الطرائق

تَنَازَعَتْ مِنْهَجَ الشَّنْقِيطِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ طَرَائِقُ أَرْبَعَةٌ تَمَثَّلَتْ فِي كُلِّ مَنْ :
(التماثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار) وقد سبق لنا تفصيل القول في كل منها على

-
- (١) غافر : ٦ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٣/٧ (من الفهرس) .
(٣) غافر : ١٨ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ (من الفهرس) .
(٥) غافر : ١٨ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ (من الفهرس) .
(٧) غافر : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٤/٧ (من الفهرس) .
(٩) غافر : ٤٧ - ٤٨ (آيتان) .
(١٠) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٦/٧ (من الفهرس) .
(١١) غافر : ٨٢ .
(١٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٨٣٧/٧ (من الفهرس) .

حَدَّة ، وذلك من حيث استخدام الشنقيطى لها ، وشواهدة عليها ؛ ومع ذلك فقد يلجأ الشنقيطى أحياناً إلى الجمع بين هذه الطرق في مَعْرِضٍ تفسيره للقرآن بالقرآن ، غير أن أبرز هذه الطرق من حيث جمعه بينها فإنه يتمثل فى كل من : (التماثل مع الإحالة) ثم (الإيضاح مع الإحالة) وذلك كما يلي :

١- الجمع بين التماثل والإحالة :

وذلك فى مَعْرِضٍ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّارٍ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الآيتان^(١) .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ (التماثل) من خلال ذكره الآيات المماثلة لمعنى هذه الآية فيقول : وما ذكره الله تعالى هنا من الأمر بالتقوى ، ذكره فى مواضع كثيرة جداً من كتابه كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ الآية^(٢) والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً^(٣) .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (التماثل) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قبل فى مواضع أخرى من تفسيره فيما يتعلق بمعنى تقوى الله تعالى حيث يقول ما نصه : وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قد أوضحنا فيما مضى معنى التقوى بشواهدة العربية ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا^(٤) .

ب - الجمع بين الإيضاح والإحالة :

وذلك فى مَعْرِضٍ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)﴾ الآيتان^(٥) .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ (الإيضاح) من خلال ذكره الآيات التى تُوضِّحُ أن خَلْقَ النوعين الذكر والأنثى إنما يُستدل به على قدرة الله سبحانه على بَعَثِ خَلْقِهِ ، كما يُستدل به على أن الله سبحانه لم يخلق الإنسان إلا للتكليف والجزاء ؛ ومن ثم يقول الشنقيطى ما نصه : وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الاستدلال بخلْقِ النوعين أعنى الذكر والأنثى من النطفة ، قد جاء مُوضَّحاً فى غير هذا الموضع ، وأنه يُستدل به على أمرين هما : قدرة الله على البعث ، وأنه ما خلق الإنسان إلا ليكلفه ويجازيه .

(٢) النساء : ١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥ .

(١) الحج : ١ - ٢ (آيتان) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٥ .

(٥) النجم : ٤٥ - ٤٦ (آيتان) .

وقد جمع كلا الأمرين قول الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّنِي يَمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)﴾ الآيات^(١) فذكر دلالة ذلك على البعث في قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ وذكر أنه ما خلقه ليهمله من التكليف والجزاء ، مُنْكَرًا عَلَى مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى مُهْمَلًا مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْجِزَاءِ^(٢) .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (الإيضاح) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قبل في مواضع أخرى من تفسيره حيث يقول ما نصه : وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة (الفرقان) عند الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الآية^(٣) .

* * *

•• وبعد :

فإنه يتضح لنا مما سبق أن تفسير (القرآن بالقرآن) إنما يعدُّ الأساس الأول الذى يقوم عليه بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، من حيث اعتماده عليه ، ورجوعه إليه ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرضُ له من تفسير ؛ ومن ثم فقد اقتضت الضرورة المنهجية أن نفضّل القول فى هذا الصدد نظرًا لما فى ذلك ما فيه من (الأولوية والأهمية) .

(١) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧١٢ .

(٣) الفرقان : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٧١٢ .

المبحث الثاني تفسير القرآن بالسُّنة

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .
- ٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسألتين التاليتين :

- ١ - المسألة الأولى : اتفاق أغلب العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنيطي .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالسُّنة من حيث كونها الخطوة الثانية ، والمرحلة التالية ، بعد تفسير القرآن بالقرآن ، وهذا ما نعرض له مسن خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

اتفاق أغلب العلماء

يذهب أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، على أن أعظم وأجل ما يُفسر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو سُنَّة رسول الله ﷺ ومن ثم فقد نصّوا على أن تفسير القرآن بالسُّنة إنما يعد المصدر الثانى للتفسير ؛ ولذا فقد كان (من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم أن يفسر القرآن بكل من القرآن والسُّنة)^(١) .

• موقف الشنقيطى:

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفًا واضحًا ليوافق به إجماع أغلب العلماء على أن ثانى ما يجب أن يفسر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو السُّنة المطهرة ؛ وذلك لما يراه من منزلة السنة ، وأهمية موقعها من القرآن ؛ من حيث كونها شارحة لما خفى من معناه ، وموضحة لما أشكل من فهمه .

الأمر الذى لا يمكن معه الاستغناء عن السُّنة بالقرآن ؛ بل ويبيّن فى الوقت ذاته سقوط دعوى مَنْ يقولون به ، فيُبطِلُ مذهبهم ، ويدحضُ افتراءهم ، من أمثال طائفة (القرآنيين) ومَنْ شايَعَهُمْ^(٢) ولقد دَلَّل الشنقيطى على موقفه هذا واحتج له فى مقدمة تفسيره ، فضلاً عن تصريحه به فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

١ - فى مقدمة التفسير :

حيث يقول الشنقيطى ما نصه : واعلم أن مما التزمنا فى هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مُبينٌ من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان ؛ فإننا نتمم البيان من السُّنة من حيث إنها تفسير للمُبين ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ الآية^(٣) فقد أشار سبحانه إلى أوقاتها فى قوله تعالى : ﴿ أقيم الصَّلَاةَ لِذِكْرِكِ

(١) منزلة السُّنة فى الإسلام : محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٢ .

(٢) انظر ردنا على هذه الطائفة بأدلتنا من القرآن والسُّنة تحت عنوان : (ضلال طائفة القرآنيين)

ص من هذا البحث .

(٣) النساء : ١٠٣ .

القسم الثاني : الباب الاول : السُّنة الاولى : الجمع بين المأثور والمقول _____ الفصل الاول : تفسير القرآن بالمأثور

الشمس ﴿ الآية (١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الآية (٣) على ما ذكره جمع من العلماء من أنها أوقات الصلاة .

وكقول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الآية (٤) على القول بأنها فى الزكاة وأنها غير منسوخة ؛ فإنها تشير لها آيات الزكاة كقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ الآية (٦) .

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية (٧) فإن القرآن قد زيد فيه على هذا الحصر تحريم الخمر ؛ ومن ثم فإننا نبين ما زاده ﷺ بالسنة الصحيحة .

فمثل هذه المسائل بنيتها بياناً تاماً بالسنة تبعاً للبيان القرآن^(٨) .

٢ - فى ثنایا التفسیر :

لا يفتأ الشنقيطى أن يكرر إشارته إلى ما ضمَّنه مقدمة تفسيره ، حيث يؤكد ذلك فى غير موضع من ثنایا تفسيره المختلفة قائلًا ما نصه :

أ - وقد قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية إن كان لها بيان فى كتاب الله غير واف بالمقصود ؛ فإننا نتمم ذلك البيان من السنة ، فنبيِّن الكتاب بالسنة من حيث إنها بيان للقرآن المبيِّن^(٩) .

ب - اعلم أن الآية قد يكون لها بيان من الكتاب قد أوضحتها السنة ؛ فصار بضميمة السنة إلى القرآن بياناً وافياً بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبیه ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية (١٠) .

(٢) هود : ١١٤ .

(١) الإسراء : ٧٨ .

(٤) الأنعام : ١٤١ .

(٣) الروم : ١٧ .

(٥) البقرة : الآيات (٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-٢٧٧) - وقد تكررت هذه الآية بلفظ (آتى) ومشتقاته ثنتين وثلاثين مرة من خلال تسع عشرة سورة بما فى ذلك المواضع الخمسة المشار إليها هنا فى سورة البقرة .

(٧) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) البقرة : ٢٦٧ .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٩١ (من المقدمة) .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/١٩٤ .

(١٠) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/١٨١ .

القسم الثاني : الباب الأول : السُّمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول _____ الفصل الأول : تفسير القرآن بالمأثور

جـ - وأخيراً يؤكد الشنقيطي هذا الأصل بهذه الجملة الصريحة الموجزة فيقول : وخير ما يُفسَّرُ به القرآن هو كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ (١) .

* * *

● ● ويعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بالسُّنة يأتي في المرتبة الثانية عند الشنقيطي بعد تفسير القرآن بالقرآن ذاته ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليه رأى أغلب المحققين من العلماء المعتبرين ؛ وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظريّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٦٥-٥/٤٩٢ (موضعان) .

المطلب الثاني التطبيق العملي

ويتنظم الطريقتين التاليتين :

- ١ - الطريقة الأولى : الجمع بين القرآن والسنة .
- ٢ - الطريقة الثانية : الاكتفاء بالسنة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والذى يُجسّدُ من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعقيده النظرى ؛ وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى جملة من الشواهد التى نعرّض لها بالتفصيل من خلال الطريقتين التاليتين :

الطريقة الأولى

الجمع بين القرآن والسُّنة

ولا يلجأ الشنقيطى إلى هذا الجمع بين القرآن والسُّنة فى تفسير الآية التى هو بصدها إلا فى حالتين اثنتين :

١ - لإكمال الدلالة :

وذلك حينما يرى أن القرآن غير واف بالمقصود من تفسير الآية التى هو بصدها ؛ وعندئذ يعمّد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إكمال دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذى يريده ، والوجه الذى يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تبييناً به على غيره كشاهد على منهج الشنقيطى فى جمعه بين القرآن والسُّنة لتفسير الآية التى هو بصدها ؛ وقد اكتفينا بهذا المثال دزن غيره نظراً لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورد به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ﴿ الآيتان^(١) نراه يقول ما نصه : اعلم أولاً أنا قد قدّمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفى بإيضاح المقصود ، وقد بيّنه النبي ﷺ فإننا نتمم بيانه بذكر السُّنة المبيّنة له ، فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هاتين الآيتين الكريميتين لهما بيان من الكتاب أوضحته السُّنة ؛ فصار بضميمة السُّنة إلى القرآن بياناً وافياً بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية^(٢) .

(١) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) .

(٢) النحل : ٤٤ .

فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هذه الآية الكريمة^(١) وآية الأنبياء^(٢) قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه (ذو القرنين) دون (يأجوج ومأجوج) إنما يجعله الله دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه ؛ وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة ؛ لأنه قال تعالى هنا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَمَجَمَّعَهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان^(٣) .

وأظهر الأقوال في الجملة المُقدِّرة التي عَوَّضَ عنها التنوين في «يَوْمَئِذٍ» من قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ أنه (يوم إذا) جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض ، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم .

وآية الأنبياء المشار إليها هي قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ بِأُجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان^(٤) لأن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ بِأُجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ ﴾ وإتباعه ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يدل في الجملة على ما ذكرنا في تفسير آية الكهف التي نحن بصدها ، وذلك يدل على بطلان قول مَنْ قال : إنها (روسية) وإن السد فُتِحَ منذ زمان طويل .

فإذا قيل : إنما تدل الآيات المذكورة في (الكهف) و (الأنبياء) على مطلق اقتراب يوم القيامة من ذلك السد واقترابه من يوم القيامة ، لا يتنافى كونه قد وقع بالفعل كما قال الله تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الآية^(٥) وقال تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ الآية^(٦) كما قال النبي ﷺ : «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب ؛ فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلَّقَ بأصبعيه : الإبهام والتي تليها» الحديث^(٧) وقد

(١) ويقصد بذلك آيتي الكهف السابقتين .

(٢) ويقصد بذلك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ بِأُجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان .

(٣) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) . (٤) الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٥) الأنبياء : ١ . (٦) القمر : ١ .

(٧) أخرجه البخارى في أربعة مواضع من صحيحه - انظر في ذلك (فتح البارى) على النحو التالى :

(كتاب ٦٠) الأنبياء (باب ٧) قصة يأجوج ومأجوج - ٣٨١/٦ حديث رقم (٣٣٤٦) - ثم

(كتاب ٦١) المناقب (باب ٢٥) علامات النبوة في الإسلام - ٦١١/٦ حديث رقم (٣٥٩٨) - ثم (كتاب

٩٢) الفتن (باب ٤) قول النبي ﷺ : «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب» - ١١/١٣ حديث رقم

(٧٠٥٩) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٢٨) يأجوج ومأجوج - ١٠٦/١٣ حديث رقم (٧١٣٥) -

(طبع السلفية) .

قدّمناه في سورة المائدة^(١) .

فقد دلّ القرآن والسُّنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذُكرَ لا يستلزم اقترانه به ، بل يصحّ اقترابه مع مُهَلَّةٍ ؛ وإذاً فلا ينافي ذلك السَّدُّ الماضى المزعوم الاقتراب من يوم القيامة ؛ ومن ثم فلا يكون فى الآيات المذكورة دليل على أنه لم يُدكَّ السَّدُّ حتى الآن ، فالجواب هو ما قدمنا من أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافياً بتمام الإيضاح إلا بضميمة السُّنة له ؛ ولذلك فقد ذكرنا أننا نتمم مثله من السُّنة لأنها مبيّنة للقرآن .

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنى يحيى بن جابر الطائى (قاضى حمص) حدثنى عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفيير الحضرمى : أنه سمع النّوّاس بن سمعان الكلابىّ (ح) .

وحدثنى محمد بن مهران الرازى (واللفظ له) حدثنى الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائى ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه جبير بن نفيير ، عن النّوّاس بن سمعان قال :

«ذكر رسول الله ﷺ الدّجال ذات غداة ، فحَفَضَ فيه ورَفَعَ حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رُحنا إليه عَرَفَ ذلك فينا ؛ فقال : ما شأنكم ؟! قلنا : يا رسول الله ذكرت الدّجال غداة فحفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ! فقال : غير الدّجال أخوفنى عليكم ! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم .

= وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراط الساعة (باب ١) اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج - ٢٢٠٧/٤ - حديث رقم (٢٨٨٠) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد فى مسنده : ٤٢٨/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٣) - ٤٢٨/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٤) - ٤٢٩/٦ - حديث رقم (٢٧٤٥٦) - (طبع قرطبة) .

● ويلاحظ أن كل مواضع التخريج المذكورة هنا تبدأ بـ : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب» ما عدا الحديث رقم (٢٧٤٥٦) فى (مسند أحمد) فيبدأ بـ : «ويل للعرب» .
(١) حيث أورد الحديث المذكور فى مَعْرِضٍ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلِمْتُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة : ١٠٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٦٩/٢ .

إنه شاب قَطَطٌ^(١) عينه طَافِئَةٌ^(٢) كأنى أشبهه بـ (عبد العزى بن قطن) فمن أدركه منكم فليقرأ عليه (فواتح سورة الكهف) إنه خارجُ خَلَّةٍ^(٣) بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالاً ، يا عبادَ الله فاثبتوا .

قلنا : يا رسول الله ، وما لُبُّهُ فى الأرض ؟ قال : أربعون يوماً ، يوم كَسَنَةٌ ، ويوم كَشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم^(٤) قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كَسَنَةٌ ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، أقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما إِسْرَاعُهُ فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبيون له ؛ فيأمر السماءَ فتمطر ، والأرضَ فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرّاً ، وأسبغه ضروعاً ، وأمدّه خَوَاصِرَ ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمَحْلِينَ^(٥) ليس بأيديهم شىء من أموالهم ، ويمرُّ بالخرِبةِ^(٦) فيقول لها : أخرجى كنوزك ، فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل^(٧) ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمِيَّةَ الغرض^(٨) ثم يدعو فيقبل ويتهلل ووجهه يضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق

- (١) قَطَطٌ : أى ذو شَعْرٍ جَعْدٍ متموجٍ قصير بما يشبه شَعْرَ الزنوج ، ومنه قولهم : (رَجُلٌ قَطٌّ وَقَطَطٌ والجمع أَقَطَّاطٌ وَقَطَّاطٌ وَقَطُونٌ وَقَطَطُونٌ) وكذا قولهم : (امرأة قَطَّةٌ وَقَطَطٌ والجمع قَطَّاطَاتٌ) - انظر مادة (قَطَطٌ) فى كل من لسان العرب : ٣٥٧١/٥ - المعجم الوسيط : ٧٧٣/٢ .
- (٢) طَافِئَةٌ : أى خامدة لا بريق لها ، وناتئة بارزة فوق وجهه بما يشبه الشىء الطافى فوق سطح الماء - انظر مادة (طَافِئَةٌ) فى كل من لسان العرب : ٢٦٨٤/٤ - المعجم الوسيط : ٥٨٠/٢ .
- (٣) خَلَّةٌ : أى الأرض المملوءة بـ (الشوك) وهى مَرَعَى للإبل التى يقال لها : (إِبِلُ الخَلَّةِ) حتى إذا ما مَلَّتْ هذا الطعام من الشوك ؛ تم تحويلها إلى أرضٍ أخرى ذات نباتٍ وشجرٍ لترعى فيها - انظر مادة (خَلَّلَ) فى كل من لسان العرب : ١٢٤٨/٢ - المعجم الوسيط : ٢٦١/١ .
- (٤) وَرُسْتَبَطُ من هذا الحديث أن مدة مكثِ الدجال فى الأرض تصل فى جملتها إلى ما يقرب من أربعمئة وأربعين يوماً بحساب أيامنا الآن .
- (٥) مُمَحْلِينَ من المَحْلِ : وهو القَحْطُ والشِدَّةُ والجوع الشديد ، والجمع : (أَمَحَالٌ وَمُحُولٌ) - انظر مادة (مَحَلٌّ) فى لسان العرب : ٤١٤٧/٥ .
- (٦) الخَرِبةُ : موضع الهدم والخراب وهو ضد البناء والعمران ، والجمع : (خَرِبَاتٌ) وانظر مادة (خَرِبَ) فى لسان العرب : ١١٢١/٢ .
- (٧) يَغَاسِيبُ النحل : جمع (يَعْسُوب) وهو ذَكَرُ النحل وأميرها الذى تجتمع حوله إناث النحل وغيرها - انظر مادة (عَسَبَ) فى لسان العرب : ٢٩٣٥/٤ .
- (٨) رَمِيَّةُ الغَرَضِ : أى كرمية الصياد التى يصيب بها هدفه - انظر مادة (رَمَى) فى لسان العرب : ١٧٣٩/٣ .

بين مَهْرُودَتَيْنِ^(١) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ ، وإذا رفعه تحدّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ^(٢) فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه يتسهى حيث يتتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ^(٣) فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه ؛ فيمسح عن وجوههم ، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عبداً لآيدانٍ لأحدٍ بقتالهم ؛ فحرّز عبادي إلى الطور .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمرّ أوائلهم على بحيرة (طبرية) فيشربون ما فيها ، ويمرّ آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصّر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم .

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله عليهم النَّعْفَ^(٤) في رقابهم ؛ فيصبحون فرسى^(٥) كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم^(٦) وتنتهم^(٧) ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله طيراً كأعناق البخت^(٨) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر^(٩) فيغسل الأرض حتى يتركها

(١) مَهْرُودَتَيْنِ : أى فى ثوبين مصبوغين باللون الأصفر كلون الزعفران وما شابهه - انظر مادة (هرد) فى لسان العرب : ٤٦٤٨/٦ .

(٢) جُمَانٌ : جمع (جُمَانَة) وهى الحبة التى تصنع من الفضة على شكل اللؤلؤ ، وقد شبهت بها حبات عرق النبي ﷺ - انظر مادة (جَمَن) فى لسان العرب : ٦٨٩/١ .

(٣) (لُدٌّ) و (اللُدُّ) : اسم رملة بالشام ، وقيل بفلسطين - انظر مادة (لَدَد) فى لسان العرب : ٤٠١٩/٥ .

(٤) النَّعْفُ : الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم ، وهى جمع (نَعْفَة) - انظر مادة (نَعْف) فى لسان العرب : ٤٤٨٩/٦ .

(٥) فرسى : أى قتلى ، وهى جمع (فريس) كقتيل ، ومنه قولهم : (فرس الذئب الشاة وافترسها) إذا قتلها ، والأصل فيه قولهم : (فرس الذبيحة يفرسها فرساً) إذا قطع نخاعها وفصل عنقها ، و (الفرس) دق العنق ، ثم كثر حتى جعل كل قتل فرساً - انظر مادة (فرس) فى لسان العرب : ٣٣٧٨/٥ .

(٦) زهمهم : من (الزهمومة) وهى رائحة اللحم السمين المنن ، والمعنى : أن الأرض سوف تتن من رائحة جيفهم الكريهة المتغيرة - انظر مادة (زهم) فى لسان العرب : ١٨٨١/٣ .

(٧) البخت والبختية : هى الإبل الخراسانية ، وقيل : إنها عربية ، وهى إبل طوال الأعناق ، الجمل الواحد منها (بختى) والناقة منها (بختية) والجمع (بخت وبخات) وقيل : (بخاتى وبخاتى) - انظر مادة (بخت) فى لسان العرب : ٢١٩/١ .

(٨) مدر : أى قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العلك أى اللين الذى لا رمل فيه ، ووحداته (مدرة) - انظر مادة (مدر) فى لسان العرب : ٤١٥٩/٥ .

وبر : أى صوف الإبل والأرانب ونحوها ، ووحدته (وبرة) والجمع (أوبار) - انظر مادة (وبر) =

كالزَّلْفَةِ^(١) ثم يقال للأرض: انبتى ثَمَرَكَ ، ، وردى بَرَكَتِكَ ؛ فيومئذ تَأْكُلُ الْعِصَابَةَ مِنَ الرُّمَانَةِ^(٢) ويستظلون بِقَحْفِهَا^(٣) وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ^(٤) حتى إِنَّ اللَّقْحَةَ^(٥) من الإبل لتكفى الفَتَامَ^(٦) من الناس، واللَّقْحَةَ من البقر لتكفى القَيْبِلَةَ^(٧) من الناس ، واللَّقْحَةَ من الغنم لتكفى الفَخْدَ^(٨) من الناس .

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض رُوحَ كل

= فى لسان العرب : ٤٧٥٢/٦ .

والمعنى : أى جميع البُيُوت ، سواء ما كان منها مبنياً من الطين اللين والطوب اللبن النقيّ فى الحَضْر والخَضْرَاء ، أو ما كان مصنوعاً منها من الصوف ونحوه على هيئة خيام فى البادية والصحراء .

(١) الزَّلْفَةُ : أى أن المطر ينزل على الأرض فيجعل منها أغادير وعمرات مملوءة بالماء ؛ فتصير الأرض كأنها مَصْنَعَةٌ من مصانع الماء ، فضلاً عن استوائها ونظافتها كالمرآة ، وكذا نُضْرَتُهَا وخُضْرَتُهَا كالرَوْضَةِ - انظر مادة (زَلَف) فى لسان العرب : ١٨٥٣/٣ .

(٢) العِصَابَةُ والعُصْبَةُ : الجماعة من الناس من عشرة إلى أربعين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ يوسف : ١٤ - انظر مادة (عَصَب) فى لسان العرب : ٢٩٦٣/٤ .

الرُّمَانَةُ : واحدة (الرُّمَان) وهو حَمْلٌ أو ثَمْرُ شَجَرَةٍ معروفة من الفواكه ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن : ٦٨ - انظر مادة (رَمَن) فى لسان العرب : ١٧٣٩/٣ .

والمعنى : أن البركة ستعم آنذاك إلى الحد الذى تكفى فيه الرُّمَانَةُ الواحدة العِصَابَةَ الكثيرة من الناس .

(٣) بِقَحْفِهَا : أى بقشر شجرة الرُّمَان الذى يستظلون بظله ، وذلك تشبيهاً له بِقَحْفِ الرَأْس الذى فوق الدَّمَاع - انظر مادة (قَحَف) فى لسان العرب : ٣٥٣٧/٥ .

(٤) الرَّسْلُ : القطيع من كل شئ فى حدود عشرة من أفرادهِ ، والجمع (أَرْسَال) - انظر مادة (رَسَل) فى لسان العرب : ١٦٤٣/٣ .

(٥) اللَّقْحَةُ واللَّقْحَةُ : الأنتى التى توشك أن تلد من النوق أو البقر أو الغنم ، ثم الغزيرة اللبن بعد الولادة ، ولا يزال ذلك اسمها حتى ينفصل عنها وليدها ، والجمع (لِقْحٌ وَلِقَاحٌ) - انظر مادة (لِقْح) فى لسان العرب : ٤٠٥٧/٥ .

(٦) الفَتَامُ : أى الجماعة من الناس ، ولا واحد له من لفظه ، والعوام ينطقونه (فِيَام) بلا همز - انظر مادة (فَام) فى لسان العرب : ٣٣٣٦/٤ .

(٧) القَيْبِلَةُ : هى الجماعة من أب واحد ، أو الجماعة من قبائل العرب وغيرهم من سائر الناس - انظر مادة (قَيْل) فى لسان العرب : ٣٥١٦/٥ .

(٨) الفَخْدُ : هم نَفَرُ الرجل من حيِّهِ الذين هم أقرب عشيرته إليه ، والجمع (أَفْخَاد) والترتيب من الأقل إلى الأكثر هو : (الفَخْدُ - البَطْن - العِمَارَةُ - الفَصِيلَةُ - القَيْبِلَةُ - الشَّعْبُ) - انظر مادة (فَخْد) فى لسان العرب : ٣٣٦٠/٥ .

مؤمن وكسل مسلم، ويبقى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا^(١) تَهَارُجَ الْحُمْرِ^(٢) فعليهم تقوم الساعة « انتهى بلفظه من (صحيح مسلم) رحمه الله تعالى .

وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريحَ النبي ﷺ بأن الله يوحى إلى عيسى بن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال ؛ فَمَنْ يَدْعِي أَنَّهُمْ (رُوسِيَّة) وَأَنَّ السَّدَّ قَدْ ائْتَدَّ مِنْذُ زَمَانٍ ؛ فَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُخَالَفَةٌ صَرِيحَةٌ لِوَجْهِ لَهَا ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ خَبْرٍ نَاقِضٍ خَبْرَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ فَهُوَ بَاطِلٌ ؛ لِأَنَّ نَقِيضَ الْخَبْرِ الصَّادِقِ كَاذِبٌ ضَرُورَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ شَيْءٌ يَعَارِضُ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي رَأَيْتَ صِحَّةَ سُنَّتِهِ ، وَوَضُوحَ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَقْصُودِ^(٣) .

ب - لإيضاح الدلالة :

وذلك حينما يرى الشنقيطي اشتراك كل من القرآن والسُّنة في ذات الدلالة على المقصود من الآية التي هو بصدددها ؛ وعندئذ يعمد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إيضاح دلالتها ، وإفاء معناها ، على النحو الذي يريده ، ووفق الوجه الذي يذهب إليه ، على أنه لا يفتأ يشير من خلال ذلك إلى جمعه بين القرآن والسُّنة الصحيحة في تفسيره للآية التي هو بصدددها ، ومُعلِّلاً لذلك بأن كلاً من القرآن والسُّنة يدلان معاً على المقصود منها في محل تفسيره لها .

وفيما يلي نكتفي بذكر المثال التالي تنبيهاً به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطي في جمعه بين القرآن والسُّنة لإيضاح دلالة الآية التي يعرض لها بالنفسير ، وقد اكتفينا بهذا المثال دون غيره نظراً لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصددده ؛ ومن ثم فسوف نورد بطوله وتمامه على النحو الذي أورده به الشنقيطي في موضعه من التفسير كما يلي :

(٧) يَتَهَارَجُونَ : أى يَكْتُرُونَ وَيَتَخَالَطُونَ وَيُقْتَتُونَ فَيَقَاتِلُونَ وَيَتَنَاقِحُونَ أَوْ يَتَسَافِدُونَ كَتَنَاقَحَ وَتَسَافَدِ الْبَهَائِمِ

- انظر مادة (هَرَج) في لسان العرب : ٤٦٤٧/٦ .

(٨) الْحُمْرُ : هى خيبر الإبل ، ومنه قولهم : (حُمِرُ النَّعَمِ) - و (تَهَارُجُ الْحُمْرِ) أى كثرتها واختلاطها وتقاتلها وتناكحها أو تسافدها - و (الْحُمْرُ) جمع (أَحْمَر) - انظر مادة (حَمِر) فى لسان العرب :

- ٩٨٩/٢ .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطي ١٨١/٤ - ١٨٥ (خمس صفحات) - والحديث المذكور أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراف الساعة (باب ٢٠) ذكر الدجال وصفته وما معه - ٢٢٥٠/٤ حديث رقم (٢٩٣٧) - (طبع الحلبي) - وقد أخرجه أحمد فى مسنده : ١٨١/٤ حديث رقم (١٧٦٦٦) - (طبع قرطبة) - كما أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب ٣٤) الفتن (باب ٥٨) ما جاء فى فتنة الدجال - ٤٤٢/٤ حديث رقم (٢٢٤٠) - (طبع العلمية) .

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ الآية^(١) نراه يقول ما نصه : واعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً فى هذه الآية قائلين : إنها تدل على أنه ينبغى التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل فى عموم من يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة فى ذلك ، كما يذكرون أحوال (أهل الصفة) وما لاقوه من شدة العيش .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله تعالى فى معنى هذه الآية هو أنها فى الكفار ، وليست فى المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التى أباحها الله لهم ؛ لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم ، وإنما قلنا : إن هذا هو التحقيق ؛ لأن الكتاب والسنة الصحيحة دالان عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية^(٢) .

أما كون الآية فى الكفار فقد صرح الله تعالى به فى قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ الآية^(٣) والقرآن والسنة الصحيحة قد دلأ على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع ، مخلصاً فيه لله كالكافر الذى يبرئ والديه ، ويصل الرحم ، ويقرى الضيف ، ويتنفس عن المكروب ، ويعين المظلوم ، يتغنى بذلك وجه الله ؛ يثاب بعمله فى دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ، ونحو ذلك ، ولا نصيب له فى الآخرة .

ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نَوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان^(٤) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ الآية^(٥) وقد قيد الله تعالى هذا الثواب الدنيوى المذكور فى الآيات بمشيئته وإرادته فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ﴾ الآية^(٦) .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن النبى صلوات الله عليه قال : «إن الله لا

(٢) النساء : ٥٩ .

(٤) هود : ١٥-١٦ (آيتان) .

(٦) الإسراء : ١٨ .

(١) الأحقاف : ٢٠ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ .

(٥) الشورى : ٢٠ .

يظلم مؤمناً حسنة يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها» هذا لفظ مسلم في (صحيحه) الحديث^(١) وفي لفظ له عن رسول الله ﷺ : «إن الكافر إذا عمل حسنة أطمعَ طُعْمَةً بها في الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته» الحديث^(٢) . فهذا الحديث الثابت عن النبي ﷺ فيه التصريح بأن الكافر يُجَارَى بحسناته في الدنيا فقط ، وأن المؤمن يُجَارَى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً .

وبمقتضى ذلك يتعين تعييناً لا مَحِيصَ عنه أن الذي أذهب طيباته واستمتع بها هو الكافر ؛ لأنه لا يُجَزَى بحسناته إلا في الدنيا خاصة ، وأما المؤمن الذي يُجَزَى بحسناته في الدنيا والآخرة معاً ؛ فلم يُدْهَبْ طيباته في دنياه ، لأن حسناته مُدْخَرَةٌ له في الآخرة مع أن الله يشبه عليها في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الآيتان^(٣) فجعل المخرج من الضيق له ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ثواباً في الدنيا ، وليس يُنْقُصُ أجر تقواه في الآخرة .

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة ، وعلى كل حال فالله جلّ وعلا قد أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات في الحياة الدنيا ، وأجاز لهم التمتع بها ، ومع ذلك جعلها خاصة بهم في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية^(٤) .

فدكّ هذا النص القرآني على أن تتمتع المؤمنون بالزينة والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا لم يمنعمهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة ، وهو صريح في أنهم لم يُدْهَبُوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ؛ ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا ك : (أصحاب الصفة) يكون لهم أجر زائد على ذلك ؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد كما هو معلوم^(٥) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار (باب ١٣) جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا - ٢١٦٢/٤ حديث رقم (٢٨٠٨) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد في مسنده : ١٢٣/٣ حديث رقم (١٢٢٥٩) - ١٢٥/٣ حديث رقم (١٢٢٨٦) - ٢٨٣/٣ حديث رقم (١٤٠٥٠) - (طبع قرطبة) .

(٢) نفس تخريج مسلم في الحديث السابق .

(٤) الأعراف : ٣٢ .

(٣) الطلاق : ٢-٣ (آيتان) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٢٩٣-٢٩٥ (ثلاث صفحات) .

الطريقة الثانية

الاكتفاء بالسنة

ولا يلجأ الشنقيطي إلى الاكتفاء بالسنة في تفسير الآية التي هو بصددتها إلا عندما لا يكون لها مَبِينٌ من القرآن ذاته ؛ ومن ثم يَعْمَدُ إلى السنة لبيان المراد من الآية ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين أولهما : تمهيد بين يدي الآية بالإشارة إلى تفسيرها بالسنة ، وأما ثانيهما : فعدم تمهيد ذلك ، بل شروعه مباشرة في تفسير الآية بالسنة ، وذلك على النحو التالي :

١ - تمهيد للتفسير بالسنة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الآية^(١) نراه يشير إلى أنه سَيُقَسِّرُ هذه الآية بما وردت به السنة فيقول ما نصه : ذكر الله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أتى نبيه ﷺ سبعا من المثاني والقرآن العظيم ، ولم يبيِّن هنا ما المراد بذلك ؟ وقد قدّمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة إن كان لها بيان من كتاب الله غير واف بالمقصود ؛ فإننا نتمم ذلك البيان من السنة ، فبيِّن الكتاب بالسنة من حيث إنها بيان للمبين .

وإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن النبي ﷺ قد بيَّن في الحديث الصحيح أن المراد بـ (السبع المثاني والقرآن العظيم) في هذه الآية الكريمة هو : (فاتحة الكتاب) ففاتحة الكتاب ليست مبيّنة للمراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم ؛ وإنما بينت ذلك بإيضاح النبي ﷺ لذلك في الحديث الصحيح :

قال البخاريّ في (صحيحه) في تفسير هذه الآية الكريمة : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلّى قال : مرَّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي ، فدعاني فلم آتِه حتى صليت ، ثم أتيت ؛ فقال : «ما منعك أن تأتيني ؟» فقلت : كنت أصلي ، فقال : «ألم يقل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية^(٢) ثم قال : «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ؟» فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرته ؛ فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية^(٣) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي

(٣) الفاتحة : ٢ .

(٢) الأنفال : ٢٤ .

(١) الحجر : ٨٧ .

أوتيته» الحديث^(١) .

وحدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» الحديث^(٢) فهذا نص صحيح من النبي ﷺ في أن المراد بـ (السبع المثاني والقرآن العظيم) : فاتحة الكتاب ؛ وبه تعلم أن قول من قال : إنها (السبع الطوال) غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه ﷺ .

ومما يدل على عدم صحة ذلك القول أن آية (الحجر) هذه مكية ، وأن (السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى .

وقيل لها : (مثنى) لأنها تُتلى قراءتها في الصلاة ، وقيل لها : (سبع) لأنها سبع آيات ، وقيل لها : (القرآن العظيم) لأنها هي أعظم سورة في القرآن ؛ كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح المذكور آنفاً .

وإنما عطفَ (القرآن العظيم) على (السبع المثاني) مع أن المراد بهما واحد وهو (الفاتحة) لما عُلِمَ في اللغة العربية من أن الشيء الواحد إذا ذُكِرَ بصفتين مختلفتين ؛ جاز عطف إحداهما على الأخرى ، وذلك (تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) ومنه قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾ الآيات^(٣) ومنه أيضاً قول الشاعر :

إلى الملكِ القَرَمِ وابنِ الهَمَامِ وليثِ الكَتِيبَةِ في المَزْدَحَمِ^(٤)

(١) أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه - انظر في ذلك (فتح الباري) على النحو التالي : (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١) ما جاء في فاتحة الكتاب - ١٥٦/٨ - حديث رقم (٤٤٧٤) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال : ٢٤ (استجيبوا : أجبوا - لما يحييكم : لما يصلحكم) - ٣٠٧/٨ - حديث رقم (٤٦٤٧) - ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر : ٨٧ - ٣٨١/٨ - حديث رقم (٤٧٠٣) - ثم (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٩) فضل فاتحة الكتاب - ٥٤/٩ - حديث رقم (٥٠٠٦) - (طبع السلفية) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - انظر في ذلك فتح الباري (كتاب ٦٥) التفسير (باب) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر : ٨٧ - ٣٨١/٨ - حديث رقم (٤٧٠٤) - (طبع السلفية) .
(٣) الأعلى : ١ - ٤ (أربع آيات) .

(٤) أضواء البيان : الشنيطي ٣/١٩٤ - ١٩٥ (صفحتان) .

القَرَمُ: هو السيد والرئيس المعظم، ذو الرأي المقدم بين الرجال ؛ وذلك لعظم شأنه وعلو منزلته، تشبيهاً له بمنزلة الفحل بين الإبل، والجمع (قُرُوم) - انظر مادة (قَرِم) في لسان العرب : ٣٦٠٤/٥ .

ب - عدم تمهيد للتفسير بالسنة :

وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ الآية^(١) نراه يشرح مباشرة في تفسير الآية بما يوضح معناها من السنة فيقول ما نصه : جاء عن النبي ﷺ : أنه سئل عن هذه الآية الكريمة فقيل : كيف يشرح صدره يا رسول الله !؟ فقال ﷺ : «نور يقذف فيه ؛ فيشرح له وينفسح» قالوا : فهل لذلك أمانة يُعرف بها ؟ قال : «الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» الحديث^(٢) . ويدل لهذا قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

= **الهُمَامُ** : اسم من أسماء الملك ، وقد سُمِّيَ به لعظم همته ؛ لأنه إذا همَّ بأمر أمضاه وأنفذه كما أراد ، فلا يردُّ عنه ، ولا يتحول إلى سواه - انظر مادة (هَمَمَ) في (لسان العرب) : ٤٧٠٢/٦ .
لَيْثٌ : أى الأسد ، ويطلق على كل شديد قوى من الرجال ، تشبيهاً لشدته وقوته بـ (لَيْثُ) الأسد) أى شدته وقوته ، والجمع (لَيْثُ) - انظر مادة (لَيْثٌ) في لسان العرب : ٤١١٢/٥ .
الكَتِيبةُ : هى الجيش أو القطعة العظيمة منه ، وقيل : هى جماعة الخيل المجهزة بفرسانها والتي يتراوح تعدادها بين مائة وألف إذا أغارت فى الحروب ، والجمع (كَتَائِبٌ) - انظر مادة (كَتَبَ) فى لسان العرب : ٣٨١٦/٥ .

الْمُرْدَحَمُ : أى مكان اردحام الجنود واجتماعهم تمهيداً لبَدْءِ القتال ، والأصل فيه من (الزُحْمَةُ والزُحَامُ) وهو اجتماع القوم فى مكان واحد يضيّق بهم إلى حد مُدَاقَعَةٍ ومضايقة بعضهم بعضاً - انظر مادة (زَحَمَ) فى لسان العرب : ٣/١٨١٩ .

والشاهد : أن الشاعر قد لجأ هنا إلى العطف بحرف الواو بين هذه الصفات الثلاث مع أنه يصف بها شخصاً واحداً هو (الملك) وذلك إنزالاً لكل صفة منها منزلة مستقلة بها لشخص خاص بها غير الملك ، فكانه بذلك يصف ثلاثة أشخاص مختلفين بهذه الصفات الثلاث المختلفة ، وهذا ما يعنيه الشنقيطى بقوله : (وذلك تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ - انظر (المستدرک على الصحيحين فى الحديث) : للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى ت(٤٥٨هـ = ١٠٦٦م) - ٣١١/٤ - وبذيله (تلخيص المستدرک) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت(٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

كما أخرجه الطبري فى عدة مواضع من تفسيره بطبعته (دار المعارف) و(الخليج) على النحو التالى :
أولاً : مواضع طبعة (دار المعارف) بتحقيق (الأخوين شاكر) : ٩٨/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٢) - ٩٩/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٣) - ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٤) وكلها من طرق عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر المدائنى مُرسلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٠/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٥) من طريق أبى عبيدة عن أبى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ ثم ١٠١/١٢ حديث رقم =

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿الآيَةُ (١)﴾ .

= (١٣٨٥٦) من طريق خالد بن أبى كريمة عن عبد الله بن المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٢/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٧) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ .

ثانيًا : مواضع طبعة (الحلبى) غير المحققة : ٢٧-٢٦/٨ من طرق عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر المدائنى مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق أبى عبيدة عن أبى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق خالد بن أبى كريمة عن عبد الله بن المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤هـ .

كما أخرج ابن أبى حاتم فى موضعين من تفسيره هما : ١٣٨٤/٤ من طرق عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر المدائنى مرسلًا عن رسول الله ﷺ - ثم ١٣٨٤/٤ من طريق عمرو بن مرة عن عبد الله المسور مرسلًا عن رسول الله ﷺ - انظر (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) : للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى المعروف بابن أبى حاتم ت (٣٢٧هـ = ٩٣٩م) - تحقيق : أسعد محمد الطيب - الطبعة ٢ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ملاحظات حول هذا الحديث والحكم عليه :

أولاً : ترجم الحافظ الذهبى لعبد الله بن المسور ذاكراً أنه هو نفسه أبو جعفر المدائنى قائلًا : عبد الله ابن المسور بن جعفر بن أبى طالب ، هو أبو جعفر الهاشمى المدائنى ، ليس بثقة - انظر (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٥٠٤/٢ - ٥١١/٤) - تحقيق : على محمد البجاوى - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م .

ثانيًا : حكّم الشيخ محمود شاكر على الأحاديث أرقام (١٣٨٥٢ - ١٣٨٥٣ - ١٣٨٥٤) بأنها أخبار معلولة ضعاف واهية ، وبعد أن ضَعَفَ أيضًا الحديثين رقمي (١٣٨٥٥ - ١٣٨٥٧) قال ما نصه : فكل ما قاله الحافظ ابن كثير (من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مُرسَّلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا) هو قول ينفية شرح هذه الأسانيد كما رأيت ، والله الموفق للصواب - انظر (تفسير الطبرى) : ٩٩/١٢ - ١٠٢ (بتحقيق الأخوين شاكر - طبع دار المعارف) .

ثالثًا : ضَعَفَ الألبانى هذا الحديث قائلًا : وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف ، لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذى فى جميع طرقه ، وبعضها أشد ضعفًا من بعض ، فليس فيها ما ضَعَفَهُ يسير يمكن أن ينجبر ، وذلك خلافاً لما ذهب إليه ابن كثير ، وإن كان قد قلده فى ذلك جماعة ممن ألقوا فى التفسير ، كالشوكانى فى (فتح القدير) وصديق حسن خان فى (فتح البيان) كما جزم الألوسى فى (روح المعانى) بنسبته إلى رسول الله ﷺ ومن قبله ابن القيم الذى عزاه فى (الفوائد) للترمذى فجاء بهم آخر - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السئ فى الأمة) : للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - ٣٨٣/٢ حيث رقم (٩٦٥) - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(١) الزمر : ٢٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشببى ٢/٢١٠ .

المطلب الثالث التعقيب

ويتنظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : الرواية بالنص .
- ٢ - الملاحظة الثانية : الرواية بالمعنى .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : التخریج .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : بعض الميزات .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : بعض المآخذ .

ويعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسيره للقرآن بالسُّنة ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التي تَرِدُ على ذلك فيما يلي :

الملاحظة الأولى

الرواية بالتص

حيث يورد الشنقيطي معظم الأحاديث بنصها وتامها في معرض تفسيره للآية التي هو بصددها ؛ وخير شاهد على ذلك (حديث الدجال) الذي سبق أن ذكرناه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾ الآيتان^(١) ذلك الحديث الذي أورده الشنقيطي بطوله وتامه من (صحيح مسلم) مفسراً به الآيتين المذكورتين .

الملاحظة الثانية

الرواية بالمعنى

حيث يكتفى الشنقيطي أحياناً بإيراد معنى الحديث دون ذكر نصه في معرض تفسيره لبعض الآيات ، ومن ذلك ما صنعه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَتَاعًا لِّلْمُقْرِنِينَ (٧٣) ﴾ الآيات^(٢) حيث يقول ما نصه : وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً ﴾ أى نذكر الناس بها في دار الدنيا - إذا أحسوا شدة حرارتها - نار الآخرة التي هي أشد منها حرّاً ؛ ليجزوا عن الأعمال المقتضية لدخول النار .

وقد صح عنه عليه السلام : أن حرارة نار الآخرة مضاعفة على حرارة نار الدنيا سبعين مرة ، فهي تفوقها بتسع وستين ضعفاً ، كل واحد منها مثل حرارة نار الدنيا^(٣) .

(١) الكهف : ٩٨ - ٩٩ (آيتان) .

(٢) الواقعة : ٧١ - ٧٣ (ثلاث آيات) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٧٩٦ - والحديث المذكور أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب بدء الخلق (باب) صفة النار وأنها مخلوقة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب) في شدة حر جهنم - (طبع بيروت) .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا بإيراد معنى الحديث دون النص عليه إزاء بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير .

الملاحظة الثالثة

التخریج

إزاء ما يورده الشنقيطى من الأحاديث التى يفسر بها ما يعرض له من الآيات ، فإننا نجده يعتمد أحياناً إلى تخریج هذه الأحاديث برواياتها المختلفة ، كما نراه يعرض أحياناً أخرى عن ذلك مكتفياً بذكر الحديث دون تخریجه ، وذلك دونما سبب واضح ، أو مبرر مقبول ، وفيما يلي نعرض لكلا الحالتين على النحو التالى :

١- فى حالة التخریج :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ الآيتان^(١) حيث نراه يشير من خلال تفسيره لهذه الآية إلى خلاف العلماء بشأن وقت وقوع الزلزلة : هل ستكون بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة^(٢) أم ستكون عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور فى آخر الدنيا ؟

وهنا يذهب الشنقيطى إلى ترجيح القول الأول مؤيداً ذلك بالثابت من حديث رسول الله ﷺ فيقول ما نصه : وأما حجة أهل القول الآخر القائلين بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ، فهى ما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ من تصريجه بذلك ؛ وبه تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى .

قال البخارى رحمه الله فى (صحيحه) فى (التفسير) فى (باب) قوله تعالى : ﴿وتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الآية^(٣) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا

(١) الحج : ١ - ٢ (آيتان) .

(٢) عرصات : جمع (عرصة) وهى كل موضع واسع لا بناء فيه ، ينشط فيه القوم ويتقافزون ، أو يلعب فيه الصبيان فيقبلون ويدبرون - انظر ماده (عرص) فى لسان العرب : ٢٨٨٣/٤ .
والمعنى : أنها أرض الحشر التى يحضر إليها الناس بعد بعثهم من أجدانهم مفزوعين مضطربين ، فيتدافعون مقبلين مدبرين ؛ تمهيداً لبده حسابهم يوم القيامة .

(٣) الحج : ١ .

الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ؛ قال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ؛ فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ؛ فقال النبي ﷺ : من (ياجوج وماجوج) تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، وأنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا (ربيع) أهل الجنة ؛ فكبرنا ، ثم قال : (ثُلث) أهل الجنة ؛ فكبرنا ، ثم قال (شَطْر) أهل الجنة ؛ فكبرنا » الحديث^(١) وفيه تصريح النبي ﷺ بأن الوقت الذى تضع فيه الحامل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، هو يوم القيامة لا آخر الدنيا^(٢) .

وبعد ذلك يتعقب الشنقيطى الروايات المختلفة لهذا الحديث فيخرجها فى (صحيحى البخارى ومسلم) قائلاً :

١ - قال البخارى فى (صحيحه) أيضاً فى (كتاب) : الرقاق ، فى (باب) : زلزلة الساعة شىء عظيم^(٣) .

٢ - وقال البخارى فى (صحيحه) أيضاً فى (كتاب) : بدء الخلق ، فى : (أحاديث) الأنبياء فى (باب) قول الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ سَبِيًّا ﴾ الآيتان^(٤) .

٣ - وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) : الإيمان (بكسر

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ﴾ الحج : ٢ - ٤٤/١٨ حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١١/٥ - ١٢ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ الحج : ١ - وقوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴾ القمر : ١ - ١٩٥/٢٤ حديث رقم (٦٥٣٠) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة ياجوج وماجوج - وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الكهف : ٩٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ سَبِيًّا ﴾ الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - ١٢١/١٣ حديث رقم (٣٣٤٨) .

الهمزة) فى (باب) : كون هذه الأمة نصف أهل الجنة^(١) .

وهكذا نرى الشنقيطى يُخرِّج هذا الحديث برواياته الأربع ، ثلاث منها عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، مورداً كل رواية منها بطولها وعمامها سنداً ومتناً كما أوردها الشيخان^(٢) .

ب - فى حالة عدم التخرىج :

ويشمل عدم تخرىج الشنقيطى هنا نوعين من الأحاديث ، أما أولهما : فتلك الأحاديث التى اشتهرت وذاعت صحتها عند الناس ، وأما ثانيهما : فتلك الأحاديث الأخرى التى لم يُكْتَبَ لها مثلُ هذا الحظ من الشهرة والذيع ، وفيما يلى نَعْرِضُ لكلا النوعين على النحو التالى :

١ - عدم تخریجه للأحاديث الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ الآية^(٣) حيث نراه يتناول إطلاقاً (الفتنة) فى القرآن على أربعة مَعَانٍ^(٤) ذاكراً فى المعنى الثالث منها أنها تُطَلَّقُ على

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من رواية هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - يعنى ابن مسعود - قال : قال لنا رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك : ما المسلمون فى الكفار إلا كشجرة بيضاء فى ثور أسود ، أو كشجرة سوداء فى ثور أبيض» - انظر صحيح مسلم (كتاب الإيمان (باب ٩٥) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة - ٢٠٠ / ١ - حديث رقم (٢٢١) - (طبع الحلبي) .

(٢) راجع نص الروايات الأربع سنداً ومتناً فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١١ / ٥ - ١٣ (ثلاث صفحات) .

(٣) النمل : ٤٧ .

(٤) وعن هذه المعانى الأربعة للفتنة فى القرآن يقول الشنقيطى ما نصه : أطلقت الفتنة فى القرآن على أربعة مَعَانٍ هى :

- الأول : إطلاقها على (الإحراق بالنار) كقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات : ١٣ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ البروج : ١٠ - أى حرقهم بنار الأعداء على أحد التفسيرين ، وقد اختاره بعض المحققين .
- الثانى : إطلاق الفتنة على (الاختبار) وهذا هو أكثرها استعمالاً كقول الله تعالى : ﴿وَنَبِّئْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء : ٣٥ - وقوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿ الجن : ١٧ - ١٨ (آيتان) والآيات بمثل ذلك كثيرة .

(نتيجة الاختبار) إن كانت سيئة كإطلاقها على الكفر والضلال ، وفى ذلك يقول ما نصه :

المعنى الثالث : إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة ، ومن هنا أُطلقت على الكفر والضلال كقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ الآية (١) أى حتى لا يبقى شرك ، وهذا التفسير الصحيح دلّ عليه الكتاب والسنة :

• أما الكتاب : فقد دلّ عليه فى قوله تعالى بعده فى البقرة : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ الآية (٢) وفى الأنفال قوله تعالى : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الآية (٣) فإنه يوضح أن معنى : « لا تكون فتنة » أى لا يبقى شرك ؛ لأن الدين لا يكون كله لله ما دام فى الأرض شرك كما ترى .

• وأما السنة : ففى قوله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » الحديث (٤) فقد جعل ﷺ الغاية التى ينتهى إليها قتاله للناس هى شهادة (أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

- = • الثالث : إطلاق الفتنة على (نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة) ومن هنا أطلقت الفتنة على (الكفر والضلال) وهذا موضع الشاهد الذى نعرض له هنا بالتفصيل .
- الرابع : إطلاق الفتنة على (الحجة) كقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتْنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام : ٢٣ - كما قاله غير واحد ، والعلم عند الله تعالى .
- راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشطي ٤٠٦/٦ - ٤٠٩ .
- (١) البقرة : ١٩٣ . (٢) البقرة : ١٩٣ . (٣) الأنفال : ٣٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لاسن حجر العسقلانى (كتاب ٢) الإيمان (باب ١٧) ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ التوبة : ٥ - ٧٥/١ حديث رقم (٢٥) - (طبع السلفية) - ويلاحظ أن الأجزاء الثلاثة الأولى فقط من هذه الطبعة قد صدرت بتاريخ (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) وجاء مكتوباً على غلافها الداخلى ما نصه : (قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً ، وأشرف على مقابلة نُسَخِ المطبوعة والمخطوطة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض) .

وقد أخرج مسلم الحديث المذكور فى صحيحه من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريره إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة وغيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام - ٥٢/١ حديث رقم (٢١) - وأيضاً من رواية عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما - نفس الكتاب والباب - ٥٣/١ حديث رقم (٢٢) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية أبى هريرة رضي الله عنه - ٣٤٥/٢ حديث رقم (٨٥٢٥) - ومن رواية أنس بن مالك رضي الله عنه - ١٩٩/٣ حديث رقم (١٣٠٧٨) - ٢٢٤/٣ حديث رقم (١٣٣٧٢) - ومن رواية أوس بن أبى أوس الثقفى رضي الله عنه - ٨/٤ حديث رقم (١٦٢٠٨) - (طبع قرطبة) .

وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وهو واضح في أن معنى : «لَا تَكُونُ فِتْنَةً» أى لا يَبْقَى شِرْكٌ .

فالآية والحديث كلاهما دالّ على أن الغاية التي ينتهى إليها قتال الكفار هي ألا يَبْقَى في الأرض شِرْكٌ ، إلا أن الله تعالى قد عبّر عن هذا المعنى بقوله سبحانه : «حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً» وقد عبّر رسوله ﷺ عنه بقوله : « حتى يشهدوا ألا إله إلا الله » فالغاية في الآية والحديث واحدة في المعنى كما ترى^(١) .

٢ - عدم تخريجه للاحادِيث غير الذائِعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى في مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : «فَإِنْ كَانَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ» الآية^(٢) حيث يقول ما نصه : صرّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الاختين ترثان الثلثين ، والمراد بهما الأختان لغير أمّ كأن تكونا شقيقتين أو لأبٍ بإجماع العلماء ، ولم يبيّن هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعداً ، ولكنه أشار تعالى في موضع آخر إلى أن الأخوات لا تزددن على الثلثين ولو بلغ عددهن ما بلغ ، وذلك في قوله تعالى : «فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ» الآية^(٣) ومعلوم أن البنات أمس رحماً ، وأقوى سبباً ، في الميراث من الأخوات ، فإذا كن لا تزددن على الثلثين ولو كثرن ؛ فكذلك الأخوات من باب أولى .

وأكثر علماء الأصول على أن (فحوى الخطاب) أعنى مفهوم الموافقة الذى المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق ، وذلك من قبيل اللفظ ، لا من قبيل القياس ؛ خلافاً للشافعى وقوم آخرين ، وكذلك المسأوى على التحقيق ، فقول الله تعالى : «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ» الآية^(٤) يفهم منه من باب أولى حرمة ضربهما^(٥) .

وهنا يسوق الشنقيطى أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة الأصولية من أحاديث رسول الله ﷺ في إطار تفسيره لآية الميراث المذكورة فيقول ما نصه : وقوله ﷺ : « مَنْ أَعْتَقَ شِرْكَاً لَهُ فِي عِبْدٍ » الحديث^(٦) يفهم منه أن الأمة كذلك ، ولا نزاع في هذا عند جماهير

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٠٨/٦ .

(٢) النساء : ١٧٦ .

(٣) النساء : ١١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩٥/١ - ٤٩٦ .

(٦) أخرجه البخارى في صحيحه من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَعْتَقَ شِرْكَاً لَهُ فِي عِبْدٍ ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ ؛ فَوَمَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ قِيَمَةَ عَدْلٍ ، فَأَعْطَى شِرْكَاءَهُ حَصَصَهُمْ ، وَعَتَقَ عَلَيْهِ الْعَبْدَ ، وَإِلَّا فَسَدَّ عَتَقَ مِنْهُ مَا عَتَقَ » - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤٩) العتق (باب ٤) إذا أعتق عبداً بين اثنين ، أو أمة بين

العلماء ، وإن كان قد خالف فيه بعض الظاهرية^(١) .

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطى قد أعرض عن تخريج هذا الحديث غير الذائع عند الناس هنا ، كصنيعه أيضاً من قبل إزاء عدم تخريجه للحديث الذائع هناك .

الملاحظة الرابعة

بعض الميزات

وبالنظر إلى جملة الأحاديث التى أوردتها الشنقيطى فى مَعْرِضٍ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض الميزات التى تُحَسَّبُ لمنهجها فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتى تتمثل فى كل من :

١ - غلبة النص على المعنى :

ومع أن الشنقيطى يجمع فى تفسيره للقرآن بالسُّنة بين رواية الأحاديث بنصها ، وبين روايتها بمعناها ؛ إلا أن روايته لتلك الأحاديث بنصها سنداً وممتناً يغلب على روايته لها بمعناها وفحواها ، وهذا ما يتضح لنا من خلال بعض الشواهد التى سقناها لكل من (الرواية بالنص) أو (الرواية بالمعنى) .

ب - كثرة الروايات :

يلجأ الشنقيطى إلى حشد ما يستطيعه من رواياتٍ للحديث الواحد من مختلف كتب السُّنة الصحيحة ، وذلك فى مَعْرِضٍ استشاده به إزاء تفسير ما يتناوله من الآيات ؛ وهو

* الشركاء - ١٥١/٥ حديث رقم (٢٥٢٢) - طبع (السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من نفس رواية نافع المذكورة ، إلا أنه أثبت فى لفظه (قيمة العدل) بدلا من (قيمة عدل) - انظر صحيح مسلم (كتاب ٢٨) الأيمان (باب ١٢) من أعتق شركاً له فى عبد - ١٢٨٦/٣ حديث رقم (١٥٠١/٤٧) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه البيهقى فى سننه من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما لكن بلفظٍ آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعتق شركاً فى عبد ؛ فقد عتق كله إن كان للذى عتق نصيبه من المال ما يبلغ ثمنه ، يقيمه عليه قيمة العدل ، فيدفع إلى شركائه أنصباهم ، ويخلي سبيله » - انظر السنن الكبرى : للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (الجوهر النقى) : للعلامة علاء الدين على بن عثمان الماردى الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م) - ٢٧٧/١٠ - الطبعة ١ - دار المعرفة للطباعة والنشر - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٩٦/١ .

يهدف من وراء هذا إلى تعضيد حُجَّتِهِ ، ودعم أدلته ، لتأييد رأيه ، وتأكيده ما يذهب إليه ، من خلال إيراد أكثر من رواية للحديث الواحد ، وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة تنبيهاً بها على غيرها مما يقوم شاهداً على ذلك في ثنايا تفسيره المختلفة .

١ - ما أورده من روايات حديث (السبع المثاني) في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الآية^(١) حيث ذكر روايتي هذا الحديث في (صحيح البخارى) الاولى : عن أبى سعيد بن المعلى ، والثانية : عن أبى هريرة رضي الله عنه .

٢ - ما أورده من روايات حديث (الرجل السمين) في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الآية^(٢) حيث ذكر أن السنة الصحيحة قد دلت على أن معنى هذه الآية يشمل الكافر السمين العظيم البدن الذى لا يزن عند الله جناح بعوضة يوم القيامة .

وإزاء ذلك يورد الشنقيطى ذلك الحديث برواياته الثلاث ، منها اثنتان عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، فيقول :

١ - جاء فى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا » فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الحديث .

٢ - كما جاء فى البخارى أيضاً رواية ثانية لهذا الحديث عن أبى الزناد رضي الله عنه وهى مماثلة لروايته الاولى^(٣) .

٣ - كما جاء فى مسلم رواية ثالثة لهذا الحديث تماثل روايتيه السابقتين عند البخارى^(٤) .

(١) الحجر : ٨٧ . (٢) راجع ذلك ص من هذا البحث .

(٣) الكهف : ١٠٥ - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية المغيرة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٦) «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» الكهف : ١٠٥ - ٤٢٦/٨ - حديث رقم (٤٧٢٩) - (طبع السلفية) .

(٤) أخرجه البخارى أيضاً فى صحيحه معلقاً بقوله : وعن يحيى بن بكير عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه - انظر فتح البارى (نفس الكتاب والباب) - (طبع السلفية) .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه واصلها ما علقه البخارى بقوله : حدثنى أبو بكر بن إسحاق حدثنا يحيى ابن بكير إلى آخر إسناد البخارى المذكور - انظر صحيح مسلم (كتاب ٥٠) صفات المنافقين واحكامهم (مع كتاب) سنة القيامة والجنة والنار - ٢١٤٧/٤ - حديث رقم (٢٧٨٥) - (طبع الخلى) .

ج - عدم الخلط :

ونعنى به دقة الشنقيطى وضبطه من حيث تحريه وعدم خلطه بين ما يورده من أحاديث السنة ، وبين ما يورده بجوارها من أقوال أهل العلم المأثورة ، والتي قد يُوهَمُ ظاهراً بأنها من أحاديث السنة ؛ وذلك نظراً لشيوعها وإلفِ الناس لها ، وذلك على النحو التالى :

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ الآية^(١) يقول ما نصه : ومع أن بعض أهل العلم قال : (إن كل ذنب كبيرة) إلا أن قول الله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿إِلَّا اللَّئِمَّ﴾ الآية^(٣) يدل على عدم المساواة ، وأن بعض المعاصى كبائر ، وبعضها صغائر ، والمعروف عند أهل العلم : أنه (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) والعلم عند الله تعالى^(٤) .

وهكذا يفرق الشنقيطى بين ما هو حديث نبوى وبين ما هو قول مأثور لأهل العلم ؛ الأمر الذى يؤكد ضبطه ودقته إزاء ما يورده من أحاديث السنة فى مَعْرِضِ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ولولا هذا الضبط ، وتلكم الدقة ؛ لوقع الشنقيطى فى الخلط هنا إزاء احتسابه هذين القولين المأثورين : (إن كل ذنب كبيرة) و : (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) من أحاديث رسول الله ﷺ خاصة وأن ظاهرهما قد يُوهَمُ بمثل هذا الخلط المحتمل .

الملاحظة الخامسة

بعض المآخذ

وكما ذكرنا بعض الميزات ؛ فإنه بالنظر كذلك إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى مَعْرِضِ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض المآخذ التى تُحَسَبُ على منهجه فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتي تتمثل فى كل من :

١ - عدم التخريج :

ولقد تمثل ذلك فيما سبق أن أوردناه بشواهد من حيث إعراض الشنقيطى عن تخريج بعض الأحاديث التى يتناولها فى مَعْرِضِ تفسيره لبعض الآيات ، سواء كانت هذه الأحاديث من الذائفة المنتشرة على ألسنة الناس ، أو كانت غير ذلك مما ليس ذائفاً ولا منتشرًا بينهم .

(٢) النساء : ٣١ .

(١) الشورى : ٣٧ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٢٠٠ .

(٣) الحکم : ٣٢ .

ب - الخطأ في التخریج :

حيث يقع الشنقيطي أحياناً في الخطأ من حيث تخريجه بعض روايات الحديث الذي يسوقه في معرض تفسيره للآية ، ومن ذلك ما وقع فيه إزاء خطئه في تخريج إحدى روايات حديث النبي ﷺ الذي يُبشّر فيه بأن (نصف أمته سيدخلون الجنة) حيث يقول الشنقيطي ما نصه :

وقال البخارى في (صحيحه) أيضاً في (كتاب) : **بَدءَ الخَلْقَ ،** في (أحاديث الأنبياء) في (باب) قول الله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾** حتى قوله تعالى : **﴿سَبَّأ﴾** الآيتان^(١) .

وهذا من قبيل الخطأ في تخريج هذه الرواية ، والتي صواب تخريجها عند البخارى هو (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقوله تعالى : **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** الآية^(٢) - وقوله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾** إلى قوله تعالى : **﴿سَبَّأ﴾** الآيتان^(٣) .

ج - النقص في التخریج :

يُخَرِّجُ الشنقيطي أحياناً بعض روايات الحديث تخريجاً ناقصاً عن تخريجها الوارد بكتب السنة المختلفة ، ومن ذلك تخريجه الناقص لإحدى روايات حديث (دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث يقول الشنقيطي ما نصه : قال البخارى في (صحيحه) أيضاً في (كتاب) الرقاق ، في (باب) إن زلزلة الساعة شيء عظيم .

وذلك تخريج ناقص لهذه الرواية ، والتي تمام تخريجها عند البخارى هو (كتاب) الرقاق (باب) قول الله عز وجل : **﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** الآية^(٤) - وقوله تعالى : **﴿أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ﴾** الآية^(٥) - وقوله تعالى : **﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾** الآية^(٦) .

د - عدم ترتيب الروايات :

لا يلتزم الشنقيطي في كثير من الأحيان بترتيب الروايات التي يخرجها للحديث الواحد وفق ترتيب كتبها وأبوابها التي وردت تحتها في مصادرها من كتب السنة المختلفة ؛ وخير شاهد على ذلك تلك الروايات غير المرتبة التي أوردها الشنقيطي لحديث :

(٢) الكهف : ٩٤ .

(٤) الحج : ١ .

(٦) القمر : ١ .

(١) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .

(٥) النجم : ٥٧ .

(دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث ذكر رواياته على النحو التالي :

١ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الآية^(١) .

٢ - (كتاب) الرِّقَاق (باب) قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية^(٢) .

٣ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان^(٣) .

٤ - قال مسلم بن الحجاج رحمه الله في (صحيحه) في آخر (كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) في (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

وكان الأوَّلَى أن يورد الشنقيطي روايات هذا الحديث مرتبة وفق ترتيب كتبها وأبوابها في صحيح البخاري ومسلم اللذين أورداها على النحو التالي :

• روايات البخاري الثلاث :

١ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(٤) - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾^(٥) .

٢ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ الآية^(٦) .

٣ - (كتاب) الرِّقَاق (باب) قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية^(٧) - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾ الآية^(٨) - وقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ الآية^(٩) .

• رواية مسلم الوحيدة :

(آخر كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) في (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

(٢) الحج : ١ .
(٤) الكهف : ٩٤ .
(٦) الحج : ٢ .
(٨) النجم : ٥٧ .

(١) الحج : ٢ .
(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٥) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٧) الحج : ١ .
(٩) القمر : ١ .

هـ - غريب الحديث :

يُعرِّضُ الشنقيطى فى كثير من الأحيان عن شرح الألفاظ الغريبة التى تشتمل عليها مفردات ما يورده من الأحاديث فى مَعْرِضٍ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ وخير شاهد على ذلك حديث (الدَّجَال) الذى اشتمل على (سبعة وعشرين لفظاً لم يتناول الشنقيطى أياً منها بشرح معناه فى اللغة ، أو حتى الإشارة الموجزة إلى مدلوله فى هذا الحديث ؛ الأمر الذى اقتضانا أن نَعْرِضَ لجملة هذه الألفاظ بشرح معناها فى اللغة ؛ ومن ثم توضيح دلالتها فى الحديث .

ولقد تمثلت هذه الألفاظ فى كل من : (قَطَط - طائفة - خُلَّة - مُمحلين - الحَرَبية - يَعَاسيب النحل - رَمِيَّة الغَرَض - مَهْرُودَتَيْن - جُمَان - بَاب لُد - النَّغَف - فَرَسَى - زَهْمَهُم - البُخْت - مَدَر - وَبَر - الزَّلْفَة - العَصَابَة - الرُّمَانَة - بِقْحَفِهَآ - الرِّسْل - اللَّقْحَة - الفِئَام - القَيْلَة - الفِخْد - يَتَهَارِجُونَ - الحُمَر)^(١) .

(١) راجع لتعبير هذه الألفاظ من حيث معناها فى اللغة ، ودلالاتها فى الحديث ، وذلك ص من هذا
السُّمَّة

المبحث الثالث تفسير القرآن بالآثار

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .
- ٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : موقف الشنقيطي من تفسير القرآن بآثار الصحابة .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي من تفسير القرآن بآثار التابعين .
- ٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطي مما يخالف الكتاب والسنة .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بأثار كل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ؛ من حيث كونه الخطوة الثالثة التى تلى تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنة ، وهذا ما نَعْرِضُ له من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بأثار الصحابة

يتفق الشنقيطى مع ما يُطبَّقُ عليه المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، فيما يذهبون إليه من أن أعظم وأجل ما يُفسَّرُ به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة إنما هو تفسيره بأثار الصحابة ؛ وذلك لأنهم يثبتون لتفسير الصحابة حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ على الشرطين التاليين^(١) :

١ - أن يكون تفسيرهم متعلقاً بما لا مجال للرأى فيه مثل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

٢ - ألا يكون الصحابى معروفاً برواية الإسرائيليات ، ومشتهراً بأخذها عمّن أسلموا من أهل الكتاب الذين هم مُنشئوها ومُروِّجوها .

ومن ثم ؛ فإننا نرى الشنقيطى يذهب بدوره مذهب من سبقه من العلماء إزاء إثبات حكم رفع تفسير الصحابة إلى رسول الله ﷺ بل إنه يرى أن حكم الرفع هذا إنما هو زيادة فى وصف الصحابة ﷺ بالعدل والقبول ، وفى ذلك يقول ما نصه : والرفع من زيادات العُدُول ، وهى مقبولة ، وفى ذلك يقول صاحب (مراقى السُّعود) :

والرِّفْعُ وَالْوَصْلُ وَزَيْدُ اللَّفْظِ مقبولةٌ عندَ إمامِ الحِفظِ^(٢)

ويشرح الناظم بيئته هذين فى كتابه أيضاً المسمى : (نشر البنود على مراقى السُّعود)

(١) راجع فحوى هذين الشرطين فى كل من :

- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : د. محمد محمد أبى شهية ص ٧٩ - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة البحوث الإسلامية - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر : للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - ص ٤٣ - مذيلاً بتعليقات نافعة تكمل فوائده للأستاذ : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة) - الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٤١/٢ .

فيقول : يعنى أن الرفع مُقَدَّم عند إمام الحفظ (الذى هو الإمام مالك)^(١) على الوقف عند التعارض بينهما؛ بأن رواه بعض الثقات مرفوعاً إلى النبي ﷺ فى حين رواه بعضهم موقوفاً على الصحابيِّ ﷺ وذلك لأن تقديم الرفع والوصل هو الراجح فى الفقه وأصوله ؛ لأنه من زيادة العدل ، وهذه الزيادة مقبولة عند مالك والجمهور^(٢) .

• لها حكم الرفع ولكن :

والشنىطى وإن كان يذهب مذهب جمهور العلماء فى إثبات حكم رفع تفسير الصحابيِّ إلى رسول الله ﷺ مُقَرَّراً بأن ذلك من وصفه بزيادة العدل ، إلا أنه يشترط فى الوقت ذاته نفس الشرطين اللذين اشترطهما المحققون من العلماء المعتبرين من أن حكم الرفع لا يثبت للصحابة ﷺ إلا فيما يتعلق بالأمور التوقيفية التى لا مجال للرأى فيها ، والتى تشمل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

• رأى البحث :

وأياً ما كان الأمر ؛ فإننا نرى إثبات حكم الرفع لأثار الصحابة ﷺ إلى رسول الله ﷺ بشرط ألا يكون الصحابيِّ معروفاً برواية الإسرائيليات ، أو مشتهراً بأخذها عمّن أسلموا من أهل الكتاب ، وهذا هو الشرط الأول الذى نوافق فيه الشنىطى .

غير أننا نختلف معه فى الشرط الثانى الذى يُخصِّص من خلاله قول الصحابيِّ ، فيقيده بحصره فى الأمور التوقيفية دون غيرها ، والحق أن هذا التخصيص ، أو ذلك التقييد ، لا وجه له ، بل ومردود عليه بأن الصحابيِّ متى ما كان سالماً من رواية مثل هذه الإسرائيليات التى هى مظنة الكذب ؛ فليس بعد صدقه المتيقن من شىء ، ولا على ما يرويه بعد ذلك من سبيل ؛ وإلا لَرُدَّتْ أقوال الصحابة ﷺ بِرُمْتِهَا أو بِجَلَّتِهَا ، وهذا ما لا يُقبَل بحال ، ولا يسوغ تحت أى مقال .

وأنى يكون ذلك ؟ ! وهم الذين لهم ما لهم مما سبق بيانه من شرف صحبتهم لرسول الله ﷺ وسبق تلقىهم عنه ، فضلاً عما لهم من نفوس سالحة ، وعقول راجحة ؛ قادتهم

(١) ومن المعلوم كما سبق أن ذكرنا أن مذهب الإمام مالك هو المذهب الفقهي السائد فى غرب إفريقيا عامّة ، وفى شنىطى خاصّة ؛ ومن ثم ك فقد كان صاحبنا الشنىطى مالكي المذهب فى نشأته العلمية ، غير أنه عدل عن تلك المذهبية حالما استقر به المقام فى بلاد الحجاز ، حيث صار إلى اللامذهبية التى تقتضى طلب الدليل ك وهذا ما يؤكد أن مذهبه كانت مذهبية نشأة وطلب ، لامذهبية فكر ومنهج .

(٢) نشر البنود على مراعى السعود : عبد الله العلوى الشنىطى ٤٢/٢ .

إلى مطابقة القول للفعل ، وملازمة العلم للعمل ، بعد أن بذلوا أقصى طاقتهم ، واستفرغوا غاية جهدهم ، في التأكد من صحة ما يأخذون ، بل وتوثيق ما يُطبَّقون ؛ وهو ما سبق احتجاجنا له ، وتدلينا عليه ، بشأن حُجِّية أقوال الصحابة رضي الله عنهم التي تناولت كلاً من : (السُّبُق والفضل - التأكد والتوثيق - العلم والعمل) وذلك من خلال شواهد المعبرة من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اختلافنا مع الشنقيطي في شرطه الثاني الذي ذهب إليه ، وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا في (مصطلح المأثور) بصفة عامة ، و (آثار الصحابة رضي الله عنهم) بصفة خاصة^(١) .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطي من تفسير القرآن بآثار التابعين

يتفق الشنقيطي كذلك مع ما يذهب إليه أغلب المفسرين المعبرين ، والعلماء المحققين ، من أن أعظم وأجل ما يُفسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصحابة إنما هو تفسيره بآثار التابعين رضي الله عنهم .

● مُسْتَنَد الشنقيطي :

ومما يتعين ذكره أن الشنقيطي إنما يَصُدِّرُ في موقفه هذا من تلك الحقيقة المقررة في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم والتي تُثَبِّتُ ما لهؤلاء التابعين من الخيرية والفضل ، والسُّبُق والرضوان ؛ من حيث إلحاقهم بالصحابة وإتباعهم ، إضافة إلى أنهم خير الناس بعدهم رضي الله عنهم ومن ثم ؛ فلإننا نراه يُلْحِقُ التابعين بالصحابة في دخولهم جميعاً في رضوان الله تعالى، بل يحكم على كل مَنْ يَسْبَهُمْ أو يُبْغِضُهُمْ بأنه ضالٌّ مُخَالِفٌ لله عزَّ وجلَّ ثم لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

وهذا مفاد كلامه الذي ساقه في مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ الآية^(٢) حيث يقول ما نصه : صرَّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان ؛ أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى ، وكذا في الوعد بالخلود في الجنَّات والفوز العظيم .

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٨٨-٩٣ من هذا البحث .

(٢) التوبة : ١٠٠ .

وبيّن سبحانه فى مواضع أخرى أنّ الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم فى الخير ، ومن ذلك قوله جلّ وعلا : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ الآية (٣) .

ولا يخفى أنّ الله تعالى قد صرّح فى هذه الآية الكريمة بأنه قد رضى سبحانه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ وهو دليل قرآنى صريح فى أنّ كلّ من يسبهم أو يئسبهم أو يئسبهم أنه ضالّ مخالفٌ لله جلّ وعلا ؛ حيث أبغض من رضى الله عنهم ، ولا شك أنّ بغض من رضى الله عنه مضادة لله جلّ وعلا ، وتمرد وطغيان (٤) .

وليس ثمة شك فى أن منزلة كهذه للتابعين لتجعلُ الشنقيطى يقف من أقوالهم فى التفسير ذلك الموقف الذى يقضى بحجّية رجوعه إليها فى تفسير القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم وهو لا يخرج فى ذلك عمّا أجمع عليه غالب علماء الأمة من الأئمة المعتمدين الذين عدّوا أقوال التابعين فى جملة التفسير بالمأثور ؛ ومن ثم فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم ؛ لأن غالبها قد تلقوها عن الصحابة وهو ما عليه عمل المفسرين (٥) .

وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنة ، ولا وجدته عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية فى التفسير ؛ ولهذا كان سفيان الثورى يقول : (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) وكسعيد بن جبيرة ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبى العالية ، والربيع ، وابن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم من التابعين (٦) .

(١) الجمعة : ٣ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٧٤/٢ .

(٥) البرهان فى علوم القرآن : الزركشى ١٧٩/٢ (بتصرف يسير) .

(٦) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) - ص ٤٧ - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م - وانظر طبعة ثانية بتحقيق : د. عدنان زرزور - ص ٦٨ - (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة بيروت) ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م - وانظر كذلك طبعة ثالثة بعناية : أبى حذيفة إبراهيم بن محمد - ص ٩٧ - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

بل يذهب ابن تيمية إلى ما هو أبعد من ذلك حينما يشير إلى تابعي التابعين ومن بعدهم مؤكداً رجوع كثير من علماء الأمة وأئمتها إلى أقوالهم في التفسير بعد أقوال أسلافهم من التابعين ، فهو بعد أن يُسمَّى بعض هؤلاء التابعين نراه يُردِّف ذلك بقوله : (وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم)^(١) .

ولئن كان قد حكى عقب ذلك عن شعبة بن الحجاج وغيره قولهم : (إن أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟!) إلا أنه عمَّد إلى توجيه هذا الرأي بقوله : (يعنى أن أقوال التابعين لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم)^(٢) .

وفي إطار هذا يمكننا توجيه ما قد يذهب إليه بعض العلماء ممن يرون أنه لا ضرورة للرجوع إلى أقوال التابعين ومن بعدهم في التفسير .

• رأى البحث :

وأياً ما كان الأمر ؛ فإننا نرى أن أقوال التابعين هي جزء لا يتجزأ من (التفسير بالمأثور) الذي يتحتم على علماء الأمة وجوب رجوعهم إليه ، وضرورة اعتمادهم عليه ، إزاء تفسيرهم للقرآن بعد رجوعهم واعتمادهم على تفسيره بالقرآن والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم .

وأنى لا يكون ذلك؟! وهم الذين لهم ما لهم من الخيرية وعظم الفضل ، ومن الصلاح وشرَّف الرتبة ؛ ما جعلهم محلاً صالحاً لنيل رضا الله تعالى في الدنيا ، والفوز بجنته في الآخرة ، هذا فضلاً عن أن آثار التابعين إنما تستمدُّ مصدقيتها ، وتتابع اتصالها ، بآثار الصحابة قبلها ، وهم الذين بدورهم تستمدُّ آثارهم مصدقيتها بلا أدنى شك ، وتتابع اتصالها دون أى ارتياب ، برسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعباداً هذا شأنهم ، وتلك خصالهم ؛ أجدد بأن تدعو الحاجة إلى رجوع الأمة إلى أقوالهم في التفسير ، من حيث الأخذ بها ، والاعتماد عليها ، إزاء ما أشكل فهمه ، أو خفى معناه ؛ وهذا ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حجة أقوال التابعين رضي الله عنهم التي تناولت كلا من : (فضل التابعين ورتبتهم - الحاجة إلى تدوينهم - توجيه خلاف

(١) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص (٤٩ - ٥٠) - (طبع السلفية) .

(٢) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص (٥٠) - (طبع السلفية) .

القسم الثاني : الباب الأول : السمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول _____ الفصل الأول : تفسير القرآن بالمأثور

العلماء - منزلة الصلة والتكميل - ما عليه عمل المفسرين) وذلك من خلال شواهدا
المعتبرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اتفاقنا مع الشنقيطي فيما ذهب إليه بشأن موقفه من آثار التابعين ،
وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا في (مصطلح المأثور)
بصفة عامة ، و (آثار التابعين ﷺ) بصفة خاصة^(١) .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطي مما يخالف الكتاب والسنة

والحق أن الشنقيطي يقف موقفاً واضحاً إزاء رده لكل ما يخالف نصوص الكتاب
والسنة ، وسواء كانت هذه المخالفة تتعلق بأثر من آثار الصحابة أو تتعلق بأثر من آثار
التابعين ﷺ لأن نصوص الكتاب والسنة لا تُردُّ بما يخالفها من تلك الآثار ولا من غيرها .

وفي هذا يصرح الشنقيطي قائلاً ما نصه : وتأويل الصحابة والتابعين ﷺ لبعض
الآيات على معنى يخالف القرآن والسنة ؛ لا يجب الرجوع إليه^(٢) لأن غيره في معنى
الآيات أولى بالصواب منه ؛ ولأن المقرر عند جمهور العلماء أن نصوص كتاب الله تعالى
وسنة رسوله ﷺ لا تُردُّ بما يخالفها من تأويل بعض الصحابة أو التابعين لبعض
الآيات^(٣) .

* * *

●● وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين ﷺ يأتي في المرتبة الثالثة عند
الشنقيطي بعد تفسير القرآن بكل من القرآن والسنة ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليه إجماع
أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ؛ وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال
تطبيقه العملي على ذلك التعميد النظري .

(١) راجع تفصيل ذلك ٩٣/٢-٩٩ من هذا البحث .

(٢) يوهوم قوله هنا : (لا يجب) باحتمال (الجواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول :

(لا يصح) بدلاً من : (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢١/٦ .

المطلب الثاني التطبيق العملي

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : تفسير القرآن بأثار الصحابة .
- ٢ - المسألة الثانية : تفسير القرآن بأثار التابعين .
- ٣ - المسألة الثالثة : تفسير القرآن بأثار الصحابة والتابعين معاً .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والذى يجسّد من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعقيده النظرى ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلى فى ثلاث طرقٍ نعرض لتفصيل شواهدها من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تفسير القرآن بآثار الصحابة

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطى أكثر من غيرها أسماء كل من : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطى بآثار هؤلاء الصحابة تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الآية^(١) نراه يأخذ بقول ابن عباس فى أن القرون التى كانت بين آدم ونوح عليهما السلام ، إنما كانت على الإسلام ، كما كانت عدتها عشرة قرون ، وفى ذلك يقول ما نصه : قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ يدل على أن القرون التى كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام كما قال ابن عباس : كانت بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، نقله عنه ابن كثير فى تفسير هذه الآية ، وهذا المعنى تدل عليه آيات أخر^(٢) .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يُدِينُ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الآية^(٣) نراه يأخذ بقول ابن مسعود فى زينة المرأة معللاً ذلك بأنه أظهر الأقوال وأحوطها ، كما أنه أبعد هذه الأقوال عن أسباب الريبة والفتنة ، وفى ذلك يقول ما نصه : إن المراد بالزينة هو كل ما تزين به المرأة خارجاً عن أصل خَلْقَتِهَا ، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شىء من بدنِها كقول ابن مسعود ومن وافقه من أنها ظاهر الثياب ؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خَلْقَتِهَا ، وهى ظاهرة بحكم الاضطرار كما ترى ، وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها ، وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة^(٤) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٩١ .

(١) الإسراء : ١٧ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ١٩٧-٦/ ٢٠٠ .

(٣) النور : ٣١ .

المسألة الثانية

تفسير القرآن بآثار التابعين

ترددت في ثنايا تفسير الشنقيطي أكثر من غيرها أسماء كل من : مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس^(١) وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة السدوسي^{رضي الله عنه} وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطي بآثار هؤلاء التابعين تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية^(٢) نراه يأخذ بقول مجاهد بن جبر في وجوب زكاة عُرُوض التجارة ، وفي ذلك يقول ما نصه : وما فسرها به مجاهد ، وإجماع عامة أهل العلم ، إلا من شذَّ عن السواد الأعظم ؛ يكفي في الدلالة على وجوب الزكاة في عُرُوض التجارة ، والعلم عند الله تعالى^(٣) .

٢ - وفي معرض تفسيره قول الله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمٌ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتِينَ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان^(٤) نراه يأخذ بقول الحسن البصرى في دلالة هذه الآية على مشروعية

(١) ولدفع توهم الخلط المحتمل بين عكرمة المذكور وعكرمة بن أبي جهل نقول : إن عكرمة مولى ابن عباس هو أبو عبد الله عكرمة بن البربري ، تعهده عبد الله بن عباس^{رضي الله عنه} بالتربية والتعليم منذ صغره حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وكان ابن عباس^{رضي الله عنه} يقسو عليه في ذلك ؛ حتى إنه يقول : (كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبَل ؛ ويعلمني القرآن والسُّنن) - والكَبَل : هو القيد من كل شيء ، والجمع (كَبُول) - انظر مادة (كَبَل) في المعجم الوجيز: ص ٥٢٦ - الطبعة ١ - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ م .

ويقول عكرمة أيضاً : (كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس) كما كان يقول كذلك : (لقد فسرت ما بين اللوحين) أي ما بين دفتي المصحف ، أما من حيث منزلة عكرمة من الجرح والتعديل : فقد اختلف العلماء في ذلك ما بين مُجَرِّحٍ له وهم القلة ، وبين مُعَدِّلٍ مُؤْتَقٍ له وهم الكثرة وحسبه توثيقاً رواية أمير المحدثين وإمامهم البخاري عنه في صحيحه ، فضلاً عن شهادة بعض كبار الأئمة له كشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في (مقدمة فتح الباري) وكذا الإمام الشَّعْبِيّ الذي قال عنه : (ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة) وقد كانت وفاته في مستهل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي عام (١٠٥هـ = ٧٢٤م) .

• راجع في ذلك (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) : د. محمد محمد أبي شهبه ص ٩٦ (بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦٢/٢ .

(٢) البقرة : ٢٦٧ .

(٤) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

الاجتهاد، وأن كلاً من سليمان وداود عليهما السلام قد اجتهدا في حكمهما، فأصاب سليمان فَحْمِدَ له ذلك، ولم يُصِبْ داود فَعُدْرَ في ذلك، وفي هذا يقول الشنقيطي ما نصه :

وممن فسرها بذلك الحسن البصرى رحمه الله كما ذكره البخارى وغيره عنه ، قال البخارى رحمه الله فى (صحيحه) باب (متى يستوجب الرجل القضاء) وقال الحسن : أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا الناس ، ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ، إلى أن قال : وقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ الْآيَاتَانِ (١) فَحَمْدَ سُلَيْمَانَ ، وَلَمْ يَلْمُ دَاوُدَ .

ولولا ما ذكره الله تعالى من أمر هذين ؛ لرأيت أن القضاة هلكوا ، فإنه تعالى أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده ، انتهى محل الغرض منه ؛ وبه تعلم أن الحسن البصرى رحمه الله يرى أن معنى الآية الكريمة كما ذكرنا (٢) .

المسألة الثالثة

تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين معاً

يجمع الشنقيطي فى كثير من الأحيان بين أقوال الصحابة والتابعين فى تفسير ما يعرض له من الآيات؛ الأمر الذى يمثل معه هذا الجمعُ السِّمةُ الغالبة على منهجه من حيث تفسيره للقرآن بالآثار ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة الشاهدة على ذلك تبييناً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ تَوَّزُّهُمُ أَرَأَى ﴾ الآية (٣) نراه يأخذ فى معنى : ﴿ تَوَّزُّهُمُ ﴾ بقول كل من : عبد الله بن عباس من الصحابة ، ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة السدوسى من التابعين رضي الله عنهم فيقول ما نصه : وقوله تعالى ﴿ تَوَّزُّهُمُ أَرَأَى ﴾ أى تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصى ، وأقوال أهل العلم فى الآية راجعة إلى ما ذكرنا .

ومن ذلك قول ابن عباس : ﴿ تَوَّزُّهُمُ أَرَأَى ﴾ أى تغويهم إغواء ،

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٩٩/٤ .

(٣) مريم : ٨٣ .

وقول مجاهد : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرَا ﴾ أى تُشْلِيهِمْ إِشْلَاءً^(١) وقول قتادة : ﴿ تَوَزُّهُمُ أَرَا ﴾ أى ترعجهم إزعاجاً^(٢) .

٢ - وفى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ الآية^(٣) نراه يأخذ فى معنى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ بقول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر من الصحابة ، ومجاهد بن جبر ، وقاتدة بن دعامة السدوسى ، وسعيد بن زيد ، وأبى العالية ، والشَّعبى ، والضحاك بن مزاحم من التابعين رضي الله عنهم فيقول ما نصه :

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن زيد : هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً ، وعن ابن عباس : خروجه إلى الدنيا ، وقال قتادة : عن فرقة نبات شَعْرِهِ ، وقال الضحاك : خروج الأسنان ، ونبات الشَّعر ، وقال مجاهد : كمال شبابه ، وروى عن ابن عمر : أن الصحيح عمومه فى هذا وفى غيره من النطق والإدراك ، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت .

والظاهر أن جميع أقوال أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ أنه صار بشراً سَوِيًّا ، بعد أن كان نطفة ، ثم مُضَغَةً ، ثم عَلَقَةً ، ثم عظاماً ، كما هو واضح^(٤) .

(١) تُشْلِيهِمْ إِشْلَاءً : أى تغريهم إغراءً ، من (الإشلاء) وهو الإغراء بالشيء والدعوة إليه ، ومنه قولهم : (أشليتُ الكلب) أى دعوته إلى الصيد وأغريته به ، وفى ذلك يقول زياد الأعجم :

أَتَيْنَا أَبَا عَمْرٍو فَأَشْلَى كِلَابَهُ
عَلَيْنَا فَكَدْنَا بَيْنَ بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ

كما يقال : (أشليتُ الشاةَ والناقةَ) أى دعوتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا لِأَحْلِبَهُمَا ، وفى ذلك يدعو الراعى ناقتيه (عِفَّاسَ وَبَرَوَعَ) قائلاً :

وإن بركتُ منها عجاساءُ جِلَّةٌ
بِمَحْنِيَّةِ أَشْلَى العِفَّاسِ وَبَرَوَعَا

• انظر مادة (شلا) فى لسان العرب : ٢٣١٨/٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٩/٤ .

(٣) المؤمنون : ١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٨٠/٥ .

المطلب الثالث التعقيب

ويتنظم الملاحظات الثلاث التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : الجمع بين آثار الصحابة والتابعين .
- ٢ - الملاحظة الثانية : عدم عزو بعض الآثار .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : ردّ بعض الآثار .

ويعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطي في تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الثلاث التي تردُّ على ذلك فيما يلي :

الملاحظة الأولى

الجمع بين آثار الصحابة والتابعين

حيث يجمع الشنقيطي أحياناً بين آثار كل من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في تفسير ما يعرض له من الآيات ، وهذا ما سبق أن استشهدنا له ، ودللنا عليه ؛ تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة^(١) .

الملاحظة الثانية

عدم عزو بعض الآثار

يورد الشنقيطي أحياناً بعض الآثار على وجه الإجمال دون أن يعزو أيّاً منها إلى أي من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم وفيما يلي نكتفي بمثال واحد تنبيهاً به على غيره من الشواهد القليلة التي وقعت في ثنايا تفسيره المختلفة :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَقَّأَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ الآية^(٢) نراه يورد اسم ملك الموت الموكَّل بقبض أرواح الخلائق من قبَلِ الله تعالى على أنه : (عزرائيل) مشيراً بذلك إلى أن هذا هو ما أثبتته بعض الآثار دون أن يعزو أيّاً منها إلى قائلها من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم حيث يقول ما نصه : وظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس مَلَكٌ واحدٌ معينٌ، وهذا هو المشهور؛ فقد جاء في (بعض الآثار) أن اسمه : (عزرائيل)^(٣) .

الملاحظة الثالثة

ردُّ بعض الآثار

يقف الشنقيطي موقفاً جلياً واضحاً إزاء تلك الآثار التي تخالف نصوص الكتاب والسنة ، سواء كانت هذه الآثار تُعزى إلى الصحابة أو تُعزى إلى التابعين رضي الله عنهم وهذا ما

(٢) السجدة : ١١ .

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٠٤/٦ .

يُحَسَّبُ لمنهج في تفسير القرآن بهذه الآثار ؛ لأن المجمع عليه عند جمهور العلماء أن نصوص الكتاب والسُّنة لا تُردُّ بما يخالفها من تلك الآثار ولا من غيرها^(١) .

ولذا ففي مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية^(٢) نراه يرد تأويل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمخالفته ما ثبت في السُّنة الصحيحة دون مُعَارِضِ له من كتاب أو سُنَّة ، حيث يقول ما نصه : إن النصوص الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السُّنة شيءٌ يخالفها ، وتأويل عائشة رضي الله عنها بعض الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة (لا يجب) الرجوع إليه^(٣) لأن غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه ؛ فلا تُردُّ النصوص الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتأويل الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم بعض الآيات^(٤) .

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) النمل : ٨٠ .

(٣) انظر ملاحظتنا على قوله : (لا يجب) ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢١/٦ .

ختام هذا الفصل

تعقيب حول التفسير بالمأثور عند الشنقيطى

وفى ختام عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسير القرآن بالمأثور والذى يشمل كلاً من القرآن والسُّنة والآثار؛ فإنه يمكننا أن نرصد هاتين الملاحظتين اللتين تَرِدَانِ على ذلك فيما يلى :

١ - الجمع بين القرآن والسُّنة والآثار :

حيث يَعْمَدُ الشنقيطى فى كثير من الأحيان إلى الجمع بين محاور المأثور الثلاثة المتمثلة فى كل من (القرآن والسُّنة والآثار) فى تفسير ما يَعْرِضُ له من الآيات ؛ وحسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى بعض الآيات التى جمع الشنقيطى فى تفسيره لها بين هذه المحاور ؛ وذلك من باب التنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ الآية (١) .

ب - الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُرِأْخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الآية (٢) .

ج - الآية الثالثة :

وهى قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ الآية (٣) .

٢ - أصالة تفسير الشنقيطى بالمأثور :

وبالنظر إلى مسلك الشنقيطى إزاء منهجه فى تفسير القرآن بالمأثور على مستوى تعميده النظرى ، ثم على مستوى تطبيقه العملى ؛ فإننا نتيين مدى أصالة هذا المنهج من حيث اتفاه مع ما ذهب إليه المحققون بين العلماء من العلماء المعتبرين من أن أعظم وأجل طرق التفسير أن يُقَسَّرَ القرآن بالقرآن ، ثم بالسُّنة ، ثم بآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهى المحاور الثلاثة التى يتنازعها التفسير بالمأثور .

(١) النساء : ١١٩ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٤٧٨-٤٨١ .

(٢) النحل : ٦١ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٢٨٨-٢٩١ .

(٣) الاحقاف : ٢٠ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٣٩٢-٣٩٥ .

وهذا المسلك هو ذات ما نصَّ عليه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية واصفًا إياه في (مقدمته) بأنه (أحسن طرق التفسير) حيث يقول ما نصه : فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر ، وما اختُصر في مكان فقد بسط في موضع آخر .

فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ؛ فإن لم نجد التفسير في القرآن لا في السنة ، رجعنا حينئذ في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين .

فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين رضي عنهم (١) .

(١) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص ٤٢-٤٧ .

الفصل الثانی

تفسیر القرآن بالرأی

وینتظم المباحث الثلاثة التالية :

- ١ - المبحث الأول : التعمید النظريّ .
- ٢ - المبحث الثانی : التطبيق العمليّ .
- ٣ - المبحث الثالث : التعميب .

المبحث الأول التقعيد النظري

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

- ١ - المطلب الأول : محوراً الرأى .
- ٢ - المطلب الثانى : أدلة الرأى .
- ٣ - المطلب الثالث : ضابطا الرأى .
- ٤ - المطلب الرابع : شروط الرأى .
- ٥ - المطلب الخامس : أنواع الرأى .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالرأى ؛ من حيث كونه المحور الثانى ، والمرحلة التالية لتفسير القرآن بالمأثور .

● ولكن ما الذى نعنيه بـ (الرأى) ؟

والحق أننا نعنى به جملة آراء المفسرين المعتبرين ممن سلفوا قبل الشنقيطى من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان يعيش فيه ، باستثناء رأيه الذاتى الذى يصدر منه ، ويعبر عنه^(١) .

لأنه غالباً ما يرجع المفسر إلى آراء من سبقه من العلماء المحققين الذين عرَضُوا لمثل ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، فما انتهى إليه السابقون ، هو ذات ما يبدأ به اللاحقون ، وبهذا يتأكد تواصل علماء الأمة ، ويستمر عطاؤهم ، عبر الأجيال المتعاقبة ، والأعصر المتتابة .

وصاحبنا الشنقيطى أحد هؤلاء العلماء الذين يتظمون فى حلقات سلسلة هذا التواصل ؛ فهو كما يأخذ بآراء من قبله من العلماء السابقين ، فإن رأيه سيعد بمثابة الرأى لمن بعده من العلماء اللاحقين ، ثم إن آراء هؤلاء اللاحقين ستعد آراء لمن بعدهم ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

● الرأى عند الشنقيطى :

تتجلى حقيقة التفسير بالرأى عند الشنقيطى من خلال محورين أساسيين يمثلان مفهوم الرأى عنده ، ثم من خلال أدلته على ذلك من القرآن والسنة والآثار ، فضلاً عن تحديده لكل من ضوابط هذا الرأى ، وشروطه ، وأنواعه .

وفيما يلى نعرض لكل من هذه المسائل على النحو الذى يتأدى عنه بيان قوله فى الرأى ، وبما تتضح معه خلاصة موقفه منه ، مع رصد رأى البحث فى ختام جملة هذه المسائل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

(١) وذلك لأن مسيرة التفسير تتوزع فى رأى البحث بين حقبتين أولاهما (حقبة التفسير بالمأثور) : وتبدأ من لدن بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ وتنتهى بأخر من يمكن الاستشهاد بقوله ، والرجوع إليه ، من تابعى التابعين ، وأما ثانيتهما (فحقبة التفسير بالرأى) : وتبدأ من بعد عصر تابعى التابعين وتستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

المطلب الأول

مِحْوَرَا الرَّأْيِ

ويتنازع الرأى عند الشنقيطى محوران رئيسان يتمثلان فى كل من : (التأويل) ثم (الاجتهاد) وهذا ما نَعْرِضُ له على النحو التالى :

١ - الشنقيطى والتأويل :

• التأويل فى اللغة :

ينقل الشنقيطى ما قاله الطبرى فى ذلك فيقول ما نصه : قال ابن جرير الطبرى : وأصل التأويل من (آل الشيء إلى كذا) : إذا صار إليه ورجع ، و (يؤول أولاً ، وأولته أنا) : إذا صيرته إليه ، ثم قال الطبرى : وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعمش :

عَلَى أَنهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حَبَّهَا تَأْوُلُ رَبِيعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبًا

قال : ويعنى بقوله : (تَأْوُلُ حَبَّهَا) أى مصير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً فى قلبه ، ثم آل من الصغر إلى العظم ؛ فلم يزل ينبت حتى أَصْحَبَ فصار قديماً كالسَّقَبِ الصغير الذى لم يزل يشب حتى أَصْحَبَ فصار كبيراً مثل أمه^(١) .

• التأويل فى الإصطلاح :

أشار الشنقيطى إلى أن للتأويل ثلاثة مدلولات اصطلاحية منها اثنان فى اصطلاح المفسرين ، ومدلول ثالث فى اصطلاح الأصوليين ، وهذا ما عناه بقوله : اعلم أن التأويل يُطَلَقُ ثلاثةَ إطلاقات^(٢) نذكرها كما يلى :

١ - مدلول المفسرين :

يذكر الشنقيطى مدلولى التأويل عند المفسرين فيقول :

الأول : وهو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التى يؤول إليها الأمر ، وهذا هو معناه فى القرآن .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٨ .

و (رَبِيعِي السَّقَابِ وَالسَّقَابِ) : هو كل ما وُلِدَ من الإبل فى أول الشتاء ، وقيل : هو ما وُلِدَ من الإبل فى الربيع - انظر مادة (رَبِيع) فى لسان العرب : ٣/١٥٦٥ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩ .

الثاني : يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قول رسول الله ﷺ في ابن عباس : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» الحديث^(١) وقول ابن جرير وغيره من العلماء : (القول في تأويل قوله تعالى : كذا وكذا) أى : تفسيره وبيانه .

ومنه قول عائشة رضي الله عنها الثابت في (الصحيح) : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» الحديث^(٢) يتأول القرآن : تعنى يمثله ويعمل به ، والله تعالى أعلم^(٣) .

٢ - مدلول الأصوليين :

يذكر الشنقيطى مدلول التأويل وأنواعه عند الأصوليين فيقول : ومعناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين هو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك^(٤) .

(١) أخرجه البخارى غير تام بلفظ : «اللهم فقهه في الدين» من رواية ابن عباس رضي الله عنهما - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤) الوضوء (باب ١٠) وضع الماء عند الخلاء - ٢٤٤/١ - حديث رقم (١٤٣) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم أكثر اختصاراً بلفظ : «اللهم فقهه» - انظر صحيح مسلم (كتاب ٤٤) فضائل الصحابة (باب ٣٠) فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - ١٩٢٧/٤ - حديث رقم (٢٤٧٧) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد في مسنده بلفظه تماماً - ٢٦٦/١ - حديث رقم (٢٣٩٧) - ٣١٤/١ - حديث رقم (٢٨٨١) - ومختصراً بلفظ : «اللهم فقهه» - ٣٢٧/١ - حديث رقم (٣٠٢٣) - ثم تماماً بلفظه : ٣٢٨/١ - حديث رقم (٣٠٣٣) - ٣٣٥/١ - حديث رقم (٣١٠٢) - (طبع قرطبة) .

وقد أثبتته الشيخ أحمد شاکر تماماً بلفظ «اللهم فقهه في الدين» مُعلِّقاً على ذلك بقوله: (في ح : «اللهم فقهه» ولم يُذكر فيها: «في الدين» وقد صححناه من ك) - انظر المُسند للإمام أحمد بن حنبل: شرحه وصنع فهرسه : أحمد محمد شاکر - ١٢/٥ - حديث رقم (٣٠٢٣) - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨ م .

(٢) أخرجه البخارى في موضعين من صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ١٠) الأذان (باب ١٣٩) التسبيح والدعاء - ٢٩٩/٢ - حديث (٨١٧) - وكذا في (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١١٠) سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ النصر : ٧٣٣/٨ - ١ - حديث رقم (٤٩٦٨) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب ٤) الصلاة (باب ٤٢) ما يقال في الركوع والسجود - ٣٥٠/١ - حديث رقم (٤٨٤/٢١٧) - (طبع الحلبي) - كما أخرجه أحمد في مسنده - ٤٣/٦ - حديث رقم (٢٤٢٠٩) - ٤٩/٦ - حديث رقم (٢٤٢٦٩) - (طبع قرطبة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٩/١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٩/١ .

ب - الشنقيطى والاجتهاد :

يشير الشنقيطى إلى مفهومه للاجتهاد من خلال قوله بضرورة اجتهاد العالم قدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى حالما يفتقد نصوص القرآن والسُّنة التى تعينه على ذلك ، وفى هذا يقول ما نصه : ومن المعلوم أن المسألة إن لم يوجد فيها نص من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ فاجتهاد العالم حينئذ بقدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى ليعرف حكم المسكوت عنه من المنطوق به ؛ فإن ذلك لا وجه لمنعه ، وقد كان جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين^(١) .

المطلب الثانى

أدلة الرأى

وتتمثل أدلة الرأى عند الشنقيطى فيما يسوقه من الأدلة على كل من : (التأويل) و (الاجتهاد) من القرآن والسُّنة والآثار ، وهو ما نعرض له فيما يلى :

١ - أدلته على التأويل :

• من القرآن :

يسوق الشنقيطى دليله القرآنى على التأويل من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الآية^(٢) حيث يقول ما نصه : يحتمل أن يكون المراد بالتأويل فى هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى ، ويحتمل أن يكون المراد به حقيقة أمره التى يؤول إليها ، وقد قدّمنا فى مقدمة هذا الكتاب أنّ من أنواع البيان التى ذكرناها فيه أنّ تكون أحد الاحتمالين هو الغالب فى القرآن يبيّن أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أولى من الحمل على غيره .

وإذا عرفت ذلك ؛ فاعلم أن الغالب فى القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التى يؤول إليها كقول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الآية^(٦) إلى غير ذلك من الآيات^(٧) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣ / ٤٣٠ - ٣ / ٥٧٧ .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) يوسف ١٠٠ .

(٤) الاعراف : ٥٣ .

(٥) يونس : ٣٩ .

(٦) النساء : ٥٩ .

● من السنة :

ودليل الشنقيطى على التأويل من السنة يتمثل فيما سبق أن ذكرناه من دعاء النبي ﷺ لابن عباس قائلاً : «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» الحديث .

● من الآثار :

وفى ذلك يسوق الشنقيطى دليله المتمثل فيما سبق أن ذكرناه من قول عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى» يتأول القرآن .

ب - أدلته على الاجتهاد :

● من القرآن :

يسوق الشنقيطى دليله القرآن على الاجتهاد من خلال تفسيره لثلاث آيات من كتاب الله تعالى نوردها على النحو التالى :

١ - فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الآية^(١) نراه يقول ما نصه : أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع التقليد ، وقالوا : لأنه اتباع غير العلم .

قال مقيده عفا الله عنه : لا شك أن التقليد الأعمى الذى ذمَّ الله به الكفار فى آيات من كتابه تدل هذه الآية وغيرها من الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ الآية^(٢) إلى غير ذلك من الآيات .

أما استدلال بعض الظاهرية كابين حزم ومن تبعه بهذه الآية التى نحن بصدها وأمثالها على منع الاجتهاد فى الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه ، كما هى حال كثير من الظاهرية .

لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بفتياه ؛ أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامى يسأل بعض أصحاب النبي ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل فتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين^(٣) .

(٢) البقرة : ١٧٠ .

(١) الإسراء : ٣٦

(٣) أصواء السيار الشنقيطى ٥٧٧/٣ .

٢ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ الآيتين^(١) نراه يقول ما نصه : وفي الآية قرينة على أن حكمهما كان باجتهاد وليس بوحي ، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته ، وأن داود مع أنه لم يُصِبْ إلا أنه لم يستوجب لومًا ولا ذمًا بعدم إصابته .

وقد أثنى على سليمان بالإصابة في قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وأثنى عليهما بقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فدلّ قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ على أنهما حكما فيها معًا ، كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر ، ولو كان وحيًا لما ساغ هذا الخلاف .

كما أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ دلّ أيضًا على أنه لم يفهمها داود ، ولو كان حكمه فيها بوحي ؛ لكان مفهمًا إياها كما ترى ، فقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ مع قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل كان باجتهاد ، وقد أصاب فيه سليمان دون داود بتفهم الله إياه ذلك .

والقرينة الثانية هي أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ يدل على أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع ؛ لا أنه أنزل فيها وحيًا جديدًا ناسخًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ آتى بالأول من الثاني كما ترى^(٢) .

٣ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية^(٣) نراه يقول ما نصه : (الهمزة) في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ للإنكار ، والتقدير : أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن ، و (أم) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ منقطعة بمعنى بل ؛ فقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح للخير ، ولا تنفتح لفهم القرآن .

كما أن ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله تعالى قد جاء موضحًا في آيات كثيرة كقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ الآية^(٤) وقد ذمّ الله جلّ

(١) الآيات ٧٨ ٧٩ (آيتان)

(٢) أضواء لسرر - تنقيح ٥٩٦/٤ .

(٣) سورة محمد ٣٧ : ٢٤ .

(٤) النساء : ٨٢ .

وعلا المُعرضَ عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الآية (١) .

ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعرض عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات ، إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يُقدَّرُ به على التدبر ، وقد شكَا النبي ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ الآية (٢) .

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لا بد منه للمسلمين ؛ وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ، كما ثبت عنه ﷺ في (الصحيح) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : «خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» الحديث (٣) وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ الآية (٤) .

فإعراض كثير من الأنظار عن النظر في كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السُّنة الثابتة المبينة له ، لهُو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى (٥) .

• من السُّنة :

استند الشنقيطى في قوله بمشروعية الاجتهاد إلى حديثين من السُّنة المطهرة يتمثلان في

ثل من

١ - الحديث الاول :

وهو قول رسول الله ﷺ : «إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» الحديث (١) .

(٢) الفرقان : ٣٠ .

(١) تكهف ٥٧

(٣) أم حجة السجدي في صحيحه - انظر فتح الباري بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلاني (كتاب ٦٦) قصص القرآن (ص ٢١) خيركم مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ - ٧٤/٩ حديث رقم (٥٠٢٧) (ضع نسقياً)

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٢٨/٧ .

(٤) آل عمران ١٩

(٦) أخرجه سحران في صحيحه من روايتي عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ ثم مُعْتَمَدٌ بِمَنْ عَفَى عَنْهُ مِنْ رُوِيَةِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُرْسَلًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ دون ذكر أبي =

وفى مَعْرِضِ استدلال الشنقيطى بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن النصوص الدالة على مشروعية الاجتهاد فى مسائل الشرع ، ما ثبت فى (الصحيح) عن النبى ﷺ فى ذلك ، حيث قال مسلم بن الحجاج فى (صحيحه) : عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال : (الحديث) .

وبعد أن أورد الشنقيطى هذا الحديث بطرقه المختلفة فى (صحيح مسلم) قال ما نصه : فهذا نص صحيح من النبى ﷺ صريح فى جواز الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وحصول الأجر على ذلك وإن كان المجتهد مخطئاً فى اجتهاده ، وهذا يقطع دعوى الظاهرية المتمثلة فى قولهم بمنع الاجتهاد من أصله ، وتضليل فاعله والقائل به ، قَطْعاً باتاً كما ترى .

ثم يحكى الشنقيطى عن النووى إجماع العلماء واتفاقهم بشأن ما ذهب إليه فى فهم هذا الحديث قائلاً : قال النووى فى شرح هذا الحديث : قال العلماء : أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكم عالم أهل للحكم ، فإن أصاب فله أجران : أجر باجتهاده ، وأجر بإصابته ، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده ، وفى الحديث محذوف تقديره : (إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد) .

قالوا : فأما مَنْ ليس بأهلٍ للحكم فلا يحلُّ له الحكم ؛ فإن حَكَمَ فلا أجر له ، بل هو آثم ، ولا ينعقد حكمه ، سواء وافق الحكم أم لا ؛ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعى ، فهو عاص فى جميع أحكامه ، سواء وافق الصواب أم لا ؛ ومن ثم فهى مردودة كلها ، ولا يُعذرُ فى شىء من ذلك .

= هريرة رَوَى - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٩٦) الاعتصام بالكتاب والسنة (باب ٢١) أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ٣١٨/١٣ حديث رقم (٧٣٥٢) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من رواية عمرو بن العاص رَوَى ثم من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رَوَى كلتا الروایتين مرفوعتان إلى رسول الله ﷺ - انظر صحيح مسلم (كتاب ٣٠) الاقضية (باب ٦) بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ١٣٤٢/٣ حديث رقم (١٧١٦) - (طبع الحلبي) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ١٩٨/٤ حديث رقم (١٧٨٠٩) - ومن رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ٢٠٤/٤ حديث رقم (١٧٨٥٤) - (طبع قرطبة) .

ويلاحظ أن كلا من (البخارى ومسلم وأحمد) قد أخرجا هذا الحديث بلفظ : «إذا حكم الحاكم» وليس : «إذا حكم أحدكم» .

وقد جاء في (السُّنن) من حديث رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : قاضٍ في الجنة ، واثان في النار ، قاضٍ عَرَفَ الحَقَّ فقضى به فهو في الجنة ، وقاضٍ عَرَفَ الحَقَّ فقضى بخلافه فهو في النار ، وقاضٍ قضى على جهل فهو في النار» الحديث^(١) انتهى الغرض من كلام النوى .

وإضافة إلى رواية مسلم بطرقه المختلفة لحديث : «إذا حكم أحدكم فاجتهد» يورد الشنقيطى رواية البخارى لذات الحديث من طريقى أبي هريرة وعمرو بن العاص ﷺ ثم يُعقِبُ على ذلك قائلاً : فهذا الحديث المتفق عليه يدل على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله فى الأحكام الشرعية ، ثم إنَّ محاولة ابن حزم تضعيفَ هذا الحديث المتفق عليه الذى رأيت أنه فى أعلى درجات الصحيح لاتفاق الشيخين عليه ؛ لا نحتاج دليلاً إلى إبطالها لظهور سقوطها كما ترى ؛ لأنه حديث متفق عليه مروى بأسانيد صحيحة عن صحابين جليلين من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ^(٢) .

٢ - الحديث الثانى :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ؓ عندما بعثه إلى اليمن قائلاً له : «فِيم تَحْكُمُ؟ قال . بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسُّنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأى ؛ قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال :

(١) أخرجه الترمذى فى سنَّته من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر سنن الترمذى المعروفة بالجامع الصحيح . لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذى ت (٢٧٩هـ=٨٩٣م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ١) ما جاء عن رسول الله ﷺ فى القاضى - ٦١٣/٣ حديث رقم (١٣٢٢ مكرر) - تحقيق وتخريج وتعليق خادم الكتاب والسُّنة : محمد فؤاد عبد الباقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د.ت) .

وأخرجه أبو داود فى سنَّته من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر سنن أبى داود : للإمام الخافض ، المُصنَّف المُتَّفَق ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت (٢٧٥هـ = ٨٨٩م) . (كتاب) الأتضية (باب) فى القاضى يخطىء - ٢٩٧/٣ حديث رقم (٣٥٧٣) - دار الحديث القاهرة - (د.ت) .

كما أخرجه ابن ماجه فى سنَّته من رواية بُرَيْدَةَ عن رسول الله ﷺ - انظر السنن : للإمام الخافض أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجه ت (٢٧٣هـ = ٨٨٧م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) الحاكم يجتهد فيصيب الحق - ٧٧٦/٢ حديث رقم (٢٣١٥) - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى السنى الحلبي) القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م .

(٢) راجع تفصيلاً استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : ٦١٣ / ٣ ، وقد سنن تحريج الحديث المذكور ص من هذا البحث .

الحمد لله الذى وَقَّ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرضى رسولَ الله ﷺ الحديث (١) .

(١) ونظراً لأهمية هذا الحديث ، وكثرة ما ورد عليه من كلام العلماء من قدامى ومحدثين ؛ فإننا نورد تفصيل أقوالهم بشأنه وحكمهم عليه على النحو التالى :

• أولاً: تخريج الحديث :

أخرج أصحاب السنن والمسانيد هذا الحديث عن شعبة موصولاً مرة ، وعنه مُرسلاً مرة أخرى ، وذلك على النحو التالى :

١ - تخريجه موصولاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَونَ الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمص عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ) وعن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من :

الترمذى فى سننه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٦١٦/٣ حديث رقم (١٣٢٨) .

أبو داود فى سننه : ٣٠٢/٣ (كتاب) الأفضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء .

أحمد فى مسنده : ٢٣٠/٥ حديث رقم (٢٢٠٦٠) - ٢٤٢/٥ حديث رقم (٢٢١٥٣) .

الدارمى فى سننه : ٦٠/١ (باب) الفتيا وما فيه من الشدة .

الطيلاسى فى مسنده : ٤٥٤/١ حديث رقم (٥٦٠) - انظر مسند أبى داود الطيلاسى سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤هـ = ٨٢٠م) - الطبعة ١ - تحقيق : (د. محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ابن سعد فى طبقاته : ٣٤٧/٢ - ٥٨٤/٣ - انظر الطبقات الكبرى : لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م - وجددير بالذكر أن تمام اسم طبقات ابن سعد هو : (الطبقات الكبرى فى ذكر مغازى رسول الله ﷺ وسراياه ، وفى مرض النبى ﷺ ودفنه والمرائى ، وذكر من كان يفتى بالمدينة ، وجمع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ على عهده وبعده ، وذكر من كان يفتى بالمدينة بعد أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار) كما اختص المجلد الثالث بأن كُتِبَ على غلافه الداخلى عبارة : (فى البدرين من المهاجرين والأنصار) .

الخطيب البغدادي : ٣٩٧/١ حديث رقم (٤١٣) - ٤٧٠/١ حديث رقم (٥١٢) -

٤٧١/١ حديث رقم (٥١٣) - ٤٧٢/١ حديث رقم (٥١٥) - انظر الفقيه والمتفقه : للمحافظ

المؤرخ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ت (٤٦٣هـ = ١٠٧١م) -

الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازى - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع

- المملكة العربية السعودية - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

٢ - تخريجه مُرسلاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَونَ الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو

يحدث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمص أن رسول الله ﷺ قال) وعن أخرجه بهذا

=

الإسناد نذكر كلاً من :

.....
 = الترمذى فى سنَّته (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٦١٦/٣
 حديث رقم (١٣٢٧) .
 أبو داود فى سنَّته (كتاب) الأفضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء - ٣٠٢/٣ - ٣٠٢/٣ حديث رقم
 (٣٥٩٢) .
 أحمد فى مسنده : ٢٣٦/٥ حديث رقم (٢٢١١٤) .

• ثانيًا: درجة الحديث :

تناول عدد غير قليل من قدامى العلماء ومحدثيهم هذا الحديث ببيان درجته والحكم عليه ، سواء من ناحية سنَّده ورجاله ، أو من ناحية منَّته ومعناه ، ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر كلا من :
 ابن حجر العسقلانى عن ابن حزم قوله : لا يصح هذا الحديث ؛ لأن (الحارث) مجهول ، وشيوخه لا يُعرفون ، وقال ابن طاهر فى (تصنيف مفرد له فى الكلام على هذا الحديث) : اعلم أننى فحصت عن هذا الحديث فى المسانيد الكبار والصغار ، وسألت مَنْ لقيته عن أهل العلم بالنقل ؛ فلم أجد له غير طريقين وكلاهما لا يصح - انظر (تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير) : للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢هـ = ١٤٤٨م) - ١٨٢/٤ - عُنِيَ بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (دون ذكر بيانات الطبع) .

وقال ابن الجوزى : هذا حديث لا يصح ، وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه فى كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمري إن كان معناه صحيحًا ؛ إنما ثبوته لا يُعرف ؛ لأن (الحارث بن عمرو) مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يُعرفون ؛ وما هذا طريقه فلا وجه لثبوته - انظر (العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية) : للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) - ٢٧٣/٢ - حققه وعلق عليه : الأستاذ إرشاد الحق الأثرى - نشر إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د.ت) .

وقال محقق مسند أبى داود الطيالسى : هذا الحديث إسناده ضعيف ؛ لجهالة أصحابه معاذ ، والاختلاف فى وصله وإرساله ، وفى (علل الدارقطنى) يقول الطيالسى : وأكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معاذ أن رسول الله ﷺ ثم يقول المحقق : وفى هذا الحديث كلام كثير ؛ فقد أعله البخارى والترمذى والعُقلى والدارقطنى وابن حزم وابن الجوزى والذهبى والحافظ ابن حجر ، أعلوه بما سبق ذكره من الجهالة والإرسال ، كما قواه آخرون - انظر (مسند أبى داود الطيالسى) : ٤٥٥/١ - بتحقيق : د. محمد بن عبد المحسن التركى - وانظر أيضًا (العلل الواردة فى الأحاديث النبوية) : تأليف الحافظ أبى الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى ت (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) - ٨٩/٦ - الطبعة ١ - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

وقال الألبانى : وجملة القول أن هذا الحديث لا يصح إسناده لإرساله ، وجهالة راويه (الحارث بن عمرو) فمن كان عنده من المعرفة بهذا العلم الشريف ، وتبين له ذلك ؛ فيها ، وإلا فحبه أن يستحضر أسماء الأئمة الذين صرحوا بتضعيفه ، فيزول الشك من قلبه ، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام ، وهم : (البخارى - الترمذى - العُقلى - الدارقطنى - ابن حزم =

وفى معرّض استدلال الشنقيطى بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن الأدلة الدالة على ذلك ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قال له : (الحديث) .

ويحصر الشنقيطى روايات هذا الحديث قائلاً : واعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة فى المسند والسنن كلها من طريق شعبة ، عن أبي عَون ، عن الحرث بن عمرو (وهو ابن أخى المغيرة بن شعبة) عن أناسٍ من أصحاب معاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

= ابن طاهر - ابن الجوزى - الذهبى - السبكي - ابن حجر) فكل هؤلاء وغيرهم ممن لا نستحضرهم قد ضعّفوا هذا الحديث ؛ ولن يضل بإذن الله من اهتدى بهديهم ، كيف وهم أولئك الناس بالقول المأثور : (هم القوم لا يشقى جليسه) هذا ولما أنكروا ابن الجوزى صحته أتبع ذلك بقوله : وإن كان معناه صحيحاً كما تقدم ؛ فأقول : هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ولكنه ليس صحيح المعنى عندى فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منهما ، فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص فى الكتاب والسنة ؛ فكذلك لا يأخذ بالسنة إلا إذا لم يجد فى الكتاب ، وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم ، بل الواجب النظر فى الكتاب والسنة معاً وعدم التفريق بينهما ؛ لما علم من أن السنة تبيّن مجمل القرآن ، وتُقيّد مطلقه ، وتُخصّص عمومها ، كما هو معلوم - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة) : ٢٧٣/٢ حديث رقم (٨٨١) .

وفى موضع آخر يذكر الألبانى كلاماً قريباً من كلامه السابق إلا أنه يُصدّره بقوله : وحسبى الآن أن أذكر أن أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحمه الله تعالى قال فيه : (حديث منكر) - انظر (منزلة السنة فى الإسلام ، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) : للشّيخ محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٦ - الطبعة ١ - طبع : المطبعة الفنية - توزيع : دار المسلم - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

أما (الحارث بن عمرو) الذى روى هذا الحديث عن أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد قال عنه البخارى ما نصه : والحارث بن عمرو ، ابن أخى المغيرة بن شعبة الثقفى ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ ، قد روى عنه أبو عَون ، ولا يصح ، ولا يُعرّف إلا بهذا ، مُرسل - انظر (التاريخ الكبير) : للحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) - ٢٧٧/٢ - طبع تحت مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د.ت) . كما أنّ (الحارث بن عمرو) المذكور هنا قد ترجمه العقيلي ضمن الضعفاء - انظر (كتاب الضعفاء الكبير) : للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيليّ المكيّ - ٢١٥/١ ترجمة رقم (٢٦٢) - الطبعة ١ - حققه ووثقه : د. عبد المعطى أمين قلعجى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان . ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

وبهذا يمكننا أن نلخص ما انتهت إليه أقوال العلماء من القدامى والمحدثين بشأن حكمهم على هذا الحديث فنقول : هذا الحديث وإن كان ليس صحيح الإسناد ؛ إلا أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفاً وخلفاً ، وهذا هو وجه شهرته التى تُعصّد قبوله والأخذ به ، والله تعالى أعلم .

ثم يورد الشنقيطى بعد ذلك جملة أقوال العلماء فى حُكْمِهِمْ على هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ، وعلى رجاله من حيث الجرح والتعديل ، بادئاً ذلك بَعْرِضِ أقوال كل من ابن قدامة فى كتابه : (رَوْضَةُ النَّاظِرِ) ثم أقوال ابن كثير فى كتابه : (تفسير القرآن العظيم) و (تاريخ ابن كثير) فيحلل هذه الأقوال ويُعلِّق عليها ، وفى النهاية يحتكم إلى ما ذهب إليه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن حُكْمِهِ على الحديث المذكور بالصحة والقبول^(١) .

• من الآثار :

استند الشنقيطى إلى جملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فى إقامة الحُجَّة على مشروعية الاجتهاد والقول به ، وهذا ما نَعْرِضُ له على النحو التالى :

١ - من آثار الصحابة :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، والتي لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ؛ ومن ثم يبدأ استدلاله بهذا قائلاً : اعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون فى مسائل الفقه فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم ، وبعد وفاته من غير نكير ، ومن تلك الاجتهادات ما يلي :

١ - صلاة العصر :

حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يُصَلُّوا العصر فى (بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاتها فى الطريق ؛ وقال : لم يُرِدْ منا صلى الله عليه وسلم تأخير العصر ، وإنما أراد منا سرعة النهوض ، فنظروا بذلك إلى المعنى ، واجتهد آخرون وأخروها إلى (بنى قريظة) فصلوها ليلاً ؛ وقد نظروا بذلك إلى اللفظ ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس^(٢) .

٢ - غلام اليمن :

حيث كان على صلى الله عليه وسلم باليمن ؛ فأتاه ثلاثة نفرٍ يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم : هو ابنى ! فأقرع على صلى الله عليه وسلم بينهم ؛ فجعل الولد للقارع ، وجعل عليه للرجلين الآخرين

(١) انظر تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أصواء البيان) :

(٣/٥٨٣ ٥٨٦) - (٤/٦٠٠-٦٢٥) .

(٢) أصواء البيان - الشنقيطى ٤/٦٢٥ .

ثلاثي الدية ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء عليّ ؓ
ﷺ^(١) .

٣ - مسألة الكلالة :

حيث اجتهد أبو بكر الصّدّيق ؓ في الكلالة قائلاً : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله تعالى ، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان : (أراه ما خلا الوالد والولد) فلما استخلف عمر بن الخطاب ؓ قال : إني لأستحيى من الله تعالى أن أردّ شيئاً قاله أبو بكر ؓ^(٢) .

ب - من آثار التابعين :

يحتج الشنقيطي في ذلك بمسلك التابعين وتابعيهم ومن بعدهم إزاء اجتهاداتهم فيما لم يهتدوا فيه بنص يستندون إليه من الكتاب أو السنّة أو آثار الصحابة قبلهم ؓ ومن ثم ؛ نراه ينقل في ذلك ما أورده ابن القيم في كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ إلى الصحابيّ شريح ؓ على لسان الشّعبيّ التابعيّ ؓ حيث يقول ما نصه : قال ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) :

قال الشّعبيّ عن شريح : قال لي عمر : أفضّ بما استبان لك من كتاب الله ، فإن لم تعلم كل كتاب الله ؛ فأفضّ بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ فإن لم تعلم كل أفضية رسول ﷺ فأفضّ بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين ؛ فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح^(٣) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشنقيطي قد استدلّ بغير ذلك من الآثار الكثيرة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ؓ في القول بمشروعية الاجتهاد ، غير أن فيما ذكرناه منها تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة .

المطلب الثالث

ضابطا الرأي

يحكم الرأي الشنقيطي ضابطان اثنان يتمثلان في كل من اللغة والأصول ، ونعرض لهما كما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٥-٦٢٦ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٦٢٨ .

أ - الضابط الأول (اللغة) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هذا الضابط اللغوى بما لا يفتأ أن يصرِّح به بين الحين والآخر من احتكامه إلى ما تقضى به لغة العرب ، وما يجرى على قواعدها الثابتة ، ومن ذلك ما يذكره قائلاً : وأظهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفصيحة من غير إشكال ولا تقدير^(١) .

ب - الضابط الثانى (الأصول) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هذا الضابط الأصولى بذكر القاعدتين التاليتين تنبيهاً بهما على غيرهما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - قاعدة (الاتخذ بظاهر القرآن) :

حيث يحتكم الشنقيطى فى تفسير الآية إلى ظاهر القرآن ما لم يصرِّف عن ذلك الظاهر دليل آخر ؛ جرياً على ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله عنهم الشنقيطى قائلاً ما نصه : والقاعدة المقررة فى علم الأصول : (أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه)^(٢) .

٢ - قاعدة (دلالة الإشارة) :

حيث يحتكم الشنقيطى أيضاً فى تفسير الآية إلى ضمها إلى غيرها من الآيات الأخرى ؛ ليتأدى عن ذلك إكتمال دلالتها ، وتام معناها ، جرياً على ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله الشنقيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلا بضمها إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم الدلالة هى المعروفة عند علماء الأصول بـ : (دلالة الإشارة)^(٣) .

المطلب الرابع

شروط الرأى

ويتنازع تلك الشروط عند الشنقيطى محوران أولهما : (شروط المُجْتَهِدِ) وثانيهما : (شروط المُجْتَهِدِ فِيهِ) وهما ما نعرض لهما على النحو التالى :

- (١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٦٣/٦ .
- (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨٥/٤ .
- (٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٥/٧ .

١ - شروط المجتهد :

يسوق الشنقيطى جملة هذه الشروط من خلال رَدِّه على متأخري الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ على تحصيلها ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : اعلم أن المتأخرين من أهل الأصول الذين يقولون بمنع العمل بالكتاب والسُنَّة مطلقاً إلا للمجتهدين يقولون :

إن شروط الإجتهد هى : كون المجتهد بالغاً - عاقلاً (أى شديد الفهم) - عارفاً بالدليل العقلى (أى استصحاب العلم الأصيل حتى يَرِدَ نقل صارف عنه) - عارفاً باللغة العربية (من نحو وصرف وبلاغة) - وبعضهم يزيد المُحتَاج إليه من فن المنطق (حيث شرائط الحدود والرسوم والبرهان) - عارفاً بالأصول (حيث العلم بأدلة الأحكام من الكتاب والسُنَّة) - عارفاً بالحديث (حيث العلم بشروط التواتر والآحاد والصحيح والضعيف) - عارفاً بعلم القرآن (حيث أسباب النزول والتاسخ والمنسوخ) - عارفاً بالسيرة والرجال (حيث أحوال الصحابة ورواة الحديث) - عارفاً بمدارك النصوص فى المصحف وكتب الحديث (ولا يشترط عندهم حفظه لها) - عارفاً بالحقائق الشرعية والعرفية - عارفاً بمواقع الإجماع والخلاف (مع خلافهم فى شرط عدم إنكاره القياس)^(١) .

فتلكم اثنا عشر شرطاً أمكننا حصرها وتصنيفها من خلال ذكر الشنقيطى لها على لسان متأخري الأصوليين ، غير أنه يَعْمَد بعد فراغه منها إلى التعقيب عليها بقوله : واعلم أن الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عند متأخري علماء الأصول لا يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من : كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع ولا قياس جلي ولا أثر عن الصحابة^(٢) .

أما رَدُّ الشنقيطى على متأخري الأصوليين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بمنع تدبير القرآن والسُنَّة وتفهمهما والعمل بهما إلا لمن بلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه الاثنى عشر التى أسلفنا ذكرها ، فهو ما يتمثل فى إبطاله دعواهم هذه حيث يقول فى ذلك ما نصه : ولا يخفى أن قولهم هذا لا مستند له من دليل شرعى أصلاً ، بل الحق الذى لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُنَّة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعاً ، وأما ما علمه منهما علماً صحيحاً ناشئاً عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو كانت آية واحدة أو حديثاً واحداً .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٧٧/٧ (بتصرف) . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٠/٧ .

وإيضاح ذلك هو أن كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين كلها دالٌّ على أن العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ لا يشترط له إلا شرط واحد وهو العلم بحُكم ما يعمل به منهما ؛ فلا يشترط في العمل بالوحي شرط رائد على العلم بحكمه ألبته ، وهذا مما لا يكاد ينازع فيه أحد ، وإنما مراد متأخري الأصوليين بجميع هذه الشروط التي اشترطوها (تحقيق المناط) لأن العلم بالوحي لما كان هو مناط العمل به ؛ لذا فقد أرادوا أن يحققوا هذا المناط ، أى يبينوا الطرق التي يتحقق بها حصول العلم الذى هو مناط العمل .

ومن ثم ؛ فقد اشترطوا جميع الشروط المذكورة ظناً منهم أنه لا يمكن تحقيق حصول العلم بالوحي بدونها ، غير أن ظنهم هذا فيه نظر ؛ لأن كل إنسان له فهمٌ ؛ إذا أراد العمل بنص من كتاب أو سُنَّة ، فلا يمتنع عليه ، ولا يستحيل أن يتعلم معناه ، ويبحث عنه هل هو منسوخ أو مُخصَّص أو مُقيَّد ، حتى يعلم ذلك فيعمل به^(١) .

ب - شروط المُجْتَهِدِ فِيهِ :

ويوجز الشنقيطى تلك الشروط من خلال عبارته المحددة التي يوجب بها الاتباع ويمنع الاجتهاد فى كل ما نصت عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : والأمر المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ؛ ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلّ عليه نصٌّ من كتاب أو سُنَّة سألِم من المُعَارِض^(٢) .

• لا اجتهاد مع النص :

وليس ثمة شك فى أن ما ذهب إليه الشنقيطى إنما يتفق مع ما يقصده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) والحق أن هذا القول بحاجة فى رأينا إلى توجيهه من خلال الجوانب الثلاثة التالية :

١ - الاجتهاد الباطل :

نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النص) إنما يعنى أنه (لا اجتهاد باطلاً أو معارضاً أو مخالفاً) لما تدلّ عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنة ؛ ومن ثم فإنه يسوغ لنا أن نُوصَفَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلا مع النص) أى لا اجتهاد إلا فى ضوء ما تدلّ عليه النصوص الأخرى ، وفى ظل ما تهدى إليه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٤٧/٧ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٧٨/٧ .

٢ - افتقار النص :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلا عند افتقار وغياب النص محلّ هذا الاجتهاد وموضعه ؛ ومن ثم فلا يعمد العالم إلى الاجتهاد إلا عندما يفتقد النص فى المسألة التى يريد أن يجتهد فيها ، غير أن ذلك لا يكون إلا مع وجود النصوص الأخرى التى يستضىء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

٣ - محل الاستنباط :

أما إعمال العالم عقله ، وإنعام نظره ، فيما تحت يديه من نصوص الكتاب والسنة ؛ فهذا ما نُوصِّفه بـ : (الاستنباط) وليس بـ : (الاجتهاد) وذلك لما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن مُستويي التأويل اللذين يتمثلان فى كل من : (الاستنباط) الذى يعمل داخل إطار النص الحقيقى أو المُشكّل ، فلا يتجاوز حدوده ، بل وينتهى بداخله ، ثم : (الاجتهاد) الذى يعمل عند غياب النص وافتقاده ؛ فلا يُحدُّ بحدٍّ ، ولا يُقَيِّدُ بإطار ، اللهم إلا استضاءته بالنصوص الأخرى واسترشاده بها ؛ وذلك ضماناً لسلامته من التعارض والتناقض اللذين يتأذى عنهما بطلانه وعدم قبوله^(١) .

وهو ذات القيد الذى يشير إليه الشنقيطى بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالف النص ؛ فهو اجتهاد باطل ، لأن نصوص الكتاب والسنة حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائناً من كان^(٢) .

المطلب الخامس

أنواع الرأى

وتتمثل أنواع الرأى عند الشنقيطى فى تلك الحالات الثلاث التى ساقها على لسان الأصوليين بشأن تقسيمهم للتأويل على النحو التالى :

١ - التأويل الصحيح :

وهو ما يُسمَّى أيضاً عند أهل الأصول : (التأويل القريب) وذلك بأن يكون صرفُ اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر يدل على ذلك كقول رسول الله ﷺ

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان - الشنقيطى ٥٤٧/٧ .

الثابت في (الصحيح) : «الجارُّ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ» الحديث^(١) فإن ظاهره المتبادر منه هو (ثبوت الشُّفْعَةِ للجار) غير أن حمل الجار في هذا الحديث على خصوص (الشريك المقاسم) حَمَلٌ له على محتمل مرجوح ، إلا أنه دَلَّ عليه الحديث المُصَرِّحُ بأنه : «إِذَا صُرِفَتْ الطَّرُقُ ، وَضُرِبَتْ الْحُدُودُ ؛ فَلَا شُفْعَةَ» الحديث^(٢) .

ب - التَّأْوِيلُ الْفَاسِدُ :

وهو ما يُسَمَّى أيضاً عند أهل الأصول بـ : (التأويل البعيد) وذلك بأن يكون صَرَفٌ اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً ، غير أنه ليس بدليل في نفس الأمر ، وقد مثَّلَ له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى المرأة في قوله ﷺ : «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَكَيْهَا ؛ فَنَكَاحَهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ» الحديث^(٣) على المكاتب والصغيرة ، ومنه حملة أيضاً رحمه الله تعالى المسكين في قول الله تعالى : ﴿ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ الآية^(٤) على (المُدِّ) حيث أجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد^(٥) .

ج - التَّأْوِيلُ الْبَاطِلُ :

وهو ما يُسَمَّى أيضاً عند أهل الأصول بـ : (اللَّعْبُ) وذلك بأن يكون صَرَفٌ اللفظ عن

-
- (١) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب الحِيل (باب) احتيال العامل ليُهْدَى إليه - (طبع بيروت) .
والصَّقْبُ والصَّقَبُ : هو الطويل من كل شيء ، وقيل : هو العمود الطويل الذى يُعَمَدُ به البيت ويكون في وسطه ، وأما قولهم : (مكان صَقَبٍ وصَقْبٍ) أى قريب ، وفي الحديث : «الجارُّ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ» قال ابن الأثيرى : أراد بالصَّقْبِ الملاصقة والقُرب ؛ والمراد به : الشُّفْعَةُ ؛ فكأنه أراد به ما يليه أى ما يجاوره ويقترب منه - انظر مادة (صَقَب) في لسان العرب : ٢٤٦٩/٤ .
- (٢) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب البيوع (باب) بيع الشريك من شريكه - (طبع بيروت) .
- (٣) أخرجه الترمذى في سننه (كتاب النكاح (باب) ما جاء لا نكاح إلا بَوَكِيٍّ - (طبع بيروت) -
وأخرجه أبو داود في سننه (كتاب النكاح (باب) فى الوكِيِّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد في مسنده (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٨٥١) - (طبع بيروت) .

- (٤) المجادلة : ٤ .
- (٥) المُدُّ : هو نوع من المكايل يساوى ربع صاع ، وهو مقدار مُدِّ النَّبِيِّ ﷺ والصاع خمسة أرتال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ بِرِطْلٍ وَرَبْعِ الرُّطْلِ ، وقيل : الصاع أربعة أرتال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ بِرِطْلٍ وَاحِدٍ ، كما قيل : إنَّ المُدَّ رِطْلٌ وَثَلْثٌ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَهْلِ الْحِجَازِ ، وَرِطْلَانٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ .
وفي حديث فضل الصحابة ﷺ : «مَا أَدْرَكَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» وقيل : إن أصل المد مُقَدَّرٌ بأن يُعَدَّ الرجل يديه فيملا كفيه بالطعام ، وإنما قُدِّرَ برِيع الصاع لأنه كان أقل ما يتصدقون به فى العادة ، والمفرد (مُدٌّ) والجمع (أَمْدَادٌ وَمِدَدٌ وَمِدَدَةٌ وَمِدَادٌ كَثِيرَةٌ) انظر مادة (مَدَد) فى لسان العرب : ٤١٥٦/٥ .

ظاهرة لا لدليل أصلاً كقول بعض الشيعة في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ الآية^(١) يعنى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

والى أنواع التاويل الثلاثة التى أوردها الشنقيطى يشير صاحب (مراقى السُّعود) بقوله :

حَمَلٌ لظَاهِرٍ عَلَى الْمَرْجُوحِ	واقسَمَهُ لِلْفَاسِدِ وَالصَّحِيحِ
صَحِيحُهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ : مَا حُمِلَ	مَعَ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْمُسْتَدَلِّ
وغيره : الفاسدُ والبعيدُ	وَمَا خَلَا : ذ (لَعِبًا) يُفِيدُ

إلى أن قال :

فَجَعَلُ مَسْكِينٍ بِمَعْنَى (الْمُدَّةِ)	عليه لائحٌ سَمَاتِ البُعْدِ
كَحَمَلِ مَرَأَةٍ عَلَى الصَّغِيرَةِ	وَمَا يُنَافِي الحُرَّةَ الكَبِيرَةَ
وَحَمَلٍ مَا وَرَدَ فِي الصِّيَامِ	عَلَى القَضَاءِ مَعَ الِاتِّزَامِ ^(٢)

● خلاصة موقف الشنقيطى :

وهكذا يتلخص موقف الشنقيطى من التفسير بالأى من خلال قوله بمشروعيته لِمَنْ اتفقت له وسائله وأدواته المعروفة ، وفى إطار ضوابطه وشروطه المعتبرة ، وهو ما يؤكد من خلال رده على دعوى متأخرى الأصوليين من (أن الاجتهاد قد انقرض ، وأن بابه قد اسند ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك مجتهد قبل ظهور المهدي المنتظر) وعندئذ ينبرى للرد على هذه الدعوى مبطلاً إياها بقوله :

وهذا صريح فى أنهم حاكمون على الله العلىّ القدير الذى كل يوم هو فى شأن^(٣) بأنه لا يَخْلُقُ مجتهداً قبل المهدي من مدة انقراض الاجتهاد المزعوم ؛ ولا شك أنك يا أخى إن لم يُعَمِّك التعصب المذهبيّ فإنك تقطع بأنه لا مستند له ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه فى (الصحيحين وغيرهما) أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ؛ لا يضرهم

(١) البقرة : ٦٧ .

(٢) راجع فى أنواع التاويل الثلاثة كلاً من :

● أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩-٣٣١ .

● نشر البنود على مراقى السُّعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ١/٢٦٩-٢٧٣ (حيث نص الآيات

وشرحها الذى نقل عنه الشنقيطى) .

(٣) هذا اقتباس من قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

الرحمن : ٢٩ .

مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرَ اللَّهِ الْحَدِيثُ^(١) وهو حديث مشهور متفق عليه ، ولا نزاع فى صحته .

ومن ثم ؛ فإن دعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد ألبتة ، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدي المنتظر ؛ مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتًا لا مطعن فيه عن النبي ﷺ وبما لا نزاع فيه أن كل ما يناقض الحق فهو الضلال ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ ﴾ الآية^(٢) والعلم عند الله تعالى^(٣) .

• رأى البحث :

إن الشنقيطى وإن كان قد ذهب إلى القول بمشروعية التفسير بالرأى وجوازه ؛ إلا أننا نرى القول بوجوبه ولزومه ، وذلك متى اقتضته الضرورة ، وكلما دعت إليه الحاجة ؛ لأن من أهم مقاصد المفسر الكشف عن مراد الله تعالى فى تنزيله الحكيم ؛ بما تنصلح به حياة الأمة ، وبما يتقوم به سلوك العباد ، وبكل ما يعترى ذلك من تغيرات ، وما يرد عليه من تطورات ، فى مختلف الأمصار ، وشتى الأعصار .

ومن ثم ؛ فليس ثمة شك فى أن الرأى مطلوب لمواكبة كل تغير ، ومسايرة كل تطور ، بل إن الرأى لابد وأن يكون مستمرًا باقياً فى هذه الأمة استمرار وبقاء هذه الحياة ذاتها ، وهذا ما يوافقنا فيه المحققون من العلماء المعبرين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بوجوب الرأى ولزومه ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر اثنين من جلتهم تبيينًا بهما على غيرهما ، ألا وهما :

١ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

حيث يقول فى ذلك ما نصه : وهذا هو الواجب على كل أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ لَتَبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُمْ لَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية^(٤) ولما جاء فى الحديث المروى من طرق :

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) فرض الخمس (باب) قول الله تعالى : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال : ٤١ - (طبع بيروت) - وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإمارة (باب) قوله ﷺ : « لا تزال طائفة » - واللفظ لمسلم - (طبع بيروت) - كما أورده السيوطى فى جامع الأحاديث من رواية معاوية بن وهب : ١٩٦/٧ - حديث رقم (٢٥١١٣) .

(٢) يونس : ٣٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨١/٧ (بتصرف يسير) .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

«مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ ؛ أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» الحديث^(١) والله سبحانه وتعالى أعلم^(٢) .

٢ - الشيخ محيي الدين الكافيجي :

حيث يقول في ذلك ما نصه : وأما التفسير بالرأى فيما يحتاج الناس إلى معرفة ما يتضمنه اللفظ من وجوب الاعتقاد والعمل ؛ فأمر ورد الشرع بإيجابه فضلاً عن الجواز^(٣) .

* * *

●● حصيلة القول :

وهكذا نرى كيف أن تفسير القرآن بالرأى عند الشنقيطي يمثل المحور الثاني ، بل ويأتي في المرحلة التالية ، لتفسير القرآن بالمأثور ، وهذا ما نتفق معه فيه على وجه العموم من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن رأينا في (مصطلح الرأى) من حيث اقتراحه وتلازمه ، بل ترابطه وتكامله ، مع (مصطلح المأثور) واللذين يمثلان طرفي (معادلة التفسير) التي يشهد لها واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيدها ما عليه عمل المفسرين أنفسهم ، وذلك من لدن عصر تابعي التابعين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها^(٤) وهو ما يتفق في ذات الوقت أيضاً مع ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين ، بل ويبدو مترجماً بصورة فعلية عند الشنقيطي من خلال تطبيقه العملي على ذلك التقعيد النظري .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ص ٥٥ .

(٣) التيسير في قواعد علم التفسير : محيي الدين الكافيجي - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) - (تفسير) .

(٤) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

المبحث الثاني التطبيق العملي

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : أخذه برأى عالم واحد .
- ٢ - المطلب الثاني : أخذه بما اتفقت عليه آراء العلماء .
- ٣ - المطلب الثالث : أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بآراء العملاء ،
والذى يُجسّد من خلاله تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفسيده النظرى ، وقد تمثل
هذا السلوك الفعلى فى طرقٍ ثلاثٍ نعرض لتفصيل شواهداها من خلال المطالب الثلاثة
التالية :

المطلب الأول

أخذه برأى عالم واحد

ومن ذلك أخذه برأى أبى عبد الله القرطبى فيما ذهب إليه من أن معنى (الحجة) فى
قول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ الآية^(١) إنما يشمل جميع
الاحتجاجات التى واجه بها نبيُّ الله إبراهيمُ على نبينا وعليه الصلاة والسلام قومه ، ذلك
الشمول الذى يقول عنه الشنقيطى ما نصه :

وهذه الحجة هى قول الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ الآية^(٢) وقد صدّقه الله
تعالى وحكّم له بالأمن والهداية فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الآية^(٣) .

والظاهر : شمول هذه الحجة لجميع احتجاجاته عليهم كما جاء ذلك على لسانه فى
قول الله تعالى : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الآية^(٤) لأن الأُفول الواقع فى كل من الكوكب
والشمس والقمر هو أكبر دليل ، بل وأوضح حجة على انتفاء الربوبية عنها ، وقد استدل
إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام بهذا الأُفول على انتفاء الربوبية فى قوله : ﴿ لا
أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ فعدم إدخال هذه الحجة فى قول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ غير
ظاهر ؛ وبما ذكرنا من شمول هذه الحجة لجميع احتجاجاته المذكورة صدر القرطبى ،
والعلم عند الله تعالى^(٥) .

المطلب الثانى

أخذه بما اتفقت عليه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما اتفق عليه العلماء من رفع الحرج على الحاج إذا أراد أن يُحصّل

(١) الأنعام : ٨١ .

(٢) الأنعام : ٧٦ .

(٣) الأنعام : ٨٣ .

(٤) الأنعام : ٨٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٢ .

ربحاً عن طريق تجارة أو نحوها شريطة ألا ينشغل بذلك عن أداء المناسك ؛ حيث أخذ الشنقيطى بذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية^(١) فيقول ما نصه : وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج إذا ابتغى ربحاً بتجارة فى أيام الحج ؛ إن كان ذلك لا يشغله عن شىء من أداء مناسكه^(٢) .

وإذا كان الشنقيطى قد أخذ فى ذلك بما أجمع عليه علماء التفسير ، إلا أنه يأخذ فى أحيان أخرى بما اتفق عليه بعض العلماء ، حيث يعبر عن ذلك بقوله : (قال بعض العلماء) أو : (قال بعض أهل العلم) ومن ذلك ما صرح به الشنقيطى فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨) ثانياً عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴿ الآيتان^(٣) حيث يقول ما نصه :

قال بعض أهل العلم : الآية الأولى التى هى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية^(٤) نازلة فى الأتباع الجهلة الذين يجادلون بغير علم ؛ اتباعاً لرؤسائهم ، من شياطين الإنس والجن ، وهذه الآية الأخيرة فى الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين فى ذلك ، ويدل لهذا أنه قال فى الأولى : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ ﴾ وقال فى هذه : ﴿ ثانياً عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾ فتبين أنه مضل لغيره ، متبوع فى الكفر والضلال .

كما قال بعض العلماء فى قول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى بدون علم ضرورى حاصل لهم بما يجادلون به ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ أى استدلال ونظر عقلى يهتدى به العقل للصواب ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أى وحى نير واضح يعلم به ما يجادل به ، فليس عنده علم ضرورى ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلى ، ولا علم من وحى ، فهو جاهل محض من جميع الجهات ، وقوله تعالى : ﴿ ثانياً عطفه ﴾ حال من ضمير الفاعل المستكن فى : ﴿ يجادل ﴾ أى يخاصم بالباطل فى حال كونه ﴿ ثانياً عطفه ﴾ أى لاوى عنقه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً^(٥) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨٩/٥ .

(٤) الحج : ٣ .

(١) البقرة : ١٩٨ .

(٣) الحج : ٨-٩ (آيتان) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٩٠-٤٠٠ .

المطلب الثالث

أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء فيما ذهبوا إليه بشأن معنى (سُرَادِق) من أنه السور أو الدخان أو البحر المحيط ، حيث يَرُدُّهَا جميعها فى النهاية إلى شىء واحد وهو (إِحْدَاق النار بالكفار من كل جانب) وهذا ما صرَّحَ به فى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الآية^(١) حيث يقول ما نصه :

وأما المراد بـ (السُّرَادِق) فى الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شىء واحد وهو (إِحْدَاق النار بهم من كل جانب) فمن العلماء مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى سورها كما قاله ابن الأعرابى وغيره ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخظيرة كما قال الكلبي ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى دخان يحيط بهم وهو المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿ الآيتان^(٢) وفى قوله تعالى : ﴿ وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴾ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿ الآيتان^(٣) ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى البحر الذى يحيط بالدنيا^(٤) .

(٢) المرسلات : ٣٠-٣١ (آيتان) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٩٤/٤ .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٣) الواقعة : ٤٣-٤٤ (آيتان) .

المبحث الثالث

التنقـيب

ويتنظم الملاحظات الخمس التالية :

- ١ - الملاحظة الأولى : تخصيص الرأى .
- ٢ - الملاحظة الثانية : قسماً الرأى .
- ٣ - الملاحظة الثالثة : الخلط فى الرأى .
- ٤ - الملاحظة الرابعة : ألفاظ الرأى .
- ٥ - الملاحظة الخامسة : غياب بعض أدلة الرأى .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بأراء غيره من العلماء ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

تخصيص الرأى

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن ما تناولناه من تفسير الشنقيطى للقرآن بالرأى إنما يختص بأراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفيه من المفسرين المعبرين ، الذين عَرَضُوا لمثل ما يَعرِضُ له من الآيات بالتفسير ؛ ومن ثم فقد اعتمد آراءهم ، وأخذ بأقوالهم ، بشروط الرأى المعروفة ، وضوابطه المعبرة ، وذلك على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ، بدءً بعصر تابعى التابعين ، وإنهاءً بعصره الذى كان يعيش فيه .

أما رأيه هو فيما يَعرِضُ له من الآيات بالتفسير ؛ فذلكم ما سوف نتناوله من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثانية

قسمة الرأى

ومن البدهىّ أن يشتمل ما يحشده المفسرّ من الرأى فى تفسيره على كل من القسمين التاليين :

(- آراء السابقين عامة :

وتتمثل فى آراء السالفين ، من العلماء المعبرين ، التى يعتمدها المفسرّ ، ويأخذ بها فى مَعرِضِ ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وذلك من لدن عصر تابعى التابعين ، وحتى عصره الذى يعيش فيه .

لأن آراء أولئك العلماء السابقين ، وإن كانت تُعدُّ من المأثور (بمعناه اللغوى) الذى يدل على (مجرد النقل) إلا أنها تختلف عن المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والذى ينحصر فى المحاور الثلاثة المحددة بكل من (الكتاب) و (السنة) و (آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم) ومن ثم فإنه ينبغى التفريق بين المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والتفسير بأراء السابقين (بمعناه اللغوى) .

ب - رأى المفسر خاصة :

ويتمثل فيما يُنتجُه المفسرُ نفسه من جملة الآراء التفسيرية ، والتي تعبرُ في المقام الأول عن رأيه الخاص ، وتَبْلُورُ نظرتَه الذاتية ، فيما يتناوله من قضايا التفسير ، وفيما يَعْرِضُ له من مسائله المختلفة ، لأنه من البدهاة بمكان أن يَعْمَدَ هذا المفسرُ أو ذاك إلى ما أنتجَه من رأى خاص ، وما بَلَّوَرَه من نظرة ذاتية ؛ ليضيفهما بصورة طبيعية ، وسلوك تلقائى ، إلى رصيد ما قبله من آراء السابقين الخاصة ، ونظراتهم الذاتية كذلك .

ومن ثم ؛ فإن رأيه هذا سَيُعَدُّ بدوره بمثابة تفسيراً بالرأى لغيره من اللاحقين ، فيما يتعلق بهذه المسألة ، أو تلك القضية ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهذا ما طَبَّقَه الشنقيطى بصورة عملية فى تفسيره ، فكما أنه أخذ بأراء السالفين عليه من العلماء المعبرين من خلال (التفسير بالرأى) كما سبق أن عَرَضْنَا له ؛ فإننا نجدُه يَعْمَدُ كذلك إلى رأيه الخاص ، ويعتبر نظرتَه الذاتية ، فيما يتناوله من الآيات ، وما يَعْرِضُ له بالتفسير ، وذلك من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) كما سيأتى ذكرهما فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثالثة

الخلط فى الرأى

رأينا فيما سبق كيف أن الرأى عند الشنقيطى يتنازعه محوران رئيسان تمثلا فى موقفه من كل من : (التأويل) و (الاجتهاد) بأدلتهم المعبرة من الكتاب والسُّنة والآثار ، فضلاً عن المعروف عنده من ضوابطهما وشروطهما وأنواعهما .

والحق أننا نختلف مع الشنقيطى بشأن هذين المحورين اللذين يمثلان الرأى عنده ؛ وذلك لما نراه من الخلط الحادث عنده بين (التأويل) كأصل ، و (الاجتهاد) كفرع ؛ وذلك لأن (التأويل) إنما يمثل فى رأينا الأساس الذى ينطلق منه (التفسير بالرأى) بل ويعتمد عليه ، فيما يتوصل إليه من آراء ، أو يتمخض عنه من نتائج ، من خلال محورى التأويل التاليين :

١ - المحور الأول (الاستنباط) :

ونعنى به حقيقة ما يمكن أن ينتهى إليه معنى كلِّ من اللفظ القرآنى المفرد ، وكذا الجملة القرآنية المركبة ، وذلك من خلال أقصى ما يحتملانه من مدلول غير مباشر ، وأبعد ما يعطيانه من إيحاء غير منظور ؛ وعليه فإن (التأويل) إنما يتوجه من خلال محوره هذا إلى استنطاق النص بأقصى ما يمكن الوصول إليه من مدلول ، وأبعد ما يعطيه من إيحاء .

ب - المحور الثاني (الاجتهاد) :

وهو أعلى من الاستنباط في الرتبة ، وتآل له في الترتيب ؛ لأن الاستنباط وإن كان يتوجه إلى النص الموجود وينحصر فيه ؛ إلا أن الاجتهاد يتعدى حدود النص ليقس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض بذلك عن نتائج غير معروفة .

وبهذا يتأكد علو الاجتهاد على الاستنباط ؛ من حيث إن الاستنباط يبدأ بالنص وينتهي إليه ، أما الاجتهاد فيتجاوز النص ولا ينتهي إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه .

الملاحظة الرابعة

الفاظ الـرأى

تختلف ألفاظ الشنقيطى التى يعبر بها عن مشروعية الرأى من موطن إلى آخر ، غير أنها تنتهى جميعها إلى قوله بجوازه وعدم منعه ، وفيما يلى نسوق بعض هذه الألفاظ المعبرة عن ذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة، والتى تشمل كلاً من :

قوله : (واجتهاد العالم حينئذ لا وجه لمنعه) وقوله : (وكان جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين) وقوله : (ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، فإنه معرض عنها ، غير متدبر لها ؛ ومن ثم فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يقدر به على التدبر) وقوله : (وتدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به ، أمر لا بد منه للمسلمين ، وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ؛ ولذا فإن الإعراض عن ذلك لهو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى) .

وأخيراً فقد نراه يصرح بمشروعية الاجتهاد فيقول : (ومن الأدلة الدالة على مشروعية الاجتهاد) أو قد يبطل من يمنعه بقوله : (وهذا يدل على بطلان قول من منع الاجتهاد من أصله) .

فتلكم هى جملة الألفاظ التى عبر بها الشنقيطى عن مشروعية التفسير بالرأى من خلال دورانها وتكرارها فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية^(١) وذلك على مدار مائة وست وخمسين صفحة كاملة^(٢) .

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤٢٨-٥٨٣ .

الملاحظة الخامسة

غياب بعض أدلة الرأى

ونعنى بذلك عدم ورود هذه الأدلة على لسان الشنقيطى فى معرض استشهاده على قوله بمشروعية الرزى وجوازه ، وتمثل هذه الأدلة فى ثلاث آيات قرآنية أشار الشنقيطى إلى واحدة منها ، فى حين لم يُشير إلى الآيتين الأخرين ، وذلك على النحو التالى :

١ - الآية التى أشار إليها :

حيث أشار الشنقيطى إلى عزمه على تناول آية فى (سورة الحشر) تُوضِّح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، وفى ذلك يقول ما نصه : وسنوضح غاية الإيضاح إن شاء الله تعالى فى سورة (الحشر) مسألة الاجتهاد فى الشرع ، واستنباط حكم المسكوت عنه من المنطوق به بإلحاقه به ، قياساً كان الإلحاق أو غيره^(١) .

غير أن الشنقيطى قد أختَرَمَتَه المنية بتفسير آخر آية من سورة (المجادلة) وقبل تفسير سورة (الحشر) التى بدأ بها تلميذه الشيخ عطية محمد سالم الجزء الأول من (تمة الأضواء)^(٢) .

ولعل الشنقيطى كان يقصد بذلك إحدى آيتين فى سورة (الحشر) أما أولاهما فهى قول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ الآية^(٣) وأما الثانية فقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية^(٤) وهى أرجح من الآية الأولى .

ومما يقوى ما ذهبنا إليه أن الشيخ عطية محمد سالم قد عرَّض لموضوع (الاجتهاد) من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ، وهو ذات الموضوع الذى عناه الشنقيطى من خلال تناوله لـ : (التفسير بالرأى)^(٥) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٥٧٨-٤/٥٩٩ .

(٢) حيث ينتهى الجزء السابع من (أضواء البيان) بتفسير قوله الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ - فى حين يبدأ الجزء الأول من (تمة الأضواء) أو (الثامن من الأضواء) بتفسير قول الله تعالى : ﴿ سَجَّ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر : ١ .

(٣) الحشر : ٢ .

(٤) الحشر : ٢١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٨/١٠٦ (الجزء الأول من التمة) .

ب - الآيتان اللتان لم يشر إليهما :

١ - الآية الأولى :

وهي قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية^(١) حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية^(٣) .

٢ - الآية الثانية :

وهي قول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية^(٤) حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية أيضاً من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية^(٦) .

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) النساء : ٧٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٧/١ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٨/١ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٨٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٦٣/١ .

(٦) آل عمران : ١٩٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٦٤/١ .

جماع القول

فى هذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصليه ، حيث الفصل الأول المتعلِّق بتفسير الشنقيطى بالمأثور الذى يشمل كلاً من : (القرآن - السنة - الآثار) ثم الفصل الثانى المتعلِّق بتفسير الشنقيطى بالرأى الذى يعنى (تفسيره للقرآن بأراء غيره من العلماء المحققين ، وسالفه من المفسرين الاعتبارين) فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - تمام المنهجية :

وهو ما يتمثل فى تمام منهجية هذه السُّمَّة الأولى التى جمع فيها الشنقيطى بين (التفسير بالمأثور) و (التفسير بالرأى) واللذين يمثلان (طرفى معادلة التفسير) من حيث اقترانهما وتلازمهما ، فضلاً عن ترابطهما وتكاملهما ، على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ؛ وهو ما يشهد له واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيده ما عليه عمل المفسرين أنفسهم .

وليس ثمة شك فى أن من جمع فى تفسيره للقرآن بين (تفسيره بالمأثور) و (تفسيره بالرأى) فقد تمت منهجيته ، واكتملت طريقته ؛ لأنه ليس بعد تفسير القرآن بالمأثور والرأى من شىء ، اللهم إلا رأيه الخاص ، ونظرته الذاتية ، وهو ما سوف نعرض له من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

٢ - أصالة التفكير :

وهى ما تتمثل فى امتداد هذا (الأصل الجمعى) الذى سبق أن أجمع عليه العلماء والمحققون ، وتوَّأضع عليه المفسرون المعتبرون ، من أن أعظم وأجل ما يُفسر به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، ثم يلى ذلك تفسير القرآن بسنة رسول الله ﷺ ثم يلى ذلك تفسير القرآن بأثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهذه هى المحاور الثلاثة الرئيسة التى يدور عليها (التفسير بالمأثور) ثم يلى ذلك تفسير القرآن بـ (الرأى) بشروطه المعروفة ، وضوابطه المعتبرة .

وهو ذات ما سبق لنا تأصيله على لسان كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والشيخ محيى الدين الكافيجى ، من حيث نقلهما اتفاق العلماء المحققين ، وتوَّأضع المفسرين الاعتبارين ، على تفسير القرآن بالمأثور أولاً ، ثم تفسيره بالرأى ثانياً ؛ الأمر الذى تتأكد معه (أصالة تفكير الشنقيطى) فضلاً عن (تمام منهجيته) من خلال تناوله لهذا (الجمع بين المأثور والرأى) والذى يُعدُّ السُّمَّة الأولى من (سمات منهجه التفسيري) .

وبهذا ينتهى هذا الباب

الباب الثاني

السمة الثانية

التأصيل

للعلوم العربية والإسلامية

ويُنظّم تمهيداً وسبعة فصول :

• تمهيد : بين يدي هذا الباب .

- ١ - الفصل الأول : علوم القرآن .
- ٢ - الفصل الثاني : علوم الحديث .
- ٣ - الفصل الثالث : علم الأصول .
- ٤ - الفصل الرابع : علم الفقه .
- ٥ - الفصل الخامس : علم الكلام .
- ٦ - الفصل السادس : علوم العربية .
- ٧ - الفصل السابع : علم التاريخ .

● تهيئة : بين يدى هذا الباب :

يُعَدُّ هذا التأصيل هو السُّمَّة الثانية من السُّمَّات العامة لمنهج الشنقيطى بعد السُّمَّة الأولى المتمثلة فى (الجمع بين المأثور والرأى) وقبل أن نشرع فى تناول هذه السُّمَّة فإنه يجدر بنا أن نشير بين يدى ذلك إلى الأمور الأربعة التالية :

١ - المدلول :

حالما يفرغ الشنقيطى من السُّمَّة الأولى التى جمع من خلالها بين المأثور والرأى ؛ فإنه يعمد آنذاك إلى تصنيف ذلك الرصيد المجموع ، حيث ينعم فيه النظر ، ويُجِيل فيه الفكر ، لينتهى به المطاف إلى إدراجه تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية الشائعة فى تفسيره ؛ ومن ثم فإن ماهية هذه السُّمَّة إنما تمثل فى ذلك التأصيل الموضوعى لذلك الرصيد المجموع من المأثور والرأى .

٢ - المجال :

وبهذا المفهوم فإنه يمكننا تحديد مجال هذا التأصيل الموضوعى من خلال جملة الموضوعات التى يفرزها ذلك التصنيف ، والتى تشمل بدورها كلاً من الموضوعات السبعة التالية : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

حيث تنضوى هذه الآية أو تلك ، أو هذه المجموعة من الآيات أو تلك ، تحت موضوع هذا العلم أو ذاك ؛ الأمر الذى يحدّد مجالها ؛ ومن ثم يُمهّد لفهمها ، ويُعين على إدراك معناها .

٣ - المصطلح :

ويختلف مُسمّى هذا التأصيل الموضوعى هنا ، عن ذلك المصطلح المعروف عند المفسرين بـ : (التفسير الموضوعى) والذى يعمد فيه المفسر إلى (تفسير القرآن الكريم على أساس موضوعاته ، حيث يجمع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ، ثم يضعها أمامه كمواضع يُحلّلها ، ويفقّه معانيها ، ويعرّف النسبة بين بعض وبعض ؛ فيتجلى له حكمها ، ويتبين له مرماها) (١) .

(١) محاضرات فى تاريخ تفسير القرآن الكريم (انجمااته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٨٥ (بتصرف يسير) .

أما الشنقيطى فيتناول من خلال هذا التأصيل الموضوعى أحد الموضوعات السبعة المذكورة ، وذلك عند أول موضع يَعرَض له من الآيات وَفَقَّ ترتيبها التوقيفى فى سُورِها ، وعندئذ يستقصى كل جوانبه ، ويحلِّله من شتى زواياه ، مستدعيًا فى ذلك سائر الآيات الأخرى التى تتصل بذات الموضوع .

حتى إذا فرغ من هذا انتقل إلى آية أخرى مما يندرج تحت موضوع علم آخر ، وهكذا دواليك وَفَقَّ ما يقضى به الترتيب التوقيفى لآيات القرآن ، وفى حالة إذا ما عرَّضت له إحدى الآيات التى سبق له استدعاؤها مع غيرها فى أول موضع لموضوعها ؛ فحيثئذ يعمد إلى إحالة هذه الآية على ذلك الموضع الأول ، تحاشياً لإعادتها وتفادياً لتكرارها .

وذلك بخلاف التفسير الموضوعى الذى لا يلتزم فيه المفسر بهذا الترتيب التوقيفى ، بل نراه يعمد إلى تسمية جملة الموضوعات التى يحتويها القرآن ، ثم يبدأ فى تناولها موضوعاً تلو الآخر وَفَقَّ الترتيب الذى وضعه هو ، وحسبما يقضى به التسلسل الذى يراه .

وبهذا يتَّسِمُ التفسير الموضوعى بكونه تفسيراً يختص بموضوعات مستقلة كالصلاة أو الزكاة أو الحج وغيرها مما يقوم كل منها بذاته ، بعيداً عن سياق التفسير الكلى لآيات القرآن وسُورِها ، ودون التزام ترتيبها المصحفى الثابت ، أو الانتقال بينها وَفَقَّ تابعها المعروف .

ومن خلال هذا التوصيف يتضح الفارق المنهجى بين كل من : (التأصيل الموضوعى عند الشنقيطى) من حيث كونه داخل إطار تفسير القرآن بترتيب سورة وآياته ، و (التفسير الموضوعى عند غير الشنقيطى) من حيث كونه بعيداً عن إطار تفسير القرآن بترتيب سورة وآياته .

٤ - الملاءمة :

ومما لا شك فيه أن التزام الشنقيطى من خلال هذا التأصيل الموضوعى بـ (الترتيب التوقيفى) للآيات فيه ما فيه من الملاءمة العلمية ، فضلاً عن الملاءمة العملية ، ما يناسب مَنْ يطالع التفسير ، أو ينظر فيه بشيء من الترتيب والموالاتة ؛ من حيث إلمامه بكل ما يتصل بهذا الموضوع أو ذاك عند أول موضع له فى القرآن ، متنقلاً من موضع إلى آخر حسب تسلسل الآيات ، ووَفَقَّ سياق السُّور .

وفيما يلى نعرِّض لهذا (التأصيل الموضوعى) من خلال هذه الفصول السبعة التى يختص كل فصل منها بأحد موضوعات العلوم السبعة الشائعة فى تفسير الشنقيطى .

الفصل الأول

علوم القرآن

ويتنظم تمهيداً وخمسة مباحث :

• **تمهيد : الماهية والأهمية .**

- ١ - البحث الأول : أسباب النزول .
- ٢ - البحث الثاني : النسخ والمنسوخ .
- ٣ - البحث الثالث : الحروف المقطعة .
- ٤ - البحث الرابع : القراءات القرآنية .
- ٥ - البحث الخامس : المجاز في القرآن .

• تمهيد : الجاهية والاهمية :

وقبل أن نعرض لعلوم القرآن عند الشنقيطى فإنه يجدر بنا أن نشير بين يدي ذلك إلى ماهية هذه العلوم وأهميتها ؛ وذلك بهدف بيان حقيقتها ، ومن ثم الوقوف على موقعها من منهج الشنقيطى فى التفسير ، وهو ما نعرض له على النحو التالى :

١ - الجاهية :

الحق أن علوم القرآن ليست علمًا واحدًا قائمًا بذاته ، أو محددًا فى نفسه ، وإنما تمتد لتشمل طائفة من المعارف المتعددة ، وجملة من فروع العلوم المختلفة ، وليس ذلك إلا لأنها تختص بالقرآن العظيم ؛ ومن ثم فإن لها من الشمول والعموم ما للقرآن ذاته ، وهذا ما يتضح جليًا من خلال بعض هذه العلوم التى تتمثل فى كل من : (علم التنزيل - علم أسباب النزول - علم الجمع والترتيب - علم المكي والمدنى - علم الناسخ والمنسوخ - علم الرسم والقراءات - علم المحكم والمتشابه - علم دفع الشبه ورد المطاعن) .

إلى غير ذلك من العلوم التى بلغت جملتها سبعة وأربعين نوعًا عند الزركشى^(١) ومن ثمانين إلى ثلاثمائة نوع عند السيوطى^(٢) وأخيرًا سبعة وسبعين ألفًا وأربعمائة وخمسين نوعًا عند القاضى أبى بكر بن العربى^(٣) .

٢ - الاهمية :

لقد بذل العلماء غاية جهدهم ، ووجهوا بالغ طاقتهم ، للتوفر على هذه العلوم والعناية بها ؛ مما يعد من أعظم الأدلة وأظهرها على إدراكهم أهمية هذه العلوم ، وتقديرهم لفاعلية موقعها من التفسير .

وأنى لا يكون ذلك؟! وهى التى تمثل الوسيلة المهمة ، والأداة الجليلة ؛ لتحقيق غاية أهم وأجل ، ألا وهى (تفسير القرآن العظيم) وذلك من حيث كونها تمهيدًا لفهم معناه ، ومدخلًا للإمام بمراده ومحتواه .

* * *

وفيما يلى نعرض لموقف الشنقيطى من أشهر هذه العلوم ، بل وأكثرها دورًا فى تفاسير غيره من العلماء عامة ، وفى تفسيره منهم خاصة ، وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

(١) البرهان فى علوم القرآن : الزركشى ١٢/١ .

(٢) الإقتان فى علوم القرآن : السيوطى ١٧/١ .

(٣) البرهان فى علوم القرآن : الزركشى ١٦/١ .

المبحث الأول أسباب النزول

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : التعميد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .

المطلب الأول التقعيد النظري

وينتظم القواعد الأربع التالية :

- ١ - القاعدة الأولى : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- ٢ - القاعدة الثانية : سبب النزول يُوضَّح معنى الآية .
- ٣ - القاعدة الثالثة : صورة سبب النزول قطعية الدخول في الحكم .
- ٤ - القاعدة الرابعة : تَعَلَّقُ الصحابي بسبب النزول له حُكْمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (أسباب النزول) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، من (موضوعات علوم القرآن) التى يُصنَّفُ تحتها بعض ما يعرِّض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال القواعد الأربع التالية :

القاعدة الأولى

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

حيث يوافق الشنقيطى فى ذلك ما ذهب إليه جمهور المحققين من العلماء المعتبرين من أن الآية وإن كانت نازلة فى شخص خاص بعينه ، أو واقعة خاصة بعينها ؛ إلا أن حكمها يعمُّ سائر المسلمين ، ويجرى على سائر الوقائع ، فى مختلف الأعصار ، وشتى الأمصار ، وذلك بدءً بنزول هذه الآية أو تلك وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وعلى هذا يقيم الشنقيطى دليله من سنة رسول الله ﷺ قائلاً ما نصه : إن النبى ﷺ سئل عما معناه : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ فأجاب بما معناه : « أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

فقد قال البخارى فى (صحيحه) : حدثنا مسدد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : أن رجلاً أصاب من امرأة قُبْلَةً ؛ فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ؛ فأنزلت عليه : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا عِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ الآية^(١) قال الرجل : ألى هذه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي » وفى رواية فى (الصحيح) : « لجميع أمتى كلهم »^(٢) .

فهذا الذى أصاب القُبْلَةَ من المرأة نزلت فى خصوصه آية عامة اللفظ ؛ فقال للنبى ﷺ : ألى هذه ؟ ومعنى ذلك : هل هذا النص خاص بى لأننى سبب وروده ؟ أو هو على عموم لفظه ؟ وقول النبى ﷺ له : « لجميع أمتى » معناه : أن العبرة بعموم لفظ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ لا بخصوص السبب ، والعلم عند الله تعالى^(٣) .

(١) هود : ١١٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) مواقيت الصلاة (باب) الصلاة كفارة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) التوبة (باب) قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ هود : ١١٤ - (طبع بيروت) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣ / ٢٥٠ .

القاعدة الثانية

سبب النزول يوضح معنى الآية

وهذا ما يصرح به الشنقيطي قائلًا ما نصه : ومعلوم أن الآية قد يتضح معناها ببيان سببها ؛ ومن ثم فقد علمت بما ذكرنا أن قول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية^(١) إنما بيته الآيات التي ذكرنا ببيان سببه .

فعلى القول الأول : (إنهم ضربوا عيسى مثلاً لأصنامهم في دخول النار) فإن ذلك يفهم من أن سبب نزول الآية هو نزول قول الله تعالى قبلها : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية^(٢) لأنها لما نزلت قالوا : إن عيسى عبد من دون الله كآلهتهم ؛ فهم بالنسبة لما دلت عليه سواء ، وقد علمت بطلان هذا مما ذكرناه آنفاً .

وعلى القول الثاني : (إنهم ضربوا عيسى مثلاً لمحمد ﷺ) في أن عيسى قد عبد ، وأنه ﷺ يريد أن يُعبد كما عبد عيسى ؛ فكون سبب ذلك سماعهم لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآية^(٣) وسماعهم للآيات المكية الواردة في شأن عيسى يوضح المراد بالمثل .

وأما الآيات التي بينت قول الله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ الآية^(٤) فبيانها له واضح على كلا القولين ، والعلم عند الله تعالى^(٥) .

القاعدة الثالثة

صورة أسباب النزول قطعية الدخول في الحكم

وفي ذلك يوافق الشنقيطي أيضاً ما أجمع عليه جمهور المحققين من العلماء المعتبرين من أن الصورة التي نزلت عليها هذه الآية أو تلك إنما داخله بالقطع والتأكيد في سبب النزول ، وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصه : واعلم أن جمهور علماء الأصول قد أجمع على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول ؛ ومن ثم فلا يصح إخراجها بمخصص^(٦) .

ولا يخالف هذا الإجماع سوى الإمام مالك الذي يرى أن صورة سبب النزول ظنية الدخول وليست قطعية ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطي بقوله : روى عن مالك أن صورة سبب النزول ظنية الدخول ، وإليه أشار في (مراقي السعود) بقوله :

(٢) الانبياء : ٩٨ .

(١) الزخرف : ٥٧ .

(٤) الزخرف : ٥٨ .

(٣) آل عمران : ٥٩ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٧٧/٦ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٦٢/٧ .

واجزِم بِإِدْخَالِ ذَوَاتِ السَّبَبِ وَارْوِ عَنِ الْإِمَامِ ظَنًّا تُصِيبُ^(١)

القاعدة الرابعة

تَعَلُّقُ الصَّحَابِيِّ بِسَبَبِ النُّزُولِ لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ إِلَى الرَّسُولِ <

وهذا ما يجرى فيه الشنقيطى على ما قرره جمهور المحققين من العلماء المعتمدين من أن تفسير الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إذا كان يختص بسبب نزول هذه الآية أو تلك ؛ فإن لتفسيرهم هذا حكم رفعه إلى رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول ما نصه : والمقرر فى (علوم الحديث) أن تفسير الصحابى الذى له تَعَلُّقٌ به (سبب النزول) له حكم الرفع ، كما عقده صاحب (طلعة الأنوار) بقوله :

تفسيرُ صاحبٍ له تَعَلُّقٌ بالسَّبَبِ ؛ الرَّفْعُ لَهُ مُحَقَّقٌ^(٢)

وقد سبق أن فصلنا القول بأدلته بشأن ما نراه من أن جميع أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لها حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ سواء ما تَعَلَّقَ منها بأسباب النزول ونحوها من الأمور التوقيفية خاصة ، أو ما تَعَلَّقَ منها بغير ذلك من الأمور الأخرى عامة .

* * *

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطى يتخذ من (أسباب النزول) قاعدة نظرية ، وموضوعاً أساسياً ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنَّفُ تحتها بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، وهو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التقعيد النظرى .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٧٧/٦ .

ويقصد بقوله : (الإمام) أى مالك رحمه الله تعالى ، ويقول : (ظناً) أى ما ذهب إليه الإمام مالك من قوله بـ (ظنية) دخول صورة النزول ، وعدم قوله بـ (قطعية) دخولها .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠٦/١ .

ويقصد بقوله : (صاحب) أى الصحابى ، ويقول : (السبب) أى سبب نزول الآية ، ويقول : (الرفع) أى حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ ويقول : (مُحَقَّقٌ) أى وجوب حكم الرفع .

المطلب الثاني التطبيق العملي

وينتظم تطبيق القواعد الأربع التالية :

- ١ - القاعدة الأولى : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- ٢ - القاعدة الثانية : سبب النزول يُوضَّح معنى الآية .
- ٣ - القاعدة الثالثة : صورة سبب النزول قطعية الدخول في الحكم .
- ٤ - القاعدة الرابعة : تَعَلُّق الصحابي بسبب النزول له حُكْمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما لها من (سبب النزول) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفسيده النظرى ، وفيما يلى نذكر بعض أمثلة هذا السلوك الفعلى تبيينها بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال تطبيق القواعد الأربع التالية :

تطبيق القاعدة الأولى

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ففى مَعْرِضٍ تفسير لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية^(١) نراه يوجه معنى هذه الآية على ضوء عموم سبب نزولها الذى تقضى به قاعدة : (أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فيقول ما نصه : واعلم أن قول من رد الاستدلال بهذه الآية قائلاً : إنها نزلت فى الكفار لا فى المسلمين ، فإن قوله هذا مردود بأن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والعلم عند الله تعالى^(٢) .

تطبيق القاعدة الثانية

سبب النزول يوضح معنى الآية

ففى مَعْرِضٍ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآيتان^(٣) نراه يعتمد فى إيضاح معنى هذه الآية على ذكر سبب نزولها الذى يثرى المعنى ويوضحه ، والذى تقضى به قاعدة : (أن سبب النزول يوضح معنى الآية) فيقول ما نصه : نهى الله نبيه ﷺ فى هذه الآية الكريمة أن يقول : إنه سيفعل شيئاً فى المستقبل إلا مُعلِّقاً ذلك على مشيئة الله الذى لا يقع شيء فى العالم كائنًا ما كان إلا بمشيئته جلّ وعلا .

فقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ﴾ أى لا تقولن لأجل شيء تعزم على فعله فى المستقبل : إنى فاعل ذلك الشيء غداً ، والمراد بـ (الغد) ما يُستقبل من الزمان ، لا خصوص الزمان ؛ لأن من أساليب العربية : (إطلاق الغد على المستقبل من الزمان) ومن ذلك قول زهير بن أبى سلمى :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِّ

يعنى أنه لا يعلم ما يكون فى المستقبل ؛ إذ لا وجه لتخصيص الغد المعين بذلك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٨٤ / ٦ .

(١) الفرقان : ٦٨ .

(٣) الكهف : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أى إلاً قائلأ فى ذلك : إلاً أن يشاء الله (أى معلقأ بمشيئة الله) أو لا تقولنه إلاً بأن يشاء الله (أى إلاً بمشيئة الله) وهو فى موضع الحال (يعنى إلاً متلبسأ بمشيئة الله) قائلأ : (إن شاء الله) وهذا ما قاله الزمخشري وغيره .

وأما سبب نزول هذه الآية الكريمة فهو أن اليهود قالوا لقريش : سلأوا محمداً عن (الروح) وعن (رجل طوأف فى الأرض) يعنون (ذا القرنين) وعن فتية لهم قصة عجيبة فى الزمان الماضى (يعنون (أصحاب الكهف) .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « سأخبركم غداً عما سألتكم » ولم يقل : « إن شاء الله » فلبث عنه الوحى مدة (قيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل غير ذلك) فأحزنه تأخر الوحى عنه ، ثم أنزل عليه الجواب عن الأسئلة الثلاثة ؛ حيث قال الله تعالى فى (الروح) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية^(١) وقال تعالى فى (الفتية) : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الآية^(٢) وقال تعالى فى (الرجل الطوأف) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية^(٣) إلى آخر قصته^(٤) .

فإذا عرفت معنى هذه الآية الكريمة وسبب نزولها ، وأن الله تعالى قد عاتب نبيه ﷺ على عدم قوله : « إن شاء الله » لما قال لهم : « سأخبركم غداً » الحديث^(٥) فاعلم أنه قد

(١) الإسراء : ٨٥ . (٢) الكهف : ١٣ . (٣) الكهف : ٨٣ .

(٤) ويعنى بذلك انتهاء قصة (ذى القرنين) عند قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف : ٨٣ - ٩٨ (ست عشرة آية) .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، وفى هذا الحديث يقول ابن حجر : وقع فى (سيرة ابن إسحاق) فى سبب نزول «الضحى» شىء آخر : فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبى ﷺ عن ذى القرنين ، والروح ، وغير ذلك ؛ وعدهم بالجواب ، ولم يستثن ؛ فأبطأ عليه جبريل اثنتى عشرة ليلة أو أكثر ، فضاقت صدره ، وتكلم المشركون ؛ فنزل جبريل بسورة «الضحى» وبجواب ما سألوا ويقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الكهف : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) انتهى .

وذكر (سورة الضحى) هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان فى القصتين متقاربأ ؛ فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن فى ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ١٠ / ٧١٠ (كتاب التفسير (باب) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ الضحى : ٣ - (طبع السلفية) .

كما ذكر ابن الجوزى هذا الحديث فى تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ الكهف : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) وأورده كذلك فى معرض تفسيره لسورة الضحى - انظر (زاد المسير) : للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد المعروف بابن الجوزى ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) - (١٢٧/٥ - ١٥٤/٩) - الطبعة ٣ - المكتب الإسلامى - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

دلت آية أخرى بضميمة بيان السنة لها على أن الله تعالى قد عاتب نبيه سليمان على عدم قوله : (إن شاء الله)^(١) كما عاتب نبيه ﷺ في هذه الآية على ذلك ، بل إن فتنة سليمان بذلك كانت أشد^(٢) .

تطبيق القاعدة الثالثة

صورة سبب النزول قطعية الدخول في الحكم

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الآية^(٣) نراه يُوجِّه معنى هذه الآية على ضوء ما تقضى به قاعدة : (أن صورة سبب النزول قطعية الدخول) فيقول ما نصه : يقول بعض أهل العلم : إن أزواج النبي ﷺ لا يدخلن في أهل بيته المذكورين في هذه الآية ؛ غير أن (قرينة السياق) هنا صريحة في دخولهن ؛ لأن الله تعالى : قال : ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ﴾ ثم قال تعالى في نفس خطابه لهنّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال تعالى بعده : ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية^(٤) .

والتحقيق إن شاء الله تعالى : أنهن داخلات في الآية ، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت ، أما الدليل على دخولهن : فهو ما ذكرناه آنفاً من أن (قرينة السياق) في الآية صريحة في أنها نازلة فيهن ؛ ثم لما هو مُجمَع عليه عند علماء الأصول من : (أن صورة سبب النزول قطعية الدخول) . ونظير ذلك من دخول الزوجات في (اسم أهل البيت) قول الله تعالى في روضة نبي الله إبراهيم : ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية^(٥)

(١) ويعنى بذلك فتنة نبي الله سليمان الواردة في قول الله تعالى : ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ﴾ (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق (٣٣) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب (٣٤) قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) ﴿ ص : ٣١ - ٣٥ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٥ / ٤ - ٧٦ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) الأحزاب : ٣٤ .

(٥) هود : ٧٣ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٧٧ / ٦ - ٥٧٨ .

تطبيق القاعدة الرابعة

تعلُّق الصحابي بسبب النزول له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ

ففى مَعْرُض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية^(١) نراه يُوجِّه معنى هذه الآية على ضوء ما قال به الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه وذلك عملاً منه بما تقضى به قاعدة : (أن قول الصحابي إذا كان له تعلُّق بسبب النزول فإن له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ) فيقول ما نصه :

لم يبيِّن هنا هذا المكان المأمور بالإتيان منه ، والمُعبر عنه بلفظة (حيث) ولكنه بيّن أن المراد به هو (الإتيان فى القُبْل) وذلك فى آيتين إحداهما : هى قول الله تعالى هنا : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ الآية^(٢) لأن قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا﴾ هو أمر بالإتيان بمعنى الجِماع ، وقوله تعالى : ﴿حَرْثَكُمْ﴾ يبيّن أن الإتيان المأمور به إنما هو فى محل الحرث ، يعنى بذر الولد بالنطفة ، ولا يخفى أن ذلك لا يكون إلا فى (القُبْل) دون (الدُّبُر) لأن الدُّبُر ليس محلاً لبذر الأولاد كما هو ضرورى .

وأما الآية الثانية : فهى قول الله تعالى : ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية^(٣) لأن المراد بقوله تعالى : ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى الولد كما قال به الجمهور ، ومعلوم أن ابتغاء الولد لا يكون إلا بالجماع فى القُبْل ؛ فالقُبْل إذن هو المأمور بالمباشرة فيه (بمعنى الجِماع) وعليه فيكون معنى الآية : فالآن باشرهوهن ، ولتكن هذه المباشرة فى محل ابتغاء الولد (الذى هو القُبْل دون غيره) بدليل قوله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعنى (الولد) .

وبهذا يتضح لك أن معنى قول الله تعالى : ﴿أَنْتِ شِئْتُمْ﴾ يعنى أن يكون الإتيان فى محل الحرث على أى حالة شاء الرجل ، سواء كانت المرأة مُسْتَلْقِيَةً أو بَارِكَةً أو على جَنْبٍ ، أو غير ذلك ؛ ويؤيد هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كانت اليهود تقول إذا جَامَعَهَا من ورائها جاء الولد أحول ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ﴾ الآية^(٤) .

فظهر من هذا أن جابراً رضي الله عنه يرى أن معنى الآية : فاتوهن فى (القُبْل) على أية حالة

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٤) البقرة : ٢٢٣ .

(١) البقرة : ٢٢٢ .

(٣) البقرة : ١٨٧ .

القسم الثاني : الباب الثاني : السمة الثانية : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

شتم ولو كان من وراها) وهو ذات ما نقول به ؛ لأن المقرر في (علوم الحديث) أن تفسير الصحابي الذي له تعلق بسبب النزول له حُكْمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ^(١) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (أسباب النزول) كموضوع أساسي من موضوعات (علوم القرآن) التي يُصنّفُ الآية تحتها ، بل ويوجّه معناها على هديّه ، وذلك من خلال تفعيد النظرى ، ثم تطبيقه العمليّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطيّ ١/٢٠٥ - ٢٠٦ .

البحث الثاني
الناسخ والهنسوخ

وينتظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : التعيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .

المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسألين التاليين :

- ١ - المسألة الأولى : خلاف العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .

ونغنى به موقف الشنقيطي من (الناسخ والمنسوخ) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسي ، من (موضوعات علوم القرآن) التي يُصنَّفُ تحتها بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

خلاف العلماء

ويكثرت حصر خلاف العلماء إزاء قضية (الناسخ والمنسوخ) من خلال عرضنا لجملة أقوالهم التالية :

١- قول السيوطي :

يرى السيوطي أن أمثلة النسخ في القرآن لا تتجاوزا في جملتها عشرين موضعاً ، وسنعود إلى تحقيق قوله هذا من خلال عرضنا لموقف الشنقيطي من النسخ بعد قليل ، فضلاً عن إيراد تلك المواضع التي ذهب إليها في كتابه (الإتقان) ورأى البحث إزاءها^(١) .

٢- قول الخضري :

أما الشيخ محمد الخضري فبدأ حصر مواضع النسخ في القرآن بتعريف النسخ أولاً فيقول : (والنسخ هو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي ، وهو جائز عقلاً وواقع سمعاً في شرائع ينسخ اللاحق منها السابق) وعقب هذا يعمد إلى حصر مواضع النسخ في القرآن معقياً على ما ذهب إليه السيوطي فيقول : واختار السيوطي في كتابه (الإتقان) أنها عشرون آية ، لكننا نرى أنها اثنتان وعشرون آية غير أن السيوطي قد أسقط منها موضعين فصار الباقي عنده عشرين موضعاً .

وهذان الموضعان هما قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ (٤)﴾ والآيات^(١) وقد نُسخَتْ بآخر السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ (٣)﴾ والآية^(٢) وأما الموضع الثاني فهو قوله الله تعالى : ﴿فَأَيُّهَا تُولُوا قَتْمٌ وَجْهَ اللَّهِ (٤)﴾ والآية^(٤) وقد نُسخَتْ بآية القِبْلَةَ في قوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي

(١) الإتقان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٣/ ٧٧ - النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه) - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥ م .

(٢) المزمل : ١-٤ (أربع آيات) . (٣) المزمل : ٢٠ . (٤) البقرة : ١١٥ .

السَّمَاءَ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿١﴾ الآية .

٣ - قول الدكتور مصطفى زيد :

وأما الدكتور زيد فيحصر دعاوى النسخ في القرآن بما جملته مائتان وتسعون موضعاً غير أنه لم يصح منها عنده إلا تسعة مواضع ، منها أربعة مواضع نسخ للسنة تتمثل في كل من : (نسخ القبلة الأولى - نسخ جواز الكلام في الصلاة - نسخ وجوب صوم عاشوراء - نسخ حرمة الأكل وقربان النساء على مَنْ نام في رمضان قبل أن يفطر) ثم خمسة مواضع أخرى عبارة عن نسخ للقرآن وتتمثل في كل من :

١ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية^(١) بقوله تعالى : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الآية^(٢) .

٢ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية^(٣) بقوله تعالى : ﴿وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية^(٤) .

٣ - نسخ قول الله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ الآية^(٥) بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية^(٦) .

٤ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ الآيتان^(٧) بقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ﴾ الآية^(٨) .

٥ - نسخ قول الله تعالى : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ الآية^(٩) بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية^(١٠) .

وقد انتهى الدكتور زيد إلى أن دعاوى النسخ الأخرى لم تتوفر لها شروطه ، فضلاً عن أنه لم يقدّم دليل صحيح على وقوعه فيها ؛ ومن ثم فلم تزد مواضع النسخ عنده في القرآن

(١) البقرة : ١٤٤ - وانظر (أصول الفقه) : للشيخ محمد الحصري - ص (٢٥٠ - ٢٥٧) - الطبعة ٧ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .

(٢) الأنفال : ٦٥ . (٣) الأنفال : ٦٦ . (٤) المجادلة : ١٢ .

(٥) المجادلة : ١٣ . (٦) النساء : ٤٣ . (٧) المائدة : ٩٠ .

(٨) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) . (٩) المزمل : ٢٠ . (١٠) النساء : ١٥ .

(١١) النور : ٢ .

الكريم عن الآيات الخمس المذكورة^(١) .

٤- قول الشيخ على حسب الله :

ويتمثل قوله في تعقبه المواضع الخمسة التي يصرى الدكتور مصطفى زيد وقوع النسخ فيها ، حيث ينتهى الشيخ حسب الله إلى القول بأن النسخ لا يكاد يقع إلا فى الموضوعين الثالث والخامس منها مع أنهما مختلف فيهما ، أما المواضع الثلاثة الأخرى فيرى بطلان القول بوقوع النسخ فى أى منها ، وإزاء توضيح ما ذهب إليه بشأن المواضع الخمسة المذكورة نراه يعرض لكل موضع منها على حدة فيقول :

١- لا نسخ بين آيتى الأنفال فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الآية^(٣) ذلك لأن الآيتين متصلتان ، ولم يقدّم دليل على أن الثانية منهما تأخر نزولها حتى عمِلَ بالأولى ، بل نزلت سورة الأنفال بما فيها من أحكام القتال عند انصراف رسول الله ﷺ من غزوة بدر ، وما قبل هاتين الآيتين وما بعدهما متعلق بأحداث هذه الغزوة ، وقد كان أمر الإقدام على الحرب أو الإحجام عنها حتى غزوة بدر موكولاً إلى تقدير رسول الله ﷺ والمسلمين بصرف النظر عن عدد المقاتلين من الفريقين المتحاربين ؛ ولهذا فقد وقع التشاور عند السير إلى هذه الغزوة .

كما أن أول السورة عبارة عن عرض للسؤال عن الغنيمة قبل تقسيمها ، أما أواخرها فعبارة عن خطاب للأسرى المفادين قبل عودتهم إلى أهلهم وذلك فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الآيتان^(٤) والقائلون بالنسخ هنا يعترفون باتصال الآيتين حين يقررون أن الثانية هى القرينة على أن الأولى خبر فى معنى الأمر .

ولهذا لا نستطيع القول بأن فى الآية الأولى تكليفاً نَسَخَتْهُ الثانية ؛ فذلك بداء يتنزه عنه العليم الحكيم ، بل نقرر أن الآية الأولى سَيِّقَتْ للتحرير على القتال ؛ ولهذا فقد بُدِئَتْ بقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ ومن ثم فهى كقول المعلم الذى يريد أن يحث تلميذه على المذاكرة ، وَيَعُدُّهُ لِيَتَقَبَّلَ ما سيكلفه به فيخاطبه قائلاً : (إنك بما أعهدك فيك من ذكاء وحب للعلم تستطيع أن تذاكر مائة صفحة من هذا الكتاب كل يوم) ثم يتبع ذلك قائلاً : (ولكنى أخفف عنك فلا أكلفك هذا الذى تقدر عليه لانى أعلم أن عليك من العلوم الأخرى ما يحتاج إلى المذاكرة ؛ فالآن ذاكر عشرين صفحة فقط كل يوم) .

(١) النسخ فى القرآن الكريم : د. مصطفى زيد - ص ٨٠٥ - الفقرات (١٢٠٨ - ١٢٦٤) - الطبعة

١- الناشر : دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣ م .

(٢) الأنفال : ٦٥ . (٣) الأنفال : ٦٦ . (٤) الأنفال : ٧٠ - ٧١ (آيتان) .

وهنا قد يخشى في أول الكلام أن يكلفه معلمه بمذاكرة مائة صفحة كل يوم فيشقى عليه ذلك، لكنه لم يلبث أن يسمع بقية كلام معلمه بالتخفيف عنه إلى عشرين صفحة فقط كل يوم؛ وعندئذ يطمئن إلى حُسْن تقدير معلمه فيقبله راضياً، ويحس بما في تكليفه من يُسر ورحمة .

٢- لا نسخ بين آيتي المجادلة في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية^(٢) والقول فيهما قريب من قولنا في آيتي الأنفال السابقتين ؛ ولذا فقد ألحقناهما بهما ، ولو سلمنا النسخ هنا في آيتي المجادلة فإنه لا مجال إذن للكلام في أن الآية الأولى محكمة أو غير محكمة في حقنا ؛ لأن التكليف فيها متعلق بمناجاة رسول الله ﷺ وهي ما لا يتأتى بعد وفاته .

٣- إن نسخ قول الله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ الآية^(٣) بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ الآية^(٤) إنما ورد على مفهوم الإشارة ، وهو غير مقصود بِسَوْقِ الكلام ، وأما مدلول العبارة فهو باقٍ على إحكامه باتفاق .

٤- إن نسخ صدر سورة المزمل في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآيتان^(٥) بأخر آية في السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَيْكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ الآية^(٦) ليس إلا تكليفاً موجهاً إلى رسول الله ﷺ وحده ؛ ومن ثم فلا مجال للكلام أنه محكم أو غير محكم في حقنا .

٥- لم يبقَ بعد هذا إلا نسخ قول الله تعالى : ﴿وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ الآيتان^(٧) بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية^(٨) ولا بى مسلم الأصفهاني في الآية الأولى تأويل يخرجها عن أن تكون منسوخة^(٩) .

- | | | |
|---------------------|----------------------------|-------------------|
| (١) المجادلة : ١٢ . | (٢) المجادلة : ١٣ . | (٣) النساء : ٤٣ . |
| (٤) المائدة : ٩٠ . | (٥) المزمل ١ - ٢ (آيتان) . | (٦) المزمل : ٢٠ . |
| (٧) النساء : ١٥ . | (٨) النور : ٢ . | |

(٩) أصول التشريع الإسلامي : للشيخ علي حسب الله - ص (٢١٩ - ٢٢٤) - بتصرف يسير - الطبعة ٦ - مطابع : المكتب المصري الحديث - الناشر : دار المثقف العربي - إشراف : أسرة مسجد السلام بالهرم - الجيزة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

• أبو مسلم الأصفهاني ت (٣٢٢هـ = ٩٣٤م) :

هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المعتزلي ، كان عالماً بالتفسير وغيره من فنون العلم وفروعه المختلفة ، كما اشتهر بجدله وبلاغته - انظر تفصيل ترجمته في (معجم الأدباء) : لياقوت الرومي الحموي ٣٥ / ١٨ .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطي

والحق أن الشنقيطي يقف من الناسخ والنسوخ نفس موقف السيوطي منه ، مع الأخذ في الاعتبار بعض ما له من استدراقات على السيوطي في ذلك .

فمواضع النسخ وإن كانت قد بلغت واحداً وعشرين موضعاً عند السيوطي كما تضمنتها أبياته العشرة التي نظمها في ذلك ، إلا أن الشنقيطي قد استدرك عليه في موضعين منها حيث قال بعدم النسخ فيهما ، وذلك من خلال شرحه لهذه الأبيات المذكورة .

هذا فضلاً عن إيضاح الشنقيطي لموضعين وقع فيهما نسخٌ للناسخ ، في حين اكتفى السيوطي فيهما بذكر الناسخ فقط دون ذكر ناسخه للمرة الثانية .

ومن ثم ؛ فإن جملة مواضع النسخ عند الشنقيطي تبلغ واحداً وعشرين موضعاً ، حيث شملت تسعة عشر موضعاً عند السيوطي ، إضافة إلى الموضعين اللذين يذكر فيهما الشنقيطي (ناسخ الناسخ) .

* * *

وما ذهب إليه الشنقيطي هنا هو ذات ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملي على ذلك التععيد النظري .

المطلب الثاني التطبيق العملي

ويتتظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : تسعة عشر موضعاً للنسخ .
- ٢ - المسألة الثانية : موضعان لنسخ النسخ .
- ٣ - المسألة الثالثة : موضع تفصيلي .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما وقع فيها من (النسخ) حيث يُجسَّدُ من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعبيده النظرى ، وفيما يلى نعرض لأمثلة هذا السلوك الفعلى من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تِسْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا لِلنَّسْخِ

وهى تلك المواضع التى أوردتها الشنقيطى من خلال شرحه على أبيات السيوطى ، وفيما يلى نسوق نص هذه الأبيات العشرة ، ثم نتبعه بشرح الشنقيطى عليها :

يقول السيوطى فى كتابه : (الإقتان فى علوم القرآن) فيما يختص بـ (الناسخ والمنسوخ) ما نصه :

وَأَدْخَلُوا فِيهِ آيَا ^(١) لَيْسَ تَنْحَصِرُ	قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ ^(١) فِي الْمَنْسُوحِ مِنْ عَدَدِ
عِشْرِينَ حَرَّرَهَا الْحُدَّاقُ وَالْكَبِيرُ	وَهَاكَ تَخْرِيرَ آيٍ ^(٢) لَا مَزِيدَ لَهَا
يُوصَى لِأَهْلِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ مُحْتَضِرُ	أَيُّ التَّوَجُّهِ حَيْثُ الْمَرْءُ كَانَ وَأَنْ
وَفِذْيَةً لِمُطَبِّقِ الصُّومِ مَشْتَهَرُ	وَحُرْمَةَ الْأَكْلِ بَعْدَ النَّوْمِ مَعَ رَفَثٍ
وَفِي الْحَرَامِ قِتَالٌ لِلأُولَى كَفَرُوا	وَحَقَّ تَقْوَاهُ فِيمَا صَحَّ مِنْ أَثَرِ
وَأَنْ يُدَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ	وَالاعْتِدَادُ بِحَوَالٍ مَعَ وَصِيَّتِهَا
كُفْرٌ وَإِشْهَادُهُمُ وَالصَّبْرُ وَالنَّفْرُ	وَالْحَلْفُ وَالْحَبْسُ لِلزَّانِي وَتَرْكُ أُولَى
وَمَا عَلَى الْمُصْطَفَى فِي الْعَقْدِ مُحْتَظَرُ	وَمَنْعُ عَقْدِ لَزَانٍ أَوْ لَزَانِيَةٍ
وَأَهُ كَذَلِكَ ^(٤) قِيَامُ اللَّيْلِ مُسْتَظَرُ	وَدَفْعُ مَهْرٍ لِمَنْ جَاءَتْ وَآيَةُ نَجٍ
وَآيَةُ الْقِسْمَةِ الْقُضَلَى لِمَنْ حَضَرُوا ^(٥)	وَزَيْدُ آيَةِ الْأَسْتِئْذَانِ مِنْ مَلَكَتْ

ويتناول الشنقيطى هذه الآيات بالشرح موضحاً مواضع النسخ التى اشتملت عليها

فيقول ما نصه :

(١) وردت فى الأضواء (مِنْ) وصرابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .

(٢) وردت فى الأضواء (آبا) وصرابها (آيا) جمع (آية) .

(٣) وردت فى الأضواء (آى) وصرابها (آي) جمع (آية) .

(٤) وردت فى الأضواء (كذلك) وصرابها (كذلك) حتى يستقيم الوزن .

(٥) انظر نص هذه الأبيات العشرة فى كل من :

• الإقتان فى علوم القرآن : السيوطى ٧٧/٣ .

• أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٩/٩ .

١ - قوله : (أى التوجه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ الآية^(١) منسوخ على رأى ابن عباس رضي الله عنه بقوله تعالى : ﴿قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية^(٢) .

٢ - قوله : (وأن يُوصى لأهليه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾ الآية^(٣) منسوخ كما حكاها ابن العربي بآية الموارث ، وقيل بحديث : « لا وصية لوارث » وقيل : بالإجماع^(٤) .

٣ - قوله : (وحرمة الأكل بعد النوم مع رقت) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الآية^(٥) المتضمن حرمة الأكل والجماع بعد النوم كما فى صوم من قبلنا ، منسوخ بقوله تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ الآية^(٦) .

٤ - قوله : (وفدية لمطيق) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الآية^(٧) منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية^(٨) وقيل : إن هذه الآية مُحكَّمة ، وإن (لا) مقدره يعنى : (وعلى الذى لا يطيقونه) .

٥ - قوله تعالى : (وحق تقواه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ الآية^(٩) منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ الآية^(١٠) وقيل : إن هذه الآية مُحكَّمة .

٦ - قوله : (وفى الحرام قتال) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية^(١١) وقوله

(١) البقرة : ١١٥ . (٢) البقرة : ١٤٤ و ١٤٩ (آيتان) . (٣) البقرة : ١٨٠ .

(٤) ويعنى بآية الموارث قول الله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ النساء : ١١ - والحديث المذكور أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) الوصايا (باب) ما جاء لا وصية لوارث - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٧٢١٣) - (طبع بيروت) .

(٥) البقرة : ١٨٣ . (٦) البقرة : ١٨٧ . (٧) البقرة : ١٨٤ .
(٨) البقرة : ١٨٥ . (٩) آل عمران : ١٠٢ . (١٠) التغابن : ١٦ .
(١١) البقرة : ٢١٧ .

تعالى : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ الآية^(١) منسوخان بقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ الآية^(٢) كما أخرجه الطبري عن عطاء بن ميسرة .

٧ - قوله : (والاعتداد بِحَوْلٍ مع وَصِيَّتِهَا) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ الآية^(٣) منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية^(٤) .

٨ - قوله : (وَأَنْ يُدَانَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية^(٥) منسوخ بقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية^(٦) .

٩ - قوله : (وَالْحَلْفُ أَى الْمُحَالَفَةُ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ الآية^(٧) منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية^(٨) .

١٠ - قوله : (وَالْحَبْسُ لِلزَّانِي) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ الآية^(٩) منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية^(١٠) .

١١ - قوله : (وَتَرْكُ أَوْلَى الْكُفْرِ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية^(١١) منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية^(١٢) .

١٢ - قوله : (وَإِشْهَادُهُمْ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الآية^(١٣) منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الآية^(١٤) .

(١) المائة : ٢ .	(٢) التوبة : ٣٦ .	(٣) البقرة : ٢٤٠ .
(٤) البقرة : ٢٣٤ .	(٥) البقرة : ٢٨٤ .	(٦) البقرة : ٢٨٦ .
(٨) النساء : ٣٣ .	(٨) الأنفال : ٧٥ .	(٩) النساء : ١٥ .
(١٠) النور : ٢ .	(١١) المائدة : ٤٢ .	(١٢) المائدة : ٤٩ .
(١٣) المائة : ١٠٦ .	(١٤) الطلاق : ٢ .	

١٣ - قوله : (والصبر) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ الآية^(١) منسوخ بقوله تعالى : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الآية^(٢) .

١٤ - قوله : (والتفر) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية^(٣) منسوخ بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ الآية^(٤) أو بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية^(٥) أو بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية^(٦) .

١٥ - قوله : (ومنع عقد لزان أو لزانية) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ الآية^(٧) منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ الآية^(٨) .

١٦ - قوله : (وما على المصطفى في العقد مُحْتَظَرٌ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ الآية^(٩) منسوخ بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية^(١٠) .

١٧ - قوله : (ودفع مهر لمن جاءت) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ الآية^(١١) منسوخ بآية السيف^(١٢) وقيل : بآية الغنيمة^(١٣) .

- | | | |
|---------------------|----------------------|--------------------|
| (١) الأنفال : ٦٥ . | (٢) الأنفال : ٦٦ . | (٣) التوبة : ٤١ . |
| (٤) التوبة : ٩١ . | (٥) النور : ٦١ . | (٦) التوبة : ١٢٢ . |
| (٧) النور : ٣ . | (٨) النور : ٣٢ . | (٩) الأحزاب : ٥٢ . |
| (١٠) الأحزاب : ٥٠ . | (١١) الممتحنة : ١١ . | |

(١٢) والمقصود بآية السيف هي قول الله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة (أو براءة) : ٢٩ - انظر (تفسير القرآن العظيم) : للحافظ ابن كثير ٣٤٧/٢ .

(١٣) والمقصود بآية الغنيمة هي قول الله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال : ٤١ - انظر (تفسير القرآن العظيم) : ابن كثير . . ٣١٠/٢

١٨ - قوله : (كذاكَ قِيَامَ اللَّيْلِ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ﴾ الآية^(١) منسوخ بقوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِرَهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ الآية^(٣) .

١٩ - قوله : (وَآيَةٌ نَجْوَاهُ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ الآية^(٤) منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية^(٥) ويقول تعالى : ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية^(٦) .

• أما قول السيوطي : (وزيد آية الاستئذان مما ملكت) مشيراً به إلى نسخ قول الله تعالى : ﴿لَيْسَتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية^(٧) ثم قوله : (وآية القسم) مشيراً به إلى نسخ قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ الآية^(٨) فإن الشنقيطي لا يرى وقوع النسخ فيهما قائلًا : والصحيح فيهما عدم النسخ^(٩) .

المسألة الثانية

موضعان لنسخ الناسخ

وهما الموضعان اللذان استدركهما الشنقيطي على أبيات السيوطي ، حيث يقول في ذلك ما نصه :

١- وقول الله تعالى : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية^(١٠) ناسخ لآية الكف ، منسوخ بآية العذر^(١١) ويعني بآية الكف قول الله تعالى : ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ الآية^(١٢) وقوله تعالى : ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية^(١٣) وقوله تعالى : ﴿فَعَجَّلْ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ الآية^(١٤) وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية^(١٥) .

أما (آية العذر) فيعني بها قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا

(١) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) .

(٢) المزمل : ٢٠ .

(٣) المزمل : ٢٠ .

(٤) المجادلة : ١٢ .

(٥) المجادلة : ١٢ .

(٦) المجادلة : ١٣ .

(٧) النساء : ٨ .

(٨) التور : ٥٨ .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطي ٩ / ٧٠٠ - ٧٠٤ . (الجزء الثاني من التمه) .

(١٠) التوبة : ٤١ .

(١١) أضواء البيان : الشنقيطي ٩ / ٧٠٤ - ٧٠٨ . (الجزء الثاني من التمه) .

(١٢) الأحزاب : ٢٥ .

(١٣) الفتح : ٢٠ .

(١٤) الفتح : ٢٤ .

(١٥) المائدة : ١١ .

عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ ﴿ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ الآية (٣) .

وبناءً على هذا فإن آية (الكف) تصير منسوخة بآية (النفر) والتي تصير منسوخة بدورها بآية (العذر) .

٢- وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الآية (٤) منسوخ بكل من قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ﴾ الآية (٦) وهذا الناسخ منسوخ أيضاً بفرض الصلوات الخمس (٧) .

ويعنى بفرض الصلوات الخمس أى الأمر بإقامتهن ، والذي وردت به غير آية من آيات القرآن العظيم ، ومن ذلك ما هو موجه إلى رسول الله ﷺ كقول الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ﴾ الآية (٨) وقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ الآية (٩) .

ومنه ما هو موجه إلى الأمة كقول الله تعالى : ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ﴾ الآية (١٠) وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الآية (١١) وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ﴾ الآية (١٢) وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية (١٣) . إلى غير ذلك من الآيات (١٤) .

هذا فضلاً عن أمر الله تعالى إلى المسلمين بالحفاظ على أوقات تلك الصلوات ، وأدائها على الوجه اللائق بمنزلتها وفرضيتها ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ الآية (١٥) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ الآية (١٦) .

(١) التوبة : ٩١ . (٢) النور : ٦١ . (٣) التوبة : ١٢٢ .

(٤) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) . (٥) المزمل : ٢٠ . (٦) المزمل : ٢٠ .

(٧) أضواء البيان : الشنيطى ٧٠٣/٩ - ٧٠٤ (الجزء الثانى من التمه) . (٨) هود : ١١٤ .

(٩) الإسراء : ٧٨ . (١٠) البقرة : ٤٣ .

(١١) الأنعام : ٧٢ . (١٢) الحج : ٧٨ . (١٣) المجادلة : ١٣ .

(١٤) حيث ورد الأمر بإقامة هذه الصلوات المكتوبة فى (اثنى عشرة آية على مدار القرآن كله، وذلك بلفظ: ﴿ أَقِمُوا الصَّلَاةَ ﴾ - انظر (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم): وضع محمد فؤاد عبد الباقى ص ٥٧٩ .

(١٥) البقرة : ٢٣٨ . (١٦) النساء : ١٠٣ .

المسألة الثالثة

موضح تفصيلي

ولئن كان الشنقيطى قد جمع فيما سبق سائر مواضع النسخ فى القرآن بقصد حصرها وتحديدتها ، فضلاً عن إظهارها وتجليتها ، لتكون مضمومة بعضها إلى بعض فى موطن واحد من تفسيره ؛ إلا أن هذا الحصر قد جاء على وجه الإيجاز والإجمال ؛ وذلك نظراً لأن الشنقيطى لا يفتأ أن يعرض لهذا النسخ فى مواضعه من التفسير حتى يفصل فيه القول ، ويوجه على أساسه المعنى ، وفيما يلى نكتفى بأحد هذه المواضع التفصيلية تنبيهاً به على غيره مما فى ثنانيا تفسيره المختلفة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ الآية^(١) نراه يقول ما نصه : لم يبين الله تعالى هنا : هل جعل لهن سبيلاً أم لا ؟ ولكنه بين سبحانه فى مواضع أخر أنه جعل لهن السبيل بـ (الحد) وذلك كما فى قوله تعالى فى (البكر) : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى فى (الثيب) : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » لأن هذه الآية باقية الحكم كما صح ذلك فيها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإن كانت منسوخة التلاوة .

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن حكم (الرجم) مأخوذ أيضاً من آية أخرى محكمة غير منسوخة التلاوة ، وهى قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ الآية^(٣) فإنها نزلت فى اليهودى واليهودية اللذين زنيا وهما مُحَصَّنَان ، وقد رجمهما رسول الله صلوات الله عليه .

ومن ثم ؛ فإن ذم الله تعالى فى هذا الكتاب للمعرض عما فى (التوراة) من رجم الزانى المحصن ، ليعد دليلاً قرآنياً واضحاً على بقاء حكم الرجم ، كما أن مما يوضح ما ذكرناه من أن الله تعالى قد جعل لهن سبيلاً بـ (الحد) أن رسول الله صلوات الله عليه قد صرح بهذا فى حديثه الثابت فى (الصحيح) حيث قال : « خذوا عنى : قد جعل الله لهن سبيلاً » الحديث^(٤) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (الناسخ والمنسوخ) كموضوع أساسى من موضوعات (علوم القرآن) التى يصنف الآية تحته ، بل ويوجه معناها على هديه ، وذلك من خلال تقييده النظرى ، ثم تطبيقه العملى .

(٣) آل عمران : ٢٣ .

(٢) النور : ٢ .

(١) النساء : ١٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٧٦ - والحديث المذكور أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب الحدود

(باب) حد الزنا - (طبع بيروت) .

المبحث الثالث الحروف المقطّعة

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .

المطلب الأول التقعيد النظري

ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : ماهية هذه الحروف .
- ٢ - المسألة الثانية : أقوال العلماء .
- ٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطي .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (الحروف المُقَطَّعة فى أوائل السور القرآنية) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنَّفُ تحتها بعض ما يَعْرِضُ له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

ماهية هذه الحروف

وتتمثل هذه الماهية فى حديثنا الموجز هنا عن كل من عدد هذه الحروف وتركيبها ومواضعها ، وذلك على النحو التالى :

١- عددها:

تبلغ جملة هذه الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية أربعة عشر حرفاً شملت كلاً من : (ا - ح - ر - س - ص - ط - ع - ق - ك - ل - م - ن - ه - ي) .

ومن الملاحظ عليها أنها تمثل نصف حروف الهجاء فى العربية البالغة ثمانية وعشرين حرفاً ، حيث اقتصررت هذه الحروف هنا على ذكر الحرف دون ذكر نظيره ، ومن ذلك ذكر حرف (ح) إشارة إلى نظائره المتمثلة فى حرفى (ج - خ) وكذا ذكر حرف (ر) إشارة إلى نظيره المتمثل فى حرف (ز) وهكذا فى بقية الحروف المذكورة .

٢- تركيبها:

وردت هذه الحروف الأربعة عشر من خلال خمسة أشكالٍ تركيبية تمثلت فى الهيئات التالية :

- ١ - على هيئة حرف واحد : ومن ذلك كل من حرف (ص) - (ق) - (ن) .
- ٢ - على هيئة حرفين : ومن ذلك كل من حرفى (حَم) - (طس) - (طه) - (يس) .
- ٣ - على هيئة ثلاثة أحرف : ومن ذلك كل من حروف (آلَم) - (آلر) - (طسَم) - (عَسَق) .
- ٤ - على هيئة أربعة أحرف : ومن ذلك كل من (آلَمَر) - (آلَمَص) .
- ٥ - على هيئة خمسة أحرف : ومن ذلك هذا التركيب الوحيد المتمثل فى (كَهَيْعَص) .

٣ - مواضعها :

لقد جاءت هذه الحروف الأربعة عشرَ بأشكالها الخمسة المذكورة ، لتصدر سبعةً وعشرين سورة قرآنية شملت كلاً من : (البقرة - آل عمران - الأعراف - يونس - هود - يوسف - الرعد - إبراهيم - الحجر - مريم - طه - الشعراء - النمل - القصص - لقمان - السجدة - يس - ص - غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف - ق - القلم) .

المسألة الثانية

أقوال العلماء

يشير الشنقيطي إلى أن جملة أقوال العلماء في هذه الحروف المقطعة التي وردت في فواتح السور القرآنية قد بلغت ما يقرب من (ثلاثين) قولاً^(١) غير أنه اكتفى من جملة هذه الأقوال بـ (أربعة) من أشهرها نوردها بدورنا على النحو التالي :

١- هي مما استأثر الله تعالى بعلمه :

وقد أشار الشنقيطي إلى أن هذا القول مروى عن كل من : الخلفاء الأربعة الراشدين (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) ثم عبد الله بن مسعود، وعامر الشَّعْبِيّ، وسفيان الثوريّ ، والربيع بن خيثم رضوان الله عليهم أجمعين وهو ذات ما اختاره الحافظ ابن حبان^(٢) .

٢ - هي أسماء للسور التي افتتحت بها :

وإلى أصحاب هذا القول وأدلتهم عليه يشير الشنقيطي قائلاً : وممن قال بهذا القول : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما يُروى ما يدلّ لهذا القول عن مجاهد وقتادة وزيد بن أسلم ، وقد قال الزمخشري في (تفسيره) : وعليه إطباق الأكثر ، كما نقل عن سيبويه أنه نصّ عليه .

ويعتضد هذا القول بما ثبت في (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (آلم السجدة) و (هل أتى على الإنسان) الحديث^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥/٣ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٣ .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة) باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجمعة) باب ما يقرأ في يوم الجمعة - (طبع بيروت) .

ويدل له أيضاً ما ذكره البخارى فى (صحيحه) من قول شريح بن أبى أوفى العيسى
عندما قُتِلَ محمد السَّجَّاد بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (يوم الجَمَل) حيث قال :
يُذَكِّرُنِي (حَامِيمٌ) وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا (حَامِيمَ) قَبْلَ التَّقَدُّمِ
فقوله : (حاميم) فيه الدلالة على ما ذكرنا من أنه (اسمٌ للسُّورَة) وهى سورة (المؤمن)
كما ذكرها البخارى^(١) .

٣ - هى من أسماء الله تعالى :

وقد أشار الشنقيطى إلى أنّ من القائلين بهذا كلاً من : سالم بن عبد الله ، وعامر
الشعبى ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّىّ الكبير ، كما رُوِيَ معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما
وعن ابن عباس أيضاً : أنها أَقْسَامٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى بها ، وهى من أسمائه سبحانه ، كما
رُوِيَ نحوه عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه^(٢) .

٤ - كل حرفٍ منها مفتاحٌ لاسمٍ من أسماء الله تعالى :

ويوضح الشنقيطى ذلك قائلاً : وقيل هى حروف ، كل واحد منها من أسماء الله جلّ
وعلا ؛ فالألف من (الْم) مفتاح اسم (الله) واللام مفتاح اسم (اللطف) والميم مفتاح اسم
(المجيد) وهكذا فى بقية الحروف ، وهذا ما يروى عن ابن عباس وابن مسعود وأبى العالية .
وقد استدل لهذا القول بأنّ العرب قد تطلق الحرف الأول من الكلمة فى حين تريد به
جميع الكلمة ، ومنه قول الراجز :

قَلْتُ لَهَا قَفِي فَقَالَتْ لِي قَافٌ لَا تَحْسَبِي أَنَا نَسِينَا الْإِيجَافُ

فقوله : (قاف) أى (وقفت) .

ومنه قول الآخر :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَآءٌ وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأَ

فقوله : (فآ) أى (وإن شراً فشر) وقوله : (تآ) أى (ولا أريد الشرَّ إلا أن تشاء)
فاكتفى بـ (الفاء) و (التاء) عن بقية الكلمتين (فشر) و (تشاء) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣ / ٣ - ٤ (بتصرف يسير) - ويعنى بسورة (المؤمن) أى سورة (غافر)
والتي تبدأ بقول الله تعالى : ﴿حَمْدٌ (١) نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)﴾ الآيتان (١ - ٢)
- والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التفسير (باب) سورة المؤمن - (طبع
بيروت) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣ / ٤ .

قال القرطبي : يقول رسول الله ﷺ : « مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ » الحديث^(١) وفي ذلك يقول سفيان : هو أن يقول في (اَقْتُلْ) : (اِقْ)^(٢) .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطي

يرى الشنقيطي أن هذه الحروف إنما وردت في أوائل السور القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز القرآن الذي تتركب آياته من تلك الحروف التي يتخاطب بها الخلق ؛ ومع هذا فهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، وفي ذلك يقول ما نصه : أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رُجْحَانِهِ فهو أن هذه الحروف المقطعة إنما ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها ؛ بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .

وقد حكى الرازي هذا القول في (تفسيره) عن المبرد وجمع من المحققين ، كما حكاه القرطبي عن الفراء وقطرب ، ونصره الزمخشري في تفسيره (الكشاف) كما قال ابن كثير : وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية ، وكذا شيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي ؛ والذي حكاه لي عن ابن تيمية^(٣) .

وعقب ذلك يسوق الشنقيطي استدلاله على ما ذهب إليه من خلال استقراء القرآن لهذا فيقول ما نصه : ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يُذَكَّرُ فيها دائماً عقب هذه الحروف الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذي لا شك فيه ؛ فذَكَرَ ذلك بعد هذه الحروف دائماً هو (دليل استقرائي) على أن هذه الحروف المقطعة إنما قُصِدَ بها إظهار إعجاز القرآن وأنه الحق .

قال الله تعالى في (البقرة) : ﴿ اَلَمْ ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية^(٤) وقال تعالى في (آل عمران) : ﴿ اَلَمْ ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾ الآيات^(٥) وقال تعالى في (الأعراف) : ﴿ اَلَمْصَن ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ : « مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٍ

بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيس من رحمة الله » - انظر سنن ابن ماجه (كتاب) الديات (باب) التغليظ في قتل

مسلم ظلماً - (طبع بيروت) - ويقول ابن ماجه : وفي إسناده يزيد بن زياد وهو متروك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٣ - ٥ . (٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥/٣ .

(٤) البقرة : ١ - ٢ (آيتان) . (٥) آل عمران : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

بِهِ وَذَكَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿الآيَاتَانِ﴾^(١) .

ويستمر الشنقيطى فى ذكر بقية مواضع هذه الحروف على ذات النهج ، غير أنه أغفل موضعين منها ، وهما قول الله تعالى فى سورة (مريم) : ﴿كَهَيَّعَ ۙ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾ الآياتان^(٢) وقوله تعالى فى سورة (القلم) : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۙ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ الآياتان^(٣) .

وبهذا تصير جملة مواضع هذه الحروف التى ذكرها الشنقيطى خمسة وعشرين موضعاً ، وليست سبعة وعشرين على صوابها الذى ذكرناه^(٤) .

• رأى البحث :

وبعد أن عرضنا لأقوال العلماء عامة ، وقول الشنقيطى منهم خاصة ، بشأن ما ذهبوا إليه فى هذه الحروف المقطعة التى افتتحت بها تلك السور القرآنية السبعُ والعشرون فإننا نميل إلى القول بأن هذه الحروف إنما وردت فى أوائل السور القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز هذا القرآن العظيم الذى أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ^(٥) .

فبالرغم من أن آياته تتركب من مثل هذه الحروف العربية التى يتألف منها كلام العرب الذين نزل فيهم القرآن ؛ إلا أنهم عجزوا مع فصاحتهم وبلاغتهم المشهود لهم بها أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، حتى وإن بلغ بهم الأمر أن يظاهروا الجن ويتعاونوا معهم لبلوغ هذا الأرب ؛ وهذا ما يُعَجِّزُهُمْ به الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الآية^(٦) .

ومبالغة فى هذا التعجيز فقد طالبهم سبحانه بأن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن ، ومع هذا فقد بين سبحانه عدم قدرتهم على الإتيان بذلك كما فى قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلَهُ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿الآيَاتَانِ﴾^(٧) .

بل وأكثر من هذا عندما طالبهم سبحانه بأن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن ،

(٢) مريم : ١ - ٢ (آياتان) .

(١) الأعراف : ١ - ٢ (آياتان) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥ - ٧ .

(٣) القلم : ١ - ٢ (آياتان) .

(٥) هذا اقتباس من وصف الحق سبحانه قرآنه بذلك فى قوله تعالى : ﴿وَالرَّكِبِ كِتَابٍ أَحْكَمْتِ آيَاتُهُ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود : ١ .

(٧) هود : ١٣ - ١٤ (آياتان) .

(٦) الإسراء : ٨٨ .

ومع هذا فقد حكم سبحانه كذلك بعجزهم عن الإتيان بذلك كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدَنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ الآيات (١) .

وعلى الرغم من عجزهم الواضح ، وقصورهم اللين ، والذي حكاه القرآن وقطع به ؛ إلا أن بعض المعاندين المكابرين ، وخاصة ممن ادعوا النبوة ، قد صوّرت لهم أحلامهم السقيمة ، وخذعتهم خيالاتهم المريضة ، فتوهّموا أن يعارضوا القرآن بشيء مثله (٢) .

(١) البقرة : ٢٣ - ٢٤ (آيات) .

(٢) والنبوة ظاهرة تدعو للسخرية من هؤلاء المتبئين ؛ ذلك لأن العرب قد وجدوا في دعوة رسول الله ﷺ آنذاك ما لم يكن يصل إليه خيالهم أو تطمح إليه نفوسهم إلا وهو اتحادهم وتألفهم على قلب رجل واحد تحت راية الإسلام .

ومن ثم ؛ فقد ظهر المتبئون ليتخذوا من ادعاء النبوة وسيلة لجمع الناس حولهم ، وقد بدأوا ذلك في أواخر حياة رسول الله ﷺ عندما بدأت رسالته تنجح ، وأخذت دعوته تؤتى ثمرها ، ثم قوى اتجاههم وعظّم بعد وفاته ﷺ وانتشار الفتنة في شبه الجزيرة العربية .

ومن الذين ادعوا النبوة آنذاك (عبيلة ذو الخمار المعروف بالأسود العنسيّ والملقب برحمان اليمن) وقد قُتل على فكره في الليلة التي توفي رسول الله ﷺ في صبيحتها ، ومنهم أيضاً (طليحة بن خويلد الأسديّ) الذي اتبعه قومه بنو أسد وكذا طى وغطفان ، ثم فر أمام جيش خالد بن الوليد ليختفى بالشام وليُسلم بعد ذلك في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ وقد حَسُن إسلامه وشارك في الفتح الإسلامية آنذاك .

أما أشد المتبئين خطراً ، وأكثرهم شهرة ، فقد كان (مُسَيْلِمَةَ الكذاب) في بنى حنيفة باليمامة ، والذي قُتل على كفره في (حديقة الموت) على يد المسلمين الذين كان في مقدمتهم (وحشى قاتل حمزة) حيث بدأه رميا بحربته ، كما كانت (سَجَّاح التميمية) هي المرأة الوحيدة التي ادعت النبوة في قومها بنى تميم ، والذين كانت ديارهم على مقربة من ديار بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وقد انضم أتباعها إلى أتباعه بعد أن تم الزواج بينهما ، غير أنها أسلمت بعد مقتل زوجها مسيلمة . راجع في ذلك بتصرف كلاً من :

- تاريخ الرسل والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - ٢٣٢/٣ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م
- فتوح البلدان : لأحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) - ص ١٠٨ - نشره ووضع ملاحقه وفهارسه : د. صلاح الدين المنجد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
- الكامل فى التاريخ : لعز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير ت (٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م) - ١١٤/٢ - (دار صادر للطباعة والنشر) مع (دار بيروت للطباعة والنشر) - بيروت - لبنان - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا التوهم أن (تهاورا وأغلقَ عليهم؛ فقالوا سَخَفًا أقل بكثير من كلامهم الذي تعودوا أن يقولوه في مناسبات غير مناسبات تحديهم القرآن ومحاولتهم تقليده والإتيان بمثله، ومن الواضح أن محاولة هؤلاء المعاندين أن يأتوا بمثل القرآن تحمِلُ في طياتها تقديرهم للقرآن الكريم وإعجابهم به ، ولو كان القرآن لم يتلَّ إعجابهم وإعجابهم لما حاولوا تقليده ، ولما بذلوا الجهد لتحقيق ذلك ؛ وليس هذا إلا لأنهم أَلْفُوا تقديس الفصحى من القول ، حتى إنهم كانوا يُعَلِّقُونَ خير قصائدهم الجاهلية على أستار الكعبة لتكون في مكان واحد مع معبوداتهم ، ولتُوَضَّعَ في المكان الذي يحجُّون إليه ويتبركون به^(١) .

ويعضد هذا الكلام ما سبق أن رجحناه من أن هذه الحروف المقطعة إنما وردت في أوائل السور القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز هذا القرآن العظيم الذي أَعَى أساطين البلاغة ، وأعجز أئمة الفصاحة ، من العرب خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وقد جمع الحافظ ابن كثير هذه الحروف الأربعة عشرَ بعد أن حذف المكرر منها في قوله : (نَصُّ حَكِيمٍ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ)^(٢) .

وهكذا يتفق ما نميل إليه مع ما ذهب إليه الشنقيطي بشأن هذه الحروف التي ساقها الحق سبحانه في أوائل السورة القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز قرآنه العظيم ، وذكره الحكيم .

وما ذهب إليه الشنقيطي هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملي على ذلك التعقيد النظري .

• موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية : د. أحمد شلبي - (٣٨٣ - ٣٨٥) - الطبعة ٨ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية : د. أحمد شلبي ١/ ٣٧١ - ٣٧٣ .
ومن هذا السُخْف الذي هَدَى به هؤلاء المتنبئون تلك الكلمات التي سَمَّوْهَا (سورة الضُّفْدَع) والتي تقول : (يا ضَفْدَعُ ابْنَةَ ضَفْدَعٍ ، نَقَى مَا تُنْقِينَ ، أَعْلَاكَ فِي الْمَاءِ ، وَأَسْفَلَكَ فِي الطِّينِ ، لَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ ، وَلَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ) - انظر في ذلك (دراسات إسلامية) : عبد المتعال الصعيدي ص ١٠٤ - دار الفكر العربي - القاهرة - (د . ت) .

كما أن من هذا السُخْف أيضاً تلك الكلمات التي حفظتها قديماً غير أنه غاب عن مصدرها آنذاك ، حيث أراد هؤلاء المدَّعون المخرفون أن يعارضوا بها (سورة الكوثر) فَسَمَّوْهَا (سورة التفاح) وتقول : (إنا أعطيناك التفاح ، فَصَلِّ لربك وارتاح ، إنَّ شانك هو الحروفُ النَّطَّاحُ) .

فما أسخفَ هذا وما أَرْدَاهُ !! بل وما أيسرَ أن يأتي المخلوقون بالعديد من مثله !! لا نقول من

أهل العلم ، بل من صغار الطلاب !! سبحانه هذا بهتانٌ عظيم !!

(٢) تفسير القرآن العظيم : للحافظ ابن كثير ١/ ٣٧ .

المطلب الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : شاهد أساسي .
- ٢ - المسألة الثانية : شاهد فرعي .
- ٣ - المسألة الثالثة : إحالة الشواهد الأخرى .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقىطى فى تصنيفه هذه الآيه أو تلك على أساس ما اشتملت عليه من تلك (الحروف المقطعة) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفعيده النظرى ، وفيما يلى نكتفى بذكر مثالين لهذا السلوك الفعلى مع ذكر إحالة غيرهما عليهما من الشواهد الأخرى مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

شاهد أساسى

ففى مَعْرِض تفسير الشنقىطى لقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الآية^(١) نراه يتخذ من هذا الموضوع مجالاً أساسياً لعرض أقوال العلماء عامة ، فضلاً عن قوله خاصة ، بشأن تلك الحروف المقطعة هنا ، وغيرها من الحروف الأخرى فى سائر مواضعها من القرآن ، وذلك على نحو ما فصلنا فيه القول آنفاً .

وقد استغرق هذا الموضوع من الشنقىطى خمس صفحات كاملة أبان فيها عن منهجه تجاه هذه الحروف فى فواتح السور القرآنية ؛ الأمر الذى جعل من هذا الموضوع (شاهداً أساسياً) لا يمكن إغفاله أو تجاوزه إزاء استجلاء موقف الشنقىطى من تلك الحروف^(١) .

• ملاحظة منهجية :

ومن الملاحظ أن الشنقىطى لم يعرض لتلك الحروف فى أول موضع لها فى سورة (البقرة) بل ولا فى غير ذلك من مواضعها الأخرى التالية فى كل من سور (آل عمران والأعراف ويونس) وإنما تجاوز هذه المواضع الأربعة مؤخراً ذلك إلى هذا الموضوع الخامس الذى نحن بصدده .

وإزاء تحليل الشنقىطى تأخيريه فى تناول هذه الحروف إلى هذا الموضوع الخامس لها فى أول سورة (هود) نراه يقول ما نصه : وإنما أخّرنا الكلام على الحروف المقطعة مع أنه مرّت سور مفتحة بتلك الحروف مثل (البقرة وآل عمران ويونس) لأن الحروف المقطعة توجد فى القرآن المكىّ غالباً ، و(البقرة وآل عمران) مدنيتان ، والغالب له الحكم .

وقد اخترنا لبيان ذلك سورة (هود) لأنّ دلالتها على المعنى المقصود فى غاية الظهور

(١) هود : ١ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقىطى ٣/٣ - ٧ (على مدار خمس صفحات كاملة) .

والإيضاح ؛ حيث إن قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿الر﴾ واضح جداً فيما ذكرنا ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

• رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي بشأن تعليقه لتأخير الكلام على هذه الحروف مردود من وجهين كما يلي :

١ - الوجه الأول :

علل الشنقيطي عدم تناوله هذه الحروف المقطعة عند تفسيره لسورتي (البقرة وآل عمران) لأنهما مدينتان ؛ ومن ثم فليس لهما الحكم الغالب في اشتمالهما على هذه الحروف كما هو الحال في السور المكيّة .

غير أن هذا مردود بأنّ سورتي (الأعراف ويونس) مكيّتان ؛ ومع ذلك لم يتناول الشنقيطي الحروف المقطعة في أولهما بالحديث عنهما جرياً على ما يراه في ذلك ويرتضيه .

٢ - الوجه الثاني :

كان أحرى بالشنقيطي أن يشير في أول موضع لهذه الحروف في سورة (البقرة) إلى عزمه على تأخير الكلام عليها إلى سورة (هود) وذلك اتساقاً مع ترتيب القرآن وتتابع آياته ، والذي تقتضيه منهجية التفسير من حيث تناول المفسر لقضايا التفسير في أول موضع يعرض له .

ومن ثم ؛ فإنّ صنيع الشنقيطي هنا يعدُّ من قبيل (المآخذ المنهجية) التي تُحسبُ عليه لا له .

المسألة الثانية

شاهد فرعيّ

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿طه﴾ الآية^(٢) نراه يوجّه المعنى على أساس ما ذكرناه عنه في (الشاهد الأساسيّ) فيقول ما نصه : وأظهر الأقوال فيه عندي أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور ، ويدل لذلك أن (الطاء والهاء) المذكورتين في فاتحة هذه السورة ، قد جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة .

(٢) طه : ١ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٣ .

أما (الطاء) ففي فاتحة (الشعراء) في قول الله تعالى : ﴿طَسَمَ﴾ وفاتحة (النمل) في قوله تعالى : ﴿طَسَنَ﴾ وفاتحة (القصص) في قوله تعالى : ﴿طَسَمَ﴾ وأما (الهاء) ففي فاتحة (مريم) في قول الله تعالى : ﴿كَهَيَّعَصَ﴾ وقد قدمنا الكلام مستوفى على الحروف المقطعة في أول سورة (هود) وخير ما يُفسَّر به القرآن هو القرآن .

ثم أعقب الشنقيطى ذلك بذكر طائفة من اللغات الواردة عند العرب في كلمة (طه) والتي يتأدى عنها في النهاية معنيان أولهما بمعنى (يا رجُل) وثانيهما بمعنى (يا حبيبي) وكلاهما تَرَدَّدَ على لسان شعرائهم الأوائل .

ثم يسوق الشنقيطى بعد ذلك جملة من الأقوال الضعيفة التي تقوم على أن (طه) اسم من أسماء النبي ﷺ ومن ثم يردُّ هذه الأقوال بما نصه : وفي قول الله تعالى : ﴿طه﴾ أقوال أخر ضعيفة كالقول بأنه من أسماء النبي ﷺ وكذا القول بأن الطاء من (الطهارة) والهاء من (الهداية) فيقول لنبيه ﷺ : (يا طاهراً من العيوب ، يا هادى الخلق إلى علام الغيوب) إلى غير ذلك من الأقوال الضعيفة ، والصواب إن شاء الله فى الآية هو ما صدرنا به ، ودلَّ عليه القرآن فى مواضع أخر^(١) .

المسألة الثالثة

إحالة الشواهد الأخرى

أما فى غير موضع الشاهدين (الأساسى والفرعى) فيلتزم الشنقيطى بإحالة غيرهما من الشواهد الأخرى عليهما فى سائر مواضع الحروف المقطعة فى فواتح السور القرآنية اللاحقة ، ونكتفى فى ذلك بذكر الشاهد التالى تنبيهاً به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يس﴾ الآية^(٢) نراه يلتزم الإحالة السابقة فيقول ما نصه : والتحقيق أنه من جملة الحروف المقطعة فى أوائل السور ، و (الياء) المذكورة فيه ذكرت فى فاتحة سورة (مريم) فى قول الله تعالى : ﴿كَهَيَّعَصَ﴾ الآية^(٣) و (السين) المذكورة فيه ذكرت فى أول سورتي (الشعراء والقصص) فى قول الله تعالى : ﴿طَسَمَ﴾ الآية^(٤) وفى أول سورة (النمل) فيقول تعالى : ﴿طَسَنَ﴾ الآية^(٥) وفى أول سورة (الشورى) فى قوله تعالى : ﴿حَمَّ (١) عَسَقَ (٢)﴾ الآيتان^(٦) وقد قدمنا الكلام مستوفى على الحروف

(١) انظر تفصيل هذا الشاهد الفرعى فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٩/٤ - ٤٠٠ .

(٢) يس : ١ . (٣) مريم : ١ . (٤) الشعراء : ١ - القصص : ١ .

(٥) النمل : ١ . (٦) الشورى : ١-٢ (آيتان) .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمة الثانية : التاصيل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

المقطعة في أوائل السور في أول سورة (هود)^(١) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية) كموضوع أساسى من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنّفُ الآية تحته ، بل ويوجّه معناها على هديّه ، وذلك من خلال تععيده النظرى ، ثم تطبيقه العملى .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٦٤٩ .

المبحث الرابع القراءات القرآنية

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : التععيد النظرى .
- ٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .

المطلب الأول التقعيد النظريّ

ويتضمّ المسائل الثلاث التالية :

- ١ - المسألة الأولى : ماهية هذه القراءات .
- ٢ - المسألة الثانية : حجيتها عند العلماء .
- ٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطيّ .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّة الثانية : التَّاصِيل للمعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

ونعنى به موقف الشنقيطى من (القراءات القرآنية) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنَّفُ تحتها بعض ما يَعْرِضُ له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

ماهية هذه القراءات

حصر أئمة القراءة جملة هذه القراءات القرآنية فى أربع عشرة قراءة جاء تصنيفها على النحو التالى :

١- سَبْع متواترة :

وتشمل قراءة كل من : (نافع المدنيّ - ابن كثير المكيّ - أبى عمرو البصرىّ - ابن عامر الشامىّ - عاصم الكوفىّ - حمزة الكوفىّ - الكسائى الكوفىّ)^(١) .

(١) وفيما يلى مختصر تراجم هؤلاء القراء السبعة بترتيب نظم الإمام ابن الجزرىّ لهم على النحو التالى :

• نافع المدنيّ :

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم اللببىّ ، أصله من (أصفهان) ثم صار إمام دار الهجرة حيث (المدينة المنورة) وقد توفى بها عام (١٦٩ هـ = ٧٨٦ م) ورواياه : ورش المصرىّ ، وقالون المدنيّ .

• ابن كثير المكيّ :

هو عبد الله بن كثير المكيّ ، إمام البلد الحرام حيث (مكة المكرمة) وقد ولد بها عام (٤٥ هـ = ٦٦٦ م) كما توفى بها عام (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) ورواياه : البزىّ وقنبل المكيّان .

• أبو عمرو البصرىّ :

هو زيان بن العلاء بن عمّار بن العريان المازنىّ التميمىّ البصرىّ ، وقيل : اسمه (يحيى) وقيل : اسمه هو نفس كنيته أى (أبو عمرو) وقد ولد بمكة عام (٦٨ هـ = ٦٨٨ م) وقيل : عام (٦٥ هـ = ٦٨٥ م) ثم توفى بالكوفة عام (١٥٤ هـ = ٧٧١ م) ورواياه : الدورىّ البغدادىّ ، والسوسىّ التونسىّ .

• ابن عامر الشامىّ :

هو عبد الله بن عامر الشامىّ اليحصبىّ ، قاضى دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، ويكنى (أبا عمرو) وهو من التابعين حيث قال: ولدت عام (٨ هـ = ٦٣٠ م) بضبعة يقال لها : (رحاب) وقد قبض رسول الله ﷺ ولى من العمر عامان (٢ هـ = ٦٢٤ م) ثم كانت وفاته بدمشق كذلك عام (١١٨ هـ = ٧٣٦ م) ورواياه : هشام وابن ذكوان الدمشقيّان .

٢ - ثلاث مشهورة :

وتشمل قراءة كل من : (أبي جعفر المدنيّ - يعقوب البصرىّ - خلف البزار البغداديّ)^(١) .

• عاصم الكوفىّ :

هو عاصم بن بهدلة أبى النجود الأسدىّ ، ويكنى (أبا بكر) وهو من التابعين ، كما كان شيخ الإقراء ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن فى زمنه ، وقد توفى بالكوفة عام (١٢٧ هـ = ٧٤٥ م) وروايه : حفص وشعبة الكوفيان .

• حمزة الكوفىّ :

هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات ، يكنى (أبا عمارة) وكان تاجراً عابداً متورعاً ، ولد عام (٨٠ هـ = ٧٠٠ م) وتوفى بالكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور عام (١٥٦ هـ = ٧٧٣ م) وروايه : خلاد الكوفىّ ، وخلف البغداديّ .

• الكسائىّ الكوفىّ :

هو على بن حمزة النحرىّ ، يكنى (أبا الحسن) وقيل له : (الكسائىّ) لأنه أحرم فى كساء ، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد (حمزة) ثم توفى ببلدة يقال لها : (رنبويه) عام (١٨٩ هـ = ٨٠٥ م) وروايه : أبو الحارث وحفص البغداديان .

• راجع موجز تراجمهم فى (المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر) : د. محمد سالم محيسن - (٧/١ - ١١) - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(١) وفيما يلى موجز تراجم هؤلاء القراء الثلاثة بترتيب نظم الإمام ابن الجزرىّ لهم على النحو التالى :

• أبو جعفر المدنيّ :

هو يزيد بن القعقاع المخزومىّ المدنيّ ، توفى بالمدينة المنورة عام (١٢٨ هـ = ٧٤٦ م) وروايه : ابن جماز وابن وردان المدنيان .

• يعقوب البصرىّ :

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرىّ ، توفى بالبصرة عام (٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م) وروايه : روح ورويس البصريان .

• خلف البزار البغداديّ :

هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغداديّ ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقد ولد ببغداد عام (١٥٠ هـ = ٧٦٧ م) وتوفى بها عام (٢٢٩ هـ = ٨٤٤ م) وروايه : إدريس البغداديّ ، وإسحاق المروزىّ .

• راجع موجز تراجمهم فى (المهذب فى القراءات العشر) : د. محمد سالم محيسن ٨/١ - ١٢ . وقد نظم الإمام ابن الجزرىّ هؤلاء القراء العشرة مع روايتهم العشرين قائلاً :

ومنهم عشرُ شُموسُ ظَهراً	ضياؤهم وفى الأنامِ انتشرا
حتى استمدَّ نورُ كُلِّ بدرٍ	منهم ، وعنهم كُلُّ نَجْمٍ دَرى
وها همسوا يذكُرهموا بيانى	كل إمامٍ عنه رأويان
(فناقم) بطيِّبةٌ قد حظيا	فَعنه (قالون) و (ورث) رويًا
(وابن كثير) مكةٌ له بَلَدٌ	(بز) و (قنبل) له على سَنَدٌ

٣ - أربع شاذة :

وتشمل قراءة كل من : (الحسن البصرى - محمد بن أحمد الشَّبُوذِيّ - ابن مُحَيِّصِن المكيّ - يحيى اليزيدى البصرى)^(١) .

ونقل (الدورى) و (سوس) منه	ثم (أبو عمرو) فَيُخَيَّعُهُ
عنه (هشام) و (ابن ذكوان) ورَدَّ	ثم (ابن عامر) أَلَدَمَشَقِيّ بَسَنَدَ
فَعَنَّهُ (شعبة) و (حَفْصُ) قائمٌ	ثلاثة من كوفّة (فعاصم)
منه و (خَلادٌ) كلاهما اغترف	و (حمزة) عنه سليمٌ (فَخَلَفَ)
عنه (أبو الحارث) و (الدورى)	ثم (الكسائى) الفسّى عَلَى
فعنه (عيسى) وابن (جماز) مَضَى	ثم (أبو جعفر) الحَبِيرُ الرُّضِيّ
له (رويس) ثم (روح) يَنْتَسِمِي	تاسعهم (يعقوب) وهو الحَضْرَمِيّ
(إسحاق) مع (إدريس) عنه يُعْرَفُ	والعاشِرُ (البزّار فهو خَلَفَ)

راجع ترجمة ابن الجزرى مع التعريف بهذه القراءات فى كل من :

- النشر فى القراءات العشر : للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقى الشهير بابن الجزرى ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - قدّم له صاحب الفضيلة الأستاذ : على محمد الضَّبَّاع (شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية) - وخرّج آياته الشيخ : زكريا عميرات - الطبعة ١ - منشورات : محمد على بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- متن الجزرية (أو منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) : من نظم إمام القراء وفخر المقرئين العلامة محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف المعروف بابن الجزرى ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - تشرف بتصحيحها ومقابلتها على نسخة خطية مقروءة على الناظم وعليها خطه : خادم القرآن الكريم أيمن رشدى سويد الدمشقى - إصدار جمعية القرآن الكريم بجدة - يطلب من (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع) مع (مكتبة السوادى للتوزيع) - جلة - المملكة العربية السعودية - شعبان ١٤٠٧ هـ = أبريل ١٩٨٧ م .
- شرح طيبة النشر : لابن الجزرى (الابن) وهو أحمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقى ت (٨٥٩ هـ = ١٤٥٥ م) - طبع القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م .

(١) وفيما يلى : موجز تراجمهم وفق الترتيب الهجائى لأسمائهم على النحو التالى :

● الحسن البصرى :

هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يَسَارُ البصرى ، ولد لستين بقتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة المنورة عام (٢١ هـ = ٦٤٢ م) ثم كانت وفاته بالبصرة بالعراق عام (١١٠ هـ = ٧٢٩ م) كان أبوه (يسار) من سبى (ميسان) ثم صار مولى زيد بن ثابت ، وقيل : مولى جابر بن عبد الله ، وقيل : مولى غيرهما ، أما أمه (خيرة) فكانت مولاة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الحسن سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، وشيخ البصرة ، وقد روى أنه رضع أم سلمة غير مرة ، وقال عنه أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى والحجاج بن يوسف الثقفى ، =

... ..

= فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .

ومن كلام الحسن : (ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت) وكذا قوله :
 (يا ابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك) وقد رَوَى عن عمران بن حصين وأبي
 موسى وابن عباس وجندب وغيرهم ، كما رَوَى عنه ابن عون ويونس وغيرهما ، ومن مصنفاته :
 (التفسير) الذي رواه عنه جماعة ، وكتابه إلى عبد الملك بن مروان (في الرد على القدريّة) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال : للحافظ المزيّ ٩٥/٦ - ١٢٧ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ٥٤/١٣ - ٥٦ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٦٩/٢ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٧٠/٤ - حقق هذا الجزء : مأمون الصاغرجي - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- غاية النهاية في طبقات القراء : لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - ١٦٧/١ - عُنِيَ بنشره : ج. برجستراسر - (طبع لأول مرة بنفقة الناشر) مع (مكتبة الخانجي) - القاهرة - ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
- طبقات المفسرين : للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت (٩٤٥ هـ = ١٥٣٨ م) - ١٤٧/١ - تحقيق : علي محمد عمر - الطبعة ١ - إصدار : مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية - الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة - ربيع الأول ١٣٩٢ هـ = أبريل ١٩٧٢ م .
- الشُّنْبُوذِيُّ :

هو شيخ المقرئين أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصَّلْتِ بن شُنْبُوذِ البغدادي ، كان إماماً صدوقاً أميناً متصوفاً كبير القَدْر ، غير أنه كان له رأى في القراءة بالشواذ التي تخالف رسم المصحف العثماني المعروف بالمصحف الإمام ؛ ولهذا أمر الوزير ابن مُقَلَّةَ بضربه حتى رجع عن كثير من القراءات التي أنكرها عليه أهل عصره ، ويقال : إنه دعا على الوزير ابن مُقَلَّةَ بأن يقطع الله يده ويشتت شمله وقد كان .

قال أبو شامة : كان الرفق بابن شنبوذ أولى ، وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافياً ، وهو وإن كان ليس مصيباً فيما ذهب إليه ؛ إلا أن أخطائه في واقعة لا تُسْقَطُ حقه من حرمة أهل القرآن والعلم ، وقد كانت وفاته عام (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) بشُنْبُوذِ (بفتح الشين المعجمة والنون ، وضم الباء الموحدة) وهي محلّة ببغداد .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢٩٩/٤ - ٣٠١ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٢٦٤/١٥ - ٢٦٦ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٢٢/١٥ - ١٢٣ .
- غاية النهاية في طبقات القراء : لشمس الدين ابن الجزري ٥٢/٢ - ٥٦ .
- الوافي بالوفيات : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصمّدي ت (٧٦٤ هـ = ١٣٦٣ م) - (١٠٤/٦ - ١٠٥) - صدر بعناية : س. ديدرينغ - نشر : دار فرانز شتايتز بفيسبادن - طبع بمساعدة =

... ..

= المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت في مطابع دار صادر ببيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ =
١٩٧٢ م .

- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - (١١ / ٣١١ - ٣١٢) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - (د . ت) .
- ابن مُحَيِّصِنِ المَكِّيّ :

هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السَّهْمِيّ ، قارئ أهل مكة مع ابن كثير وحميد الأعرج ، ويسميه البعض (عمرو بن القرائن) أو (محمد بن عبد الله بن محيصة) له رواية شاذة في كتابه (المبهبج) وهو في الحديث ثقة حيث احتج به مسلم ، وقد قرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس ، وحدث عن أبيه وعن صفية بنت شيبة ومحمد بن قيس بن مخزومة وعطاء ، كما قرأ عليه شبل بن عباد وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر القارئ ، وحدث عنه ابن جريج وهشيم وابن عينة وعبد الله بن المؤمل المخزومي ، وكانت وفاته بمكة المكرمة عام (١٢٣ هـ = ٧٤١ م) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- غاية النهاية في طبقات القراء : لشمس الدين ابن الجزري ١٦٧/٢ .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبيّ ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - (٨١ / ١ - ٨٢) - حققه وفهرس له وضبط أعلامه وعلّق عليه : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - وبآخر الجزء الثاني منه (ذيل القراء الكبار) : لابن مكتوم ت (٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - الطبعة ١ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د . ت) .

- يحيى اليزيدي البصرى :

هو شيخ القراء أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصرى النحوي المقرئ اللغوي ، وقد عرف باليزيدي لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور (خال المهدي) حيث كان يؤدّب ولده ، وقد كان عالماً حجة في القراءة ، بصيراً بلسان العرب ، يجلس في المسجد مع الكسائي للإفادة ، كما كان نظيراً له حيث كان يؤدّب المأمون في حين كان الكسائي يؤدّب الأمين (وهما ولدا هارون الرشيد) ومن مصنّفاته العديدة : (النوادر - المقصور والمدود - الشُّكُل - نوادر اللغة - النحو) وكانت وفاته عام (٢٠٢ هـ = ٨١٨ م) في (مَرُو) وقيل : في (خراسان) كما قيل أخيراً : في (بغداد) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للخطيب البغدادي ١٤٦/١٤ - ١٤٨ .
- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ١٨٣/٦ - ١٩١ .
- غاية النهاية في طبقات القراء : لشمس الدين ابن الجزري ٣٧٥/٢ - ٣٧٧ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين السيوطي ٣٤٠/٢ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبيّ - (٥٦٢ / ٩ - ٥٦٣) - حقق هذا الجزء : كامل الخراط - الطبعة ١ - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

وقد رَوَى كل قراءة من القراءات العشر الأولى راويان ؛ فصارت جملة روايتها عشرين راويًا ، كما أن كل راوٍ من الرواة العشرين قد نقلت روايته من طريقين ، وكل طريق من طريقين أو أربع طرق عن الراوي نفسه ؛ فصارت جملة طرقها ثمانين طريقًا .
وأخيرًا فقد تفرَّع عن هذه الطرق الثمانين تسعمائة وثمانون طريقًا فصلها ابن الجزرى فى كتابه (النشر فى القراءات العشر) كما أشار إليها فى كتابه (شرح طيبة النشر) بقوله :

وهذه الرواةُ عنهم طُرُقٌ أصحُّهاُ فى (نشرنا) يُحَقِّقُ
باثنينِ فى اثنينِ وإلا أربَع فهى زُها ألفِ طريقٍ تُجَمِّعُ^(١)

المسألة الثانية

حُجَّتُهُمَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

ذهب العلماء إزاء احتجاجهم بهذه القراءات الأربع عشرة وأخذهم بها المذاهب الثلاثة التالية :

١- وجوب السبع المتواترة :

يُجْمَعُ أئمة القراءات على وجوب الأخذ بالقراءات السبع الأولى ؛ وذلك لتواتر صحتها عن علماء القراءات ، واتصال سندها بذلك إلى رسول الله ﷺ .

٢- جواز الثلاث المشهورة :

يجيز أئمة القراءات الأخذ بالقراءات الثلاث التالية للسبع المتواترة ؛ وذلك لشهرة صحتها بين المحققين من علماء القراءات ؛ ومن ثم قولهم بجواز الأخذ بها .

٣- بطلان الأربع الشاذة :

وأما هذه القراءات الأربع الأخيرة فَيُطْبَقُ علماء القراءات بالإجماع على بطلانها وعدم صحة القراءة بها ؛ وذلك لشذوذها ومخالفتها لما انعقد عليه إجماعهم ؛ ومن ثم فإن هذه القراءات الأربع من قبيل الشاذ الذى يُحْفَظُ ولا يُقَاسُ عليه .

(١) المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر : د. محمد سالم محيسن ١/٦ - ٢٩ .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطيّ

ينزل الشنقيطي على إجماع المحققين من أئمة القراءات المعتبرين من حيث أخذه بالقراءات السبع المتواترة ، فضلاً عن القراءات الثلاث المشهورة ، أما القراءات الأربع الشاذة فلا شك في بطلانها عنده ؛ ومن ثم لا يرجع إليها إلا في موطن الاستشهاد بها لبيان بطلانها إلى صحة القراءات المتواترة ، فضلاً عن جواز القراءات المشهورة .

وإزاء بيان الشنقيطي لموقفه هذا يقول ما نصه وقد التزمنا أننا لا نبيّن القرآن إلا بقراءة سبعية ، وقراءة (أبي جعفر ويعقوب وخلف) ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات ؛ ومن ثم فلا نعتد على البيان بالقراءات الشاذة ، غير أننا ربما نذكر القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية^(١) .

وما ذهب إليه الشنقيطي هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التععيد النظريّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٧/١ - ٦٨ (من المقدمة) .

المطلب الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المسألين التاليين :

- ١ - المسألة الأولى : شاهد تفصيلي .
- ٢ - المسألة الثانية : شاهد موجز .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقىطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما اشتملت عليه من تلك (القراءات القرآنية) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على تقعيده النظرى ، وفيما يلى نعرّض لذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

شاهد تفصيلى

فى معرّض تفسير الشنقىطى لقول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية^(١) نراه يعرّض لما ورد فيها من قراءات شاذة باطلة ، وقراءات متواترة صحيحة ، ومستشهداً إزاء ما ذهب إليه بأدلته المعتبرة من القرآن والسنة والآثار ، فضلاً عن لغة العرب وأقوال المحققين من العلماء .

ويمكننا إيجاز ما ذكره الشنقىطى بشأن القراءات الواردة فى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ من خلال كلامه الذى يقول فيه ما نصه : وفى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ ثلاث قراءات : واحدة شاذة ، واثنان متواترتان ، أما الشاذة : فقراءة الرفع وهى قراءة الحسن^(٢) وأما المتواترتان : فقراءة النصب وقراءة الحفص^(٣) أما النصب : فهو قراءة (نافع وابن عامر والكسائى وعاصم فى رواية حفص عنه) من السبعة ، وقراءة (يعقوب) من الثلاثة ، وأما الجر : فهو قراءة (ابن كثير وحزمة وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر عنه) .

ويعد أن يُسمّى الشنقىطى تلك القراءات الواردة فى هذه الآية الكريمة ؛ يعمد إلى توجيه كل قراءة منها على نحو تفصيلى حيث يقول ما نصه : أما قراءة النصب : فلا إشكال فيها ؛ لأن الأرجل فيها معطوفة على الوجوه ، وتقرير المعنى عليها هو : فاغسلوا وجوهكم إلى المرافق ، وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برؤوسكم ، وإنما أدخل (مسح الرأس) بين المغسولات محافظة على الترتيب ؛ لأن الرأس يُمسحُ بين المغسولات ؛ ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب فى أعضاء الوضوء حسبما جاء فى الآية الكريمة .

وأما على قراءة الجرّ : ففى الآية الكريمة إجمال ، وهو أنها يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين فى الوضوء عن الغسل كالرأس ، وهو خلاف الواقع للأحاديث الصحيحة الصريحة فى وجوب غَسْلِ الرجلين فى الوضوء والتواعد بالنار لمن ترك ذلك كقول رسول الله

(١) المائدة : ٦ .

(٢) ويعنى به : الحسن البصرى أحد أصحاب القراءات الأربع الشاذة السابق ذكرها .

(٣) ويعنى به : الجرّ فى مقابل النصب .

عليه السلام : « وَيَلُّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » الحديث (١) .

واعلم أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة فإن لهما حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء ؛ وإذا علمت ذلك فاعلم أن قراءة : « وَأَرْجُلُكُمْ » بالنصب صريح في وجوب غَسْلِ الرجلين في الوضوء ، وهي مُفهِمَةٌ أن قراءة الخفض إنما هي لمجاورة المخفوض ، مع أنها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب .

والعرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض ، مع أن إعرابها النصب أو الرفع ؛ ومن ثم فإن ما ذكره بعضهم من أن الخفض بالمجاورة معدود من اللَّحْنِ الذي يَتَحَمَّلُ لضرورة الشعر خاصة ، وأنه غير مسموع في العطف ، وأنه لم يَجْزُ إِلَّا عند أَمْنِ اللَّبْسِ ؛ فإن هذا مردود بأن أئمة اللغة العربية صرحوا بجوازه ، ومِمَّنْ صرح به الاخفش وأبو البقاء وغيرهما ، ولم ينكره إلا الزَّجَّاجُ ، وإنكاره له مع ثبوته في كلام العرب وفي القرآن العظيم إنما يدل على أنه لم يتبع المسألة تتبعاً كافياً .

والتحقيق : أن الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللغة العربية ، وأنه جاء في القرآن الكريم لأنه بلسان عربي مبين ، فمنه في العطف قول امرئ القيس :

فَظَلَّ طُهَاءَ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ (٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) العلم (باب) مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الطهارة (باب) وجوب غَسْلِ الرجلين بكمالهما - (طبع بيروت) .
(٢) قَدِيرٌ : ورد البيت بهذا اللفظ على لسان امرئ القيس كما هو مثبت في ديوانه الذي يشتمل على هذه القصيدة .

راجع في ذلك كلاً من :

- ديوان امرئ القيس : طبعة الهندية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .
- ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

وقد أثبت ابن الأنباري (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) لفظ (قدير) في شرحه هذا البيت مع توجيه إعرابه قائلاً ما نصه : (الطهارة) : الطَّبَّاحُونَ وواحدهم (طاهٍ) ويقال : (قد طهأ) إذا طبخ ، وقد أنشدنا أبو العباس لأخت يزيد بن الطَّثْرِيَّةِ :

إِذَا مَا طَهَأَ لِلْقَوْمِ كَانَ كَأَنَّهُ حَمِيٌّ وَكَانَتْ شِيمَةً لَا تَزَالُهُ

و (الصَّفِيفَ) : المُرَقَّقُ ، و (القدير) : الطَّبِيخُ ، وأصله المُقَدَّرُ الذي يُطْبَخُ في القَدُورِ ، فَصُرِفَ من مفعول إلى فعيل ، وَاسْتَحَبَّ تَعَجِيلُ كُلِّ مَا كَانَ مِنَ الصَّيْدِ يُسْتَطْرَفُ ، و (ظل) : بمثلة كان في العمل ، و (من) خبر ظل وهي خافضة لـ (بين) و (بين) خافضة لـ (مُنْضِجٍ) و (الصَّفِيفَ) : منصوب بـ (مُنْضِجٍ) والتقدير نَسَقٌ عَلَى الصَّفِيفِ فِي التَّقْدِيرِ ، والتقدير : (من بين مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ) .

.....

= وقد أجاز الكسائي والقراء : (عبد الله مكرم أخاك في الدار وأبيك) و (عبد الله مكرم أخيك في الدار وأباك) وأنشد القراء :

فبيننا نحنُ ننظره أتاناً معلقَ شكوةٍ وزنادَ راعٍ

فصب (زناد) على معنى : (أتاناً معلقاً شكوةً) والمُعجَلُ يخفض لأنه نعت للقدير ، و (المُعجَلُ) : الذي لا يُحبسُ .

• راجع في ذلك (شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات) : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري - تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون ص ٩٧ - (البيت رقم ٦٨) - الطبعة ٤ - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

• أما الزوزني ت (٤٧٦ هـ = ١٠٨٤ م) فقد أثبت أيضاً لفظ (قدير) في شرحه نفس البيت دون توجيه إعرابه قائلاً ما نصه : (الطهور والطهي) : الإنضاج ، والفعل (يطهر ويطهي) و (الطهارة) : جمع طاه كالقضاة جمع قاضٍ ، والكفاة جمع كافٍ ، و (الإنضاج) : يشتمل على طبخ اللحم وشبهه ، و (الصقيف) : المصفوف على الحجارة لينضج ، و (القدير) : اللحم المطبوخ في القدر .

يقول : ظل المنضجون اللحم ، وهو صنفان : صنف ينضجون شواءً مصفوقاً على الحجارة في النار ، وصنف يطبخون اللحم في القدر ؛ فيقول : كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا واشتروا ، و (من) في قوله : (من بين منضج) للتفصيل والتفسير كقولهم : (هم من بين عالم وزاهد) يريد أنهم لا يعدون هذين الصنفين ؛ كذلك أراد أن يقول : لم يعد طهارة اللحم الشاوين والطابخين .

• راجع في ذلك (شرح المعلقات السبع) : للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ص ٣٦ (البيت رقم ٦٧) - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد يوسف مناسبة أن يرَوِي هذا البيت بلفظ (قديد) بدلاً من (قدير) وذلك لدفع توهم الخلط فضلاً عن التشابه الذي قد يحدث بين (قدير) التي وردت على لسان امرئ القيس في ديوانه ، والتي أثبتها كل من ابن الأنباري والزوزني ، وبين صفة الله سبحانه بأنه (قدير) حيث تكرر ورودها في القرآن تسعاً وثلاثين مرة كما في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة : ٢٠ - وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الحشر : ٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الحديد : ٢ - كما وردت صفته سبحانه بلفظه (قديراً) ست مرات في القرآن كله كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ الفتح : ٢١ - وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان : ٥٤ .

• راجع في ذلك (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) : وضع محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

أما (القديد) : فهو (اللَّحْمُ الْمَقْدَدُ) أي (المُجَفَّف) والذي يُقَطَّعُ قِطْعًا طَوِيلًا ثُمَّ يُمَلَّحُ وَيُشَرَّرُ ، و (التَّشْرِير) : هو بَسْطُ هذه القطع المملحة ونشرها على صفائح بيضاء لتجف في الشمس والهواء ، حيث تُعرَفُ هذه الصفائح بـ (الأشارير) وواحدتها : (الإشرارة) - انظر مادة (شَرَر) في كل من لسان العرب : ٢٢٣١/٤ - المعجم الوسيط : ٤٩٧/١ - وكذا مادة (قَدَد) في كل من لسان العرب : ٣٥٤٣/٥ - مختار الصحاح : ص ٥٢٣ - المعجم الوسيط : ٧٤٥/٢ .

وفي حالة إثبات لفظ (قديد) بدلاً من لفظ (قدير) فإن رواية البيت تصير على النحو التالي :

= فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُتَضِّجٍ صَقِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ (قَدِيدٍ) مُعْجَلٍ

بجر (قَدِير) لمجاورته للمخفوض ، مع أنه عَطِفَ على (صَفِيْفَ) المنصوب بأنه مفعول اسم الفاعل (مَنْضِج) و (الصفيف) فعيل بمعنى (مفعول) وهو المصفوف من اللحم على الجمر لينشوى ، و (القدير) كذلك فعيل بمعنى (مفعول) وهو المجعول في القَدْرِ من اللحم لينضج بالطبخ ؛ ومن ثم فإن الإنضاج واقع على كل من (الصفيف) و (القدير) كما أن منه قول العرب : (هذا جُحْرٌ ضَبَّ خَرَبٍ) بخفض (خَرَبٍ) لمجاورة المخفوض وهو (ضَبٌّ) مع أن (خَرَبٍ) نعت للخبر المرفوع وهو (جُحْرٌ) .

ومن أمثلة الخفض بالمجاورة في العطف في القرآن العظيم قول الله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۚ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٣) الآية^(١) على قراءة حمزة والكسائي ورواية المفضل عن عاصم بالجر لمجاورته لقوله تعالى : ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ الآيات^(٢) مع أن قوله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ حكمه الرفع .

وبهذا تعلم أن دعوى كون الخفض بالمجاورة لَحْنًا لا يَتَحَمَّلُ إلا لضرورة الشعر هي دعوى باطلة؛ ولذا جزم السيهتي في (السُّنن الكبرى) بأن خفض ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ إنما هو

= وعلى هذا فإنه يمكن توجيه معنى (الإنضاج) هنا ليتورج بين عمليتي (الشئ) و(التقديد) أما عملية (الشئ) فيتم من خلالها قيام فريق من الطهارة بتقطيع جزء من اللحم وتصفيفه ثم شيه لإنتاج (اللحم المشوي) وهو ما يعبر عنه امرؤ القيس : بقوله : (صَفِيْفٌ شَوَاءٌ) .
وأما عملية (التقديد) : فيتم من خلالها قيام فريق آخر من الطهارة بتقطيع جزء آخر من اللحم قطعاً طوياً وتجليحها ثم تجفيفها على صفائح بيضاء نظيفة منصوبة في الشمس والهواء الطلق لإنتاج (اللحم المجفف) وهو ما يستعجلهم ويحثهم على الإسراع به امرؤ القيس في قوله : (أو قَدِيدٍ مُعَجَّلٍ) على رواية (قَدِيدٍ) بدلاً من (قَدِيرٍ) .
ويلاحظ أن لفظ (قَدِيدٍ) يساوي لفظ (قَدِيرٍ) في البنية والحركة ؛ وهذا ما لا يؤثر بدوره على الوزن العروضي لهذا البيت ولا على قصيدته التي تنضبط جميعها على (بحر الطويل) والذي يتمثل وزنه فيما يلي :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
وهو ما ذكر العلماء المعنيون من أهل الاختصاص ضابطه العروضي وأحوال عروضه وقافيته بقولهم :

عروض (طويل) ذات قبض وضربها صحيح ومقبوض وقد جاء بالحذف
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن وقبض فعولن في الزحاف من الظرف

• راجع في ذلك (في علمي العروض والقافية) : لأستاذنا الدكتور أمين على السيد ص ١٦٢ (الضابط الأول من ضوابط البحور : بحر الطويل) - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

(١) الواقعة : ٢٢ - ٢٣ (آيتان) .

(٢) الواقعة : ١٨ - ٢١ (أربع آيات) .

لمجاورة المخفوض ، وقد نقل عن الأعمش في ذلك قوله : كانوا يقرأونها بالخفض ، وكانوا يغسلون .

وهكذا يستعرض الشنقيطي على هذا النحو التفصيلي القراءات الثلاث الواردة في قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ مثبتاً صواب قراءتي النصب والجر ، ومبطلاً قراءة الرفع ، وحاشداً إزاء احتجاجه لهذا ما أمكنه من الأدلة من كلام العرب ، ومن آيات القرآن العظيم ، وذلك على مدار تسع صفحات كاملة من تفسيره^(١) .

المسألة الثانية

شاهد موجز

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ الآية^(٢) نراه يوجه المعنى على ضوء القراءات الثلاث المتواترة التي وردت في هذه الآية الكريمة على نحو موجز حيث يقول في ذلك ما نصه :

وفي قول الله تعالى : ﴿دَرَسْتَ﴾ ثلاث قراءات سبعيات ، فقد قرأه ابن كثير وأبو عمرو : (دَارَسْتَ) بالالف بعد الدال مع إسكان السين وفتح التاء من المفاعلة بمعنى : (دارست أهل الكتاب ودارسوك حتى حصلت هذا العلم) وقرأه بقية السبعة غير ابن عامر : (دَرَسْتَ) بإسقاط الألف وإسكان السين وفتح التاء أيضاً بمعنى : (درست هذا على أهل الكتاب حتى تعلمته منهم) .

أما ابن عامر فقد قرأه : (دَرَسْتُ) بفتح الدال والراء والسين وإسكان التاء على أنها (تاء التأنيث) والفاعل ضمير عائد إلى الآيات المذكورة في قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ﴾ الآية^(٣) .

قال القرطبي : وأحسن ما قيل في قراءة ابن عامر أن المعنى : ولئلاً يقولوا انقطعت وانمحت ، وليس يأتي محمد ﷺ بغيرها ، أي بغير هذه الآيات^(٤) .

وهكذا يبدو الفارق واضحاً بين هذين الشاهدين اللذين آثرنا التنبه بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ، واللذين يبدو من خلالهما منهجه حال عَرَضِهِ لتلك

(١) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧/٢ - ١٥ (تسع صفحات كاملة) .

(٢) الأنعام : ١٠٥ . (٣) الأنعام : ١٠٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ (بعض الصفحتين) .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّة الثانية : التَّأصيل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

القراءات على نحو تفصيلي كما في الشاهد الأول ، أو على نحو موجز كما في الشاهد الثاني .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (القراءات القرآنية) كموضوع أساسي من موضوعات (علوم القرآن) التي يُصنَّفُ الآية تحتها ، بل ويوجِّه معناها على هديهِ ، وذلك من خلال تفعيده النظريّ ، ثم تطبيقه العمليّ .

المبحث الخامس
المَجَاز في القرآن

وينتظم المطالبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : التعميد النظريّ .
- ٢ - المطلب الثاني : التطبيق العمليّ .

المطلب الأول التقعيد النظريّ

ويتنظم المسألتيّن التاليتين :

- ١ - المسألة الأولى : خلاف العلماء .
- ٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .

ونعنى به موقف الشنقيطى من قضية (المَجَار فى القرآن) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يصنَّفُ تحتها ما يعرِّضُ له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

خلاف العلماء

ويمكثنا أن نوجز خلاف العلماء إزاء قضية (المَجَار فى القرآن) من خلال جملة أقوالهم التى نقلها عنهم الشنقيطى على النحو التالى :

١- على مستوى اللغة :

اختلف علماء اللغة وأئمتها فى أصل وقوع المَجَار على الأقوال التالية :

- قول أبى على الفارسيّ ت (٣٧٧ هـ = ٩٨٨ م)^(١) :

يعزو تاج الدين السبكي فى كتابه (جمع الجوامع) إلى أبى على الفارسي ما ذهب إليه من نفيه وقوع المَجَار فى اللغة مطلقاً^(٢) .

(١) هو إمام النحو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسيّ القسوى نسبة لمولده بمدينة (قسّا) اشتغل ببغداد ثم أقام بحلب عند سيف الدولة ، وكانت بينه وبين المتنبى مجالس أدبية عديدة ، وقد انتقل بعد ذلك إلى بلاد فارس وصحب عَضُدَ الدولة ابن بويه وعلت منزلته عنده حتى قال : (أنا غلام أبى على القسوى فى النحو) ومن تلامذته أيضاً أبو الفتح ابن جتنى وعلى بن عيسى الرّبعى ، ومن مصنفاته العديدة : (التذكرة - الحُجَّة فى القراءات - الأغفَال فيما أغفله الرّجّاجي فى المعانى - المسائل الحليّات - المسائل البصرية - المسائل الكرمانية) وغيرها ، وقد تُوفّي ببغداد من العام المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٧/ ٢٧٥ - ٢٧٦ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ٧/ ٢٣٢ - ٢٦١ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة : للوزير القفطى ١/ ٢٧٣ - ٢٧٥ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢/ ٨٠ - ٨٢ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠) - حقق هذا الجزء : أكرم البوشى .
- (٢) جمع الجوامع : للإمام تاج الدين عبد الرّهّاب السبكي ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - ١/ ٣٠٨ - شرح : الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلى - حاشية : العلامة البنائى - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - (د.ت) .

• قول أبي الفتح ابن جيتى ت (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م)^(١) :

حيث يذهب إلى القول بأن المجاز الذى يغلب وقوعه فى اللغة عند القائلين به ليس فى الحقيقة إلا أسلوباً من أساليب اللغة العربية ، فمن تلك الأساليب مثلاً : (إطلاق الأسد) على (الحيوان المفترس المعروف) ومنها أيضاً : (إطلاق الأسد) على (الرجل الشجاع) وهكذا^(٢) .

• قول أبى إسحاق الإسفرايينى ت (٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م)^(٣) :

ويعزو تاج الدين السبكى أيضاً فى كتابه (جمع الجوامع) إلى أبى إسحاق الإسفرائينى

(١) هو إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى ، كان أعور ، كما كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وقد لزم أستاذه أبا على الفارسى دهرًا وسافر معه حتى برع وصنّف ، وسكن بغداد ، وخدم عَضَدَ الدولة وابنه رَمَنًا ، كما قرأ على المتنبى ديوانه وشرحه ، كما ألف العديد من المصنفات منها : (اللع - سر الصناعة - المنصف فى شرح كتاب المازنى فى التصريف - الخصائص - التلقين فى النحو - الصبر فى شرح شعر المتنبى) وغيرها ، ثم كانت وفاته ببغداد من العام المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٣١١/١١ - ٣١٢ .

• معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ٨١/١٢ - ١١٥ .

• إنباه الرواة على أنباه النحاة : للوزير القفطى ٣٣٥/٢ - ٣٤٠ .

• سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ١٧/١٧ - ١٩ .

(٢) الخصائص : لابن جنى - (٢ / ٤٤٥ - ٤٥٠) - تحقيق : محمد على النجار - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د . ت) .

(٣) هو الإمام العلامة ركن الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائينى أو الإسفرائينى الأصولى المتكلم الأشعرى الفقيه الشافعى إمام أهل خراسان والمعروف بـ (الأستاذ) أحد المجتهدين فى عصره ، وصاحب المصنفات الباهرة مثل : (جامع الجلى والخفى فى أصول الدين والرد على الملحددين - تعليقة نافعة فى أصول الفقه) وغير ذلك .

سمع الحديث من أبى بكر الإسماعيلى ودَعَلَج وغيرهما ، كما أخذ عنه البيهقى وأبو الطيب الطبرى والحاكم النيسابورى وغيرهم ، وقد مدحه الحافظ ابن عساكر بقوله : (حكى لى مَنْ أثنى به أن الصاحب إسماعيل بن عبّاد كان إذا انتهى إلى ذكر هؤلاء يقول : ابن الباقلائى بحر مُغْرِق ، وابن فُورك صِلٌ مُطْرِق ، والإسفرائينى نار تُحْرِق) والصلُّ : (واحد الأصل) وهو السيف القاطع أو الرجل الداهية ، وكان الإسفرائينى فى آخر حياته لا يفتأ يقول : (إنى أشتهى أن أموت بنيسابور حتى يُصَلَّى علىّ جميع أهلها) وقد كان ما تمناه حيث تُوفى بها يوم عاشوراء من العام المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

=

• وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢٨/١ .

ما ذهب إليه من نفيه وقوع المجاز في اللغة مطلقاً^(١) .

● قول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م)^(٢) :

- =
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٣٥٣/١٧ - ٣٥٦ .
 - الوافي بالوفيات : لابن أبيك الصقدي ١٠٤/٦ - ١٠٥ .
 - البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ٦١٩/١٥ .
 - طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ٢٥٦/٤ - ٢٦٢ .
 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لمصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجي خليفة) و (كاتب جلي) - ٥٣٩/١ - تقديم : العلامة الحجة آية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي - أعادت طبعه بالأوفست : منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د. ت) .
- (١) جمع الجوامع : لتاج الدين السبكي ٣٠٨/١ .

(٢) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي، علم الأعلام، القدوة الإمام، انتقل به أبوه إلى دمشق عام (٦٦٧ هـ = ١٢٦٩ م) بعد استيلاء التتر عليها وكان عمره آنذاك ست سنوات، ولما شاهد ما كان عليه المسلمون من الضعف والعجز عن التصدي لأعدائهم أدرك أن السبب في ذلك هو بعدهم عن كتاب ربهم، وانحرافهم عن سنة نبيهم ﷺ ومن ثم عزم على الجهاد وتوسع في تحصيل العلوم النقلية والعقلية حتى بلغ فيها مبلغاً لا يُدرك شأوه، كما عكف على قراءة القرآن وتدبر معانيه حتى أصبح بحراً لا يُدرك قعره، وما يروى عنه في ذلك قوله: (إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً، وكنت أستحضر من الجميع الصحيح الذي فيها) .

أفاد الناس بكل ما علم وتعلم، وأدك وحصل، وقد ألف مصنفات عديدة، ووضع رسائل مفيدة منها: (مقدمة في أصول التفسير - الرسالة التدمرية - الجواب الباهر في زوار المقابر - كتاب الرد على الإخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية - مجموع الفتاوى - رسائل التفسير) وغيرها، وقد ظلت علاقته قوية بكتاب الله تعالى حتى آخر عمره الذي قضاه في سجنه بدمشق وتوفي به عام (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م) بسبب رشاية أعدائه به لدى الأمراء والسلاطين، غير أنه لم يثن ذلك كله عن عطائه وجهاده طوال سجنه الذي يصفه بقوله: (قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم أشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، كما أني ندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن) .

وأخيراً يصفه الحافظ الذهبي بقوله: (كان قوياً بالحق، نهياً عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة، وهو أكبر من أن يُنبه على سيرته مثلي؛ فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه) كما ينقل عنه تلميذه ابن القيم قوله الشهير: (ما يصنع بي أعدائي؟ أنا جئت في صدري أين رحتُ فهي معي لا تفارقني؛ فحبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من:

- تذكرة الحفاظ : للحافظ شمس الدين الذهبي ١٤٩٦/٤ - طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
- فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي - (٧٤/١ - ٨٠) - دار صادر - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

يذهب ابن تيمية في (فتاويه) إلى نفى وقوع المجاز في اللغة على الإطلاق^(١) .

• قول ابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م)^(٢) :

يُعَصِّدُ ابن القَيِّم في كتابه (الصواعق المُرسَّلة) ما ذهب إليه أبو الفتح ابن جنيّ موضعاً

= • العقود الدرّية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : لابن عبد الهادي الحنبلي - مطبعة
المدني (المؤسسة السعودية بمصر) - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

• الاعلام العليّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية : للحافظ أبي حفص البزار - (بدون
بيانات) .

• الوافي بالوفيات : لابن أبيك الصّدي ١٥/٧ - ٣٣ .

• البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٣٥/١٤ - ١٣٩ .

• ذيل طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلي ٣٨٧/٢ - ٤٠٨ .

• تفسير سورة الإخلاص : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية - ص
(١٠ - ١٧) - راجع نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : د. عبد العليّ عبد الحميد حامد
- الطبعة ٢ - (الدار السلفية بومباي الهند) مع (دار الريان للتراث بالقاهرة) - ١٤٠٧ هـ =
١٩٨٧ م .

(١) مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٨٩/٧ - جمع : عبد الرحمن بن محمد القاسم -
الطبعة ١ - الدار العربية - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أبي أيوب بن سعد بن حريز الزرعي
الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، و (الزرعيّ) نسبة إلى قرية (زرع) من قرى (حرّان)
مسقط رأس أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأما (قيم) فتعني الناظر ، و (الجوزية) فهي علم
على أكبر مدارس الحنابلة بدمشق كغيرها من مدارسهم الأخرى مثل (المدرسة الصّدرية) ولقب
(قيم الجوزية) كان يطلق على والد ابن القيم الذي كان ناظرًا لمدرسة الجوزية التي كان لها أكبر الأثر
في نشر علوم الشرع واللغة ، فضلاً عن حفاظها على أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل
وفروعه ، وقد أسند إلى (ابن القيم) التدريس والإفتاء بهذه المدرسة بعد وفاة والده .

ويكاد يُجمَع علماء السلف على صلاح ابن القسيم وورعه وحسن عبادته حتى إن ابن حجر
العسقلاني يذكره بقوله : كان ابن القسيم رجلاً قوى الخلق سليم الضمير ، ذا عبادة وتهجد وكثرة
تلاوة ، حتى إنه إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار قائلاً : (هذه
غدوتي لو لم أقعدها لسقطت قواي) كما كان يقول : (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين) .

من أشهر شيوخه ابن تيمية وابن قدامة ، ومن أشهر تلامذته ابن كثير وابن رجب الحنبلي ، ومن
أشهر مصنفاته : (التفسير القيم - زاد المعاد في هدى خير العباد - الروح - الكافية الشافية في
الانتصار للفرقة الناجية المعروفة بالقصيدة النونية - الصواعق المُرسَّلة على الجهمية والمعتلة - تحفة
المودود بأحكام المولود - الوابل الصيب من الكلم الطيب) وغيرها ، وقد حُسِبَ ابن القيم مع شيخه
ابن تيمية منفرداً عنه ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه ، وقد حجّ مرات عديدة وجاور بمكة
المكرمة ، ثم كان أن توفّي بدمشق وقت العشاء الآخرة الثالث عشر من رجب الفرد الحرام من العام
المذكور ، وقد شيّع خلق كثيرون حتى كادت شوارع دمشق تضيق بهم .

ذلك بما معناه : إنّ جميع أنواع المجازات عند القائلين بها فى اللغة ، ليست إلا أنواعاً متعددة من الأساليب العربية المعروفة عند أهل العلم بها ، فـ (إطلاق الأسد) مثلاً على (الحيوان المفترس) ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدلّ على أنّ المراد غيره ، وكذلك فإنّ (إطلاق الأسد) على (الرجل الشجاع) ينصرف إليه إذا اقترن بما يدلّ على ذلك .

كما أنه لا مانع من كون أحد الإطلاقين لا يحتاج إلى قيد فى حين أن الثانى يحتاج إليه ؛ وذلك لأن بعض أساليب العربية يتضح فيه المقصود فلا يحتاج إلى قيد ، فى حين أنّ بعضها الآخر لا يتضح فيه المراد ولا يتعين إلاّ بحاجته إلى قيد يدلّ عليه ، ومع الاقتران بالدليل فإنه يقوم مقام الظاهر الذى يستغنى عن ذلك الدليل كقولك : (رأيت أسداً يرمى) فإنه يدلّ على (الرجل الشجاع) كما يدلّ لفظ (الأسد) عند الإطلاق على (الحيوان المفترس) .

وبناءً على هذا ؛ فلا يمكن إثبات مجاز فى اللغة العربية ، لأنّ كلاً من تلك المجازات عند القائلين بها ليس عندنا إلاّ حقيقة فى محلّه .

بل يذهب ابن القيم إلى ما هو أكثر منه هذا حينما يعقد فضلاً كاملاً من كتابه المذكور وسَمَّه بعنوان : (فصل فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعه الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز) حيث يستطرد قائلاً : وهذا الطاغوت قد لهج به

= راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلى ٥٩٣/٢ .
- البداية والنهاية : لابن كثير ٢٣٥/١٣ .
- رحلة ابن بطوطة : ص ٧٧ - القاهرة - (بدون بيانات) .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلى ت (١٠٨٩هـ = ١٧٣٠م) - ٧٥١/٣ - نشر : المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - (د . ت) .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : لابن تغرى بردى الأتابكى ت (٨٧٤هـ = ١٤٧٠م) - ٢٤٩/١٠ - نشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة - (د . ت) .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لابن قيم الجوزية ص ٢٧٠ - تحقيق : محمود حسن ربيع - الطبعة ٣ - مكتبة حميدو - الإسكندرية - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
- الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) : لابن قيم الجوزية ص ٧١٧ - تحقيق : محمد خليل هرأس - مطبعة الإمام - القاهرة - (د . ت) .
- منهج أهل السنة فى تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) : د . صبرى المتولى - (ص ١٠ - ١٧) - الناشر : مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّةُ الثانية : التاميل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

المتأخرون ، والتجأ إليه المعطلون ، وجعلوه جَنَّةً يَتَرَسُّونَ بها من سِهَامِ الرَّاشِقِينَ^(١) وَيَصُدُّونَ عن حَقَائِقِ الْوَحْيِ الْمُبِينِ .

ثم يسترسل مستشهداً بالإمام الشافعي فيقول : وهذا هو الشافعي مع كثرة مصنفاته ومباحثه إلا أنه لا يوجد فيها ذكر المجاز ألبتة ، وهذه هي رسالته التي هي كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز في موضع واحد^(٢) .

٢ - على مستوى القرآن :

يشير الشنقيطي إلى الخلاف في جواز إطلاق المجاز في القرآن عند كل من القائلين بوقوعه في اللغة؛ وعند القائلين بمنعه فيها ، وذلك على النحو التالي :

• عند القائلين بالمجاز في اللغة :

فهم وإن قالوا بوقوع المجاز في اللغة ؛ إلا أنهم لا يجيزون وقوعه في القرآن ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطي بقوله : إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية قد اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن ، فقال قوم من المالكية منهم ابن خويز منداد^(٣) وقوم من الشافعية منهم ابن

(١) وقوله : (جَنَّةً يَتَرَسُّونَ بها) أى وقاية يسترون بها لتحميمهم من تلك السهام مثل الترس الذى يتوقى به فى الحرب - انظر مادتي (ترَسَ) و (جَنَنَ) فى المعجم الوسيط : ٨٧/١ - ١٤٦/١ .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

• مختصر الصواعق المرسلّة على الجهميّة والمعلّنة : لابن قيم الجوزيّة - (٢٨٤/٢ - ٢٨٥) -

اختصره الشيخ الفاضل : محمد بن الموصلى - تصحيح الناشر : زكريا على يوسف - مطبعة

دار البيان - القاهرة - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

• الرسالة : للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشى ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) -

تحقيق : أحمد محمد شاكر - طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م .

(١) هو أبو بكر وقيل : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداد ، تفقّه على الأبهري ،

وله عدة مُصنّفات منها : (كتاب كبير فى الخلاف - كتاب فى أصول الفقه - كتاب فى أحكام

القرآن) كما عنده شواذ عن مالك ، وله اختيارات وتأويلات على المذهب لم يرجع عليها حدّاق

المذهب أنفسهم ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته غير أنها أشارت إلى أنه كان من الطبقة السابعة من

أهل العراق ، وأن وفاته كانت عقب وفاة القاضى أبى بكر الباقلانى الذى توفى عام (٤٠٣ هـ =

١٠١٣ م) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : للقاضى أبى الفضل عياض بن

موسى بن عياض البحصي السبتي ت (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) - (٦٠٦/٤ -) منشورات دار

مكتبة الحياة بيروت لبنان) مع (منشورات دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا) - (د . ت) . =

القاص^(١) وكذا بعض الظاهرية : (لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز) .

• عند مانعي المجاز في اللغة :

فهم وإن قالوا بمنع وقوع المجاز في اللغة أصلاً ؛ فقد قالوا بمنعه في القرآن من باب أولى ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطي بقوله : وبألغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية ، وكذا تلميذه العلامة ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ، وذلك فضلاً عن قولهما بمنعه في اللغة أصلاً .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطي

ويذهب الشنقيطي إلى القطع بمنع وقوع المجاز في القرآن ، وذلك فضلاً عن قوله بعدم وقوعه في اللغة ، وهذا ما يتضح من خلال عرضنا لكل من :

١- رده على المخالفين :

وإزاء ذلك يُصدّرُ الشنقيطيُّ كلامه بما يرى لزوم قبوله لكل منصف ، ثم يُثني برده على المخالفين قائلاً : والذي تدبره الله به ، ويلزم قبوله كل منصف مُحقّ ، أنه لا يجوز إطلاق

- = الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : لابن فرحون المالكي ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧ م) - ٢٢٩/٢ - تحقيق: د. محمد الأحمدى أبو النور - مكتبة دار التراث - القاهرة - (د. ت) .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : للعلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد مخلوف ص ١٠٣ - طبعة جديدة بالأوقست عن الطبعة الأولى للمطبعة السلفية ومكبتها عام (١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(١) هو الإمام الفقيه شيخ الشافعية أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص وقد ذكره السمعاني على أنه القاص نفسه لأنه كان يعظ ويقص في (ديار الديلم) وله عدة مصنفات صغيرة الحجم كثيرة الفائدة منها : (التلخيص - أدب القاضي - المفتاح - المواقيت) وغيرها ، وقد انتهت به أسفاره إلى (طرسوس) التي قيل إنه تولى قضاءها ، كما عقد له مجلس وعظ بها فأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى فخر مغشياً عليه ليتوفى بذلك عام (٣٣٥ هـ = ٩٤٧ م) .
راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٦٨/١ - ٦٩ .
- البداية والنهاية : لابن كثير ١٩٢/١٥ - ١٩٣ .
- طبقات الشافعية الكبرى : ٥٩/٣ - ٦٣ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي - (٣٧١/١٥ - ٣٧٢) - حقق هذا الجزء : إبراهيم الزبيق .

المجاز فى القرآن مطلقاً على كلا القولين : سواء قيل بوقوع المجاز فى اللغة ، أو عدم وقوعه فيها .

أما على القول بأنه لا مجاز فى اللغة أصلاً (وهو الحق) فإنّ عدم المجاز فى القرآن واضح ، وأما على القول بوقوع المجاز فى اللغة فلا يجوز القول به فى القرآن .

• دليلا الشنقيطى :

وفى احتجاجه لما ذهب إليه فى ردّه على المخالفين يسوق الشنقيطى كلاً من الدليلين التاليين :

١ - النفى الذى يقع فى المجاز لا يجوز وقوعه فى القرآن :

وفى هذا يقول الشنقيطى ما نصه : وأوضح دليل على منع وقوع المجاز فى القرآن هو إجماع القائلين بالمجاز على أنّ كل مجاز يجوز نفيه ، ويكون نفيه صادقاً فى نفس الأمر ؛ فتقول لمن قال : (رأيت أسداً يرمى) ليس هو بأسد ، وإنما هو : (رجل شجاع) .

ومن ثم ؛ فإنه يلزم على القول بأنه فى القرآن مجاز : أن يكون فى القرآن ما يجوز نفيه ، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن ، وطريق المناظرة القائل بالمجاز فى القرآن هى أن يقال : لا شيء من القرآن يجوز نفيه ، وكل مجاز يجوز نفيه ؛ فيتج بذكر أنه لا شيء من القرآن بمجاز .

٢ - ليس كل ما جاز فى اللغة جاز فى القرآن :

ويوضح الشنقيطى دليله الثانى هذا قائلاً ما نصه : فإن قيل : كل ما جاز فى اللغة العربية جاز فى القرآن لأنه بلسان عربى مبين ؛ فالجواب : أنّ هذه (قضية كلية لا تصدق إلا جزئية) وإيضاح هذا على طريق المناظرة هو أنّ القائل به يقول : إنّ المجاز جائز فى اللغة العربية ؛ وكل ما جاز فى اللغة العربية فهو جائز فى القرآن ، فيتج بقوله هذا أنّ المجاز جائز فى القرآن .

وفى الرد على هذا نقول : سلمنا (المقدمة الصغرى) تسليمًا جدليًا ؛ لأن الكلام هنا على فرض صدقها ، وهى قوله : (المجاز جائز فى اللغة العربية) ولكننا لا نسلم (الكبرى) التى هى قوله : (كل جائز فى اللغة العربية جائز فى القرآن) وقد تقرر عند عامة النظائر أنّ (نقيض الكلية الموجبة جزئية سالبة) فهذه المقدمة التى فيها النزاع وهى قوله : (كل جائز فى اللغة جائز فى القرآن) هى كلية موجبة متقضة بصدق نقيضها الذى هو (جزئية سالبة) وهى قولنا : (بعض ما يجوز فى اللغة ليس بجائز فى القرآن) .

وعليه ؛ فإذا تحققت صدق هذه (الجزئية السالبة) تحققت نفي (الكلية الموجبة) التى هى قوله : (كل جوائز فى اللغة جوائز فى القرآن) والدليل على صدق (الجزئية السالبة) التى نقضنا بها (كليته الموجبة) هو كثرة وقوع الأشياء المستحسنة فى اللغة عند علماء البلاغة ومنها (أنواع البديع المعنوى) والتى تشمل (الرجوع) و (حُسن التعليل) وغيرهما ، فهذا (البديع المعنوى بأنواعه المتعددة) وإن كان واقعاً ، بل ومستحسناً عند (أهل اللغة) إلا أنه ممنوع بلا نزاع فى (القرآن) .

ب - خلاصة موقفه :

وحالما يفرغ الشنقيطى من عرضه لأقوال العلماء وردّه على المخالفين منهم ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى رصد خلاصة موقفه فى تلك القضية قائلاً ما نصه : والتحقيق الذى لا شك فيه ، بل والحق الذى ندين الله تعالى به ، ويلزم قبوله كل مُنصف مُحقق ، أنه لا يجوز القول بوقوع المجاز فى القرآن العظيم مطلقاً ، وسواء قيل بمنع المجاز فى اللغة مطلقاً وهو الحق الذى نراه ، أو سواء قيل بجوازه فيه عند القائلين به .

ثم اعلم أن تقسيم اللفظ إلى (حقيقة) و (مجاز) هو أمر لم يُقل به رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأما ما يروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أنه قال فى مثل : (إنا نحن من كلام الله تعالى) إنه من (مجاز اللغة) فاعلم أنه يعنى بذلك (أنه من الشيء الجائز فى اللغة) ولم يقصد (المجاز الاصطلاحى) الذى هو عندهم (ضد الحقيقة) وهذا ما أوضحه ابن القيم رحمه الله تعالى .

وهكذا يتضح لنا عما سبق كيف أن الشنقيطى يجزم بمنع وقوع المجاز فى (القرآن العظيم) فضلاً عن قوله بعدم وقوع المجاز فى (اللغة العربية) على التحقيق ، وهذا ما عرّض له ، وانتصر فيه على مخالفيه ، من خلال مناقشته التفصيلية لأدلتهم ، ثم بيان خلاصة موقفه على نحو ما ذكرناه آنفاً^(١) .

• (أى البحث :

والحق أننا نذهب إلى ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعبرين عامة ، والشنقيطى منهم خاصة ، بشأن القول بعدم وقوع المجاز فى القرآن العظيم ، فضلاً عن عدم وقوعه فى اللغة على التحقيق الذى سبق أن عرضنا له من قبل .

(١) انظر تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/١٠ - ٦٢ (على مدار ستين صفحة من خلال بحثه الموسوم بـ : منع جواز المجاز فى المُتَرَلِّ لتعبد والإعجاز) .

هذا بالإضافة إلى تواتر إحكام لغة العرب ، وما يمتاز به لسانهم من خصيصة الفصاحة والبيان ، دون سائر الألسن واللغات ، وهو ما نطق به الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ الآية^(٣) .

وإذا كان هذا هو شأن اللغة فضلاً عن شأن أصحابها ؛ فما بالنا بكلام الله تعالى الذى نطق به الحكيم الخبير ؟! لذا لا يمكن أن يدخل المجاز الذى هو (ضد الحقيقة) فى شيء من كلام الله تعالى ؛ لأن هذا مما يتنافى مع مقتضى (الإحكام) الذى أثبتته له سبحانه فى قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الآية^(٤) .

ثم إن المجاز اصطلاح حادث لم يظهر فى تاريخ هذه الأمة إلا بعد القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية ، فلم يُنقل عن أحد من (الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين) مَنْ قال به أو أشار إليه ، كما لم يتكلم به أحد من الأئمة الأعلام (كآبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وسفيان الثورى والأوزاعى وإسحاق بن راهويه والليث بن سعد) وغيرهم ، بل ولا تكلم به أحد من أئمة اللغة وأعلامها (كالخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء والكسائى والقرء وأبى زيد الأنصارى والأصمعى وأبى عمرو الشيبانى) وغيرهم .

وأول مَنْ تكلم بلفظ (المجاز) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى المتوفى عام (٢١٠ هـ = ٨٢٦ م) فى كتابه (مجاز القرآن)^(٥) غير أنه لم يقصد به (مضاد الحقيقة) وإنما عبّر بمجاز الآية عن معناها وتفسيرها ، وأما استعمال لفظ (المجاز) الذى ورد على لسان الإمام أحمد بن حنبل المتوفى عام (٢٤١ هـ = ٨٥٧ م) فى كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة)^(٦) فقد قصد به (الجائز فى اللغة) لا المجاز بمدلوله الاصطلاحى الذى وضعه المتأخرون وتعارفوا عليه على أنه (نقيض الحقيقة) .

وكان المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام هم أول مَنْ تكلموا بالمجاز بمعناه الاصطلاحى على أنه نقيض الحقيقة ، وقد اشتهر هذا عنهم بعد القرن الرابع الهجرى

(٢) الشعراء : ١٩٥ .

(١) النحل : ١٠٣ .

(٤) هود : ١ .

(٣) الزمر : ٢٨ .

(٥) انظر (مجاز القرآن) : صنعة أبى عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق : محمد فؤاد سزكين - نشر : مكتبة الخانجي - القاهرة - (د . ت) .

(٦) انظر (الرد على الجهمية والزنادقة) : للإمام أحمد بن حنبل ص ١٠١ - تحقيق : عبد الرحمن عميرة - دار اللواء - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

القسم الثانى : الباب الثانى : السمة الثانية : التاصيل للملوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

العاشر الميلادى ؛ فدلّ ذلك على أن المآز بدعة اعتزالية محضة ، وصنعة كلامية صرفة ، تقوم على أساس صرف الألفاظ العربية عن منطوقها ، وتحويلها عن دلالاتها المعروفة عند العرب ، هذا بالإضافة إلى كونه يمثل التُّكأة التى اعتمدت عليها تلك الفرق لتعطيل صفات الله الخالق الأعظم ، وإنكار حقائق أقواله وأفعاله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وأخيراً فلو كان فى المآز أدنى خير ، أو أى بقية من فضل ؛ لكان قال به صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم ومن بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فهم أهل الصلاح والفضل ، بل وأسبق الناس إلى كل صواب وخير^(١) .

* * *

وبعد : فإنّ ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

(١) راجع تفصيل مفاصد القول بالمآز ، وأخطاره العظيمة فى مجالى العقيدة والتفسير ، وذلك فى (بطلان المآز وأثره فى إفساد التصور ، وتعطيل نصوص الكتاب والسنة) : بقلم مصطفى عيد الصياصنة - طبعة مزيدة ومنقحة عن دار المآز للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

المطلب الأول التطبيق العملي

ويتضمّن المسألتين التاليتين :

- ١ - المسألة الأولى : آيات الصفات خاصّة .
- ٢ - المسألة الثانية : الآيات الأخرى عامّة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما قيل فيها (من المجاز وإبطاله له) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على تعقيده النظرى ، وفيما يلى نعرض لهذين الشاهدين تبييناً بهما على غيرهما من الشواهد الأخرى مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

آيات الصفات خاصة

ففى مَعْرَض تفسير الشنقى لقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الآية^(١) نراه يفصل القول فى سائر صفات الله عز وجلّ فى مواضعها الأخرى من القرآن ؛ وبما يتحصل معها كلامه هنا فى هذه الآية الكريمة حيث يقول ما نصه : اعلم أن هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقول الله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية^(٢) ونحو ذلك من الآيات الأخرى المماثلة ؛ قد أُشكِلت على كثير من الناس إشكالات ضلّ بسببها خلُق لا يحصى كثرة ؛ فصار قوم إلى التعتيل ، وقوم إلى التشبيه ، سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله .

والله جلّ وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ، ولم يترك فيه أى لبس ولا إشكال ، وحاصل تحرير ذلك أنه جلّ وعلا بيّن أنّ الحق فى آيات الصفات متركب من أمرين : أحدهما : تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة الحوادث فى صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وثانيهما : الإيمان بكل ما وصّفَ الله به نفسه فى كتابه ، أو وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله كما فى قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية^(٣) ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال فيه سبحانه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ الآيتان^(٤) .

فمَنْ نفى عن الله تعالى وصفاً أثبتته لنفسه فى كتابه العزيز ، أو أثبت له رسول الله ﷺ راعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جلّ وعلا ؛ فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جلّ وعلا ، سبحانه هذا بهتان عظيم !!!
ومَنْ اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق ؛ فهو مُشبّه ملحد ضال ، ومَنْ أثبت لله

(٢) الفتح : ١٠ .

(٤) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٣) البقرة : ١٤٠ .

ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسول الله ﷺ مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة الخلق ؛ فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، وبين التنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل .

والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية^(١) حيث نفى عن نفسه جلّ وعلا مماثلة الحوادث بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفى المماثلة ، مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال .

والظاهر أنّ السرّ في تعبيره بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ دون أن يقول مثلاً : (وهو العلى العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة) وذلك لأن (السمع والبصر) إنما يتصف بهما جميع المخلوقات ؛ فبيّن أن الله تعالى متصف بهما ، ولكن وصفه بهما على أساس نفى المماثلة بين وصفه تعالى ، وبين صفات خلقه ؛ ولذا فقد جاء قوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ففي هذه الآية الكريمة إيضاحٌ للحق في آيات الصفات لا لبس معه ، ولا شبهة البتة^(٢) .

المسألة الثانية

الآيات الأخرى عامة

ونكتفي من تلك الآيات بواحدة من أوضحها تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة .

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾ الآية^(٣) نراه ينفي المجاز في انقضاض الجدار مثبتاً حقيقة فيقول ما نصه : اعلم أن هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون : بأن المجاز واقع في القرآن ؛ راعمين أن (إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة ، وإنما هي مجاز) .

وقد دلت آيات من كتاب الله تعالى على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة ؛ لأن الله تعالى يَعْلَمُ للجِماداتِ إِراداتٍ وأفعالاً وأقوالاً لا يدركها الخلق ، كما صرح تعالى بأنه

(١) الشورى : ١١ .

(٢) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢/ ٣٠٤ - ٣٢١ (على مدار ثمانى عشرة صفحة كاملة) .

(٣) الكهف : ٧٧ .

يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْتَفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الآية^(١) فصرَّح بأننا لا نفقه تسبيحهم ؛ لأن تسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جلّ وعلا ، أما نحن فلا نعلمها .

● وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة :

فمن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الآية^(٢) فتصريحه سبحانه بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله تعالى ، هو دليل واضح في ذلك ؛ لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله تعالى ، أما نحن فلا نعلمه .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ثبت في (صحيح مسلم) من أن النبي ﷺ قال : «إني لأعلم حجراً كان يسلم عليّ بمكة» الحديث^(٣) وكذا ما ثبت في (صحيح البخاري) : «من حنين الجذع الذي كان يخطبُ عليه ﷺ جزعاً لفراقه» الحديث^(٤) فـ (تسليم ذلك الحجر) و (حنين ذلك الجذع) كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله تعالى ، أما نحن فلا نعلمه .

ورغم من لا علم عنده من أن (هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هي عنده ضرب للأمثال) هو زعم باطل ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه ، وأمثال هذا كثيرة جداً .

وبهذا تعلم أنه لا مانع من إبقاء (إرادة الجدار على حقيقتها) لإمكان أن يكون الله تعالى قد علم منه إرادة الانقضاض ، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة ، وهذا واضح جداً كما ترى .

مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على معنى (المقاربة والميل) إلى الشيء ، ومن ذلك قول الشاعر :

(يُرِيدُ الرُّمْحُ) صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَعْدِلُ عَنِ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ
أى (يميل الرُّمْحُ إلى صدر أبي بَرَاءٍ) .

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) البقرة : ٧٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الفضائل (باب) فضل نَسَبِ النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة - (طبع بيروت) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) المناقب (باب) علامات النبوة في الإسلام - (طبع بيروت) .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّة الثانية : التاصيل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الأول : علوم القرآن

وبهذا تعلم أن جميع الآيات التي يزعمون أنها (مجاز) أن ذلك لا يتعين في شيء منها ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (إبطال المجاز في القرآن) كموضوع أساسي من موضوعات (علوم القرآن) التي يُصنَّفُ الآية تحته ، بل ويؤجِّه معناها على هديِهِ ، وذلك من خلال تفعيده النظريّ ، ثم تطبيقه العمليّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٧٨/٤ - ١٧٩ .

ختام هذا الفصل

وفي ختام حديثنا عن هذا الفصل بمباحثه الخمسة السالفة ؛ فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - التنبيه ببعض على الكل :

ويتجلى هذا واضحاً من خلال اختيارنا لأشهر مباحث علوم القرآن والتي تمثلت هنا في موضوعات المطالب الخمسة التي شملت كلاً من : (أسباب النزول - الناسخ والمنسوخ - الحروف المقطعة - القراءات القرآنية - المجاز في القرآن) .

وقد اكتفينا بها دون جميعها نظراً لأن حصر هذه الموضوعات وتفصيلها لا ينهض به إلا مؤلفٌ مستقل يتم وقفه عليها ، واختصاصه بها ، وهذا مما لا يقصد إليه البحث ، وليس موضعه .

٢ - الإيجاز دون التفصيل :

وعلى الرغم مما قد يبدو من تفصيلٍ فيما عرّضنا له من المطالب الخمسة السالفة ؛ إلا أننا نؤكد التزامنا بالإيجاز قياساً لما عرّض له الشنقيطي إزاء تناوله لهذه الموضوعات الخمسة ضمن جملة (علوم القرآن) التي وردت في ثنايا تفسيره المختلفة .

وبهذا ينتهي هذا الفصل .

الفصل الثاني علوم الحديث

ويتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التعميد النظريّ .
- ٢ - المبحث الثاني : التطبيق العمليّ .

المبحث الأول التقيد النظري

ويتظم المطالب الأربعة :

- ١ - المطالب الأول : الاحتجاج بخبر الأحاد .
- ٢ - المطالب الثاني : الاحتجاج بالحديث المرسل .
- ٣ - المطالب الثالث : عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف .
- ٤ - المطالب الرابع : تتبع الحديث سنداً وممتناً .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علوم الحديث) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، يُصنَّفُ تحته بعض ما يعرِّض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

الاحتجاج بخبر الآحاد^(١)

يقف الشنقيطى من أخبار الآحاد موقف الاحتجاج بها حيث يرى صحة بيان المتواتر من الكتاب والسنة بتلك الأخبار ؛ ومن ثم صحة أخذها ، والعمل بها ؛ وإزاء هذا يقول ما نصه : واعلم أن التحقيق جواز بيان المتواتر من كتاب أو سنة بأخبار الآحاد ؛ ومن ثم فلا يخفى سقوط القول برد حديث صحيح دالٌّ على بيان نص من غير معارض ، بدعوى أنه لم يتواتر ؛ بل إن منع بيان المتواتر مطلقاً بالآحاد أشد سقوطاً^(٢) .

• شرطان لهذا الاحتجاج :

غير أن الشنقيطى وإن كان قد أسقط القول بمنع بيان المتواتر مطلقاً بأخبار الآحاد ؛ إلا أنه قد اشترط لصحة هذا الاحتجاج شرطين اثنين :

١- عدم مخالفة الصحابة :

حيث يرى الشنقيطى أن خبر الآحاد يصير حُجَّةً ما لم يُجمَع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على خلافه وفى ذلك يقول ما نصه : لقد رأيتُ ثبوت أخذ الزكاة من

(١) وخبر الآحاد : هو ذلك الخبر الذى لم يبلغ حدَّ التواتر فيصير (متواتراً) ولا حدَّ الشهرة والاستفاضة فيصير (مشهوراً أو مستفيضاً) أما (المتواتر) : فهو ما رواه جمع عن جمع بحيث يستحيل تواطؤهم (أى اتفاقهم واجتماعهم) على الكذب بسبب كثرتهم ، وتباعد أماكنهم ، وأما (المشهور أو المستفيض) : فهو ما رواه عدد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بحيث لم يبلغ حدَّ التواتر ، ثم تواتر بعد ذلك .

ومن حيث طرقه وعدد رواته فإن خبر الآحاد ينقسم إلى نوعين : (عزيز) : وهو خبر الآحاد الذى لا يقل عدد رواته عن اثنين فى جميع طبقات السند ، و(غريب) : وهو خبر الآحاد الذى ينفرد بروايته راو واحد فقط .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ٩٧ .
- تيسير مصطلح الحديث : د. محمود الطحان ص ٢٢ - الطبعة ٧ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٩٤ - ٩٥ .

عُرُوض التجارة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يُعَلِّم له مخالف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهذا ما يسمى بـ (الإجماع السكوتي) وهو حجة عند أكثر العلماء^(١) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢ / ٤٦٠ .

● وأما فيما يتعلق بـ (الإجماع السكوتي) من حيث تعريفه وموقف العلماء من الاحتجاج به ، فإننا نوجز ذلك على النحو التالي :
أولاً : تعريفه :

هو أن يقول بعض أهل الاجتهاد قولاً ثم ينتشر هذا القول في المجتهدين من أهل ذلك العصر فيستكون عنه بحيث لا يظهرون اعترافهم به ولا إنكارهم له .
ثانياً : موقف العلماء من الاحتجاج به :

وأما فيما يتعلق بمذاهب العلماء من حيث أخذهم بالإجماع السكوتي واحتجاجهم به ، فقد توزعت بين اثني عشر مذهباً نوجزها على النحو التالي :
الأول : ليس بإجماع ولا حُجَّة :

وبه قال داود الظاهري وابنه المرتضى ، وعزاه القاضي إلى الشافعي واختاره قائلًا : إنه آخر أقوال الشافعي ، وقال الغزالي والرازي والآمدى : إنه نص الشافعي في (الجديد) كما قال الجويني : إنه ظاهر مذهبه .
الثاني : هو إجماع وحُجَّة :

وبه قال جماعة من الشافعية ، وجماعة من أهل الأصول ، كما روى نحوه عن الشافعي .
الثالث : هو حُجَّة وليس بإجماع :

وبه قال أبو هاشم ، وهو أحد الوجهين عند الشافعي ، كما قال به الصيرفي ، واختاره الأمدى ، ويقول الصفي الهندي : ولم يَصِرْ أحد إلى عكس هذا القول (يعني أنه إجماع لا حجة) .
الرابع : هو إجماع بشرط انقراض العصر :

لأنه يبعد عن ذلك أن يكون هذا السكوت لا عن رضا ، وبه قال أبو علي الجبائي وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، كما نقله ابن فورك في كتابه عن أكثر أصحاب الشافعي ، وكذا نقله الأستاذ أبو طاهر البغدادي عن الحُدَّاق منهم ، واختاره ابن القطان والروياتي ، وقال الرافعي : إنه أصبح الأوجه عند أصحاب الشافعي ، كما قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في (اللُّمَع) : إنه المذهب ، ثم قال : فأما قبل الانقراض ففيه طريقان ، إحداهما : إنه ليس بحجة قطعاً ، والثانية : على وجهين .

الخامس : هو إجماع إن كان قُتِيًا لا حُكْمًا :

وبه قال ابن أبي هريرة من كبار فقهاء الشافعية ، كما حكاه عنه الشيخ أبو إسحاق والماوردي والرافعي وابن السمعاني والآمدى وابن الحاجب .
السادس : هو إجماع إن كان صادرًا عن قُتِيًا :

وبه قال أبو إسحاق المرزوي ، وعلل ذلك بأن الأغلب أن الصادر من الحاكم يكون عن مشاوره ، كما حكاه ابن القطان عن الصيرفي .

السابع : هو إجماع بشرط :

أن يقع في شيء يفوت استدراكه من (إراقة دم ، أو استباحة فرج) وإلا فهو حجة ، وفي كونه =

ب - قطعته بموافقة الإجماع :

حيث يرى الشنقيطي أن خبر الأحاد يصير قطعياً مثل المتواتر في حالة موافقته لإجماع العلماء ، على خلاف بينهم في كونه قطعياً أو لا ، وهذا ما يشير إليه بقوله : وإجماع المسلمين إذا وافق خبر الأحاد ؛ فبعض العلماء يقول : يصير بموافقة الإجماع له قطعياً كالمتواتر ، غير أن أكثر الأصوليين يقولون : لا يصير قطعياً بذلك^(١) .

غير أنه يُعقَّبُ على هذا القول للأصوليين مبيِّناً أن سببه هو اشتراطهم أن يكون خبر الأحاد هو الأصل الذي يعتمد عليه العلماء في إجماعهم ، وإلى هذا يشير بقوله : وفرق قوم فقالوا : إن صرح العلماء بأن معتمدتهم في إجماعهم هو ذلك الخبر فقد أفاد هذا

= إجماعاً وجهان ، هكذا حكاه الزركشي ولم ينسبه إلى قائل .

الثامن : هو إجماع إن كان الساكتون أقل :

والأفلا ، وبه قال أبو بكر الرازي ، كما حكاه شمس الأئمة السرخسي عن الشافعي ، وقال

الزركشي : وهو غريب لا يعرفه أصحابه .

التاسع : هو إجماع بشرط :

أن يكون في عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وإلا فلا .

العاشر : هو إجماع بشرط :

أن يكون ذلك مما يدوم ويتكرر وقوعه والخوض فيه ؛ فإن السكوت يكون إجماعاً ، وبه قال

إمام الحرمين الجويني .

الحادي عشر : هو إجماع بشرط :

أن تفيد القرائن العلم بالرضا ؛ وذلك بأن يوجد من قرائن الأحوال ما يدل على رضا الساكتين

بذلك القول ، وهذا ما اختاره الغزالي في (المستصفى) كما قال بعض المتأخرين : إنه أحق الأقوال

؛ لأن إفادة القرائن العلم بالرضا هي كإفادة النطق له فيصير مثل (الإجماع النطقي) .

الثاني عشر : هو حجة قبل استقرار المذاهب :

أما بعد استقرار المذاهب فلا ؛ لأنه لا أثر للسكوت لما تقرر عند أهل المذاهب من عدم إنكار

بعضهم على بعض إذا أفتى أو حكّم بمذهبه مع مخالفته لمذاهب غيره .

راجع تفصيل ذلك في كل من :

• إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول : للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت

(١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) - ١٥٣/١ - تحقيق : محمد سعيد البدرى - الطبعة ١ - دار الفكر

- بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

• الإجماع بين النظرية والتطبيق : د. أحمد حمد ص ٨٣ - الطبعة ١ - دار القلم - الكويت -

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

• الأصول من علم الأصول : للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٥٩ - الطبعة ١ - مكتبة

المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٤١/٢ .

قطعه ؛ وإلا فلا ، وقد أشار صاحب (مراقى السُّعُود) إلى ذلك بقوله :

وَلَا يُفِيدُ الْقَطْعَ مَا يُوَافِقُ الإِجْمَاعَ ، وَبَعْضُ بَقِيعِ يَنْطِقُ
وَبَعْضُهُمْ يُفِيدُ حَيْثُ عُوَّلَا عَلَيْهِ (وَانْفَهَ إِذَا مَا قَدْ خَلَا)^(١)

ويعنى هذا أن هؤلاء البعض الذين رأوا التفصيل قد قالوا : إن ذلك الإجماع يدل على صدق الخبر (أى القطع بأن رسول الله ﷺ قد قاله) فى حالة إذا ما عُوِّلَ (أى فى حالة إذا ما صرَّح هؤلاء المجمعون عليه بأنهم إنما عقدوا إجماعهم على أساس هذا الخبر ، فضلاً عن استناد اتفاقهم إليه)^(٢) .

وبهذا تتمثل حقيقة موقف الشنقيطى فيما ختم به كلامه إزاء احتجاجه بخبر الآحاد من أن هذا الخبر إنما يقويه ، بل ويشهد له ما هو معروف من عمل المسلمين به ، وهذا ما ينصّ عليه قائلًا : وعلى كل حال ؛ فلا يخفى أنّ خبر الآحاد إنما يعتضد بعمل المسلمين به^(٣) .

• رَأْيُ الْبَحْثِ :

والحق أننا نوافق الشنقيطى فيما ذهب إليه من أنه لا يجوز ردُّ حديث صحيح لا لعلّة سوى أنه خبر آحاد ؛ غير أننا نشترط لذلك سلامته من معارضة إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فى حين لا نرى اشتراط أن يكون أصلاً لانعقاد إجماع العلماء عليه ، أو أساساً لاتفاق استنادهم إليه .

بل إنّ ثبوت صحته ، وتحقيق نسبته ، فضلاً عن اتصال سنده ، وسلامته من المُعَارَضَةِ ، لهُى خصائص من شأنها أن تكفل له قوة الاحتجاج به ، وتدعو إلى صحة التعويل عليه ؛ وليس أدلّ على ذلك من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى صدّر به البخارى (صحيحه) على الرغم من انفراد عمر رضي الله عنه بروايته عن رسول الله ﷺ والذى يقول فيه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث^(٤) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٤١/٢ - ٥٥٥/٣ .

وقد أشار الشنقيطى إلى أنّ هذا القول : (وانْفَهَ إِذَا مَا قَدْ خَلَا) إنما يتعلق بمسألة أخرى غير

(أخبار الآحاد) وإنما ذكره لارتباط بعض هذه الآيات ببعض .

(٢) نشر البنود على مراقى السُّعُود : عبد الله العلوى الشنقيطى ٣١/٢ (بتصرف يسير) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٤٢/٢ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) بَدءُ الوَحْيِ (باب) بَدءُ الوَحْيِ - (طبع بيروت) .

وعلى الرغم من ذلك الخلاف الواقع بين العلماء في حُجِّيَّة خبر الآحاد ، من حيث قُبُولُه والعمل به ، إلا أنه يتهدى في حقيقته إلى قُبُولِ الأُمَّة له ، وعملها به ، وهذا فحوى ما يشير إليه أستاذنا الدكتور أحمد يوسف بقوله :

وأما خبر الآحاد ، وإن كان العلماء قد اختلفوا في قُبُولِه والعمل به ، حيث ذهب الخوارج والمعتزلة إلى إهماله وعدم قُبُولِه ، كما ذهب داود الظاهري ، وهو ما يحكى أيضاً عن الإمامين مالك وأحمد وهو رأى المُحدِّثين ، إلى الاعتداد به ، وأنه يفيد العلم ، في حين ذهب الحنيفة والشافعية والمالكية إلى وجوب العمل به ، وإن كان يفيد عندهم الظن الغالب .

وبهنا هنا أن نذكر لك أدلة المُحدِّثين على قُبُولِ خبر الآحاد ، والعمل به ، حيث استدلوا من القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿ قُلُوبًا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ الآية^(١) وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الآية^(٢) وهى تدل على أن نبا الفاسق يُتوقَّفُ في قُبُولِه ؛ وبناءً عليه فإن الواحد إذا كان ثقة فإنه يُقبَلُ حديثُه .

بل إن من السُّنة نفسها أحاديث كثيرة قد بلغت في جملتها حدَّ التواتر المعنوي ، وإن كان كل حديث منها آحادياً ، لكن كلها تفيد معنى واحداً تجرى عليه ، ومنها قوله ﷺ : « نَصَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفَظَهَا وَوَعَاها وَأَدَّها كَمَا سَمِعَهَا » الحديث^(٣) ثم إن الأُمَّة قد أَجْمَعَتْ في عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين على قُبُولِ أخبارِ النَّبِيِّ ﷺ وإن كانت آحادية^(٤) .

٢ - الاحتجاج بالحديث المُرسَل^(٥) :

يذهب الشنقيطي إلى القول بحُجِّيَّة الحديث المُرسَل ، غير أن احتجاجه بهذا النوع من

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) العلم (باب) التسوقى فى الفُتيا - ٣٢١/٣ - حديث رقم (٣٦٦٠) - (طبع بيروت) - كما أخرجه الترمذى بلفظ : «نصر الله امرأ» - (كتاب) العلم (باب)

ما جاء فى الحث على تبليغ السماع - ٣٣/٥ - (طبع بيروت) .

(٤) فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ٩٨ (بتصرف يسير) .

• وانظر أيضاً فى قُبُولِ الأُمَّة أخبارَ الآحاد وإجماعها عليه (أصول الفقه و خلاصة التشريع

الإسلامى) : للأستاذ عبد الوهاب خلاّف ص ٢٩ - الطبعة ٣ - القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٦٩

هـ = ١٩٤٩ م .

(٥) والحديث المُرسَل : هو ذلك الحديث الذى يَسْقُطُ منه الصحابىُّ بين التابعىِّ الذى يرويه ، وبين رسول =

الأحاديث مشروط عنده بكثرة رواياته ، وتعدد طرقه ، والتي تشمل رواياته الموصولة إلى جانب رواياته المُرسَّلة ؛ ومن ثم فإنها يقوَّى بعضها بعضاً ، وهو الأمر الذي يتأدى عنه صحة الاحتجاج بها في مجموعها ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطي بقوله : وهذه الطرق الموصولة والمُرسَّلة يَشُدُّ بعضها بعضاً ؛ فيصلح مجموعها للاحتجاج^(١) .

• (رأى البحث :

وعلى الرغم من الخلاف الواقع بين الفقهاء والمُحدِّثين بشأن صحة الاحتجاج بالحديث المُرسَّل من عدمه ، إلا أننا نذهب إلى القول بصحة الاحتجاج به ؛ وذلك لأن هذا الخلاف في حقيقته ليس إلا (خلافاً شكلياً) يقوم على أساس (الجهل بحال ذلك الصحابي الذي سقط من سلسلة السند) .

ولما كان للصحابة ما لهم من الخيرية والفضل ، والثقة والعدل ، بما لا يختلف عليه العلماء المحققون ، ولا ينكره المنصفون المعتبرون ؛ لذا فلا مجال للشك في حالهم ، أو وقوع اللبس في أمرهم ؛ الأمر الذي يؤكد (شكلية هذا الخلاف) خاصة وأنه يقوم على علة الجهل بحال الصحابي ، وليس على علة الإرسال ، هذا فضلاً عما ذهب إليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الاحتجاج بالحديث المُرسَّل .

وإلى شكلية هذا الخلاف بين الفقهاء والمُحدِّثين ، وبيان القول الراجح إزاء الاحتجاج بالحديث المُرسَّل ، يشير أستاذنا الدكتور أحمد يوسف بقوله : إن الفقهاء الذين قبلوا المُرسَّل لم يقبلوه مطلقاً بدون قيد أو شرط ، وإنما قبلوه حيث ارتفع لديهم الشك في الوسطة ، وأما المُحدِّثون فرفضوه لأن الشك في الوسطة قائم لديهم ؛ فلو ثبت لهم ما ثبت للأولين من صدق الوسطة لسلموا بالعمل به ؛ وإذن فالخلاف في الحقيقة (شكلي) .

= الله صلوات الله عليه المروي عنه ، حيث يرفعه التابعي مباشرة إلى رسول الله صلوات الله عليه مع أنه لم يرو عنه ، ومثاله ما رواه أبو داود في كتابه : (المراسيل) عن الحسن البصري أن رسول الله صلوات الله عليه كان إذا دخل الخلاء قال : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث المخبث ، الرجس النجس ، الشيطان الرجيم » .
فبين الحسن البصري ورسول الله صلوات الله عليه انقطاع ؛ لأنه من التابعين الذين رَوَوْا عن الصحابة ، وليس من الصحابة الذين رَوَوْا عن رسول الله صلوات الله عليه .

• انظر في ذلك بتصرف يسير (في الحديث النبوي - بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠٩ .

والحديث المذكور أخرجه أبو داود في المراسيل (كتاب) الطهارة - ص ٣٥ - حديث رقم (٢) - الطبعة ١ - دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢١/٢ .

ولذا ؛ فإننا نرى أن الإرسال وحده غير كافٍ لردِّ الحديث ، وليس عدم الاحتجاج به هو رأى كل المحدثين ، بل إن الراجح عن إمام المحدثين أحمد بن حنبل رضي الله عنه هو الاحتجاج به^(١) .

٣ - عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف^(٢) :

وهذا ما يعتمد عليه الشنقيطي كأساس يعول عليه ، ومبدأ يحتكم إليه ، إزاء ما يقبله أو يردّه من الأقوال الواردة في معنى هذه الآية أو تلك ؛ ومن ثم فإن الحديث الضعيف لا تقوم به عنده حجة ، ولا تنبني عليه في التفسير صحة ، وهذا ما يصرّح به قائلاً : والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حجة ؛ وبهذا التحقيق الذي ذكرنا تعلم أن القول بهذا في معنى الآية لا أساس له من الصحة^(٣) .

• رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي بشأن عدم احتجاجة بـ (الحديث الضعيف) هو ذات ما يطبق عليه جمهور كبير من أهل الحديث والمعتين به ؛ غير أنهم اشترطوا لقبوله بعض

(١) في الحديث النبويّ (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١١٢ - ١١٣ .
(٢) والحديث الضعيف : هو ذلك الحديث الذي فقد شرطاً من شروط الصحة أو شروط الحُسن ، أو بتعبير آخر هو الذي لم تجتمع فيه صفات الصحة ولا صفات الحُسن ، ويعني هذا أن يكون رواه بالرغم من صدقهم وعدالتهم إلا أنهم لم يتصل إسنادهم ، أو كان فيهم من يغلب عليه السهو أو الغلط ، أو كان في أحد الرواة شذوذ بمخالفته من هو أولى منه بالحفظ ، أو كان في سنده أو منته عيب خفي بحيث إذا ظهر قدح في صحة الحديث أو حسنه .
وللحديث الضعيف عشرة أنواع تأتي تبعاً لاختلال أحد الشروط الخمسة التي يتصف بها كل من الحديث الصحيح والحديث الحُسن ، والتي تتمثل في كل من : (عدالة الراوي - ضبطه - اتصال السند - خلوه من الشذوذ - خلوه من العلة) .

وبناءً على اختلال أحد هذه الشروط الخمسة يكون أحد أنواع الحديث الضعيف ، وذلك على النحو التالي :

فإن لم يكن متصل الإسناد : فنحن أمام ما يُسمّى بالحديث (المُرسَل - المنقطع - المُعْضَل - المُدَلَّس) وإن لم يكن تام الضبط ولا خفيه بل سيء الضبط : فنحن أمام ما يسمى بالحديث (المضطرب - المقلوب - المُدرَج) وإن كان فيه شذوذ بحيث يخالف الحافظ من هو أحفظ منه : فهو الحديث (الشاذ) فإن خالف غير الحافظ من هو حافظ : فهو الحديث (المنكر) وإن كانت فيه علة : فهو الحديث (المعلوم) .

• راجع في ذلك (في الحديث النبويّ - بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف

ص ١٠٤ (بتصرف يسير) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٠٣/٣ .

الشروط الخاصة بهم ، وذلك خلافاً لمن يقبله منهم مطلقاً أو يرفضه مطلقاً ، وقد حدد أستاذنا الدكتور أحمد يوسف تلك الشروط بقوله : أما شروط قبول الحديث الضعيف والأخذ به فثلاثة :

- ١ - أن يكون ضعفه غير شديد ؛ وبذلك يخرج من حديث الكذابين ومن فحش غلطه .
- ٢ - أن يكون الحكم الوارد فيه مندرجاً تحت أصل عام .
- ٣ - ألا يُعتَقَد مع العمل به ثبوته ؛ وذلك حتى لا يُنسَبَ إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله ، أو لم يفعله .

وأما مجال الاستدلال به فهو الترغيب والترهيب ، ثم ما له أصل مشروع ، ثم ما تعددت طرق العمل به وكان في طريق منها حديث ضعيف فإنه يُعمَلُ به في جملتها ؛ ولذلك يروى في هذا المجال عن إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل رحمته الله : أنهم إذا كانوا في مجال الترغيب والترهيب تساهلوا في الإسناد ، وإذا كانوا في مجال الحلال والحرام تشددوا .

ومن ثم ؛ فإن الاستدلال بالحديث الضعيف في مجال الحلال والحرام ، وكذا فيما يسمى بفضائل الأعمال أو الأعمال المستحبة ؛ فلا يجوز أن يثبت به حكم شرعي من : (ندب أو كراهية أو فضيلة أو عمل مقدر في وقت معين) بحديث لم يُعلم حاله أنه ثابت ؛ إذ لا بد من وجود دليل ثابت يثبتُ به هذا الحكم الشرعي ؛ وإلا كان قولاً على الله تعالى بغير علم .

ولذلك فإن الذين قبلوا الاستدلال بالحديث الضعيف على فضائل الأعمال أخطأوا ؛ لأنهم بذلك أفسحوا المجال أمام البدع فكثرت ، علماً بأنه ما من بدعة تحدث إلا وتموت مقابلها سنة ، وذلك مثل (الصلوات اليومية) التي ذكرها كل من ابن مكي في كتابه (قوت القلوب) وتلميذه الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) .

وبهذا يبدو كما لو كان ديننا الإسلامي الحنيف يقوم في جزء أساسي منه (وهو الفضائل) على أسس واهية ، وأدلة ضعيفة ، وهذا غير صحيح^(١) .

وإعمالاً للاستدلال بالحديث الضعيف فيما له أصل مشروع ، وكذا فيما تعددت طرق العمل به على الرغم من وجود حديث ضعيف في طريق منها إلا أنه يُعمَلُ به في جملتها ؛ واتفاقاً من الشنقيطي مع ما ذهب إليه جمهور المحدثين ؛ فإنه يشير إلى ذلك قائلاً : وهذه الروايات الواردة وإن كانت لا يخلو شيء منها من مقال ؛ إلا أن بعضها يشد بعضاً كما

(١) في الحديث النبوي (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠٥ - ١٠٧ (بتصرف يسير) .

تقرّر في علوم الحديث من (أنّ الطرق الضعيفة المُعتَبَر بها يقوَّى بعضها بعضاً حتى يصلحَ مجموعها للاحتجاج) وقد جاء في ذلك قولهم :

لا تخاصِمُ بواحدِ أهلِ بيتٍ فضيفانِ يَغلبانِ قوياً

هذا فضلاً عن اعتضاد مثل هذه الروايات بغيرها من الروايات الأخرى الصحيحة والحسنة والموقوفة ، ثم إنّ الأصل في ذلك هو إعمال الدليلين بالجمع بينهما كلما أمكن كما هو مقرر في علمي الأصول والحديث^(١) .

٤ - تَبِيحُ الْحَدِيثِ سَنَدًا وَمَتْنًا^(٢) :

لا يالو الشنقيطي جهداً ، ولا يدخر وسعاً ، إزاء استقصاء روايات الحديث المتعددة ،

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٧/٢ - ٥٠/٢ .

● وتفصيل القول في القاعدة الأصولية المعروفة بـ (الجمع بين الدليلين) انظر (الموافقات) : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ت (٧٩٠ هـ = ١٣٨٨ م) - ٤/٢٩٤ - الطبعة ١ - تحقيق : (عبد الله دراز) مع (إبراهيم رمضان) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .
(٢) أما السُّنَد :

ففي (اللغة) : يذكرنا الفيروزآبادي أنه ما يقابلك من الجبل ، أو يعلو من السطح ، وفي (اصطلاح علماء الحديث) : فهو عبارة عن سلسلة الرواة الذين نقلوا إلينا حديث رسول الله ﷺ ولعله سُمِّيَ بذلك لأن المحدث يصعد عليه ويرتقى مدارجه حتى يصل إلى قائله وهو رسول الله ﷺ .
راجع في ذلك كلاً من :

● القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) - ١/٣١٤ - الطبعة ٤ - دار المأمون - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٧ م .
● في الحديث النبوي (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠ .
وأما المَتْن :

ففي (اللغة) : يذكر الفيومي أنه يَعْنِي كلاً من النكاح أو الحلف أو الضرب أو الذهاب في الأرض ، أو هو بمعنى ظهر كل شيء وجمعه (مَتَان) مثل (سَهْمٌ وَسَهَامٌ) - كما يورد الفيروزآبادي الفعل الرباعي منه قائلاً : (أُمَّتَهُ وَأُمَّتَنَ بِهِ) أي سار به يومه ، و (أُمَّتَنَ بِالْمَكَانِ مُتَوْنًا) أي أقام به ، وفي (اصطلاح علماء الحديث) : فهو عبارة عن نص الكلام المروي عن رسول الله ﷺ كما يعرفه ابن جماعة بقوله : (هو ما ينتهي إليه غاية السُّنَد من الكلام) .
راجع في ذلك كلاً من :

● المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ت (٧٧٠ هـ = ١٣٦٧ م) - ١/٨١٧ - الطبعة ٢ - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - بولاق - القاهرة - ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .
● القاموس المحيط : الفيروز آبادي ٤/٢٧١ - (نفس الطبعة المذكورة) .
● في الحديث النبوي (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٢ .

وتتبع طرقه المختلفة ؛ وذلك في محاولة منه للوقوف على درجة هذا الحديث أو ذاك عند أهل الاختصاص بهذا الشأن من العلماء المعنيين ؛ ومن خلال ذلك يحدّد موقفه من الحديث الذى بين يديه ؛ إما بإعماله والأخذ به ، وإما بإهماله وعدم إعماله ، خاصة وأنه يُصنّفُ موضوع هذه الآية أو تلك على أساسه ، بل ويوجّهُ معناها على هَدْيٍ منه .

ولهذا نراه لا يفتأ يصرّح بين الحين والآخر باعتضاده لصحة هذا الحديث أو ذاك بما ورد في شأن سنده ومسته من أقوال العلماء المعبرين الذين يثبتون له ذلك ، ومن جملة هذه التصريحات نكتفى بذكر الأقوال التالية : تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

- فمن ذلك ما يشير به إلى جودة إسناد الحديث قائلاً : ويؤيد جودة هذا الإسناد المذكور ما قاله أهل العلم فى ذلك ^(١) .
- ومن ذلك أيضاً قوله : وإسناد هذا الحديث متصل ، ورجاله معروفون بالثقة ؛ وعليه فروايته متصلة صحيحة ^(٢) .
- ومن ذلك قوله أخيراً : ومعلوم أن هذا الحديث المذكور قد تَلَقَّتْهُ الأمة قديماً وحديثاً بالقبول ^(٣) .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٠١/٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨٣/٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨٣/٣ - ٦٠٢/٤ .

المبحث الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المطالب الأربعة :

١ - المطالب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (الاحتجاج بخبر الأحاد) .

٢ - المطالب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (الاحتجاج بالحديث المرسل) .

٣ - المطالب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة (عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف) .

٤ - المطالب الرابع : تطبيق القاعدة الرابعة (تتبع الحديث سنداً وممتناً) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علوم الحديث) حيث يجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تقييده النظرى ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى ، والتي تُعدّ تطبيقاً على القواعد الأربعة المذكورة ؛ وذلك تبييناً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

الاحتجاج بخبر الآحاد

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية^(١) نراه يأخذ بالخبر الثابت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأن وجوب الزكاة فى (عروض التجارة) وفى ذلك يقول ما نصّه : ثبت عن أبى عمرو بن حمّاس^(٢) أن أباه حمّاساً قال : مررت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عتقى آدم^(٣) أحملها^(٤) فقال : ألا تؤدى زكّاتك يا حمّاس ؟ فقال : مالى غير هذا ، وأهّب فى القرظ^(٥) قال : ذلك مالٌ فضع ، فوضعها بين يديه فحسبها ؛ فوجدت أنها قد وجبت فيها الزكاة ، فأخذ منها الزكاة^(٥) .

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) (حمّاس) هكذا ضبطها الشنقيطى قائلاً : وهو بكسر الحاء وتخفيف الميم وآخره سين مهملة - راجع فى ذلك (أضواء البيان) : ٤٦٠ / ٢ .

(٣) (العتق جمع العاتق) : وهو ما بين المنكب والعتق حيث يضع الإنسان عليه أحماله - (آدم جمع آدمة) : وهى باطن الجلد الذى تحت البشرة وفوق اللحم - انظر مادتي (عتق) و(آدم) فى لسان العرب : ٢٧٩٨ / ٤ - ٤٤ / ١ .

● والمعنى : أن حمّاساً رضي الله عنه كان يحمل كمية من الجلود التى فرغ من دباغتها ؛ فصارت صالحة للتجارة .

(٤) (أهّب جمع إهاب) : وهو الجلد غير المدبوغ ، ويشمل جلد البقر والغنم والوحش - (القرظ جمع القرظة) : وهى شجرة ضخمة ساقها غليظة تشبه شجرة الجوز ، ويؤخذ ورقها وثمرها لتدبغ به الجلود ، وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه : (القرظ أجود ما تدبغ به الأهّب فى أرض العرب) - انظر مادتي (أهّب) و(قرظ) فى لسان العرب : ١٦٢ / ١ - ٣٥٩٣ / ٥ .

● والمعنى : أن هذه الجلود كانت لا تزال فى مرحلة الدباغة ؛ ومن ثم فليست صالحة بعد للتجارة ، وذلك بخلاف (الآدم) المدبوغ الذى يصلح لذلك .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦٠ / ٢ .

وهكذا يوجب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الزكاة في الجلود المدبوغة الصالحة للتجارة والتي كان يحملها حماس بغرض بيعها والاتجار فيها ؛ ومن ثم فهي (من عروض التجارة) أما تلك الجلود الأخرى التي لم يكن حماس قد فرغ من دباغتها فلا تجب فيها الزكاة ؛ لأنها ليست صالحة لبيعها والاتجار فيها إلا بعد أن تتم دباغتها ؛ ومن ثم فهي (ليست من عروض التجارة) .

وعلى الرغم من أن هذا الخبر هو من (أخبار الآحاد) إلا أنه لم يخالفه أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو ما يُعدُّ (إجماعاً سكوتياً) يحتج به أكثر العلماء ، وإليه يشير الشنقيطي بقوله : وثبت أخذ الزكاة من عروض التجارة عن عمر رضي الله عنه لم يُعلم له مخالف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهذا النوع يسمى (إجماعاً سكوتياً) وهو حجة عند أكثر العلماء .

ويؤيد هذا ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : (ليس في العروض زكاة إلا ما كان للتجارة) قال : وهذا قول عامة أهل العلم ، فالذي روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (لا زكاة في العَرَض) قال فيه الشافعي في (كتاب القديم) : إسناد هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف ؛ فكان اتباع حديث ابن عمر لصحته والاحتياط في الزكاة أحبَّ إلى ، والله أعلم^(١) .

بل إن ما ذهب إليه ، وانفرد به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ما أخذ به المسلمون وصاروا عليه من بعده ، ومنهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والذي يشير الشنقيطي إلى عمله بهذا الحكم في مختلف أمصار الخلافة عامة ، وفي مصر منها خاصة ، فيقول : وكان زريق على جواز مصر^(٢) في زمان الوليد وسليمان ابني عبد الملك وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه :

أن انظر من يمر بك من المسلمين ؛ فخذ مما ظهر من أموالهم مما يريدون من التجارات ، من كل أربعين ديناراً (ديناراً) فما نقص (فبحساب ذلك) حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإن نَقَصَتْ ثلث دينار (فَدَعَهَا ولا تأخذ منها شيئاً)^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) ويعنى بـ (جواز مصر) أى نقاط عبور الحدود التي يجتازها من يريد أن يدخل مصر ؛ وذلك بإذن زريق المفروض من قبل الخليفة بهذا الأمر آنذاك ، وهو ما يعادله الآن دخول الحدود بموجب (جوازات السفر) المعروفة .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢ / ٤٦١ .

المطلب الثاني

تطبيق القاعدة الثانية

الاحتجاج بالحديث المرسل

ففى مَعْرَضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية^(١) نراه يذهب إلى القول بأن ذوى الأرحام هنا هم الذين حُدِّدَتْ أَنْصِبَتُهُمْ فى آيات الموارث ، ومن ثم فلا يحق لغيرهم من الأقرباء الآخرين من أرحام الأب أو الأم أن يرثوا شيئاً .

وقد استدل فى هذا بحديث مُرْسَلٍ خلافاً لمن لا يحتجون بالمراسيل ، ذاكراً أن لهذا الحديث طرفاً أخرى موصولة ومُرْسَلَةٌ يقوى بعضها بعضاً ؛ ومن ثم فإن مجموعها يُسَوِّغُ الاحتجاج به ، وفى ذلك يقول : لم يعين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة المراد بأولى الأرحام ؛ ومن ثم فقد اختلف العلماء : هل جاء فى القرآن ما يبيّن المراد منها أم لا ؟ .

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنها بيّنتها آيات الموارث كما قدمنا نظيره فى قول الله تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية^(٢) وعليه فقد قالوا : لا إرث لأحد غير مَنْ عَيَّنَتْ لَهُمْ حقوقهم فى آيات الموارث ، أما الباقي بعد نصيب الورثة المنصوص على إرثهم فإنما يذهب إلى بيت مال المسلمين ، وقد استدلوا فى ذلك بقول رسول الله ﷺ : « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه ؛ فلا وصية لوارث » الحديث^(٣) وهذا ما يدل بعمومه على أنه لم يبق فى التركة حق لغير مَنْ عَيَّنَتْ لَهُمْ أَنْصَابُهُمْ فى آيات الموارث .

كما احتج أيضاً مَنْ قَالَ : (لا يرث ذوى الأرحام) بما روى عن عطاء بن يسار : أن رسول الله ﷺ ركب إلى قُبَاءٍ يستخیر فى ميراث العمّة والخالة فأنزل عليه « لا ميراث لهما » وهذا الحديث أخرجه أبو داود فى (المراسيل) والدارقطنى والبيهقى من طريق زيد ابن أسلم عن عطاء مُرْسَلًا ، كما أخرجه النسائى فى (سننه) وعبد الرزاق وابن أبى شيبة من مُرْسَلٍ زيد بن أسلم ، وليس فيه ذكر عطاء ، وقد رد المخالف على ذلك بأن هذا الحديث (مُرْسَلٌ) وقد أجيب بأن مشهور مذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد هو الاحتجاج بالمُرْسَلِ .

(١) الانفال : ٧٥ .

(٢) النساء : ٧ - ١٢ (ست آيات للموارث) .

(٣) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

كما رواه البيهقي موصولاً من طريقين إحداهما: من رواية ضرار بن صرد بن أبي نعيم، وثانيتها: من رواية شريك بن أبي نمر عن الحارث بن عبد الله مرفوعاً ، وقالوا : وصله الطبراني من حديث أبي هريرة ، ويجاب بأنه ضعفه بمسعدة بن اليسع الباهلي ، وقالوا : وصله الحاكم من حديث ابن عمر (وصححه) ويجاب بأن في إسناده عبد الله بن جعفر المدني وهو ضعيف ، وقالوا : روى له الحاكم شاهداً من حديث شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن الحارث بن عبد مرفوعاً ، ويجاب بأن في إسناده سليمان بن داود الشاذكوني وهو متروك ، وقالوا أخيراً : أخرجه الدارقطني من وجه آخر عن شريك ، ويجاب بأنه مُرْسَل .

وتقول : إن هذه الطرق الموصولة والمُرسَّلة يشد بعضها بعضاً ؛ فيصلح مجموعها للاحتجاج ، ولا سيما أنّ منها ما صححه بعض العلماء ، ومنها الطريق التي صححها الحاكم ، وأما تضعيفها بعبد الله بن جعفر المدني : ففيه أنه من رجال مسلم ، وقد أخرج له البخاري تعليقاً ، كما قال فيه ابن حجر في كتابه (التقريب) : ليس به بأس^(١) .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية^(٢) نراه لا يُعوّل على الحديث الضعيف الوارد في تفسير الرؤيا بأن رسول الله ﷺ قد رأى في منامه بنى أمية على منبره ، وأن تفسير الشجرة الملعونة هم بنو أمية كذلك .

وهذا ما قطع الشنقيطي بعدم صحته نظراً لأنه مبني على حديث ضعيف لا تقوم به حجة في التفسير؛ ومن ثم فلا يصح الأخذ به أو التعويل عليه ، وفي ذلك يقول ما نصّه : التحقيق في معنى هذه الآية الكريمة أنّ الله جلّ وعلاً جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس .

لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقاً، إذ قالوا: كيف يصلى بيت المقدس، ويخترق السبع الطباق ، ويرى ما رأى في ليلة واحدة ، ويصبح في محله بمكة؟ هذا مُحَال !! فكان هذا الامر فتنة لهم لعدم تصديقهم به ، واعتقادهم بأنه لا يمكن .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١٩/٢ - ٤٢١ . (٢) الإسراء : ٦٠ .

ثم إن الله جلّ وعلا قد جعل الشجرة الملعونة في القرآن التي هي (شجرة الزقوم) فتنة للناس ؛ لأنهم لما سمعوه ﷺ يقرأ قول الله تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ الآية^(١) قالوا : ظهر كذبه ؛ لأن الشجر لا ينبت في الأرض اليابسة ؛ فكيف ينبت في أصل النار !؟ فصار ذلك فتنة ، وقد بين الله تعالى أنّ هذا هو المراد من كون الشجرة المذكورة فتنة لهم بقوله سبحانه : ﴿أَذْكَرٌ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ (٦٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) الآيات^(٢) وهو واضح كما ترى .

وفي موضع آخر أشار الله تعالى إلى تلك الرؤيا التي جعلها فتنة لهم ، وهو قوله سبحانه : ﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ الآيات^(٣) .

وبهذا التحقيق الذي ذكرنا تعلم أن قول من قال : إن الرؤيا التي أراه الله تعالى إياها هي رؤياه في المنام بنى أمية على منبره ﷺ وإن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ، لا يعول ؛ إذ لا أساس له من الصحة ، والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حجة^(٤) .

وإنما وصف الشجرة باللعن لأنها في أصل النار؛ وأصل النار بعيد من رحمة الله تعالى (واللعن : الإبعاد عن رحمة الله تعالى) أو أنها ملعونة لخبث صفاتها التي وصفت بها في القرآن ، أو هي ملعونة للعن الذين يطعمونها ، والعلم عند الله تعالى^(٥) .

هذا فيما يتعلق بعدم تعويل الشنقيطي على الحديث الضعيف في التفسير والذي يعد

(١) الصافات : ٦٤ .

(٢) الصافات : ٦٢ - ٦٤ (ثلاث آيات) .

(٣) النجم : ١٢ - ١٨ (سبع آيات) .

(٤) أورده ابن الجوزي في تفسيره منبهاً على عدم صحته بقوله : وأرى عدم صحة مثل هذا برغم ذكر عامة المفسرين له - انظر (زاد المسير) : ٥٤/٥ - (طبع بيروت) .

• وممن أورده من المفسرين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : ٢٨٣/١٠ - الطبعة ٢ - تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

• وبهذا يتضح لنا عدم صحة الحديث المذكور من الأصل ، وليس ضعفه كما ذهب إليه

الشنقيطي .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٠٣/٣ - ٦٠٤ .

أخطر منازل الحِلِّ والحُرْمَةِ لتعلقه بكلام الله تعالى ، خاصة إذا كان هذا الحديث لا يندرج تحت أصل مشروع ، أو لم تتعدد طرق العمل به غير طريقه الضعيفة ؛ أما إذا كان كذلك ؛ فإن الشنقيطى يعمل به فى جملة طرقه هذه لأنها يقوى بعضها بعضاً كما هو مذهب جمهور المحدثين الذى أشرنا إليه آنفاً ، فضلاً عن أنه يندرج تحت أصل مشروع .

ومن ذلك صنيعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ الآية^(١) حيث نراه يستدل على (سنية مسح اليدين إلى المرفقين فى التيمم) بمجموع طرق الحديث الوارد فى ذلك مع أن فى بعضها ضعفاً ، فيقول ما نصه :

اعلم أن الواجب فى التيمم هو مسح الكفين فقط ، وذلك لما قدمنا من أن الأحاديث الواردة فى صفة التيمم والتي لم يصح منها شيء ثابت الرفع إلا حديث عمّار ، وحديث أبى جهيم ، أما (حديث أبى جهيم) فقد ورد بذكر اليدين مجملاً ، وأما (حديث عمّار) فقد ورد بذكر الكفين فى (الصحيحين) وورد فى (غيرهما) بذكر المرفقين ، وفى رواية إلى نصف الذراع ، وفى رواية إلى الأباط .

أما رواية (المرفقين ، ونصف الذراع) ففيهما مقال ، وأما رواية (الأباط) فقد قال فيها الشافعى وغيره : إن كان ذلك وقع بأمر النبى ﷺ فكل تيمم له ﷺ بعده فهو ناسخ له ، أما إن كان قد وقع ذلك بغير أمره ؛ فالحُجَّة فيما أمر به ﷺ .

ومما يقوى رواية الصحيحين فى الاقتصار على الوجه والكفين ، أن عمّار بن ياسر كان يفتى بعد النبى ﷺ بذلك ، وراوى الحديث أعرف بالمراد من غيره ، ولا سيما الصحابىّ المجتهد ، كما قاله ابن حجر فى (الفتح) وأما فعل ابن عمر فلم يثبت رفعه إلى النبى ﷺ والموقوف على ابن عمر لا يُعَارَضُ به مرفوع متفق عليه وهو حديث عمّار .

وقد روى أبو داود عن ابن عمر بسند ضعيف أنه قال : « مرّ رجل على النبى ﷺ فى سكة من السكك ، وقد خرج من غائط أو بول فسَلَّمَ عليه ؛ فلم يردّ عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فى السكك ، فضرب بيده على حائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب أخرى فمسح بها ذراعيه » .

ومدار الحديث على محمد بن ثابت ، وقد ضعفه ابن معين وأحمد والبخارى وأبو حاتم ، وقال أحمد : والبخارى ينكر عليه حديث التيمم هذا ، وزاد البخارى : خالفه أيوب وعبيد الله والناس فقالوا : عن نافع عن ابن عمر فعله ، وقال أبو داود : لم يتابع أحد محمد بن ثابت فى هذه القصة على ضربين عن رسول الله ﷺ ورووه من فعل ابن

عمر ، وقال الخطابي : لا يصح ؛ لأن محمد بن ثابت ضعیف جداً ، ومحمد بن ثابت هذا هو العبدی أبو عبد الله البصری ، قال فيه في (التقریب) : صدوق لين الحديث .

وروى الدارقطني من طريق سالم عن ابن عمر مرفوعاً : « تيممنا مع رسول الله ﷺ ضربنا بأيدينا على الصعيد الطيب ، ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بها وجوهنا ، ثم ضربنا ضربة أخرى فمسحنا من المرافق إلى الأكف » لكن في إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك .

وروى البزار وابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين » تفرد به الحريش بن الحرث عن ابن أبي مليكة عنها ، قال أبو حاتم : حديث منكر ، والحريش شيخ لا يحتج به .

أما حديث أنه ﷺ قال لعمار بن ياسر : « تكفيك ضربة للوجه ، وضربة للكفين » فقد رواه الطبراني في (الأوسط والكبير) وفيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ، وهو ضعيف ، ولكنه حجة عند الشافعي .

وأما حديث عمار : « كنت في القوم حين نزلت الرخصة فأمرنا فضربنا واحدة للوجه ، ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين » فقد رواه البزار ، ولا شك أن الرواية المتفق عليها عن عمار هي أولى منه .

وأخيراً يقول ابن عبد البر : إن أكثر الآثار المرفوعة عن عمار هي ضربة واحدة ، وما روى عنه من ضربتين فكلها مضطربة .

وبعد أن يفرغ الشنقيطي من ذكر هذه الروايات وغيرها والتي يبين عدم خلو أغلبها من الضعيف والنعارة إزاء ما ترمى إليه من إثبات وجوب ضربتين في التيمم (واحدة للوجه ، وأخرى للكفين) فإننا نراه يعود للتأكيد على أنه لم يصح في ذلك كله إلا (حديث عمار وحديث أبي جهيم) واللذان يعدان بمثابة الأصل في هذا الباب من حيث إثباتهما أن المشروع في التيمم إنما هو (ضربة واحدة للوجه والكفين معاً) .

أما حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه فقد أخرجه الشيخان في صحيحيهما أنه قال : « أَجْنَبْتُ فلم أصب الماء ؛ فتمعكت في الصَّعِيدِ وَصَلَّيْتُ^(١) فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : إنما

(١) تَمَعَّكْتُ : أي تَمَرَّغْتُ وَتَدَلَّكْتُ وَتَقَلَّبْتُ ، من (الْمَعَك) : أي الدَّلَك ، ومنه قولهم : (مَعَكَه في التراب يَمَعُكُه مَعَكًا) أي دَلَّكُه ، و (مَعَكَه تَمَعِكًا) : أي مَرَّغَه فيه ، ومنه قولهم أيضاً : (التَّمَعُّكُ في التراب) أي التَّقَلُّبُ فيه - انظر مادة (مَعَك) في لسان العرب : ٤٢٣٥ / ٦ .

والصَّعِيدُ : هو كل تراب طيب ، أو كل ما كان له غبار ، أو وجه الأرض المستوية ، وقيل : هو المرتفع من الأرض عامة ، أو الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة خاصة ، كما قيل غير ذلك =

يكفيك هكذا ، وضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ، ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه « الحديث (١) .

وأما حديث أبي جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري فقد أخرجه البخاري موصولاً ، ومسلم تعليقا أنه قال : « أقبل رسول الله ﷺ من نحو (بئر جمل) فلكيه رجل ، فسلم عليه ، فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار ، فمسح بوجهه ويديه ، ثم رد عليه السلام « الحديث (٢) .

ومن ثم ؛ فإن ما سبق ذكره من الروايات الضعيفة والمنكرة بشأن الضربتين في التيمم ، إنما تندرج كلها تحت هذا الأصل المشروع والذي يمثله هذان الحديثان الواردان في (الصحيحين) فضلاً عن أنها يقوى بعضها بعضاً .

الأمر الذي حدا بالشتقراطي لئن يخلص في النهاية إلى القول بوجوب مسح الكفين ، وسنية مسح الذراعين إلى المرفقين ، وفي ذلك يقول ما نصّه : فإذا عرفت نصوص السنة في المسألة فاعلم أن الواجب في المسح هو الكفان فقط ، ولا يبعد ما قاله مالك رحمه الله تعالى من وجوب الكفين ، وسنية الذراعين إلى المرفقين ؛ لأن الوجوب دلّ عليه الحديث المتفق عليه في الكفين ، وهذه الروايات الواردة بذكر اليدين إلى المرفقين تدل على السنية ، وإن كانت لا يخلو شيء منها من مقال ؛ إلا أن بعضها يشدّ بعضاً ، وذلك كما تقرر في (علوم الحديث) من أن (الطرق الضعيفة المُعتبر بها يقوى بعضها بعضاً حتى يصلح مجموعها للاحتجاج) (٣) .

المطلب الرابع

تطبيق القاعدة الرابعة

تَبَيُّحُ الْحَدِيثِ سَنَدًا وَمَتْنًا

ففي معرض تفسير الشنقراطي لقوله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

= - انظر مادة (صعد) في لسان العرب : ٢٤٤٤/٤ .

• ومعنى قوله هنا : (تَمَعَّكْتُ فِي الصَّعِيدِ) أي تَقَلَّبْتُ فِي التُّرَابِ الطَّيِّبِ الْمُسْتَوِيِّ ، وإن كان المعول عليه في التيمم هو الضربتان بالكفين عامة ، وليس التقلب في ذاته خاصة .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) التيمم (باب) التيمم هل ينفخ فيهما - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الحيض (باب) التيمم - (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) التيمم (باب) التيمم في الحضرة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الحيض (باب) التيمم - (طبع بيروت) .

(٣) أضواء البيان : الشنقراطي ٤٣/٢ - ٤٨ .

نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّأْنَا آتِينَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿
الآيتان^(١) نراه يستدل على مشروعية الاجتهاد في هذه الآية بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه
عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن حيث قال له : « فِيمَ تَحْكُمُ ؟ قال : بكتاب الله ،
قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قال : أجتهد رأيي ،
قال : فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله
ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » الحديث^(٢) .

وبعد أن يورد الشنقيطي نصّ هذا الحديث نراه يشرع في تتبّع سنده وامتته ، بطرقه
المتعددة ، ورواياته المختلفة ؛ وليخلص في نهاية مطاف أقوال العلماء فيه إلى الحكم عليه
بالصحة والقبول قائلًا ما نصه : اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة في المسند
والسنن كلها من طريق شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة
عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ ثم إنّ بعض الأحاديث وإن
كانت لا تثبت من جهة الإسناد ؛ إلا أنها لما تلقتها الكافة عن الكافة فقد غنوا بصحتها
عندهم عن طلب الإسناد لها ؛ فكذلك حديث معاذ لما احتجوا به جميعًا فقد غنوا بذلك
عن طلب الإسناد له ، ومن ثم فقد تلقته الأمة قديمًا وحديثًا بالقبول^(٣) .

هذا ، وسوف نعرض لتتبّع الشنقيطي لسند ومتن هذا الحديث ، بطرقه المتعددة ،
ورواياته المختلفة، فضلاً عن أقوال العلماء فيه عامة ، وقوله هو فيه خاصة ، وذلك من
خلال تناولنا لِسِمَّةِ (الانتقاد) كإحدى السمات العامة لمنهجه في التفسير .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا عما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (علوم الحديث) كموضوع
أساسي يُصنّفُ الآية تحته، بل ويوجّه معناها على هدّيه ، وذلك من خلال تعقيده النظريّ ،
ثم تطبيقه العمليّ .

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٥٨٣ - ٤/٦٠٠ .

الفصل الثالث علم الأصول

ويتنظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التقعيد النظرى .
- ٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظريّ

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطالب الأول : المقدمة الأصولية .
- ٢ - المطالب الثاني : الشواهد الأصولية .
- ٣ - المطالب الثالث : الأدلة الأصولية .
- ٤ - المطالب الرابع : المسائل الأصولية .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم الأصول) كقاعدة نظرية، وموضوع أساسى، يُصنّفُ تحته بعض ما يعرّض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

المقدمة الأصولية

ونعنى بها تلك المقدمة التفصيلية التى قدّم بها الشنقيطى لتفسيره مُضمّناً إياها تعريف البيان وأقسامه وأنواعه وبعض ما يتعلق به من المسائل المختلفة .

وهو فى ذلك كله يتبع ما يورده بالأمثلة التى تقوم شاهداً على ما يذهب إليه ودليلاً على ما يرجحه ؛ الأمر الذى أبانت معه تلك المقدمة عن ملامح التفكير الأصولى عند الشنقيطى ، بل ومهدّت فى ذات الوقت لما يتتوى أن يسلكه فيما بعد إزاء علم الأصول ومباحثه العديدة من خلال ما يعرّض له من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة .

ومن ثم ؛ فقد جاءت هذه المقدمة الأصولية كأحد محاور التعيد النظرى لفكر الأصولى عند الشنقيطى ، والذى سنعرض لتطبيقه العملى عليه بعد قليل .

والى تلك المقدمة وما تحويه من القواعد الأصولية المختلفة يشير الشنقيطى فى مقدمة تفسيره قائلاً ما نصّه : وقد تضمن هذا الكتاب تحقيق ما يُحتّاج إليه من المسائل الأصولية ، فضلاً عن المقدمة التى نذكرها فى تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحتّاج إليه من مسائلهما من غير تطويل فى ذلك^(١) .

المطلب الثانى

الشواهد الأصولية

حيث يُولى الشنقيطى تلك الشواهد عناية واضحة تمثلت فى تفسيره لها ، وتعليقه عليها ، فى مَعْرِض استشهاده بها ، واستناده إليها ، وأكثر ما يقع من ذلك هو شرحه لما يستشهد به من النظم الأصولى الذى يستدل به على ما يذهب إليه ، ويعتضد به فيما يرجحه ، من جملة الوجوه والآراء المعتمدة الواردة فى موضوع الآية ومعناها .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أنّ فى بعضها تنبيهاً بها على غيرها وهذا ما سوف نعرّض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العملى عليه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٨/١ - ٦٩ .

المطلب الثالث

الأدلة الأصولية

وتحتل هذه الأدلة من تفسير الشنقيطى حيزاً غير قليل ؛ حيث يحتكم إليها ، ويعتمد عليها ، إزاء توجيه معنى الآية فى ضوء ما تقتضيه ، وعلى هدى ما تؤدى إليه .
والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى أيضاً فى ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أن فى بعضها تبييناً بها على غيرها وهذا ما سوف نعرض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العملى عليه .

المطلب الرابع

المسائل الأصولية

أما تلك المسائل التى تتعلق بعلم الأصول ومباحثه المختلفة فهى أيضاً أكثر من أن تحصى فى ثنايا تفسير الشنقيطى الذى يعرض لها لأدنى ملامسة ، ويذكرها لأيسر مناسبة ؛ حيث يوجه معنى الآية على أساسها ، ويجرى التفسير وفقاً لمقتضاها .
وفى بعض هذه المسائل تبيينه بها على غيرها ، وهذا ما سوف نعرض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العملى عليه .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

المبحث الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

- ١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (المقدمة الأصولية) .
- ٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (الشواهد الأصولية) .
- ٣ - المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة (الأدلة الأصولية) .
- ٤ - المطلب الرابع : تطبيق القاعدة الرابعة (المسائل الأصولية) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعليّ الذي اتبعه الشنقيطيّ في تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم الأصول) حيث يُجسّدُ من خلال ذلك تطبيقه العمليّ على ما ذهب إليه في تعميده النظريّ ، وفيما يلي نكتفي ببعض أمثلة هذا السلوك الفعليّ التي تُعدُّ تطبيقاً على القواعد الأربعة المذكورة ، وذلك تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

المقدمة الأصولية

تعد هذه المقدمة الأصولية بمثابة القاعدة الأساسية التي قدّم بها الشنقيطيّ لتفسيره، والتي جاءت كتمهيد عمليّ لما يتتوى أن يسلكه فيما بعد في ثنايا تفسيره المختلفة؛ ومن ثم فقد حوت هذه المقدمة سائر ما يتعلق بالإجمال والبيان من حيث التعريف والأقسام والأنواع ، وأخيراً تلك المسائل التي تتصل بهما ، وترتّب عليهما ، وذلك على النحو التالي :

١- التعريف :

حيث تناول الشنقيطيّ من خلال تعريف (الإجمال والبيان) في كل من اللغة والاصطلاح ، مع ذكر شواهد المعبرة في ذلك .

٢- الأقسام :

حيث ذكر الشنقيطيّ أقسام البيان الأربعة والتي تتمثل في كل من : (بيان منطوق بمنطوق - بيان مفهوم بمنطوق - بيان منطوق بمفهوم - بيان مفهوم بمفهوم) .

٣- الاتواع :

حيث ضمّن الشنقيطيّ مقدمة تفسيره ثمانية عشر نوعاً من أنواع البيان البالغ جملتها نحو ثلاثين نوعاً في ثنايا تفسيره المختلفة ، وفيما يلي نكتفي بالإشارة إلى ثلاثة منها تنبيهاً بها على غيرها ، والتي تتمثل في كل من :

- النوع الأول : بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف .
- النوع الثاني : بيان أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوي غير مراد ؛ وذلك لوجود دليل قرآني آخر يدل على أن المراد غيره .

- النوع الثالث : بيان أن يذكر وقوع شيء في القرآن ثم يذكر في محل آخر كيفية وقوعه .

٤ - المسائل :

حيث أورد الشنقيطي أربع مسائل تتطلب بالإجمال والبيان ، وتترتب عليهما ، وهي تلك التي تتمثل في كل من :

- المسألة الأولى : إذا ورد بعد المَجْمَل قول أو فعل ؛ وعندئذ لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات : (أن يتفق القول والفعل - أن يزيد الفعل على القول - أن يزيد القول على الفعل) .

- المسألة الثانية : عدم جواز تأخير البيان لمجمل أو ظاهر عن وقت العمل به .

- المسألة الثالثة : جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة إلى العمل به .

- المسألة الرابعة : لا يشترط في البيان أن يعلمه جميع المكلفين الموجودين في وقته .

وأخيراً فإن الشنقيطي يشفع كل ذلك بأمثلته التطبيقية في مواضعها المختلفة من كتاب الله تعالى ، كما لا يفتأ يستدعي ما قاله صاحب (مراقى السعود) ليستدل به على ما يذهب إليه ، ويعتضد به فيما يرجحه .

المطلب الثاني

تطبيق القاعدة الثانية

الشواهد الأصولية

يُولى الشنقيطي تلك الشواهد الأصولية عناية واضحة تمثلت فيما يقوم به من ذلك الشرح المفصل على ما يستشهد به من النظم الأصولي ، والذي نكتفى هنا بذكر مثال واحد له تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة .

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ الآية^(١) نراه يستشهد بأبيات من كتاب (التكميل) للشيخ ميارة، ثم يعقبها بشرحه عليها ، وذلك فيما يتعلق بالمسألة الأصولية التي مفادها : (هل إذا تعددت الأسباب واتحد موجبها بصيغة اسم المفعول ؛ فهل يتعدد عندئذ ذلك الموجب نظراً لتعدد أسبابه ، أو لا يتعدد نظراً لاتحاده في نفسه ؟) حيث يقول ما نصه : وقد أشار الشيخ ميارة في (التكميل) إلى هذه المسألة في

(١) الحج : ٢٧ .

الجملة ، حيث نظم ذلك قائلاً :

مُتَّحِدٌ ؛ كَفَى لَهْنَ مُوَجَّبٌ	إِنْ يَتَعَدَّدُ سَبَبٌ وَالْمُوجَّبُ
حِكَايَةٌ ، حَدٌّ تَيَمُّمٌ بَدَأَ	كَنَاقِضٍ سَهْوٍ وُلُوغٌ ، وَالْفِدَاءُ
بِخُلْفٍ أَوْ وُقْفٍ بِنَصِّ مُعْتَمَدٍ	وَذَا الْكَثِيرِ ، وَالتَّعَدُّدُ وَرَدٌ

ثم يشرع الشنقيطي في شرح هذه الآيات الثلاثة قائلاً : فقوله (المُوَجَّب) في الموضوعين بصيغة اسم المفعول ، وقوله (كَنَاقِض) يعني أن نواقض الوضوء إن تعددت (كَمَنْ بِالْمرات ، أو بال ونام وَقَبْلَ) فإنه يكفى لجميعها وضوء واحد ، وكذلك الجنابة إن تعددت أسبابها (بوطءٍ مرات ، وإنزال بلذة ، واحتلام ، وانقطاع حيض) فإنه يكفى لجميع ذلك غسل واحد .

وقوله (سَهْوٍ) يعني أن مَنْ سَهَا في صلاته مرات متعددة ؛ فإنه يكفيه لجميعها سجودٌ سهوٍ واحدٌ ، وقوله (وُلُوغٍ) يعني أنه إذا تعدد ولوغ الكلب في الإناء بأن وكف فيه مرات متعددة ، أو ولغت فيه كلاب متعددة ؛ فإنه يكفى لجميع ذلك غسله سبع مرات على نحو ما في الحديث^(١) فلا يتعدد الغسل بتعدد الولوغ .

وقوله (وَالْفِدَاءُ) يعني أنه مَنْ تكرر منه موجب الفدية (كَمَنْ لَبَسَ ثِيَابًا مَخِيطًا مَطِيئًا) فإنه تكفيه فدية واحدة ، وقوله (حِكَايَةٌ) يعني أن مَنْ سَمِعَ آذَانَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤَذِّنِينَ فِي وقت واحد فإنه يكفيه حكاية آذان واحد ، ولا تتعدد حكاية الآذان لتعدد المؤذنين .

وقوله (حَدٌّ) يعني أن مَنْ زنا مرات متعددة قبل أن يقام عليه الحد فإنه يكفى حده حدًا واحدًا ، ولا يتعدد الحد بتعدد الزنا ، أما إذا أقيم عليه الحد ثم زنا بعد إقامة الحد ؛ فإنه يقام عليه الحد لزناه الواقع بعد إقامة الحد ، وقوله (تَيَمُّمٌ) يعني أن الْجُنُبَ الَّذِي حَكَمَهُ التيمم إذا أراد أن يحمل المصحف وقراءة القرآن فيه ؛ فإنه يكفيه تيمم واحد ولا يلزمه أن يتيمم لكل واحد منهما .

وقوله (وَذَا الْكَثِيرِ) يعني أن الكثير في فروع هذه المسألة عدم تعدد الموجب الذي تعددت أسبابه ، وقوله (وَالتَّعَدُّدُ وَرَدٌ بِخُلْفٍ أَوْ وُقْفٍ) يعني أن تعدد الموجب لتعدد أسبابه وارد في الشرع ، وتارة يكون مُجْمَعًا على تعدده ، وتارة يكون مُخْتَلَفًا فيه ، فقوله (أَوْ وُقْفٍ) يعني الاتفاق ومراده به الإجماع .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الوضوء (باب) إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الطهارة (باب) حكم ولوغ الكلب - (طبع بيروت) .

وحالما يفرغ الشنقيطي من ذكر وشرح آيات الشيخ ميارة السابقة ؛ يَعْمَدُ عندئذٍ إلى ذكر ما نظمه الشيخ عبد الله العلويّ الشنقيطيّ في كتابه : (نشر البنود شرح مراقى السُّعود) بشأن (ما يتعدد بتعدد سببه إجماعاً) حيث حصر ذلك في خمس مسائل ، ثم (ما يتعدد بتعدد سببه خلافاً) حيث حصره في عشر مسائل .

ثم يُردِّف ذلك بذكر أقوال المذاهب الأربعة في تلك المسألة ، متناولاً ما يورده بالشرح والتعليق ، وليخلص بذلك إلى ما يذهب إليه ويرجعه بشأن المسألة المذكورة قائلًا : واعلم أن جميع ما ذكرنا من تعدد الفدية وعدم تعددها إذا تعددت أسبابها ، لا نص فيه من كتاب ولا سُنّة فيما نعلم ، ثم إن اختلاف أهل العلم فيه كما ذكرنا هو من نوع الاختلاف في تحقيق المناط ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

الأدلة الأصولية

أما هذه الأدلة فهي أكثر من أن تحصى في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ، حيث يحتكم إليها ، ويعول عليها ، في توجيه معنى الآية ، بل وإجراء التفسير على مقتضاها ، وفيما يلي نكتفي بذكر دليل واحد من هذه الأدلة تبييناً به على غيره ، ألا وهو :

• دليل السُّبْر والتقسيم :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (٧٨) كَلَّا ﴿ الْآيَاتَانِ^(٢) نراه يعرض لهذا الدليل الأصولي ذاكراً تعريفه ومدلوله عند كل من الأصوليين والجدليين والمنطقيين ، ثم موظفاً إياه ، ومحتكماً إليه في الكشف عن معنى هذه الآية الكريمة ، والدلالة على المراد منها ، وفي ذلك يقول ما نصه :

اعلم أن الله جلّ وعلا قد ردّ في هذه الآية الكريمة على العاص بن وائل السُّهميّ قوله : (إنه يُؤتَى يوم القيامة مالاً وولداً) وذلك بالدليل المعروف عند الأصوليين بـ : (السُّبْر والتقسيم) وعند الجدليين بـ : (التقسيم والترديد) وعند المنطقيين بـ : (الشُّرطيّ المنفصل) .

وضابط هذا الدليل العظيم أنه متركب من أصليين :

(١) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٧٧/٥ - ٤٨٩ .

(٢) مريم : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

● أحدهما : حصر أوصاف المحل بطريق من طرق الحصر ، وهو المعبر عنه بـ :
(التقسيم) عند الأصوليين والجدليين ، وبـ : (الشرطي المنفصل) عند المنطقيين .

● وثانيهما : اختيار تلك الأوصاف المحصورة ، ثم إبطال ما هو باطل منها ، وإبقاء ما هو صحيح منها ، وهذا الأخير هو المعبر عنه عند الأصوليين بـ : (السبر) وعند الجدليين بـ : (الترديد) وعند المنطقيين بـ : (الاستثناء في الشرطي المنفصل) .

وعليه فإن التقسيم الصحيح في هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل في ثلاثة ، والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث ؛ وبذلك يتم إقام العاص بن وائل الحَجَر في دعواه : (أنه يُؤْتَى يوم القيامة مالا وولداً) (١) .

أما وجه حصر أوصاف المحل في ثلاثة فهو : أنا نقول : قولك (إنك تُؤْتَى يوم القيامة مالا وولداً) لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء :

الأول : أن تكون اطلَّعتَ على الغيب ، وعلمتَ أن إيتاءك المال والولد يوم القيامة ، هو مما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ .

الثاني : أن يكون الله تعالى قد أعطاك عهداً بذلك ؛ فإنه إن أعطاك عهداً فلن يخلفه .

الثالث : أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله تعالى من غير عهد ، ولا اطلاع على غيب .

وقد ذكر الله تعالى القسمين الأولين في قوله سبحانه : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ الآية (٢) مبطلاً لها بأداة الإنكار ، ولا شك أن كلا هذين القسمين باطل ؛ لأن العاص المذكور لم يَطَّلِعْ على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً .

فتعين بذلك القسم الثالث وهو أنه قال ذلك افتراءً على الله تعالى ، وقد أشار سبحانه إلى هذا القسم الذي هو الواقع بحرف الزجر والردع ، وهو قول الله تعالى : ﴿كَأَلَّا﴾ الآية (٣) أي لأنه يلزمه (ليس الأمر كذلك ؛ حيث لم يَطَّلِعْ على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً) بل قال ذلك افتراءً على الله تعالى ، لأنه لو كان أحدهما حاصلًا ؛ لم يستوجب الردع من مقالته كما ترى .

وهذا الدليل الذي أبطل به دعوى ابن وائل هذه، هو الذي أبطل به دعوى اليهود (أنهم

(١) ويعنى بذلك قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ مريم : ٧٧ .

(٢) مريم : ٧٩ .

(٣) مريم : ٧٨ .

لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة) فى سورة (البقرة) وقد صرَّح فى ذلك بالقَسَم الذى هو الحق (وهو أنهم قالوا ذلك كذباً من غير علم) وحذف فى (البقرة) قَسَمَ اِطْلَاعِ الغيب المذكور فى (مريم) لدلالة ذكره فى (مريم) على قصده فى (البقرة) كما أن كذبهم الذى صرَّح به فى (البقرة) لم يصرَّح به فى (مريم) لأن ما فى (البقرة) يبيِّن ما فى (مريم) لأن القرآن العظيم يبين بعضه بعضاً ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية^(١) .

فالأوصاف المذكورة هنا هى ذات الأوصاف المذكورة فى (مريم) كما أوضحنا ، وما حُذِفَ منها هنا يدل عليه ذكره فى (مريم) فاتخاذ العهد : ذَكَرَهُ فى (البقرة ومريم معاً) والكذب على الله تعالى : صرَّح به فى (البقرة) بقوله تعالى : ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأشار إليه فى (مريم) بحرف الزجر الذى هو : «كلا» واطلاع الغيب : صرَّح به فى (مريم) وحذفه فى (البقرة) لدلالة ما فى (مريم) على المقصود فى (البقرة) كما أوضحنا^(٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشنقيطى لم يكتفِ فى هذا المقام بالاحتكام إلى هذا الدليل الأصولى فى توجيهه لمعنى هذه الآية الكريمة ، وإجراء تفسيرها على مقتضاها ، وإنما قد تعدى ذلك إلى إيراد ست مسائل أصولية تتعلق به ، وتترتب عليه .

ولما لم يكن من مقصود هذا البحث الحصر والإحصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فى ذكر هذه المسائل بمجرد الإشارة إليها ، والتعريف بها ، على النحو التالى :

١ - المسألة الأولى : ذكر المثال الوحيد الذى أورده السيوطى لـ (السِّبْر والتقسيم) فى كتابه : (الإتقان) فى كلامه على (جدل القرآن) وذلك فيما تضمنه قول الله تعالى : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ الآية^(٣) .

٢ - المسألة الثانية : بيان أن دليل (السِّبْر والتقسيم) أعمّ نفعاً ، وأكثر فائدة ، على طريق الجدلين منه على طريق الأصوليين والمنطقيين .

٣ - المسألة الثالثة : بيان أن دليل (السِّبْر والتقسيم) إنما يستعمل عند الأصوليين فى شىء خاص ، وهو استنباط علة الحكم الشرعى بـ : (مَسَلِّك السِّبْر والتقسيم) .

(١) البقرة : ٨٠ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٣٦٥ - ٣٦٧ .

(٣) الأنعام : ١٤٣ .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّنة الثانية : التفاصيل للمعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الثالث : علم الأصول

٤ - المسألة الرابعة : بيان أن المقصود من دليل (السُّبْر والتقسيم) عند المنطقيين إنما يخالف المقصود منه عند الأصوليين والجدليين .

٥ - المسألة الخامسة : ذكر بعض الآثار التاريخية لهذا الدليل ومنها : أن هذا الدليل قد جاء في التاريخ أنه أول سبب لضعف المحنة العظمى على المسلمين في عقائدهم بالقول بخلق القرآن العظيم .

٦ - المسألة السادسة : بيان أن هذا الدليل العظيم يُوضَّح غاية الإيضاح موقف المسلمين الطبيعي من الحضارة الغربية ؛ وبذلك الإيضاح التام يتميز النافع من الضار ، والحسن من القبيح ، والحق من الباطل^(١) .

المطلب الرابع

تطبيق القاعدة الرابعة

المسائل الأصولية

يثبت الشنقيطي في تفسيره العديد من تلك المسائل التي يُوجَّهُ معنى الآية على أساسها ، ويجرى التفسير على مقتضاها ؛ ولما لم يكن من مقصود هذا البحث الحصر والإحصاء ؛ لذا فسوف نكتفي في ذكر هذه المسائل بواحدة من أهمها ، وذلك تبييناً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، ألا وهي :

• شرع من قبلنا :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(٢) نراه يعرض لهذه المسألة الأصولية المهمة ، وذلك من خلال ذكر آراء العلماء بصددها ، ثم ليخلص في نهاية المطاف إلى حاصل تحرير المقام بشأنها ، والذي مؤداه :

أنه إذا ثبت في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ أن أمراً ما من الأمور كان شرعاً لمن قبلنا ؛ فإنه يصير عندئذ شرعاً لنا ما لم نُؤمَر في الكتاب والسنة ذاتهما بعدم الأخذ به ، أو ترك العمل بمقتضاه ، وإزاء هذا يقول الشنقيطي ما نصّه :

صرَّح الحق سبحانه في هذه الآية الكريمة بأنه كتب على بني إسرائيل أنه مَنْ قَتَلَ نَفْسًا

(١) راجع تفصيل هذه المسائل الست (في أضواء البيان) : الشنقيطي ٤/ ٣٦٧ - ٣٨٤ .

(٢) المائة : ٣٢ .

بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، غير أنه لم يتعرض سبحانه هنا لحكم مَنْ قتل نفساً بنفس أو بفساد في الأرض .

ولكنه يبين جلّ وعلا ذلك في مواضعٍ أُخرى ، حيث يبين أنّ قتل النفس بالنفس جائز في قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ الآية^(١) وفي قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ الآية^(٢) وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ﴾ الآية^(٣) .

ثم اعلم أنّ آيات القصاص في النفس فيها إجمال قد بيّنته السنة ، وحاصل تحرير المقام فيها أنّ الذكر الحرّ المسلم يقتل بالذکر الحرّ المسلم إجماعاً ، وأن المرأة تقتل كذلك بالمرأة إجماعاً ، كما أنّ العبد يقتل كذلك بالعبد إجماعاً ، وكذا المرأة تقتل بالرجل ؛ لأنها إذا قتلت بالمرأة ، فقتلها بالرجل أولى ، وأخيراً فإنّ الرجل يقتل بالمرأة عند جمهور العلماء فيهما .

وهنا يذهب الشنقيطي لإقامة الدليل على قتل الرجل بالمرأة فيقول ما نصه : ومن أوضح الأدلة في قتل الرجل بالمرأة قول الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ الآية^(٤) وقوله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد إلا إله إلا الله وأنى رسول الله ؛ إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس » الحديث^(٥) فعموم هذه الآية الكريمة ، وهذا الحديث الصحيح ؛ يقتضى قتل الرجل بالمرأة ، لأنه نفس بنفس ، ولا يخرج من هذا العموم إلا ما أخرجه دليل صالح لتخصيص النص به .

(١) المائدة : ٤٥ .

(٢) البقرة : ١٧٨ .

(٣) الإسراء : ٣٣ .

(٤) المائدة : ٤٥ .

(٥) هكذا أورد الشنقيطي هذا الحديث مقتصرًا على ذكر شرطين فقط دون الشرط الثالث المتمم لجملة الشروط التي يحل بها دم المسلم ؛ وإزالة ما لما قد يقع من لبس للنظر في هذا الحديث ؛ فإننا نوردّه بتمام لفظه من رواية البخارى له في صحيحه حيث يقول ما نصه :
حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ؛ إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة » .

• انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلاني (كتاب) الديات (باب) قول الله تعالى : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ المائدة : ٤٥ - ٢٦ / ٢٠ حديث رقم (٦٨٧٨) - (طبع الأزهرية) - وعبد الله المذكور هو (ابن مسعود رضي الله عنه) كما أفاد ذلك ابن حجر في معرض شرحه لهذا الحديث - كما أخرج مسلم هذا الحديث أيضاً في صحيحه (كتاب) القسامة والمحارِبين والقصاص والديات (باب) ما يباح به دم المسلم - (طبع بيروت) .

وعندئذ ينفذ الشنقيطي إلى بيان تلك المسألة الأصولية التي نحن بصدددها ، حيث نراه يعرض لرأيه في (شرع من قبلنا) من خلال إجابته على سؤالين له افتراضهما على كلامه السابق ، غير أنه يعنينا في مقامنا هذا أول هذين السؤالين دون ثانيهما^(١) وهو ما يفصل فيه الشنقيطي قوله على النحو التالي :

نعم يتوجه على هذا الاستدلال سؤالان :

الأول : ما وجه الاستدلال بقول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية^(٢) مع أنه حكاية عن قوم موسى ، والله تعالى يقول : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية^(٣) ؟

والجواب : أن التحقيق الذي عليه الجمهور ، ودلت عليه نصوص الشرع ، أن كل ما ذكر لنا في كتابنا ، وسنة نبينا ﷺ مما كان شرعاً لمن قبلنا ؛ فإنه يكون شرعاً لنا ، من حيث إنه وارد في كتابنا أو في سنة نبينا ﷺ لا من حيث إنه كان شرعاً لمن قبلنا ؛ لأنه لم يقص علينا في شرعنا إلا لنعبر به ، ونعمل بما تضمن ، والنصوص الدالة على هذا كثيرة جداً .

ولأجل هذا ؛ أمر الله تعالى في غير ما آية من قرآنه العظيم بالاعتبار بأحوالهم ، بل وويح سبحانه من لم يعقل ذلك كما في قوله تعالى في قوم لوط : ﴿وَأَنْتُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ الآيتان^(٤) ففي قوله تعالى : ﴿أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ تويخ لمن مرّ بديارهم ولم يعتبر بما وقع لهم ويعقل ذلك ليتجنب الوقوع في مثله .

وكقول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية^(٥) ثم هدّد الكفار بمثل ذلك فقال تعالى : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ الآية^(٦) .

وكقول الله تعالى في حجارة قوم لوط التي أهلكوا بها ، أو ديارهم التي أهلكوا فيها :

(١) أما ثاني السؤالين فقد سمّاه الشنقيطي قائلاً : السؤال الثاني هو لم لا يُخصَّصُ عموم قتل النفس بالنفس في الآية والحديث المذكورين بقول الله تعالى : ﴿الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ البقرة : ١٧٨ ؟ لأن هذه الآية أخص من تلك ؛ لأنها فصلت ما أجمل في الأولى ، ولأن هذه الأمة مخاطبة بها صراحة في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ البقرة : ١٧٨ - انظر أضواء البيان : الشنقيطي ٦٢ / ٢ .

(٢) المائة : ٤٥ .

(٣) المائة : ٤٨ .

(٤) سورة محمد ﷺ : ١٠ .

(٥) الصافات : ١٣٧ - ١٣٨ (آيتان) .

(٦) سورة محمد ﷺ : ١٠ .

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الآية^(١) وهو تهديد عظيم منه جلّ وعلا لِمَنْ لم يعتبر بحالهم فيجتنب ارتكاب ما هلكوا بسببه ، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن .

وكقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الآية^(٢) فصرّح سبحانه أنه يقصّ قصصهم في القرآن للعبرة ، وهو دليل واضح لما ذكرنا .

ولمّا ذكر الله تعالى مَنْ ذكر من الأنبياء في سورة (الأنعام) قال لنبينا ﷺ : ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَهَدَاهُمْ اللَّهُ أَقْبَدَهُمْ﴾ الآية^(٣) وأمره ﷺ أمر لنا لأنه قدوتنا ؛ ولأن الله تعالى يقول : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية^(٤) ويقول : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الآية^(٥) ويقول : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الآية^(٦) ويقول : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ الآية^(٧) ومن طاعته ﷺ اتباعه فيما أمر به كله ، إلا ما قام دليل على الخصوص به ﷺ .

وكون شرع مَنْ قبلنا الثابت بشرعنا شرعاً لنا إلا بدليل على النسخ : فهذا هو مذهب الجمهور ، ومنهم مالك وأبو حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين ، وقد خالف الشافعي رحمه الله تعالى في أصح الروايات .

وإزاء تحرير الخلاف في هذه المسألة يَعْرِضُ الشنقيطي لما ورد بشأنها في بعض المذاهب الأربعة بأدلتها المعتبرة، حيث يقول في ذلك ما نصه: وحاصل تحرير المقام في مسألة (شرع مَنْ قبلنا) أنّ لها واسطة وطرفين كما يلي :

• الطرف الأول (يكون فيه شرعاً لنا إجماعاً) :

وهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لِمَنْ قبلنا ، ثم بَيَّنَّ لنا في شرعنا أنه شرع لنا ، وذلك كالقصاص مثلاً فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لِمَنْ قبلنا في قول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية^(٨) وقد بَيَّنَّ الحق سبحانه أنه مشروع لنا في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ الآية^(٩) .

• الطرف الثاني (يكون فيه غير مشروع لنا إجماعاً) :

وهو أمران :

أحدهما : (ما لم يثبت بشرعنا أصلاً أنه كان شرعاً لِمَنْ قبلنا) وذلك كالذي نتلقاه من

(١) هود : ٨٣ . (٢) يوسف : ١١١ . (٣) الأنعام : ٩٠ .
(٤) الأحزاب : ٢١ . (٥) آل عمران : ٣١ . (٦) الحشر : ٧ .
(٧) النساء : ٨٠ . (٨) المائدة : ٤٥ . (٩) البقرة : ١٧٨ .

الإسرائيليات ؛ لأن النبي ﷺ قد نهانا عن تصديقهم وتكذيبهم فيها ، فما نهانا ﷺ عن تصديقه لا يكون مشروعاً لنا إجماعاً .

وثانيهما : (ما ثبت في شرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ، ثم بين لنا في شرعنا أنه غير مشروع لنا) وذلك كالأصار والأغلال^(١) التي كانت على من قبلنا ؛ لأن الله جلّ وعلا قد وضعها عنا كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية^(٢) وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما قرأ قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ الآية^(٣) قال : إن الله تعالى قال : نعم قد فعلت الحدیث^(٤) .

ومن تلك الأصار التي وضعها عنا الله تعالى على لسان نبينا ﷺ ما وقع لعبد العجل حيث لم تُقبل توبتهم إلا بتقديم أنفسهم للقتل كما قال الله تعالى : ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ الآية^(٥) .

• والواسطة (وهي محل خلاف بين العلماء) :

فهي ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ، غير أنه لم يبين لنا في شرعنا عما إذا كان مشروعاً لنا أو غير مشروع لنا ، وقد قدمنا أن التحقيق كونه شرعاً لنا ، وهو مذهب الجمهور ، وقد رأيت أدلتهم عليه ؛ وبه تعلم أن آية : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ الآية^(٦) يلزمنا الأخذ بما تضمنته من الأحكام ، مع أن القرآن قد صرح بذلك في الجملة كما في قول الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ الآية^(٧) وقوله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئِيهِ سُلْطَانًا ﴾ الآية^(٨) .

(١) (أصار جمع إصر) : وهو كل أمر ثقيل شاق يمتحن الله تعالى به الإنسان كالعهد والميثاق وغيرهما ، ومن ذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ البقرة : ٢٨٦ - أى : ربنا ولا تحملنا عهداً ثقيلاً لا نفى به فتعذبنا بتركه ونقضه - انظر مادة (أصر) في لسان العرب : ٨٦/١ .

و (أغلال جمع غل) : وهو القيد الذي يجمع اليد إلى العنق فيصير الإنسان مغلولاً أى مقيداً ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ يس : ٨ - أى : قيوداً تجمع أيديهم إلى أعناقهم - انظر مادة (غلل) في لسان العرب : ٣٢٨٥/٤ .

(٢) الأعراف : ١٥٧ . (٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما (كتاب الإيمان) (باب) بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق - (طبع بيروت) .

(٥) البقرة : ٥٤ . (٦) المائدة : ٤٥ .

(٧) البقرة : ١٧٨ . (٨) الإسراء : ٣٣ .

وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه التصريح بأن ما فيها من قتل النفس بالنفس هو مشروع لنا ؛ حيث قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد إلا إله إلا الله وأنى رسول الله ؛ إلا بإحدى ثلاث : الشيب الزانى ، والنفس بالنفس » الحديث^(١) وإلى هذا أشار البخارى فى صحيحه حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآيات^(٢) ثم ذكر حديث ابن مسعود المتقدم .

وقال ابن حجر : والغرض من ذكر هذه الآية مطابقتها للفظ الحديث ، ولعله أراد أن يبين أنها وإن وردت فى أهل الكتاب ؛ إلا أن الحكم الذى دلت عليه مستمر فى شريعة الإسلام ؛ ومن ثم فهو أصل فى القصاص فى قتل العمد^(٣) ويدل لهذا قوله ﷺ : « كتاب الله القصاص » الحديث^(٤) بناءً على أن المراد بـ (كتاب الله) هو قول الله تعالى : ﴿وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ﴾ فى هذه الآية التى نحن بصددها^(٥) أما على بقية الأقوال فلا دليل فى الحديث .

وهنا يعمد الشنقيطى إلى استعراض أقوال المذاهب الأربعة بشأن هذه المسألة الأصولية فيقول ما نصه : ولم يزل العلماء يأخذون الأحكام من قصص الأمم الماضية كما أوضحنا دليله ، ومن ذلك :

• قول المالكية : إن القرينة الجارمة ربما قامت مقام البيعة ، مستدلين على ذلك بـ (جعل شاهد يوسف شق قميصه من دبره قرينة على صدقه وكذب المرأة) وذلك فى قول الله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كِيدِكُنَّ إِنْ كِيدِكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) الآيات^(٦) .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) ونص هذه الآية الكريمة هو قول الله تعالى : ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة : ٤٥ .

(٣) هكذا نص عليه ابن حجر فى ترجمته لهذا الباب الذى أورد تحته هذا الحديث مصدراً كلامه بقوله : (باب قول الله تعالى : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ كذا لأبى ذر والأصيلي ، وعند الشافى بعده الآية إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وساق فى رواية كريمة إلى قوله : ﴿الظَّالِمُونَ﴾ والغرض من ذكر هذه الآية مطابقتها . . .) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٢٦ / ٢٠ - (طبع الأزهرية) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الصلح (باب) الصلح فى الدية - (طبع بيروت) .

(٥) المائدة : ٤٥ .

(٦) يوسف : ٢٦ - ٢٨ (ثلاث آيات) .

فذكره لهذا مقررًا له يدل على جواز العمل به ؛ ومن هنا أوجب مالك حدَّ الخمر على مَنْ اسْتَنْكَه^(١) فَشُمَّ فِي فِيهِ رِيحُ الخمر ؛ لأن ريحها في فِيهِ قرينة على شربه إياها .

وكذا الضيف ينزل بساحة القوم فيأتيه الصبي أو الوليدة بالطعام ؛ فإنه يباح له أن يأكل منه من غير بينة تشهد على أن أهل الطعام قد أذنوا له في الأكل ، وذلك اعتمادًا على القرينة^(٢) .

• كما أخذ المالكية إبطال القرينة بقرينة أقوى منها ، وذلك من أن أولاد يعقوب لما جعلوا يوسف في غيابة الجُبِّ جعلوا على قميصه دم سَخْلَةٍ^(٣) ليكون هذا الدم الذي على قميصه قرينة على صدقهم في أنه أكله الذئب .

غير أن يعقوب قد أبطل قرينتهم هذه بقرينة أقوى منها وهي (عدم شق القميص) قائلًا: سبحان الله !! متى كان الذئب حليمًا كَيْسًا ، يقتل يوسف ولا يشق قميصه !؟ وهذا ما بينه الله تعالى بقوله : ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ الآية^(٤) .

(١) نَكَّهَ وَنَكَّهَ وَاسْتَنْكَهَ : أى تنفس على أنفه ليشم رائحة فمه ، وفي حديث شارب الخمر : «اسْتَنْكَهُوهُ» أى شمواً رائحة فمه لتبينوا هل شرب الخمر أم لا ، والاسم منه (النُّكْهَ والنُّكْهَةُ) : وهى رائحة الفم - انظر مادة (نكَّه) فى لسان العرب : ٤٥٤٤/٦ .

والحديث الوارد فى ذلك جاء عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَنْكَهَ مَاعِزًا » - أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الحدود (باب) مَنْ اعترف على نفسه بالزنا - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الحدود (باب) رجم ماعز بن مالك - (طبع بيروت) - واللفظ لأبى داود .

والاستنكاه الوارد هنا كان فى حد الزنا حتى يعلم رسول الله ﷺ أن ماعزًا كان فى تمام عقله حال إقراره ، غير أنى لم أقف على هذا الاستنكاه مرفوعًا فى شرب الخمر ، وإنما ثبت فى ذلك موقوفًا على بعض الصحابة كابن مسعود وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كتاب) فضائل القرآن (باب) القراء من أصحاب النبى ﷺ - (طبع بيروت) - كما أخرجه مالك فى موطنه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كتاب) الأشربة (باب) الحد فى الخمر - (طبع بيروت) .

(٢) راجع تفصيل هذه المسألة من حيث استدلال المالكية بالقرينة على إثبات الحكم فى (القوانين الفقهية) : لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى المالكى ص ٢٣٧ - (بدون بيانات) .

(٣) السَخْلَةُ : هى ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى ، والجمع (سَخْلٌ وَسَخَالٌ) أما (سِخْلَةٌ وَسِخْلَانٌ) فهما من الجمع النادر - انظر مادة (سَخَلَ) فى لسان العرب : ١٩٦٤/٣ .

(٤) يوسف : ١٨ - وَيُعَقِّبُ ابْنُ فَرِحُونَ الْمَالِكِي عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَشَهِدْ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف : ٢٦ - ٢٧ (آيتان) قائلًا : ما نصه : هذه الآية يحتج بها من العلماء من يرى =

• كما أخذ الحنابلة (جواز طول مدة الإجارة) من قول الله تعالى في قصة موسى وصهره شعيب أو غيره: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أْتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ الآية^(١) وأمثال هذا كثيرة جداً .

= الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البيئات ، فإن قيل : إن تلك الشريعة لا تلزمنا ! فالجواب : أن كل ما أنزله الله علينا فإنما أنزله لفائدة فيه ومنفعة لنا ؛ قال الله تعالى : ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام : ٩٠ - فآية يوسف صلوات الله وسلامه عليه يُقْتَدَى بها وَيَعُولُ عليها في ذلك .

وقد روى أن إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لما أتوا بقميص يوسف إلى أبيهم يعقوب تأملوه ؛ فلم يرَ فيه خرقاً ولا أثر ناب ، فاستدل بذلك على كذبهم ، وقال لهم : متى كان الذئب حليماً يأكل يوسف ولا يمزق قميصه !؟

قال القرطبي في تفسير القرآن العظيم : قال علماؤنا لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة صدقهم قرآن الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهي سلامة القميص من التمزيق ؛ إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص وسلم القميص ، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة القميص ؛ فاستدل الفقهاء بهذه الآية على إعمال الأمارات في مسائل كثيرة من الفقه .

• راجع في ذلك (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام) : لأبي الوفاء إبراهيم ابن محمد بن فرحون المالكي ٩٣/٢ - (باب ٧٠) القضاء بما يظهر من قرائن الأحوال والأمارات - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الشرفية بمصر - ١٣٠١هـ = ١٨٨٤ م .

ومما قاله أبو عبد الله القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف : ١٨ - ما نصه : وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت ، فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح ، وهي قوة التهمة ، ولا خلاف بالحكم بها ، قاله ابن العربي .
• راجع في ذلك (الجامع لأحكام القرآن) : لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) - الطبعة ٣ - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصرية - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة (سلسلة المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

(١) القصص : ٢٧ - ويشير الشنقيطي هنا بقوله : (شعيب أو غيره) إلى الخلاف الحاصل في تحديد صهر موسى ، هل هو شعيب أم واحد آخر غيره ؟ وهذا ما لم يعرض له في موضعه من خلال تفسيره لسورة (القصص) التي تضمنت هذه الآية - راجع في ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٤٩/٦ - ٤٥٧ .

وفي مدة الإجارة يقول ابن قدامة الحنبلي ما نصه : ولا تتقدر أكثر مدة الإجارة ، بل تجوز إجارة العين المدة التي تبقى فيها وإن كثرت وهذا قول كافة أهل العلم ، إلا أن أصحاب الشافعي اختلفوا في مذهبه ، فمنهم من قال : له قولان أحدهما كقول سائر أهل العلم وهو الصحيح ، والثاني لا يجوز أكثر من سنة ؛ لأن الحاجة لا تدعو إلى أكثر منها ، ومنهم من قال : له قول ثالث وهو أنها لا تجوز أكثر من ثلاثين سنة ؛ لأن الغالب أن الأعيان لا تبقى أكثر منها ، وتتغير الأسعار والأجر .
ولنا قول الله تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام أنه قال : (عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ

وعقب ذلك يرصد الشنقيطي خلاصة رأيه في هذه المسألة الأصولية قائلاً: وبناءً عليه ؛ فإن قول الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية^(١) لا يخالف ما ذكرنا؛ لأن المراد به هو أن بعض الشرائع تُنسخُ فيها بعض الأحكام التي كانت مشروعة قبل ذلك ، ثم يُجددُ فيها تشريع وأحكام لم تكن مشروعة قبل ذلك .

وبهذا الاعتبار يكون لكل شرعة منهاج من غير مخالفة لما ذكرنا وهذا ظاهر ؛ وبه يتضح لك الجواب لتعلم أن ما تضمنته آية : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية^(٢) هو مشروع لهذه الأمة، وأن الرجل يُقتلُ بالمرأة كالعكس تماماً ، وذلك على التحقيق الذي لا شك فيه ، أما القائل بعدم القصاص بينهما فكأنه يتشبث بمفهوم قول الله تعالى : ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ الآية^(٣).

• رأى البحث :

وهكذا نخلص إلى أن شرعنا قد أقر لنا بعضاً مما كان في شرع من قبلنا ؛ فصار بذلك شرعاً لنا لأنه لا يخالف شرعنا ، ومن ذلك مثلاً فريضة الصيام التي ينطق بها قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية^(٤) .

ومن ناحية أخرى فقد نسخ شرعنا بعضاً مما كان في شرع من قبلنا ؛ فصار بذلك غير

= أتممت عشرًا فمن عندك) القصص : ٢٧ - وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يبق على نسخه دليل ؛ ولأن ما جاز العقد عليه سنة جاز أكثر منها مثل البيع والنكاح والمساقاة ، وأما التحكم بسنة أو بثلاثين تحكم لا دليل عليه ، وليس ذلك أولى من التقدير بزيادة عليه أو نقصان منه .

وعلى الرغم من ذلك فإن ابن قدامة لم يقدم تعريفاً اصطلاحياً محدداً للإجارة ، وإنما عمداً إلى ذكر بعض أوصافها كقوله مثلاً : (فصل في اشتقاق الإجارة من الأجر وهو العوض) وكقوله أيضاً : (فصل في أنها نوع من البيع لأنها تمليك من كل واحد منهما لصاحبه فهي بيع النافع) وبناءً عليه فإنه يمكننا أن نقدم تعريفاً عاماً للإجارة من كلام ابن قدامة ذاته على أنها : (تمليك منفعة بعوض) .

• راجع في ذلك (المغنى) : لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي المقدسي ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) - ٦/٨ - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

• وطبعة أخرى : تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركي) مع (د. عبد الفتاح محمد

الحلو) - الطبعة ١ - دار هجر - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(١) المائة : ٤٨ . (٢) المائة : ٤٥ .

(٣) البقرة : ١٧٨ - وانظر تفصيل هذه المسألة الأصولية (شرع من قبلنا) في (أضواء البيان) :

الشنقيطي (٥٨/٢ - ٧١) وكذا الإشارة إليها والإحالة عليها في ذات المصدر : ٧٠/٣ .

(٤) البقرة : ١٨٣ .

مشروع لنا لأنه يخالف شرعنا ، ومن ذلك مثلاً ما أحله الله لنا مع أنه كان محرماً على من قبلنا في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية^(١) وهذا ما عناه الشافعي فيما ذهب إليه من أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا لقول الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ الآية^(٢) .

* * *

وبعد: فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (علم الأصول) كموضوع أساسي يُصنّفُ الآية تحتها، بل ويؤجّه معناها على هديّه ، وذلك من خلال تعميده النظريّ ، ثم تطبيقه العمليّ.

(١) الأنعام : ١٤٦ - وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن الله تعالى كان قد حرّم على اليهود قبلنا كل ما له إصبع أو مخلّب من الدواب والطيور بصفة عامة ، أما من الغنم والبقر بصفة خاصة فقد حرّم عليهم شحوم الكرش والكليتين ، واستثنى سبحانه من ذلك شحوم الظهر والمصارين والأمعاء ؛ وذلك جزاء لهم على بغْيهم وظلمهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) المائدة : ٤٨ - راجع تفصيل ذلك في كل من :

- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ٣٩٨/١ .
- تخرّيج الفروع على الأصول : لأبي المناقب محمود بن أحمد الزنجاني ٣٦٩/١ - تحقيق : د. محمد أديب صالح - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- التمهيد : لأبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي ص ٤٤١ - تحقيق : د. محمد حسن هيتو - الطبعة ١ - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- روضة الناظر وجنة المناظر : لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ص ١٦٠ - تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد - الطبعة ٢ - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

الفصل الرابع علم الفقه

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التعيد النظرى .
- ٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظري

ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : المذهبية واللامذهبية .

٢ - المطلب الثاني : تصنيف الأحكام الفقهية .

ونعنى به موقف الشنقطى من (علم الفقه) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، يُصنّفُ تحته بعض ما يعرّض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطلين التاليين :

المطلب الأول

المذهبية واللامذهبية

يترتب تصنيف الشنقطى لعلم الفقه ومسائله العديدة فى ثنايا تفسيره المختلفة على موقفه من المذهبية واللامذهبية وهو ما يتضح بصورة جلية من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تأثره سابقاً بالمالكية (المذهبية)

من المعلوم أن المذهب المالكى كان ولا يزال شائعاً فى سائر دول الغرب الإفريقى ، وذلك منذ أن عرف أهله هذا المذهب من خلال كتاب (المدونة الكبرى) للإمام مالك بن أنس الأصبحى ت (١٧٩ هـ = ٧٩٦ م) كما يقال : إن أول من نقل موطأ الإمام مالك إلى بلاد المغرب هو على بن زياد التونسى المتوفى عام (١٨٣ هـ = ٧٩٩ م)^(١) .

بل إن أهل الغرب الإفريقى لا يكادون يعرفون من المذاهب الفقهية سوى المذهب المالكى ، وذلك على العكس من أهل المشرق الذين لا يكاد يسود عندهم سوى المذهب الحنفى ، وهذا ما نقله لنا المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) بعد تجواله فى بلاد المغرب (فى القرن الرابع الهجرى = الحادى عشر الميلادى) حيث وصف قوة وثبات فقه المالكية هناك بقوله :

إن أهل المغرب لا يكادون يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك ، وقد كنت يوماً أذكر بعضهم فى مسألة فذكرت له قول الشافعى ؛ فقال : اسكت ! من هو الشافعى ؟! إنما كان بهران : أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، أفتركهما ونشتغل بالساقية !^(٢) .

(١) تاريخ العالم الإسلامى : د. إبراهيم العدوى ١٨٣/٢ - طبعة جامعة القاهرة - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البتاء المقدسى المعروف بالبشّارى ت (٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) - ٧٠/١ - مطبعة بريل بمدينة ليدن - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م - (وكتب على غلافه الخارجى : أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد بالعراق) .

= وانظر فى ترجمة المؤلف وضبط اسمه كلاً من :

وهذا ما جعل بعض المؤرخين ينسب حضارة المغرب إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى ، وهو ما يشير إليه الدكتور إبراهيم العدوى بقوله : ونستطيع أن نقول كما أشار إليه الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام) : إن حضارة المغرب العربي وتهذيبه كانا على يدي مالك رحمه الله تعالى^(١) .

ولما كان هذا هو شأن المذهب المالكي وسيادته في الغرب الإفريقي ، ولما كانت شنقيط أو موريتانيا (مسقط رأس صاحبنا الشنقيطي وبيئته العلمية الأولى) هي إحدى دول هذا الغرب الإفريقي ؛ لذا فلم يكن من المستغرب أن يتأثر الشنقيطي في نشأته العلمية بالمذهب المالكي الذي كان ولا يزال سائداً في بلاده حتى اليوم .

وهذا ما ينطق به لسان حال الباحث الموريتاني الأستاذ يحيى بن البراء حيث يحدثنا عن ذلك قائلاً: إن أهل البلاد يتتظمون في خط مذهبي واحد هو الخط المالكي الفقه ذي المتون المعروفة المتمثلة في كل من (المختصر للشيخ خليل) و (الرسالة لابن أبي زيد القيرواني) و (التحفة لابن عاصم) فضلاً عن شروحها الخاصة التي تمت على أيدي الفروعيين المتأخرين^(٢) .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطي مالكي المذهب بحكم سيادة هذا المذهب في بلاد الغرب الإفريقي عامة ، وفي بلاده شنقيط منه خاصة ، وقد تجلّى أثر هذه المالكية واضحاً في نشأته العلمية الأولى من خلال المحاضر الشنقيطية التي لا تزال منتشرة في بلاده حتى الآن ، ثم من خلال مصادر الفقه المالكي التي شبَّ عليها في مرحلة طلبه آنذاك .

المسألة الثانية

عدوله لاحقاً عن المالكية (اللامذهبية)

ظل الشنقيطي على مذهبه المالكي طيلة مكثه ببلاده حتى رحل عنها قاصداً بلاد الحجاز في رحلته الأولى للحج عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) وهناك ، ويمجرد أن حلّ بأرض الحجاز عامة ، وبمدينة رسول الله ﷺ خاصة ، بدأ يعدل عن المذهب المالكي إلى دراسة بقية المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والحنبلي) إضافة إلى المذهب (الظاهري) .

= • الأعلام : لخير الدين الزركلي ٢٠٣/٦ .

• معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ٢٣٨/٨ .

(١) تاريخ العالم الإسلامي : د. إبراهيم العدوى ١٨٥/٢ .

(٢) ألفية ابن مالك وأثرها في الثقافة الموريتانية : يحيى بن البراء ص ١٥ (ضمن حديثه عن خصائص الثقافة في بلاده شنقيط) - (بتصرف يسير) .

ويصف لنا الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي الأول عدول شيخه هذا عن المذهبية التي كان عليها في بلاده ، إلى اللامذهبية التي صار إليها عندما عاينها في الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة فيقول: إن منهج الدراسة كان منصباً في بلاده أكثر ما يكون على الفقه وفي مذهب مالك فقط الذي حظى بما لم تحظ به بقية الفنون الأخرى ؛ ولما عزم الشيخ على البقاء في المدينة المنورة ، وبدأ التدريس في المسجد النبوي الشريف ، وخالط العامة والخاصة ؛ فقد وجد حيثئذ من يمثل المذاهب الأربعة ، بل ومن يناقش فيها ؛ ومن ثم فقد رأى أن الدراسة لا تقتصر في المسجد النبوي على مذهب مالك ولا على غيره ؛ فكان لا بد إذن من دراسة بقية المذاهب بجوار مذهب مالك رحمه الله تعالى (١) .

ومنذ ذلك الحين بدأ الشنقيطي يطلب الدليل ويدور معه حيث دار في غير ما تعصب مذهبي ، لا إلى المذهب المالكي ولا إلى غيره من المذاهب الفقهية الأخرى ؛ بل نراه ينظر في تلك المذاهب جميعها ؛ فما وجد منها موافقاً لأدلة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أخذه وعمل به ، وما خالف ذلك رده ولم يعمل به ، وهو في ذلك كله لم يقتصر على مذهب دون مذهب ، أو قول دون قول ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطي ذاته قائلاً : ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل ، من غير تعصب لمذهب معين ، ولا لقول قائل معين ؛ لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه ﷺ (٢) .

ثم يؤكد الشيخ عطية هذا المسلك عند شيخه قائلاً : وقد ظهر ذلك في منهجه في (أضواء البيان) حينما يعرض لمبحث فقهى مختلف فيه ؛ فيستوفى عندئذ أقوال العلماء ، ثم يرجح ما يظهر له بمقتضى الدليل عقلاً كان أو نقلاً (٣) .

المطلب الثاني

تصنيف الأحكام الفقهية

يتميز تصنيف الشنقيطي للأحكام الفقهية التي يعرض لها في ثنايا تفسيره المختلفة بثلاث خصائص ثابتة لا تكاد تتغير سواء في تناوله لتلك الأحكام المتفق عليها ، أو الأخرى المختلف فيها ، وتمثل هذه الخصائص التصنيفية الثلاث في المسائل الثلاث التالية :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٧/١ - ٣٨ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٨/١ (من المقدمة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٨/١ (من المقدمة) .

المسألة الأولى

التوطئة والتمهيد

حيث يُوطئُ الشنقيطى بين يدي ما يعرّض له من أحكام فقهية بذكر حكمتها أو علتها ؛ وذلك تمهيداً لتناولها على نحو مفصّل ، وهذا بما لا يكاد يتخلف عنه فى سائر ما يعرّض له من الأحكام التى يُصنّفُ من خلالها موضوع هذه الآية أو تلك ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العملىّ بعد قليل .

المسألة الثانية

الاستقصاء والتحليل

وحالما يفرغ الشنقيطى من توطئته للحكم الذى يعرّض له تمهيداً لتناوله ؛ فإنه يعمّد عندئذ إلى استقصاء أقوال العلماء بشأنه ، وتفصيل أدلتهم فيه من القرآن والسنة وأقوال السلف ، هذا فضلاً عن استقصاء أدلة المذاهب المختلفة ، وتفصيل القول فى مناقشتها والرد عليها ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العملىّ بعد قليل .

المسألة الثالثة

الخلاصة والتعقيب

ثم بعد أن يفرغ الشنقيطى من استقصاء ما يعرّض له من الأحكام ، وبعد أن يفصّل القول فيها ؛ فإنه يعمّد دوماً إلى ذكر خلاصة ما تحصلّ عنده من أقوال العلماء وآرائهم المختلفة إزاء هذا الحكم أو ذلك ، وفى النهاية يختم كلامه بذكر تعقيب على تلك الخلاصة يضمّنه بعض الأمور التى تزيدها شرحاً وإيضاحاً ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العملىّ بعد قليل .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العلمىّ على ذلك التععيد النظرىّ .

المبحث الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المطلبين التاليين :

- ١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (اللامذهبية) .
- ٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (تصنيف الأحكام
الفقهية) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم الفقه) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفعيده النظرى ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى التى تُعدّ تطبيقاً على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الاول

تطبيق القاعدة الاولى

(اللامذهبية)

تبدو لا مذهبية الشنقيطى واضحة من خلال ما يذهب إليه فى موافقة جمهور العلماء بشأن الأحكام الفقهية الثابتة عندهم بإجماعهم عليها ؛ ومن ثم فإن أخذه برأى الجمهور إنما يعنى عدم أخذه بمذهب معين ، أو اتباعه قول شخص معين، وهذا ما يؤكد لا مذهبيته وعدم تعصبه للمالكية التى كان عليها فى بلاده قبل عدوله عنها بعد أن حلّ بأرض الحجاز . ومن خلال الشاهد التالى يتضح مدى موافقة الشنقيطى جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه من (إثبات حكم المحاربة أو الحراية فى الأمصار والطرق على السواء) :

• فى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية^(١) نراه يَعْرض لمفهوم قول الله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(٢) حيث يقول ما نصّه : اعلم أن مفهوم قول الله تعالى : ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية^(٣) .

وبعد أن يفرغ الشنقيطى من عرضه المفصل لمفهوم جزاء المُحَارِبِ وعقابه بأنواعه الأربعة المذكورة فى الآية الكريمة ، وما ورد بشأنها من أقوال العلماء وآرائهم ، نراه يعمد عندئذ إلى ذكر خمس مسائل تتعلق بأحكام المحارِبين منها (المسألة الأولى) التى نحن بصددّها، والتى وافق فيها رأى الجمهور خلافاً لما ورد بشأنها من أقوال المذاهب، وفى ذلك يقول ما نصّه :

اعلم أن جمهور العلماء يثبتون حكم المحاربة فى الأمصار والطرق على السواء ؛ وذلك

(٢) المائة : ٣٢ .

(١) المائة : ٤٥ .

(٣) المائة : ٣٣ - وانظر تفسير هذه الآية فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦/٢ .

لعموم قول الله تعالى : ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية^(١) وعن قال بهذا الأوزاعي والليث بن سعد ، وهو مذهب الشافعي ومالك ، حتى إن مالكا قد قال فى الذى يغتال الرجل فيخذه حتى يدخله بيتا فيقتله ويأخذ ما معه : إن هذه محاربة ، ودمه إلى السلطان لا إلى وكبي المقتول ؛ فلا اعتبار لعفوه عنه فى إسقاط القتل .

وقال القاضي ابن العربي المالكي : كنت أيام حكمى بين الناس ، إذا جاءني أحد بسارق ، وقد دخل الدار بسكين يحبسه على قلب صاحب الدار وهو نائم ، حتى يأخذ أصحابه مال الرجل ؛ فقد حكمتُ فيهم بحكم المحاربين ، أما الإمام أحمد بن حنبل فقد توقف فى ذلك ، وظاهر كلام الحِرقي : أنه لا محاربة إلا فى الطرق ، فلا يكون محارباً فى المصر ؛ لأنه يلحقه الغوث ، وقد ذهب كثير من الحنابلة إلى أنه يكون محارباً فى المصر أيضاً لعموم الدليل .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلا فى الطرق ، وأما فى الأمصار فلا ؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث ، وذلك بخلاف الطريق لبعده ممن يغيثه ويعينه ، وقال ابن كثير من الشافعية : ولا يثبت لهم حكم المحاربة إلا إذا كان عندهم سلاح ، ومن جملة السلاح : العصى والحجارة عند الأكثر ؛ لأنها تتلفُ بها الأنفس والأطراف كالسلاح ، وذلك خلافاً لأبى حنيفة^(٢) .

(١) المائدة : ٣٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢ / ٩٠ - ٩١ - وأما المسائل الأربع الأخرى من (الثانية) حتى (الخامسة) والتي تتعلق بأحكام المحاربين فقد سماها الشنقيطى تحت العناوين التالية :

● المسألة الثانية :

إذا كان المال الذى أتلفه المحارب أقل من نصاب السرقة الذى يجب فيه القطع ، أو كانت النفس التى قتلها غير مكافئة له كان يقتل عبداً أو كافراً ، وهو حرٌ مسلم ، فهل يُقَطعُ فى أقل من النصاب ؟ وهل يُقتلُ بغير الكفو أو لا ؟

● المسألة الثالثة :

إذا حمل المحاربون على قافلة مثلاً ، فقتل بعضهم بعض القافلة ، فى حين لم يباشروا بعض المحاربين قتل أحد ؛ فهل يقتل الجميع أو لا يقتل إلا من باشر القتل فقط ؟

● المسألة الرابعة :

إذا كان فى المحاربين صبي أو مجنون أو أب المقطوع عليه ؛ فهل يسقط الحد عنهم جميعاً أو لا يسقط عن غير المذكورين ؟

● المسألة الخامسة :

إذا تاب المحاربون قبل القدرة عليهم أو بعد القدرة عليهم ؛ فهل يغير ذلك شيئاً من إقامة الحدود المقررة عليهم فى الأنفس والأموال أو لا ؟

انظر تفصيل هذه المسائل والخلاف الوارد بشأنها فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢ / ٩١-٩٧ .

• رأي البحث :

وفيما يلي نرصد رأي البحث بشأن مسألة (الحرابة) والذي يشتمل على (عرض أقوال المذاهب) ثم (حكم الحرابة) وأخيراً (حكم المحاربين) وذلك على النحو التالي :

• أولاً : أقوال المذاهب :

أما فيما يتعلق بأقوال المذاهب بشأن تعريف الحرابة وشروطها وأحكامها فقد جاءت كما يلي :

• عند الحنفية :

يقول المرغيناني : وَمَنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فِي الْمِصْرِ أَوْ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ فَلَيْسَ بِقَاطِعِ طَرِيقٍ اسْتِحْسَاناً ، وَأَمَّا فِي الْقِيَاسِ فَيَكُونُ قَاطِعِ طَرِيقٍ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ ، وَعَنْ أَبِي يُونُسَ أَنَّهُ يَجِبُ الْحُدُّ إِذَا كَانَ خَارِجَ الْمِصْرِ حَتَّى لَوْ كَانَ بِقَرْبِهِ لِأَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ الْغَوْثُ كَمَا أَنَّهُمْ إِنْ قَاتَلُوا نَهَاراً بِالسَّلَاحِ أَوْ لَيْلاً بِهِ أَوْ بِالخَشَبِ فَهَمَّ قُطَّاعُ طَرِيقٍ لِأَنَّ السَّلَاحَ لَا يَلْبِثُ وَالْغَوْثَ يَبْطِئُ بِاللَّيَالِي ، وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنْ قَطَعَ الطَّرِيقَ يَقْطَعُ الْمَارَةَ وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ فِي الْمِصْرِ وَلَا بِالْقَرَبِ مِنْهُ لِأَنَّ الظَّاهِرَ لِحُوقِ الْغَوْثِ ، وَلِأَنَّهُمْ يُوْخَذُونَ بِرَدِّ الْمَالِ إِصْطِلاً لِلْحَقِّ إِلَى الْمَسْتَحَقِّ وَيُؤَدَّبُونَ وَيُحْبَسُونَ لِارْتِكَابِهِمُ الْجَنَايَةَ ، وَلَوْ قَتَلُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ فِيهِمْ يَكُونُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ^(١) .

• عند المالكية :

يقول ابن جزى : والمحارب هو الذى شهر السلاح وقصد سلب الناس ، سواء كان فى مصر أو فى قفر^(٢) .

• عند الشافعية :

يقول ابن كثير : احتج جمهور العلماء بعموم الآية فى ذهابهم إلى أن حكم المحاربة فى الأمصار وفى السبلان (أى الطرق جمع سبيل) على السواء لقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ﴾ وهذا مذهب مالك والأوزاعى والليث بن سعد والشافعى وأحمد بن حنبل ، حتى قال مالك فى الذى يغتال الرجل فيسخره حتى يدخله بيتاً فيقتله ويأخذ

(١) انظر (الهداية شرح البداية) : لأبى الحسين على بن أبى بكر بن عبد الجليل المرغينانى الحنفى - ١٣٤ / ٢ - المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٢) انظر (القوانين الفقهية) : محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطى المالكى - ص ٢٣٧ - (بدون بيانات) .

ما معه : إن هذه محاربة ودمه إلى السلطان لا إلى وكليّ المقتول ، ولا اعتبار بعفوه عنه فى إسقاط القتل ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلا فى الطرقات ، وأما فى الأمصار فلا ؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث بخلاف الطريق لبعده عمّن يغيشه ويعينه^(١) .

كما يقول الخطيب الشربيني : وحيث يلحق غوث عند الاستغاثة كقبول الشخص : (ياغوثاء) فليس حيثئذ ذو الشوكة ومنّ معه بقُطّاع بل هم متتهبون لإمكان الاستغاثة ، وأما فقْدُ الغوث فيكون للبعْد عن العمران وعساكر السلطان ، أو يكون للقُرب لكن مع ضعف فى السلطان ، وقد استُحسِن الضعف لشموله ما لو دخل جماعة داراً ليلاً وشهروا السلاح ومنعوا أهل الدار من الاستغاثة فهم عندئذ قُطّاع على الصحيح مع قوة السلطان وحضوره ؛ لأن ذرى الشوكة قد يَغْلِبُون فى حالة ضعف السلطان ويُعده أو يُعدّ أعوانه ، أما إذا كانوا فى بلد لم يخرجوا منها إلى طرفها ولا إلى الصحراء فهم قُطّاع لوجود الشروط فيهم ، ولأنهم إذا وجب عليهم الحُدّ وهم فى الصحراء وهى موضع الخوف ؛ فوجوبه عليهم فى البلد وهى موضع الأمن أوّلى لعظم جرائتهم^(٢) .

• عند الحنابلة :

يقول الخرقى : والمحاربون هم الذين يَعْرضُونَ للقوم بالسلاح فى الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة ، كما يشرح ابن قدامة هذا بقوله : وللمحاربين الذين تثبت لهم أحكام المحاربة شروط ثلاثة أحدها : أن يكون ذلك فى الصحراء ، أما إن كان فى القرى والأمصار فقد توقف أحمد بن حنبل فيهم ، وظاهر كلام الخرقى أنهم غير محاربين ، وبه قال أبو حنيفة والثورى وإسحاق ؛ لأن الواجب يسمى حدّ قطع الطريق ، وقطع الطريق يكون فى الصحراء ، لأن مَنْ فى المصر يلحق به الغوث غالباً فتذهب بذلك شوكة المعتدين ويكونون مختلسين والمختلس ليس بقاطع طريق ومن ثم فلاحد عليه ، وقال كثير من أصحابنا : هو قاطع طريق حيث كان وبه قال الأوزاعى والليث والشافعى وأبو يوسف وأبو ثور لتناول الآية بعمومها كل محارب ، وأن ذلك إذا وجد فى المصر كان أعظم خوفاً وأكثر ضرراً ؛ فكان بذلك أوّلى .

وقد ذكر القاضى أن هذا إن كان فى المصر كأن يكبسوا داراً ويكون أهلها بحيث لو

(١) انظر (تفسير القرآن العظيم) : للحافظ ابن كثير الشافعى - ٥١/٢ - (طبع بيروت) .

(٢) انظر (مغنى المحتاج) : محمد الخطيب الشربيني الشافعى - ١٨١/٤ - دار الفكر - بيروت - لبنان

- (د . ت) .

صاحوا أدركهم الغوث ؛ فليسوا هؤلاء بقطّاع طريق لأنهم فى موضع يلحقهم الغوث فيه عادة ، أما إذا حصروا قرية أو بلدأ ففتجوه وغلبوا على أهله ، أو حصروا محلّة مفردة بحيث لا يلحقهم فيها الغوث عادة ؛ فهم محاربون لأنهم لا يلحقهم الغوث فأشبهت حالهم هذه حالة قطّاع الطريق فى الصحراء .

وأما الشرطان الباقيان فيذكرهما ابن قدامة بقوله : وأما الشرط الثانى : أن يكون مع المحاربين سلاح ، ثم الشرط الثالث : أن يأتوا مجاهرة ويأخذوا المال قهراً^(١) .

• عند الظاهرية :

يرى ابن حزم تعميم الآية وعدم تخصيصها بالصحراء قائلاً : وأما قول من قال لا تكون المحاربة إلا فى الصحراء ، أو قول من قال لا تكون المحاربة فى المدن إلا ليلاً : فقولان فاسدان ، ودعوتان ساقطتان ، بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من قياس ولا من رأى سديد ، وما يبعد أن يكون فيهم من هان عنده الكذب على الأمة كلها فيقول : من حارب فى الصحراء فقد صح عليه اسم محارب^(٢) .

ثانياً حكم الحرابة :

والحق أننا نذهب إلى ما ذهب إليه جمهور العلماء ووافقهم فيه الشنقيطى بشأن إثبات حكم الحرابة فى الطرق والديار على السواء ، وذلك من وجهين :

• الوجه الأول : لعموم الدليل فى قول الله تعالى : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(٣) ومعلوم أن الأرض تشمل الطرق والديار وغيرهما من سائر البقاع فى شتى أنحاء المعمورة ، وسواء كانت مصرًا ماهولة بالخلق ، أو كانت قفرًا خاليًا منهم ؛ ومن ثم فإن عموم الدليل فى الآية يشمل الطرق والديار على السواء .

(١) انظر (المغنى) : لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى الحنبلى - ٤٧٤/١٢ - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .

• وانظر طبعة أخرى بتحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركى) مع (د. عبد الفتاح الحلوى) - الطبعة ١ - دار هجر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩ م .

(٢) انظر (المحلى) : لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الأندلسى - ٣١٨/١٣ - تحقيق : أحمد محمد شاكر - تصحيح : زيدان أبى المكارم - مكتبة الجمهورية - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧ م .

(٣) المائدة : ٣٣ .

● الوجه الثاني : لقرينة الحال ؛ حيث لا يخفى ما تعانيه الأمة من الفساد الذى آلت إليه الأحوال ، والتغير الذى صارت إليه طبيعة الناس ؛ فكم من آمنٍ مطمئنٍ قُتِل ، وكم من مُعتدَى عليه سلب ، وهو فى عقر داره ، بل وبين ذويه وجيرانه ؛ فلا يغيثه مغيث ، ولا يعينه معين ، وكأنه فى طريق مظلمة موحشة ، أو فى صحراء هاجرة مهلكة ، وكأن الأرض كلها قد خلت من الحياة والأحياء !!

ثالثاً حكم المحاربين :

والحق أننا نرى إثبات حكم الخرابة على جميع المحاربين ، سواء كانوا فى الطرق بصفة خاصة ، أو فى الأمصار بصفة عامة ؛ وذلك لعموم الدليل الذى عبّر بصفة الشمول عن جميع المحاربين فى قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ ثم لقرينة الحال التى سلف بيانها .

ومما يجدر ذكره أن السلاح المتطور اليوم لم يعدّ كالسلاح التقليدىّ بالأمس ؛ فقد تغيرت طبيعة الأسلحة وتعددت أنواعها بحيث شملت أسلحة مدمرة مهلكة كالمخدرات بأنواعها الطبيعية والتخليقية ، وكغازات الأعصاب الطائرة التى تنتشر حول الإنسان فتفقده الحس والإدراك ، بل وتحيله إلى جثة هامة أشبه ما تكون حالتها بحالة الموت الحقيقى .

ولعل ما يُعرفُ الآن من تعدد أساليب الجريمة المنظمة ، واختلاف هيئات المجرمين المعاصرين ؛ ليؤكد ما ذهبنا إليه من القول بإثبات حكم الخرابة فى الحضر والأسفار ، والطرق والديار ، وبحيث يشمل جميع المحاربين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وتباين أحوالهم وأوطانهم ؛ لأن العبرة بأحوال هؤلاء المحاربين ، من حيث تجرؤهم على حدود الله ، وإقدامهم على انتهاك الحرمات ؛ الأمر الذى يقطع بفساد نواياهم ، ويوقعهم فى دائرة الإضرار بالأمة ، والسعى لإحداق الأذى بها ، وهل هدف الخرابة إلا هذا السعى ، والعمل له !!؟

وأخيراً فإن هؤلاء الفقهاء العظماء الذين يقصرون حكم الخرابة على الطرق دون الديار ، وعلى المحاربين الذين يملكون سلاحاً دون مَنْ لا يملكون ، نقول : لو كانوا رحمهم الله تعالى أجمعين موجودين بين ظهرانينا اليوم ، وقد رأوا ما آلت إليه أحوال الأمصار والأعصار ؛ لكانوا قد ذهبوا بشأن قولهم السابق مذهباً آخر يتأدى عنه تعميمهم حكم الخرابة بحيث يشمل جميع المحاربين فى الطرق وفى الأمصار على حدٍ سواء .

المطلب الثاني

تطبيق القاعدة الثانية

تصنيف الأحكام الفقهية

وفى الشاهد التالي تجتمع الخصائص التصنيفية الثلاث التي أشرنا إليها فى التععيد النظرى ، والتي تميز تصنيف الشنقيطى لما يعرض له من حكم فقهيّ تندرج تحته هذه الآية أو تلك ؛ حيث تتجلى هذه الخصائص الثلاث هنا من خلال عرضنا للمسألة الفقهية الخلافية المتمثلة فى : (هل الطلاق الثلاث فى لفظ واحد يقع أو لا يقع ؟) تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

التوطننة والتمهيد

حيث يمهّد الشنقيطى لهذه المسألة بذكر الحكمة فى كون الطلاق بيد الرجل بدون إذن المرأة قائلاً ما نصّه : لقد أشار الله جلّ وعلاّ إلى حكمة كون الطلاق بيد الرجل دون إذن المرأة ، وذلك بقوله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية^(١) لأن من عرف أن حقله غير مناسب للزراعة ؛ فلا ينبغي أن يرغم على الازدراع فى حقل لا يناسب الزراعة .

ومما يوضّح هذا المعنى أن آلة الازدراع بيد الرجل ، فلو أنه أكره على من لا حاجة له فيها حتى ترضى هى بذلك ؛ فإن النتيجة أنها (إن أرادت أن يجامعها مكرهاً فإن ذكره لن يقوم ولن يتشر إليها) ومن ثم (فلن تقدر على تحصيل النسل منه الذى هو أعظم الغرض من النكاح ، وذلك بخلاف الرجل فإنه يؤلدها وهى كارهة كما هو ضرورى)^(٢) .

● رأى البحث :

وفيمابلى نرصد رأى البحث بشأن هاتين المسألتين اللتين وردتا فى كلام الشنقيطى ألا وهما : (حمل الرجل على الجماع بالإكراه) ثم (تحصيل النسل الذى جعله أعظم الغرض من النكاح) وذلك على النحو التالى :

(١) البقرة : ٢٢٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢١ .

أولاً : الجَمَاع بالإكراه :

وفيما يلي نَعْرِضُ لآقوال المذاهب بشأن هذا الجَمَاع قِياساً له على الزنا بالإكراه ، ثم نخلص إلى ما يراه البحث بهذا الصدد ، وذلك على النحو التالي :

١- أقوال المذاهب :

أما فيما يتعلق بـ (الإكراه على الزنا) والذي نقيس عليه (الإكراه على الجَمَاع) بجامع انتشار الذَّكْر (الذي هو آلة الرجل) من عبده في كل منهما ، فقد جاءت أقوال المذاهب بشأنه كما يلي :

● عند الحنيفة :

يقول الكاساني : وأما المَكْرَه على الزنا فقد كان أبو حنيفة رحمه الله يقول : أولاً إذا كَرِهَ الرجل على الزنا فإنه يجب عليه الحدّ وهو القياس ؛ لأن الزنا من الرجل لا يتحقق إلا بانتشار الآلة ، والإكراه لا يؤثر فيه فكان طائعاً في الزنا ومن ثم كان عليه الحدّ ، ثم رجع فقال : وإذا كان الإكراه من السلطان فإنه لا يجب بناءً على أن الإكراه لا يتحقق إلا من السلطان عنده ، وعندنا أن الإكراه يتحقق من السلطان وغيره ، فإذا جاء من غير السلطان ما يجيء من السلطان لا يجب ، والفرق لأبي حنيفة أن المَكْرَه يلحقه الغوث إذا كان الإكراه من غير السلطان ، أما إذا كان من السلطان فإنه لا يجد غوثاً .

وأما قوله : إن الزنا لا يتحقق إلا بانتشار الآلة فنعم ، لكن ليس كل مَنْ تنتشر آلته يفعل ؛ فكان فعله بناءً على إكراهه فيعمل فيه لضرورته خوفاً من القتل فيمنع وجوب الحدّ ، هذا إذا كان إكراه الرجل تاماً ، أما إذا كان إكراهه ناقصاً بحبس أو قيد أو ضرب لا يخاف منه التلّف فإنه يجب عليه الحدّ ؛ لأن الإكراه الناقص لا يجعل المَكْرَه مدفوعاً إلى فعل ما أكرهه فبقي مختاراً مطلقاً ومن ثم فإنه يؤخذ بحكم فعله^(١) .

● عند المالكية :

يقول الدردير : الأصح والمختار أن الرجل المَكْرَه على الوَطْء لا يُحَدُّ ولا يؤدّب لعذره بالإكراه كالمرأة ، والأكثر على خلافه وأنه يُحَدُّ وهو المشهور^(٢) .

(١) انظر (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) : للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بـ (مَلِك العلماء) ت (٥٨٧هـ = ١١٩١م) - (٧/١٨٠ - ١٨١) - بتصرف يسير - الطبعة ٢

- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٢) الشرح الكبير بحاشية الدسوقي : ٣١٨/٤ (بتصرف يسير) .

وقد علقَ الدسوقي على هذا بقوله : وقوله (والمختار) أى عند اللخمي وهو مذهب المحققين كابن العربي وابن رشد كما فى الخرشى ، وقوله : (والأكثر على خلافه وأنه يُحدُّ) أى مطلقاً سواء انتشر أم لا كما فى ابن عرفة والشامل ، وظاهره أنه يُحدُّ على قول الأكثر ولو كانت هى المكروهة له على الزنا وهو كذلك ، إلا أنه لا صداق لها عليه إذا كانت هى المكروهة له على الزنا ، إما أن أكرهه غيرها غرم لها الصداق ورجع به على مكرهه^(١) .

● عند الشافعية :

وقد ذهبوا إلى القول بعدم حدِّه لرفع القلم عنه قياساً لذلك على الخطأ والنسيان^(٢) .

● عند الحنابلة :

يقول ابن قدامة : وإن أكرهَ الرجل فزنا ؛ فقال أصحابنا : عليه الحدُّ وبه قال محمد بن الحسن وأبو ثور ؛ لأن الوطء لا يكون إلا بالانتشار والإكراه ينافى ، فإذا وجد الانتشار انتفى الإكراه فيلزمه الحدُّ كما لو أكرهَ على غير الزنا فزنا ، وقال أبو حنيفة : إن أكرهه السلطان فلا حدَّ عليه وإن أكرهه غيره فإنه يُحدُّ استحساناً ، وقال الشافعى وابن المنذر : لا حدَّ عليه لعموم الخبر ، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات والإكراه شبهة فيمنع الحدُّ كما لو كانت امرأة ، ويحققه أن الإكراه إذا كان بالتخويف أو بمنع ما تفوت حياته بمنعه كان الرجل فيه كالمرأة ؛ فإذا لم يجب عليها الحدُّ لم يجب عليه ، وقولهم : إن التخويف ينافى الانتشار لا يصح ؛ لأن التخويف بترك الفعل ، والفعل لا يخاف منه ؛ فلا يمنع ذلك ، وهذا أصح الأقوال إن شاء الله تعالى^(٣) .

● عند الظاهرية :

يقول ابن حزم : لو أمسكتَ امرأة حتى زنىَ بها ، أو أمسكَ رجل حتى أدخلَ إحليله فى فرجِ امرأة ؛ فلا شىء عليه ولا عليها ، سواء انتشر أو لم ينتشر ، وسواء أمتنى أو لم يُمنَ ، وسواء أنزكتَ هى أو لم تُنزلْ ؛ لأنهما لم يفعا شىئاً أصلاً ، والانتشار والإمتناء فعلُ الطبيعة الذى خلقه الله تعالى فى المرء ، أحبُّ أم كرهَ ؛ فلا اختيار له فى ذلك^(٤) .

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ٣١٨/٤ .

(٢) مغنى المحتاج : للخطيب الشرييني ١٤٥/٤ .

(٣) المغنى : لابن قدامة المقدسى الحنبلى ٣٤٨/١٢ .

(٤) للمحلّى : لابن حزم الأندلسى الظاهرى ٢٦٠/٩ .

٢- جماع القول :

والحق أننا لا نُسَلِّمُ للشنقيطي فيما ذهب إليه من أن ذَكَرَ الرجل لا يقوم ولا يتتشر إلى مَنْ لا يريدُها أو مَنْ أكرهَ على جَماعِها ؛ وذلك للوجوه الثلاثة التالية :

● الوجه الأول :

لأن الذَّكَرَ كما يتتشر طوعاً فإنه يتتشر طبعاً ، وذلك بغض النظر عن وجود الرغبة من عدمها ، فالذَّكَرُ شأنه في ذلك شأن آية جارحة يكون من صفاتها الاستجابة لما يثيرها دوغماً توفر رغبة صاحبها من عدم توفرها ، بل إن الذَّكَرَ أكثر جوارح الإنسان تأثراً ، وأشدّها حساسية ، من حيث استجابته لتلك المثيرات ؛ ومن ثم قيامه بها ، وانتشاره على أثرها .

وتلكم هي الفطرة التي جبَّلَ الله الإنسان عليها ، وصدق ابن حزم فيما ذهب إليه بهذا الصدد كما ذكرنا عنه قبل قليل قوله : (والانتشار والإمناء فعل الطبيعة الذي خلقه الله تعالى في المرء ، أَحَبُّ أم كَرَهُ ؛ فلا اختيار له في ذلك) .

وإن كنا نتحفظ على نسبة (الفعل) إلى (الطبيعة) في قوله : (فعل الطبيعة) لثلا يلتبس قوله هنا بقول (الطبيعيين) الذين ينسبون كل شيء في هذا الكون المنظور إلى (ما وراء الطبيعة) أو ما يُعرَفُ بـ (الميتافيزيقا) وأمثالهم من الضالِّين الهالكين من أصحاب المعتقدات الباطلة ، وأتباع المذاهب البائدة .

وإن كان يشفع لابن حزم استدراكه على نفسه بإسناده خَلَقَ هذا الفعل إلى الله تعالى في قوله : (الذي خلقه الله تعالى في المرء) وعليه ؛ فإنه يمكن توجيه معنى (الطبيعة) في كلامه على أنها (الجِبِلَّة) أو (الفِطْرَة) أو (أصل الخَلْقَة) مما لا خلاف عليه ، ولا شبهة فيه .

● الوجه الثاني :

أن الشنقيطي ربما عالج هذه المسألة من الناحية النفسية لدى الرجل من حيث رفضه أو عدم توفر رغبته في جَماع مَنْ يكرهها أو مَنْ لا حاجة له فيها ؛ غير أنه كم من (رفض نفسي لم يحل دون عمل عضوي) ومن ثم فلم تكن عدم الرغبة حائلاً أو عائقاً بحال من الأحوال دون إتمام عملية الجَماع ؛ لأنه بالرغم من هذا فإن الأعضاء تلبى داعي الغريزة الإنسانية في ممارسة عملها ، والقيام بدورها ، وإن لم تكن على ذات المستوى فيما لو توفرت الرغبة ، ودعت الحاجة المألوفة في الظروف العادية .

● الوجه الثالث :

ذهب الشنقيطي إلى أن المرأة خلاف الرجل فهي وإن كانت كارهة إلا أنه يستطيع أن يُؤلِّدُها على حد تعبيره ، وفي قوله هذا دليل على ما سبق أن ذكرناه في الرد عليه من أن الجماع بالإكراه لا يُعَوَّلُ فيه على الرغبة أو الحاجة إلى ذلك من عدمها ، إذ لو كان التعويل في ذلك عليهما ؛ لما وُصِفَ هذا الجماع من الأصل بأنه (جماع بالإكراه) وهل الإكراه يعني سوى انتفاء الرغبة ، وعدم الحاجة !!؟

وإذا أخذنا في الاعتبار أن حساسية المرأة النفسية أشد لهذا الأمر من الرجل ؛ ومع ذلك فإن جوارحها تستجيب بدافع الغريزة الفطرية لهذا الجماع المُكْرَهَةِ عليه ، أما من حيث إقامة الحدِّ على الرجل أو المرأة بناء على الإكراه من عدمه ، وسواء كان هذا الإكراه من جانب السلطان أو غيره ؛ فهذا مما لا يقصد إليه البحث وليس موضعه .

ثالثاً: تحصيل النسل :

ذهب الشنقيطي إلى القول بأن تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح ، وقد يقال إن هذا الغرض ربما يبدو في ظاهره وكأنه هدف محدود من ناحية ، أو ربما يُفسَّرُ من ناحية أخرى على أنه يَصْدُرُ في الأصل من مَعِينِ الفكر البدويِّ القَبَلِيِّ الذي يهدف في المقام الأول إلى تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ؛ بقصد تقوية روابط العصبية القبلية ، ودعم أوامر العلائق النَّسَبِيَّةِ ، والتي تُعَوَّلُ عليها المجتمعات البدوية القبلية لحماية ظهرها ، وتأمين وضعها ؛ بما يكفل لها القوة والمنعة بين ظهراني غيرها من القبائل الأخرى وأحلافهم ؛ ومن ثم فلا سبيل أمام هذه المجتمعات لإصابة هدفها المنشود ، وإدراك غايتها المرجوة ، سوى تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ، وهما مقياس القوة ، وميزان المنعة .

والحق أننا لا نظن أن الشنقيطي يَصْدُرُ في كلامه هذا من فِكْرٍ بَدَوِيٍّ ، أو ينطلق من نظرة قَبَلِيَّةٍ ، وذلك للوجوه الخمسة التالية :

● الوجه الأول :

أن الشنقيطي لم يكن ضيق الأفق ، أو محدود النظر ؛ بحيث ينحصر فكره في إطار القبيلة ، أو ينحسب عقله في سياج أعرافها ؛ وذلك بدليل انفتاحه على قضايا الخلائق وأحوالهم سواء من خلال جلوسه للقضاء والفتيا في بلاده ، أو من خلال نشاطه العلمي ورحلاته الدعوية إلى العديد من البلدان والمجتمعات الإسلامية الأخرى بعد أن استقر به المقام في بلاد الحجاز ، وذلك فضلاً عن مشاركته الفاعلة في مؤتمر الحج السنوي الذي يكفل

له الإمام بأحوال العالم الإسلامي وحواضره المختلفة في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

● الوجه الثاني :

أن الشنقيطي تناول ما يُعرف بـ (رابطة العصبية القبليّة) بالانتقاد مبنياً ومُدللاً على أنه لاختلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير رابطة الإسلام مثل روابط القوميات والعصبيات النسيبة التي ترتفع بها أصوات أصحابها والمُروّجين لها هنا وهناك ؛ وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(١) .

فكيف يصدرُ الشنقيطي من معين هذا الفكر البدويّ القبليّ الذي تمثل (العصبية القبيلة) سُداه ولُحمته ، والتي تعتمد في المقام الأول على تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ؛ مع أنها ذات الرابطة التي قال بمنعها ، وذهب إلى خلافها !!؟

● الوجه الثالث :

لو كان الشنقيطي يؤمن بأن مجرد تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح وكفى ؛ لما كان اكتفى بإنجاب بنت وولدين فقط ، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة من زوجته الأولى فقط ، والتي كانت ثيباً شأنها في ذلك شأن زوجاته الثلاث الأخريات ، واللائي مات عن الرابعة منهن ببلاد الحجاز .

إذ لو كان يؤمن بذلك ، ويصدر عنه ؛ لكان تزوج الأبيكار طلباً للذرية ، ورغبة في كثرة النسل ، وله في ذلك من الأسباب ما ليس لغيره لتبرير تلك الرغبة ، وانتهاج هذا السبيل ، كالرغبة مثلاً في كثرة أولاده الذين يرثون علمه ، ويحملون أمانته ؛ بقصد إفادة الأمة ، والقيام بأمر الله فيها ، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا يعدم ذكرها ، ولا يعجز عن تعديدها .

● الوجه الرابع :

يغلب على الظن أن الشنقيطي جعل تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح نظراً لأنه يُعدُّ بمثابة الركيزة الأساسية ، بل والمحور الرئيس ، الذي تدور حوله آثار النكاح الأخرى ، وتترتب عليه ، وذلك على النحو التالي :

(١) الإسراء : ٩ - وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً من خلال (نقده للمؤرخين) ضمن الفصل الأول من الباب القادم .

١- الخلافة في الأرض وإعمار الكون :

وهما المعنيان اللذان نطق بهما قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ الآية^(٢) .

٢- السكن والمودة والرحمة :

وهي ذات المعاني التي نطق بها قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية^(٣) .

٣- زينة الحياة الدنيا :

وهو ذات المعنى الذي نطق به قول الله تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ الآية^(٤) .

ولو أننا أنعمنا النظر ، وأجلنا الفكر ، في هذه المعاني التي تُعدُّ من آثار النكاح ونتائجه ، بل من بركاته وفوائده ؛ لوجدناها تدور جميعها حول تحصيل النسل ، وإنتاج الذرية .

فلن نتحقق خلافة الأرض وإعمارها إلا من خلال تلك الذرية التي ستحمل ذلك على كاهلها ، وتضطلع به ، عندما تشبُّ عن الطُّوق ، وتبلغ التكليف ، كمال أنه لن يتحقق شيء من السكن والمودة والرحمة ، إلا من خلال ذلك النكاح الذي لن يتم إلا بين رجل وامرأة كانا صغيرين من جملة تلك الذرية من قبل ، وأخيراً فلن نتحقق زينة الحياة الدنيا إلا برؤية هذه الذرية ، والفرح بها ، والمُعبر عنها في الآية بـ : ﴿الْبَنُونَ﴾ والذين يشملون ذكور الأولاد وإناثهم على حدٍّ سواء .

● الوجه الخامس :

لقريئة الحال التي يشهد لها واقع غالب المتناكحين من مصر إلى مصر ، ومن عصر إلى عصر ؛ إذ لو نكح الرجل مَنْ يرغب فيها من النساء وترغب هي فيه ، ثم سارت حياتهما على ما يرام بحيث لا ينقصهما سوى تحصيل النسل ، وإنتاج الذرية ؛ لكان هذا كفيلاً في حدِّ ذاته بأن يعثما على الخلاف والشقاق، بل وربما حملهما على الفرقة وانتهاء العشرة ،

(٢) هود : ٦١ .

(١) البقرة : ٣٠ .

(٤) الكهف : ٤٦ .

(٣) الروم : ٢١ .

ولا فارق في هذا بين أغنياء الناس وفقرائهم ، أو عظمائهم وحقرائهم ؛ اللهم إلا تلك النسبة القليلة أو النادرة منهم والتي تستمر حياتهم رغم عدم تحصيل النسل أو إنتاج الذرية ، غير أن مثل تلك النسبة تندرج تحت باب القليل أو النادر الذي يُستشهدُ به ولا يقاس عليه . وهكذا يمكن توجيه قول الشنقيطي : (إن تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح) في ضوء الوجوه الخمسة التي ذكرناها إزاء حمل هذا القول علي ما تبيّنهُ ، وفي إطار ما تَهْدِي إليه .

المسألة الثانية

الاستقصاء والتفصيل

وبعد أن يمهد الشنقيطي لتلك المسألة نراه يعمد عندئذ إلى تناولها على نحو من الاستقصاء والتفصيل من خلال تفسيره لقول الله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية^(١) حيث يشرع في ذلك قائلاً : ظاهر هذه الآية الكريمة أن الطلاق كله منحصر في المرتين ، ولكن الله تعالى قد بيّن أن المنحصر في المرتين هو الطلاق الذي تُمَلِّكُ بعده الرجعة لا مُطَلِّقًا ، وذلك بذكره الطلقة الثالثة التي لا تحل بعدها المراجعة إلا بعد زوج ، وهي تلك المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ الآية^(٢) وبناءً على هذا فإن قوله تعالى : ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية^(٣) يعنى به عدم المراجعة .

وقد قال بعض العلماء : إن الطلقة الثالثة هي المذكورة في قول الله تعالى : ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية^(٤) وروى هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ^(٥) كما ذكر بعض العلماء أن هذه الآية الكريمة التي هي قول الله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية^(٦) إنما يؤخذ منها وقوع الطلاق الثلاث في لفظ واحد ، وقد أشار البخاري بقوله : (باب مَنْ جَوَّزَ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ) لقول الله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية^(٧) ووجه دلالة هذا الحديث الذي أخرجه البخاري تحت الترجمة المتقدمة عنه : أنه أوقع الثلاث في كلمة واحدة ، ولم ينكره رسول الله ﷺ^(٨) .

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

(٣) البقرة : ٢٢٩ .

(٤) البقرة : ٢٢٩ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (كتاب الطلاق) (باب) جامع الطلاق - دار إحياء العلوم - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٦) البقرة : ٢٢٩ .

(٧) البقرة : ٢٢٩ .

(٨) والطلاق ثلاثاً بلفظ واحد قد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الطلاق) (باب) مَنْ جَوَّزَ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ - (طبع بيروت) - كما أخرج فيه أيضاً بعض الأحاديث الأخرى ، والتي منها حديث عويمر=

ثم يستمر الشنقيطي في استقصاء أقوال العلماء في هذه المسألة الخلافية ذاكراً أدلتهم من القرآن والسنة والآثار ، ومناقشاً إياها ليُردَّ منها ما لا يراه راجحاً عنده بالدليل ، وقد أفاض الشنقيطي في استقصاء وتفصيل تلك الأقوال الواردة في هذه المسألة إلى الحد الذي بلغت معه (خمساً وأربعين صفحة) في موضعها من التفسير^(١) .

ولما كان نُقْلُ نصِّ كلام الشنقيطي بشأن هذه المسألة أمراً ليس ممكناً في مقامنا هذا ، فضلاً عن أنه ليس مما يقصد إليه البحث ؛ لذا فقد اكتفينا بالإشارة دون العبارة ، مع الإحالة على ذلك في موضعه السابق من التفسير .

المسألة الثالثة

الخلاصة والتعقيب

وحالما يفرغ الشنقيطي من التوطئة والتمهيد ، ثم الاستقصاء والتفصيل ، بشأن مسألة (الطلاق الثلاث بلفظ واحد) فإنه يعمد عندئذ إلى ذكر خلاصة ما تحصل عنده من مجموع ما عرّضَ له من أقوال العلماء بأدلتهم المختلفة إزاء هذه المسألة ، حيث يقول في ذلك ما نصّه : وحاصل خلاصة هذه المسألة أن البحث فيها من ثلاث جهات :

الأولى : من جهة دلالة النص القولي أو الفعلي الصريح .

الثانية : من جهة صناعة علم الحديث والأصول .

الثالثة : من جهة أقوال أهل العلم فيها .

وبعد أن يحصر الشنقيطي خلاصة هذه المسألة في هذه الجهات الثلاث يشرع عندئذ في التعقيب على كل منها بما يوضح معناها ، ويكشف عن مراده منها ، وذلك على غير ترتيب بينها فيقول :

• أما من جهة أقوال أهل العلم فيها فلا يخفى أن الأئمة الأربعة وأتباعهم وجُلُّ الصحابة وأكثر العلماء على نفوذ الثلاث دفعة بلفظ واحد ، وقد ادّعى غير واحد إجماع الصحابة وغيرهم على ذلك .

= في ملاعنة زوجته ، حيث قال عويمر في آخره : (كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكتُها ؛ فَطَلَّقَهَا ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ) - انظر نفس الكتاب والباب المذكورين .

(١) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢٢١/١ - ٢٢٦ (على مدار خمس وأربعين صفحة كاملة) .

• وأما من جهة نص صريح من قول رسول الله ﷺ أو فعله فلم يثبت من لفظه ﷺ ولا من فعله ما يدل على جعل الثلاث واحدة .

ثم اعلم أن أثبت ما روى في قصة طلاق (رُكَّانَة) أنه كان بلفظ (البتة) وأن رسول الله ﷺ قد حَلَفَهُ ما أراد إلا واحدة ، ولو كان لا يلزم أكثر من واحدة بلفظ واحد ؛ لما كان لتحليفه معنى (١) .

وقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الدارقطني أنه قال : يا رسول الله أرأيت لو طلقها ثلاثاً ؛ أكان يحلّ لي أن أراجعها ؟ فقال ﷺ : لا ؛ كانت تُبَيِّنُ منك ، وتكون معصية « الحديث (٢) .

وقد قدمنا عن السنورى وغيره أن العلماء قد استدلوا على وقوع الثلاث دفعةً واحدةً بقول الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الآية (٣) قالوا : إن معناه أن المُطَلَّق قد يحدث له ندمٌ فلا يمكنه تداركه لوقوع البيونة ، ولو كانت الثلاث لا تقع لكان طلاقه لم يقع إلا رجعيّاً ؛ ومن ثم فلا ندم .

وقد قدمنا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها تلزم مجتمعة ، وأن ذلك داخل في معنى الآية وهو ظاهر جداً ؛ وبهذا يتضح أنه ليس في كتاب الله تعالى ولا في صريح قول النبي ﷺ أو فعله ما يدل على عدم وقوع الثلاث .

• وأما من جهة صناعة علم الحديث والأصول فما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم له حكم الرقع ؛ لأن قول الصحابي : (كان يُفَعَّلُ كذا على عهد النبي ﷺ) له حكم الرقع إلى رسول الله ﷺ عند جمهور المحدثين والأصوليين .

وبهذا تكون قد علمت أوجه الجواب عن هذه المسألة بإيضاح ، ورأيت الروايات المصرحة بنسخ المراجعة بعد الثلاث (٤) .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) الطلاق واللعان (باب) ما جاء فى الرجل يطلق امرأته البتة - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الطلاق (باب) فى الطلاق البتة - (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه الدارقطنى فى سننه (كتاب) الطلاق والخُلَع والإيلاء وغيره - ٣١/٤ حديث رقم (٨٤) - (طبع بيروت) .

(٣) الطلاق : ١ . (٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٦٦ - ٢٦٨ .

● رأى البحث :

وفيما يلي نرصد رأى البحث بشأن مسألة (وقوع الطلاق الثلاثي المجتمع في لفظ واحد) والذي يشتمل على (عرض أقوال المذاهب) ثم (جماع القول في المسألة) وذلك على النحو التالي :

اولاً: أقوال المذاهب :

أما فيما يتعلق بأقوال المذاهب بشأن الطلاق الثلاثي بلفظ واحد فقط جاءت كما يلي :

● عند الحنفية :

يقول المرغيناني : وطلاق البدعة أن يطلقها ثلاثاً بكلمة واحدة أو ثلاثاً في طهرٍ واحد ؛ فإذا فعل ذلك وقع الطلاق وكان عاصياً ، وقال الشافعي : كلّ الطلاق مباح لأنه تصرفٌ مشروع حتى يُستفاد به الحكم ، والمشروعية لا تجامع الحظر ، بخلاف الطلاق في حالة الحيض لأن المحرمّ تطويل العدة عليها لا الطلاق .

ولنا أن الأصل في الطلاق هو الحظر لما فيه من قطع النكاح الذي تعلقت به المصالح الدينية والدنيوية ، والإباحة للحاجة إلى الخلاص ، ولا حاجة إلى الجمع بين الثلاث ، وهى في المُفرّق على الأطهار ثابتة ؛ نظراً إلى دليلها والحاجة في نفسها باقية فأمكن تصوير الدليل عليها ، والمشروعية في ذاته من حيث إنه إزالة الرّق لا تنافي الحظر لمعنى في غيره ، وهو ما ذكرناه ، وكذا إيقاع الثنية في الطهر الواحد بدعة لما قلنا^(١) .

ويقول ابن الهمام شارحاً كيف أن الطلاق مشروع في ذاته محذور لغيره : مشروعيته باعتبار ذاته ، فإنه في ذاته إزالة الرّق لأن النكاح نوع رِق فلا ينافى الحظر لغيره ، وهو ما ذكرنا من أن فيه قطع متعلق المصالح الدينية والدنيوية ؛ فجازت مشروعيته في ذاته مع حظره لذلك ، فيصح إذا وقع ، ويستعقب أحكامه استعقاب استحقاق العقاب إذا لم يكن مسوغ للحظر الحالي كالصلاة في الأرض المغصوبة ، والوجه في تقريره أنه مشروع من حيث هو دافع لحاجة لزوم فساد الدين والدنيا ، ولا ينافيه كونه غير مشروع من حيث إنه إضرار وكفران بلا حاجة^(٢) .

(١) الهداية شرح البداية : لأبي الحسين المرغيناني الحنفى ١/٢٢٧ .

(٢) فتح القدير : لمحمد بن عبد الواحد بن الهمام السيواسى الحنفى - ٣/٤٧٣ - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

● عند المالكية :

يقول ابن جزى : إن قال لها أنتِ طالق ثلاثاً فهذا صريح في البينونة والعدد ، وإن قال لها أنتِ طالق أنتِ طالق أنتِ طالق ؛ لزمته الثلاث إلا إن نوى التأكيد فتلزمه واحدة^(١) .

● عند الشافعية :

عقد الخطيب الشربيني فصلاً وسَمَّه بعنوان (فصل في تعدد الطلاق بنية العدد فيه وغير ذلك) قال فيه ما نصه : لو قال شخص لزوجته ولو نائمة أو مجنونة طلقك أو أنتِ طالق أو نحو ذلك من الصريح وإن لم يخاطبها كقوله هذه طالق ، ونوى عدداً وقع ، سواء المدخول بها وغيرها ؛ لأن اللفظ يحتمل العدد بدليل جواز تفسيره به ، وما احتمل إذا نواه وقع كالطلاق بالكناية ، ثم تناول الشربيني بعد ذلك التصريح بالعدد وأنه يقع ثلاثاً لو لفظ به^(٢) .

● عند الحنابلة :

يقول الخرقي : وإذا طَلَّق ثلاثاً وهو ينوى واحدة فهي ثلاث ، ثم يشرح ابن قدامة ذلك قائلاً : وجملة ذلك أن الرجل إذا قال لامرأته أنتِ طالق ثلاثاً فهي ثلاث وإن نوى واحدة ولا نعلم فيه خلافاً ؛ لأن اللفظ صريح في الثلاث ، والنية لا تعارض الصريح ؛ لأنها أضعف من اللفظ ولذلك لا تعمل بمجردهما ، والصريح قوى يُعْمَلُ بمجرد من غير نية ؛ فلا يُعَارَضُ القوي بالضعيف كما لا يُعَارَضُ النص بالقياس ؛ ولأن النية إنما تعمل في صرف اللفظ إلى بعض احتمالاته ، والثلاث نص فيها فلا تحتمل الواحدة بحال ، فإذا نوى واحدة فقد نوى ما لا يحتمله فلا يصح ، كما لو قال له عُلِّيَّ ثلاثة دراهم وقال أردتُ واحداً^(٣) .

● عند الظاهرية :

حيث وافقوا الجمهور في وقوع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد ، وفي ذلك يقول ابن حزم ما نصه : لو كانت طلاق الثلاث مجتمعة معصية لله تعالى ؛ لما سكت رسول الله ﷺ عن بيان ذلك ؛ ومن ثم فقد صحَّ يقيناً أنها سنة مباحة^(٤) .

(١) القوانين الفقهية : لابن جزى الكلبي الغرناطي المالكي ص ١٥٢ .

(٢) معنى المحتاج : للخطيب الشربيني الشافعي ٢٩٤/٣ .

(٣) المغنى : لابن قدامة المقدسي الحنبلي ٤٩٨/١٠ - ٤٩٩ .

(٤) المحلى : لابن حزم الظاهري ٤٦٦/١١ .

ثانياً: جماع القول :

والحق أننا نرى أن اللفظ الصريح بالعدد ثلاث هو (نَصْرٌ) في مَحَلِّ النزاع ؛ وَمِنْ ثَمَ فَلَا اعتبار لـ (النية) عند مَنْ قَالَ : (أنا قلتُ لزوجتي أنتِ طالق بالثلاث غير أنني نويتُ أو قصدتُ في نفسي أن أطلقها طلقة واحدة) فلا عبرة بذلك لأن النية ليست حاكمة على اللفظ الصريح ولا أقوى منه ؛ وَمِنْ ثَمَ فهى لا تعارضه ولا تبطله لأن التَلَفُّظَ بهذا العدد الصريح معلوم في هذا المَحَلِّ للعام والخاص ؛ ولذا فهو يُعَدُّ دليلاً على النية وإن أنكر صاحبه ذلك ؛ وبناءً عليه فحكمُ زوجته هنا أنها طالقٌ منه طلاقاً ثلاثياً بائناً بينونة كبرى لا رجعة بعدها حتى تنكح زوجاً غيره ، ثم لو كان (الطلاق الثلاثى المجتمع في لفظ واحد) غير جائز لما كان قد أجراه رسول الله ﷺ ولما كان أنفذه ؛ لأنه ﷺ لا يُقَرُّ باطلاً ولا يسكت عنه ، وسبحان مَنْ قَالَ فِيهِ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان^(١) وعليه ؛ فإننا نميل إلى ما ذهب إليه الشنقيطى وأكثر أهل العلم من السلف والخلف القائلين بوقوع الطلاق الثلاث في لفظ واحد ، على أنه طلاق ثلاثى بائن بينونة كبرى لا رجعة بعدها ؛ إلا بنكاح جديد يتسهي أيضاً بطلاق بائن بينونة كبرى من الزوج الثانى ؛ ومن ثم فإنه يحل للمرأة أن ترجع بعد ذلك إلى مَنْ كَانَ رُوجَهَا الْأَوَّلَ بعقد ومهرٍ جديدين ، إن رغبَا كل منهما في ذلك لقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الآية^(٢) .

وفضلاً عن جملة هذه الأدلة المعتبرة ؛ إلا أن قرينة الحال التى عليها المسلمون اليوم تدعوننا إلى الأخذ به ، بل وتُلِحُّ علينا فى طلبه ، لما فيه من ردع لأولئك الذين كثر جريان ألسنتهم بلفظ الطلاق الثلاث فى غير ما شرع له ؛ اللهم إلا استخدامهم له كسلاح يُسَكِّنُون به نساءهم ، وَيَتَفَدُّون من خلاله أوامرهم ، وذلك كبديلٍ لعجزهم عن الإفهام والحُجَّة ، وبعدهم عن المودة والرحمة .

وفى هذا ما فيه من الجور والقهر ، فضلاً عن الهزل والفسق ؛ ما جعل رسول الله ﷺ يرفض الهزل فى أمر الطلاق ، بل ويحكم على الطلاق الهزل بأنه (جِدٌّ ليس بالهزل) حيث يقول ﷺ فى ذلك : « ثلاث جِدُّهنَّ جِدٌّ ، وهزلهنَّ جِدٌّ : النكاح والطلاق والرجعة » الحديث^(٣) هذا بالإضافة إلى حكمه ﷺ بفسق مَنْ يتخذ الطلاق ميمناً

(١) النجم : ٣-٤ (آيتان) .

(٢) البقرة : ٢٣٠ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) الطلاق واللعان (باب) ما جاء فى الجد والهزل فى الطلاق - وقال =

له يستخدمه في غير ما شُرِّعَ له ؛ حيث يقول ﷺ في ذلك : « الطَّلَاقُ يَمِينُ الْفُسَّاقِ » الحديث^(١) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (علم الفقه) كموضوع أساسى يُصنَّفُ الآية تحتَه ، بل ويوجِّهُ معناها على هَدْيِهِ ، وذلك من خلال تقعيده النظرى ، ثم تطبيقه العملى .

= الترمذى : هذا حديث حسن غريب - (طبع بيروت) - وأخرجه أبو داود في سننه (كتاب الطلاق (باب) في الطلاق على الهزل - (طبع بيروت) - كما أورده السيوطى من رواية أبى هريرة رضي الله عنه في جامع الأحاديث : ٦٦٤/٣ حديث رقم (١٠٧٤٣) .

(١) ذكره الخطَّاب بلفظ : « الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ مِنْ إِيمَانِ الْفُسَّاقِ » ثم أعقبه بقوله : قال السخاوى فى (المقاصد الحسنة) : لم أقف عليه - انظر (مواهب الجليل من شروح مختصر خليل فى الفقه المالكى) : لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربى المعروف بالخطَّاب ١٧٦/٦ - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

كما ذكره الدسوقى معقباً عليه بقوله : لا يُعرَفُ فى كتب الحديث المشهورة - انظر (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير فى الفقه المالكى) : لمحمد عرفة الدسوقى ١٨١/٤ - تحقيق : محمد عيش - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

هذا وقد أورد السيوطى فى (جامع الأحاديث) حديثين فى التشديد على الطلاق ، والتحذير من الاستخفاف بوقوعه ؛ الأمر الذى يقترب به معنى هذين الحديثين من معنى الحديث المذكور ، أما أول هذين الحديثين فيورده السيوطى عن ابن عدى فى (الكامل فى الضعفاء) من رواية على بن أبى طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تزوجوا ولا تطلقوا ؛ فإن الطلاق يهتز منه العرش » وأما ثانى الحديثين فيورده السيوطى عن الطبرانى فى (الجامع الكبير) من رواية أبى موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تزوجوا ولا تطلقوا ؛ فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » - انظر هذين الحديثين على الترتيب فى (جامع الأحاديث للسيوطى) : ٥٨٥/٣ حديث رقم (١٠٣٣٠) - ٥٨٥/٣ حديث رقم (١٠٣٣١) .

الفصل الخامس علم الكلام

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التعيد النظرى .
- ٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظريّ

وينتظم المطلب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : القضايا العقائدية .
- ٢ - المطلب الثاني : الفرق الإسلامية .
- ٣ - المطلب الثالث : المباحث المنطقية .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم الكلام) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، يُصنّفُ تحته بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

القضايا العقائدية

يُعدُّ مبحث (الأسماء والصفات) أهم وأشهر قضايا العقيدة الإسلامية ، بل وأكثرها حساسية علمية ؛ نظراً لأنه يختص بذات الله عزّ وجلّ ، ونكتفى من هذه الصفات بأخصها ألا وهى :

● صفة الاستواء :

والحق أن صفة (الاستواء على العرش) تحتل موقع الصدارة من مبحث (الأسماء والصفات) وذلك لسببين :

السبب الأول : أنها من أكثر صفات الله تعالى إشكالاً عند العلماء ؛ الأمر الذى ضلّ بسببه خلّق كثيرون .

السبب الثانى : أنها من أكثر صفات الله تعالى دوراناً فى مجال البحوث الشرعية ؛ نظراً لأن ما ينطبق عليها هو ما ينطبق على سائر صفات الله تعالى .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يذهب إلى تفصيل القول فى هذه الصفة تنبيهاً بها على غيرها من جميع صفات الله عزّ وجلّ ، وهذا ما سنرى تطبيقه العملى عليه بعد قليل .

المطلب الثانى

الفرق الإسلامية

عرّض الشنقيطى للعديد من الفرق الإسلامية فى أكثر من موضع فى ثنايا تفسيره المختلفة ، التى شملت ست فرق نذكرها بترتيبها الهجائى التالى : (الخوارج - الشيعة - الصوفية - الظاهرية - القدرية - المرجئة) ونكتفى من هذه الفرق بأشهرها ألا وهى :

● الصوفية :

وتأتى الصوفية فى مقدمة هذه الفرق الإسلامية ؛ وذلك لسببين :

السبب الأول : أنها أعدل الفرق الإسلامية وأقربها إلى أهل السُّنة والجماعة من حيث التزامها في الجملة بكتاب الله تعالى وسُّنة رسوله ﷺ .

السبب الثاني : أنها من أكثر الفرق الإسلامية دوراً في مجال البحوث الشرعية ؛ نظراً لما لها من قضايا شديدة الخصوصية تتعلق بصفة العبد برُّه عزّ وجلّ .

غير أن ما يقع فيه مُدَعُو التصوف من البدع والضلالات جعل الشنقيطي يذهب إلى تفصيل القول بشأن هذه البدع والضلالات تنبيهاً إلى مخالفتها لكتاب الله تعالى وسُّنة رسوله ﷺ وتحذيراً للأمة من الافتتان بها والوقوع فيها ، وهذا ما سنرى تطبيقه العملي عليه بعد قليل .

المطلب الثالث

المباحث المنطقية

تدور المباحث المنطقية في تفسير الشنقيطي على محورين أساسيين يتمثلان في :

١- المحور الأول (المسائل الكلامية) :

حيث يَعْرِضُ الشنقيطي لجملة غير قليلة من تلك المسائل في ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي من أبرزها المسائل الخمس التالية : (رؤية الله تعالى - البعث وبراehينه - الإمامة والخلافة - الخلود في النار - دخول مؤمنى الجنّ الجنّة) ونكتفى من هذه المسائل بأشهرها ألا وهى :

• رؤية الله تعالى :

وتأتى مسألة (رؤية الله تعالى) على رأس هذه المسائل الكلامية الخمس بصفة خاصة ، وغيرها من المسائل الأخرى بصفة عامة ؛ وذلك نظراً لما لها من الأهمية والخصوصية من حيث تعلقها بذات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا من شأنه أن يكفل لها التمييز والصدارة دون ما سواها من المسائل الكلامية الأخرى .

٢- المحور الثاني (المسائل الجدلية) :

حيث يَعْرِضُ الشنقيطي كذلك لجملة غير قليلة من تلك المسائل فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتي من أبرزها القضايا الخمس التالية : (الشرطيّة - الاستثنائية - الكلية الموجبة - الجزئية السالبة - المقدمتان الكبرى والصغرى) ونكتفى من هذه القضايا بأهمها ألا وهى :

● **القضية الشرطية :**

تعد القضية الشرطية بنوعيهما (اللزومية) و (الاتفاقية) من أهم تلك القضايا المنطقية نظراً لاشتغالها على طرفيهما المتمثلين في (الشرط والجزاء) أو ما يطلق عليهما أيضاً (اللازم والملزوم) وعليهما يترتب مفهوم (إرادة الله عز وجل) وما يتصل بذلك من (أفعال العباد وتكالييفهم) .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطي يذهب إلى تفصيل القول في كل من هاتين المسألتين المتمثلتين في (رؤية الله تعالى) ثم (القضية الشرطية) تنبيهاً بهما على غيرهما من جملة المباحث المنطقية الأخرى في ثنايا تفسيره المختلفة .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطي هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملي على ذلك التععيد النظري .

المبحث الثاني
التطبيق العملي

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (العقيدة) .
- ٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (الفرق) .
- ٣ - المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة (المنطق) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقىطى فى تصنيفه هذه الآىة أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم الكلام) حيث يُجسد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تععيده النظرى ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى التى تُعدّ تطبيقاً على القواعد الثلاث المذكورة ، وذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الاول

تطبيق القاعدة الاولى

العقيدة : (صفة الاستواء)

ففى معرض تفسير الشنقىطى لقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الآية^(١) نراه يذهب إلى تفصيل القول فى صفات الله عزّ وجلّ ، حيث يبدأ بذكر أقسامها الستة عند المتكلمين ، ثم يحصر آيات الاستواء السبع فى القرآن الكريم ، وأخيراً يرصد خلاصة قوله فى مبحث الصفات على وجه العموم ، وذلك على النحو التالى :

• أقسام الصفات الستة :

يَعْرِضُ الشنقىطى لهذه الأقسام الستة لصفات الله عزّ وجلّ عند المتكلمين مشفوعة بشواهدا من القرآن الكريم فيقول : اعلم أولاً أن المتكلمين قد قسموا صفات جلّ وعلا إلى ستة أقسام : (صفة معنى - صفة معنوية - صفة سلبية - صفة نفسية - صفة فعلية - صفة جامعة) .

وسنبين لك أن جميع الصفات على تقسيمهم لها قد جاء فى القرآن وَصَفُ الخالق والمخلوق بها ، وهم يقرون فى بعضها بأن الخالق موصوف بها وأنها جاء فى القرآن أيضاً وَصَفُ المخلوق بها؛ ولكن وصف الخالق مُتَّافٍ لوصف المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق ؛ ومن ثم فإنه يلزمهم بالضرورة فيما أنكروا مثل ما أقروا به لأن الكل من باب واحد ، ولأن جميع صفات الله جلّ وعلا من باب واحد ، ولأن المتصف بها جلّ وعلا لا يشبهه شىء من الحوادث ، وهذه الأقسام الستة لصفاته جلّ وعلا عند هؤلاء المتكلمين تتمثل فى :

١- صفات المعانى :

وهى المعروفة عندهم بـ (الصفات السبع) وهى : (القدرة - الإرادة - العلم - الحياة

- السمع - البصر - الكلام) وقد وصف الله تعالى نفسه بالقدرة فقال : ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية^(١) كما قال في وصف الحادث بها : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ الآية^(٢) .

فأثبت جلّ وعلا لنفسه قدرة حقيقية لائقة بجلاله وكماله ، كما أثبت لبعض الحوادث قدرة مناسبة لحالهم من الضعف والافتقار والحديث والفناء ، ومعلوم أن بين قدرته وقدرة مخلوقه من المنافة مثل ما بين ذاته وذات مخلوقه ، وهكذا في سائر الصفات الست الباقية .

٢ - الصفات المعنوية :

وهي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع السابقة وهي كون الله تعالى : (قادراً - مريداً - عالماً - حياً - سمياً - بصيراً - متكلماً) والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعاني ، وقد بينا في اتصاف الخالق والمخلوق بالمعاني السبع السابقة منفاة صفة الخالق للمخلوق .

وبه تعلم مثله في الاتصاف بالمعنوية المذكورة هنا في حالة إذا ما فرضنا أنها صفات زائدة على صفات المعاني ، مع أن التحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بها .

٣ - الصفات السلبية :

وهي خمس صفات عندهم تتمثل في : (القَدَم - البقاء - الوجدانية - المخالفة للمخلوق - الغنى المطلق المعروف عندهم بالقيام بالنفس) وقد وصف الله تعالى نفسه بالقدم فقال : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الآية^(٣) كما قال في وصف الحادث به : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ الآية^(٤) .

٤ - الصفة النفسية :

وهي صفة واحدة عندهم تتمثل في الوجود ، ولا يخفى أن الخالق موجود ، وأن المخلوق موجود ، غير أن وجود الخالق ينافي وجود المخلوق على نحو ما بيناه في غير ذلك من الصفات السابقة .

(١) البقرة : ٢٨٤ - آل عمران : ١٨٩ - المائدة : ١٩ ، ٤٠ - وقد تكرر لفظ (قدير) تسعاً وثلاثين مرة في القرآن ، في حين تكرر لفظ (قديراً) ست مرات فقط - انظر (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) : وضع محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .
(٢) المائدة : ٣٤ .
(٣) الحديد : ٣ .
(٤) يس : ٣٩ .

٥ - الصفات الفعلية :

إن وصف الخالق والمخلوق بهذه الصفات الفعلية كثير في القرآن الكريم ، غير أنه من المعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته ، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يرزق خلقه فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الآية^(١) كما قال في وصف الحادث بذلك : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ الآية^(٢) وهكذا في سائر الأفعال الأخرى مثل : (العمل - التعليم - الإنباء - الإيتاء) .

٦ - الصفات الجامعة :

وتشمل : (العِظَم - الكِبَر - العُلُو - المُلْك - التكبر - الجبروت) ونحو ذلك مما يكثر وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم ، ومعلوم أن ما وُصِفَ به الخالق منها إنما هو مُتَّافٍ لما وُصِفَ به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق .
وقد وصف الله تعالى نفسه بالعلو والعظم فقال : ﴿وَلَا يَتَّوَدُّ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الآية^(٣) كما قال في وصف الحادث بالعظم : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الآية^(٤) وقال في وصفه بالعلو : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الآية^(٥) وهكذا في سائر الصفات الأخرى .

• آيات الاستواء السبع :

وحالما يفرغ الشنقيطى من ذكر الأقسام الستة لصفات الله عزّ وجلّ عند المتكلمين ؛ يعمد عندئذ إلى حصر آيات الاستواء السبع في القرآن الكريم فيقول : فإذا حققت كل ذلك علمت أن الله جلّ وعلا قد وصف نفسه بالاستواء على العرش ، كما وصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات .

فَتَمَدَّحَ جَلَّ وَعَلَا فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ بِاسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، وَلَمْ يَذْكَرْ صِفَةَ الْإِسْتِوَاءِ إِلَّا مَقْرُونَةً بِغَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ الْقَاضِيَةِ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَأَنَّ الرَّبَّ وَحْدَهُ ، وَالْمُسْتَحَقَّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ ، وَإِلَيْكَ هَذِهِ الْآيَاتُ السَّبْعُ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ الْمَصْحَفِ الْكَرِيمِ فِي سُورِهَا التَّالِيَةِ :

١ - سورة الاعراف :

في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ الآية^(٦) .

- | | | |
|---------------------|------------------|--------------------|
| (١) الذاريات : ٥٨ . | (٢) النساء : ٨ . | (٣) البقرة : ٢٥٥ . |
| (٤) الشعراء : ٦٣ . | (٥) مريم : ٥٧ . | (٦) الاعراف : ٥٤ . |

٢ - سورة يونس :

في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ الآية (١) .

٣ - سورة الرعد :

في قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ الآية (٢) .

٤ - سورة طه :

في قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ الآيتان (٣) .

٥ - سورة الفرقان :

في قول الله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الآية (٤) .

٦ - سورة السجدة :

في قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية (٥) .

٧ - سورة الحديد :

في قول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الآية (٦) .

وقد وصف الله تعالى الحادث بالاستواء فقال تعالى : ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية (٧) وقال تعالى : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾ الآية (٨) وقال تعالى : ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ الآية (٩) ونحو ذلك من الآيات الأخرى في القرآن الكريم .

-
- | | | |
|--------------------|---------------------|--------------------------|
| (١) يونس : ٣ . | (٢) الرعد : ٢ . | (٣) طه : ٥ - ٦ (آيتان) . |
| (٤) الفرقان : ٥٩ . | (٥) السجدة : ٤ . | (٦) الحديد : ٤ . |
| (٧) الزخرف : ١٣ . | (٨) المؤمنون : ٢٨ . | (٩) هود : ٤٤ . |

ومعلوم أن للخالق جلّ وعلا استواءً لائقاً بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوق استواءً مناسباً لحاله ، وأن ما بين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة مثل ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية (١) .

• أمور ثلاثة :

وبعد أن يفرغ الشنقيطيّ من حصر آيات الاستواء السبع السابقة ؛ يلفت عندئذ الانتباه إلى ثلاثة أمور يُعقَّبُ بها على ما ذكره آنفاً فيقول : وينبغي للناظر في مسألة الاستواء هذه أن يتأمل في الأمور الثلاثة التالية :

الأمر الأول : أن جميع الصفات من باب واحد ؛ لأن الموصوف بها واحد ، فلا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيءٍ من صفاتهم .

الأمر الثاني : أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً ، فكما أن الله جلّ وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق ؛ فله تعالى صفات مخالفة أيضاً لجميع صفات الخلق .

الأمر الثالث : في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلاً ؛ فإن الظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث .

لأنه بمجرد إضافة الصفة إلى الله جلّ وعلا ؛ فلا بد أن يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق ، وبين شيء من صفات المخلوقين ، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته ؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابري !!

• حصيلة القول :

ويختم الشنقيطي حديثه عن صفات الله عزّ وجلّ عامة ، وصفة الاستواء خاصة ، بذكر خلاصة ما تحصل عنده وجماع ما انتهى إليه فيقول : وبعد فقد تحصل من جميع هذا البحث أن جميع هذه الصفات باب واحد ، وأن الحق فيها متركب من أمرين :

الأمر الأول : تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة الخلق .

الأمر الثاني : الإيمان بكل ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً أو نفياً ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية (٢) .

(٢) الشورى : ١١ .

(١) الشورى : ١١ .

لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله كما في قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية (١) ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال تعالى فيه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ الآيتان (٢) .

والظاهر أن السر في تعبيره بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية (٣) دون أن يقول مثلاً : (وهو العلى العظيم) أو نحو ذلك من الصفات الجامعة هو أن السمع والبصر يتصف بها جميع المخلوقات .

ومن ثم ؛ فقد بينَّ الله تعالى أنه متصف بهما ، ولكن وصفه بهما إنما يقوم على أساس نفى المماثلة بين وصفه عزَّ وجلَّ ، وبين صفات خلقه ، ولذا جاء بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعليه فإن في هذه الآية الكريمة إيضاحاً للحق في آيات الصفات لا لبسٍ معه ولا شبهة البتة .

والسلف الصالح رضوان الله عليهم ما كانوا يَشْكُونُ في ذلك ، ولا كان يشكل عليهم ؛ ألا ترى إلى قول الفرزدق (وهو شاعر فقط ، أما من جهة العلم فهو عامي) :

وكيف أخافُ الناسَ والله قابضٌ على الناسِ والسَّبْعِينِ في راحةِ اليدِ ١٩

ومراده بـ (السَّبْعِينِ) : أي (سَبْعُ سَمَوَاتٍ ، وَسَبْعُ أَرْضِينَ) فَمَنْ علم مثل هذا (من كون السموات والأرضين في يده جلَّ وعلا أصغر من حبة الخردل) فإنه يكون عالماً بلا شك بعظمة الله وجلاله ؛ ومن ثم فلا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته بصفات الخلق ، وَمَنْ كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين .

ثم إن هذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جلَّ وعلا عما لا يليق به ، والإيمان بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ هو ذاته معنى قول الإمام مالك رحمه الله تعالى : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة) كما يُروى نحو قول مالك هذا عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأيضاً عن أم سلمة ؓ والعلم عند الله تعالى (٤) .

● (رأى البحث :

والحق أنا نذهب إلى مذهب الشنقيطي الذي وافق به جمهور العلماء من السلف

(١) البقرة : ١٤٠ . (٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) . (٣) الشورى : ١١ .

(٤) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٢/٣٠٤ - ٣٢١ (على مدار سبع عشرة صفحة كاملة) .

والخلف إزاء اتباعه تلك العقيدة السلفية التي تقوم على الإيمان أولاً ، ثم التنزيه ثانياً ، ثم التفويض ثالثاً .

لأنه من البداهة بمكان أن تقطع الفطرة الثقية ، وأن تجزم النفس السوية ، بنفى المشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوق ؛ وذلك لتمايم إدراكها ، وكمال إيمانها ، بأن ذات الخالق ليست كذات المخلوق .

ومن ثم ؛ فإنه يترتب على ذلك اليقين بأن (الفارق ما بين الصفة والصفة كالفارق ما بين الذات والذات) وهذا ما يُطبَّقُ عليه جمهور علماء الأمة في كل عصر ومصر ؛ فلا ينكره إلا جاحِد هَالِك ، ولا يَشِدُّ عنه إلا ضالٌّ مَارِق .

المطلب الثاني

تطبيق القاعدة الثانية

الفرق الإسلامية (الصوفية)

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : «وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا» الآية^(١) نراه يرد قول مَنْ وصفهم بالجهلة من مُدَّعي التصوف بشأن ما ذهبوا إليه من احتجاجهم بـ (الإلهام) واعتمادهم عليه ، شأنه في ذلك عندهم كشأن (الوحي) من حيث احتجاج الأمة به ، واعتمادها عليه ؛ ومن ثم يرد عليهم دعواهم هذه قائلاً :

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بـ (الإلهام) في حق المَلْهُم دون غيره ، جاعلين الإلهام كالوحي المسموع ، ومستدلين في ذلك بظاهر قول الله تعالى : «فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» الآية^(٢) وبالخير القائل : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »^(٣) فكل هذا باطل لا يُعوَّلُ عليه لعدم اعتضاده بدليل .

(١) الكهف : ٦٥ . (٢) الأنعام : ١٢٥ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب ٤٨) تفسير القرآن (باب ١٦) ومن سورة الحجر - ٥/٢٧٨ حديث رقم (٣١٢٧) - (طبع بيروت) .

وأخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت (٣٦٠هـ = ٩٧١م) - ٢٣/٨ حديث رقم (٧٨٤٣) - قسم التحقيق بدار الحرمين : (أبو معاذ طارق ابن عوض الله بن محمد) مع (أبي الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني) - الناشر : دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

كما أخرجه العُقَيْلِيُّ في (كتاب الضعفاء الكبير) : تصنيف الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيْلِيُّ المكي ت (٣٢٢هـ = ٩٣٤م) - ١٢٩/٤ - حققه ووثقه : د. عبد المعطى أمين قلعجي - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

ثم إن ما يستدل به بعض الجهلة مِمَّنْ يَدْعِي التَّصَوُّفَ عَلَى عَتَبِ الْإِلْهَامِ مِنْ ظَوَاهِرِ بَعْضِ النُّصُوصِ كَحَدِيثِ : « اسْتَفْتِ قَلْبِكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسَ وَأَفْتَوَكَ » الْحَدِيثُ (١) فَإِنَّهُ لَا دَلِيلَ فِيهِ الْبَتَّةَ عَلَى عَتَبِ الْإِلْهَامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِهِ : إِنَّ الْمَفْتَى الَّذِي تُتَلَقَّى الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مِنْ قِبَلِهِ هُوَ الْقَلْبُ .

ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح قول الشيخ (أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري) رحمه الله تعالى حيث يقول : (مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) وقد نقل عنه قوله هذا غير واحد مِمَّنْ ترجمه رحمه الله تعالى كابن كثير وابن خلكان وغيرهما ، ولا شك أن كلامه المذكور هو الحق ؛ فلا أمر ولا نهى إلا على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (٢) .

• رَأْيُ الْبَحْثِ :

والحق أننا نؤيد ما ذهب إليه الشنقيطي فضلاً عن الصالحين المنصفين من علماء الصوفية أنفسهم رحمهم الله تعالى أجمعين ؛ وذلك لأن كل مَنْ يَخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ فَكَلَامُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ كَانَتْ مَنَ كَانَ ، سِوَاهُ كَانَ مِنْ مُدَّعِي التَّصَوُّفِ ، أَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ جَمَلَةٍ أَوْلَتْكَ الْجَهْلَةَ الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ تُبْتَلَى بِهِمُ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَصْرٍ .

ولذا نجد الشنقيطي يحمل بالرفض والنكير على هؤلاء الأدعياء من الجهلة الذين يتطفلون على التصوف وأهله ، خارجين بذلك على حدود الله تعالى ، ومخالفين بمسلكهم هذا هَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهَمُّ ضَالُّونَ مُضِلُّونَ ، وَجَهْلَةٌ مُدَّعُونَ ؛ الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ الشَّنْقِيطِيَّ لَا يَفْتَأُ يَتَّبِعُهُ إِلَى خَطَرِهِمْ وَفَتْنَتِهِمْ بِقَوْلِهِ : (مَا يَزْعَمُهُ بَعْضُ الْمُتَّصِفَةِ) أَوْ (مَا يَزْعَمُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ مِنْ مُدَّعِي التَّصَوُّفِ) .

فِي حِينِ نَجَدِ الشَّنْقِيطِيَّ نَفْسَهُ يُجِلُّ عِلْمَاءَ الصُّوفِيَّةِ الْمُشْهُودِ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ ؛ وَذَلِكَ لِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ مِنَ التَّزَامُّهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَعَدَمِ خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِمَا أَوْ حِيَادِهِمْ عَنْهُمَا ، وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّيْخِ (الجنيد) ثُمَّ

= وقد أورده الألباني من رواية أبي أمامة الباهلي وأبي هريرة وابن عمرو وثوبان رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ وضعفه - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة) : محمد ناصر الدين الألباني (٤/ ٢٩٩ - ٣٠٢) - حديث رقم (١٨٢١) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٧٥٤٥) - (طبع بيروت) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطي (٤/ ١٥٩ - ١٦٢) - وستأتي ترجمة الجنيد مفصلة في الباب التالي ضمن نقد الشنقيطي للفرق الإسلامية تحت عنوان (نقده الصوفية خاصة) ص من هذا البحث .

شيخ الإسلام (ابن تيمية) وكذا تلميذه (ابن القيم) رحمهم الله تعالى وسائر علماء المسلمين أجمعين^(١) .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

المنطق

وذلك من خلال تناولنا لمسألتين إحداهما من المباحث الكلامية ، والأخرى من المباحث الجدلية ، على النحو التالي :

المسألة الأولى

المباحث الكلامية

(رؤية الله تعالى)

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية^(٢) نراه يذهب إلى القول برؤية الله تعالى بالأبصار ، ويرى أنها جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة ، كما أنها جائزة شرعاً وواقعة يوم القيامة ، إلا أنها ممتنعة شرعاً في الدنيا ، وفي ذلك يقول ما نصه : إن تحقيق المقام في رؤية الله تعالى بالأبصار أنها جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة بدليل قول موسى فيما يحكيه القرآن : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية^(٣) لأنه لا يجهل المستحيل في حقه جلّ وعلا .

كما أنها جائزة شرعاً وواقعة يوم القيامة ، وممتنعة شرعاً في الدنيا بدليل قول الله تعالى : ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الآية^(٤) .

ومن أصرح الأدلة في ذلك قول رسول الله ﷺ : «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» الحديث^(٥) وأما قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) الآيات^(٦) فذلك جبريل على التحقيق لا الله جلّ وعلا^(٧) .

(١) سبقت ترجمة كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ص () و () من هذا البحث .

(٢) الأعراف : ١٤٣ . (٣) الأعراف : ١٤٣ . (٤) الأعراف : ١٤٣ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٢٢٥٨) (طبع بيروت) .

(٦) النجم : ٨ - ٩ (آيتان) . (٧) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٣٣١ - ٣/٤٠٠ - ٥/٦٣٣ .

• رأى البحث :

وفيما يلي نوجز رأى البحث بشأن أقوال العلماء ومذاهبهم فى مسألة الرؤية ، ثم نتبعها بالرد على الشنقيطى فى بعض ما ذهب إليه وذلك على النحو التالى :

١- أقوال العلماء :

تعددت مذاهب علماء الأمة سلفاً وخلفاً ، وكثرت أقوالهم بشأن (رؤية الله تعالى) سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، وسواء كانت هذه الرؤية بصرية أو قلبية ، وعلى الرغم من اتفاق جُلِّ العلماء على امتناع وقوع تلك الرؤية فى الدنيا ، إلا أنهم اختلفوا بشأن وقوعها بالأبصار من عدمه فى الآخرة ؛ وإزاء ذلك فقد تورعوا بين فريقين لكل منهما أدلته من الكتاب والسنة ، والتى يعترض بها على ما يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بإيراد أدلة كلا الفريقين دون تناولها بالمناقشة والتفنيد ؛ حيث إن هذا مما لا يقصد إليه البحث وليس موضعه ، وذلك على النحو التالى :

• الفريق الأول (القائلون بوقوع الرؤية بالأبصار) :

وتتمثل أدلتهم فى قول الله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الآياتان^(١) وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية^(٢) على تفسير (الزيادة) هنا بأنها (النظر إلى الله عز وجل) .

كما احتجوا بما حدّث به جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا ، لا تَصَامُونَ فى رؤيته» الحديث^(٣) وفى رواية له أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم سترون ربكم عياناً» الحديث^(٤) .

(٢) يونس : ٢٦ .

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٣ (آيتان) .

(٣) وقوله ﷺ : «كما ترون هذا» يعنى به (البدر) أو (القمر) - أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب التوحيد (باب) قوله الله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة : (٢٢-٢٣) - قال ابن حجر : (لا تَصَامُونَ فى رؤيته) أى لا تجتمع لرؤيته فى جهة ، ولا يُضَمُّ بعضكم إلى بعض ، ويعنى بهذا : (أنه لا تضمهم جهة واحدة لتحقيق هذه الرؤية) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - ٢٠٥/٢٨ - حديث رقم (٧٤٢٦) - (طبع الأزهرية) .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التوحيد (باب) قوله الله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة : (٢٢-٢٣) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - ٢٠٥٢٨ / - حديث رقم (٧٤٣٥) - (طبع الأزهرية) .

• الفريق الثاني (القائلون بامتناع الرؤية بالابصار) :

وتتمثل أدلتهم في قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ الآية^(٢) .

كما حملوا الرؤية التي وردت بها أحاديث رسول الله ﷺ على أنها رؤية قلبية ، بل بالغ بعضهم فقال بأنها رؤية خيالية وهو مذهب الأشاعرة الذين انبرى للرد عليهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية حيث ختم رده عليهم بقوله : وهؤلاء القوم أثبتوا ما لا يمكن رؤيته ، ولما أحبوا نصر مذهب أهل السنة والجماعة والحديث جمعوا عندئذ بين أمرين متناقضين : فإن الذي لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه فإنما يمتنع أن يُرى بالعين إذا كان وجوده في الخارج ممكناً ، فكيف وهو ممتنع !؟ وعليه فإن الذي يُقَدَّرُ في الأذهان من غير أن يكون له وجود في الأعيان إنما هو من باب الوهم والخيال الباطل^(٣) .

ومقصود ابن تيمية أن الأشاعرة أرادوا أن يثبتوا ما لا يمكن إثباته ويعنى بذلك (الرؤية الخيالية) لأنهم قرنوا فيها بين الرؤية والخيال مع أن الخيال لا يمكن رؤيته ، بل ولا يمكن أن تمتنع العين عن رؤية الشيء إلا إذا كان له وجود حقيقي ؛ ومن ثم فقد وقعوا بقولهم هذا في التناقض ، فضلاً عن أنه ضربٌ من الوهم الذي لا يَسَلِّمُ لهم بحال !

٢- الرد على الشنقيطي :

وعلى الرغم من أن الشنقيطي يذهب إلى جواز رؤية الله تعالى بالابصار عقلاً في الدنيا والآخرة وكذا جوازها شرعاً في الآخرة ؛ إلا أنه يقول بامتناعها شرعاً في الدنيا ، مستدلاً على ذلك بكل من قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ الآيتان^(٤) على أنه جبريل وليس الله عز وجل ، ثم بقول رسول الله ﷺ : «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» الحديث^(٥) .

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي بشأن امتناع رؤية الله تعالى بالابصار شرعاً في الدنيا

(١) الأنعام : ١٠٣ . (٢) الأعراف : ١٤٣ .

(٣) راجع في ذلك بتصرف يسير كلاً من :

• مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/٨٢-٨٧ .

• المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات : محمد بن عبد الرحمن المغراوي - (١٢٦/٤ - ١٣٨) - (مسألة إثبات الرؤية ضمن الرد على المفسرين الخلفيين) - دار المنار للنشر

والتوزيع - توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

(٤) النجم : ٨-٩ (آيتان) .

(٥) سبق تخريج الحديث ص ٦٣٦ من هذا البحث .

يمكن قبوله وموافقتنا عليه بالنسبة لسائر الخلائق ، أما بالنسبة لرُسلِ الله صلوات الله وسلامه عليهم عامة ، ثم لرسول الله ﷺ منهم خاصة ، فإن ذلك مردود من وجهين :

• الوجه الأول (بالنسبة للرُسلِ عامة) :

ويشهد لذلك ما طلبه موسى من رؤية ربه عزّ وجلّ فيما يحكيه القرآن عنه في قوله الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية^(١) . فلو كانت رؤية الرسل لله عزّ وجلّ غير جائزة في الدنيا لما كان لسؤال موسى وجه ؛ إذ كيف يطلب غير جائز وهو نبي يعلم ما يجوز مما لا يجوز في حق الله عزّ وجلّ .

أما استجابة الله سبحانه من عدم استجابته لما طلبه نبيه موسى فهذا أمر متروك لإرادته عزّ وجلّ وموكل إليه ؛ إذ لو شاء ذلك لجعل موسى قادراً على تحمل الرؤية وأعانه عليها ، ومن ثم فإن المعول عليه هنا هو ضعف موسى وعدم قدرته على تحمل رؤية ربه سبحانه الذي تجلّى للعجل فجعله دكاً ، وإذا كانت هذه هي حال الجبل ، فما بالنا بموسى الذي خرّ صعقاً كما يحكيه قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ الآية^(٢) .

وعليه ؛ فإن رؤية الله تعالى غير ممتعة بالأبصار في الدنيا لمن طلبها من أنبيائه ورسوله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ غير أن إنفاذ هذه الرؤية وتحقيقها متروك لإرادة الله عزّ وجلّ إن شاء استجاب لهم ، وإن شاء حجبها عنهم ، سبحانه له الخلق والأمر بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

• الوجه الثاني (بالنسبة لرسول الله ﷺ خاصة) :

أما إمام النبیین ، وخاتم المرسلين ، أكرم رسل الله على ربه ، وأحبهم إليه ، فمن باب أولى أن يرى ربه سبحانه في تلك الرحلة السماوية التي جعلها الله تعالى تسرية عن نبيه ﷺ بل وأهداه إياها ترويحاً له ، وهل توجد تسرية ، أو يكون هناك ترويح ؛ يعدل أو يفوق رؤية الله تعالى ، والفوز بالنظر إلى وجهه الكريم !!؟

حقاً لقد أراد الله تعالى ذلك ، وطلب نبيه ﷺ له ؛ فأسرى به أرضاً ، ثم أعرج به سماءً ، ليتجلى له ربه بعد تجهيزه لتحمل رؤية وجهه الكريم مثل تجهيزه لتلك الرحلة المباركة بدءً وانتهاءً ، وفقاً لإرادته وإنفاذاً لمشيئته ؛ ولئن كان نبي الله موسى قد طلبها ، إلا أن رسول الله ﷺ قد طلب إليها ؛ تكريماً له ، وإعلاءً لمرتته .

(١) الأعراف : ١٤٣ .

(٢) الأعراف : ١٤٣ .

ومن ثم ؛ فإن ما ذهب إليه الشنقيطي من أن المقصود في قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ الآيتان^(١) هو جبريل على التحقيق لا الله عز وجل ؛ مردود بما بعده في قول الله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ الآية^(٢) فهل يكون محمد ﷺ عبداً لجبريل أم لله عز وجل ؟! ثم من الذى يُوحى إلى محمد ﷺ جبريل أم ربه عز وجل ؟!!

ثم لما كان جبريل يحمل دوماً أمانة السماء إلى الأرض ؛ حيث يتلقى الوحي من ربه عز وجل إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لذا فلم يكن في رؤيته لربه مسوغ لتكذيبه في ذلك ، أما رؤية محمد ﷺ لربه فهي مُعَرَّضَةٌ لذلك التكذيب من قبل المترين الضالين ؛ ومن ثم يدرا ربه عنه ذلك بما بعد ذلك من الآيات في ذات سورة النجم بقوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ الآيتان^(٣) وهل لجبريل فؤاد وهو الملك مثل الذى لمحمد ﷺ وهو البشر ؟!! ثم إن هذه الرؤية لتتنظم فى سائر ما رآه وعينه يبصره وهو ما يشهده له قول الله تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ الآية^(٤) .

كما أن إقران الرؤية بالنظر فى طلب موسى فى قول الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية^(٥) وكذا إقران الرؤية بآثار النظر وملزومه فى طلب إبراهيم فى قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الآية^(٦) ليدلان على أن إقران الرؤية بالبصر فى أمر رسول الله ﷺ إنما كانت رؤية بعينه وليست بغيرهما مما دون ذلك كما صرح به قول الله تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ الآية^(٧) .

وأخيراً فقد أورد صاحب كتاب : (المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات) أن ابن عباس وابن مسعود وعكرمة والحسن وأبا هريرة وأحمد بن حنبل قد صرحوا بأن رسول الله ﷺ قد رأى ربه عز وجل بعينه^(٨) .

(٢) النجم : ١٠ .

(٤) النجم : ١٧ .

(٦) البقرة : ٢٦٠ .

(١) النجم : ٨-٩ (آيتان) .

(٣) النجم : ١١ - ١٢ (آيتان) .

(٥) الأعراف : ١٤٣ .

(٧) النجم : ١٧ .

(٨) راجع تفصيل أقوالهم التى استدلل بها المؤلف على الرؤية البصرية فى (المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات) : محمد بن عبد الرحمن المغراوى - (١٢٧/٤ - ١٢٨) - (مسألة إثبات الرؤية ضمن الرد على المفسرين الخلقين) .

المسألة الثانية المباحث الجدلية القضية الشرطية

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية^(١) نراه يتناول القضية الشرطية فى هذه الآية الكريمة مبيِّناً نوعيها المتمثلين فى :

- الشرطية اللزومية : وهى التى يرتبط فيها الشرط بالجزاء ؛ حيث يكون أحدهما سبباً فى الآخر ، أو يكون أحدهما ملزوماً والثانى لازماً له .
- الشرطية الاتفاقية : وهى التى لا ارتباط أصلاً بين طرفيها ؛ ومن ثم فليس أحدهما سبباً فى الآخر ، وليس ملزوماً ولا لازماً له .

وبناءً على هذا يحدّد الشنقيطى نوع القضية الشرطية فى هذه الآية الكريمة قائلاً : والقضية الشرطية (اتفاقية) هنا ؛ حيث إن قول الله تعالى : ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ سببه الحقيقى غير المذكور معه ، فليس هو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ﴾ بل سببه هو إرادة الله جلّ وعلا انتفاء اهتدائهم على وفق ما سبق فى علمه أولاً ؛ وذلك خلافاً لما ذهب إليه كل من الزمخشري ، وأبى حيان رحمهما الله تعالى^(٢) .

● قول الزمخشري وأبى حيان :

وفيما يلى نَعْرِضُ لما ذهب إليه الزمخشريّ وأبو حيان بشأن تلك القضية الشرطية على النحو التالى :

١- قول الزمخشريّ ت (٥٣٨هـ = ١١٤٤م) :

ففى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية^(٣) يقول ما نصه : (فلن يهتدوا) أى فلا يكون منهم اهتداء البتة فكأنه مُحَالٌ منهم لشدة تصميمهم (أبداً) أى مدة التكليف كلها (إذا) جزء وجوب ؛ فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول ﷺ بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجوب الاهتداء سبباً فى انتفائه ،

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ١٤٨ - ١٤٩ .

(١) الكهف : ٥٧ .

(٣) الكهف : ٥٧ .

وعلى أنه جواب للرسول ﷺ على تقدير قوله : « ما لى لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟ » فقيل : « وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا ﴾ الآية (١) .

٢- قول أبي حيان ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) :

ففى مَعْرِض تفسيره أيضاً لقول الله تعالى : « وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ الآية (٢) يقول ما نصه : أخبر الله تعالى أن هؤلاء لا يهتدون أبداً ، وهى من العام الذى يُرَادُ به الخصوص ، وهو مَنْ طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر إذ قد اهتدى كثير من الكفرة وآمنوا ، ويحتمل أن يكون ذلك حكماً على الجميع أى (وإن تدعهم إلى الهدى جميعاً ؛ فلن يهتدوا جميعاً أبداً) فحمل أولاً على لفظ (مَنْ) فافرد ، ثم حمل على المعنى فى قوله تعالى : « إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ الآية (٣) فجمع ، وقد جعلوا دعوة الرسول ﷺ إلى الهدى (وهى التى تكون سبباً لوجود الاهتداء) جعلوها سبباً لانتفاء هدايتهم ، وهذا الشرط كأنه جواب للرسول ﷺ عن تقدير قوله : « ما لى لا أدعوهم إلى الهدى » حرصاً منه ﷺ على حصول إيمانهم ؛ فقيل : « وإن تدعهم » وتقييده بالأبدية مبالغة فى انتفاء هدايتهم (٤) .

● رأى البحث :

والحق أننا نوافق الشنقيطى فيما ذهب إليه بشأن حكمه على القضية الشرطية فى قول الله تعالى : « وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ الآية (٥) بأنها (شرطية اتفاقية) وليست (شرطية لزومية) لأن سبب عدم هدايتهم هنا ليس دعوة رسول الله ﷺ لهم للدخول فى الإسلام ، وإنما سبب ذلك هو إرادة الله تعالى السابقة فى علمه الأزلى بعدم اهتدائهم لدعوة رسول الله ﷺ ومن ثم عدم دخولهم فى الإسلام .

وبهذا يخالف الشنقيطى كلاً من الزمخشري وأبى حيان اللذين يحكمان على القضية

(١) الكهف : ٥٧ - وانظر (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) : لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - ٦٨١/٢ - الطبعة ١ - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م .

(٢) الكهف : ٥٧ . (٣) الكهف : ٥٧ .

(٤) انظر (البحر المحيط) : لأبى حيان الأندلسي - ١٣٢/٦ - دراسة وتحقيق وتعليق : (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ على محمد عرض) وشارك فى تحقيقه : (د. زكريا الترنى - د. أحمد النجولى) وقرظه : د. عبد الحى الفرماوى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .

(٥) الكهف : ٥٧ .

الشرطية بأنها (شرطية لزومية) وليست (شرطية اتفافية) حيث يريان أن دعوة رسول الله ﷺ للكفار إلى الهدى هي السبب في عدم اهتدائهم بل وإصرارهم الأبدى على عدم الدخول في هذا الدين ومعاداة أنصاره ؛ غير أن هذا الذي ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان مردود من وجهين :

١- الوجه الأول :

لإسناد انتفاء اهتدائهم إلى إرادة الله عزّ وجلّ وليس إلى دعوة رسول الله ﷺ لهم إلى الهدى ؛ وهذا ما تنطق به ذات الآية في قول الله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الآية^(١) فلما علم الله تعالى في الأزل ما سيكون من إعراضهم وما ستقدمه أيديهم بظلمهم ؛ لذا فقد ختم سبحانه على قلوبهم وأسماعهم ، فكان ذلك سبباً في عدم اهتدائهم على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم ، وهذا المعنى قد دلت عليه غير ما آية في القرآن العظيم كقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ الآيتان^(٢) وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآيات^(٣) إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت انتفاء اهتدائهم وفقاً لإرادة الله تعالى على ما سبق في علمه الأزلى ؛ فسبحانه جلّ شأنه حيث قال وقوله الحق : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية^(٤) .

٢- الوجه الثاني :

لقربه الحال التي يشهد بها واقع الدعوة إلى هذا الدين الحنيف ؛ حيث لم يلبث رسول الله ﷺ أن صدع بالدعوة امتثالاً لأمر ربه سبحانه في غير ما آية من آيات القرآن العظيم كقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ الآيتان^(٥) وقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الآية^(٦) وقوله تعالى : ﴿دَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية^(٧) حتى أسلم الكثيرون من أهله وعشيرته من قريش خاصة ، فضلاً

(٢) البقرة : ٦-٧ (آيتان) .

(٤) التكوير : ٢٩ .

(٧) النحل : ١٢٥ .

(٦) الشعراء : ٢١٤ .

(١) الكهف : ٥٧ .

(٣) يس : ٧ - ١٠ (أربع آيات) .

(٥) المدثر : ١-٢ (آيتان) .

عن غيرهم من صنديد الكفر وأئمتهم في مكة عامة ؛ بل حسن إسلامهم وكان منهم جلة الصحابة وعلمائهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ثم أخذ أنصار الإسلام وأتباعه يزدادون يوماً بعد يوم في سائر أنحاء جزيرة العرب وغيرها من أرض الله تعالى مع ثبات رسول الله ﷺ والذين آمنوا معه واستمرارهم في القيام بأمر الله والدعوة إلى دينه ؛ ولا يزالون كذلك حتى أتم الله عليهم النعمة ، وأسبغ لهم المنة ، بالفتح العظيم ، والنصر المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ الآيات (١) .

وهكذا فلم تكن دعوة رسول الله ﷺ لأهل الكفر إلى الهدى سبباً في انتفاء هدايتهم ؛ وذلك بدليل إسلام ما لا يعدُّ لا يُحصى من خاصتهم وعامتهم ، إذ لو كانت هذه الدعوة سبباً في انتفاء هدايتهم لما كان أسلم من أسلم ، ولما كان اهتدى من اهتدى ، بل ولما كان الإسلام ذاته قد وصل إلينا عصراً بعد عصر ، ومن مصر إلى مصر ، وسيظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وبهذا يتأكد لدينا أن عدم اهتداء هؤلاء إنما مرده أولاً وآخر إلى إرادة الله تعالى الذي سبق في علمه الأزلي ما سيكونون عليه من الضلال وتكبُّ الصراط ؛ وعليه فإنه تبرأ ساحة رسول الله ﷺ من أن تكون دعوته إياهم سبباً في انتفاء هدايتهم ، بل إن الأمر كله راجع إلى مشيئة الله تعالى وإرادته ، وقد نطق القرآن بهذا المعنى في أكثر من آية من آياته كقوله الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الآية (١) وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الآية (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الآية (٤) وقوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ الآية (٥) وقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ الآية (٦) وأخيراً قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ الآية (٧) .

* * *

(١) النصر : ١-٣ (ثلاث آيات هي السورة بأكملها) .

(٢) الأنعام : ٣٥ . (٣) الأنعام : ١٠٧ . (٤) الأنعام : ١٤٩ .

(٥) النحل : ٩ . (٦) الأعراف : ٣٠ . (٧) النحل : ٣٦ .

(٨) الشورى : ٨ .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّةُ الثانية : التفاصيل للمعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل الخامس : علم الكلام

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (علم الكلام) كموضوع أساسى يُصنَّفُ الآية تحتَه ، بل ويُوَجِّهُ معناها على هَدْيِهِ ، وذلك من خلال تفعيده النظرى ، ثم تطبيقه العلمى .

الفصل السادس علوم العربية

وينتظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التقعيد النظريّ .
- ٢ - المبحث الثامن : التطبيق العمليّ .

البحث الأول التعقيب النظري

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : أصول علوم العربية :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : قواعد اللغة .

ب - المسألة الثانية : فقه اللغة .

ج - المسألة الثالثة : أدب اللغة .

٢ - المطلب الثاني : تصنيف علوم العربية :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : التوطئة والتمهيد .

ب - المسألة الثانية : الاستقصاء والتفصيل .

ج - المسألة الثالثة : الخلاصة والتعقيب .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علوم العربية) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، يُصنّفُ تحته بعض ما يعرّض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

أصول علوم العربية

يترتب تصنيف الشنقيطى لعلوم العربية ومساائلها العديدة فى ثنايا تفسيره المختلفة على موقفه من أصول هذه اللغة التى أسّست عليها وقامت بها ، وهذا ما يتضح لنا بصورة جليّة من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

قواعد اللغة

- وتدور هذه القواعد عند الشنقيطى على محورين رئيسين يتمثلان فى كل من :
- المحور الأول (علم النحو) : ويتنازعه بدوره فرعان هما (القواعد) و (الإعراب) .
 - المحور الثانى (علم الصرف) : ويتنازعه أيضاً فرعان هما (الاشتقاق) و (الوزن) .

المسألة الثانية

فقه اللغة

- ويدور هذا الفقه عند الشنقيطى على محورين رئيسين يتمثلان كذلك فى كل من :
- المحور الأول : المعاجم .
 - المحور الثانى : الضبط .

المسألة الثالثة

أدب اللغة

- ويدور هذا الأدب عند الشنقيطى على محورين رئيسيين يتمثلان أيضاً فى كل من :
- المحور الأول (البلاغة) : ويتنازعها بدورها فرعان هما (المباحث) و (الأساليب) .
 - المحور الثانى (الشعر) : ويتنازعه أيضاً جانبان هما (النماذج) و (الاحتجاج) .
- والى جملة هذه الأصول التى بُنيت عليها علوم العربية من (قواعد وفقه وأدب)

يشير الشنقيطى فى (مقدمة تفسيره) على وجه العموم قائلاً : وقد تضمن هذا الكتاب تحقيق بعض المسائل اللغوية ، وما يُحتاج إليه من صرف وإعراب ، مع الاستشهاد بشعر العرب فى مواضعه المختلفة من التفسير^(١) .

المطلب الثانى

تصنيف علوم العربية

يتميز تصنيف الشنقيطى لعلوم العربية التى يعرض لها فى ثنايا تفسيره المختلفة بثلاث خصائص ثابتة لا تكاد تتغير سواء فى تناوله للمتفق عليها منها ، أو الأخرى المختلف فيها ، وتمثل هذه الخصائص التصنيفية الثلاث من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

التوطئة والتمهيد

حيث يوطئ الشنقيطى بين يدي ما يعرض له من علوم العربية بتسمية بابها وتحديد موضوعها ؛ وذلك تمهيداً لتناولها على نحو مفصل ، وهذا مما لا يكاد يتخلف عنه فى سائر ما يعرض له من هذه العلوم التى يُصنّف من خلالها موضوع هذه الآية أو تلك ، كما سترى ذلك فى تطبيقه العملى بعد قليل .

المسألة الثانية

الاستقصاء والتفصيل

وحالما يفرغ الشنقيطى من توطئته للعلم الذى يعرض له تمهيداً لتناوله ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى استقصاء أقوال علماء العربية بشأنه ، وتفصيل أدلتهم فيه ، هذا فضلاً عن مناقشة تلك الأقوال والردّ عليها كما سترى ذلك فى تطبيقه العملى بعد قليل .

المسألة الثالثة

الخلاصة والتعقيب

بعد أن يفرغ الشنقيطى من استقصاء ما يعرض له من علوم العربية ، وبعد أن يفصل

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٨/١ (من المقدمة) .

القسم الثاني : الباب الثاني : السُّمَّة الثانية : التَّاصِيل للعلوم العربية والإسلامية _____ الفصل السادس : علوم العربية

القول فيها؛ فإنه يَعْمَدُ دوماً إلى ذكر خلاصة ما تحصَّل عنده من أقوال العلماء وآرائهم إزاء هذا العلم أو ذلك ، وفي النهاية يختم كلامه بذكر تعقيب على تلك الخلاصة يضمِّنه بعض الأمور التي تزيدها شرحاً وإيضاحاً ، كما سنرى ذلك في تطبيقه العمليِّ بعد قليل .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطي هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليِّ على ذلك التقعيد النظريِّ .

المبحث الثاني التطبيق العمليّ

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (أصول العربية) :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : تطبيق قواعد اللغة .

ب - المسألة الثانية : تطبيق فقه اللغة .

ج - المسألة الثالثة : تطبيق أدب اللغة .

٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (تصنيف العربية) :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : تطبيق التوطئة والتمهيد .

ب - المسألة الثانية : تطبيق الاستقصاء والتفصيل .

ج - المسألة الثالثة : تطبيق الخلاصة والتعقيب .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علوم العربية) حيث يجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تفعيده النظرى ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى التى تُعدّ تطبيقاً على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلبين التالين :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

أصول علوم العربية

ويتمثل تطبيق الشنقيطى على ذلك من خلال تناوله لكل من (قواعد اللغة) ثم (فقه اللغة) وأخيراً (أدب اللغة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تطبيق قواعد اللغة

وقد عرّضَ لها الشنقيطى من خلال محوريتها الرئيسين المتمثلين فى كل من :

• علم النحو:

ويتوزع تناول الشنقيطى لمسائل علم النحو وقضاياها المختلفة من خلال فرعيه المتمثلين فى كل من :

١- القواعد:

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَنَادَوْا وَآلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ الآية^(١) نراه يوافق ما أجمع عليه جمهور النحاة من أن (آلات) إنما تعمل عمل (ليس) وذلك فى (الحين) خاصة ، أو فى لفظ الحين ونحوه من الأزمنة عامة مثل (الساعة والأوان) كما أنه لا بد أن يُحذَفَ اسمها أو خبرها ، وفى ذلك يقول ما نصه :

وقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿وَآلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ معناه : ليس الحين الذى نادوا فيه (وهو وقت معاينة العذاب) حين مناص (أى ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذى عينوه) فقولته تعالى : ﴿وَآلَاتٍ﴾ عبارة عن (لأ) وهى لا السنافية ، ثم (ت)

وهي تاء التأنيث اللفظية التي زيدت هنا في (لا) فقيل : (لأت) كما زيدت في (ثم) فقيل : (ثُمَّت) وفي (رُب) فقيل : (رُبَّت) .

وأشهر أقوال النحويين فيها أنها تعمل عمل (ليس) وأنها لا تعمل إلا في (الحين) خاصة ، أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة مثل (الساعة والأوان) كما أنها لا بد أن يُحذف اسمها أو خبرها ، والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب ، وربما عكس كما قال سيويه ، وإليه أشار ابن مالك في (الخلاصة) بقوله :

في النكِرَاتِ أَعْمَلَتْ كَلَيْسَ (لَا) وقد تَلَى (لَأْتُ) و (إِنْ) ذَا الْعَمَلِ
وَمَا لـ (لَأْتُ) فِي سِوَى (حِينَ) عَمَلٍ وَحَذَفُ ذِي الرَّفْعِ فَشَأْ وَالْعَكْسُ قَلَّ

ثم اعلم أن أصوب الأقوال في (لأت) أن التاء منفصلة عن (حين) وأنها تعمل عمل (لَيْسَ) وذلك خلافاً لِمَنْ قال : إنها تعمل عمل (إِنَّ) وَلِمَنْ قال : إن التاء متصلة بحين وأنه رآها في مصحف الإمام (وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه) متصلة بها^(١) .

٢ - الإعراب :

أكثر الشنقيطي من إعرابه للعديد من الآي في ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أنه لا يعتمد إلى ذلك إلا حينما تتنازع هذه الآية أو تلك عدة وجوه إعرابية ؛ ومن ثم يلجج باب إعرابها ليبيّن ما اتفق عليه جمهور النحاة بشأنها .

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية^(٢) نراه يتناول وجهي إعراب كلمة (مِلَّة) المتمثلين في النصب على نزع الخافض أو النصب على محذوف قبلها ، مرجحاً الوجه الثاني منهما ، وفي ذلك يقول ما نصه :

قال بعضهم : هو منصوب بنزع الخافض ومال إليه ابن جرير الطبري أي (ما جعل عليكم في دينكم من ضيق كلمة إبراهيم) وأعربه بعضهم منصوباً بمحذوف أي (الزموا مِلَّةَ أَبِيكُمْ) ولا يبعد أن يكون قوله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ شاملاً لما ذُكِرَ قبله من الأوامر في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٧/٧ - ١٨ .

• وانظر نص وشرح هذه الآيات في (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٣٠١/١ (فصل في : ما ولا ولات وإن المشبهات بليس) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) الحج : ٧٨ .

وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿ الآيتان^(١) ويوضح هذا قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية^(٢) والدين القيم الذي هو ملة إبراهيم شامل لما ذُكر كله^(٣) .

• علم الصرف :

ويتوزع تناول الشنقيطى لمسائل علم الصرف وقضاياها من خلال فرعيه المتمثلين فى كل من :

١- الاشتقاق :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية^(٤) نراه يتناول الوضع الصرفى لكلمة (تَبَارَكَ) من حيث الجمود والاشتقاق موضحاً أنه فعل جامد لا يتصرف ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

اعلم أن قول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل جامد لا يتصرف ؛ فلا يأتى منه (مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل) ولا غير ذلك ، كما أنه مما يختص به الله تعالى ؛ فلا يقال لغيره : (تَبَارَكَ) وذلك خلافاً للأصمعى^(٥) .

٢- الوزن :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ الآية^(٦) نراه يتناول الوزن الصرفى لكلمة (جَهَنَّمَ) مرجحاً ما ذهب إليه بعض العلماء من أن (النون المشددة) زائدة ، وأن أصلها (جَهَمَ) ومن ثم فإن وزنها الصرفى هو (فَعَّلَل) وفى ذلك يقول ما نصّه :

اختلف العلماء فى وزن (جَهَنَّمَ) بالميزان الصرفى ، فذهب بعض علماء العربية إلى أن وزنها (فَعَّلَل) فالنون المضعفة زائدة ، وأصل المادة : الجيم والهاء والميم من (جَهَمَ) بمعنى (عَبَسَ وجهه) لأنها تلقاهم بوجه متجههم عَابِس ، كما أن وجوههم تعبس فيها لما يلاقون من ألم العذاب .

(١) الحجّ : ٧٧ - ٧٨ (آيتان) .
 (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٤٩/٥ - ٧٥٠ .
 (٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٦٣/٦ .
 (٤) الأنعام : ١٦١ .
 (٥) الفرقان : ١ .
 (٦) التوبة : ٨١ .

ومن ذلك قول مسلم بن الوليد الأنصاري :

شَكَوْتُ إِلَيْهَا حَبَّهَا فَتَبَسَّمتُ وَلَمْ أَرِ شَمْسًا قَبْلَهَا تَبَسَّمُ
فقلتُ لها : جُودِي فَأَبَدَتْ تَجَهُّمًا لِتَقْتَلَنِي يَا حُسْنَهَا إِذْ تَجَهَّهْمُ

وتقول العرب : (جَهْمَةٌ) إذا استقبله بوجه كرهه مجتمع ، ومن ذلك قول عمرو بن
الفضفاض الجهني :

وَلَا تَجْهَمِينَا أُمَّ عَمْرٍو فَإِنَّمَا بِنَا دَاءُ ظَبْيٍ لَمْ تَخْنَهُ عَوَامِلُهُ

كما قال بعض العلماء : (جَهْمٌ) فارسية معربة وأصلها : (كَهْمٌ) وتعنى بلسانهم
(النار) ثم عربته العرب فأبدلوا الكاف جيماً^(١) فصارت (جَهْنَام) ثم شددوا النون وحذفوا
الألف فصارت (جَهَنَّمَ) .

المسألة الثانية

تطبيق فقه اللغة

وقد عرّض له الشنقيطي من خلال محوريه الرئيسين المتمثلين في كل من :

• المعاجم :

حيث يعرّض الشنقيطي لأصل المعنى الموضوع لبعض مفردات الآية التي هو بصدددها ،
ومبيناً في نفس الوقت ما لها من معانٍ أخرى في استعمالاتها المختلفة ، ومن ذلك ما صنعه
إزاء ذكره للمعنى المعجمي لكل من (أُمَّة) و (عائلة) و (شُعوب) كما يلي :

١- كلمة (أُمَّة) :

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمْ عَنِ الْعَذَابِ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾
الآية^(٢) نراه يتناول المعاني المعجمية الأربعة التي وردت عليها كلمة (أُمَّة) في القرآن الكريم
فيقول ما نصّه : استعمل لفظ (أُمَّة) في القرآن الكريم أربعة استعمالات تشمل كلا من :
الأول : هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة بمعنى (البرهنة من الزمن) .

الثاني : استعمالها بمعنى (الجماعة من الناس) وهو الاستعمال الغالب لها كقول الله
تعالى : ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾
الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ الآية^(٥) إلى غير ذلك من الآيات .

(٢) هود : ٨ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٧٢/٢ - ٤٧٣ .

(٥) البقرة : ٢١٣ .

(٤) يونس : ٤٧ .

(٣) القصص : ٢٣ .

الثالث : استعمالها بمعنى (الرجل المُتَدَيِّ به) كقول الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ الآية^(١).

الرابع : استعمالها بمعنى (الشريعة والطريقة) كقول الله تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ الآية^(٣) إلى غير ذلك من الآيات^(٤).

٢ - كلمة (عائلة) :

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) الآية^(٥) نراه يتناول المعاني المعجمية الإحدى عشرة التي عليها (عائلة الرجل) بمناسبة ذكر كلمة (عقبه) في هذه الآية الكريمة ، وفي ذلك يقول ما نصّه : والألفاظ التي يتكلم عليها العلماء في هذا المبحث هي أحد عشر لفظاً تشمل كلاً من :

(الذرية والبنين والعقب والوكد والنسل) وأن أربعة منها يدل ظاهر القرآن على أنها يدخل فيها أولاد البنات ، وواحد بخلاف ذلك وهو (الوكد) .

وأما الستة الباقية منها فهي : (الأل والأهل) ومعناها واحد ، ثم (القرابة والعشيرة والقوم والموالي) وكلام العلماء مضطرب فيها .

ويعد ذلك يذهب الشنقيطي إلى الاستشهاد لمعنى كل من (القرابة والعشيرة) بما ورد بشأنهما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومشيراً إلى أنه لم يحضره شيء بشأن تحديد ما يدخل في كل من هذه الألفاظ الإحدى عشرة وما يخرج عنها إلا على سبيل التقريب سوى لفظين منها وهما (القرابة والعشيرة) ثم يختم ذلك كله بقوله :

ولم نُظَلِّ الكلام هنا في جميع هذه الألفاظ المذكورة التي هي أحد عشر لفظاً خوف الإطالة ؛ ولأننا لم نجد نصوصاً من الوحي تحدّد شيئاً منها تحديداً دقيقاً^(٦) .

٣ - كلمة (شعوب) :

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الآية^(٧) نراه يتناول طبقات العرب السُّت من خلال تناوله لمعنى (شعوباً وقبائل) في هذه

(١) النحل : ١٢٠ . (٢) الزخرف : ٢٢ . (٣) الأنبياء : ٩٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/١٣ - ١٤ . (٥) الزخرف : ٢٨ - ٣٠ (ثلاث آيات) .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٢٣٠ - ٢٤١ . (٧) الحجرات : ١٣ .

الآية الكريمة ، وفي ذلك يقول ما نصَّه : والشعوب جمع شَعْبٌ : وهو الطبقة الأولى من الطبقات السُّت التي عليها العرب وهي :

(الشَّعْبُ والقبيلة والعمارة والبطن والفتحذ والفضيلة) فالشعب يجمع (القبائل) ، والقبيلة تجمَع (العمائر) ، والعمارة تجمَع (البطن) ، والبطن يجمع (الأفخاذ) ، والفتحذ يجمع (الفصائل) وأمثال هذه الطبقات في العرب هي : (خزيمة) شعب - (كنانة) قبيلة - (قريش) عمارة - (قُصَي) بطن - (هاشم) فخذ - (العباس) فصيلة .

وسميت (الشعوب) لأن القبائل تشعب منها ، كما لم يُذكَر من هذه الطبقات السُّت في القرآن الكريم إلا ثلاث منها اثنتان في هذه الآية الكريمة وهما (الشعوب والقبائل) والثالثة وهي (الفصيلة) في قول الله تعالى : ﴿وَقَصِيْلَتِ اَلَّتِي تُرْوِيهِ ﴿الآية﴾^(١) .

ثم اعلم أن العرب قد تطلق بعض هذه الطبقات السُّت على بعض ، ومن ذلك إطلاق (البطن) على (القبيلة) في قول الشاعر :

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ^(٢)

● الضَّبْطُ :

لا يفتأ الشنقيطي أن يُنبه إلى الضبط الصحيح لما يعرض له من المفردات والأعلام مبيِّناً حقيقة ما نطقت به العرب منها ، وكاشفاً عن مرادها بها ، ومن ذلك ما صنعه إزاء كلمتي (النَّاتُ وَأَكْيَاتُ) ثم اسم (حِمَّاسُ) على النحو التالي :

١ - كلمتا (النات) و(أكيات) :

ففي معرِّض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ الآية^(٣) نراه يتناول هاتين الكلمتين بالضبط الصحيح مبيِّناً حقيقة نطق العرب بهما ومقصودها منهما ، وفي ذلك يقول ما نصه :

يُرَدُّ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى الْعَرَبِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّهَا كَانَتْ تَزْوِجُ الْجِنَّ وَتَبَاذَعُهَا ؛ حَتَّى رَوَى أَنَّ عَمْرُو بْنَ يَرْبُوعَ بْنَ حَنْظَلَةَ بْنَ مَالِكٍ تَزْوِجُ سِعْلَةَ

(١) المعارج : ١٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٦٣٤/٧ - ٦٣٦ .

(٣) النحل : ٧٢ .

منهم^(١) وكان يخبؤها عن سنا البرق لثلاثا تراه فتتفر منه ، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعايته السُّعْلَاءَة ؛ فقالت : (عمرو !!) ونفرت منه فلم يرها أبداً ، ولذا قال علباء بن أرقم يهجو أولاد عمرو المذكور :

أَلَا لَحَىٰ اللهُ بَنِي السُّعْلَاءَةِ عمرو بن يربوع لثام النَّاتِ
ليسوا بأعفاف ولا أكيَات

وقوله : (النَّاتِ) أصله (النَّاسِ) حيث أُبدلت فيه السين تاءً ، وكذلك قوله : (أكيَات) أصله (أكيَّاس) جمع (كيَّس) حيث أُبدلت فيه السين تاءً أيضاً^(٢) .

٢- اسم (حِمَّاس) :

ففي مَعْرِضٍ تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية^(٣) نراه يثبت أخذ زكاة عُرُوضِ التجارة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون أن يخالفه في ذلك أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومعتضداً له بالحديث الوارد عن (حِمَّاس) المقصود قائلًا ما نصه :

ويعتضد لهذا بما ثبت عن أبي عمرو بن حِمَّاس ، أن أباه حِمَّاساً قال : (مررت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه) إلى آخر الأثر^(٤) .

وبعد أن يفرغ الشنقيطي من ذكر هذا الأثر بطرقه المختلفة ، ورواياته المتعددة ؛ يَعْمَدُ عندئذٍ إلى ضبط اسم (حِمَّاس) قائلًا : و (حِمَّاس) بكسر الحاء وتخفيف الميم وآخره سين مُهْمَلَةٌ^(٥) .

المسألة الثالثة

تطبيق أدب اللغة

وقد عرض له الشنقيطي من خلال محوريه الرئيسين المتمثلين في كل من :

- (١) السُّعْلَاءَة والسُّعْلَى : أى الغُول ، وقيل : هى ساحرة الجنِّ ، ومنه قولهم : (اسْتَسَعَلَتِ الْمَرْأَةُ) إذا صارت كالسُّعْلَاءَة خبيثًا وسَلَاطَةً ، أو يقال للمرأة الصَّخَّابَةُ البَيْدِيَّةُ ، أو قبيحة الوجه سيئة الخلق ، والجمع (سَعَالِي وسَعَالِيَّات) - انظر مادة (سَعَل) فى لسان العرب : ٢٠١٨/٣ .
- (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٣١٧ - ٣١٨ .
- (٣) التوبة : ٣٤ .
- (٤) راجع تفصيل هذا الأثر ص من هذا البحث .
- (٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٤٦٠ .

● البلاغة :

ويتنازعها في تفسير الشنقيطي فرعان يتمثلان في كل من (المباحث) و (الأساليب) على النحو التالي :

١- المباحث :

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الآية^(١) نراه يتناول المبحث المعروف عند البلاغيين بـ (التشبيه المقلوب) حيث يذكر أقوالهم فيه مع أدلته المعتبرة من القرآن الكريم ذاته ، ومن كلام العرب وأشعارهم ، وفي ذلك يقول ما نصّه :

قال بعض العلماء : (في الكلام قَلْب) وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره ، حيث قالوا : والمعنى (ويوم تُعْرَضُ النار على الذين كفروا قالوا) وهو كقول العرب : (عرضت الناقة على الحوض) يعنون : (عرضت الحوض على الناقة) ويدل لهذا قول الله تعالى : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ الآية^(٢) .

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : هذا النوع الذي ذكره من القلب في الآية كقلب الفاعل (مفعولاً) والمفعول (فاعلاً) ونحو ذلك ، وقد اختلف فيه علماء العربية فمنعه البلاغيون إلا في (التشبيه) حيث أجازوا قلب (المشبه) مشبهاً به ، وقلب (المشبه به) مشبهاً بشرط أن يتضمن ذلك نكتة أو سرّاً لطيفاً كما هو المعروف عندهم في مبحث (التشبيه المقلوب) وقد أجازاه كثير من علماء العربية .

والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به العرب في لغتها ، إلا أنه (يُحْفَظُ ما سُمِعَ منه ولا يُقَاسُ عليه) ومن أمثلته في (التشبيه) قول الراجز :

ومنهَلٌ مُغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كأن لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أى : كأن سماءه لون أرضه .

ومنه كذلك قول الآخر :

ويبدأ الصبّاحُ كأن غُرَّتَهُ وجهُ الخليفةِ حين يمتدحُ

(١) الأحقاف : ٢٠ .

(٢) الكهف : ١٠٠ .

لأن أصل المراد : تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح ؛ فقلَّب التشبيه ليوهم أن الفرع أقوى من الأصل في وجه التشبيه .

كما قالوا : ومن أمثله في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ الآية^(١) لأن العُصْبَةَ من الرجال هي التي تنوء بالمفاتيح أي تنهض بها بمشقة وجهه لكثرتها وثقلها ، ومنه كذلك قول الله تعالى : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ الآية^(٢) أي : عموا عنها ، ومن أمثله في كلام العرب قول كعب بن زهير :

كَأَنْ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرَقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقَوْرِ الْعَسَاقِيلُ

لأن معنى قوله : (تَلَفَع) أي لبس اللفاح وهو اللحاف ، و (القَوْر) أي الحجارة العظام ، و (العَسَاقِيل) أي السراب ، والكلام هنا مقلوب ؛ لأن (القَوْر) هي التي تلتحف بـ (العَسَاقِيل) لا العكس ، وهذا ما أوضحه ليبد بن ربيعة العامري في معلقته بقوله :

فبتلك إذا رقص اللوامع بالضحى واجتباب أردية السراب إكامها

فصرح بأن (الإكام) التي هي الحجارة قد (اجتابت) أي لبست أردية السراب ، و (الأردية) جمع رداء ، وهذا النوع من القلب وإن أجازه بعضهم إلا أنه لا ينبغي حمل الآية عليه ؛ لأنه خلاف الظاهر ، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه ، وظاهر هذه الآية جارٍ على الأسلوب العربي الفصيح^(٣) .

هذا إلى غير ذلك من المباحث البلاغية التي عرض لها الشنقيطي في ثنايا تفسيره المختلفة مثل : (مبحث القصر) و (مبحث المشاكلة) و (مبحث الاستعارة)^(٤) .

٢- الأساليب :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) الآية^(٥) نراه يتناول أسلوب (إطلاق المفرد الذي يراد به الجمع) كما أطلق (النجم) في هذه الآية الكريمة وهو (مفرد) في حين أريد به (النجوم) وهي (جمع) وفي ذلك يقول ما نصّه :

قيل : المراد بالنجم أي (نجوم السماء) وعليه فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع كقول الله

(١) القصص : ٧٦ . (٢) القصص : ٦٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٩١/٧ - ٣٩٢ .

(٤) راجع تفصيل هذه المباحث البلاغية على الترتيب في (أضواء البيان) : ١٠٣/١ - ٣٨٨/٣ - ٤٥٢/٦ .

(٥) النجم : ١ - ٤ (أربع آيات) .

تعالى : ﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ الآية^(١) يعنى (الأدبار) وقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الآية^(٢) يعنى (الملائكة) وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية^(٣) يعنى (الغُرف) ، وقد قدمنا أمثلة كثيرة لهذا فى القرآن الكريم فى سورة الحج عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طفلاً﴾ الآية^(٤) .

كما أن إطلاق (النجم) ويراد به (النجوم) معروف فى لغة العرب ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

ثم قالوا : تُحِبُّهَا قَلت : بُهْرًا عددَ النجمِ والحصى والتراب^(٥)
وكذلك قول الراعى :

فَبَاتتْ تُعدُّ النجمَ فى مُستَحيرة سَرِيعٌ بِأيدى الأكلين جُمودها^(٦)

هذا إلى غير ذلك من الأساليب البلاغية الأخرى التى عرَّضَ لها الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة مثل : (صبيغة أفعَلٌ فى فعل الأمر التى تأتى للتهديد كما هو مقرر فى فن المعانى) وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية^(٧) .

• الشعر :

ويتنازعه فى تفسير الشنقيطى جانبان يتمثلان فى كل من (النماذج) و (الاحتجاج) على النحو التالى :

١- النماذج :

شملت شواهد الشنقيطى الشعرية فى تفسيره مختلف أغراض الشعر وعصوره بدءاً من العصر الجاهلى ومروراً بالعصر الإسلامى وانتهاءً بالعصر الحديث ، كما لم تقتصر هذه النماذج على الشعراء من الرجال ، بل امتدت إلى الشواعر من النساء ، وقد شملت أيضاً شعراء الشناقطة من أهل بلاده إلى جانب غيرهم ، وفيما يلى نكتفى ببعض هذه النماذج تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

(١) القمر : ٤٥ .

(٢) الفجر : ٢٢ .

(٣) الفرقان : ٧٥ .

(٤) الحج : ٥ .

(٥) البُهرُ : تتابع النَّفس - انظر مادة (بَهْر) فى مختار الصحاح : ص ٦٧ - والمعنى : أنه يحبها بشدة إلى درجة تتابع أنفاسه وتلاحقها بسبب لهفته عليها واشتياقه إليها .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٩/٧ .

(٧) الحِجْر : ٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١١٧/٣ .

• من الشعر الجاهلي:

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْبِرِينَ﴾ الآية^(١) نراه يتناول معنى (المقوين) مستشهداً عليه بقول الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد العبسي المكنى بـ (أبي المغلس) في معلقته ، حيث يقول الشنقيطي في ذلك ما نصه : وكل شيء خلا من الناس يقال له : (أقوى) فالرجل إذا كان في الخلا قيل له : (أقوى) والدار إذا خلت من أهلها قيل لها : (أقوت) ومنه قول عنترة :

حَيْثَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَّ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ^(٢)

• من الشعر الإسلامي:

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ الآية^(٣) نراه يتناول معنى (تَعَاطَى) مستشهداً عليه بقول الشاعر الإسلامي الصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه حيث يقول الشنقيطي في ذلك ما نصه : والعرب تقول : (تعاطى كذا) إذا (فعله أو تناوله) كما تقول : (عاطاه) إذا (تناوله) ومنه قول حسان رضي الله عنه :

كَلَّتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ^(٤)

• من النساء الشواعر:

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ الآية^(٥) نراه يتناول معنى (العزة) مستشهداً عليه بقول الشاعرة الإسلامية الصحابية الجليلة الخنساء رضي الله عنها فيقول في ذلك ما نصه : والظاهر أن وجه إطلاق العزة على (الحمية والاستكبار) أن من اتصف بذلك كأنه ينزل نفسه منزلة الغالب القاهر وإن كان الأمر ليس كذلك ؛ لأن أصل العزة في لغة العرب (الغلبة والقهر) ومنه قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٦) والعرب يقولون : (من عز بز) يعنون (من غلب استلب) ومنه قول الخنساء :

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمَى يُحْتَشَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ (مَنْ عَزَبَ)^(٧)

(١) الواقعة : ٧٣ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٧٩٦ .

(٣) القمر : ٢٩ . (٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/٧٢٣ .

• وانظر شرح البيت المذكور في (ديوان حسان بن ثابت الأنصاري) : تصحيح وشرح د.

محمد عزت نصر الله ص ١٨٤ - منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٥) ص : ٢ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/١٣ .

(٦) المنافقون : ٨ .

• من شعراء الشناقطة :

ففى مَعْرَضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ الآية^(١) نراه يتناول عَظْمَ كَيْدِ النِّسَاءِ مستشهداً عليه بما ورد فى القرآن الكريم ذاته ، ثم بما أكدته سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وأخيراً بما صاغه شعراً الشاعر الشنقيطى الحسن بن أبى الحَسَنِ ، وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

هذه الآية الكريمة إذا ضُمَّتْ لها آية أخرى حَصَلَ بِذَلِكَ بيان أن كَيْدَ النِّسَاءِ أعظم من كَيْدِ الشَّيْطَانِ ، والآية المذكورة هى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ الآية^(٢) لأن قوله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ يدل على أن كَيْدَ النِّسَاءِ أعظم من كَيْدِ الشَّيْطَانِ .

قال القرطبيّ : قال مقاتل عن يحيى بن أبى كثير عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ أعظم من كَيْدِ الشَّيْطَانِ» لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ وقال : ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ الحديث^(٣) .

وقال الأديب الحسن بن أبى الحَسَنِ الشنقيطى :

ما استعظم الإله كَيْدَهُنَّ إِلَّا لَأَنَّهُنَّ هُنَّ هُنَّ^(٤)

٢ - الاحتجاج :

يُرَوِّفُ الشنقيطى ما يسوقه من شواهد شعرية فى الاحتجاج لما يذهب إليه إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ومن ذلك ما صنعه فى مَعْرَضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾

(١) يوسف : ٢٨ .

(٢) النساء : ٧٦ .

(٣) والحديث المذكور أورده القرطبيّ فى مَعْرَضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف : ٢٨ - انظر (الجامع لأحكام القرآن) : لأبى عبد الله القرطبيّ ١٧٢/٩ - ١٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٢/٣ .

والشاعر هنا بعد أن أجهده البحث عن سبب عَظْمِ كَيْدِ النِّسَاءِ ؛ فلم يجد بُدّاً من أن يضع أيدينا على ذلك السبب من حيث لا سبب سوى أن عَظْمَ كَيْدِ النِّسَاءِ يرجع إلى طبيعة خلقهنّ وفطرة الله تعالى فيهنّ ؛ ومن ثم فإنّ المرأة هى المرأة ، وإن اختلفت الديار والأمصار ، وتعاقبت الدهور والأعصار .

ولتأكد بذلك الحقيقة القرآنية الخالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومنّ عليها ألا وهى : (ما خَلَقَ اللهُ تعالى شيئاً واستعظمه قدر ما استعظم كَيْدَ النِّسَاءِ ، وما خَلَقَ اللهُ تعالى شيئاً واستحقّره قدر ما استحقّره كَيْدَ الشَّيْطَانِ) والله تعالى أعلى وأعلم .

الآية^(١) حيث نراه يرجح أن سكنى نبيّ الله سليمان بن نبيّ الله داود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام كانت ببلدة (تَدْمُر) ببلاد الشام .

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بما ورد على لسان الشاعر العربى الشهير النابغة الذبيانيّ ، حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصّه : وقد قال نابغة ذُبْيَان :

إلّا سليمان إذ قال الإله له قُم إلى البرية فأحددها عن الفند
وخيسَ الجنُّ إنى قد أذنتُ لهم يئنون (تَدْمُر) بالصَّفاح والعمد

و (تَدْمُر بلد بالشام) وذلك مما يدل على أن (الشام) هو محلُّ سكناه كما هو معروف^(٢) .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

تصنيف علوم العربية

وفيما يلى نكتفى بذكر شاهد واحد تجتمع فيه الخصائص التصنيفية الثلاث التى أشرنا إليها فى التقعيد النظرى ، والتى تميّز تصنيف الشنقيطى لما يعرّض له من مبحث لغوى تدرج تحته هذه الآية أو تلك ؛ حيث تتجلى هذه الخصائص الثلاث هنا من خلال عرضنا للمسألة اللغوية المتمثلة فى : (أن) المصدرية الناصبة ، والمخففة من الثقيلة بأحوالها المختلفة ، وذلك تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الاولى

تطبيق التوطئة والتمهيد

ففى مَعْرِضِ تَفْسِيرِ الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ الآية^(٣) نراه يمهد لتلك المسألة قائلاً : واعلم أن المقرر فى علم النحو أن : (أن) لها ثلاث حالات هى :

(١) الأنبياء : ٨١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٧٧/٤ .

• الفند : الحَرْفُ وإنكارُ العقل من الهرم أو المرض ، كما يعنى الخطأ فى الرأى والتكذيب والتعجيز - انظر مادة (فند) فى لسان العرب : ٣٤٧٢ / ٥ .

(٣) طه : ٨٩ .

الحالة الأولى : أن تكون مخففة من الثقيلة قولاً واحداً .

الحالة الثانية : أن تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ، أو تكون محتملة لكونها المخففة من الثقيلة .

الحالة الثالثة : أن تكون مصدرية ناصبة للمضارع قولاً واحداً .

المسألة الثانية

تطبيق الاستقصاء والتفصيل

وبعد أن يمهد الشنقيطي لتلك المسألة نراه يلج عندئذ إلى تناولها على نحو من الاستقصاء والتفصيل من خلال عرضه لكل حالة من الحالات المذكورة على حدة ، حيث يشرع في ذلك قائلاً :

الحالة الأولى : أن تكون مخففة من الثقيلة قولاً واحداً ، ولا يحتمل أن تكون (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع .

وضابط هذه المسألة أن تكون بعد فعل للعلم وما جرى مجراه من الأفعال الدالة على اليقين ، وذلك كقول الله تعالى : ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الآية^(٢) ونحو ذلك من الآيات .

ومنه كذلك قول الشاعر :

واعلّمَ فَعَمَلُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ^(٣) أن سوف يأتي كل ما قُدِرَا

وقول الآخر :

في فِتْيَةِ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أن هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَخْفَى وَيَقْتَعِلُ

ثم إذا جاء بعد هذه المخففة من الثقيلة فعل مضارع فإنه يرفع ولا ينصب كقوله :

عَلِمُوا أَنْ يُؤْمَلُونَ فَجَادُوا قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوا بِأَعْظَمِ سُؤْلِ

و (أن) هذه المخففة من الثقيلة يكون اسمها مستكناً غالباً ، والأغلب أن يكون ضمير الشأن ، وقيل : لا يكون ضمير الشأن ، وخبرها الجملة التي بعدها، وإلى هذا أشار ابن

(٢) الجن : ٢٨ .

(١) المزمل : ٢٠ .

(٣) وفي رواية : (واعلّمَ فَعَمَلُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ) - راجع في ذلك (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) :

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٣٨٧/١ - (البيت رقم ١٠٦) .

مالك في (الخلاصة) بقوله :

وإن تُخَفَّفَ (أَنْ) فاسمُها استكنَّ والخبرَ اجعله جملةً من بعد (أَنْ)

وما سُمِعَ في شعر العرب من بروز اسمها في حال كونه غير ضمير الشأن فمن ضرورة الشعر كقول (جنوب أخت عمرو ذى الكلب) :

لقد علمَ الضيفُ والمزملون إذا اغْبَرَ أَفْقٌ وهَبَّتْ شَمَالاً
بأنك ربيعٌ وغيثٌ مَرِيعٌ وأنتَ هناك تكونُ الثَّمَالاً

ومنه أيضاً قول الآخر :

فلو أنكِ في يومِ الرخاءِ سألتيني طلاقكِ لم أبخلُ وأنتِ صَدِيقُ

الحالة الثانية : أن تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ، أو تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ، أو تكون محتملة للمضارع من الثقيلة .

وإن جاء بعدها فعل مضارع جاز نصبه للاحتمال الأول ، وجاز رفعه للاحتمال الثاني ؛ وعليه القراءتان السبعيتان في قول الله تعالى : ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ الآية^(١) بنصب (تكون) أو برفعه (تكون) وضابط (أَنْ) هذه أن تكون بعد فعل يقتضى الظن ونحوه من أفعال الرُّجْحَان ، وإذا لم يفصل بينها وبين الفعل فاصل فالنصب أرجح ؛ ولذا فقد اتفق جمهور القراء على النصب في قول الله تعالى : ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا﴾ الآية^(٢) .

كما قيل : إن (أَنْ) الواقعة بعد الشك ليس فيها إلا النصب ، وهذا ما نقله الصبان في حاشيته عن أبي حيان بواسطة نقل السيوطي عنه .

الحالة الثالثة : أن تكون (أَنْ) ليست بعد ما يقتضى لا اليقين ولا الظن ولا ما يجرى مجراها ؛ وإذن فهي المصدرية الناصبة للفعل المضارع قولاً واحداً .

المسألة الثالثة

تطبيق الخلاصة والتعقيب

وحالما يفرغ الشنقيطى من التوطئة والتمهيد ، ثم الاستقصاء والتفصيل ، بشأن مسألة (أَنْ) المصدرية الناصبة ، والمخففة من الثقيلة بأحوالها الثلاث المختلفة ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى ذكر خلاصة ما تحصيل عنده من مجموع ما عرض له من أقوال العلماء بأدلته المختلفة إزاء هذه المسألة .

(٢) العنكبوت : ٢ .

(١) المائدة : ٧١ .

ومن ثم ؛ فإننا نراه يُدرجُ هذه الخلاصة من خلال تعقيبه على سائر ما ذكره تحت ما قاله ابن مالك في (الفيته) بشأن أحوال (أن) الثلاث السابقة ، حيث يقول الشنقيطي في ذلك ما نصه : وإلى الحالات الثلاث المذكورة أشار ابن مالك في (الخلاصة) بقوله :

وَيَلْتَنُ أَنْصَبُهُ وَكَيْ كَذَا بَأَنْ لَا بَعْدَ عِلْمٍ وَالتِّي مِنْ بَعْدِ ظَنْ
فَأَنْصَبَ بِهَا وَالرَّفْعَ صَحَّحَ وَاعْتَقَدَ تَخْفِيفَهَا مِنْ (أَنْ) فَهُوَ مُطَرِّدٌ^(١)

وبهذا تكون قد علمت أوجه هذه المسألة بإيضاح ، كما رأيت أقوال العلماء وما اتفق عليه الجمهور منها بشأن إعمال (أن) في النصب إذا جاءت بعد فعل من أفعال الرَّجْحَانِ التي تفيد الظن والشك ، أو كانت بعد ما لا يفيد لا الظن ولا اليقين ، وما سوى ذلك فهي المخففة من الثقيلة غير العاملة فيما بعدها^(٢) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يعتمد (علوم العربية) كموضوع أساسي يُصنّفُ الآية تحته ، بل ويوجّه معناها على هديه ، وذلك من خلال تعميده النظري ، ثم تطبيقه العملي .

(١) انظر نص وشرح هذين البيتين في (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) : بتحقيق محمد محيي الدين بن عبد الحميد ٤/٣ - ٤ (باب : إعراب الفعل) .
(٢) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤/٤٩٨ - ٥٠٠ (ثلاث صفحات) .

الفصل السابع علم التاريخ

ويتنظم المبحثين التاليين :

- ١ - المبحث الأول : التعيد النظرى .
- ٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظريّ

ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : الوقائع :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : العصر الجاهليّ .

ب - المسألة الثانية : العصر الإسلاميّ .

٢ - المطلب الثاني : السير :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : السيرة الخاصة .

ب - المسألة الثانية : السيرة العامة .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم التاريخ) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسى ، يُصنّفُ تحته بعض ما يعرض له من الآيات بالفسير ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

الوقائع

يتنازع تلك الوقائع التاريخية فى تفسير الشنقيطى العصران المشهوران فى تاريخ هذه الأمة المتمثلان فى كل من المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

العصر الجاهلى

حيث يعرض الشنقيطى للعديد من وقائع هذا العصر الذى سبق ظهور الإسلام فى جاهلية العرب الأولى ، بما فى ذلك حروبهم وأيامهم ، ومختلف مراحل حياتهم ، وما اعتورها من مثالب ومظالم ، وما خيم عليها من تناحر وتباغض ؛ مما كان له أسوأ الأثر على عدم استقرارهم ، فضلاً عن إشاعة العنف بينهم .

المسألة الثانية

العصر الإسلامى

حيث يعرض الشنقيطى كذلك للعديد من وقائع هذا العصر منذ ظهور الإسلام وحتى عصره الذى كان يعيش فيه ، بما فى ذلك من جهاد المسلمين لإعلاء كلمة الله تعالى فى وجه أعداء الله ورسوله ﷺ وإرساء دعائم الدين الجديد بين معاقل الكفر ، ووسط بطون الشرك فى مكة آنذاك .

فضلاً عما أفرزه جهادهم من نتائج ، وما أرساه من مبادئ ، سادت فيما بعد حياتهم ، وساست أحوالهم ، سواء فى عصور الهزائم والانكسارات ، أو عصور المجد والانتصارات .

المطلب الثانى

السير

ويتنازع هذه السيرة فى تفسير الشنقيطى قسمان رئيسان يتمثلان فى كل من المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

السيرة الخاصة

ونعنى بها سيرة رسول الله ﷺ التى عرض لها الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة ،
والتي شملت كلاً من نسبه الشريف ، ثم مغازيه وسراياه ، وأخيراً بعض مراحل حياته
الشريفة بكل ما فيها من عظات وعبر في مقام اقتداء الأمة به ﷺ عملاً بقول الله تعالى :
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
الآية^(١) .

المسألة الثانية

السيرة العامة

ونعنى بها سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين التى عرض لها الشنقيطى فى ثنايا
تفسيره المختلفة ، والتي شملت ما كانت عليه حياتهم من أحداث ومواقف ، وفضائل
ومكارم ، وذلك إضافة إلى نصفتهم وعدلهم ، وقيامهم بأحكام دينهم على أنفسهم وذويهم
قبل غيرهم .

وفى هذا ما فيه من إرساء دعائم الحق ، والعدل بين الخلق ؛ ما جعل الأمة تقتدى
بهم ، وتسير على هديهم .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال
تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

المبحث الثاني التطبيق العملي

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (الوقائع) :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : تطبيق العصر الجاهلي .

ب - المسألة الثانية : تطبيق العصر الإسلامي .

٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانية (السير) :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : تطبيق السيرة الخاصة .

ب - المسألة الثانية : تطبيق السيرة العامة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم التاريخ) حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعميده النظرى ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى التى تُعدّ تطبيقاً على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلين التاليين :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

(الوقائع)

ويتمثل تطبيق الشنقيطى على ذلك من خلال تناوله لتلك الوقائع على مستوى العصرين (الجاهلى) و (الإسلامى) من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تطبيق العصر الجاهلى

ونكتفى من هذا العصر باستدعاء إحدى وقائعه التى تقوم شاهداً على غيرها مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهى :

• حرب البسوس :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ الآية^(١) نراه يتناول صورة من صور ذلك الإسراف فى القتل ، والذى وقع فى جاهلية العرب الأولى قبل الإسلام من خلال تلك الحرب الشهيرة المعروفة بـ (حرب البسوس) وفى ذلك يقول ما نصّه : والنهى عن الإسراف فى القتل هنا يشمل ثلاث صور :

١ - الصورة الأولى (أن يُقتلَ اثنان أو أكثر بواحد) :

وهذا ما كانت تفعله العرب فى الجاهلية ، ومنه ما حدث عندما قُتلَ بجيرُ بن الحارث بن عبّاد على يد مهلهل بن ربيعة فى (حرب البسوس) المشهورة بـ (شِيعُ نَعْلُ كَلَيْبِ) وعندئذ غضب الحارث بن عبّاد بسبب قتل ابنه ، وقال فى ذلك قصيدته المشهورة :

(١) الإسراء : ٣٣ .

قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مَنِيٌّ لَقَحَتْ حَرْبٌ وَأَثَلُ عَنْ حَيَالٍ
قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مَنِيٌّ إِنَّ بَيْعَ الْكِرَامِ بِالشُّعْ غَالِيٌّ (١)

ومنه قوله أيضاً :

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كَلْبِ غُرَّةٍ حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ مُرَّةٍ

ومعلوم أن قتل جماعة في واحد لم يشتركوا في قتله إنما هو إسراف في القتل داخل في النهي المذكور في الآية الكريمة .

٢ - الصورة الثانية (أن يُقتلَ بالقتيل واحدٌ فقط ولكنه غير القاتل) :

لأن قتل البريء بذنب غيره هو إسراف في القتل منهي عنه في الآية الكريمة أيضاً .

(١) المَرَبِطُ والمَرَبِطَةُ : أي كلُّ ما تُرَبِطُ به الدَّوَابُّ ، أما (المَرَبِطُ والمَرَبِطَةُ) فهو موضع ربطها ، وهو من الظُّروف المَخْصُوصَة - انظر مادة (رَبِطَ) في لسان العرب : ٣ / ١٥٦٠ .

لَقَحَتْ : أي حَمَلَتْ ، وأصل اللَّقَاحِ لِلإِبِلِ ، ثم اسْتَعْبِرَ فِي النِّسَاءِ ، ومنه قوله : (لَقَحَتِ النَّاقَةُ تَلْقَحُ) إِذَا حَمَلَتْ ، إِذَا اسْتَبَانَ لِقَاحُهَا فَهِيَ (لَاقِحٌ وَقَارِحٌ) إِذَا اسْتَبَانَ حَمَلُهَا فَهِيَ (خَلْفَةٌ) إِذَا كَانَتْ أَيَّامَ تَنَاجُجِهَا فَهِيَ (عَائِدٌ) ومنه قولهم أيضاً : (أَلْقَحَ الفَحْلُ النَّاقَةَ) أَي لَقَحَتْ هِيَ لِقَاحًا وَلَقَحًا وَلَقَحًا إِذَا قَبِلَتْهُ ؛ فَهِيَ لَاقِحٌ مِنْ إِبِلٍ لَوَاقِحٍ وَلُقَحٌ ، أَوْ هِيَ لَقَوِحٌ مِنْ إِبِلٍ لُقُوحٍ - انظر مادة (لَقَحَ) في لسان العرب ٥ / ٤٠٥٧ .

حَيَالٌ : من قولهم : (حَالَتِ النَّاقَةُ تَحِيلُ حِيَالًا) إِذَا لَمْ تَحْمِلْ - انظر مادة (حَيَلٌ) في لسان العرب : ٢ / ١٠٧٣ .

الشُّعْ : هو أحد سُيُورِ النَّعْلِ الَّذِي يُدْخَلُ بَيْنَ الإصْبَعَيْنِ ثُمَّ يُدْخَلُ طَرَفُهُ فِي الثَّقْبِ الَّذِي فِي صَدْرِ النَّعْلِ الْمَشْدُودِ فِي الزَّمَامِ ، ومنه قولهم : (شَسَعَتِ النَّعْلُ وَقَبِلَتْ وَشَرَكَتْ) إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُهَا ، كما يقال : (رَجُلٌ شَاسِعٌ) إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِهِ - انظر مادة (شَسِعَ) في لسان العرب : ٤ / ٢٢٥٧ .

● والمعنى : أن الحارث بن عبَّاد يعبر عن غضبه بسبب مقتل ابنه (بُجَيْرٍ) فيهبجو كلاً من (بنى وائل) و(بنى كليب) ساخرًا منهما ، ومخاطبًا إياهما بقوله : قَرَّبًا رَمَامَ النَّعَامَةِ مَنِيٌّ (التي هي مضرب المثل في الجبن والخوف ، بل وأكثر الطيور دَسًا لرأسها في التراب حتى لا يراها صيادوها على الرغم من أنها أضخم الطيور جسمًا وهو الذي يدلُّ عليها ويرشد إليها) وذلك تشبيهًا لهما بها من حيث جبنهما الذي يدلُّ أيضًا عليهما ويرشد إليهما ؛ فهما اللذان لا طاقة لهما بالحرب ولا يُعْرَفَانِ بِهَا ، ولذا فإن حربهما هذه التي قُتِلَ فِيهَا (بُجَيْرٌ) هي الحرب الوحيدة الغير مألوفة عنهما ، ومثلهما فيه كمثل الناقة التي حَمَلَتْ وهي عقيم لا تلد على غي ما توقع .

ثم يعود الحارث مبالغًا في سخريته منهما بتكرار خطابه إليهما قائلًا : (قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مَنِيٌّ) خاتمًا ذلك بما أشبه بالحكمة فيقول : (إن بيع الكرام غالي) أي أن ابنه وهو من الكرم قد قُتِلَ على يد واحد من اللئام ، وذلك كَمَنْ بَاعَ أَمْنَهُ الْأَشْيَاءِ وَأَنْفَسَهَا فِي مَقَابِلِ أَنْفَةِ الْأَشْيَاءِ وَأَرْخَصَهَا - والله تعالى أعلى وأعلم .

٣ - الصورة الثالثة (أن يُقتلَ نفسُ القاتلِ ويمثَّلَ به) :

فإن زيادة المثلة هي إسراف في القتل منهي عنه في الآية الكريمة كذلك .
وهذا هو التحقيق في معنى هذه الآية^(١) .

المسألة الثانية

تطبيق العصر الإسلامى

ونكتفى أيضاً من هذا العصر باستدعاء إحدى وقائعه التى تقوم شاهداً على غيرها مما
فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهى :

● محنة خلق القرآن :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
عَهْدًا (٧٨) كَلًّا﴾ الآيتان^(٢) نراه يتناول ردَّ الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على (العاص بن
وائل السهمى) الذى قال : (إنه سيؤتى يوم القيامة مالا وولداً) .

وإزاء هذا يبيِّن الشنقيطى أن هذا الردُّ هو المعروف عند الأصوليين بدليل (السبِّ
والتقسيم) وأن لهذا الدليل آثاراً تاريخية عديدة منها المحنة العظمى وهى (القول بخلق
القرآن العظيم) ومن ثم يتناول الشنقيطى تلك المحنة العقائدية العظمى من خلال أحداثها
التاريخية المتعاقبة أيام كل من (المأمون والمعتمد والواثق) من خلفاء الدولة العباسية ، ومبيِّناً
أن تلك المحنة هى السبب الأول لضعف المسلمين وتأخرهم عبر مراحل التاريخ المختلفة ،
وفى ذلك يقول ما نصّه :

إن هذا الدليل العظيم جاء فى التاريخ أنه أول سبب لضعف المحنة العظمى على
المسلمين فى عقائدهم بالقول : (بخلق القرآن العظيم) وذلك أن محنة القول بخلق القرآن
نشأت فى أيام الخليفة (المأمون) واستفحلت جداً فى أيام الخليفة (المعتصم) ثم استمرت على
ذلك فى أيام الخليفة (الواثق) وهى فى جميع ذلك التاريخ قائمة على ساق وقدم .

ومعلوم ما وقع فيها من قتل بعض أهل العلم الأفاضل وتعذيبهم واضطرار بعضهم إلى
المداهنة بالقول خوفاً ، ومعلوم أيضاً ما وقع فيها لسيد المسلمين فى زمنه (الإمام أبى عبد الله
أحمد بن محمد بن حنبل تغمده الله برحمته الواسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً)

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٢) مريم : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

من الضرب المبرح أيام الخليفة (المعتصم) وقد جاء أن أول مصدر تاريخي لضعف هذه المحنة وكبح جماحها إنما هو هذا الدليل العظيم المعروف بـ (السَّبْر والتقسيم) .

وعقب ذلك يستطرد الشنقيطي في عرضه لوقائع هذه المحنة العظمى ذاكراً ما ورد بشأنها في بعض المصادر التاريخية مثل (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - البداية والنهاية لابن كثير) وفي النهاية يختم الشنقيطي كلامه عن هذه المحنة العظمى مستأنساً بما ذكره الخطيب البغدادي وغيره من أن الخليفة (الواثق) قد تاب من القول بخُلُق القرآن العظيم^(١) .

المطلب الثاني

تطبيق القاعدة الثانية

(السِّيَر)

ويتمثل تطبيق الشنقيطي على ذلك من خلال تناوله لتلك السير على مستوى القسمين (الخاص) و(العام) من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تطبيق السيرة الخاصة

ونكتفى من سيرته ﷺ باستدعاء جانب واحد مما يقوم شاهداً على غيره مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ألا وهو :

• ذُوُّ قُرْبَى النَّبِيِّ ﷺ :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية^(٢) نراه يبيِّن المقصود بـ (ذو القربى) في هذه الآية الكريمة على أنهم (بنو هاشم وبنو المطلب) من ذوى قرابته ﷺ (دون بنى عبد شمس وبنى نوفل) .

وذلك على أظهر الأقوال خلافاً لمن قال : إنهم (بنو هاشم فقط) وكذا خلافاً لمن قال : إنهم (قريش كلها) وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصّه : وأما ذوو القربى فهم (بنو هاشم

(١) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤/٣٧٨ - ٣٨١ .

(٢) الأنفال : ٤١ .

وبنو المطلب) على أظهر الأقوال دليلاً ، وإليه ذهب كل من الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد .

وقال البخاريّ في (صحيحه) في باب (فرض الخمس) : عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله أعطيتَ بني المطلب وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ؛ فقال رسول الله ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » الحديث^(١) قال الليث : حدثني يونس ، وزاد جبير : ولم يقسم النبيّ ﷺ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل .

وهنا يذهب الشنقيطي إلى إيضاح القول في كون بني هاشم وبني المطلب وبني عبد شمس وبني نوفل بمنزلة واحدة من رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يقسم ﷺ شيئاً لبني عبد شمس الذين منهم عثمان بن عفان ﷺ ولا لبني نوفل الذين منهم راوي الحديث جبير ابن مطعم ﷺ وذلك من خلال استدعاء الشنقيطي لنسب رسول الله ﷺ قائلاً ما نصّه : وإيضاح كونهم من النبيّ ﷺ بمنزلة واحدة أن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأولاد عبد مناف بن قصي أربعة : (هاشم والمطلب وعبد شمس) وهم أشقاء ، وأمهم (عاتكة بنت مرة بن هلال السلمية) إحدى عواتك سليم اللاتي هنّ جدات رسول الله ﷺ وهنّ ثلاث :

الأولى : هذه التي ذكرنا .

الثانية : عمّتها وهي (عاتكة بنت هلال) التي هي أم عبد مناف .

الثالثة : بنت أخي الأولى وهي (عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال) وهي أم وهب والد آمنة أم رسول الله ﷺ .

وأما رابع أولاد عبد مناف فهو (نوفل بن عبد مناف) وأمّه (واقدة بنت أبي عدى) واسمه نوفل بن عبادة بن مازن بن صعصعة .

قال الشيخ أحمد البدويّ الشنقيطيّ في نظمه (عمود النسب) :

عَبْدُ مَنْفٍ قَمَرُ الْبَطْحَاءِ	أَرْبَعَةٌ بَنُوهُ هَوْلَاءِ
مَطْلَبٌ وَهَاشِمٌ وَنَوْفَلٌ	وَعَبْدُ شَمْسٍ ، هَاشِمٌ لَا يُجْهَلُ

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه (كتاب) فرض الخمس (باب) ومن الدليل على أنّ الخمس للإمام ، وأنه يُعطى بعض قرابته دون بعض - (طبع بيروت) .

كما قال في بيان عواتك سليم اللاتي هُنَّ جدات رسول الله ﷺ :

عَوَاتُكَ النَّبِيِّ أُمُّ وَهَبٍ وَأُمُّ هَاشِمٍ وَأُمُّ النَّذْبِ
عَبْدُ مَنْأَفِ ذِهِ الْأَخِيرِهِ عَمَةُ عَمَةِ الْأُولَى الصَّغِيرِهِ
وَهُنَّ بِالترتيبِ ذَا ، لَذِي الرِّجَالِ الْأَوْقَصِ بِنِ مُرَّةِ بِنِ هَلَالِ

فبهذا الذي بينا يتضح أن الصحيح هو أن المراد بـ (ذى القربى) فى الآية هم (بنو هاشم وبنو المطلب) دون (بنو عبد شمس وبنو نوفل) ووجهه أن (بنو عبد شمس وبنو نوفل) عادوا الهاشميين وظاهرنا عليهم قريشاً ؛ ومن ثم صاروا كالأباعد عنهم للعداوة وعدم النصرة ؛ ولذا فقد قال فيهم أبو طالب عم رسول الله ﷺ فى (لاميته المشهورة) :

جَزَى اللهُ عَنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلَا عَقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
بِمِيزَانٍ قَسَطٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرِ عَائِلِ
لَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خُلْفٍ قَيْضًا بِنَا وَالغِيَاظِلِ^(١)
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمٍ وَأَلْ قُصَى فِي الْخَطُوبِ الْأَوَائِلِ

ثم يختم الشنقيطى كلامه قائلاً ما نصه : وبهذا الحديث الصحيح الذى ذكرنا يتضح لك عدم صحة قول من قال : بأن ذى القربى هم (بنو هاشم فقط) وكذا عدم صحة قول من قال : (إنهم قريش كلهم)^(٢) .

المسألة الثانية

تطبيق السيرة العامة

ونكتفى من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين باستدعاء أحد الجوانب الذى يقوم شاهداً على غيره مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهو :

• القصاص لعلي بن ابي طالب ؑ :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ الآية^(٣) نراه يبين أن القصاص حق من حقوق القُصَّرِ من أولاد المقتول ، ولا يلزم

(١) الغيَاطِل جمع غَيَطَلَّة : وهى اجتماع الناس وازدحامهم مع ارتفاع أصواتهم واختلاطها فرحاً بكثرة المال والطعام والشراب عقب الحروب وغيرها - انظر مادة (غَطَل) فى لسان العرب : ٣٢٧٢ / ٤ .
(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢ / ٣٦١ - ٣٦٣ (ثلاث صفحات) .
(٣) الإسراء : ٣٣ .

لإتمام ذلك انتظار بلوغ الصبي ولا إفاقة المجنون من أولاده ، ويستدل لهذا بالقصاص لعلّ ابن أبي طالب عليه السلام حيث يقول في ذلك ما نصّه :

إنّ الحسن بن علي عليه السلام قتل عبد الرحمن بن ملجم المرادى قصاصاً بقتله علياً عليه السلام مع أن بعض أولاد علي عليه السلام كانوا إذ ذاك صغاراً ولم ينتظر بقتله بلوغهم، ولم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة ولا غيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، بل إن الحسن قد فعل ذلك بأمر أبيه علي عليه السلام كما هو مشهور في كتب التاريخ، ولو كان انتظار بلوغ الصغير واجباً لانتظره .

ثم يختم الشنقيطي كلامه عن قصاص أولاد علي عليه السلام لأبيهم رضوان الله عليهم أجمعين من قاتله عبد الرحمن بن ملجم قبحه الله ، فيورد في ذلك بعض المدح الباطل في ابن ملجم من قبيل بعض الشعراء الأثمين ، غير أنه يُردّف ذلك بالرد على ذلك المدح الباطل من قبيل بعض الشعراء الصالحين ، حيث يقول ما نصّه : قال عمران بن حطان السدوسي يمدح ابن ملجم قبحهما الله في قتله أمير المؤمنين علياً عليه السلام :

يا ضربة من تقى ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
أوفى البرية عند الله ميزاناً

وجزى الله تعالى خيراً ذلك الشاعر الذي ردّ عليه في ذلك قائلاً :

قل لابن ملجم والأقدار غالبه
قتلت أفضل من يمشى على قدم
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسود له
هدمت ويلك للإسلام أركاناً
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
سن لنا الرسول شرعاً وتبياناً
أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
مكان هارون من موسى بن عمراناً

وذلك إلى قوله :

يا ضربة من غوى أوردته لظى
كأنه لم يرد قصداً بضربته
فسوف يلقى بها الرحمن غضباناً
إلا ليصلى عذاب الخلد نيراناً

وبما ذكرنا تعلم أن قتل الحسن بن علي عليه السلام لابن ملجم قبحه الله كان قبل بلوغ الصغار من أولاد علي عليه السلام رضوان الله عليهم أجمعين وهذا مما يقوى حجة من قال بعدم انتظار بلوغ

الصغير أو إفاقة المجنون^(١) .

* * *

وبعد: فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (علم التاريخ) كموضوع أساسى يُصنّفُ الآية تحته ، بل ويوجّه معناها على هديه ، وذلك من خلال تقعيده النظرى ، ثم تطبيقه العملى .

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/٥٤٨ - ٥٥١ (أربع صفحات) .

جماع القول

في هذا الباب

وفي ختام حديثنا عن هذا الباب بفصوله السبعة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - الشمول :

ونعنى به شمول تلك العلوم الشائعة التى عرّضَ لها الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى توزعت فى هذا الباب بين فصوله السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) والناظر إلى جملة هذه العلوم يلحظ أنها من (الشمول والعموم) بحيث جمعت بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية بصفة خاصة ، فضلاً عما يتصل بهما ويندرج تحتها من جملة العلوم الأخرى بصفة عامة .

وإن دلّ هذا على شىءٍ إنمّا يدلّ على شمول فكر الشنقيطى وعمومه ، الأمر الذى جاء كنتيجة طبيعية لتأخره ومعاصرته ؛ مما جعله يشمل فى تفسيره حصاد المفسرين السالفين ، ويطلع جهود العلماء المحققين ؛ وفى هذا التواصل ما فيه من الفائدة الجمة ، والنفع العميم ، لكل من يبحث فى تفسيره ، أو حتى ينظر فيه .

٢ - المنهجية :

ونعنى بها منهجية الشنقيطى فى تصنيفه لتلك العلوم السبعة التى يُصنّفُ تحتها هذه الآية أو تلك ، بل ويوجّه معنى الآية فى ضوء هذه العلوم وعلى هديها ، وهو فى تصنيفه هذا لا يكاد يتخلف عن ثلاث خصائص ثابتة تميّز تناوله لتلك العلوم وعرضه لها حيث يبدأ (بالتوطئة والتمهيد) ثم يثنى (بالاستقصاء والتفصيل) ويختم فى النهاية بذكر (الخلاصة والتعقيب) .

وفى هذا ما فيه من الترتيب المنهجى ، والترابط العلمى ؛ ما يحقق الغاية المرجوة ، ويصيب الهدف المنشود ، إزاء أتم فائدة مستطاعة ، وأقصى نفع ممكن ، بهذا التفسير ومنهج صاحبه فيه ، من خلال مراحل المتعاقبة التى تُسَلِّمُ كل منها إلى ما بعدها ، وتعتمد كل منها على ما قبلها .

وبهذا ينتهى هذا الباب .

الباب الثالث

السُّمة الثالثة

التحليل

لسائر ما يعرض له

ويتنظم تهيدياً وثلاثة فصول :

• تهييد : بين يدى هذا الباب .

١- الفصل الأول : الانتقاد .

٢- الفصل الثانى : الاستنباط .

٣- الفصل الثالث : الاجتهاد .

تمهيد

بين يدي هذا الباب

يُعدُّ هذا التحليل هو السمة الثالثة والأخيرة من السمات العامة لمنهج الشنقيطي في التفسير بعد سمته الأولى المتمثلتين في كل من (الجمع) و (التأصيل) وقبل أن نشرع في تناول هذه السمة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمور الثلاثة التالية :

١- المدلول :

حالما يفرغ الشنقيطي من الجمع بين المأثور والمعقول أولاً ، ثم تأصيل ذلك الرصيد المجموع تحت ما يندرج إليه من جملة العلوم الإسلامية ثانياً ؛ فإنه يعتمد آنذاك إلى تحليل ذلك كله تحليلاً دقيقاً متأنياً ، حيث يُنعم النظر ، ويُجِيل الفكر ؛ وليتهدى به المطاف إلى الوقوف على ما هو مُخْتَلَفٌ فيه فضلاً عما هو مُتَّفَقٌ عليه ؛ ومن ثم فإن ماهية هذا التحليل إنما تتمثل في حصر ما هو مُخْتَلَفٌ فيه وتحديدته ؛ تمهيداً لتناوله وتفسيده ، ثم مناقشته وتوجيهه .

٢- المجال :

وبهذا المفهوم فإنه يمكننا أن نحدد مجال هذا التحليل بوقفه على كل ما هو مُخْتَلَفٌ فيه ، حيث يتناوله الشنقيطي ويفنده ، ثم يناقشه ويوجهه ، من خلال ثلاثة محاور تتمثل في كل من (الانتقاد) ثم (لاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) .

وبهذا تتمخص هذه المحاور في النهاية عن حقيقة ما يرجحه الشنقيطي من الأقوال والآراء ، أو ما يستخلصه من الحكم والأحكام ، أو ما يبده في النهاية من مسائله الخاصة ، وقضاياها الذاتية ، وذلك وفق أدلته الشرعية ، وفي إطار حُجَجِهِ العَلَمِيَّةِ .

٣- المنهجية :

وليس ثمة شك في تميّز هذا التحليل بتلك المنهجية الواضحة التي يبدؤها الشنقيطي بتحديد ما هو متفق عليه مما هو مختلف فيه ، أما ما هو متفق عليه فذلك ما يثبت الشنقيطي أثناء مرحلتى (الجمع) و (التأصيل) السابق ذكرهما ، واللذين يمثلان السمتين الأولىين من سمات منهجه في التفسير ، وأما ما هو مختلف فيه فذلك ما يتناوله هنا أثناء مرحلة (التحليل) والذي يمثل السمة الثالثة والأخيرة من سمات منهجه في التفسير .

القسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يعرض له _____ تمهيد

وهو في تحليله هنا إنما يسير وفق ترتيب منهجي واضح ، ويتنقل بين خطوات علمية متعاقبة ؛ حيث يبدأ هذا التحليل بأولى خطواته المتمثلة في (الانتقاد) من خلال إنعام نظره ، وإجالة فكره ، في سائر ما يعرض له من الأقوال والآراء المُختلف فيها حتى ينتهي إلى رأى راجح بشأنها .

فإن لم ينته إلى ذلك الترجيح ؛ لجأ عندئذ إلى (الاستنباط) من ذات النص ليخلص من خلاله إلى ما يذهب إليه ويراه ؛ فإن اقتقد النص الذي يستنبط منه عمداً عندئذ إلى (الاجتهاد) بأدلته الشرعية ، وضوابطه المعتمدة .

وبهذا الترتيب وذاك التعاقب تتأكد لدينا منهجية هذه المرحلة حيث (التحليل) بمحاوره الثلاثة بصفة خاصة ، فضلاً عن منهجية المرحلتين السابقتين عليها حيث (الجمع) و(التأصيل) بصفة عامة .

* * *

وفيما يلي نعرض لهذه السمة الثالثة والأخيرة من سمات منهج الشنقيطي في التفسير من خلال ثلاثة فصول يختص كل فصل منها بأحد محاور هذا التحليل .

الفصل الأول الانتقـاد

وينتظم المبحثن التاليين :

- ١- المبحث الأول : التعيد النظرى .
- ٢- المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظري

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١- المطالب الأول : النظر إلى ذات القول لا إلى قائله .
- ٢- المطالب الثاني : التأدب في مواطن الخلاف .
- ٣- المطالب الثالث : تفويض العلم إلى الله تعالى .

ونعنى به جملة الخصائص والسّمات التي يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادئ أساسية ، يعتمد عليها ، ويصُدِّرُ عنها ، إزاء نقده لما يَعرِضُ له من مجمل الأقوال المختلف فيها فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

النظر إلى ذات القول لا إلى قائله

إنَّ حرص الشنقيطى على إحقاق الحق ، وتبيان الصواب ؛ ليَحْمِلُهُ على التوجُّه إلى ذات القول دون أن يعنيه قائله بحال ، وهذا ما يصرِّح به بل ويقىم عليه الدليل من القرآن العظيم فضلاً عن كلام العرب حيث يقول ما نصّه :

واعلم أنا نرجِّح فى هذا الكتاب المبارك ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل ، من غير تعصب لمذهب معين ، ولا لقول قائل معين ؛ لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود ، إلا كلامه ﷺ .

كما أنه من المعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيراً ؛ ألا ترى إلى ملكة سبأ فى حال كونها تسجد للشمس من دون الله هى وقومها لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله تعالى فيه ، فلم يكن كفرها مانعاً آنذاك من تصديقها فى الحق الذى قالته ، وذلك فى قولها فيما ذكره الله تعالى عنها : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَبةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ فقد صدقها سبحانه فى قولها هذا بقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ الآية^(١) .

وقد قال الشاعر فى ذلك أيضاً :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
فَالدَّرُّ وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ^(٢)

المطلب الثانى

التأديب فى مواطن الخلاف

وانطلاقاً من مبدئه النقدى فى النظر إلى ذات القول لا إلى قائله ؛ نرى الشنقيطى آخذاً نفسه بأطر اللياقة ، وملزماً إياها بحدود الأدب؛ فلا يقع فى الذوات، ولا يجرح الهيئات ؛ لأنه لا يعنيه إلا أقوالهم وآراؤهم ، بعيداً عن ذواتهم وشخصهم ، وهو فى ذلك إنما

(١) النمل : ٣٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٨ (من المقدمة) .

يتأدب بأدب القرآن ، ويأتمر بأمر الله في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية^(١) .

بل ويقتدى برسول الله ﷺ الذي امتدحه ربه سبحانه فزكى أخلاقه بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية^(٢) وهذا ما ترجمه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واصفة أخلاقه رضي الله عنه بقوله : «كان خلقه القرآن» وفي رواية : «كان قرآناً يمشى على الأرض» الحديث^(٣) .

وتأدباً بهذه الآداب العالية ، وتخلقاً بهذا الأخلاق السامية ؛ يسلك الشنقيطى سبيله إلى نقد ما يُعرض له من خلاف دون نقد صاحبه ، وهذا ما يبدو واضحاً جلياً من خلال بعض الشواهد التي نسوقها هنا تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

١- تأدبه مع الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين :

لا يفتأ الشنقيطى أن يذكر الصحابة والتابعين في بعض مواطن الخلاف حتى يُقرن ذلك بالترحم عليهم والترضية عنهم بما يليق بمقامهم ، ويتناسب مع منزلتهم ، ومن ذلك ما صنعه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَذُكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الآية^(٤) حيث يقول في ذلك ما نصه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : تفسير (الأيام المعلومات) في آية الحج هذه بأنها (العشر الأول من ذى الحجة إلى آخر يوم النحر) لاشك في عدم صحته ، وإن قال به بعض أجلاء الصحابة والتابعين ممن ذكرنا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين^(٥) فهو وإن كان يصرح بعدم صحة ما ذهبوا إليه ، إلا أنه يثبت لهم في ذات الوقت جلال مقامهم ، والترضية عنهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تأدب الشنقيطى مع الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين إنما يمثل سلوكه الدائم ، وديدته الثابت ، إزاء ذكره لهم واستشهاده بأقوالهم التي لا تعد ولا تحصى مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك في مواطن الاتفاق معهم بصفة عامة ، فضلاً عن بعض مواطن الخلاف القليلة معهم هنا بصفة خاصة .

(٢) القلم : ٤ .

(١) الحجرات : ١١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) صلاة المسافرين وقصرها (باب) جامع الصلاة الليل ومن نام عنه أو مرض - (طبع بيروت) .

(٤) الحج : ٢٨ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٤٩٧ - ٤٩٨ .

٢- تأديبه مع الأئمة الأربعة :

رواضح جلي لمن يعاين تفسير الشنقيطي أو يطالع فيه تأديبه مع الأئمة الأربعة الأعلام (أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل) رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ، ومع أن هذا ما يمثل أيضاً سلوكه الدائم ، ودينته الثابت ، في مواطن الاتفاق العديدة معهم بصفة عامة ، إلا أن ما يعيننا هنا هو تأديبه في بعض مواطن الخلاف القليلة معهم بصفة خاصة .

ويشهد لهذا تأديبه مع إمام أهل السنة ، ورابع هؤلاء الأئمة ، أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، والذي نجتزئ به عن الثلاثة الأئمة السالفين رحمهم الله تعالى أجمعين ، حيث يقول الشنقيطي في ذلك ما نصّه :

قال مقيد عفا الله عنه وغفر له : الذي يظهر لي أن ما روى عن الإمام أحمد مع علمه ، وجلالته وورعه ، هو خلاف الصواب ؛ وإن كان قائله في المنزلة المعروفة التي هو به ؛ إلا أن قياسه هذا يخالف ظاهر عموم القرآن ، والقياس إن كان كذلك ردّ بالقادح المسمى (فساد الاعتبار) كما أوضحنا في هذا الكتاب المبارك مراراً ، وذكرنا فيه قول صاحب (مراقى السعود) :

والخُلف للنصِّ أو إجماع دَعَا (فَسَادَ الاعتبارِ) كُلُّ مَنْ وَعَى^(١)

وهكذا لا يكتفى الشنقيطي في خلافه لقول الإمام أحمد بإثبات علمه وعلو كعبه ، وجلال منزلته وورعه ، وإنما يدلل على خلافه معه بدليليه الاعتباريين من كتاب الله تعالى ، ثم من قول علماء الأصول ؛ وفي صنيعه هذا ما فيه من الجذر والحيطه ، فضلاً عن المهابة والتوقير ، ما يؤكد تأديبه مع هذا الإمام الجليل خاصة ، ومع الأئمة الثلاثة الباقيين بصفة عامة .

٣- تأديبه مع علماء السلف :

والناظر في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ليلحظ بوضوح مدى التزامه بأدب الخلاف مع جملة علماء السلف رضوان الله عليهم أجمعين حيث يبدو ذلك جلياً إما من خلال الإشارة إليهم على سبيل الإجمال والعموم ، وإما من خلال تسمية بعضهم على سبيل التحديد والخصوص ، وذلك كما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥ / ٧٧٠ .

أ - على سبيل الإجمال والعموم :

ففى معرض تفسيره لقوله الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الآية^(١) نراه يردُّ قول بعض العلماء ممن ذهبوا إلى أن (الأيام المعلومات هنا هي العشر الأوائل من ذى الحجة إلى آخر يوم النحر) حيث يثبت لهم جلال علمهم متادباً فى خلافه معهم فيقول: قال مقيد عفا الله عنه وغفر له : تفسير (الأيام المعلومات) فى آية الحج هذه بأنها (العشر الأوَّلُ من ذى الحجة إلى آخر يوم النحر) لاشك فى عدم صحته وإن قال به بعض من أجلاء العلماء ممن ذكرنا^(٢) .

ومن ذلك أيضاً ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآية^(٣) حيث نراه يردُّ قول بعض العلماء ممن ذهبوا إلى إمكان الجمع بين أحاديث أنسك رسول الله ﷺ الثلاثة فى الحج حيث (إفراده وتمتعه وقرانه) فيقول :

واعلم أن الأحاديث الواردة بأن رسول الله ﷺ كان مفرداً والواردة بأنه كان متمتعاً والواردة بأنه كان قارناً لا يمكن الجمع بينها ، إلا الواردة منها بالتمتع والواردة منها بالقرآن فالجمع بينهما واضح ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلقون اسم التمتع على القرآن كما هو معروف عنهم ولا يمكن النزاع فيه ، مع أن أمره ﷺ أصحابه بالتمتع قد يطلق عليه أنه تمتع ؛ لأن أمره ﷺ بالشىء كفعله إياه .

أما الجمع بين الأحاديث الواردة بالإفراد مع الأحاديث الواردة بالتمتع والقرآن فلا يمكن بحال ؛ فادعاء إمكان الجمع بينها غلط ، وإن قال به خلق لا يخصى من أجلاء العلماء^(٤) فهو وإن كان يصرح بأن ما ذهبوا إليه إنما هو من قبيل الإدعاء والغلط الذى لا يصح بحال ، إلا أنه يثبت لهم فى ذات الوقت (جلالهم وعلمهم فضلا عن كثرة عددهم) .

ب- على سبيل التحديد والخصوص :

ففى معرض تفسيره لقوله الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ الآية^(٥) نراه يردُّ قول الطبرى فيما ذهب إليه بشأن المراد بكل من (مخلقة وغير مخلقة) ملتزماً فى ذلك أسلوباً رفيعاً يتسم بالتقدير الواضح ، ويفيض بالأدب الجم ، حيث يقول ما نصّه : قال أبو

(٢) أضواء البيان : الشنيطى ٥/ ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٤) أضواء البيان : الشنيطى ٥/ ١٦٧ .

(١) الحج : ٢٨ .

(٣) الحج : ٢٧ .

(٥) الحج : ٥ .

جعفر بن جرير رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : (المخلقة) أى المصورة خلقاً تاماً ، و(غير المخلقة) أى السقط قبل تمام خلقه^(١) .

قال مقيد عفا الله عنه وغفر له : هذا القول الذى اختاره الإمام الجليل الطبرى رحمه الله تعالى لا يظهر صوابه ؛ وفى نفس الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهى قول الله جلّ وعلاً فى أول الآية : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢) لأنه على القول المذكور الذى اختار الطبرى يصير المعنى : (ثم خلقناكم من مضغة مخلقة ، وخلقناكم من مضغة غير مخلقة) وخطاب الناس بأن الله تعالى خلق بعضهم من مضغة غير مصورة فيه من التناقض كما ترى .

ومن ثم ؛ فإن ظاهر القرآن يقتضى أن كلاً من المخلقة وغير المخلقة يخلق الله تعالى منه بعض المخاطبين من خلقه فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾^(٣) الآية .

وهكذا فالشنيطى وإن كان يصرح بعدم صواب ما ذهب إليه الطبرى ، إلا أنه يثبت له فى ذات الوقت جلاله وعلمه ، وإمامته ومكاتبته ، فضلاً عن ترجمه عليه ، ونحوه فى خلافه معه بإقامة الدليل عليه .

ومن ذلك أيضاً ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(٤) الآية حيث يرد استدلال المزنّى بقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^(٥) الآية على أن (الأيام المعلومات) فى آية الحج المذكورة هى (العشر الأوائل من ذى الحجة إلى آخر يوم النحر) بدلالة (فى) الظرفية فى كل من الآيتين على استغراق ظرف الذبح والنحر لجميع هذه الأيام ؛ ومن ثم يرد الشنيطى ذلك قائلاً :

بين الله تعالى فى كتابه الكريم أن الأيام المعلومات هى ظرف الذبح والنحر ؛ وعليه تفسيرها بأنها العشر الأولى يلزمه جواز الذبح فى جميعها مع عدم جوازه بعد غروب شمس اليوم العاشر ، وهذا كله باطل كما ترى ، وزعم المزنّى رحمه الله تعالى أن آية الحج هذه هى كقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^(٥) الآية ظاهر السقوط ؛ لأن كون القمر

(١) السقط والسقط والسقط : هو الجنين الذى يسقط من بطن أمه قبل تمام خلقه ذكراً كان أم أنثى - انظر مادة (سقط) فى كل من لسان العرب : ٢٠٣٧/٣ - مختار الصحاح : ص ٣٠٣ - المعجم الوسيط : ٤٥٢/١ .

(٢) الحج : ٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنيطى ٢٢/٥ - ٢٣ .

(٥) نوح : ١٦ .

(٤) نوح : ١٦ .

(٣) الحج : ٢٨ .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّنة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرَضُ له _____ الفصل الأول : الانتقاد

كوكباً واحداً ، وكون السموات سبعة طباقاً ، هي قرينة دالة على أن القمر في واحدة من هذه السموات دون الست الأخرى^(١) .

وهكذا فالشنيطى وإن كان يصف ما ذهب إليه المزنى بأنه (رَعْمٌ) بل ويحكم عليه بأنه قول (ظاهر السُّقوط) إلا أنه يترحم عليه في ذات الوقت الذى يختلف معه فيه ؛ وهذا ما يؤكد توجه الشنيطى إلى ذات القول لا إلى قائله كما أسفلنا ذلك عنه .

٤- تأديته مع علماء الخلف :

ولا يقتصر تأدب الشنيطى بأدب الخلاف مع علماء السلف فحسب ، بل يَطْرُدُ ذلك مع علماء الخلف حتى يشمل المتأخرين منهم والمحدثين ؛ وهذا ما يبدو واضحاً جلياً من خلال الشاهد التالى الذى نسوقه هنا للتدليل على ذلك :

ففى مَعْرَضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية^(٢) نراه يَرُدُّ دعوى الشيخ أحمد الصاوى فيما ذهب إليه بشأن عدم جواز تقليد غير المذاهب الأربعة ، بل وحكمه على مَنْ يفعل ذلك بالضلال الذى قد يؤدي إلى الكفر ، هذا فضلاً عن مغالاته فى قوله بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة من أصول الكفر ؛ ومن ثم يَرُدُّه الشنيطى قائلاً :

واعلم أيها المسلم المنصف أنّ من أشنع الباطل وأعظم القول بغير الحق على الله تعالى ، وعلى كتابه العظيم ، وعلى نبيه ﷺ وسنته المطهرة : هو ما قاله (الشيخ أحمد الصاوى) فى (حاشيته على الجلالين) فى سورتي (الكهف وآل عمران) وقد اغترّ بقوله فى ذلك خَلْقٌ لا يحصى من المُتَسَمِّينَ باسم طلبة العلم لكونهم لا يميزون بين حق وباطل .

فقد قال (الصاوى أحمد المذكور) فى الكلام على قوله الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ الآية^(٣) (بعد أن ذكر الأقوال فى انفصال الاستثناء عن المستثنى منه بزمان) ما نصّه : وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله ، فإن شرط حلّ الأيمان بالمشيئة أن تتصل ، وأن يقصد بها حلّ اليمين ، ولا يضرُّ الفصل بتنفس أو سُعال أو عطاس ، ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ؛ فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضلّ وربما أداه ذلك للكفر ، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة من أصول الكفر (أ هـ . منه بلفظه) .

(٢) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(١) أضواء البيان : الشنيطى ٥ / ٥٠٠ .

(٣) الكهف : ٢٣ .

فانظر يا أخى رحمك الله تعالى : ما أشنعَ هذا الكلام وما أبطله ، وما أجرأَ قائله على الله تعالى ، وعلى كتابه العظيم ، وعلى نبيه ﷺ وسنته ، وعلى أصحابه رضوان الله عليهم !! سبحانك هذا بهتان عظيم !!^(١) .

وهكذا ومع شدة بطلان هذا الكلام الذى ورد على لسان الصاوى ؛ إلا أنه لم يدفع الشنقيطى إلى الخروج عن أدب العلماء ولياقتهم فى مواطن الخلاف ، وهذا ما يتضح فى بدءِ كلامه حيث ذكره بقوله : (الشيخ أحمد الصاوى) واصفاً إياه بـ (الشيخ) وغاية ما لجأ إليه الشنقيطى فى التنفيس عن ضيقه وحزنه من باطل هذا الرجل أن اكتفى بقلب اسمه فَحَسَبَ قائلًا : (فقد قال الصاوى أحمد المذكور) .

وهذا ما يؤكد بدوره أيضاً مبدأ الشنقيطى النقدى الذى يتمثل فى توجيهه إلى ذات القول لا إلى قائله كما أسلفنا عنه ذلك .

المطلب الثالث

تفويض العلم إلى الله تعالى

ومما يلتزم به الشنقيطى فى سائر ما يَعرَضُ له بالنقد أن يُقرن ذلك بتفويض العلم فيما ذهب إليه إلى الله تعالى ؛ الأمر الذى لا يكاد أن يتخلف عنه بحال من الأحوال ، ويأتى تفويضه هذا فى أحد مواضع ثلاثة ، فإمّا أن يأتى فى أول كلامه حيث يُصدّر قوله به ، وإمّا أن يأتى فى آخر كلامه حيث يَخْتَمُ قوله به ، وإمّا أن يأتى فى الموضوعين معاً حيث يبدأ به كلامه ثم يَخْتَمُهُ به كذلك ، وفيما يلى نسوق بعض شواهد هذه المواضع تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة على النحو التالى :

١- التفويض فى صدر كلامه :

ويقع هذا قليلاً فى تفسيره ، ومن ذلك قوله :

أ - قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذى يظهر لى والله تعالى أعلم ...^(٢) .

ب- فالجواب والله تعالى أعلم :^(٣) .

٢- التفويض فى عَجَزِ كلامه :

ويقع هذا كثيراً فى تفسيره ، ومن ذلك قوله :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٧/٧ - ٤٣٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٥/٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٣/٢ .

- أ - والله أعلم^(١) .
ب- والله جلّ وعلا أعلم^(٢) .
ج - والله تعالى أعلم^(٣) .
د- والعلم عند الله تعالى^(٤) .
هـ - وهذا الأمر لا يظهر لى كلّ الظهور ، والعلم عند الله تعالى^(٥) .

٣- التفويض في صدر وعجز كلامه معاً :

ويقع هذا نادراً في تفسيره ، ومن ذلك قوله :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذى يظهر لى والله تعالى أعلم أنه ... والله تعالى أعلم^(٦) .

* * *

وبعد : فهذه المبادئ النقدية الثلاثة يتناول الشنقيطى بالنقد سائر ما يَعرِضُ له من خلاف ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملى على ذلك التععيد النظرى .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦١/٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٥/٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣١/٣ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٢٥/٢ - ٤٤٥/٢ - ٧/٣ - ٣٧/٣ - ٥٢/٣ - ٦٠٤/٣ (موضعان) -

٢٢٧/٥ - ٤٨٩/٥ (إلى غير ذلك من المواضع التى تندُّ عن الحصر فى ثنايا تفسيره المختلفة) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٤٢/٥ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٥/٥ .

المبحث الثاني التطبيق العملي

ويتضمّن المطالب الثمانية التالية :

- ١- المطالب الأول : نقد الإسرائيليات .
- ٢- المطالب الثاني : نقد المفسّرين .
- ٣- المطالب الثالث : نقد المحدثين .
- ٤- المطالب الرابع : نقد الأصوليين .
- ٥- المطالب الخامس : نقد الفقهاء .
- ٦- المطالب السادس : نقد الفرق الإسلامية .
- ٧- المطالب السابع : نقد اللغويين .
- ٨- المطالب الثامن : نقد المؤرخين .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرِضُ له _____ الفصل الأول : الانتقاد

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى نقده لسائر ما يَعرِضُ له من الأقوال والآراء الخلافية التى تتعلق بجملة العلوم الإسلامية التى تناولها بالتصنيف فى ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعميده النظرى .

وفيما يلى نسوق بعض شواهده النقدية تنبيهاً بها على غيرها والتى تشمل نقده كلاً من : (الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - المتكلمين - اللغويين - المؤرخين) وذلك من خلال المطالب الثمانية التالية والتى يتكفل كل مطلب منها بأحد أنواع هذا النقد المذكورة .

المطلب الأول نقد الإسرائيليات

ونعالج تحته المسائل الثلاث التالية :

- ١- المسألة الأولى : موقف الشنقيطي من الإسرائيليات .
- ٢- المسألة الثانية : إعراض الشنقيطي عن بعض الإسرائيليات .
- ٣- المسألة الثالثة : ردّ الشنقيطي لكثير من الإسرائيليات .

تتنازع نقد الشنقيطي للإسرائيليات في ثنايا تفسيره المختلفة ثلاث مسائل نسوقها على النحو التالي :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطي من الإسرائيليات

ويتلخص موقف الشنقيطي من الإسرائيليات في تقسيمه إياها ثلاثة أقسام منها قسم يجب تصديقه ، وقسم يجب تكذيبه ، وثالث يُتَوَقَّفُ فيه فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه ، وهذا ما يوضحه الشنقيطي بقوله : ومن المعلوم أن ما يروى عن بنى إسرائيل من الأخبار المعروفة بـ (الإسرائيليات) له ثلاث حالات :

١- أنه في واحدة منها يجب تصديقه :

وهي ما إذا دَلَّ الكتاب أو السُّنة الثابتة على صدقه .

٢- وأنه في واحدة منها يجب تكذيبه :

وهي ما إذا دَلَّ القرآن أو السُّنة أيضاً على كذبه .

٣- وأنه في الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق :

وهي ما إذا لم يثبت في كتاب ولا سُّنة صدقه ولا كذبه .

وبعد أن يورد الشنقيطي هذه الأقسام الثلاثة نراه يشير إلى أن أغلب هذه الإسرائيليات إنما يقع من أهل الكتاب فيما يتعلق بالقصص الواردة في القرآن والسُّنة ، والتي يزعمون أنها منزلة في الكتب السماوية الأخرى السابقة على القرآن .

وإزاء هذا يبيِّن الشنقيطي بطلان مزاعمهم ، ويقطع بسقوط ادِّعاءاتهم ؛ ومن ثم فلا يجوز الرجوع إليها ، ولا يصح التعويل عليها ، وهذا ما يذهب ليقم الدليل عليه قائلاً : واعلم أن ما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف القصص الواردة في القرآن والسُّنة الصحيحة زاعمين أنه منزل في التوراة أو في غيرها من الكتب السماوية ؛ إنما هو باطل يقيناً ولا يعول عليه .

وذلك لأن الله جلّ وعلا قد صرّح في هذا القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد بأنهم بدلوا وحرفوا وغيروا في كتبهم كما في قوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الآية ^(١) وقوله تعالى : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ﴾

(١) النساء : ٤٦ - المائدة : ١٣ .

تتعارض نقد الشنقيطى للإسرائيليات فى ثنايا تفسيره المختلفة ثلاث مسائل نسوقها على النحو التالى :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطى من الإسرائيليات

ويتلخص موقف الشنقيطى من الإسرائيليات فى تقسيمه إياها ثلاثة أقسام منها قسم يجب تصديقه ، وقسم يجب تكذيبه ، وثالث يُتَوَقَّفُ فيه فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه ، وهذا ما يوضحه الشنقيطى بقوله : ومن المعلوم أن ما يروى عن بنى إسرائيل من الأخبار المعروفة بـ (الإسرائيليات) له ثلاث حالات :

١- أنه فى واحدة منها يجب تصديقه :

وهى ما إذا دَلَّ الكتاب أو السُّنة الثابتة على صدقه .

٢- وأنه فى واحدة منها يجب تكذيبه :

وهى ما إذا دَلَّ القرآن أو السُّنة أيضاً على كذبه .

٣- وأنه فى الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق :

وهى ما إذا لم يثبت فى كتاب ولا سُّنة صدقه ولا كذبه .

وبعد أن يورد الشنقيطى هذه الأقسام الثلاثة نراه يشير إلى أن أغلب هذه الإسرائيليات إنما يقع من أهل الكتاب فيما يتعلق بالقصص الواردة فى القرآن والسُّنة ، والتي يزعمون أنها منزلة فى الكتب السماوية الأخرى السابقة على القرآن .

وإزاء هذا يبيِّن الشنقيطى بطلان مزاعمهم ، ويقطع بسقوط ادعاءاتهم ؛ ومن ثم فلا يجوز الرجوع إليها ، ولا يصح التعويل عليها ، وهذا ما يذهب ليقيم الدليل عليه قائلاً : واعلم أن ما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف القصص الواردة فى القرآن والسُّنة الصحيحة زاعمين أنه منزل فى التوراة أو فى غيرها من الكتب السماوية ؛ إنما هو باطل يقيناً ولا يعول عليه .

وذلك لأن الله جلّ وعلا قد صرّح فى هذا القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد بأنهم بدلّوا وحرفوا وغيروا فى كتبهم كما فى قوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الآية ^(١) وقوله تعالى : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ

(١) النساء : ٤٦ - المائدة : ١٣ .

تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴿ الآية (١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ الآية (٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية (٣) ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وتلك الكتب السماوية بخلاف هذا القرآن العظيم الذى تولى الله جلّ وعلا حفظه بنفسه ، ولم يكله إلى أحد حتى يغير فيه أو يبدل أو يحرف كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية (٤) ﴾ وقال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ الآيتان (٥) ﴾ كما قال تعالى فى نبيه ﷺ : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان (٦) .

وقد صحّ عن رسول الله ﷺ : «أنه أذن لأمته أن تحدّث عن بنى إسرائيل، غير أنه نهاهم عن تصديقهم وتكذيبهم؛ خوفاً أن يصدّقوا بباطل، أو يكذبوا بحق» الحديث (٧) .

وبهذا التحقيق تعلم أن القصص المخالفة للقرآن والسنة الصحيحة التى توجد بأيدى بعضهم ، راعمين أنها فى الكتب المنزلة ؛ يجب تكذيبهم فيها لمخالفتها نصوص الوحي الصحيح التى لم تحرف ولم تبدل ، والعلم عند الله تعالى (٨) .

المسألة الثانية

إعراض الشنقيطى عن بعض الإسرائيليات

يضرب الشنقيطى أحياناً عن ذكر بعض الإسرائيليات التى لا جدوى لها ، ولا طائل من ورائها ، وهذا ما يصرّح به وينصّ عليه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَكَلِّبِهِمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الآية (٩) ﴾ حيث يقول فى ذلك ما نصّه :

(١) الأنعام : ٩١ . (٢) البقرة : ٧٩ . (٣) آل عمران : ٧٨ .

(٤) الحجر : ٩ . (٥) القيامة : ١٦ - ١٧ (آيتان) .

(٦) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٧) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية أبى هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » انظر صحيح البخارى (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب) قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » - (طبع بيروت) .

(٨) الكهف : ١٨ .

(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨٦/٤ - ١٨٧ .

وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم ، فيقول بعضهم : اسمه (قَطْمِير) ويقول بعضهم : اسمه (حِمْرَان) إلى غير ذلك ؛ فإننا لم نُظَلِّ به الكلام لعدم فائدته ، ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبيِّنها الله تعالى لنا ، ولم يبيِّنها رسوله ﷺ لنا ، كما لم يثبت في بيانها شيء ؛ ومن ثم فإنَّ البحث عنها لا طائل تحته ، ولا فائدة فيه ؛ ومع ذلك فإن كثيراً من المفسرين يُطَنِّبون في ذكر الأقوال فيها بدون علم ولا جدوى .

أما نحن فنعرض عن ذكر هذه الأشياء دائماً ، والتي من أمثلتها كل من : (اسم ولون كلب أصحاب الكهف ، والبعض الذي ضُربَ به القتل من بقرة بنى إسرائيل ، واسم الغلام الذي قتله الخضر وأنكر عليه موسى قتله ، وخشب سفينة نوح وكم طولها وعرضها وكم فيها من الطبقات) إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه ، ولا دليل على التحقيق فيه^(١) .

المسألة الثالثة

رَدُّ الشنقيطى لكثير من الإسرائيليات

رأينا فيما سبق كيف أن الشنقيطى يُعْرِضُ عن ذكر بعض الإسرائيليات التي لا جدوى منها ولا طائل وراءها ؛ أما إن كانت تلك الإسرائيليات مما يتعلق بأصول هذا الدين وحدوده ؛ فلا شك أنها على جانب عظيم من الخطر ، بل ويتحتم على العلماء المعتبرين من سلف الأمة وخلفها أن يُجَلِّئوها لعموم المسلمين وخصوصهم ؛ ليقفوا على سقوطها ، ويتقنوا من بطلانها .

ومن هذا المنطلق يتعقب الشنقيطى مثل هذا النوع من الإسرائيليات حيث يبيِّن سقوطه ويحكم ببطلانه من خلال ما يسوقه من أدلته الشرعية وشواهد المعتمدة في ذلك ، وفيما يلي نكتفي بأحد هذه الشواهد تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، ونعنى به :

● قصة القرآنيق :

تعدُّ هذه القصة علماً على الإسرائيليات التي اختلقها وأشاعها أعداء الإسلام من المشركين ومن شايعهم من أهل الكتاب وغيرهم ؛ وذلك بهدف النيل من شخص رسول الله ﷺ ومن ثم النيل من رسالة الإسلام الخالدة .

وقبل أن نشرع في بيان موقف الشنقيطى من هذه القصة وحكمه عليها بالسقوط

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣/٤ - ٤٤ .

والبطلان ، فإننا نعهد بين يدي ذلك ببيان معنى الغرائيق ، ثم نتبعه موقفه منها ، وذلك على النحو التالي :

١- معنى الغَرَائِيق :

و(الغَرَائِيق) : هي الذكور من طيور الماء البيضاء ذات الأعناق والسيقان الطويلة ، وتسم بجمال منظرها ، فضلاً عن تميزها ببعض الريش الذهبي اللون في مُقَدِّمِ رأسها والذي يعرف بـ (القَتْرُعة) .

وأما واحد الغرائيق فيقال له : (غُرُنُوق) كعُصْفُور ، و(غِرُنُوق) كغِرْدَوْس ، و(غِرْنِيق) كِمِعْلِيق ، و(غِرْنِيق) كِمِسْكِين ، وأخيراً فقد يقال له : (غِرْنِيق) و(غِرْيَاق) و (غِرْأَنِق) ^(١) .

٢- موقف الشنقيطي من الغَرَائِيق :

ففي مَعْرَضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية ^(٢) نراه يَعْرِضُ لهذه القصة مبيناً بطلانها ، ومؤكداً على عدم صحتها ، وذلك من خلال القرينة القرآنية الموجودة في ذات الآية التي زعموا أنها شاهد على هذه القصة المُخْتَلَقَةِ المزعومة ، حيث يقول ما نصّه :

ذكر كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية (قصة الغرائيق) حيث قالوا : إن سبب نزول هذه الآية الكريمة هو أن النبي ﷺ قرأ بسورة (النجم) بمكة ، فلما بلغ قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٦) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ الآيتان ^(٣) ألقى الشيطان عندئذ على لسانه قوله : (تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لُتْرُتَجَى) .

ثم لما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سَجَدَ ، وسَجَدَ معه المسلمون والمشركون ؛ وعندئذ قال المشركون : ما ذكر محمد آلهتنا بخير قبل اليوم ؛ ثم شاع في الناس آنذاك أن أهل مكة قد أسلموا بسبب سجودهم مع النبي ﷺ حتى رجع المهاجرون من الحبشة ظناً منهم أن قومهم قد أسلموا ، غير أنهم وجدوهم على كفرهم .

(١) انظر في ذلك كلاً من :

● مادة (غَرَقَ) في كل من : لسان العرب : ٣٢٤٤/٤ - مختار الصحاح : ص ٣٥٩ - المعجم الوسيط : ٦٧٥/٢ .

● رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطي ص ١٢٩ .

(٢) الحج : ٥٢ .

(٣) النجم : ١٩ - ٢٠ (آيتان) .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التى تضمنها أن يقول بعض العلماء فى الآية قولاً ويكون فى نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول ؛ وهذا القول الذى زعمه كثير من المفسرين وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبى ﷺ هذا الشرك الأكبر ، وذلك الكفر البواح ، الذى هو قولهم : (تلك الغرائقُ العُلَى ، وإن شفاعتهن لترتجى) يَعْتُونَ : (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) الذى لا شك فى بطلانه .

فإن فى نفس سياق آيات النجم التى تخللها إلقاء الشيطان المزعوم ، قرينة قرآنية واضحة على بطلان هذا القول ؛ لأن النبى ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قول الله تعالى فى (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) : ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ الآية^(١) وليس من المعقول أن النبى ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم متأخراً عن ذكره لها بالخير المزعوم ؛ وإلا غضبوا ولم يسجدوا ، لأن العبرة بالكلام الأخير .

ومع ذلك فقد دلت آيات أخرى فى غير سورة (النجم) على بطلان هذا القول ، وهى تلك الآيات الدالة على أن الله تعالى لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبى ﷺ ولا على إخوانه من الرسل ، ولا على أتباعهم المخلصين ، ومنها قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٦) ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهٖ مُشْرِكُونَ﴾ الآيتان^(٢) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ الآية^(٥) وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح ؛ فأى سلطان له أكبر من ذلك !؟

بل إن من الآيات الدالة على بطلان ذلك القول المزعوم فى رسول الله ﷺ قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان^(٦) وقوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الآيتان^(٧) وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية^(٨) وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ

(١) النجم : ٢٣ . (٢) النحل : ٩٩ - ١٠٠ (آيتان) . (٣) الحجر : ٤٢ .

(٤) سبأ : ٢١ . (٥) إبراهيم : ٢٢ . (٦) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٧) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢ (آيتان) . (٨) الحجر : ٩ .

الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١﴾ الآيتان^(١) فهذه الآيات القرآنية تدل يقيناً على بطلان ذلك القول المزعوم ؛ ومن ثم سقوط تلك القصة المزعومة^(٢) .

• رأى البحث :

والحق أننا نذهب إلى ذات ما ذهب إليه الشنقيطي في حكمه على هذه القصة المختلفة المزعومة بالسقوط والبطلان ، كما نؤيد احتجاجه بدليليه اللذين تمثل أحدهما في تلك القرينة القرآنية الموجودة في ذات آية (النجم) التي زعموا أنها مَحَلُّ الشاهد عندهم ، في حين تمثل دليله الثاني في تلك الجملة من الآيات التي ساقها في مَعْرِضِ استشهاده على أن الشيطان لا سلطان له على رسول الله ﷺ ولا على غيره من إخوانه من رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بل ولا على عباد الله المخلصين .

وفضلاً عن هذين الدليلين المعبرين إلا أننا نرى أن هناك قرينتين قرآنيتين أخريين تشهدان على سقوط هذه القصة وبطلانها ، أما أولى هاتين القرينتين فتوجد في آية (الحج) وأما ثانيتهما فتوجد في آية (النجم) وفيما يلي نبين وجه استدلالنا بهما على النحو التالي :

١- القرينة الأولى (في آية الحج) :

ففي قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ الآية^(٣) يبين الحق سبحانه أنه يبطل ما يلقيه ويقوله الشيطان أثناء تلاوة رسول الله ﷺ لكتاب الله تعالى ، كما أبطل سبحانه ما كان يلقيه ويقوله الشيطان أثناء تلاوات رسل الله وأنبيائه لما أنزل عليهم في أقوامهم من قبل .

ومن ثم ؛ فإن إسناد الإلقاء إلى الشيطان لهو دليل قاطع على أن هذا الإلقاء لم يَقُلْهُ رسول الله ﷺ وإنما قائله هو الشيطان ذاته ؛ وبهذا تبرأ ساحة رسول الله ﷺ من زعم هذا الإلقاء بنص هذه الآية ذاتها .

كما أن إثبات الله تعالى نَسْخَهُ وإبطاله لما يلقيه ويقوله الشيطان ، ثم إحكامه سبحانه وإثباته آياته الحقة ؛ لهو دليل قاطع على بطلان هذه القصة المزعومة وسقوطها ، وأنها لم تُبَاشِرْ لسان رسول الله ﷺ فضلاً عن عقله وقلبه ؛ لأنه بنسخ الله تعالى ما يلقيه الشيطان ، وإحكامه سبحانه آياته ؛ يحفظ رسوله ﷺ من أن يصل إليه من الشيطان أي مقال ، أو أن ينال منه على أية حال .

(١) فصلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) (٣) الحج : ٥٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٧٢٨/٥ - ٧٣٠ .

٢- القرينة الثانية (في آية النجم) :

ففي قول الله تعالى : ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾ الآية^(١) أمر بالسجود في هذه الآية الأخيرة التي ختمت بها السورة، وكما هو معلوم أن هذا موضع سجدة من سجديات التلاوة في القرآن؛ ومن ثم فقد سجد رسول الله ﷺ امثالاً لهذا الأمر الإلهي، وليس كما زعموا من أنه سجد ﷺ تصديقاً وتأكيذاً على الخير الذي ذكر به آلهتهم في زعمهم الباطل .
وإلا لو صحَّ زعمهم هذا لكان سجد ﷺ فور ذكره آلهتهم في قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ الآيتان^(٢) إظهاراً منه وإثباتاً لذكره آلهتهم هذه بالخير ؛ حتى إنه ليسجد لربه سبحانه شكراً وامتناناً على هذا الوفاق بينه وبين أتباع هذه الآلهة .

ولكن حاشاه ﷺ أن يقع منه ذلك ، سبحانه هذا بهتان عظيم !! لقد سجد ﷺ امثالاً لأمر ربه سبحانه في آخر السورة ، ولم يسجد عند ذكر آلهتهم الباطلة في أول السورة نفسها ؛ وبهذا ينتفى ذكره ﷺ آلهتهم المزعومة بهذا الخير المزعوم ؛ وهذا ما يتأدى عنه بالضرورة عدم إجراء ذلك القول على لسانه ﷺ من الأصل ؛ ومن ثم بطلان هذه القصة وسقوطها من الأصل كذلك .

وهكذا فبضم هاتين القرينتين القرآنتين إلى دليلى الشنقيطى السابقين ؛ فإنه يتأكد لنا بطلان هذه القصة وسقوطها ، شأنها في ذلك شأن سائر أمثالها من الإسرائيليات المختلفة المزعومة التي يجب ردها وتكذيبها، فضلاً عن عدم صحة الرجوع إليها، أو التعويل عليها .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يسلك إزاء نقده الإسرائيليات أحد سبيلين ، فإما أن يُعْرَضُ عند ذكر تلك الإسرائيليات التي لا جدوى منها ولا طائل تحتها ؛ حيث لا يترتب على تركها خطر من ورائها ، وإما أن يتعقب تلك الإسرائيليات الأخرى التي يؤدي تركها إلى استئراء شرها ، واستفحال خطرها ؛ من حيث فتنة المسلمين بها ، ووقوعهم في أمر دينهم بسببها .

وفي هذين المسلكين ما فيهما من المنهجية وتوجيه الجُهد ما جعل الشنقيطى ينقد ما يستحق النقد ، ويُعْرَضُ في ذات الوقت عما لا يستحق النقد .

(١) النجم : ٦٢ (الآية الأخيرة في السورة) .

(٢) النجم : ١٩ - ٢٠ (الآيتان في أول السورة) .

المطلب الثاني نقد المفسرين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : توجيه الشنقيطى لأراء المفسرين .
- ٢- المسألة الثانية : ردّ الشنقيطى لأراء المفسرين .

يتنازعُ نقدَ الشنقيطى للمفسرين جانبان يتمثل أحدهما فى توجيهه لبعض آرائهم الخلافية بحملها على أحد الوجوه المعتبرة ، فى حين يتمثل ثانيهما فى رده لبعض هذه الآراء الخلافية من خلال أدلته المعتبرة فى ذلك أيضاً ، وفيما يلى نكسفى بذكر بعض شواهد هذين الجانبين تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

توجيهه لآراء المفسرين

فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا﴾ الآية^(١) نراه يوجه رأى ابن جرير الطبرى بشأن (غلبة الأنبياء والرسل) الواردة فى قوله الله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ الآيتان^(٣) بحمله على أحد أمرين ، حيث يذكرهما ويعلل لهما فيقول فى ذلك ما نصه :

لقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين : (غلبة بالحجة والبيان) وهى ثابتة لجميعهم ، و(غلبة بالسيف والسنان) وهى ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال فى سبيل الله ؛ ولأن من لم يؤمر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب ؛ لأنه لم يُغالب فى شىء ، أما تصريحه تعالى بأنه كتب أن رسله هم الغالبون فهو شامل لغلبتهم من غالبهم بالسيف ، وهذا هو معنى الغلبة فى القرآن والذى يشمل أيضاً غلبتهم بالحجة والبيان .

وهذا ما يبين أن نصر الرسل المذكور فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ الآيتان^(٥) أنه نصر غلبة بالسيف والسنان للذين أمروا منهم بالجهاد ؛ لأن الغلبة التى بين أنها كتبها لهم هى أخص من مطلق النصر ؛ لأنها نصر خاص ، كما أن الغلبة لغة هى القهر ، والنصر لغة هى إعانة المظلوم ؛ فيجب إذن بيان هذا الأعمّ بذلك الأخصّ .

وبهذا تعلم أن ما قاله الإمام الكبير ابن جرير رحمه الله ، وكذا من تبعه فى تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية^(٦) من أنه لا مانع من قتل الرسول المأمور

(٢) غافر : ٥١ .

(٤) غافر : ٥١ .

(٦) غافر : ٥١ .

(١) آل عمران : ١٤٦ .

(٣) الصافات : ١٧١ - ١٧٢ (آيتان) .

(٥) الصافات : ١٧١ - ١٧٢ (آيتان) .

بالجهاد ، وأن نصره المنصوص عليه في الآية يُحمَل حيثُذ على أحد أمرين أحدهما : أن الله ينصره بعد الموت ؛ وذلك بأن يسلط على قاتله مَنْ ينتقم منه ، كما فعل بالذين قتلوا (يحیی وزكريا) من تسليط (بُخْتَنَصْر) عليهم ونحو ذلك ، وثانيهما : حَمَل الرسل في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ على خصوص نبينا ﷺ وحده ، وهذا لا يجوز حمل القرآن عليه لأمرين :

● الأمر الأول : أنه خروج بكتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ؛ ومن ثم فإن الحكم بأن المقتول من المتقاتلين هو المنصور بعيد جداً وغير معروف في لسان العرب ؛ فَحَمَل القرآن عليه بلا دليل غلط ظاهر ، وكذلك حَمَل الرسل على نبينا محمد ﷺ وحده بعيد جداً أيضاً ، والآيات الدالة على عموم الوعد بالنصر لجميع الرسل كثيرة ولا نزاع فيها .

● الأمر الثاني : أن الله تعالى لم يقتصر في كتابه على مطلق النصر الذي هو في اللغة (إعانة المظلوم) بل صرَّح بأن ذلك النصر المذكور للرُّسُل هو (نصر غلبة) وذلك في قوله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ الآية (١) .

وقد رأيت معنى الغلبة في القرآن ، ومَرَّ عليك أن الله سبحانه جعل المقتول قسماً مقابلاً للغالب في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية (٢) كما صرَّح تعالى بأن ما وعد به رسله لا يمكن تبديله وذلك في قوله جلّ وعلا : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية (٣) .

ولا شك أن قول الله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ هو من كلماته التي صرَّح بأنها لا مبدل لها ، وقد نفى جلّ وعلا عن المنصور أن يكون مغلوباً نفيّاً باتاً في قوله تعالى : ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ الآية (٤) وقد ذكر مُقاتِل أن سبب نزول قول الله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ أن بعض الناس قال : أَيُظَنُّ محمد وأصحابه أن يغلبوا الروم وفارس كما غلبوا العرب ، زاعماً أن الروم وفارس لا يغلبهم النبي ﷺ لكثرتهم وقوتهم ؛ فأنزل الله تعالى الآية المذكورة .

وهذا ما يدل على أن الغلبة المذكورة في الآية هي غلبة بالسيف والسنان ؛ لأن صورة سبب النزول لا يمكن إخراجها ، كما يدل له قول الله تعالى قبله : ﴿أُولَٰئِكَ فِي

(٢) النساء : ٧٤ .

(١) المجادلة : ٢١ .

(٤) آل عمران : ١٦٠ .

(٣) الأنعام : ٣٤ .

الأذلين ﴿ الآية (١) وقوله تعالى بعده : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الآية (٢) .

وهكذا يتمثل نقد الشنقيطي هنا في توجيه ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري ومن تبعه من المفسرين بشأن مسألة (غلبة الأنبياء والرسل) حيث قَدَّ قولهم من خلال حمله على وجهين ، ومدلاً على عدم جواز أي منهما ؛ وليتهدى بذلك إلى أن غلبة الأنبياء والرسل إنما تشمل نصرهم في حياتهم الدنيا في دعوتهم بالحُجَّة والبيان ، وفي جهادهم بالسيف والسَّان، وهو ذات ما نذهب إليه ونؤيده .

المسألة الثانية

ردَّة آراء المفسرين

وكما عرضنا لتوجيه الشنقيطي لرأى الطبري وآراء من تبعه من المفسرين ؛ فإننا نعرض هنا كذلك لرد الشنقيطي رأى الطبري ، ثم لردَّه آراء المفسرين ، وذلك على النحو التالي :

١- ردَّة رأى الطبري:

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيات (٣) نراه يرد ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى من أن المراد بـ (النجم) فى هذه الآية الكريمة هو (خصوص نجم الثريا) وفى ذلك يقول ما نصه :

اعلم أن القول بأنه (الثريا) وأن المراد بالنجم هو (خصوصها) وإن اختاره ابن جرير ، ليس بوجيه عندى ؛ والدليل على ذلك جمع الله تعالى للنجوم فى القَسَم الذى أقسم به سبحانه فى قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الآية (٤) لأن الظاهر أن المراد بالنجم إذا هوى هنا كالمراد بمواقع النجوم فى (الواقعة) (٥) .

وهكذا نرى أن (النجم) هنا إنما هو رمز على جنس غيره من النجوم الأخرى ، وليس دالاً على واحد منها بعينه ، وهذا ما يبيته الحق سبحانه فى سورة الواقعة بقوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٦) ومن ثم فهى جمع من النجوم وليست نجماً واحداً بعينه ، لا (خصوص الثريا) ولا (خصوص غير الثريا) وهذا ما نوافق الشنقيطي فيه ، ونقره عليه .

(١) المجادلة : ٢٠ .

(٢) المجادلة : ٢١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/ ٣٥٣ - ٣٥٥ .

(٣) النجم : ١ - ٤ (أربع آيات) .

(٤) الواقعة : ٧٥ .

(٥) الواقعة : ٧٥ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٧/ ٧٠٠ .

٢- رآه آراء المفسرين :

ففى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الآية^(١) نراه يبين أن المقصود بما أخفاه رسول الله ﷺ فى نفسه وأبداه الله تعالى إنما هو زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بوحي من الله تعالى ، وهى آنذاك تحت زيد بن حارثة رضي الله عنه وذلك خلافاً لما ذهب إليه كثير من المفسرين الذين ردّ الشنقيطى قولهم بما نصّه :

إنّ الله تعالى أبهم فى أول هذه الآية الكريمة هذا الذى أخفاه رسوله ﷺ فى نفسه وأبداه الله سبحانه ، ولكنه أشار سبحانه فى ذات الآية إلى أن المراد به هو زواجه ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها حيث أوحى إليه ذلك وهى فى ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة رضي الله عنه لأن زواجه ﷺ بإياه هو الذى أبداه الله سبحانه بقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الآية^(٢) وهذا هو التحقيق فى معنى الآية الذى دلّ عليه القرآن ، كما أنه هو اللائق بجنابه ﷺ .

وبه تعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين من أن الذى أخفاه رسول الله فى نفسه وأبداه الله تعالى إنما هو وقوع زينب فى قلبه ومحبتة لها وهى تحت زيد ، وأنها سمعته قال : «سبحان مقلب القلوب» إلى آخر القصة ؛ فإنّ هذا كله لا صحة له ، والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يُبدِ من ذلك شيئاً ؛ مع أنه صرح سبحانه بأنه مُبْدِي ما أخفاه رسول الله ﷺ .^(٣)

وحقاً ؛ فلو كان ما أخفاه رسول الله ﷺ فى نفسه شيئاً غير الزواج المأمور به ؛ لكان الله تعالى قد أبداه ؛ ولما لم يُبدِ الله تعالى غير هذا الزواج ؛ لذا فقد تأكد بطلان ما ذهب إلى غيره كثير من المفسرين الذين ردّ الشنقيطى أقوالهم بما نتفق معه فيه ، ونقره عليه .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن نقد المفسرين عند الشنقيطى يتوزع بين توجيهه

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦ / ٥٨٠ - ٥٨١ .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرِضُ لهُ _____ الفصل الأول : الانتقاد

لآرائهم أحياناً ، وردده لآرائهم أحياناً أخرى ، وهو فى هذا أو ذاك لا يعدم إقامة الحجة على ما يذهب إليه ، من خلال أدلته الشرعية ، وشواهد المعبرة .

ثم إن نقده هذا وإن كان قد شمل أعلام المفسِّرين وأئمتهم (كالطبرىّ والقرطبيّ وابن كثير وابن العربيّ وأبى حيانَ والرازيّ والبغوىّ وابن عطيةّ والزمخشريّ والآلوسىّ) وغيرهم ؛ إلا أننا اكتفينا منهم بعلمهم وإمامهم أبى جعفر محمد بن جرير الطبرىّ رحمه الله تعالى تنبيهاً به على جملتهم مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة .

المطلب الثالث نقد المحدثين

ونعالج تحته المسائل الثلاث التالية :

- ١- المسألة الأولى : كلام الشنقيطيّ في إسناد الحديث .
- ٢- المسألة الثانية : كلام الشنقيطيّ في تخريج الحديث .
- ٣- المسألة الثالثة : كلام الشنقيطيّ في درجة الحديث .

يتورع نقدُ المُحدِّثين عند الشنقيطى بين كلامه فى (إسناد الحديث) حيث تفنيده لما يذكره المُحدِّثون من الجرح والتعديل لرجال إسناد هذا الحديث أو ذاك ، ثم كلامه فى (تخريج الحديث) حيث تَبَّعَهُ لروايات الحديث المختلفة ، وطرقه المتعددة ، وبيان تخريج هذه الروايات فى كتب السُّنة ومصنقات الحديث بمختلف أنواعها ، وأخيراً كلامه فى (درجة الحديث) حيث عَرَضَهُ أقوال العلماء بشأن حكمهم على الحديث ، وتحديددهم درجة صحته ؛ ومن ثم حكمه على الحديث بالقَبُول والإعمال ، أو بالردِّ والإهمال ، وفيما يلى نكفى بذكر بعض شواهد هذه المحاور الثلاثة تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

كلامه فى إسناد الحديث

فى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية^(١) نراه يَعرِضُ للخلاف الواقع بين العلماء فى (زكاة الحُلِيِّ المباح) حيث يتناول من خلال ذلك رجال إسناد الحديث الذى احتج به مَنْ قال : (لا زكاة فى الحُلِيِّ المباح) فيقول ما نصه : واعلم أنّ مَنْ قال بأن (الحُلِيِّ المباح لا زكاة فيه) إنما تنحصر حجته فى أربعة أمور :

- الأول : حديث جاء بذلك عن رسول الله ﷺ .
- الثانى : آثار صحيحة عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يَعتَضِدُّ بها الحديث المذكور .
- الثالث : القياس .
- الرابع : وضع اللغة .

أما الحديث : فهو ما رواه البيهقى فى (معرفة السنن والآثار) من طريق (عافية بن أيوب) عن الليث ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، عن النبى ﷺ أنه قال : «لا زكاة فى الحُلِيِّ» الحديث^(٢) .

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) أخرج مالك ما ذهب إليه بعض الصحابة كابن عمر وعائشة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضى الله عنهم أجمعين من أن (الحلى لا زكاة فيه) - انظر الموطأ (كتاب) الزكاة (باب) ما لا زكاة فيه من الحلى والتبر والعنبر - (طبع بيروت) - وقد أخرج الترمذى أيضاً نفس ما أخرجه مالك عن هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين - انظر سنن الترمذى (كتاب) الزكاة (باب) ما جاء فى زكاة الحلى - =

قال البيهقي : وهذا الحديث لا أصل له ، وإنَّ ما روى عن جابر من قوله فهو غير مرفوع ، وأما الذي يروى عن عافية بن أيوب ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً فهو لا أصل له ، و(عافية بن أيوب) مجهول ، فَمَنْ احتج به مرفوعاً كان مغرراً بدينه ، داخلاً فيما نعيب به المخالفين من الاحتجاج برواية الكذابين ، والله يعصمنا من أمثال هذا .

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : ما قاله الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى من أن الحكم برواية (عافية) المذكور لهذا الحديث مرفوعاً من جنس الاحتجاج برواية الكذابين فيه نظر ؛ لأن (عافية) المذكور لم يقل فيه أحد إنه كذاب ، وغاية ما في الباب أن البيهقي ظن أنه (مجهول) لأنه لم يطلع على كونه ثقة ، وقد اطلع غيره على أنه (ثقة) فوثقه ، وقد نقل ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي زرعة .

وقال ابن حجر في (التلخيص) : (عافية بن أيوب) قيل ضعيف ، وقال ابن الجوزي : (ما نعلم فيه جرحاً) وقال البيهقي : (مجهول) ونقل ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي زرعة ؛ ولا يخفى أن مَنْ قال : إنه (مجهول) يُقَدِّمُ عليه مَنْ قال : إنه (ثقة) لأنه اطلع على ما لم يطلع عليه مَنْ ادعى أنه مجهول ، كما أن مَنْ حفظ حُجَّةً على مَنْ لم يحفظ) .

ثم إن التجريح لا يُقْبَلُ مع الإجمال ؛ ف(عافية) هذا وثقه أبو زرعة ، والتعديل والتجريح يكفى فيهما واحد على الصحيح في (الرواية دون الشهادة) وفي هذا يقول العراقي في (الفيتة) :

وَصَحَّحُوا اكْتِفَاءَهُمْ بِالوَاحِدِ جَرْحاً وَتَعْدِيلاً خِلافَ الشَّاهِدِ

= (طبع بيروت) .

كما أخرجه ابن الجوزي مرفوعاً من طريق عافية بلفظ : «ليس من الحلى زكاة» وقد عَقَّبَ عليه بقوله : قالوا عافية ضعيف ، قلنا : ما عرفنا أحداً ظفر فيه ، وقالوا : قد روى هذا الحديث موقوفاً على جابر ، قلنا : الراوى قد يسند الشيء تارة ، وقد يفتى به تارة أخرى - انظر (التحقيق في أحاديث الخلاف) : لابن الجوزي ٤٢/٢ - الطبعة ١ - تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

ويؤكد ابن حجر ما ذهب إليه ابن الجوزي ، وكذا ما نقله ابن أبي حاتم عن أبي زرعة ، بشأن توثيقهم (عافية) المذكور ، وتعديلهم له قائلاً ما نصه : رَوَى البيهقي في (المعرفة في السنن والآثار) عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا زكاة في الحلى» من حديث (عافية بن أيوب) عن أبي الزبير عن جابر ، ثم قال : (لا أصل له ، وإنما يروى عن جابر من قوله) وعافية قيل ضعيف ، وقال ابن الجوزي : (ما نعلم فيه جرحاً) وقال البيهقي : (مجهول) ونقل ابن أبي حاتم (توثيقه) عن أبي زرعة - انظر (تلخيص الحبير) : لابن حجر العسقلاني ١٧٦/٢ - (طبع المدينة المنورة) .

كما أن التعديل يُقبل مجملاً بخلاف الجرح للاختلاف في أسبابه ، وفي هذا يقول العراقي في (الفية) كذلك :

وَصَحَّحُوا قَبُولَ تَعْدِيلِ بَلَاءٍ ذَكَرَ أَسْبَابَ لَهُ ، أَنْ تَثَقُلًا
وَلَمْ يَرَوْا قَبُولَ جَرَحِ أَهْبِمَا لِلخُلْفِ فِي أَسْبَابِهِ ، وَرَبَّمَا
اسْتَفْسِرَ الْجَرَحُ فَلَمْ يَقْدَحْ كَمَا فَسَّرَهُ شُعْبَةُ بِالرُّكُضِ ، فَمَا
هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ حُفَاطُ الْأَثَرِ كَشَيْخِي الصَّحِيحِ مَعَ أَهْلِ النَّظَرِ^(١)

وهذا هو الصحيح ؛ لأنه مما لاشك فيه أن قول البيهقي في (عافية) : (إنه مجهول) أولى منه بالتقديم عليه قول أبي زرعة فيه : (إنه ثقة) ولأنه كما ذكرنا أن (من حفظ حجة على من لم يحفظ) .

وأخيراً فمما يؤيد ما ذكر من توثيق (عافية) المذكور أن ابن الجوزي مع سعة اطلاعه ، وشدة بحثه عن الرجال ؛ فقد قال : (إنه لا يعلم فيه جرحاً) ومن ثم ؛ فإذا ثبت الاستدلال بالحديث المذكور ؛ فإنه يصير بهذا نصاً في محل النزاع^(٢) .

(١) راجع في ذلك باب (معرفة من تُقبل روايته ومن تُردُّ) من (نظم الدرر في معرفة الأثر) المعروف بـ(الفية مصطلح الحديث) : للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت (٨٠٦ هـ = ١٤٠٤م) - ص ١٨٤ - ضمن مجموعة بعنوان (نفائس) - تحقيق : محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - (د . ت) .

ويرى السيوطي أن الأصل في العالم هو عدله إلى أن يظهر جرحه ، كما أن الجرح والتعديل يكفي في قبولهما أن يحكم بهما عالم واحد على الأصح ؛ ومع هذا فالجرح مقدم عنده على التعديل خلافاً للعراقي والشنقيطي ؛ إلا إذا كان هذا الجرح منفصلاً بحيث يتأدى عنه في النهاية نفيه عن صاحبه ؛ فعندئذ يتم تقديم القول بتعديله على القول بتجريحه ، وهذا ما يشير إليه الحافظ السيوطي في (الفية الحديث) بقوله :

بأن كل من بعلم يُعرفُ
والجرح والتعديل مطلقاً رأوا عدلٌ إلى ظهور جرح ، وأبوا
ما لم يوثق من إجمال جرح قبوله من عالم على الأصح
أكثر في الأقوى ، فإن فصله وقدم الجرح ولو عدله
بوجهه ؛ قدم من زكاه فقال : منه تاب ، أو نقاه

• انظر (الفية علم الحديث) : للحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) ص

٤٢ - الطبعة ١ - مكتبة العلم بجدة - ومكتبة ابن تيمية بالقاهرة - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٤٤٦ - ٤٤٧ .

وهكذا يتعقب الشنقيطي منزلة (عافية) المذكور من (الجرح والتعديل) ليتهاي إلى القول بتوثيقه ، ومثباً أن مَنْ عدَّلهُ بحكمه عليه بأنه (ثقة) مقدم على مَنْ جرحهُ بحكمه عليه بأنه (مجهول) .

وبهذا يَسَلِّمُ رجالُ إسناده الحديث المذكور من التجريح ؛ ومن ثم فإنه يثبت الاستدلال به كنص في محلِّ النزاع ، وهذا ما أشار إليه الشنقيطي في ختام كلامه الذي نقله عن أئمة الجرح والتعديل بشأن توثيقهم (عافية) المذكور .

المسألة الثانية

كلامه في تخريج الحديث

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الآية^(١) نراه يذهب إلى القول بجواز صلاة ركعتي الطواف في أوقات النهي بلا كراهة ، ومستدلاً في ذلك بقول الله تعالى : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ الآية^(٢) ثم بالحديث الذي رواه جبير بن مطعم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار» الحديث^(٣) .

وحالما يفرغ الشنقيطي من استدلاله بهذا الحديث نراه يردُّ على المجد ابن تيمية في عزوه إياه للإمام مسلم قائلاً في ذلك ما نصّه : عزا المجد ابن تيمية حديث جبير لمسلم حيث قال : (رواه الجماعة إلا البخاري) وهذا وهمٌ منه ، وقد تبعه عليه المحبُّ الطبري حيث قال : (رواه السبعة إلا البخاري وابن الرفعة) ثم قال المحبُّ الطبري : رواه مسلم ولفظه : «لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار» وكأنه والله أعلم لما رأى ابن تيمية قد عزاه إلى الجماعة دون البخاري؛ اقتطع مسلماً من بينهم واكتفى به عنهم، ثم ساقه باللفظ الذي أورده ابن تيمية ؛ فأخطأ مكرراً^(٤) .

وهكذا يُحرِّرُ الشنقيطي المقام هنا بشأن تخريج حديث جبير المذكور ، حيث يثبت وهمَّ المجد ابن تيمية في تخريجه له في (صحيح مسلم) ومن ثم وهمَّ المحبُّ الطبري الذي تبعه في ذلك ، وهو في ذات الوقت يؤكد عدم رواية البخاري ومسلم لهذا الحديث ؛ مما

(١) الحج : ٢٩ . (٢) البقرة : ١٢٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب) الحج (باب) ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف - (طبع بيروت) - وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح - كما أخرجه أبو داود في سننه

(كتاب) المناسك (باب) الطواف بعد العصر - (طبع بيروت) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٥/٢٢٣ - ٢٢٤ .

يدل على عنايته بتخريج الحديث الذي يستشهد به ، وتعقبه طرقه المتعددة ، ورواياته المختلفة .

المسألة الثالثة

كلامه في درجة الحديث

ففي مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان^(١) نراه يستدل على مشروعية الاجتهاد في هذه الآية الكريمة بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن قائلاً له : «بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ، قال : فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ ، الحديث^(٢) .

وبعد أن يورد الشنقيطي نصاً هذا الحديث نراه يشرع في تتبع درجته والحكم عليه ؛ وليخلص في نهاية المطاق إلى قول العلماء بصحته وتلقى الأمة له بالقبول ، وفي ذلك يقول ما نصّه : اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكور في المُسْنَدِ والسُّنَنِ كلها من طريق شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو (وهو ابن أخي المغيرة بن شعبة) عن أناس من أصحاب معاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله ﷺ .

أما الرواية المتصلة الصحيحة التي ذكرنا سابقاً عن ابن قدامة في (روضة الناظر) أن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ : فهذا الإسناد وإن كان متصلاً ، وكان رجاله معروفين بالثقة ؛ إلا أنني لم أقف على مَنْ خَرَجَ هذا الحديث من هذه الطريق ، إلا عند كل من :

١- العلامة ابن القيم ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ هـ) :

حيث ذكره رحمه الله تعالى في كتابه (إعلام الموقعين) عن أبي بكر الخطيب بلفظ :

(١) الآيتان : ٧٨ - ٩٧ (آيتان) .

(٢) سبق تفصيل القول في هذا الحديث من حيث تخريجه ودرجته ؛ وقد انتهى حكم قدامى العلماء ومحدثيهم عليه بأنه وإن كان ليس صحيح الإسناد ، إلا أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفاً وخلفاً ، وهذا هو وجه شهرته التي تُعَصَّدُ قَبُولُهُ والاختدّ به ، والله تعالى أعلم - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّةُ الثالثة التحليل لسائر ما يَرِضُ لَهُ _____ الفصل الأول : الانتقاد

(وقد قيل : إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ) ولقظة (قيل) صيغة تمرّض كما هو معروف .

٢- الحافظ ابن كثير ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) =

حيث ذكره رحمه الله تعالى في (تاريخه) باللفظ الذي ذكرنا بالإسناد الذي أخرجه به الإمام أحمد، ثم قال: وأخرجه أبو داود ، والترمذى من حديث شعبة به، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عند بمتصل ، ثم قال ابن كثير : وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه ، إلا أنه من طريق محمد بن سعيد بن حسان (وهو المصلوب أحد الكذابين) عن عبادة بن نسي ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ به نحوه .

واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من (تاريخ ابن كثير) التي هي من الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ فيها تحريف مطبعي في الكلام الذي ذكرنا ، ففيها : محمد بن سعد بن حسان ، والصواب (محمد بن سعيد لا سعد) كما فيها : عن عياذ بن بشر ، والصواب (عبادة بن نسي) .

وما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى من إخراج ابن ماجه لحديث معاذ المذكور من طريق محمد بن سعيد المصلوب ، عن عبادة بن نسي ، عن عبد الرحمن وهو ابن غنم ، عن معاذ ، لم أره في سُنن ابن ماجه ، أما الذي في سُنن ابن ماجه بالإسناد المذكور من حديث معاذ فهو غير المتن المذكور ولفظه : حدثنا الحسن بن حماد سجادة ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عبد عبد الرحمن بن غنم ، حدثنا معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : «لا تقضين ولا تفصلين» إلا بما تعلم ، وإن أشكلَ عليك أمر فقف حتى تبيته أو تكتب فيه» الحديث^(١) .

وما أدري أوهيم الحافظ ابن كثير فيما ذكر !؟ أو هو يعتقد أن معنى (تبيته) في الحديث أى تعلمه باجتهادك فى استخراجه من المنصوص ، فيرجع فى ذلك إلى معنى الحديث المذكور .

وعلى كل حال فالرواية المذكورة من طريق عبادة بن نسي ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ ، فيها كذآب هو محمد بن سعيد المذكور الذى قتله أبو جعفر المنصور فى الزندقة ثم صلبه ، وقال فيه أحمد بن صالح : إنه وضع أربعة آلاف حديث .

فإذا علمت بهذا انحصار طرق هذا الحديث المذكور الذى فيه : (أن معاذاً قال للنبي

(١) أخرجه ابن ماجه فى سُننه (كتاب) المقدمة (باب) اجتناب الرأى والقياس - (طبع بيروت) .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرَضُ له _____ الفصل الأول : الانتقاد

ﷺ : إنه إن لم يجد المسألة في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ اجتهد فيها رأيه ؛ وقد أقره النبي ﷺ على ذلك في الطريقتين المذكورتين) علمت وجه تضعيف الحديث عند من ضعفه حيث يقول :

إن طريق عبادة بن نسي عن ابن غنم لم تسندوها ثابتة من وجه صحيح إليه ، كما أن الطريق الأخرى التي في المسند والسُنن فيها الحارث ابن أخي المغيرة وهو مجهول ، والرواية فيها أيضاً عن معاذ مجاهيل ؛ فَمِنْ أَيْنَ قَلْتُمْ بِصَحَّتِهَا !؟

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : ذكر ابن كثير في مقدمة تفسيره أن الطريقة المذكورة في المسند والسُنن بإسناد جيد ، ولعله يرى أن الحارث المذكور ثقة ، وقد وثقه ابن حبان ، وأن أصحاب معاذ لا يُعرَفُ فيهم كذّاب ولا متهم .

ويؤيد ما ذكرنا عن مراد ابن كثير بجودة الإسناد المذكور ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في (إعلام الموقعين) حيث قال فيه : وقد أقر النبي ﷺ معاذاً على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصّاً عن الله ورسوله ، فقال شعبة : حدثني أبو عون عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال : «كيف تصنع إن عرّضَ لك قضاء» ؟ قال : أقضى بما في كتاب الله ، قال : «فإن لم يكن في كتاب الله» قال : فبِسُنَّةِ رسول الله ﷺ قال : «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ» ؟ قال : اجتهد رأيي لا ألو ؛ فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : «الحمد لله الذي وقَّعَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضى رسولَ الله» الحديث^(١) .

فهذا حديث وإن كان عن غير مُسمَّين ؛ إلا أنهم من أصحاب معاذ مما يدل على شهرة الحديث ؛ ومن ثم فلا يضره عدم تسميتهم ، كما أن الذي حدث له الحارث بن عمرو هم جماعة من أصحاب معاذ لا عن واحد منهم ؛ وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم فقط حتى ولو سُمِّيَ .

ثم كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحلّ الذي لا يخفى ، ولا يُعرَفُ في أصحابه متهم ولا كذّاب ولا مجروح ، بل إن أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم ، ولا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك ، كما أن (شُعْبَةَ) حامل لواء هذا الحديث قال فيه بعض أئمة الحديث : إذا رأيت (شُعْبَةَ) في إسناد حديث ؛ فاشدّدْ يديك به .

وقال أبو بكر الخطيب : وقد قيل إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ ، وهذا إسناد متصل ، ورجاله معروفون بالثقة ، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

وبعد هذا يعود الشنقيطي إلى ذكر خلاصة قوله في الحكم بصحة هذا الحديث كصحة غيره من بعض الأحاديث المماثلة التي ذكرها بقوله : ومن ثمَّ ؛ فقد وقفنا من خلال هذا الذي ذكرنا على صحة هذا الحديث عندهم ، كما وقفنا بذلك على صحة قول رسول الله ﷺ : «لا وصية لوارث» الحديث^(١) وقوله ﷺ في البحر : «هو الطهور ماؤه ، الحِلِّ مَيْتَتُهُ» الحديث^(٢) وقوله ﷺ : «إذا اختلف المتبايعان في الثمن ، والسلعة قائمة ؛ تحالفا وتراداً البيع» الحديث^(٣) وقوله ﷺ : «الدية على العاقلة» الحديث^(٤) .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (كتاب) الطهارة (باب) الطهور للوضوء - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه النسائي في سننه (كتاب) البيوع (باب) اختلاف المتبايعين في الثمن - (طبع الأردن) - وقد نص النسائي على (استحلاف البائع وحده ، وتخيير المتبايع في الأخذ أو الترك) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الدييات (باب) جنين المرأة - (طبع بيروت) .

والعاقلة: هم العصبية من أقارب الرجل من جهة أبيه الذين يدفعون دية قتل الخطأ وشبه العمد ، ومن ذلك حديث رسول الله : «قضى رسول الله ﷺ بديّة شبه العمد والخطأ المحض على (العاقلة) يؤدونها في ثلاث سنين إلى ورثة المقتول» - انظر مادة (عقل) في لسان العرب : ٣٠٤٦/٤ .

وعن الدية التي تضمنها هذا الحديث الذي ساقه ابن منظور هنا في (لسانه) فقد عرّض لها الشوكاني من خلال ذكره خلاف العلماء الوارد بشأنها قائلاً في ذلك ما نصه : قال الشافعي في (مختصر المزني) : لا أعلم مخالفاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالدية على العاقلة في ثلاث سنين ، قال الرافعي : تكلم أصحابنا في ورود الخبر بذلك ، فمنهم من قال ورد ونسبه إلى رواية عليّ ، ومنهم من قال ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالدية على العاقلة ، وأما التأجيل فلم يردّ به الخبر ، وقد أخذ ذلك من إجماع الصحابة .

قال ابن المنذر : وما ذكره الشافعي لا نعرفه أصلاً من كتاب ولا سنة ، وقد سئل عن ذلك أحمد بن حنبل فقال : لا نعرف فيه شيئاً ، فقيل : إن أبا عبد الله (يعني الشافعي) رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : لعله سمعه من ذلك المدني ؛ فإن كان حسن الظن به (يعني إبراهيم بن أبي يحيى) وتعقبه ابن الرفعة قائلاً : (إن من عرف حجة على من لم يعرف) .

وروى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : من السنة أن تُنجم الدية في ثلاث سنين ، وقد وافق الشافعي على نقل الإجماع الترمذي في (جامعه) وابن المنذر ؛ فحكى كل واحد منهما الإجماع ، وقد روى التأجيل ثلاث سنين ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والبيهقي عن عمر ، وهو منقطع لأنه من رواية الشعبي عنه ، ورواه عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريج عن أبي وائل قال : إن عمر بن الخطاب جعل الدية الكاملة في ثلاث سنين ، وجعل نصف الدية في سنتين ، وما دون النصف في سنة ، وأما البيهقي فقد روى التأجيل المذكور عن أمير المؤمنين عليّ رضوان الله تعالى عليه .

• انظر في ذلك (نيل الأوطار) : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ =

١٨٣٤م) - ٢٤٨/٧ - دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م .

فهذه الأحاديث وإن كانت لا تثبت من جهة الإسناد ؛ إلا أنها لما تلقتهما الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ؛ فكذلك حديث معاذ رضي الله عنه لما احتجوا به جميعاً فقد غنوا بذلك عن طلب الإسناد له ؛ وإضافةً إلى هذا الذي ذكرنا فإن الأمة قد تَلَقَّتْ هذا الحديث قديماً وحديثاً بالقبول^(١) .

● رأي البحث :

والحق أننا نؤيد ما ذهب إليه الشنقيطي إزاء حكمه بصحة هذا الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول ، من حيث أخذها به ، وإعمالها له ، سلفاً وخلفاً ، بما بلغ معه حد (التواتر المعنوي) وفي هذا ما فيه من الذبوع والشهرة ما جعل المحققين من العلماء المعتبرين يرجعون إليه ، ويعوكون عليه ، بشأن ما يؤصله من مراتب الحكم ، وما يقرره من درجات القضاء ، من خلال تلك المنهجية الواضحة ، وذلك التعاقب المنطقي ؛ حيث التماس الحكم في كتاب الله تعالى أولاً ، ثم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانياً ، ثم الاجتهاد بالرأى في ضوء الكتاب والسنة ثالثاً .

وهذا ما يشهد له فعل العلماء ، ويؤيده واقع الأمة ، على اختلاف دُورها وأمصارها ، وتعاقب دهورها وأعصارها .

● رد القول بضعف الحديث ونكارته :

ذهب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني إلى تضعيف إسناد هذا الحديث والقول بنكارته مصرحاً بأنه ربما لم يسبقه غيره إلى ذلك ، غير أن من جملة ما يُردُّ به عليه هو ذلك التصحيح الذي انتهى إليه الشيخ محمد زاهد الكوثري الذي سبقت وفاته وفاة الألباني بقرابة نصف قرن من الزمان ، حيث كانت وفاة الأول عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) في حين كانت وفاة الثاني عام (١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م) وفيما يلي كلام كل منهما بشأن الحديث المذكور :

١- تضعيف الألباني :

حيث ذكر الألباني ضعف إسناد هذا الحديث ونكارته قائلاً ما نصّه : لا بد لي أن ألفتَ الانتباه إلى حديث مشهور قلما يخلو منه كتاب من كتب أصول الفقه ؛ وذلك لضعفه من حيث إسناده من كتب أصول الفقه ؛ وذلك لضعفه من حيث إسناده ، ثم لتعارضه مع ما انتهينا إليه من عدم جواز التفريق في التشريع بين الكتاب والسنة ، ووجوب الأخذ بهما معاً ، ألا وهو حديث (معاذ بن جبل رضي الله عنه) .

(١) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣/ ٥٨٣ - ٤ / ٦٠٠ .

وبعد أن يسوق نص الحديث يقول : وقد بينت ضعف إسناده بياناً شافياً ربما لم أُسبق إليه في السلسلة السابقة الذكر^(١) وحسبى الآن أن أذكر أن أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخارى رحمه الله تعالى قال فيه : (حديث منكر) فهذا هو الذى أردت أن أنبه إليه ، فإنه أصبت فَمِنْ الله تعالى ، وإن أخطأت فَمِنْ نَفْسِي^(٢) .

غير أن ظن الشيخ الألبانى بأنه ربما لم يسبقه غيره إلى بيان هذا الحديث هو تعميم لا وجه له ، فضلاً عن كونه ظناً لا ينعقد به حكم ، وهذا ما بيّنه الدليل التالى ذكره .

٢- تصحيح الكوثرى:

سبق الشيخ الكوثرى إلى بيان هذا الحديث قبل الشيخ الألبانى ، حيث تعقب جملة الأقوال التى وردت بشأنه ، ثم رد على القائلين بضعفه وانتهى إلى الحكم بصحته ، وفى ذلك يقول ما نصّه : وأما محاولة توهين أمر هذا الحديث بأن أصحاب معاذ مجاهيل وأن رواية المجاهيل مردودة ؛ فهى محاولة فاسدة لأن أصحاب معاذ معروفون بالدين والثقة ، ولا يستطيع هذا المحاول أن يثبت جرحاً فى أحد من أصحاب معاذ نصّاً ، وكم فى صحيح البخارى من رجال لم يُنقل توثيقهم عن أحد نصّاً إلا أنه لم يثبت جرحهم ؛ ومن ثم فقد أدخلت روايتهم فى الصحيح كما نصّ على ذلك الذهبى فى كتابه (الميزان) .

ولعل فى قول الكوثرى هذا تفسيراً لما ذكره الألبانى من أن البخارى رحمه الله تعالى قد ذهب فى (صحيحه) إلى القول بنكارة هذا الحديث .

● اعتضاد الكوثرى بقول ابن العربى:

ويعتضد الكوثرى فى تصحيحه حديث معاذ المذكور ، بما قاله القاضى أبو بكر بن العربى فيذكر عنه ما نصه : وقال أبو بكر بن العربى ذلك الحافظ الكبير : اختلف الناس فى هذا الحديث ، فمنهم مَنْ قال : إنه لا يصح على مصطلحهم ، ومنهم مَنْ قال : هو صحيح ، والذى أدين به هو القول بصحته ؛ حيث إنه حديث مشهور يرويه (شُعْبَةُ بن الحجاج عن جماعة من الأئمة والفقهاء) .

(١) ويقصد بها سلسلته المعروفة بـ (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السئ فى الأمة) : الحديث رقم ٨٨٥ - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) منزلة السنة فى الإسلام وبيان أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن : الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٥ - طبعة لجنة البيان بدار المسلم - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

● اعتضاد الكوثري بقول البغدادي:

كما يعتضد الكوثري بما ذهب إليه الخطيب البغدادي بشأن شهرة هذا الحديث فيذكر عنه ما نصّه : وقال الخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه والمتفقه) وهو بالطبع من أجدر كتبه : وقول الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ يدل على شهرة هذا الحديث وكثرة رواته ؛ وقد عرّف فضل معاذ وزهده ، كما أنّ الظاهر من حال أصحابه هو الدين والثقة والزهد والصّلاح رضوان الله عليهم أجمعين .

● خلاصة قول الكوثري:

وأخيراً يختم الكوثري قوله في هذا الحديث بالتأكيد على شهرته مع احتفائه بكثرة القرائن والروايات التي بلغت به حدّ التواتر المعنوي ، حيث يقول في ذلك ما نصّه : ولقد روى هذا الحديث من لا يُحصون كثرةً حتى تلقاه فقهاء التابعين وتابعوهم بالقبول ، فضلاً عن جريانهم خلفاً عن سلفٍ على الأصل الأصيل الذي أصله هذا الحديث .

ومن ثم ؛ فقد تلخص من ذلك كله أن هذا الحديث ثابت عند جمهرة من الجامعين بين الفقه والحديث ، بل إنه مع احتفّ به من القرائن والروايات ليبلغ مدلوله حدّ (التواتر المعنوي) ولو أخذت أسرد طرق هذا الحديث من الكتب السالف ذكرها فضلاً عن سائر الكتب والروايات الأخرى في هذا الصدد ؛ لطلال بنا الكلام جدّاً ، ولَسَمَّ المطالع الكريم ، غير أنّ فيما ذكرناه غنيّة في معرفة مرتبة هذا الحديث رغم تقولات بعض النقلة بشأنه^(١) .

وهكذا يتهى رأى البحث إلى ذات ما انتهى إليه رأى الشنقيطيّ ، ومن قبله كل من البغداديّ ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) وابن العربيّ ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩ م) وابن قدامة ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) وابن كثير ت (٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م) وأخيراً الكوثريّ ت (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) بشأن ما ذهبوا إليه من حكمهم بصحة هذا الحديث ، والذي يشهد عليه قبُول الأمة له ، وعملها به .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يسلك إزاء نقده الحديثيّ أحد سبيلٍ ثلاثة تتمثل في (تعقبه رجال إسناد هذا الحديث أو ذاك لبيان موقفهم من الجرح والتعديل)

(١) راجع تفصيل ذلك في (مقالات الكوثري) : بقلم العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثريّ المتوفى عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) - ص ٦١ - تحت عنوان : (حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في اجتهاد الرأي) - طبع القاهرة - (د . ت) .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمة الثالثة التحليل لسائر ما يُعرضُ له _____ الفصل الأول : الانتقاد

ثم (تبعه طرق الحديث المتعددة ورواياته المختلفة ليقف من خلال ذلك على تخريجه في مظانه من كتب الصحاح خاصة والمصنفات الأخرى عامة) وأخيراً (عرضه الأقوال العلماء المعنيين في هذا الحديث أو ذاك لينتهي إلى معرفة درجته من الصحة والضعف) .
وفي هذا ما فيه من عناية الشنقيطي واهتمامه بشواهدة الحديثية ما جعله يطيل النَّقْسَ في تناوله مختلف جوانب الحديث من حيث إسناده وتخرجه ودرجته ؛ الأمر الذي يحقق لهذا النقد منهجيته ، ويكفل له موضوعيته .

المطلب الرابع نقد الأصوليين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : ردّ الشنقيطى للأصوليين من السلف .
- ٢- المسألة الثانية : ردّ الشنقيطى للأصوليين من الخلف .

يتورعُ نقدُ الأصوليين عند الشنقيطيّ بين ردّه لبعض آراء أهل الأصول من السلف وعلى رأسهم واضح علم الأصول الإمام الشافعيّ رحمه الله تعالى ، ثم ردّه لبعض آراء أهل الأصول من الخلف مثل القرافيّ ومن تبعه من المحدثين كالعلويّ الشنقيطيّ ، وفيما يلي نكتفي بشاهديّ الشنقيطيّ على ذلك تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

ردّة للأصوليين من السلف

وعلى رأسهم واضح علم الأصول الإمام الشافعيّ رحمه الله تعالى

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(١) نراه يعرض للمسألة الأصولية المعروفة ب (شرع من قبلنا) حيث يذكر أن ما ثبت من الأمور في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أنه كان شرعاً لمن قبلنا ؛ فإنه يصير عندئذ شرعاً لنا ما لم نُؤمر في الكتاب والسنة ذاتهما بعدم الأخذ به ، أو ترك العمل بمقتضاه .

كما يعرض الشنقيطي من خلال هذه الآية أيضاً للمسألة الأصولية التي مؤداها أن خطاب الله تعالى إلى نبيه ﷺ إنما يشمل بدوره خطاب الله تعالى لجميع أمته ﷺ وهو بذلك يرد قول الشافعيّ الذي خالف به ما عليه الجمهور في هاتين المسألتين فيقول ما نصّه : وكون شرع من قبلنا الثابت بشرعنا شرعاً لنا إلا بدليل على النسخ ؛ فهذا هو مذهب الجمهور ، ومنهم مالك ، وأبو حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين ، وقد خالف الشافعي رحمه الله تعالى في أصح الروايات عنه ، حيث قال : (إن شرع من قبلنا الثابت بشرعنا ليس شرعاً لنا إلا بنص من شرعنا على أنه مشروع لنا ، كما خالف أيضاً في الصحيح عنه في أن الخطاب الخاص برسول الله ﷺ يشمل حكمه الأمة .

وقد استدلل للأول بقول الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ الآية^(٢) كما استدلل للثاني بأن الصيغة الخاصة برسول الله ﷺ لا تشمل الأمة وضعاً ؛ فإدخالها فيها صرف للفظ عن ظاهره ، فيحتاج إلى دليل منفصل .

وقد حمل الهدى في قول الله تعالى : ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ الآية^(٣) كما حمل الدين في

(٣) الأنعام : ٩٠ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

(١) المائدة : ٣٢ .

قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ الآية^(١) على خصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية ؛ لأن الله تعالى قال في العقائد : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الآية^(٢) وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية^(٣) وقال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الآية^(٤) .

وقد قال الله تعالى في الفروع العملية : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ الآية^(٥) فدلّ على اتفاقهم في الأصول ، واختلافهم في الفروع ، كما قال رسول الله ﷺ : «إنا معشر الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ دِينَنَا وَاحِدٌ» الحديث^(٦) .

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : أما حَمَلُ الْهُدَى في قوله الله تعالى : ﴿فَبِهَادَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ وَحَمَلُ الدِّينِ في قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ على خصوص التوحيد دون الفروع العملية فهو غير مُسَلَّم :

أما الأول : فلما أخرجه البخاري في (صحيحه) في (تفسير سورة ص) عن مجاهد أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما : «من أين أخذت السجدة في (ص) ؟ فقال : أو ما تقرأ : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَادَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ الآيات^(٧) فسجدها داود ؛ فسجدها رسول الله ﷺ «الحديث^(٨) .

فهذا نص صحيح صريح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أدخل سجود التلاوة في الهدى في قوله تعالى : ﴿فَبِهَادَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ ومعلوم أن سجود التلاوة فرع من الفروع لا أصل من الأصول .

(١) الشورى : ١٣ . (٢) الأنبياء : ٢٥ . (٣) النحل : ٣٦ .

(٤) الزخرف : ٤٥ . (٥) المائدة : ٤٨ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ مريم : ١٦ - (طبع بيروت) .

(٧) الأنعام : ٨٤ - ٩٠ (سبع آيات) .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) التفسير (باب) سورة ص - (طبع بيروت) .

وأما الثاني : فَلَانَ النَّبِيَّ ﷺ صرَّحَ في حديث جبريل الصحيح المشهور أن اسم (الدين) يتناول (الإسلام والإيمان والإحسان) حيث قال ﷺ : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» الحديث^(١) وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الآية^(٢) وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ الآية^(٣) .

فصرَّحَ ﷺ في الحديث المذكور بأن الإسلام يشمل الأمور العملية (كالصلاة والزكاة والصوم والحج) وكذا في حديث ابن عمر رضيهما الله عنهما المتفق عليه في قوله ﷺ : «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» الحديث^(٤) ومع ذلك لم يقل أحد إن الإسلام هو خصوص العقائد دون الأمور العملية ؛ فدلَّ هذا على أن الدين لا يختص بذلك في قول الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ الآية^(٥) وهو ظاهر جداً ؛ لأن خير ما يُفسَّر به القرآن هو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ .

وأما الخطاب الخاص بالنبي ﷺ في نحو قول الله تعالى : ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ فقد دلت النصوص على شمول حكمه لجميع الأمة كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية^(٦) إلى غيرها من الآيات .

وقد علمنا ذلك من استقرار القرآن العظيم حيث يعبر فيه دائماً بالصيغة الخاصة به ﷺ ثم يشير إلى أن المراد عموم حكم الخطاب للأمة كقول الله تعالى في أول سورة الطلاق : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ثم قال تعالى : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية^(٧) فدلَّ ذلك على دخول الكل تحت قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وقال الله تعالى في سورة التحريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ ثم قال تعالى : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ الآيتان^(٨) فدلَّ ذلك على عموم حكم الخطاب بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ .

ونظير ذلك أيضاً في سورة الأحزاب حيث قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآيتان^(٩) فقوله تعالى : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يدلُّ

(١) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) سؤال جبريل - (طبع بيروت) - كما أخرجه

مسلم في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) بيان الإيمان والإسلام والإحسان - (طبع بيروت) .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) قول النبي ﷺ : «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»

- (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) أركان الإسلام ودعائمه

العظام - (طبع بيروت) .

(٧) الطلاق : ١ .

(٦) الأحزاب : ٢١ .

(٥) الشورى : ١٣ .

(٩) الأحزاب : ١ - ٢ (آيتان) .

(٨) التحريم : ١ - ٢ (آيتان) .

على عموم الخطاب بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وكذا كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ثم قال تعالى : ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ الآية^(١) .

بل ومن أصرح الأدلة في ذلك آية الروم وآية الأحزاب ، أما آية الروم فقد قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ ثم قال تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ الآيتان^(٢) وهو حال من ضمير الفاعل المستتر المخاطب به النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ وتقرير المعنى : فأقم وجهك يا نبي الله في حال كونكم منيبين ، فلو لم تدخل الأمة حكماً في الخطاب الخاص به ﷺ لقال تعالى : منيباً إليه بالإنفراد ؛ وذلك لإجماع أهل اللسان العربي على أن الحال الحقيقية (أعني التي لم تكن سببية) فإنها تلزم مطابقتها لصاحبها إفراداً وتثنية وجمعاً ، وتذكيراً وتأنثياً ؛ فلا يجوز أن تقول : جاء زيد ضاحكين ، ولا جاءت هند ضاحكات .

وأما آية الأحزاب فقد قال الله تعالى في قصة رينب بنت جحش الأسديّة ﷺ : ﴿قَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الآية^(٣) فإن هذا الخطاب خاص بالنبي ﷺ إلا أن الله تعالى قد صرح بشمول حكمه هذا لجميع المؤمنين فقال تعالى : ﴿لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ الآية^(٤) كما أشار سبحانه إلى هذا أيضاً في قوله تعالى : ﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٥) لأن الخطاب الخاص به ﷺ في قوله تعالى ﴿وَأَمْرًا مُمْنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية^(٦) لو كان حكمه خاصاً به ﷺ لاغنى ذلك عن قوله تعالى : ﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما هو ظاهر .

كما أن أم المؤمنين عائشة ﷺ قد رَدَّتْ على مَنْ زعم أن تخيير الزوجة يُعدُّ طلاقاً بأن رسول الله ﷺ قد خير نساءه فاخترنه ﷺ غير أنه لم يُعده رسول الله ﷺ طلاقاً مع أن الخطاب في ذلك خاص به ﷺ في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآيتان^(٧) .

كما أخذ الإمام مالك رحمه الله تعالى بينونة الزوجة بالردة من قول الله تعالى : ﴿لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية^(٨) مع أنه خطاب خاص برسول الله ﷺ^(٩) .

(١) يونس : ٦١ . (٢) الروم : ٣٠ - ٣١ (آيتان) . (٣) الأحزاب : ٣٧ . (٤) الأحزاب : ٣٧ . (٥) الأحزاب : ٥٠ . (٦) الأحزاب : ٥٠ . (٧) الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ (آيتان) . (٨) الزمر : ٦٥ . (٩) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الششيطى ٢/ ٦٤ - ٦٧ .

وبهذا يردُّ الشنقيطي قول الإمام الشافعي واضح علم الأصول من السلف بشأن هاتين المسألتين الأصوليتين اللتين خالف فيهما ما عليه جمهور علماء الأصول ، وذلك من خلال أدلته المعتبرة من الكتاب والسنة والآثار .

المسألة الثانية

ردُّة للأصوليين من الخلف

ومن أمثالهم القرآفي والعلوي الشنقيطي

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية^(١) نراه يردُّ قول كل من القرآفي وعبد الله العلوي الشنقيطي ومن تبعهما من متأخري الأصوليين فيما ذهبوا إليه من أن تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة الذين بلغوا درجة الاجتهاد دون غيرهم .

وإزاء هذا يثبت الشنقيطي بأدلته المعتبرة من الكتاب والسنة أن الحق الذي لا شك فيه هو أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والفهم وإدراك معاني الكتاب والسنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما والعمل بما علم منهما ، وفي ذلك يقول ما نصّه : اعلم أن قول بعض متأخري الأصوليين : إن تدبر هذا القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة ، وأن كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عندهم لا يجوز له ذلك ؛ فهو قول لا يستند له من دليل شرعي أصلاً ، فضلاً عن أن أكثر شروطهم في الاجتهاد المطلق لا يستند إلى دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولا إجماع ولا قياس .

بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معاني الكتاب والسنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعاً ، وأما ما علمه منهما علماً صحيحاً ناشئاً عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو آية واحدة أو حديثاً واحداً ؛ لأن من المعلوم أن هذا الذم والإنكار في هذه الآية الكريمة على من لم يتدبر كتاب الله تعالى هو عام لجميع الناس ؛ وما يوضح ذلك أن المخاطبين الأولين به الذين نزل فيهم هم المنافقون والكفار ، وما لاشك فيه أن ليس أحد منهم مستكماً لشروط الاجتهاد المقررة عند أهل الأصول ؛ بل ليس عندهم شيء منها أصلاً .

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

ومن ثم ؛ فلو كان القرآن لا يجوز أن يتنفع بالعمل به والإهتداء بِهِ إِلَّا الْمُجْتَهِدُونَ بالاصطلاح الأصولي ؛ لما وَبَّخَ اللهُ تعالى الكفار وأتكر عليهم عدم الاهتداء بهداه، ولما أقام عليهم الحُجَّةَ به حتى يحصلوا شروط الاجتهاد المقررة عند متأخري الأصوليين كما ترى .

ومعلوم أن من المقرر في الأصول أن (صورة سبب النزول قطعية الدخول) وإذن فدخول الكفار والمنافقين في الآيات المذكورة قطعي ، ولو كان لا يصح الانتفاع بهدى القرآن إِلَّا لخصوص المجتهدين لما أنكر الله تعالى على الكفار عدم تدبرهم كتاب الله ، وعدم عملهم به ، وقد علمت أن الواقع خلاف ذلك قطعاً ، كما لا يخفى أن شروط الاجتهاد لا تشترط إِلَّا فيما فيه مجال للاجتهاد ، أما الأمور المنصوصة في نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنَّة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد حتى تُشترطَ فيها شروط الاجتهاد ، بل ليس فيها إِلَّا الاتباع .

وما ذكره القرافي وتبعه فيه الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي في كتابه (نشر البنود) شرح كتابه (مراقى السعود) بقوله :

مَنْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَهِدًا فَالْعَمَلُ مِنْهُ بِمَعْنَى النَّصِّ مِمَّا يُحْظَلُّ (١)

حيث يشرح بيته هذا بناءً على ما ذهب إليه القرافي فيقول : يعنى أن غير المجتهد يحظّل له أى يمنع أن يعمل بمعنى نص من كتاب أو سنة وإن صحّ سندها ؛ وذلك لاحتمال عوارضه من نسخ أو تقييد أو تخصيص أو غير ذلك من العوارض التي لا يضبطها إِلَّا المجتهد ، فلا يخلّصه من الله تعالى إِلَّا تقليد مجتهد .

فهذا الذى ذهب إليه القرافي وتبعه فيه العلوي الشنقيطي لا يصح على إطلاقه بحال لمعارضته لآيات وأحاديث كثيرة من غير استناد إلى دليل ؛ ولأنه من المعلوم أنه لا يصح تخصيص عمومات الكتاب والسُّنَّة إِلَّا بدليل يجب الرجوع إليه ، كما أنه من المعلوم أن عمومات الآيات والأحاديث الدالة على حث جميع الناس على العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ أكثر من أن تُحصَى ، ومنها قوله ﷺ : «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وسُنَّتِي» الحديث (٢) وقوله ﷺ : «عليكم بسُنَّتِي» الحديث (٣) ونحو ذلك مما لا يُحصَى .

(١) يُحْظَلُّ : أى (يُحْظَرُ) بلسان بعض الشناقطة ممن يدلون الرأى لأمأ - راجع فى ذلك (الفية ابن مالك وأثرها فى الثقافة المورتانية) : يحيى بن البراء ص ١٥ .

(٢) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) السنَّة (باب) فى لزوم السنَّة - (طبع بيروت) - كما أخرجه فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٦٩٤) - (طبع بيروت) .

فتخصيص جميع تلك النصوص بخصوص المجتهدين وتحريم الانتفاع بهُدَى الكتاب والسُّنة على غيرهم تحريماً باتاً ؛ فهذا مما يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو سُنَّة رسوله ﷺ ومن ثم فلا يصح تخصيص تلك النصوص بأراء جماعات من المتأخرين المُقْرِنين على أنفسهم بأنهم من المُقلِّدين ؛ خاصة أنه من المعلوم أن المُقلِّد الصُّرف لا يجوز عدّه من العلماء ولا من ورثة الأنبياء .

وبهذا تعلم أنه (لا مستند للقرافيّ ولا للعلويّ الشنقيطيّ) الذي تبعه في منع جميع المسلمين غير المجتهدين من العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ إلا مطلق احتمال العوارض التي تُعْرَضُ لنصوص الكتاب والسُّنة من (نسخ أو تخصيص أو تقييد أو نحو ذلك) وهو مردود من وجهين :

• الوجه الأول :

أنَّ الأصل في ذلك هو السلامة من النسخ حتى يثبت ورود النسخ ، والعام ظاهر في العموم حتى يثبت ورود المُخصِّص ، والمطلق ظاهر في الإطلاق حتى يثبت ورود المُقيّد ، والنص يجب العمل به حتى يثبت النسخ بدليل شرعي ، والظاهر يجب العمل به عموماً كان أو إطلاقاً أو غيرهما حتى يَرِدَ دليل صارف عنه إلى المحتمل المرجوح كما هو معروف في محله .

واعلم أن أول مَنْ زعم أنه لا يجوز العمل بالعام حتى يُبيحَ عن المُخصِّص فلا يوجد ونحو ذلك ، هو أبو العباس بن سريج ، وقد تبعه في هذا جماعات من المتأخرين حتى حكوا على ذلك الإجماع حكاية لا أساس لها ، وقد أوضح ابن القاسم العبادي في كتابه (الآيات البيّنات) غلظهم في ذلك عند كلامه على (شرح المُحلّيّ لقول ابن السبكيّ في (جمع الجوامع) حيث قال : وَبِتَمَسُّكُ بِالْعَامِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخَصِّصِ ، وكذا بعد وفاته ﷺ خلافاً لابن سريج .

وعلى كل حال فظواهر النصوص من عموم وإطلاق ونحو ذلك لا يجوز تركها إلاّ لدليل يجب الرجوع إليه من مُخصِّص أو مُقيّد ، لا لمجرد مطلق الاحتمال للعوارض كما هو معلوم في محله ؛ وعليه فإن ادعاء كثير من المتأخرين أنه يجب ترك العمل به حتى يبحث عن المُخصِّص مثلاً هو خلاف التحقيق .

• الوجه الثاني :

أن غير المجتهد إذا تعلّم بعض آيات القرآن أو بعض أحاديث النبي ﷺ ليعمل بها ؛

فإنه يتعلم بذلك النص العام أو المطلق ويتعلم معه مخصَّصَه أو مقيده إن كان مُخصَّصاً أو مقيداً ، كما يتعلم أيضاً ناسخه إن كان منسوخاً ؛ لأن تعلم هذا سهل جداً عن طريق سؤال العلماء العارفين به ومراجعة كتب التفسير والحديث المعتدَّ بها في ذلك ؛ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في العصر الأول يتعلم أحدهم آية فيعمل بها ، وحديثاً فيعمل به لا يمتنع من العمل بذلك حتى يحصل رتبة الاجتهاد المطلق .

وربما عمل الإنسان بما علم فيعلمه الله تعالى ما لم يكن يعلم كما يشير إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية^(٢) على القول بأن الفرقان هو العلم النافع الذي يفرِّق بين الحق والباطل ، وكذا في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الآية^(٣) .

فهذه التقوى التي دلَّت الآيات على أن الله تعالى يُعلِّمُ صاحبها بسببها ما لم يكن يعلم لا تزيد على عمله بما علِّمَ من أمر الله تعالى ؛ وعليه فهي عمل ببعض ما علِّمَ زاده الله تعالى به علم ما لم يكن يعلم .

فالقول بمنع العمل بما علِّمَ من الكتاب والسنة حتى يُحصَل رتبة الاجتهاد المطلق هو عين السَّعي في حرمان المسلمين جميعاً من الانتفاع بنور القرآن حتى يحصلوا شرطاً مفقوداً في اعتقاد القائلين بذلك ؛ وادعاء مثل هذا على الله تعالى وعلى كتابه العظيم وعلى سُنَّة رسوله الكريم ﷺ هو في غاية الوضوح كما ترى^(٤) .

وبهذا يردُّ الشنقيطي قول كل من (القرافي والعلوي الشنقيطي) ومن تبعهما من متأخري الأصوليين كابن سريج وغيره بشأن ما ذهبوا إليه من قَصْرِ تدبر القرآن وتفهمه والعمل به على المجتهدين ممن بلغوا رتبة الاجتهاد المطلق دون غيرهم من سائر المسلمين ، ومبيِّناً أن قولهم هذا يخالف نصوص الكتاب والسنة ؛ ومن ثم فلا مستند لهم ولا دليل فيما ذهبوا إليه وقالوا به .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يجمع في نقده الأصولي بين نقده

(٣) الحديد : ٢٨ .

(٢) الأنفال : ٢٩ .

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٤) راجع تفصيل ذلك في (أضواء البيان) : الشنقيطي ٧ / ٤٣٠ - ٤٣٤

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّةُ الثالثة التحليل لسائر ما يَعرَضُ لَهُ _____ الفصل الأول : الانتقاد

لعلماء الأصول من السلف وعلى رأسهم الإمام الشافعيّ واضع علم الأصول ومقعدّه ،
وبيّن نقده لعلماء الأصول من الخلف كالقرافيّ وعبد الله العلويّ الشنقيطيّ وغيرهما من
متأخري الأصوليين .

وفى هذا ما فيه من الشمول والمنهجية ما جعل الشنقيطيّ يجمع فى نقده هذا بين السلف
والخلف ، فلم يقتصر على أحدهما دون الآخر ، أو يستغنى بالسابق منهما عن اللاحق ؛
كما لم يمتنع سبقُ الشافعيّ وريادته فى وضع علم الأصول وتقعيد مسائله من نقده وردّ قوله
على ما تقتضيه الأدلة المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ الأمر الذى يحقق لهذا
النقد الأصوليّ شموله ومنهجيّته ، فضلاً عن تجرّده وموضوعيته .

المطلب الخامس نقد الفقهاء

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : ردّ الشنقيطى الأئمة الأربعة خاصة .
- ٢- المسألة الثانية : ردّ الشنقيطى غير الأئمة الأربعة عامة .

يتوزع النقد الفقهيّ عند الشنقيطيّ بين ردّه بعض أقوال الأئمة الأربعة (أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل) وردّه بعض أقوال غيرهم من الأئمة المعتبرين أمثال (الأوزاعي وابن العربيّ والقرطبيّ وابن حزم الظاهريّ) وآخرين من نظرائهم من أئمة الأمة وفقهائها المحققين ، وفيما يلي نكتفي بذكر بعض الأمثلة التي تقوم شاهداً على نقد الشنقيطيّ لكلا الفريقين تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

ردّ الأئمة الأربعة خاصة

ووفقاً للترتيب الزمنيّ للأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى أجمعين نسوق شاهداً واحداً لنقد الشنقيطيّ كلاً منهم على النحو التالي :

١- نقده (أبا حنيفة ت (١٥٠ هـ = ٧٦٧ م) :

ففي معرّض تفسير الشنقيطيّ لقول الله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية^(١) نراه يرد ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بشأن قوله بسقوط نصيب رسول الله ﷺ وكذا سقوط نصيب ذوى قرباه بمجرد وفاته ﷺ وانتقاله إلى الرقيق الأعلى ، وفي ذلك يقول ما نصّه :

واعلم أن النبيّ ﷺ كان يَصْرِفُ نصيبه الذي هو خُمُسُ الخُمُسِ في مصالح المسلمين بدليل قوله ﷺ : «والخُمُسُ مردود عليكم» الحديث^(٢) وهذا هو الحق الذي يدل له ما ثبت في (الصحيح) : «أن رسول الله ﷺ كان يأخذ قوت سنّته من فَيْءِ بنى النضير» الحديث^(٣) أما بعد وفاته ﷺ وانتقاله إلى الرقيق الأعلى ؛ فإن بعض العلماء يقول بسقوط نصيبه بوفاته ﷺ وممن قال بذلك أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، بل وقد زاد أبو حنيفة سقوط سهم ذوى القربى أيضاً بوفاته ﷺ .

والصحيح أن نصيبه ﷺ باق ، وأن إمام المسلمين يَصْرِفُهُ فيما كان يَصْرِفُهُ فيه رسول الله ﷺ من مصالح المسلمين ، وقال بعض العلماء : (يكون نصيبه ﷺ لمن يلي الأمر

(١) الأنفال : ٤١ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (كتاب) الجهاد (باب) ما جاء في الغلُول - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه (كتاب) النفقة (باب) حبس نفقة الرجل قوت سنّته على أهله - (طبع

بيروت) .

بعده) كما روى عن أبي بكر وعلى وقتادة وجماعة ، وقال ابن كثير : جاء فيه حديث مرفوع^(١) .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : والظاهر أن هذا القول راجع في المعنى إلى ما ذكرنا أنه الصحيح ، وأن معنى (كونه لِمَنْ يلى الأمر بعده) : أى أنه يَصْرِفُه فيما كان يَصْرِفُه فيه ﷺ لأنه يقول ﷺ : «والْحُمُسُ مُردود عليكم» وهو واضح كما ترى غاية الوضوح .

ولا يخفى أن كل الأقوال في نصيب رسول الله ﷺ بعد وفاته راجعه إلى شىء واحد ، ألا وهو صرفه في مصالح المسلمين ، وقد كان الخلفاء الراشدون المهديون ﷺ يصرفونه فيما كان يصرفه فيه ﷺ وكان أبو بكر وعمر ﷺ يَصْرِفَانِه في الكُرَاع والسُّلَاح^(٢) أما نصيب ذوى القربى فجمهور العلماء على أنه باقٍ ولم يسقط بموته ﷺ .

وبهذا تعلم أن ما ذكرناه من عدم سقوط نصيب رسول الله ﷺ ونصيب ذوى القربى بعد وفاته ﷺ هو الصحيح (خلافاً لما ذهب إليه أبو حنيفة وقال به رحمه الله تعالى)^(٣) .

٢- نقده بالكات (١٧٩ هـ = ٧٩٦ م) :

في مَعْرِضِ تفسير الشنقيطي كذلك لقول الله تعالى : «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» الآية^(٤) نراه يرد ما ذهب إليه الإمام مالك رحمه الله تعالى من أنه لا يُقَسَّمُ للنساء ولا للصبيان الذين لا قدرة لهم على القتال أَيْ قِسْمَةَ من الغنيمة ، بل ولا يُعْطَوْنَ منها أَيْ عطية ، وفي ذلك يقول ما نصّه :

وأصح الأقوال دليلاً أنه لا يُقَسَّمُ للنساء والصبيان الذين لا قدرة لهم على القتال وما

(١) وقد نصّ ابن كثير على هذا بقوله : اختلف الناس في سهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذى كان يناله من الحُمُسِ ؛ ماذا يُصَنَعُ به بعد وفاته ؟ فقال قائلون : (يكون لِمَنْ يلى الأمر من بعده أى تسليماً للخليفة من بعده) وروى هذا عن أبى بكر وعلى وقتادة وجماعة ، وجاء فيه حديث مرفوع ، كما اجتمع الرأى على جعل سَهْمَى الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحَيْلِ والعُدَّةِ فى سبيل الله ؛ فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر ﷺ - انظر (تفسير القرآن العظيم) : للحافظ ابن كثير ٣١٢/٢ - (طبع حلب والقاهرة) .

(٢) الكُرَاع : اسم جامع للخيل والسلاح ، أما (الكُرَاعُ فى البقر والغنم) : فهو بمنزلة (الوظيف) من الخيل والإبل ، وهو المستدق الساق العارى من اللحم ، يذكر ويؤنث ، والجمع منه (أَكْرَعُ وأَكَارِعُ) - انظر مادة (كِرَع) فى لسان العرب : ٣٨٥٨/٥ .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطي ٣٥٩/٢ - ٣٦١ .

(٤) الأنفال : ٤١ .

جرى مجراهم ، ولكن يُرَضِّخُ لهم^(١) من الغنيمة باجتهاد الإمام ؛ ودليل ذلك ما رواه مسلم في (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله نَجْدَةُ عن خَمْسٍ خِلَالِ مِنْهَا : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهن بسهم ؟ فكتب إليه ابن عباس رضي الله عنهما : « كتبت تسألني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة ، وأما بسهم ؟ فلم يضرب لهن صلى الله عليه وسلم » الحديث^(٢) .

وهو صريح فيما ذكرنا ؛ ومن ثم فيجب حل ما ورد في غيره من أن النساء يُسَهَّمُ لهن على الرَضِّخِ المذكور في هذا الحديث والمعبر عنه بقوله : « يُحْذِينَ مِنَ الْغَنِيمَةِ » قال النووي : قوله (يُحْذِينَ) هو بضم الياء وإسكان الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة أى (يُعْطِينَ تِلْكَ الْعَطِيَّةَ وَتَسْمَى الرَضِّخُ)^(٣) .

وبهذا تعلم أن المرأة تستحق الرَضِّخَ ولا تستحق السَّهْمَ ، وذلك (خلافاً لما ذهب إليه الإمام مالك رحمه الله تعالى) حيث قال : (لا رَضِّخُ لِلْمَرْأَةِ) إلا أن مذهبه هذا مردود بهذا الحديث الصحيح الصريح^(٤) .

٣- نقده الشافعيّ ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) :

ففي معرّض تفسير الشنقيطيّ لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية^(٥) نراه يردُّ قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيما ذهب إليه بشأن اشتراطه أن يكون الرِّكَازُ ذهباً أو فضة فقط دون غيرها حتى تجب فيه ركاته ومقدارها الخمس ، مخالفاً بهذا ما عليه جمهور العلماء ، وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصّه :

وقال الشافعي في (الجديد)^(٦) : يشترط في وجوب الخمس في الرِّكَازِ أن يكون ذهباً أو

(١) الرَضِّخُ والرَضِّخَةُ والرَضِّخَةُ: هى العطية القليلة من المال ونحوه - انظر مادة (رَضِّخَ) فى لسان

العرب : ١٦٥٨/٣

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجهاد والسير (باب) النساء الغاريات يُرَضِّخُ لهنّ ولا يُسَهَّمُ - (طبع بيروت) .

(٣) يقال : (حَدَّاهُ يَحْذِيهِ) أى أعطاه ، والاسم منه : (الحذوة والحذية والحذيا والحذيا) أى العطية - كما

يقال : (أَحْذَاهُ يَحْذِيهِ) أى أعطاه أيضاً ، والاسم منه : (أَحْذَاءٌ وَحَذِيَّةٌ وَحَذِيَّةٌ) أى العطية أيضاً ،

ومن ذلك قولهم : (أَحْذِيْتُهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ) أى أعطيتُه منها ، ومنه أيضاً المثل القائل : (أَحْذَهُ بَيْنَ الْحَذِيَّةِ

وَالْحَلْسَةِ) أى بين الهبة والاستلاب - انظر مادة (حَدَّاهُ) فى لسان العرب : ٨١٤/٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٠٨/٢ - ٤٠٩ .

(٥) التوبة : ٣٤ .

(٦) ويقصد به مذهب الشافعي الجديد الذى وضعه (لأهل مصر) فى مقابل مذهب القديم الذى وضعه

من قبل (لأهل العراق) .

فضة دون غيرهما ، وقد خالفه في هذا جمهور أهل العلم ، وقال بعض العلماء : إذا كان في تحصيل المعدن مشقة ففيه ربع العشر ، وإن كان لا مشقة فيه فالواجب فيه الخمس ، ولهذا وجه من النظر ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

٤- نقده ابن حنبل ت (٢٤١ هـ = ٨٥٦ م) :

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الآيات^(٢) نراه يرد قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فيما ذهب إليه بشأن إيابته (جَلْدَ عُمَيْرَةَ) قياساً له على فضلات البدن التي تدعو الضرورة إلى إخراجها ، وفي ذلك يقول الشنقيطي ما نصّه :

اعلم أنه لاشك في أن هذه الآية التي هي ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تدل بعمومها على منع الاستمناء باليد المعروف بـ (جَلْدَ عُمَيْرَةَ) كما يقال له (الخضخضة) لأن مَنْ تَلَذَّذَ بيده حتى أنزل منيه بذلك ؛ فقد ابتغى وراء ما أحله الله ، فهو من العادين بنص هذه الآية الكريمة المذكورة هنا ، وكذا المذكورة في سورة (سأل سائل)^(٣) .

وقد ذكر ابن كثير أن الشافعي ومن تبعه استدلوا بهذه الآية على منع الاستمناء باليد ، كما قال القرطبي : قال محمد بن عبد الحكم : سمعت حرمة بن عبد العزيز قال : سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة ؟ فتلا هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ .

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : والذي يظهر لي أن استدلال مالك والشافعي وغيرهما من أهل العلم بهذه الآية الكريمة على منع جلد عميرة الذي هو الاستمناء باليد هو استدلال صحيح بكتاب الله تعالى يدل عليه ظاهر القرآن ، بل ولم يعارضه شيء من كتاب ولا سنة .

أما ما روى عن الإمام أحمد مع علمه وجلالته وورعه من إيابة جَلْدَ عُمَيْرَةَ مستدلاً على ذلك بالقياس قائلًا : هو إخراج فضلة من البدن تدعو الضرورة إلى إخراجها فجاز قياساً على القصد والحجامة كما قال في ذلك بعض الشعراء :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢ / ٤٧٠ . (٢) المؤمنون : ٥ - ٧ (ثلاث آيات) . (٣) ويقصد بذلك قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المعارج : ٢٩ - ٣١ (ثلاث آيات) .

إِذَا حَلَّتْ بِوَادٍ لَا أُنَيْسَ بِهِ فَاجْلِدْ عُمَيْرَةَ لَا عَارًا وَلَا حَرَجًا

فهو خلاف الصواب وإن كان قائله في المنزلة المعروفة التي هو بها ؛ لأنه قياس يخالف ظاهر عموم القرآن ، والقياس إن كان كذلك رُدَّ بالقادح المسمى (فساد الاعتبار) كما أوضحناه في هذا الكتاب المبارك مراراً وذكرنا فيه قول صاحب (مراقى السُّعود) :

وَالْخُلْفَ لِلنَّصِّ أَوْ إِجْمَاعِ دَعَا (فَسَادَ الْإِعْتِبَارِ) كُلُّ مَنْ وَعَى

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَالَ : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ولم يستثن من ذلك البتة إلا النوعين المذكورين في قوله تعالى : ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ حيث صرح برفع الملامة في عدم حفظ الفرج عن الزوجة والمملوكة فقط .

ثم جاء سبحانه بصيغة عامة شاملة لغير النوعين المذكورين دالة على المنع هي قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ وهذا العموم لاشك أنه يتناول بظاهره ناكح يده ؛ وكما هو معلوم فإن ظاهر عموم القرآن لا يجوز العدول عنه إلا لدليل من كتاب أو سنة يجب الرجوع إليه ، أما القياس المخالف له فهو (فساد الاعتبار) كما أوضحناه ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

المسألة الثانية

ردّه غير الأئمة الأربعة عامة

وكما ردَّ الشنقيطيُّ بعض أقوال الأئمة الأربعة فإننا نراه يردُّ كذلك بعض أقوال غيرهم من أئمة الأمة وفقهائها ، والذين نكتفي باثنين منهم تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، ألا وهما :

١- نقده الأوزاعيُّ الفقيه ت (١٥٧ هـ = ٧٧٤ م) :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية^(٢) نراه يرد قول الأوزاعي فيما ذهب إليه في فقه هذه الآية الكريمة من أن المرأة إذا شاركت في أعمال القتال فإنها تستحق بذلك أن يُسهمَ لها سهمٌ من الغنائم ، وفي الرد على ذلك يقول الشنقيطي ما نصّه :

قال الأوزاعيُّ : والمرأة تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تُدَاوِي الجرحى ؛ غير أن هذا

(٢) الأنفال : ٤١ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٧٦٩/٥ - ٧٧١ .

المذهب مردود بالحديث الصحيح الصريح الذى رواه مسلم فى (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله نجدة عن خَمْسٍ خِلَالِ مِنْهَا : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهن بِسَهْمٍ ؟ فكتب إليه ابن عباس رضي الله عنهما : « كتبتَ تسألنى هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويُحذِّينَ من الغنيمة ، وأما بسهم ؟ فلم يضرب لهن صلى الله عليه وسلم » الحديث (١) .

وهو صريح فى أن النساء يُسَهَّمُ لهنَّ على الرِّضْخِ المذكور فى هذا الحديث والمعبر عنه بقوله : « يُحذِّينَ من الغنيمة » والذى به تعلم أن المرأة تستحق الرِّضْخَ ولا تستحق السَّهْمَ ؛ وذلك (خلافاً لما ذهب إليه الأوزاعى) من أنها تستحق السَّهْمَ (٢) .

٢- نقده القرطبيّ الفقيه ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) :

ففى مَعْرَضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ الآية (٣) نراه يرد قول القرطبيّ فيما ذهب إليه فى فقه هذه الآية الكريمة من أن زيادة أى مُحَرَّمٍ (كالسَّبَاعِ والحمر مثلاً) على الأربعة المذكورة فى الآية والتي تتمثل فى (الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهلَ لغير الله به) إنما هى زيادة تُشَبِّهُ زيادة تغريب الزانى البكر على الجلد ، أو زيادة الشاهد واليمين على الشاهدين أو الشاهد والمرأتين ، وفى الرد على ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

اعلم أن ما ذكره القرطبيّ وغيره من أن زيادة تحريم السَّبَاعِ والحمر مثلاً بالسنة على الأربعة المذكورة فى الآية كزيادة التغريب بالسنة على جلد الزانى مائة الثابت بالقرآن ، وكذا كزيادة الحُكْمِ بالشاهد واليمين فى الأموال الثابتة بالسنة على الشاهدين أو الشاهد والمرأتين المذكور فى قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ الآية (٤) فهذا غير ظاهر عندى ؛ وذلك لوضوح الفرق بين الأمرين .

لأن زيادة التغريب ، والحُكْمِ بالشاهد واليمين ، على آية : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ الآية (٥) فى الاول ، وآية : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ الآية (٦) فى الثانى ، إنما هى زيادة شىء لم يتعرض له القرآن بنفى ولا إثبات ، ومثل هذه الزيادة لا مانع عند جمهور العلماء منها ؛ لأن الزيادة على النصّ ليست

(١) راجع تخريج وتفصيل هذا الحديث ص ٧٣٧ من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٠٩/٢ . (٣) الأنعام : ١٤٥ .

(٤) البقرة : ٢٨٢ (آية الدين) . (٥) النور : ٢ .

(٦) البقرة : ٢٨٢ (آية الدين) .

نسخاً عند الجمهور خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله تعالى .

أما زيادة مُحَرَّمٍ آخر على قول الله تعالى : ﴿قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الآية^(٥) فليست زيادة شيء سكت عنه القرآن ، وإنما هي زيادة شيء نفاه القرآن لدلالة الحصر القرآني على نفي التحريم عن غير الأربعة المذكورة ؛ ومن ثم فإن الفرق واضح بين الأمرين غاية الوضوح^(٦) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا عما سبق كسيف أن الشنقيطي يتناول بنقده الفقهيّ كلاً من الأئمة الأربعة بصفة خاصّة ، فضلاً عن غيرهم من أئمة الأمة وفقهائها بصفة عامّة ؛ وفي هذا ما فيه من المنهجية وطلب القول بالدليل ما يؤكد لا مذهبية الشنقيطي وعدم تعصبه لمذهب بعينه أو قول بذاته ، كما هو أحد مبادئه النقدية الثابتة من حيث (النظر إلى ذات القول لا إلى قائله) .

ومن ثم ؛ فلم يمنعه جلال ومنزلة الأئمة الأربعة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين من أن يردّ بعض أقوالهم بأدلته المعتبرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآثار صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين متأدباً في ذلك بأدب الخلاف معهم ، بل وحافظاً لهم منزلتهم ومُقدِّراً علَمهم ، ثم مؤكداً أخيراً ورعهم ومُترحماً عليهم ، هذا فضلاً عن رده غيرهم من أئمة الأمة وفقهائها بذات الأدب ، ونفس التقدير .

(٥) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٢/٢٤٨ - ٢٤٩ .

المطلب السادس

نقد الفرق الإسلامية

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : نقد الشنقيطى الصوفية خاصة .
- ٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطى الفرق الأخرى عامة .

يتمثل نقد الشنقيطي هنا في رده أقوال الفرق العديدة، وآراء الطوائف المختلفة، حيث ينفذ من خلال ذلك إلى إبطال معتقداتهم، وتقويض أسسهم، مُجَلِّياً وجه الصواب فيها بأدلته الشرعية، وشواهد المعتمدة، وفيما يلي نكتفي من نقد الشنقيطي هذه الفرق بشاهدين اثنين، يختص أولهما بنقده الصوفية خاصة ، في حين يختص ثانيهما بنقده الفرق الأخرى عامة، تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده الصوفية خاصة

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ (٩٠)﴾ قَالَوا لَنْ نُبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ الآيتان^(١) نراه ينقد ما عليه متصوفة آخر الزمان الذين هم بمعزل عن الصوفية الحقّة ممن يعملون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفي الردّ على ذلك يقول الشنقيطي ما نصّه :

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي^(٢) عن جماعة من الرجال يجتمعون لذكر الله تعالى ،

(١) طه : ٩٠ - ٩١ (آيتان) .

(٢) أبو بكر الطرطوشي أو الدشتوشي ت (٥٢٠هـ = ١١٢٧م) :

هو الفقيه الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي عالم الإسكندرية ، والطرطوشي : نسبة إلى (طرطوشة) بشرقي الأندلس ، كما كان يقال له : (ابن أبي رندقه) وهي لفظة إفريقية كانت تعني في وقته (ردّ أو تعال) .

قرأ الفرائض والحساب في وطنه ، ثم لارم القاضي أبا الوليد الباجي بـ (سرقسطة) وأخذ عليه مسائل الخلاف كما سمع منه وأجار له ، ثم قرأ الأدب بـ (إشبيلية) على أبي محمد بن حزم ، ثم رحل إلى المشرق فحجّ ودخل بغداد والبصرة ، فسمع بالأولى من قاضيها أبي عبد الله الدامغاني وورق الله التميمي وأبي عبد الله الحميدي وغيرهم ، كما سمع بالثانية سنن أبي داود من أبي علي التستري ، كما تفقه بهما على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي ، وكذا أبي أحمد الجرحاني ، ثم نزل بيت المقدس مدة ، وتحوّل بعده إلى الشفر (أي الإسكندرية) فأقام بها وتخرّج عليه أئمة كثيرون .

كان إماماً عالماً عاملاً ، زاهداً ورعاً دينياً ، متواضعاً متقشفاً ، متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير ، من تصانيفه العديدة : (سراج الملوك - بر الوالدين - كتاب الفتن) وغيرها ، توفي في التاسعة والستين من عمره من عامه المذكور ، ودفن بمقبرة (وعلة) قريباً من (البرج الجديد) قبلي (الباب الأخضر) وقد عُرف قبره فيما بعد وأقيم عليه مسجد يُعرف بـ (مسجد الطرطوشي) وهو لا يزال قائماً حتى يومنا هذا بالإسكندرية .

وكذا ذكر رسول ﷺ ، وهم يوقعون بقضيب على شيء من أديم^(١) في حين يقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ، ثم يحضرون بعد ذلك شيئاً يأكلونه ، وهم في ذلك ينشدون قائلين :

يا شيخ كُفَّ عن الذنوبُ قبلَ التفرُّقِ والزَّلَلِ
واعمَلْ لنفسِكَ صالحاً ما دامَ ينفَعُكَ العَمَلُ
أما الشبابُ فقد مضى ومَشِيبُ رأسِكَ قد نَزَلُ

فهل الحضور معهم جائز أم لا !!؟ (أفتونا ماجورين) .

وعندئذ يجيب الإمام الطرطوشى سائله قائلاً : اعلم يرحمك الله تعالى أن الجواب في مثل هذا ونحوه أن مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

وأما الرقص والتواجد : فأول من أحدثه هم أصحاب السامريّ عندما اتخذ لهم عجلًا جسداً له خوار^(٢) قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ؛ فهو دين الكفار وعباد العجل ، وأما القضيب : فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى .

= راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٢٦٢/٤ - ٢٦٥ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي ٤٩٠/١٩ - ٤٩٦ .
- الروافى بالوفيات : لخليل بن أيك الصفدى ١٧٥/٥ .
- الديباج المذهب : لابن فرحون المالكي ٢٤٤/٢ - ٢٤٨ .
- حُسن المحاضرة : للحافظ جلال الدين السيوطى ٤٥٢/١ .
- تراجم إسلامية : د. محمد عبد الله عنان - (ص ٢٨٩ - ٢٩٧) - (أبو بكر الطرطوشى وكتابه : سراج الملوك) - مكتبة الأسرة (الأعمال الدينية) - إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

- (١) أى يضربون في إيقاع منتظم أو دقات متشابهة متكررة بقضيب من خشب أو نحوه على شيء من جلد أو نحوه ، وهم يتناوبون فيما بينهم على فعل ذلك واحداً تلو الآخر لضمان استمرار هذا الإيقاع الذى يتميل على أثره الآخرون المتحلقون فى حلقة واحدة كبيرة أو فى عدة حلقات صغيرة تكاد تتساوى فى عدد أفرادها، وهم يصنعون صنيعهم هذا الذى يطلقون عليه (حلقات الذكر) فى بيوتهم ليلة الجمعة ونهارها بصفة خاصة، أو فى المساجد المدفون بها بعض آل البيت عليهم السلام وغيرهم من العلماء والمشايخ بمناسبة ذكرى ميلادهم فيما يُعرف بـ (المولد) من كل عام بصفة عامة - والله تعالى أعلى وأعلم .
- (٢) وهذا ما حكاه القرآن عن قوم موسى حينما ردوا عليه فى قول الله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا موعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي (٨٨) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً طه : ٨٧ - ٨٩ (ثلاث آيات) .

وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار؛ ومن ثم فإنه ينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من حضور المساجد وغيرها ، كما لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا أن يعينهم على باطلهم ، وهذا هو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق .

قال مقيد عفا الله عنه وغفر له : اعلم أن بعض الصوفية على الحق ، ولاشك أن منهم ما هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وقد عاجلوا بذلك أمراض قلوبهم وحرسوها ، وراقبوها وعرفوا أحوالها ، وتكلموا على أحوال القلوب كلاماً مفصلاً كما هو معلوم .

ومن هؤلاء (أبو سليمان الداراني - وعون بن عبد الله الذي كان يقال له (حكيم الأمة) - وسهل بن عبد الله التستري - أبو طالب المكي - أبو عثمان النيسابوري - يحيى بن معاذ الرازي - الجنيد بن محمد)^(١) ومن سار على منوالهم ؛ لأنهم عاجلوا أمراض أنفسهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ولم يحدوا عن العمل بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً ، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع .

(١) وفيما يلي موجز تراجمهم بترتيب ذكر الشنقيطي لهم على النحو التالي :

• أبو سليمان الداراني ت (٢١٥هـ = ٨٣٠م) :

هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد (وقيل : بن عطية ، وقيل : ابن عسكر ، وقيل : بن أحمد بن عطية) العنسي الداراني ، وهي نسبة شاذة إلى (دارياً) قرية بغوطة دمشق ، روى عن سفيان الثوري وأبي الأشهب العطاردى وعبد الواحد بن زيد البصري وغيرهم ، كما روى عنه تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد وحَمِيد بن هشام العنسي وغيرهم . من ماثوراته : (من أحسن في نهاره كُفِيَ في ليله ، ومن أحسن في ليله كُفِيَ في نهاره - من صدق في ترك شهوة ذهب الله سبحانه وتعالى بها من قلبه - نمت ليلة عن وردى فإذا بحوراء تقول لي : تمام وأنا أرى لك في الخدور منذ خمسمائة عام) .

قال الجنيد : (شيء يروى عن أبي سليمان استحسنته كثيراً : من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس) وكذلك : (لكل شيء علم ، وعلم الخذلان ترك البكاء) - كما قال أحمد بن الحواري تلميذ الداراني : (قلت لأبي سليمان : صليت صلاة في خلوة فوجدت لها لذة ؛ فقال : أي شيء لذك منها ؟ قلت : حيث لم يرني أحد ، فقال : إنك لضعيف ؛ حيث خطر بقلبك ذكر الخلق) .

وأخيراً فقد كان الداراني أحد عباد الله الصالحين ، ومن الزهاد المتعبدين ، ورد بغداد فأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام حيث أقام بقريته (دارياً) حتى توفي بها من عامه المذكور . راجع تفصيل ترجمته في كل من :

• تاريخ بغداد : للخطيب الغدادي : ٢٤٨/١٠ - ٢٥٠ .

.....

- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٣/ ١٣١ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي - (١٠/ ١٨٢ - ١٨٦) حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى .
- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السلمى ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) - (ص ٧٥-٨٢) - تحقيق : نور الدين شريعة (من علماء الأزهر) - الطبعة ١ - الناشر : جماعة الأزهر للنشر والتأليف - طبع : دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م .
- ويلاحظ أن الدَّارَانِيَّ المذكور هو غير أبى سليمان الداراني الكبير واسمه : عبد الرحمن بن سليمان بن أبى الجَوْنِ العَنَسِيَّ الدمشقى ، كان مُحَدِّثًا رَحَالًا ، روى عن ليث ويحيى بن سعيد الأنصارى وابن أبى خالد والأعمش وعمرو بن شراحيل الدَّارَانِيَّ ، كما روى عنه إسماعيل بن عيَّاش من أقرانه ومحمد بن عائد وأبو توبة الحلبي وصفوان بن صالح وهشام ابن عمار ، وثَّقَهُ دُحَيْمٌ ، وقال أبو حاتم : لا يُحْتَجُّ بِهِ ، وقد روى له ابن ماجه حديثاً ، وكانت وفاته سنة نَيْفٍ وتسعين ومائة .
- انظر ترجمته فى (سير أعلام النبلاء) : للحافظ شمس الدين الذهبي - (١٠/ ١٨٦ - ١٨٧) - حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى .
- عَوْنُ بن عبد الله (حكيم الأمة) ت (بعد ١١٠هـ = بعد ٧٢٩م) : هو الإمام القدوة العابد أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي أخو فقيه المدينة عبيد الله ، حَدَّثَ عن أبيه وأخيه وسعيد بن المسيب وابن عباس وعبد الله بن عمرو ، كما حَدَّثَ عن عائشة وأبى هريرة غير أنه قيل : إن روايته عنهما مُرْسَلَةٌ ، كما أرسل أيضاً عن عمِّ أبيه عبد الله بن مسعود ، وقد حَدَّثَ عنه إسحاق بن يزيد الهذلي وحنظلة بن أبى سفيان ومالك بن مغول ومحمد بن عجلان وأبو حنيفة ومِسْعَرٌ وصالح بن صالح بن حنَّيٍّ والمسعودي ، وقد وثَّقَهُ أحمد وغيره ، وقال على بن المديني : (صَلَّى عَوْنٌ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ) .
- لزم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة وكانت له عنده منزلة ، ومن مآثوراته : (إن من العصمة أن تطلب الشيء من الدنيا ولا تجده - إن مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلدُّنْيَا مَا فَضَّلَ عَنْ آخِرَتِهِمْ ، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَجْعَلُونَ لِآخِرَتِكُمْ مَا فَضَّلَ عَنْ دُنْيَاكُمْ - إن الله لِيُكْرِهَ عَبْدَهُ عَلَى الْبَلَاءِ كَمَا يُكْرِهُ أَهْلُ الْمَرِيضِ مَرِيضَتَهُمْ وَأَهْلُ الصَّبِيِّ صَبِيَّهُمْ عَلَى الدَّوَاءِ ، وَيَقُولُونَ : اشْرَبْ هَذَا فَإِنَّ لَكَ فِي عَاقِبَتِهِ خَيْرًا) وقد كانت وفاته سنة بضع عشرة ومائة ، كما أورد الحافظ المزي عن البخارى ذكره له فيمن مات (بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة) .
- راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
 - سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي - (٥/ ١٠٣ - ١٠٥) - حقق هذا الجزء : شعيب الأرنؤوط .
 - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتِ الْأَصْفِيَاءِ : للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت (٤٣٠هـ = ١٠٣٩م) - (٤/ ٢٤٠ - ٢٧٢) - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .
 - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجَّاج يوسف المزي ت (٧٤٢هـ = ١٣٤٢م) - (٢٢/ ٤٥٣ - ٤٦١) - حققه وضبط نصّه وعلّق عليه : د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - (د.ت) .

.....

• = سهّل التستريّ ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) :

هو شيخ العارفين الصوفي الزاهد أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ابن رفيع التستريّ ، صحب خاله محمد بن سوار ، كما لقي في الحج ذا النون المصريّ وصحبّه ، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلميّ أنه أسند الحديث وساق بإسناده إلى سهّل حديثاً من رواية أنس إلى رسول الله ﷺ .

له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، وقدمّ راسخة في الطريق ، ومن ماثوراته : (أنه أتى أبا داود فقال له : أخرج لي لسانك هذا الذي حدّثت به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله ؛ فأخرجه له - كما قال : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه - كما كان يقول : من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث ؛ فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة) وقد كانت وفاته في عامه المذكور ، وقيل : (٢٧٣هـ) أو : (٢٩٣هـ) .
راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- طبقات الصوفية : لأبي عبد الرحمن السلميّ ص ٢٠٦ - ٢١١ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٤٢٩/٢ - ٤٣٠ .
- البداية والنهاية : للمحافظ ابن كثير ٦٦٥/١٤ .

• سير أعلام النبلاء : للمحافظ شمس الدين الذهبيّ - (٣٣٠/١٣ - ٣٣٣) - حقق هذا

الجزء : على أبي زيد .

• أبو طالب المكيّ ت (٣٨٦هـ = ٩٩٦م) :

هو الإمام الزاهد العارف شيوخ الصوفية أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي ، المكيّ المنشأ ، العجمي الأصل ، وقد سمع الحديث كما روى عنه غير واحد ، ومن مصنفاته كتاب أسماه (قوت القلوب) على لسان الصوفية ، وقد ذكر فيه أحاديث لا أصل لها فضلاً عن أشياء منكّرة مستشعنة في صفات الله عزّ وجلّ ، كما ذكر الخطيب البغدادي عن أبي طاهر العلاف أن أبا طالب المكيّ نشأ بمكة ثم دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فانتفى إلى مقالته ، وقدم بغداد بعد ذلك فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ غير أنه خلط في كلامه ، وقد حفظ عنه قوله : (ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق) فبدّعه الناس وهجره ؛ فامتنع على إثره عن الوعظ حتى توفي في جمادى الآخرة من عامه المذكور ، وأخيراً فإن العتيقي يذكره بقوله : (كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، وله مصنّفات في التوحيد) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٨٩/٣ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٣٠٣/٤ - ٣٠٤ .
- البداية والنهاية : للمحافظ ابن كثير ٤٦٧/١٥ - ٤٦٨ .
- سير أعلام النبلاء : للمحافظ شمس الدين الذهبيّ - (٥٣٦/١٦ - ٥٣٧) - حقق هذا الجزء :

أكرم البوشي .

• أبو عثمان النيسابوريّ ت (٢٩٨هـ = ٩١١م) :

هو الإمام المحدث ، الأستاذ الواعظ القدوة ، شيخ الإسلام أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن =

= سعيد بن منصور النيسابوري الحيرى الصوفى ، ولد بمدينة (الرّي) ونشأ بها ثم انتقل إلى (نيسابور) فسكنها حتى توفي بها من عامه المذكور .

وقد صحّب قديماً يحيى بن معاذ الرازى وشاه بن شجاع الكرماني وأبا حفص الذى أخذ عنه طريقته بنيسابور، كما كان يطلب الحديث ويُسندُه، ومن جملة أقواله المأثورة : (طول العتاب فرقة، وترك العتاب حشمة - لا يستوى الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء: المنع والعطاء، والعزّ والذلّ - منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى شيء فكرهته، ولا نقلنى إلى حال فسخطه) .

ولما تغيّر الحال على أبى عثمان عند الموت ؛ مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه ، ففتح أبو عثمان عينه وقال : خلاف السنة يا بُنى فى الظاهر ، وعلامة رياء فى الباطن ، وكان كثيراً ما ينشد فى حاله وعظه :

وغير تقيّ يأمرُ الناسَ بالتقيّ طيب يدأوى والطيب مريضُ

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السلمى ص ١٧٠ - ١٧٥ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٩/٩٩ - ١٠٢ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٣٦٩/٢ - ٣٧٠ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٤/٦٢ - ٦٦) - حقق هذا الجزء :
أكرم البوشى .

● يحيى بن معاذ الرازى ت (٢٨٥هـ = ٨٧٢م) :

هو الشيخ الواعظ أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ، وهو أوسط أخويه الكبير إسماعيل والصغير إبراهيم ، وكانوا كلهم زهاداً ، خرج إلى (بلخ) وأقام بها مدة ثم رجع إلى (نيسابور) وظل بها حتى وفاته من عامه المذكور .

روى عنه الغرباء من أهل (الرّي) وهمدان وخراسان) أحاديث قليلة مُسنّدة ، وقد تكلم فى علم الرجاء وأحسن فيه ، ومن جملة أقواله المأثورة : (لا يفلح من شمت رائحة الرياضة منه - مسكين ابن آدم ؛ قلّع الأحجار أهون من ترك الأوزار - لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب - ما بعد طريق إلى صديق ، ولا استوحش فى طريق من سلك فيه إلى حبيب - حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء - مسكين ابن آدم ؛ لو خاف النار كما يخاف الفقر ؛ دخل الجنة - الكلام الحسن حسن ، وأحسن من الكلام معناه ، وأحسن من معناه استعماله ، وأحسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السلمى ص ١٠٧ - ١١٤ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ١٤/٢٠٨ - ٢١٢ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ٦/١٦٥ - ١٦٨ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٣/١٥ - ١٦) - حقق هذا الجزء :
على أبى زيد .

● الجنيد بن محمد القوّاريرى ت (٢٩٨هـ = ٩١١م) :

هو شيخ الصوفية أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النّهأونديّ ثم البغداديّ القوّاريرى =

فالحكم بالضللال على جميع الصوفية لا ينبغي ولا يصح على إطلاقه ، والميزان الفارق بين الحق والباطل في ذلك هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فمن كان منهم متبعاً لرسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله ، وهديه وسمته ، كمن ذكرنا وأمثالهم ؛ فإنهم من جملة العلماء العاملين ، ولا يجوز الحكم عليهم بالضللال ، وأما من كان على خلاف ذلك فهو الضال .

نعم قد صار من المعروف بالاستقراء في الأونة الأخيرة وفي أزمنة كثيرة قبلها أن عامة الذين يدعون التصوف في شتى أقطار الدنيا إلا من شاء الله تعالى منهم دجاجلة يتظاهرون بالدين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم ؛ وليتخذوا بذلك أتباعاً وخداماً ، وأموراً وجاهاً ، وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق ، لا يعملون بكتاب الله تعالى ولا بسنة رسوله ﷺ واستعمارهم لضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين .

= الخزاز ، والقواريري نسبة إلى أبيه الذي كان يبيع الزجاج ، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق ، تفقه على أبي ثور ، سمع وصحب كلاً من الحسن بن عرفة والسري السقطي وأبي حمزة البغدادي والحارث المحاسبي ، وقد اتقن العلم وأقبل على شأنه وأخلص العبادة ونطق بالحكمة ، ظل على حاله تلك حتى توفي من عامه المذكور .

ومن جملة أقواله الماثورة : (علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه ؛ لا يقتدى به - الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار - الوقت إذا فات لا يستدرك ، وليس شيء أعز من الوقت - الإخلاص سر بين الله وعبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله) .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

- طبقات الصوفية : لأبي عبد الرحمن السلمى ص ١٥٥ - ١٦٣ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ٧/٢٤١ - ٢٤٩ .
- وفيات الأعيان : لابن خلكان ١/٣٧٣ - ٣٧٥ .
- طبقات الختابلة : للقاضي أبي يعلى ١/١٢٧ - ١٢٩ .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي - (٢/٢٦٠ - ٢٧٥) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحي) .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبي - (١٤/٦٦ - ٧٠) - حقق هذا الجزء : أكرم البوشي .

ويلاحظ أن الجنيد المذكور هنا هو غير الجنيد بن محمد القائني المتوفى عام (٥٤٧هـ = ١١٥٢م) واسمه : أبو القاسم الجنيد بن محمد القائني الإمام القدوة المحدث شيخ الصوفية ، نزيل (هراة) حيث سمع بها كلاً من محمد بن علي العميري ولجيب بن ميمون ، كما سمع بـ (أصبهان) كلاً من أبي بكر بن ماجه وسليمان الحافظ ، وأخيراً فقد سمع بـ (مرور) أبا المظفر السمعاني ، وقد قال عنه ابن النجار : (كان فقيهاً فاضلاً ، محدثاً صدوقاً ، موصوفاً بالعبارة) .

• راجع تفصيل ترجمته في (سير أعلام النبلاء) : للحافظ شمس الدين الذهبي - (٢٠/٢٧٢ -

- ٢٧٣) - حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى -

ومن ثم ؛ فإنه يجب التباعد عنهم ، والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حتى ولو ظهر على أيديهم بعض الخوارق ، ولقد صدق من قال :

إذا رأيت رجلاً يطير
فلم يقف عند حدود الشرع
وفوق ماء البحر قد يسير
فإنه مستدرج أو بدعي

واعلم أن القول الفصل في ذلك هو قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ الآيات (١) .

وعليه ؛ فمن كان عمله مخالفاً للشرع كمتصوفة آخر الزمان فهو الضال ، ومن كان عمله موافقاً لما جاء به نبينا ﷺ فهو المهتدي ، ونرجو الله تعالى أن يهدينا وإخواننا المؤمنين ، وآلأ يزيغنا ولا يضلنا عن العمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ التي هي مَحَجَّةٌ بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك (٢) .

المسألة الثانية

نقده الفرق الأخرى عامة

ونكتفي من هذه الفرق بأشهرها وأكثرها دوراناً في مجال الدراسات الشرعية ألا وهي المعتزلة ، تنبهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة كما يلي :

● نقد المعتزلة :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَمَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ الآية (٣) نراه يرد ما ذهب إليه المعتزلة في نفهم صفات المعاني في حق الله عز وجل ، ومؤكداً أنه لا يشك عاقل في بطلان هذا المذهب وتناقضه ، وفي ذلك يقول ما نصه :

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يقصُّ على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في

(١) النساء : ١٢٣ - ١٢٥ (ثلاث آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٠١/٤ - ٥٠٣ .

(٣) الأعراف : ٧ .

الدنيا ، وأخبرهم جلّ وعلا بأنه لم يكن غائباً عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا ، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق ، المحيط بكل ما فعلوه من صغير وكبير ، وجليل وحقير .

وقد بين سبحانه هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نُجُوعٍ ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الآية^(٣) .

وفي هذه الآية الكريمة الردّ الصريح على المعتزلة النافين صفات المعاني القائلين : (إنه تعالى عالم بذاته لا بصفة قامت بذاته هي العلم) وهكذا في قولهم : (إنه تعالى قادر مريد ، حيّ سميع ، بصير متكلم) فإنه هنا أثبت سبحانه لنفسه صفة العلم بقوله تعالى : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ﴾ الآية^(٤) ونظيره في قوله تعالى : ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ الآية^(٥) .

وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه^(٦) .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن نقد الفرق يتناول عند الشنقيطي كلاً من الصوفية بصفة خاصة ، ثم المعتزلة من الفرق الأخرى بصفة عامة .

أما الصوفية فلأنها أعدل الفرق الإسلامية وأقربها إلى أهل السنة والجماعة من حيث التزامها في الجملة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فضلاً عن أنها أكثر الفرق الإسلامية دوراناً في مجال البحوث الشرعية لما لقضاياها من تلك الخصوصية التي تتعلق بصلة العبد بربه عز وجلّ .

(١) المجادلة : ٧ . (٢) الحديد : ٤ . (٣) يونس : ٦١ .

(٤) الأعراف : ٧ . (٥) النساء : ١٦٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي : ٢٩١/٢ - وانظر تفصيل صفات المعاني السبع (القدرة - الإرادة - العلم - الحياة - السمع - البصر - الكلام) ص من هذا البحث .

القسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يعرض له _____ الفصل الأول : الانتقاد

وأما المعتزلة فلأنها من أكثر الفرق وأشهرها دوراناً في مجال البحوث الشرعية كذلك ، ولكن من حيث وقوعها في صفات الله عز وجل ، وخوضها فيما لا يليق بجلاله وكماله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ؛ ومن ثم فقد كانوا أبعد الفرق في ذلك عن أهل السنة والجماعة .

ومن ثم ؛ فقد كان في نقد هاتين الفرقتين الغنية بهما عما سواهما من الفرق الأخرى في ثانيا تفسير الشنقيطي المختلفة .

المطلب السابع نقد اللُّغَوِيِّينَ

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : نقد الشنقيطي ابن مالك خاصة .
- ٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطي اللُّغَوِيِّينَ الآخرين عامة .

يتناول النقد اللُّغَوِيُّ عند الشنقيطي رَدَّهُ بعض ما ذهب إليه النحويّ الكبير ابن مالك في ألفيته المعروفة بـ (الخلاصة) بصفة خاصّة ، فضلاً عن رَدِّه بعض ما ذهب إليه غيره من المحققين من علماء اللغة المعبرين بصفة عامة من أمثال (الأصمعيّ - الزبيديّ - الزّجاج - العينيّ - الصّبّان) وغيرهم من أئمة العربية وعلماؤها ، وفيما يلي نكتفي من ذلك بشاهد على كل منهما تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده ابن مالك خاصّة

ففي مَعْرَضِ تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(١) نراه يَرُدُّ قول ابن مالك فيما ذهب إليه من عدم صحة الاستثناء من الاستثناء في هذه الآية الكريمة فيقول في ذلك ما نصّه : في هذه الآية الكريمة دليل واضح لما حققه العلماء من جواز الاستثناء من الاستثناء ؛ لأن الله تعالى قد استثنى آل لوطٍ من إهلاك المجرمين بقوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ثم استثنى من هذا الاستثناء امرأة لوط بقوله تعالى : ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ .

وبهذا تعلم أن قول ابن مالك في (الخلاصة) :

وَحُكْمُهَا فِي الْقَصْدِ حُكْمُ الْأَوَّلِ^(٢)

ليس صحيحاً على إطلاقه .

وقد أوضح صاحب (مراقي السُّعود) مسألة (تعدد الاستثناء) من خلال مبحث (المخصّص المتصل) بقوله :

وَذَا تَعَدَّدُ بِعَطْفِ حَصَلٍ بِالِاتِّفَاقِ مُسْجَلًا لِلأَوَّلِ
إِلَّا فَكُلُّهُ لِلَّذِي بِهِ اتَّصَلَ وَكُلُّهَا مَعَ التَّسَاوِي قَدْ بَطَلُ

(١) الحجر : ٥٨ - ٦٠ (ثلاث آيات) .

(٢) ونمّا هذا البيت في ألفية ابن مالك (الخلاصة) هو :

كَلَّمُ يَقْوَا إِلَّا امْرَأَةً إِلَّا عَلَيَّ وَحُكْمُهَا فِي الْقَصْدِ حُكْمُ الْأَوَّلِ

• راجع تفصيل ذلك في (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) : تحقيق محمد محيي الدين

عبد الحميد ٢٠٩/٢ (وذلك من خلال باب الاستثناء) .

إن كان غير الأول المستغرقا فالكلُّ للمخرج منه حقاً
وحيثما استغرق الأول فقط فألغ واعتبر بخلف في النمط^(١)

المسألة الثانية

نقده اللغويين الآخرين عامة

ونكتفى من هؤلاء اللغويين بأحد أشهر أعلامهم ألا وهو الأصمعيُّ ، وذلك تنبيهاً به على غيره مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة كما يلي :

● نقده الأصمعيُّ :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية^(٢) نراه يردُّ قول الأصمعي فيما ذهب إليه من أن الفعل (تَبَارَكَ) مما يستعمل في كلام العرب لغير الله عزَّ وجلَّ ، وفي ذلك يقول ما نصّه :

حكى الأصمعيُّ قائلاً : (تَبَارَكْتُ عَلَيْكُمْ) هو من قول أحد العرب عندما صعِد رابية فقال لأصحابه : (تباركت عليكم) أى تعاليت وارتفعت ؛ وعلى هذا يكون الفعل (تباركت) صفة ذات ، وقال ابن عباس والحسن والنخعي : هو من البركة حيث التزايد في الخير من قِبَلِهِ سبحانه ، فالمعنى زاد خيره وكثر عطاؤه ؛ وعلى هذا يكون الفعل (تباركت) صفة فعل . قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الأظهر عندي فى معنى (تَبَارَكَ) بحسب اللغة التى نزل بها القرآن أنه (تَفَاعَلَ) من البركة كما جزم به ابن جرير الطبرى ؛ وعليه فمعنى (تَبَارَكَ) أى تكاثرت البركات والخيرات من قِبَلِهِ ؛ وهذا يستلزم عظمته وتقديسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ؛ لأنَّ مَنْ تَأْتَى من قِبَلِهِ البركات والخيرات ، ويدرُّ الأرزاق على الناس ، هو وحده المتفرد بالعظمة ، والمستحق إخلاص العبادة له .

أما الذى لا تَأْتَى من قِبَلِهِ بركة ولا خير ولا رزق كالأصنام وسائر المعبودات من دون الله تعالى ؛ فلا يصح أن يُعْبَدَ ، بل وعبادته كفر مُخَلَّدٌ فى نار جهنم ، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآية^(٤) وقوله

(٢) الفرقان : ١ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/ ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) النحل : ٧٣ .

(٣) العنكبوت : ١٧ .

تعالى : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الآيتان^(٢) وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١٢) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ الآيتان^(٣) .

ثم اعلم أن قوله : (تَبَارَكَ) هو فعل جامد ل يتصرف ؛ فلا يأتي منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا غير ذلك ، وهو مما يختص بالله تعالى ؛ فلا يقال لغيره سبحانه ، خلافاً لما ذهب إليه الأصمعي .

كما أن إسناد الله تعالى الفعل ببارك إلى قوله تعالى : ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ يدل على أن إنزاله الفرقان على عبده هو من أعظم البركات والخيرات والنعمة التي أنعم بها على خلقه ، ونظيره قول الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الآية^(٤) وغيرها من الآيات الدالة على ذلك .

وإطلاق العرب الفعل (تَبَارَكَ) مسنداً إلى الله تعالى معروف في كلامهم ، ومن ذلك ما يقوله الطُّرْمَاحُ الشاعر^(٥) :

(١) الأتعام : ١٤ .

(٢) الذاريات : ٥٧-٥٨ (آيتان) .

(٣) غافر : ١٣-١٤ (آيتان) .

(٤) الكهف : ١ .

(٥) الطُّرْمَاحُ بن حكيم ت (نحو ١٢٥هـ = نحو ٧٤٣م) :

هو أبو نَعْرٍ أو أبو ضَيْبَةَ الطُّرْمَاحُ بن حكيم بن الحكم بن نَعْرٍ بن قيس بن جَحْدَر بن ثعلبة ، والطُّرْمَاحُ بمعنى طويل القامة ، وقيل : كان يلقب بـ (الطُّرَّاح) أصله من (طوى) ثم منشؤه بـ (الشام) وقد انتقل منها إلى (الكوفة) مع مَنْ وردها آنذاك من جيوش الشام .

كان الطُّرْمَاحُ من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم كما كان خطيباً موهوباً ، وقد اعتقد مذهب (الشرأة الأزرقية) ثم اتصل بخالد بن عبد الله القسري فكان يكرمه ويستجيد شعره ، وإلى جوار هذا فقد كان هجاءً معاصراً للكلمة للشاعر صديقاً له فلا يكادان يفترقان ، وقد ظل كذلك حتى وفاته من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته في كل من :

• الأعلام : لخير الدين الزركلي ٣/ ٣٢٥ .

• الشعر والشعراء : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦هـ = ٨٩٠م)

- (٢/ ٥٨٥ - ٢٩٠) - تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر - مراجعة : السيد أحمد صقر - طبع :

دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م .

• الأغاني : لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصفهاني ت (٣٥٦هـ =

٩٦٧م) - (١٢/ ٣٥ - ٤٥) - الطبعة ١ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٩هـ =

١٩٥٠م .

وليس لما أعطيت يارب مانع

تباركت لا معطٍ لشيء منعه

وكذلك ما يقوله شاعر آخر :

لنا أبداً ما أورق السلم النضر

فليست عشيّات الحمسى بر واجع

تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر^(١)

ولا عائد ذلك الزمان الذي مضى

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يجمع في نقده اللغوي بين ابن مالك خاصة ، والأصمعي من اللغويين الآخرين عامة .

فلم تمنعه ريادة ابن مالك الأندلسي (ذلك العلامة النحوي الكبير) كما لم تمنعه منزلة الأصمعي (ذلك العلامة اللغوي الشهير) من أن يردّ بعض ما ذهب إليه مما خالف فيه أدلته الشرعية ، وشواهده المعتبرة ، والتي تقوم حجة له على صواب ما ذهب إليه ، في حين تقوم حجة عليهما في مخالفتها الصواب بما ذهب إليه .

وفي هذا ما فيه من المنهجية والموضوعية ما يؤكد دوران الشنقيطي حيث يدور الدليل ، دونما نظر ذاتي إلى قائل هذا القول ، أو صاحب ذلك الرأي .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٦/٢٦٢ - ٢٦٣ .

المطلب الثامن نقد المؤرخين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

- ١- المسألة الأولى : نقد الشنقيطى بعض الوقائع .
- ٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطى بعض السير .

يتناول النقد التاريخي عند الشنقيطي ردّه بعض الوقائع التاريخية ، ثم ردّه بعض أحداث السيرة ؛ بما يُجلى فيهما وجه الصواب ويبطل خلافه بأدلة الشرعية وشواهده المعتمدة ، وفيما يلي نكتفي من ذلك بشاهد على كل منهما تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده بعض الوقائع

ونكتفي من تلك الوقائع بواحدة من أشهرها في تاريخ المسلمين ، وأقربها إلى قلوبهم ألا وهي واقعة بناء بيت الله الحرام ببلد الله الحرام ، وذلك كما يلي :

● بناء البيت الحرام :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الآية^(١) نراه يرُدُّ ما رعمه بعض المؤرخين من أن الله تعالى قد رفع البيت الحرام إلى السماء أيام طوفان نوح ، وأنه كان من ياقوتة حمراء ، إلى آخر هذه المزاعم التي ردّها بقوله :

يقول الله تعالى في هذه الآية : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أي واذكر حين بوائنا ، وتقول العرب : (بوّأت له منزلاً ، وبوّأته منزلاً ، وبوّأته في منزل) كلها بمعنى واحد أي هيأته له ، ومكنت له فيه ، وأنزلته فيه ؛ (فتبوّأه) أي نزله ؛ (تبوّأت له منزلاً) أي هيأته له أيضا وأنزلته فيه .

(وبوّأه) المتعدى بنفسه منه قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية^(٣) ومنه قول عمرو بن معدٍ يكرب الزبيدي :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي مَاجِدٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدِي لِحَسَدٍ

أي هيأته له وأنزلته فيه .

(وبوّأت له) منه قول الله تعالى هنا : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الآية^(٤) .

(٢) المكنبوت : ٥٨ .

(٤) الحج : ٢٦ .

(١) الحج : ٢٦ .

(٣) النحل : ٤١ .

و(بَوَاتُهُ فِيهِ) مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَبَوَّاتُ فِى صَمِيمٍ مَعَشِرَهَا وَتَمَّ فِى قَوْمِهَا مَبُوءَهَا

أى نزلت من الكرم فى صميم النسب .

و(تَبَوَّاتُ لَهُ مِنْزَلًا) مِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَبُوتًا﴾ الآية^(١) و(تَبَوَّاهُ) مِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الآية^(٢) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبَوُّوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ الآية^(٣) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية^(٤) .

و(أَصْلُ التَّبَوُّءِ مِنَ الْمَبَاءَةِ) : وَهِيَ مَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أَيْ هَيَاتَاهُ لَهُ وَعَرَفْنَاهُ إِيَّاهُ لِيُنْبِئَهُ عَلَى قَوَاعِدِهِ الْأَصْلِيَّةِ الْمُنْدَرَسَةِ حِينَ أَمَرْنَاهُ بِبِنَائِهِ ، كَمَا يُهَيِّئُ الْمَكَانَ لِمَنْ يَرِيدُ النَّزُولَ فِيهِ .

والمفسرون يقولون : بُوَّأَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ وَأَرَاهُ إِيَّاهُ بِسَبَبِ رِيحٍ تَسْمَى (الْحَجْجُوجُ) كُنَسَتْ مَا فَوْقَ الْأَسَاسِ حَتَّى ظَهَرَ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ مَنْدَرَسًا ؛ فَبَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ ، كَمَا قِيلَ : أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مُزْنَةً فَاسْتَقَرَّتْ فَوْقَهُ ، فَكَانَ ظِلُّهَا عَلَى قَدْرِ مَسَاحَةِ الْبَيْتِ ؛ فَحَضَرَا عَنِ الْأَسَاسِ فَظَهَرَ لِهَمَا فَبَنِيَاهُ عَلَيْهِ ، كَمَا يَقُولُونَ أَيْضًا : إِنْ الْبَيْتَ كَانَ مَنْدَرَسًا مِنْ زَمَنِ طُوفَانِ نُوحٍ ، وَأَنْ مَحَلَّهُ كَانَ مَرِيضٌ غَنَمٌ لِرَجُلٍ مِنْ قَبِيلَةِ (جُرْهُمٍ) .

ثم اعلم أن المؤرخين لهم كلام كثير فى قصة بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت ، ومن جملة ما يزعمون أن البيت الحرام رفعه الله تعالى إلى السماء أيام الطوفان ، وأنه كان من ياقوتة حمراء ، وقد درج على ذلك ناظم عمود النسب^(٥) فقال :

وَدَلَّتْ إِبْرَاهِيمَ مُزْنَةٌ عَلَيْهِ فَهِيَ عَلَى قَدْرِ الْمَسَاحَةِ تُرِيهِ
وَقِيلَ دَلَّتْهُ (خَجُوجٌ) كُنَسَتْ مَا حَوْلَهُ حَتَّى بَدَأَ مَا أُسْسَتْ
قَبْلَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ الْبِنَاءِ قَبْلَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى السَّمَاءِ

(٢) الزمر : ٧٤ .

(٤) الحشر : ٩ .

(١) يونس : ٨٧ .

(٣) يوسف : ٥٦ .

(٥) ويقصد به أحمد البدوى المجلسى البوحمدي الشنقيطى صاحب نظمى (عمود النسب) و (الغازى) -

راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

ومن المعلوم أن هذا ونحوه شبيهه بالإسرائيليات ؛ فلا يُصدَّقُ منه إلا ما قام دليل من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ على صدقه ؛ ولهذا فإننا نقلل من ذكر مثل ذلك في الغالب .

وإذا علمتَ هذا فاعلم أن غاية ما دلَّ عليه القرآن أن الله تعالى قد بوأ مكان البيت لإبراهيم ؛ فهياً له وعرفه إياه ليبنيه في محله ، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه هو إبراهيم ولم يُبنَ قبله .

غير أن ظاهر قول إبراهيم فيما حكاه القرآن عنه حين ترك إسماعيل وأمه هاجر في مكة كما في قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ الآية^(١) يدل على أن البيت كان مبنياً ثم اندرس كما يدل عليه قوله تعالى هنا : ﴿ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ الآية^(٢) فهو يدل على أن للبيت مكاناً سابقاً كان معروفاً ، والله تعالى أعلم^(٣) .

المسألة الثانية

نقده بعض السِّير

ونكتفى من تلك السِّير بواحدة من أهمها وأقواها صلةً بنسب رسول الله ﷺ وقومه حال ميلاد الدولة الإسلامية الجديدة ، ألا وهي رابطة العصبة القبلية كما يلي :

• رابطة العصبة القبلية :

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الآية^(٤) نراه يرد ما زعمه بعض أصحاب السِّير من أن رسول الله ﷺ قد أقر تلك العصبة القبلية من خلال انتفاعه بعصبيته النسبية من مثل ما وقع له ﷺ من عمه أبي طالب وجدّه عبد المطلب وهما آنذاك على غير الإسلام ، حيث يبين الشنقيطي وجوب التفريق بين منع النداء بتلك الرابطة وبين الانتفاع بها ، وفي ذلك يقول ما نصّه :

اعلم أنه لا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام كالقوميات والعصبيات النسبية ، ولاسيما إذا كان النداء بالقومية يُقصدُ من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية ؛ فإن النداء بها حيثُذ معناه الحقيقي : أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام ، ومن ثم رفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً .

(٢) الحج : ٢٦ .

(٤) الإسراء : ٩ .

(١) إبراهيم : ٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥ / ٦١ - ٦٤ .

على أن يُعتَاضَ من ذلك روابط عصبية قومية ، مدارها على أن هذا من العرب ، وهذا منهم أيضاً ؛ فالعروية لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام ، بل إن استبدالها به صفقة خاسرة ، وهي كما قال الراجز :

بَدَلْتَ بِالْجُمَّةِ رَأْساً أَزْعَرَا وبالثنایا الواضحاتِ الدَّرْدَرَا

كما اشترى المسلم إذ تنصراً

ولا يخفى أن حال العرب هذه كانت معلومة قبل الإسلام وبعده ، حيث إن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية هم (أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة) ونظراؤهم من رؤساء الكفرة الذين بين الله تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الآية^(٢) وأمثال ذلك من الآيات .

كما بين الله تعالى في محكم كتابه أن الحكمة في جعله بنى آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم ، وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره ، وكل قبيلة على غيرها ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الآية^(٣) فاللام في قوله تعالى : ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لام التعليل ، والأصل : (لتعارفوا) وقد حذف إحدى التاءين ؛ ومن ثم فإن التعارف المذكور هنا هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ .

ونحن حين نصرح بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية ، ونقيم الأدلة على منع ذلك ؛ فإننا لا نكر في ذات الوقت أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة ؛ ومن ذلك ما نفع الله جلّ وعلا نبيه ﷺ بعمه أبي طالب ؛ حيث بين الله سبحانه أن عطف ذلك الكافر على نبيه ﷺ هو من منن الله تعالى عليه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ الآية^(٤) أى آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب ؛ ولذا فقد كان من آثار هذه العصبية النسبية أن قالو أبو طالب في ابن أخيه رسول الله ﷺ :

وَاللَّهِ لَنْ يَصَلُّوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حتى أوسد قسى الترابِ دفيناً

وقد نفع الله عزّ وجلّ بتلك العصبية النسبية كذلك نبيه شعيباً على نبينا وعليه الصلاة

(٢) البقرة : ١٧٠ .

(١) المائدة : ١٠٤ .

(٤) الضحى : ٦ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

والسلام كما فى قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ الآية^(١) كما نفع الله تعالى بهذه العصبية النسبية نبيه صالحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما فى قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية^(٢) فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح ؛ ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءاً إلا ليلاً خفية ، وقد عزموا على أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم ، ولما كان لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا عصبية له فى قومه ؛ لذا فقد ظهر أثر ذلك حتى قال فيما حكاه القرآن عنه فى قوله الله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ الآية^(٣) .

وعليه ؛ فإنه يلزم الناظر فى هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين ، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال ؛ ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام ، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد ، أو أنه جمود وتأخر عن مساندة ركب الحضارة ، نعوذ بالله تعالى من طمس البصيرة .

ثم اعلم أن منع النداء بروابط القوميات لا ينافى أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التى لا تمتُّ إلى الرسال بصلته ، وذلك كما وقع من أبى طالب لرسول الله ﷺ حيث ثبت فى (الصحيح) عنه ﷺ أنه قال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » الحديث^(٤) .

ولكن تلك القرابات النسبية لا يجوز أن تُجعلَ هى الرابطة بين المجتمع ؛ لأنها تشمل المسلم والكافر ، وكما هو معلوم أن المسلم عدو الكافر كما قال الله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية^(٥) .

ومما يوضح لك أن الرابطة الحقيقية هى دين الإسلام قول الله تعالى فى أبى لهب عم رسول الله ﷺ : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ الآية^(٦) ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسى من

(١) هود : ٩١ . (٢) النمل : ٤٩ . (٣) هود : ٨٠ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الجهاد والسير (باب) إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه - (طبع بيروت) .

(٥) المجادلة : ٢٢ . (٦) المسد : ٣ .

الفضل والمكانة عند رسول الله ﷺ والمسلمين والذي أشار إليه ﷺ في قوله : «سلمان منا أهل البيت» الحديث^(٥) وقد أجاد مَنْ قال في ذلك :

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (باب) ذكر سلمان الفارسي ﷺ - انظر (المستدرک على الصحيحين) : لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م) - ٦٩١/٣ - الطبعة ١ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

وذكره السيوطي في جامع الأحاديث من رواية عمرو بن عوف ﷺ : ٣١٥/٤ - حديث رقم (١٢٩٧٩) - كما ذكره الهيثمي في مجمع (باب) غزوة الخندق وقریظة - والذي يتبين من خلاله سبب هذا الحديث ، حيث يقول في ذلك ما نصه : عن عمرو بن عوف المزني أن رسول الله ﷺ (خَطَّ الخندق من أحمر السَّبْحَتَيْنِ طَرْفَ بنى حارثة عام حزب الأحزاب حتى بلغ المدَّاحِج ، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً) واحتج المهاجرون والأَنْصَارُ في سلمان الفارسي ، وكان رجلاً قویاً ؛ فقال المهاجرون : (سلمان منا) وقال الأنصار : (سلمان منا) فقال رسول الله ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» كما رواه الطبراني ، وفيه كثير بن عبد الله المزني ، وقد ضعفه الجمهور ، وحسن الترمذي حديثه ، وبقية رجال ثقات - انظر (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - ١٣٠/٦ - طبع مكتبة القدسي - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

وأما فيما يتعلق ببيان معاني مفردات هذا الحديث فنسوقها على النحو التالي :

فقوله : (خَطَّ الخندق) من قولهم : (خَطَّ الأرض) أى جعل عليها علامة بالخطِّ لِيُعْلَمَ أنه قد اختارها ليسيئها داراً ، ومن ذلك (خَطَّ الكوفة والبصرة) - انظر مادة (خَطَّط) في لسان العرب : ١١٩٨/٢ - وعليه فإنَّ قوله : (خَطَّ الخندق) أى جعل على موضعه من الأرض خطاً مستطيلاً ليكون بمثابة العلامة التي تدل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على أن رسول الله ﷺ قد اختار هذا المكان الذي خَطَّه ليقوموا فيه بحفر الخندق .

وقوله : (السَّبْحَتَيْنِ) هو مثني (السَّبْحَةِ) : وهى الأرض التي تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر - انظر مادة (سَبَّخ) في لسان العرب : ١٩١٧/٣ - وعليه فإنَّ قوله : (من أحمر السبختين) أى من الأرض الحمراء التي لا تكاد تنبت إلا قليلاً ؛ وهذا ما يجعل حفر الخندق في مثل هذه الأرض بالمدينة المنورة اختياراً مناسباً ، لأنه لا يفتور على المسلمين فرصة الانتفاع بخصوصيتها والزراعة فيها نظراً لقلّة خصوبتها في الأصل .

وقوله : (طَرْفَ بنى حارثة) أى بدايةً من (حَرَّةِ بنى حارثة) حيث الحَيّ الذي كانوا يقيمون فيه ، وهو ما يمثل الآن طرف الحَرَّةِ الغربية عند الموضع المعروف بـ (ثَنِيَّةِ حَرَّةِ بنى سَلَمَةَ) الواقعة بين (مسجد القبليتين) و (المسجد السبعة أو مساجد الفتح أو مساجد الأحزاب) وقوله : (عام حزب الأحزاب) أى عام غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق المذكورة ، والتي وقعت في شوال من العام الخامس لهجرة رسول الله ﷺ الموافق لعام (٦٢٧ م) وقوله : (المدَّاحِج) أى اسم الموضع الذي انتهى إليه حفر الخندق ، والذي يمثل الآن طَرْفَ الحَرَّةِ الشرقية عند الموضع المعروف بـ (أَجَمَةَ الشَّيْخِينَ) الواقعة شرقي (مسجد المُسْتَرَّاحِ) وقوله : (أربعين ذراعاً) أى لمسافة أربعين ذراعاً طويلاً من الأرض ، و(النُّرَّاحِ) : هى يد الإنسان من المِرْفَقِ حتى الرُّسْغِ ، ومقياس أشهر أنواعها هى (الذراع الهاشمية) والتي تعادل (٣٢) إصبعاً ، أو (٦٤) ستيماً - انظر مادة (ذَرَعَ) في المعجم الوسيط : ٣٢٢/١ .

وبناءً على ما تقدم ؛ فقد بدأ حفر الخندق من طرف الحَرَّةِ الغربية إلى طرف الحَرَّةِ الشرقية ليربط =

... ..

= بين الحرتين ، وذلك بهدف تحصين الجهة الشمالية للمدينة المنورة والتي غالباً ما يغزوها المعتدون من ناحيتها ، وقد امتد الخندق بطول (٢٧٢٥) متراً ، وعرض (٤٠) ذراعاً ، وعمق (٢٠) ذراعاً ، واشترك في حفره رسول الله ﷺ بنفسه مع (١٥٠٠) من المهاجرين والأنصار من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، واستغرق الحفر (٦) أيام كاملة .

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه هو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق قائلاً له : (يا رسول الله كنا إذا خفنا خندقاً) أي كانوا إذا أحسوا الخوف من عدوهم لجأوا إلى حفر الخنادق في بلادهم فارس ، ولما قسم رسول الله ﷺ المسلمين إلى مهاجرين وكلّفهم بالجهة الغربية من الخندق ، وإلى أنصار وكلّفهم بالجهة الشرقية منه ؛ اختلفوا عندئذ في سلمان رضي الله عنه فقال المهاجرون : (سلمان منا) وقال الأنصار : (سلمان منا) فقال رسول الله ﷺ : (سلمان منا أهل البيت) وذلك لأن رسول الله ﷺ هو الذي دفع عوض عتق سلمان لليهودي الذي كان يسترقه ، وهذا العوض كان مقدراً ب (غرس ثلاثمائة نخلة حتى تثمر ، إضافة إلى أربعين أوقية من الذهب) وقد غرس رسول الله ﷺ النخل بيده الشريفة فلم تمر سنة حتى أثمر كله ، كما أعطى اليهودي قدر بيضة من الذهب فوزن منها أربعين أوقية وبقيت كما كانت ، وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بذلك بينه وبين اليهودي .
(والأوقية) : تساوي اثني عشر درهماً ، كما تعادل بدورها جزءاً من اثني عشر جزءاً من (الرطل) وتجمع على (أواق) في حين يجمع الثاني على (أرطال) - انظر مادتي (أوق) و(رطل) في المعجم الوسيط : ٣٣/١ - ٣٦٤/١ .

ولما كان سلمان رضي الله عنه ليس من المهاجرين ولا الأنصار من حيث الموطن والنشأة ، وإنما كان من بلاد فارس ؛ لذا فقد كان هذا سبب اختلافهم فيه من حيث حرص كل فريق منهما أن يضمه إليه ، غير أنه فاز في نهاية الأمر بشرف الانتساب إلى أهل بيت رسول الله ﷺ .
وفيما يتعلق بغزوة الخندق وما كان من خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ودوره فيها ، راجع في ذلك كلاً من :

- السيرة النبوية : لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت (٢٩٣ هـ = ٩٠٦ م) - ١٢٧/٣ .
- الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ : للشيخ غالي محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٠٢ - الطبعة ٣ - (دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة) مع (مؤسسة علوم القرآن بدمشق) - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .
- المخطط التفصيلي للمدينة المنورة الذي يتضمنه الكتيب الإعلامي الدوري تحت عنوان (التدخين : أضراره ومكافحته) : تأليف (د. يحيى بن ناصر خواجي) مع (د. حسن البنا محمد) - الطبعة ٢ - إصدار (الشئون الصحية بالمدينة المنورة) بالتعاون مع (لجنة أصدقاء المرضى بالمدينة المنورة) - المدينة المنورة - المحرم ١٤١٥ هـ = يونيو ١٩٩٤ م .

وأخيراً وفي معرض تفسير (إنقاص الأرض) الذي ورد في آيتين فقط من القرآن الكريم حيث قول الله تعالى : ﴿وَأَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد : ٤١ - وقول الله تعالى : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الأنبياء : ٤٤ - يذكر الدكتور زغلول النجار أن إنقاص الأرض كان يُفسر قديماً على أنه أحد أمرين أولهما : موت العلماء والذي يتأدى عنه فساد عظيم ، وثانيهما : انحسار دولة الكفر بسبب الفتوحات الإسلامية العظيمة . =

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الْكُفْرُ الشَّرِيفُ أَبَا لَهَبٍ

وقد أجمع العلماء على أن الرجل إذا مات وليس له من القُرباء إلا ابن كافر ؛ فإن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام ، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر ؛ ولما كان الميراث دليل القرابة لذا فقد دلَّ ذلك على أن الأخوة الدينية هي أقرب من البنوة النَّسَبِيَّة .

وبالجمله ؛ فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض ، وتربط بين أهل الأرض والسماء ، هي رابطة (لا إله إلا الله) فلا يجوز ألبتة النداء برابطة غيرها ؛ ومن ثم فإن مَنْ وَآلَى الْكُفْرَانَ بِالرَّوَابِطِ النَّسَبِيَّةِ مُحِبٌّ لَهُمْ وَرَغْبَةٌ فِيهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ الآية^(٢) والعلم عند الله تعالى^(٣) .

* * *

= وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى السنوات القليلة لماضية خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي حين اكتشف علماء الطبيعة أن إنقاص الأرض يعني (انكماشها) وذلك بسبب (البراكين الهائلة) التي تنفجر في جوفها لتقذف ملايين الأطنان من المادة والطاقة على شكل بخار الماء الذي يمثل (٧٠٪) منها ، والباقي على شكل غازات أخرى ومعادن منصهرة تعرف بـ (الطفوح البركانية) أو (الحُمَم) أو (الصُّهارة) والتي تصعد من جوف الأرض فتمر خلال الصدوع حتى تصل إلى سطح الأرض فتكوّن ما يعرف بـ : (الحُرَّات) ومفردها (الحَرَّة) .

واذن فـ (الحَرَّة) تعنى تلك الطفوح البركانية التي تتجمد تدريجياً وتمتد لمسافات طويلة على سطح الأرض ثم تتحول بفعل عوامل التعرية إلى أخصب أنواع التربة من البازلت المفتت ذى اللون الأحمر أو الأسود ، وحول (المدينة المنورة) وحدها (٧٠٠) فوهة بركان من المحتمل ثورانها لأنها ليست خامدة ، ولقد ثار بعضها فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولذلك تقع المدينة المنورة بين حَرَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ (حَرَّةٌ رَهَطٌ) جنوب المدينة ، و(حَرَّةٌ خَيْبَرٌ) شمالها ، إضافة إلى حَرَّتَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ (الحَرَّةُ الشَّرْقِيَّةُ) شرق المدينة ، و(الحَرَّةُ الْغَرْبِيَّةُ) غربها ، واللّتين تم حفر الخندق فى غزوة الأحزاب ليصل بين طَرَفَيْهِمَا .

ومن العجيب أن يُظْهِرَ الْمَسْحُ الْجَوِيُّ أن الحجاز وحده به ما يقرب من تسعين ألف كيلو متر مربع من هذه الحُرَّات الحمراء أو السوداء التي كوَّنتها الطفوح البركانية ، والتي يصل سُمْكُ طبقتها إلى ثلاثمائة متر تقريباً .

● راجع فى ذلك بتصرف يسير (محاضرة الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم) : د. رطلول النجار (استاذ الجيولوجيا وعلوم الأرض بالجامعات العربية والعالمية ، ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بالملكة المتحدة) وقد أجرى معه الحوار الأستاذ أحمد فراج من خلال برنامج الشهير (نور على نور) على مدار حلقتين على القناة الأولى بالتليفزيون المصرى ، واللّتين تم إعادتهما مرتين كان آخرهما الاثنتين (٤ من ذى القعدة ١٤٢١هـ) الموافق (٢٩ من يناير ٢٠٠١م) -

(٢) الأتقال : ٧٣ .

(١) المائة : ٥١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٤٤ - ٤٤٨ .

القسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يعرضُ له _____ الفصل الأول : الانتقاد

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطي يجمع في نقده التاريخي بين ردّه ما لا يصحُّ من الوقائع التاريخية التي تتصل بتاريخ الإسلام والمسلمين ، والتي يصفها بأنها أشبه ما تكون بالإسرائيليات التي يجب إهمالها وإسقاطها من ذاكرة الأمة واعتبارها .

هذا إلى جانب ردّه ما يثار من شبهات حول سيرة رسول الله ﷺ وما أرساه من مبادئ ثابتة ، ودعائم راسخة ، التزمها في حياته ﷺ وسار عليها صحابته من بعده وتابعوهم من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وفي هذا ما فيه من المنهجية والموضوعية ما يؤكد حرص الشنقيطي على تجلية وجه تاريخ الإسلام الناصع المضيء ، إضافة إلى ذبّه ودفاعه عن رسول الإسلام وسيرته العطرة المشرفة ﷺ في وجه أعداء الله ورسوله وأشباعهم من الحاقدين على هذه الأمة بتاريخها وسيرة نبيها ﷺ .

الفصل الثانی الاستنباط

ويتنظم المبحثن التالین :

- ١- المبحث الأول : التقعید النظریّ .
- ٢- المبحث الثانی : التطبيق العمليّ .

المبحث الأول التقعيد النظريّ

ويتنظم المطالب السبعة التالية :

- ١- المطلب الأول : ماهية الاستنباط .
- ٢- المطلب الثاني : حُجِّيَّة الاستنباط .
- ٣- المطلب الثالث : ضرورة الاستنباط .
- ٤- المطلب الرابع : شروط الاستنباط .
- ٥- المطلب الخامس : ضوابط الاستنباط .
- ٦- المطلب السادس : مجال الاستنباط .
- ٧- المطلب السابع : معجم الاستنباط .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّنة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرَضُ له _____ الفصل الثاني : الاستنباط

ونعنى به جملة الخصائص والسّمات التي يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادئ أساسية ، يعتمد عليها ، ويصدرُ عنها ، إزاء ما يذهب إليه من استنباطات متعددة ، وما يخرج به من استنتاجات متنوعة ، مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

ماهية الاستنباط

يمثل الاستنباط أحد محوريّ التأويل الذى يُعدُّ آلة التنفيذ الفعلية ، وأداة التطبيق العمليّ ، للتفسير بالرأى ، وذلك إضافة إلى المحور الثاني المتمثل فى الاجتهاد .

ويهذه الحثية يتوجه الاستنباط إلى استنطاق كلِّ نصٍّ أشكلَ فهمه ، أو خفى معناه ، من كتاب الله تعالى بصفة خاصّة ، أو من سنة رسوله ﷺ وأثار سلفه الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بصفة عامّة ، من خلال إقدام المفسر على استخدام عقله وإعمال رأيه ؛ وذلك بقصد إيضاح هذا الإشكال ، وإظهار ذلك الخفاء .

ومن ثم ؛ فإنّ الاستنباط سابق على الاجتهاد فى الرتبة ، ومتقدم عليه فى الترتيب ؛ وذلك من حيث كونه يقوم بالدور الأول ، ويمثل الخطوة الأساسية ، من عمل التفسير بالرأى ، ونطاق تأثيره ؛ والاستنباط بهذه الكيفية يبدأ من النص المشكل الخفى وينتهى إليه ، حيث يدور فى فلكه ، فلا يتجاوز إطاره ، ولا يتعدى حدوده .

وهذا هو ذات ما يسلكه الشنقيطىّ إزاء استنباطاته المختلفة التى يبدؤها من النص المشكل الخفى وينتهى بها إليه ، بعد أن يحمله إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إحياء ، مستنجاً منه ما يشاء ومستخرجاً منه ما يريد ؛ وليعبّر بذلك فى النهاية عن الشرط الأول من تفسيره بالرأى والمتمثل فى هذا (الاستنباط) .

المطلب الثاني

حجية الاستنباط

يُذكر الشنقيطى على مشروعية الاستنباط من خلال إقامته الحُجّة على مشروعية التأويل ؛ باعتبار أن الاستنباط إنما يمثل المرحلة الأولى من التأويل إلى جانب مرحلته الثانية المتمثلة فى الاجتهاد .

وقد سبق أن فصلنا القول في أدلة الشنقيطى على مشروعية التأويل في كل من القرآن والسُّنة والآثار بما موجزه ما يلي :

● أدلة التأويل :

١- من القرآن :

وذلك في معرَض تفسير لقول الله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية^(١) إضافة إلى ذكره نظرائها من الآيات الأخرى التي يطلق فيها التأويل غالباً على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقول الله تعالى : ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُعْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ﴾ الآية^(٤) وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ الآية^(٥) إلى غير ذلك من الآيات المماثلة^(٦) .

٢- من السنة :

وذلك من خلال استدلال الشنقيطى على مشروعية التأويل بدعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما قائلاً : اللهم فقِّههُ في الدين وعلمهُ التأويل « الحديث^(٧) .

٣- من الآثار :

وذلك من خلال استدلال الشنقيطى على مشروعية التأويل بقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن - الحديث^(٨) .

● غياب بعض الأدلة :

ومع أن الشنقيطى قد استدل على مشروعية الاستنباط من خلال استدلاله على مشروعية التأويل من الكتاب والسنة والآثار؛ إلا أنه قد غابت عنه بعض أشهر هذه الأدلة والمتمثلة في كل من الآيتين التاليتين :

(١) آل عمران : ٧ . (٢) يوسف : ١٠٠ . (٣) الأعراف : ٥٣ .

(٤) يونس : ٣٩ . (٥) النساء : ٥٩ .

(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٧) راجع تخريج هذا الحديث ص من هذا البحث .

(٨) راجع تخريج هذا الحديث ص من هذا البحث .

١- أول وأخص هاتين الآيتين :

ألا وهي قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية^(١) والتي أغفلها الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية^(٣) .

٢- ثانی واعم هاتين الآيتين :

ألا وهي قول الله تعالى : ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية^(٤) والتي أغفلها الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿لَتَبْلُغُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ الآية^(٥) وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ الآية^(٦) .

المطلب الثالث

ضرورة الاستنباط

تتبع الضرورة الداعية إلى الاستنباط عند الشنقيطي من ذات الضرورة الداعية إلى التأويل عنده ؛ وذلك حذواً بضرورة الفرع التي تتبع ضرورة الأصل ، على اعتبار أن الاستنباط أحد فرعى التأويل إضافة إلى فرعه الثاني المتمثل في الاجتهاد .

ولما كان الأصل عند الشنقيطي هو التوجه للأخذ بظاهر القرآن وعدم العدول عنه إلا لضرورة تلجئه إلى ذلك ، وهو ذات ما يصرح به قائلاً : (إن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه)^(٧) لذا ؛ فإن الضرورة الداعية إلى الاستنباط عنده إنما تتمثل في حالة عدم غنائه بظاهر النص في إدراك هدفه ، وعوده به عن بلوغ غايته ؛ ومن ثم فإنه يتحتم عليه أن يلجأ مضطراً إلى العدول عن الظهور إلى التأويل بمحوريه المتلازمين حيث الاستنباط أولاً ، ثم الاجتهاد ثانياً .

وهكذا يجب في رأينا على الشنقيطي وغيره من المفسرين أن يتوجه أولاً إلى المعنى الظاهر المتبادر من النص ؛ من حيث وجوب أخذه به ، وضرورة صدوره عنه ، خاصة وأنه يُبين عن نفسه بنفسه ، ويدلُّ بذاته على معناه ؛ ومن ثم فلا حاجة لأن يلجأ الشنقيطي إلى

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) النساء : ٧٤ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٨٦ .

(٦) آل عمران : ١٩١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطي ٤/٥٨٥ .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّنة الثالثة التحليل لسائر ما يُفرضُ له _____ الفصل الثاني : الاستنباط

الاجتهاد إلا عندما لا يفى ظاهر النص بإدراك الهدف المنشود ، وبلوغ الغاية المرجوة ، وتلكم هى الضرورة التى تُعدُّ فى رأينا دافعاً للاستنباط بصفة خاصة ، وللتأويل بصفة عامة .

المطلب الرابع

شروط الاستنباط

يمثل الاستنباط مع الاجتهاد محورى التأويل الذى يُعدُّ بدوره آلة التنفيذ الفعلية ، وأداة التطبيق العملى للتفسير بالرأى عند الشنقيطى ، ومن ثم فإنَّ الشروط التى تردُّ على الاستنباط لتصدر بدورها من ذات المَعين الذى تصدر منه ذات الشروط التى تردُّ على الاجتهاد ، وليس ثمة فارق بين شروط الاستنباط وشروط الاجتهاد إلا فيما يتعلق بالفارق بين محل الاستنباط ونطاق تأثيره ، ومحل الاجتهاد ونطاق تأثيره .

ففى حين يبدأ الاستنباط من النص وينتهى إليه دون أن يتجاوز إطاره ، أو يتعدى حدوده ، فإننا نجد أن الاجتهاد يبدأ من النص كذلك إلا أنه ينتهى به فيما وراءه بعد أن يَحْمِلَه إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إحياء .

وإزاء هذا يورد الشنقيطى اثنى عشر شرطاً اشترطها متأخرو الأصوليين وأوقفوها على المجتهدين دون غيرهم فى عملهم بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ غير أن الشنقيطى قد بينَّ أن أكثر هذه الشروط لا مستند لهم فيها ، ولا دليل عليها من كتاب أو سُنَّة أو أثر أو إجماع أو قياس ؛ لأن كل إنسان إذا أراد أن يعمل بنص من كتاب أو سُنَّة فلا يمتنع عليه ولا يستحيل أن يتعلم معناه، ويبحث عنه هل هو منسوخ أو مخصص أو مقيد حتى يعلم ذلك فيعمل به .

ومع أن الشنقيطى قد جعل ذلك فى غير الأمور المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة ، والتى لا يرى فيها إلا الاتباع دون غيره من استنباط أو اجتهاد ؛ إلا أننا قد استدركنا على ذلك من خلال توجيه قول أهل الأصول : (لا اجتهاد مع النص) ليصير فى رأينا (لا اجتهاد إلا مع النص) .

المطلب الخامس

ضوابط الاستنباط

وتتمثل ضوابط الاستنباط عند الشنقيطى فى ذات الضوابط التى تحكم التأويل عنده على

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّة الثالثة التحليل لسائر ما يُعْرَضُ لَهُ _____ الفصل الثاني : الاستنباط

اعتبار أن الاستنباط أحد فرعي التأويل إضافة إلى فرعه الثاني المتمثل في الاجتهاد ، وتنحصر هذه الضوابط فى ضابطين اثنين لا يخرج الشنقيطى عن إطاريهما ، ولا يتجاوز حدودهما ، إزاء ما يلجأ إليه من استنباط بصفة خاصة ، أو تأويل بصفة عامة ، ألا وهما :

١- الضابط الأول (اللغة) :

ويحتكم الشنقيطى إلى اللغة كضابط أول قبل غيرها ؛ وهذا على اعتبار أسبقية الوضع ، وأولوية الوجود ، حيث إنها هادية إلى أصل المعنى ، وحاكمة لتوجهه ، وذلك منذ أن كان للإنسان وجود ، ومنذ أن كانت له لغة خطاب .

ومن ثم ؛ لا يفتأ الشنقيطى أن يُعْمَلَ هذا الضابط اللغوى مصرحاً بين الحين والآخر باحتكامه إلى لغة العرب ، وما يجرى وفقاً لقواعدها الثابتة ، ومن ذلك قوله : وأظهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفصيحة من غير إشكال ولا تقدير^(١) .

٢- الضابط الثانى (الأصول) :

ويأتى احتكام الشنقيطى إلى هذا الضابط الأصولى بعد احتكامه إلى الضابط اللغوى ؛ بناءً أيضاً على أسبقية وضع اللغة قبل الأصول ، وأولوية وجودها قبله ، وإزاء إعمال الشنقيطى هذا الضابط الأصولى نكتفى بالإشارة إلى هاتين القاعدتين تبييناً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، ألا وهما :

● قاعدة (الأخذ بظاهر القرآن) :

وهى ذات القاعدة التى سبق أن تناولناها بالذكر فى معرض حديثنا عن (ضرورة الاستنباط) منذ قليل بما أغنى عن إعادة ذكرها هنا ثانية .

● قاعدة (دلالة الإشارة) :

وهى تلك القاعدة التى يحتكم إليها الشنقيطى فى تفسيره للآية من خلال ضمها إلى غيرها من الآيات الأخرى ؛ وبحيث يتأدى عن ذلك اكتمال دلالتها ، وتمام معناها ؛ وهو ذات ما يجرى على المقرر عند علماء الأصول فى هذا الصدد ، والذى ينقله الشنقيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلا بضمها إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم هى الدلالة المعروفة عند علماء الأصول بـ (دلالة الإشارة)^(٢) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦ / ٣٦٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧ / ٣٨٥ .

المطلب السادس

مجال الاستنباط

وينحصر مجال الاستنباط عند الشنقيطى فى ذلك النصّ الخفى المشكل الذى لا يفى ظاهره بإدراك تمام الهدف المنشود منه ، وبلوغ كمال الغاية المرجوة فيه ؛ وعندئذ يُلجأ الشنقيطى إلى الاستنباط بضابطيه السابقين بقصد رفع هذا الخفاء ، وإزالة ذلك الإشكال ، واللذين يكتنفان النصّ القرآنى بما يجعله لا يكشف بنفسه عن مدلوله ، ولا يُبين بذاته عن معناه .

ولما كان النصّ القرآنى يتألف من كلٍّ من اللفظ المفرد والجملّة المركبة شأنه فى ذلك شأن لغته نزل بها ، بل وسائر اللغات الفاعلة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ؛ لذا فقد كان من المنهجية أن يشمل مجال الاستنباط عند الشنقيطى كلاً من :

١ - اللفظ المفرد :

وهو كل لفظ قرآنى يكتنّفه الغموض ، ويُلّفُّه الإشكال ؛ بحيث لا يكشف بنفسه عن مدلوله ، ولا يُبين بذاته عن معناه ، ومن ثم يتوجّه إليه الشنقيطى من خلال الاستنباط أولاً ؛ فإمّا أن يدرك الهدف المنشود منه ، ويبُلغ الغاية المرجوة فيه ؛ وإلاّ توجّه إليه من خلال الاجتهاد ثانياً .

وتنبهياً ببعض هذه الألفاظ القرآنية المفردة على غيرها مما يتناولها الاستنباط نذكر كلاً من : (الكَلَالَة - بَحِيرَة - سَائِبَة - وَصِيلَة - حَام) (١) .

(١) انظر مواضع ومعانى هذه الألفاظ على بعض أوجهها فى (كلمات القرآن تفسير وبيان) : للشيخ حسين محمد مخلوف - الطبعة ١ - مكتبة الامين - المدينة المنورة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

- حيث وردت معانيها بحسب ترتيب سورها القرآنية على النحو التالى :
- الكَلَالَة : الميت الذى ولد له ولا والد ، وذلك فى قوله الله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ النساء : ١٧٦ .
 - بَحِيرَة : الناقة التى تُشَقُّ أذنها وتجعل للطواغيت فى حالة إذا ما ولدت خمسة أبطن آخرها ذكراً .
 - سَائِبَة : الناقة التى تُسَبُّ للأصنام من أجل شفاء من مرض ، أو نجاة من حرب .
 - وَصِيلَة : الناقة التى تترك للطواغيت إذا بكرت بأثنى ثم تُنْتَبَأُ أيضاً ، أى واصلت الأثين .
 - حَام : الفحل أو الذكّر الذى لا يُرْكَب ولا يُحْمَل عليه شىء فى حالة إذا ما لَقِحَ ولدٌ ولده ، أى صار قادراً على ضرب الإناث .

وهذه المفردات الأربع يجمعها قول الله تعالى : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة : ١٠٣ .

٢- الجملة المركبة :

وهي كل جملة قرآنية يكتنفها الغموض ، ، ويلقُّها الإشكال ؛ بحيث لا تكشف بنفسها عن مدلولها ، ولا تُبين بذاتها عن معناها ، ومن ثم يتوجَّه إليها الشنقيطي من خلال الاستنباط أولاً ، فإما أن يدرك الهدف المنشود منها ، ويبلغ الغاية المرجوة فيها ؛ وإلا توجه إليها أيضاً من خلال الاجتهاد ثانياً .

وتنبهنا ببعض هذه الجمل القرآنية المركبة على غيرها مما يتناولها الاستنباط نذكر كلاً من قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ الآية^(٣) .

(١) الأنعام : ١٤٦ .

● ومعنى هذا التركيب القرآني : أن الله تعالى قد حرّم على اليهود كل ماله إصبع أو مخلب من الدوابّ والطيور بصفة عامة ، أما من الغنم والبقر بصفة خاصة فقد حرّم عليهم شحوم الكرش والكليتين ، واستثنى سبحانه من ذلك شحوم الظهر والمصارين والأمعاء ؛ وذلك جزاء لهم على بغْيهم وظلمهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) النمل : ٤٤ .

● ومعنى هذا التركيب القرآني : أن نبيّ الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام طلب من بلقيس ملكة سبأ عندما جيء بها ويعرشها إليه أن تدخل قصره ، فلما رأت ساحة اللامعة البرّاقة حسبه ماءً غزيراً ؛ ومن ثم كشفت عن بعض ساقها خشية أن يصيبها البلل ؛ وعندئذ أعلمها نبيّ الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن هذا ليس ماءً ، وإنما هو رجاج شفاف أملس لامع شأنه في ذلك شأن سائر الزجاج الذي بنى منه قصره العظيم ؛ الأمر الذي انتهى بها إلى إدراك حقيقة ضعفها ، فضلاً عن ضلالها وعدم إسلامها ؛ ومن ثم تابت وأنابت لتسلم في النهاية مع سليمان لله ربّ العالمين .

(٣) يس : ٣٩ .

● ومعنى هذا التركيب القرآني : أن الله عزّ وجلّ هو خالق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، ومن مظاهر قدرته هذه جلّ وعلا أن جعل سير القمر في منازل ومسافات مختلفة ؛ بحيث يطلع في أول ليلة من الشهر الهجريّ ضئيلاً قليل النور ، ثم يزداد في الليلة الثانية ، وكلما ارتفع منزلة ازداد ضياءً وإن كان يقتبس هذا الضياء من الشمس ، ثم يستمر هكذا حتى يكتمل نوره في الليلة الرابعة عشرة ، وبعدها يشرع في النقصان حتى يصير في آخر الشهر كالمرجون القديم ، أي شبيهاً بعذق الرطب اليابس العتيق في انحنائه وتقوسه عندما تنفصل عنه الرطب ويترك وحده فيصبيه =

فأمثال هذه الألفاظ القرآنية المفردة ، وأمثال تلك الجمل القرآنية المركبة ، لا تكشف بنفسها عن مدلولها ، ولا تُبينُ بذاتها عن معناها ؛ ومن ثم فهي بحاجة إلى بذل الجهد ، وإعمال الرأي ، إزاء فهمها واستيعابها ، من خلال أقصى ما تحمله من مدلول ، وأبعد ما ترمى إليه من إحياء .

وتلكم هي مهمة التأويل ، وذلكم هو دوره ، من خلال فرعه الأول المتمثل هنا في الاستنباط ، ثم فرعه الثاني المتمثل فيما بعد في الاجتهاد ، واللذين يعمل كل منهما على مُستوى الأفراد والتركيب عند الشنقيطي في معرض ما يتناوله من الآيات بالتفسير .

● استدرارك أصولي :

١- لماذا اللفظ دون الجملة ؟

ومن خلال تأكيدنا على أن التأويل إنما يُعدُّ آلة التنفيذ الفعليّ ، وأداة التطبيق العمليّ لتفسير بالرأى ، ثم من خلال تأكيدنا أيضاً على أن التأويل إنما يقوم على محورين اثنين يتمثلان في الاستنباط أولاً ، فالاجتهاد ثانياً ، وذلك على مستوى اللفظ القرآني المفرد ، ثم على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

لذا ؛ فإنه يتبين لنا أن قصر علماء الأصول تعريفهم للتأويل على اللفظ القرآني فقط دون الجملة القرآنية المركبة بقولهم : (التأويل هو صَرْفُ اللفظ عن معناه الظاهر أو الراجح المتبادر منه إلى المعنى المحتمل المرجوح بدليل يدل عليه ويقترن به) إنما هو قَصْرٌ لا وجه له ، فضلاً عن أنه حصر يقعد بالتأويل دون إدراك هدفه ، ويلوغه غايته ، على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

وأنيّ لنا أن نُسلمَ بمنهجية هذا القصر ، وواقعية ذلك الحصر ، مع أن النص القرآني لا يقوم إلا على كلا المستويين معاً ، مستوى اللفظ المفرد ، ومستوى الجملة المركبة ؛ ناهيك

= القَدَمُ بتعاقب الليل والنهار عليه .

واشتراك الشمس مع القمر بمنارلها المتعددة ، ومسافاتهما المختلفة ؛ جعله الله تعالى أساساً لعلمنا بعدد السنين والحساب ، حيث نستدلّ بسير القمر ومنارله على مُضيّ الشهور وانقضائها ، في حين نستدلّ بسير الشمس ومنارلها على تعاقب الليل والنهار وتتابعهما ؛ وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه في غير آية من آيات القرآن العظيم كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس : ٥ - وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ الإسراء : ١٢ - وقوله تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن : ٥ - إلى غير ذلك من الآيات .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّةُ الثالثة التحليل لسائر ما يُعْرَضُ لَهُ _____ الفصل الثاني : الاستنباط

عن تأليف الكلام بأسره من اللفظ المفرد والجمله المركبة معاً ، وهذا ما يؤكد الواقع الفعليّ للغة العربية ، بل وسائر اللغات الفاعلة في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

٢- بين الصَّرْفَ والحَمْلَ :

يوهم لفظ (الصَّرْفُ) الذي ذكره الأصوليون في تعريفهم لمصطلح التأويل بترك المعنى الظاهر للنصّ القرآني بالكلية ، بل والاتفات عنه مباشرة إلى غيره دونما نظره أو اعتباره .

أما لفظ (الحَمْلُ) فيدل على وجود أخذ المعنى الظاهر في الاعتبار ؛ من حيث كونه أساساً ينطلق منه الاستنباط خاصة ، والتأويل عامة ، مسترشداً به ، ومتجاوزاً إياه إلى غيره ، ولا نقول يتركه أو يلتفت عنه .

ومن ثم ؛ فإن التعبير بلفظ (الحَمْلُ) أنسب فيما نرى في تعريف التأويل من لفظ (الصَّرْفُ) من حيث دلالة على الممارسة العملية التي يقرها واقع التأويل ، بل وتحتمها طبيعته ، على اعتبار أن المعنى الذي يتجه التأويل تالٍ للمعنى الظاهر ، ورديف له .

● تعريف التأويل :

وبناء على ما تقدّم فإننا نرى أن التعريف المناسب للتأويل هو عبارة عن : (حَمْلُ النصّ القرآنيّ أفراداً وتركيباً إلى أقصى ما يمكن أن ينتهي إليه المعنى بضوابطه المعتبرة من اللغة والأصول عندما لا يفى ظاهر النص بذلك) .

المطلب السابع

معجم الاستنباط

تدور ألفاظ الشنقيطي في تعبيره عن استنباطاته المختلفة إزاء ما يُعْرَضُ له من الآيات بالتفسير حول مشتقات الفعل (ظَهَرَ) بصفة أساسية ، أو مشتقات الفعل (أَخَذَ) بصفة استثنائية ، وفيما يلي نكتفي بذكر بعض أمثلة هذين الفعلين تنبيهاً بها على غيرها مما يضمه معجم ألفاظ الاستنباط عند الشنقيطي في ثنايا تفسيره المختلفة كما يلي :

١- مشتقات الفعل (ظَهَرَ) :

ويحسب ترتيب ورود مشتقات هذا الفعل يعبر الشنقيطي بها عن استنباطاته المختلفة في تفسيره قائلاً ما نصّه :

- ١- هذا هو ما ظهر لنا في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم ، ونسبة العلم إليه أسلم^(١) .
- ٢- قال مقيده عفا الله عنه : والظاهر لي ...^(٢) .
- ٣- قال مقيده عفا الله عنه : والذي يظهر لي ، والله تعالى أعلم أن ...^(٣) .
- ٤- قال مقيده عفا الله عنه : والذي يظهر لي أن ...^(٤) .
- ٥- قال مقيده عفا الله عنه : والظاهر أن هذه الآيات المذكور إنما تشمل ...^(٥) .
- ٦- قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : والذي يظهر لي في هذه المسألة أن ...^(٦) .
- ٧- قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الأظهر عندي في هذه المسألة أن ...^(٧) .

ب- مشتقات الفعل (أخذ):

ويعبّر الشنقيطي عن استنباطاته المختلفة من خلال أحد مشتقات هذا الفعل بلفظه ، أو من خلال الدلالة عليه بمعناه ، ومن ذلك مايلي :

١- لفظ الفعل :

ومن ذلك قول الشنقيطي ما نصّه : ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أنه ...^(٨) .

٢- معنى الفعل :

ومن ذلك قول الشنقيطي ما نصّه : ومن هذه الآية الكريمة أن ...^(٩) ويعنى بهذا أن يقول : (ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن ...) .

* * *

وبعد : فإن جملة تلك المبادئ هي التي تحكم سائر ما يعرض له الشنقيطي من استنباطاته المختلفة ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملي على ذلك التععيد النظري .

- | | |
|---|--|
| (١) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٦٨/١ . | (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣/٢ . |
| (٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٤/٢ . | (٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٤٤/٢ . |
| (٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٢/٣ . | (٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٧٧/٥ . |
| (٧) أضواء البيان : الشنقيطي ١٢٥/٥ . | (٨) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٩٩/١ - ٧٧/٥ . |
| (٩) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٠٩/٣ - ٤٥٧ (من خلال اثني عشر موضعاً على مدار تسع وأربعين صفحة) . | |

المبحث الثاني التطبيق العملي

وينتظم المطالب السبعة التالية :

- ١- المطالب الأول : استخراج اللؤلؤ والمرجان .
- ٢- المطالب الثاني : أقل أمد للحمل .
- ٣- المطالب الثالث : مدة خلق السموات والأرض .
- ٤- المطالب الرابع : ملاءمة جعل الطلاق بيد الرجل .
- ٥- المطالب الخامس : بطلان دغوى مساواة المرأة بالرجل .
- ٦- المطالب السادس : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٧- المطالب السابع : الجهاد فرض كفاية .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى سائر استنباطاته التى عرّض لها فى مختلف فنون العلم وفروعه ؛ حيث يُجسّد من خلال ذلك تطبيقه العملى على ما ذهب إليه فى تعبيده النظرى .

ولما كان منهج البحث يقوم على أساس الاختيار والانتقاء ، لا الحصر والاستقصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فيما يلى بذكر جملة من استنباطات الشنقيطى ، تبيهاً بها على غيرها مما فى ثنائياً تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

استخراج اللؤلؤ والمرجان

فى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية^(١) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من ماء النهر العذب ، كما يستخرجان من ماء البحر الملح على السواء ؛ وذلك خلافاً لما جزم به العلماء المحققون ، وذهب إليه المفسرون المعتبرون ، من أن اللؤلؤ والمرجان لا يستخرجان إلا من ماء البحر الملح فقط دون غيره .

وإزاء استنباطه هذا يقول الشنقيطى ما نصّه : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ أى من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح وحده دون العذب .

وهذا القول الذى قالوه فى هذه الآية الكريمة مع كثرتهم وجلالهم لاشك فى بطلانه ؛ لأن الله تعالى قد صرّح بنقيضه فى سورة (فاطر) ولاشك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك فى قوله الله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الآية^(٢) .

فالتنوين فى قوله تعالى : ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ تنوين عَوْضٍ أى من كُلِّ واحدٍ من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وهى (اللؤلؤ والمرجان) وهذا عما لا نزاع فيه^(٣) .

ويعقبُ الشيخ عطية محمد سالم على استنباط شيخه الشنقيطى هنا قائلاً ما نصّه :

(٢) فاطر : ١٢ .

(١) الرحمن : ٢٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ .

القسم الثاني : الباب الثالث : السّمة الثالثة التحليل لسائر ما يَعرِضُ له _____ الفصل الثاني : الاستنباط

وهذا الاستنتاج الذى توصل إليه فضيلة الوالد رحمه الله تعالى يُعتبرُ فِتْحاً من الله ؛ لأنه توصل إليه استنتاجاً فجاء الواقع يشهد بذلك ، مع أنه لم يَطَّلِعْ عليه رحمه الله تعالى ؛ ولذا فقد لزم التعليق والتنبيه عليه بقولنا :

إنه قد ثبت وجود اللؤلؤ فى الماء العذب كما ذهب إليه رحمه الله تعالى ، حيث جاء فى (دائرة معارف الشعب المصرية - عدد ٧٣ - صحيفة ٥٣٧) ما نصّه : وأنواع المَحَار جميعها قد تتج اللؤلؤ ، ولكنه يوجد غالباً فى أنواع معينة منها ؛ فلقد عثِرَ مثلاً على لآلىء رائعة الجمال فى مَحَار المياه العذبة فى بريطانيا ، وخاصة أنهار (ويلز واسكتلندا) .

وأشهر لؤلؤة منها عثِرَ عليها فى نهر (كونواى) فى القرن السابع عشر الميلادى^(١) وقد أهداها أحد نبلاء الإنجليز إلى الملكة (كاترين) زوجة (شارل الثانى) ولا تزال محفوظة ضمن مجوهرات (التاج البريطانى فى برج لندن) كم لا يزال الأهالى يقتنون المَحَار عند مصب هذا النهر .

ومن ثم ؛ فقد كان إثبات الشيخ رحمه الله تعالى وجزمه باستخراج اللؤلؤ من الماء العذب مغايراً لما عليه جميع المفسرين إثباتاً مؤيداً بنور الله تعالى ، حيث شهد له الواقع ، وصدّقه الحسّ ؛ بل وفى ذلك تأييد لكل مجتهد وجد مستنداً صريحاً لما ذهب إليه ، ولما فهمه من كتاب الله تعالى ، وإن غاير أقوال الآخرين ما دام له مستند ظاهر كهذه المسألة .

ثم إن هذا مصداق لما جاء عن عليّ عليه السلام وما نطق به من مشكاة النبوة حينما سُئلَ: هل خَصَّكُمْ رسول الله عليه السلام آل البيت بشيء من الوحي؟ فقال: لا، إلا بما فى هذه الصحيفة^(٢)

(١) وهو يقابل القرن الحادى عشر الهجرى .

(٢) والمقصود بـ (الصحيفة) : هى صحيفة على بن أبى طالب عليه السلام التى دَوَّنَ فيها بعض ما أخذه وتعلمه من رسول الله عليه السلام وقد اشتملت على سبعة نصوص أثبتتها أغلب كتب السنّة ، ورواها معظم الأئمة الثقات كالبخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والنسائى والإمام أحمد وغيرهم .
ونصوصها وإن بدت قليلة؛ إلا أنها احتوت فقهاً كثيراً تناول موضوعات شتى تمثلت فى كل من: (حَرَمَ المدينة - ذمة المسلمين وأمانتهم - تكافؤ دماء المسلمين - قتل المسلم بالكافر - فكّك الأسير - بعض الكبائر وعقابها) كما أشارت بعض رواياتها إلى موضوعى : (الجراحات والمعاقل أى الديات - ثم فرائض الصدقة) .

ولزيد من التفصيل بشأن نصوص هذه الصحيفة وتوثيق رواياتها وما احتوته من فقه، راجع فى ذلك:

● صحيفة على بن أبى طالب عليه السلام عن رسول الله عليه السلام (دراسة توثيقية فقهية) : لأستاذنا الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب - الطبعة ١ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

أو فهُمَا في كتاب الله يعطيه مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ^(١) .

فهذا هو الفهم الصحيح المستند إلى نص صريح أعطاه الله تعالى له ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(٢) .

• (رأى البحث :

والحق أن في سورة الرحمن ذاتها قرينة قرآنية تشهد لاستنباط الشنقيطى وتؤيده ، ألا وهى قول الله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآيات^(٣) .

فمع أن الله عزَّ وجلَّ قد جعل البحرين المِلْحَ والعَذْبَ يتقابلان ويتماسان ؛ إلا أنهما لا يختلطان ولا يمتزجان ، وذلك بفعل هذا الحاجز الإلهي الذي يفصل بين مائيهما ، والذي يُعَدُّ من أجَلِّ آيات قدرة الله تعالى وعظمته ؛ ومن ثم فإن استخراج اللؤلؤ والمرجان منصرف إلى كل منهما على حدة ، وليس من مجموعهما معاً ؛ لأنهما لا يختلطان ولا يمتزجان على نحو ما أوضحته الآيات .

(٣) ورد هذا النص في إحدى رواياته عن شعبة قال : سمعت القاسم بن أبي بزة يحدث عن أبي الطفيل قال : سئل على بن أبي طالب عليه السلام : أخصكم رسول الله عليه السلام بشيء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله عليه السلام بشيء لم يُعمِّ به الناس كافة ، إلا ما كان في قرآب سيفى هذا ، قال : فأخرج صحيفة مكتوباً فيها : (لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من آوى مُحدثاً) .

• صحيح مسلم : ١٥٦٧/٣ - كتاب (الأضاحي) - باب (تحريم الذبح لغير الله ، ولعن فاعله) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - (د.ت) .
قرآبُ السَّيْفِ : هو ما يشبه الجِرَابَ أو الوعاء المصنوع من الجِلْد ، وفيه يضع الراكب أو المسافر سيفه وسوطه وعصاه وأداته ، وقد يحمل فيه زاده من تمر وغيره - انظر مادة (قُرْب) في لسان العرب : ٣٥٦٦/٥ .

منار الأرض : هو العَلَمُ أو العلامات التي توضع لتمييز حدود الأراضي ، وتحديد نواحيها المختلفة ، ومن ذلك قولهم : (منار الحرم) أى أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام لتمييز أقطار الحرم ، وتحديد نواحيه ؛ وبها تُعرَفُ حدود الحِلِّ من حدود الحرم - انظر مادة (نور) في لسان العرب : ٤٥٧١/٦ .

آوى مُحدثاً : أى نَصَرَ وَحَمَى وَسَانَدَ وَأَجَارَ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الأمر الحادِثَ المُتَكَرِّرَ غير المعتاد ، والذي لم تَرَدَّ به سنَّة رسول الله عليه السلام ، ومن ثم فإن الإيواء هنا يعنى الرضا بهذا المُحدث والصبر عليه ، بل إقراره على منكره وقبول بدعته - انظر مادة (حدّث) في لسان العرب : ٧٩٦/١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ هـ ١ .

(٣) الرحمن : ١٩-٢١ (ثلاث آيات) .

بل إن هذا الحاجز الإلهي الذي يفصل بين الماء العذب والماء الملح ليشهد به الواقع الملموس في بعض أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، وهذا ما يؤكد الشنقيطي ذاته في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الآية^(١) حيث يقول في ذلك ما نصه : اعلم أن لفظة (مَرَج) تطلق في اللغة إطلاقين :

الأول : مَرَجَ بمعنى (أرسلَ وخَلَّى) من قولهم : (مَرَجَ دابته) إذا أرسلها إلى (المَرَج) وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب ، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ خلالَ مروجها نَعْمٌ وشاءٌ^(٢)

وعلى هذا فالمعنى : أرسل البحرين وخلاهما لا يختلط أحدهما بالآخر .

(١) الفرقان : ٥٣ .

(٢) مَرُوجٌ : جمع (مَرَج) وهو الأرض الواسعة ذات النبات الكثير ، حيث (تَمْرُجُ الدُّوَابُ) أى ترك لتسرح وترعى فيها مختلطة حيث شاءت - انظر مادة (مَرَج) في لسان العرب : ٤١٦٨/٥ .

النَّعْمُ والنَّعْمُ : هى المال الراعية التى تشمل الإبل والبقر والغنم ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ المائدة : ٩٥ - وقيل : أكثر ما يطلق هذا الاسم على الإبل خاصة ، وهو يذكر ويؤنث فتقول : (هذا نَعْمٌ واردٌ ، وهذه نَعْمٌ واردةٌ) والجمع : (أنعام) والتي تأتى بمعنى (النعم) فتذكر أحياناً كقوله الله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ النحل : ٦٦ - كما تؤنث أحياناً أخرى كقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿ المؤمنون : ٢١ - ٢٢ (آيتان) وجمع الجمع : (أناعيم) كما قيل : إن جمع النعم (نعمان) مثل (حَمَلٌ وَحُمْلَانٌ) - انظر مادة (نعم) فى كل من لسان العرب : ٤٤٧٨/٦ - مختار الصحاح : ص ٦٦٨ .

الشاة : من الغنم تذكر فتقول : (هذا شاة) كقولهم : (هذا رحمة) ومن ذلك قوله الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الاعراف : ٥٦ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ الكهف : ٩٨ - كما تؤنث فتقول : (هذه شاة) وأصل الشاة : (شاهة) لأن تصغيرها : (شويهة) والجمع : (شياه) من ثلاث إلى عشر ، فإذا زادت على عشر فهى (الشاة) فى معنى الجمع لأن الألف واللام للجنس ، فإذا كثرت فوق ذلك فهى (شاء) وتجمع على (شوي) - انظر مادة (شوه) فى كل من لسان العرب : ٢٣٦٥/٤ - مختار الصحاح : ص ٣٥١ .

والمعنى : أن تلك الأرض كانت عامرة مانوسة بهذه الأنعام الكثيرة من الإبل والبقر والغنم التى كانت ترعى فيها ، فتأكل من نباتها وتسرح معاً حيث شاءت وكيف شاءت .

والثاني : مَرَجَ بمعنى (خَلَطَ) ومنه قول الله تعالى : ﴿فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾ الآية^(١) أى مختلط .
فعلى القول الأول : فالمراد بالبحرين أى الماء العذب فى جميع الدنيا ، وكذا الماء المالح فى جميعها ؛ فقوله تعالى : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ يعنى به ماء الآبار والأنهار والعيون فى جميع أقطار الدنيا ، وقوله تعالى : ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أى البحر المالح كالبحر المحيط وغيره من البحار التى هى مِلْحٌ أُجَاجٌ ؛ وعلى هذا التفسير فلا إشكال .

وأما على القول الثانى : بأن مَرَجَ بمعنى (خَلَطَ) فالمعنى أنه يوجد فى بعض المواضع اختلاط الماء المالح والماء العذب فى مجرى واحد ، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر ، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى ، وهذا محقق الوجود فى بعض البلاد ، ومن المواضع التى هو واقع فيها ذلك المحل الذى يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسى بجانب مدينة (سانلويس) .

وقد زرتُ هذه المدينة عام ستة وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٦٦هـ^(٢) واغتسلتُ مرة فى نهر السنغال ، ومرة فى المحيط ، غير أنى لم أتَ محلَّ اختلاطهما ، ولكن أخبرنى بعض المرافقين الثقة أنه جاء إلى محل اختلاطهما ، وأنه جالسٌ يغرف بإحدى يديه عذْباً فراتاً ، وبالأخرى ملحاً أُجَاجاً ، والجميع فى مجرى واحد ، لا يختلط أحدهما بالآخر ؛ فسبحانه جلّ وعلا ، ما أعظمه وما أكمل قدرته .

وهذا الذى ذكره جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة قد جاء موضحاً فى غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الآيتان^(٤) أى لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به .

وهذا البرزخ الفاصل بين البحرين قد بين الله تعالى أنه حاجز حجز به بينهما ، وذلك فى قوله جلّ وعلا : ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية^(٥) .

وعليه ؛ فإنّ هذا الحاجز هو اليبسُ من الأرض الفاصل بين الماء العذب والماء المالح على التفسير الأول ، أو هو حاجز من قدرة الله تعالى غير مرئى للبشر على التفسير الثانى ، والعلم عن الله تعالى^(٦) .

(١) ق : ٥ . (٢) وهو ما يقابل عام ستة وأربعين وتسعمائة وألف من الميلاد ١٩٤٦م .

(٣) فاطر : ١٢ . (٤) الرحمن : ١٩ - ٢٠ (آيتان) . (٥) النمل : ٦١ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٣٨ - ٣٤٠ .

غير أننا نُرْجِّحُ التفسير الثاني على أنه حاجز إِلَهِيّ غير مَرْتَبِيّ بدليل قول الله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ومن ثم فإن محل هذا الحاجز يوجد في الماء ذاته في المنطقة الفاصلة بين البحرين ، وهو في ذات الوقت يمنع بقدرة الله تعالى اختلاطهما وامتزاجهما .
وقد أخبرني بعض مَنْ أثق فيهم أنهم عاينوا ذلك وأحسوا به في منطقة (رأس البرّ) عند المحل المعروف هناك بـ (اللُّسَان) فسبحان الله العظيم !! خالق كل شيء !! وهو على كل شيء قدير !!

المطلب الثاني

أقلُّ أمدٍ للحمل

ففي مَعْرِضِ تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الآية^(١) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة بضمها إلى آيتين أخريين أن أقلُّ مدَّةٍ للحمل هي ستة أشهر ، وإزاء استنباطه هذا يقول الشنقيطي ما نصّه : هذه الآية الكريمة ليس فيها بإنفرادها تَعْرِضُ لبيان أقل مدة للحمل ، ولكنها بضميمة بعض الآيات الأخرى إليها يُعَلَّمُ أقلُّ أمدٍ للحمل ؛ لأن هذه الآية الكريمة صرّحت بأن أمد الحمل والِفِصَالِ معاً هو ثلاثون شهراً^(٢) .
أما قول الله تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ الآية^(٤) فيبينان أنّ أمد الفصال عامان وهما أربعة وعشرون شهراً ؛ فإذا طرحتها من الثلاثين شهراً السابقة بقيت ستة أشهر ؛ فتبيّن بذلك كونها أمداً للحمل وهي أقله ، ولا خلاف في هذا بين العلماء ، كما أن دلالة هذه الآيات على أن أقلُّ أمدٍ للحمل ستة أشهر هي المعروفة عند علماء الأصول بـ (دلالة الإشارة)^(٥) .

(١) الأحقاف : ١٥ .

(٢) الفِصَالُ : الفطام ، ومنه قولهم : (فَصَلَّتْ الْمَرْأَةُ وَكَدَمًا تَفْصِلُهُ فَصْلًا وَفِصَالًا) أي فَطَمَتْه ، وقد سُمِّيَ وَكْدُ النَّاقَةِ بـ (الفِصِيلِ) إذا فُصِلَ عَنْ أُمِّه ، والجمع (فُصْلَانٌ وَفِصَالٌ) - انظر مادة (فِصَلٌ) في لسان العرب: ٣٤٢٢/٥ .

(٣) لقمان : ١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٨٥/٧ - ٣٨٦ .

وقد ثبت مثل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أتتْ بِامْرَأَةٍ قَدْ وَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ؛ فَهَمَّ بِرَجْمِهَا ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا قَدْ ارْتَكَبَتْ الْفَاحِشَةَ فَحَمَلَتْ سَفَاحًا ، ثُمَّ ظَلَّتْ تَخْفَى ذَلِكَ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ قَبْلَ السِّتَةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَذَلِكَ لِعَلْمِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ أَمْدَ الْحَمْلِ هُوَ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ ، حَيْثُ لَمْ يَتَصَوَّرْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ .

فلما بلغ ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (ليس عليها رَجْمٌ) فلما بلغ عمر رضي الله عنه أرسل إلى =

● (رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي في استنباطه هذا من أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر هو ذات ما يشهد به واقع بعض النساء اللاتي يضعن حملهن بعد ستة أشهر بصورة أو بأخرى ، سواء كان ذلك بطريقة طبيعية أو من خلال عملية جراحية ، وسواء كان المولود غير مكتمل النمو ، والذي يسميه أهل الطب بـ (الطفل المُبْتَسِر) حيث يحتاج وتلك حاله إلى رعاية صحية خاصة تعرف عندهم بـ (الحضانات) أو سواء كان مكتمل النمو ؛ ومن ثم فلا حاجة له بهذا كله .

ومع ذلك فإن هذه الستة أشهر التي تُعَدُّ أقل مدة للحمل عند بعض النساء ، وكذا مدة السبعة أشهر كأوسط مدة للحمل بنسبة أكثر قليلاً عند البعض الآخر منهن ؛ فإن كلتا المديتين تظلان استثناءً على المدة الأصلية للحمل التي هي تسعة أشهر كأقصى وأتم مدة للحمل ، والتي عليها غالب النساء في كل زمان ومكان .

وكما دلّت الآيات الثلاث المذكورة على الستة أشهر التي هي أقل أمد للحمل في استنباط الشنقيطي ؛ فإن ذات الآيات لتدلّ أيضاً على المديتين الأخريين المحددتين بالسبعة والتسعة أشهر .

لأن تحديد الفصال بمدة عامين في قول الله تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ الآية^(١) لم يجعله الله عزّ وجلّ على سبيل الجزم والإلزام ، وإنما جعله سبحانه على سبيل التخيير لمن أراد التمام ؛ وهذا ما دلّ عليه حرف الجر (في) الذي تضمنه قول الله تعالى : ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ أي (في خلال عامين وليس شرطاً بعد تمامهما) وهذا ما أكدّه سبحانه أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ الآية^(٢) .

= على ﷺ يسأله ؛ وعندئذ أجابه على رضى الله عنه قائلًا : (يقول الله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ البقرة : ٢٣٣ - ويقول تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الاحقاف : ١٥ - فسنة أشهر حمل ، وحولان تمام الرضاعة ؛ فلا حدّ عليها) فلما علم عمر ﷺ ذلك خلّى عنها ، ولم يرجعها ؛ لتيقنه آنذاك أن الستة أشهر هي أقل أمد يمكن للحمل .

● انظر في ذلك (تحفة المودود بأحكام المولود) : للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ = ١٣٥٠م) - ص ٢٠٦ - طبع المكتبة القيمية - القاهرة - ١٣٩٧هـ = ١٩٩٧م .

(٢) البقرة : ٢٣٣ .

(١) لقمان : ١٤ .

وعليه ؛ فإن الثلاثين شهراً التي تشمل الحمل والفِصَال معاً فى قول الله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الآية^(١) إنما تتسع لتستوعب مُدَدَ الحمل الثلاث حيث الستة أشهر كأقل مدة ، ثم السبعة أشهر كأوسط مدة ، وأخيراً التسعة أشهر كأقصى وأتم مدة .

أما مدة الرضاعة التي يكون بعدها الفِصَال فهي تلك المتبقية من الثلاثين شهراً بعد طرح مُدَدَ الحمل الثلاث منها على التوالى ؛ وَمِنْ ثم فقد يكون هذا الفِصَال بعد أربعة وعشرين شهراً بما يعادل عامين كاملين ، أو ثلاثة وعشرين شهراً بما يعادل عامين إلا شهراً ، أو واحدٍ وعشرين شهراً بما يعادل عامين إلا ثلاثة أشهر .

بل إن التخيير الذى سبق أن أشارت إليه الآيتان ليدلّ على أن الفِصَال قد يقع بعد أقل من تلك المدد الثلاث ؛ وذلك من مولود إلى مولود ، حسبما يتناسب مع ظروفه ، ويتلاءم مع أحواله .

المطلب الثالث

مُدَّةُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ الآية^(٢) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة بضمها إلى بعض الآيات الأخرى أن مدة خَلْقِ السماوات والأرض هى ستة أيام ، والتي صرّح بها الحق سبحانه فى غير آية من القرآن العظيم ؛ وذلك خلافاً لما قد يَتَوَهَّم من هذه الآية المذكورة وجملة الآيات التي ضُمَّتْ إليها من أن مدة خلق السماوات والأرض هى ثمانية أيام .

وإزاء استنباطه هذا ، والذي يؤكدّه القرآن العظيم ، يقول الشنقيطى ما نصّه : والظاهر أن معنى قول الله تعالى هنا : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى فى تمة أربعة أيام ، وتمة الأربعة حاصله بيومين فقط ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(٣) ثم قال تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى فى تمة أربعة أيام ، ثم قال تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(٤) وبضم هذين اليومين إلى الأربعة السابقة ؛ فيكون مجموع الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض وما بينهما هو (ستة أيام) .

وهذا الذى ذكرناه فى الآية لا يصح غيره بحال ؛ لأن الله تعالى قد صرّح فى آيات

(٢) فَصَّلَتْ : ١٠ .

(٤) فَصَّلَتْ : ١٢ .

(١) الأحقاف : ١٥ .

(٣) فَصَّلَتْ : ٩ .

متعددة من قرآنه العظيم بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْتَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية^(٤) إلى غير ذلك من الآيات^(٥) .

فلو لم يُفسَّر قوله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ على أن معناه (في تسعة أيام) لكان المعنى أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام) لأن قوله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ إذا فُسِّرَ بأنها (أربعة أيام كاملة) ثم جُمِعَتْ مع (اليومين) اللذين خُلِقَتْ فيهما الأرض والمذكورتين في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(٦) ثم جمعنا إلى ذلك أيضاً (اليومين) اللذين خُلِقَتْ فيهما السماوات والأرض والمذكورين في قوله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(٧) لكان المجموع (ثمانية أيام) .

وهذا ما لم يَقُلْ به أحد من المسلمين ، فضلاً عن أن النصوص القرآنية مصرحة بأنها (ستة أيام) فَعَلِمَ بذلك صحة الذي ذكرنا ، وكذا صحة دلالة الآيات القرآنية عليه^(٨) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي في استنباطه هذا من أن مدة خَلَقَ السماوات والأرض هي (ستة أيام) هو ذات ما صرح به الحق سبحانه في سبع آيات من قرآنه العظيم ؛ إلا أن

(١) الفرقان : ٥٩ .

(٢) السجدة : ٤ .

(٣) ق : ٣٨ .

(٤) الاعراف : ٥٤ .

(٥) ويقصد بذلك الثلاث آيات الأخرى في كل من قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يونس : ٣ - وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود : ٧ - وأخيراً قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ الحديد : ٤ - ولم يرد في سائر القرآن العظيم غير هذه الآيات السبع التي صرح فيها الحق عز وجل بمدة خَلَقَ السماوات والأرض التي هي (ستة أيام) .

(٦) فصلت : ٩ .

(٧) فصلت : ١٢ .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطي ١١٦/٧ - ١١٧ .

حيثية هذا الاستنباط تكمن في رفع ذلك الإشكال ، ودفع هذا التوهم ، والذي قد يفضى إليه ظاهر الآيات المذكورة من أن مدة خَلَقَ السماوات والأرض هي (ثمانية أيام وليست ستة أيام) .

ومع ذلك فإنه يمكننا توجيه هذا الاستنباط من ظواهر ذات الآيات المذكورة نفسها ؛ لأن قول الله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(١) يُفْهَمُ منه أن مدة خلق السماوات السبع وحدها هي (يَوْمَان) وقول الله تعالى : ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية^(٢) يُفْهَمُ منه أن مدة خَلَقَ الأرض وحدها هي (يَوْمَان) .

أما قول الله تعالى بعد ذلك مباشرة في نفس السورة : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ الآية^(٣) فإنه يُفْهَمُ منه أن اليومين اللذين خُلِقَتْ فِيهِمَا الأرض وحدها المذكورين في الآية السابقة هما داخلان في الأيام الأربعة هنا .

ولما كان جَعَلَ الرَوَاسِي فوق الأرض هو من أصل خَلَقَ الأرض ذاتها ؛ لذا فإن مدة خَلَقَ الأرض بما في ذلك جعل هذه الرَوَاسِي من فوقها هي (يَوْمَان) وتتبقى بعد ذلك مدة وضع البركة في الأرض وتقدير الأوقات فيها وهي (يَوْمَان) واللذان يمثلان نصف الأيام الأربعة المذكورة من حيث المدة .

وبهذا يصير مجموع مدة خَلَقَ الأرض برواسيها ، مع مدة وضع البركة وتقدير الأوقات فيها هو (أربعة أيام) والتي إذا ضُمَّتْ إلى مدة خَلَقَ السماوات السبع التي هي (يَوْمَان) لصار حاصل جمعها (ستة أيام) وهي ذات مدة خَلَقَ السماوات والأرض معاً التي دلت عليها آيات القرآن السبع السابق ذكرها .

المطلب الرابع

ملاءمة جَعَلَ الطلاق بيد الرجل

ففي معرض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(٤) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة ملاءمة أن يكون الطلاق بيد الرجل لا بيد المرأة ؛ حيث إن ذلك يُعَدُّ من هَدَى الْقُرْآنَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وإزاء هذا يقول ما نصّه : ومن هَدَى

(٢) فَصَّلَتْ : ٩ .

(٤) الإسراء : ٩ .

(١) فَصَّلَتْ : ١٢ .

(٣) فَصَّلَتْ : ١٠ .

القرآن للتي هي أقوم جعله الطلاق بيد الرجل كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ الآية^(١) ونحوها من الآيات الأخرى^(٢) .

لأن النساء مزارع وحقول تبذر فيها النطف كما يبذر الحَبُّ في الأرض كما قال الله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾^(٣) ولاشك أن الطريق التي هي أقوم الطرق أن الزارع لا يُرغم على الازدراع في حقل لا يرغب الزراعة فيه ؛ لأنه يراه غير صالح له .

والدليل الحسى القاطع على ما جاء به القرآن من أن الرجل رارع ، والمرأة مزرعة : أن آلة الازدراع مع الرجل ؛ فلو أرادت المرأة أن تجامع الرجل وهو كاره لها ، لا رغبة له فيها ، فإن ذكره لم ينتشر ولم يقيم إليها ، ومن ثم فلا تقدر منه على شيء ؛ وذلك بخلاف الرجل فإنه قد يُرغمها على الجماع وهي كارهة فتحمل وتلد ، كما قال أبو كبير الهذلي :

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهِنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْبِلٍ^(٤)

فدلَّت الطبيعة والخليفة على أن الرجل فاعل والمرأة مفعول بها ؛ ولذا فقد أجمع العقلاء على نسبة الولد له لا لها ؛ ومن هنا فإن تسوية المرأة بالرجل في أمر الطلاق لهي مكابرة في المحسوس كما لا يخفى^(٥) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي في استنباطه ملاءمة كون الطلاق بيد الرجل لا يبد

(١) الطلاق : ١ .

(٢) ويقصد بذلك الآيات السبع المماثلة في كل من قول الله تعالى : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ البقرة : ٢٣٠ - وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ البقرة : ٢٣١ - ٢٣٢ (آيتان) - وقوله تعالى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ البقرة : ٢٣٦ - وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ البقرة : ٢٣٧ - وقوله تعالى : ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الأحزاب : ٤٩ - وقوله تعالى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ التحريم : ٥ .

(٣) البقرة : ٢٢٣ .

(٤) المهبل : هو الرجل ثقيل الحركة من كثرة لحمه وزيادة وزنه ، ومنه قولهم : (هبله اللحم) إذا كثر عليه وركب بعضه بعضاً - (فأهبله) أى أثقله - انظر مادة (هبل) في لسان العرب : ٤٦٠٧/٦ .

● والمعنى : أنه كم من امرأة لا ترغب في الجماع ؛ حتى إنها تُحكِّم ربط إزارها تعبيراً عن رفضها ، ومع ذلك فقد قام إليها خفيفاً في حركته ، سريعاً في أداء مهمته ، بحيث لم يعقه ثقل وزنه ، أو ضخامة جسمه ، عن جماعها وهي كارهة ، وقضاء وطره وهي رافضة ، والله تعالى أعلم .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٤١٤/٣ - ٤١٥ .

المرأة ، وعدم سوغ المساواة بينهما في ذلك ، هو ذاته ما يلائم واقع المرأة وحالتها ، بل ويناسب طبيعتها وفطرة الله تعالى فيها ؛ وذلك لأن الشرع الحكيم لم يجعل إليها ولايتها على نفسها إلا فيما تدعو إليه الضرورة بقدرها في بعض خواص أحوالها ، أما في غالب وعموم أحوالها فقد وَكَّلَ الشرع ولايتها إلى أبيها منذ ولادتها وحتى زواجها ؛ ولتنتقل ولايتها بهذا الطور الجديد في حياتها إلى زوجها .

فعلى امتداد حياتها من مهدها إلى لحدها ، وولايتها بيد وليها من رجالها ، أباً كان أو مَنْ يقوم مقامه ، ثم زوجاً مسئولاً عنها بعد زواجها ؛ فكيف بالمرأة وتلك حالها أن تُوكَّلَ إليها ولايتها على غيرها بأن يُجْعَلَ الطلاق بيدها لا بيد زوجها وهو القَوَامُ عليها بقوامته التي أثبتتها له خالقه سبحانه في قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية^(١) فهل يُجْعَلُ لِمَنْ لَا قَوَامَةَ لَهَا ولايةٌ على مَنْ لَهُ القِوَامَةُ الكاملة ؟! بل هل يُجْعَلُ للمرأة التي لا ولاية لها على نفسها ولايةٌ لها على زوجها الذي إليه ولايتها ؟!

لاشك أن الجواب على هذا الاستفهام الاستنكاري يتأدى عنه سقوط تلك الدعوى المتمثلة في محاولة تسوية المرأة بالرجل في جعل الطلاق بيدها ، حيث تطلُّقُ المرأةُ زوجها بموجب ذلك دونما قيد أو شرط ، بل وقتما شاءت ، وكيفما شاءت ؛ وفي هذا ما فيه من انتكاس الفطرة ، وتكُّبِ الصراط ، فيما لو جُعِلَ الطلاقُ بيد المرأة لطلَّقتُ زوجها آلاف المرات ؛ وذلك كنتيجة حتمية لما فيها من لين العاطفة ، وتقلُّبِ المزاج .

ومن ثم فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرجل أنسب وأنفع لأن يُجْعَلَ الطلاقُ بيده ، وذلك لما يتمتع به من الصبر والحكمة ، فضلاً عما له من القِوَامَةُ وكمال العقل والدين ؛ وهذا ما يجعله صالحاً للقيام بدوره تجاه إعمار ذلك الكون ، بل والنهوض بأمانة استخلافه في الأرض ، وسبحان الحكيم الخبير الذي يَحْسِمُ هذا في غير آية من قرآنه العظيم كقوله تعالى : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ الآية^(٢) ثم قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية^(٣) وأخيراً قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الآيتان^(٤) .

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) القمر : ٤٩ .

(٤) الاعلى : ٢ - ٣ (آيتان) .

المطلب الخامس

بُطْلَانُ دَعْوَى مَسَاوَاةِ الْمَرَأَةِ بِالرَّجُلِ

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(١) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة أيضاً بطلان دعوى مساواة المرأة بالرجل فى جميع الأحكام والميادين ، وإزاء هذا يقول ما نصّه : واعلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن من هدى القرآن لى هى أقوم عدم تسوية الأنثى بالذكر فى جميع الأحكام والميادين ؛ حيث إن الدعوة إلى هذه التسوية هى فكرة كافرة ، خاطئة خاسرة ، مخالفة للحس والعقل ، فضلاً عن مخالفتها للوحى السماوى ، والتشريع الإلهى ؛ ومن ثم فإن فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنسانى ما لا يخفى على أحد إلا من أعمى الله بصيرته .

لأن الله تعالى قد جعل الأنثى بصفاتنا الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة فى بناء المجتمع الإنسانى صلاحاً لا يصلح لها غيرها ، ومن ذلك الحمل والوضع والإرضاع وتربية الأولاد وخدمة البيت والقيام على شئونه من طبخ وعجن وكنس ونحوها ، وهذه الخدمات التى تقوم بها المرأة للمجتمع الإنسانى على الشرف والفضيلة والقيم الإنسانية ، هى خدمات لا تقل عن خدمة الرجل بالعمل والاكتساب .

وقد زعم أولئك السفلة الجهلة من الكفار وأتباعهم أن المرأة لها من الحقوق فى الخدمة خارج بيتها مثل ما للرجل من ذلك ؛ مع أنها فى زمن حملها ونفاسها ورضاعها لا تقدر على مزاوله أى عمل فيه أى مشقة كما هو مشاهد ومعلوم ، كما أنها إذا خرجت هى وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة كحفظ الأولاد الصغار ، وإرضاع من هو فى زمن الرضاع منهم ، وتهيئة المأكل والمشرب لزوجها حين مجيئه من عمله ، ونحو ذلك .

ولو أجزوا إنساناً يقوم مقامها ؛ لتعطل ذلك الإنسان فى ذلك البيت ذات التعطل الذى خرجت المرأة فراراً منه ؛ ومن ثم عادت النتيجة فى حافرتها على أن خروج المرأة وابتدائها فيه ضياع المروءة والدين ؛ لأن المرأة متاع هو خير متاع الدنيا ، وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضاً للخيانة ؛ لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شىء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكراً ؛ فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه مالا يخفى على أدنى عاقل .

وكذلك إذا لمس شيئاً من بدننا بدن خائن سرت لذة ذلك اللمس فى دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية ؛ ولاسيما إذا كان القلب فارغاً من خشية الله تعالى ، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانةً وغدراً ؛ وتحريك الغرائز بمثل ذلك النظر واللمس يكون غالباً سبباً لما هو شر

(١) الإسراء : ٩ .

منه ، كما هو مشاهد بكثرة في البلاد التي تركت الصيانة وتخلت عن تعاليم الإسلام ؛ فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلا ما شاء الله تعالى ؛ لأنه قد نُزِعَتْ من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، نعوذ بالله من مسخ الضمير والذوق ، ومن كل سوء !!

أما دَعْوَى الجهلة السَّفلة من أن دوام خروج النساء باديات الرؤوس والأعناق والمعاصم والأذرع والسُّوق ونحو ذلك يُذْهِبُ إثارة غرائز الرجال ؛ لأن (كثرة الإمساس تذهب الإحساس) !! فهو كلام في غاية السُّقوط والخِسة لأن معناه إشباع الرغبة بما لا يجوز ؛ حتى يزول الأربُّ منه بكثرة مزاولته ، وهذا ساقط كما ترى لأن الدوام لا يُذْهِبُ إثارة الغريزة باتفاق العقلاء بدليل أن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهم ، ومع ذلك فلا تزال ملامسته لها ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته ، وهذا هو المشاهد المعلوم ، والذي لا ينكره إلا مكابر :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ولكن لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وقد أمر ربُّ السماوات والأرض ، خَالِقُ هذا الكون ومُدَبِّرُ شئونه ، العَالِمُ بخفايا أموره وبكل ما كان وما سيكون ، أمر سبحانه بغض البصر عما لا يحلُّ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٢٠)﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴿الآيَاتان (١)﴾ .

كما نهى الحق سبحانه المرأة أن تضرب برجلها لتسمع الرجال صوت خلخالها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ الآية (٢) وكذلك فقد نهاهن عز وجل عن لين الكلام لثلا يطمع أهل الخنا فيهن (٣) وذلك في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ الآية (٤) .

فلتعلمن أيتها النساء اللاتي تحاولن أن تكن كالرجال في جميع الشئون أنكن مترجلات متشبهات بالرجال ، وأنكن ملعونات في كتاب الله تعالى على لسان رسوله ﷺ وكذلك المخشون المشبهون بالنساء فهم أيضاً ملعونون في كتاب الله تعالى على لسان رسوله ﷺ

(٢) النور : ٣١ .

(١) النور : ٣٠ - ٣١ (آيتان) .

(٣) الخنا : الفُحشُ والقُبْحُ والفساد ، ومنه قولهم : (خنا في منطقه يخنوختا) أى أفحش في الكلام ، ومثله (أخنتي) كما يقال : (في كلامه إختاء) أى فحش وقبح - انظر مادة (خنا) في لسان العرب :

. ١٢٨٢/٢

(٤) الأحزاب : ٣٢ .

ولقد صدق مَنْ قال فيهم :

وما عَجَبُ أَنْ النِّسَاءَ تَرَجَّجَتْ ولكن تَأْنِيثَ الرِّجَالِ عَجَابٌ^(١)

هذا وقد توسَّع الشنقيطى فيما له تعلق بذات الموضوع وهى مسألة (حِجَابِ الْمَرْأَةِ) حيث حقق المقام فى وجوب احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها ، وذلك فى مَعْرُضٍ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ الآية^(٢) من خلال أدلته الشرعية ، وشواهد المعبره من الكتاب والسنة واللغة والأصول ، فضلاً عن أقوال العلماء المحققين ، وآراء المفسرين المعبرين فى هذا الصدد^(٣) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى فى استباطه هذا من بطلان وسقوط دَعْوَى مساواة المرأة بالرجل فى جميع الأحكام والميادين ، هو ذات ما يتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها ، بل ويلائم فطرة الله تعالى فيها ، وذلك من وجهين :

● أما الوجه الأول : فلأن المرأة وإن كانت تمثل نصف المجتمع ، إلا أنها تلد فى ذات الوقت نصف الآخر ؛ ومن ثم فهى تمثل بهذه الحيشية المجتمع كله ، فهى بحق صانعة الرجال ، وبانية نهضة الأمة ؛ وهذا ما أشار إليه شاعر النيل حافظ إبراهيم بقوله :

الأم مدرّسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ومكانة بهذه الأهمية ، ودور بهذه الخطورة ؛ لجدير بشرعنا الحنيف أن يصون صاحبه ، وأن يحفظ لها كرامتها ، وهذا ما يتحقق لها من قرّارها فى بيتها ، وتوفيرها على رعاية زوجها وأولادها ، فى مهمة هى من أشرف المهام ، وعمل هو من أعظم الأعمال .

وهذا ما تدعوها إليه تعاليم خالقها العالم بها أكثر منا ، بل وأكثر من نفسها ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٣) واذكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (آيتان)^(٤) .

ولاشك أن القرّار فى البيت والمتأدى عنه الطهرُ وذهابُ الرِّجْسِ منصرف إلى سائر

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٢) الأحزاب : ٥٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٥٨٤ - ٦٠٣ (على مدار عشرين صفحة كاملة) .

(٤) الأحزاب : ٣٣ - ٣٤ (آيتان) .

المسلمات أسوة بآل البيت رضوان الله عليهم أجمعين لأن عموم العلة دليل على عموم الحكم ، وهذا ما قرره علماء الأصول بقولهم : (إِنَّ الْعِلَّةَ قَدْ تَعَمَّمُ مَعْلُولَهَا) وإليه يشير صاحب (مراقى السعود) بقوله :

وقد تُخَصِّصُ وقد تُعَمَّمُ لأصلها لكن لا تُحَرِّمُ^(١)

● أما الوجه الثاني : فعندما تنكبت بعض المجتمعات هذا الصراط ، وحادت عن الفطرة التي فطر الله تعالى المرأة عليها ؛ كانت النتيجة أن ضجَّت المرأة ، وأصابها السقم والسأم ، حيث وجدت نفسها ترساً في آلة لا تتوقف عن أن تُجرَّعَهَا كل يوم كئوس العذاب والشقاء ، ولا تزال تلك حالها حتى فقدت أنوثتها ، وانتكست فطرتها ، ولتتحول في النهاية إلى ساخطة ناقمة على مجتمعها الذي يستغلها ويستفدها لمصالحه دونما رحمة أو شفقة .

الأمر الذي تأدى عنه بالضرورة رجوعها في نهاية المطاف إلى المطالبة بحقوقها ، والعودة إلى مملكتها الخاصة فى بيتها ، وهى التى كانت تدعو بالأمس القريب إلى مساواتها بالرجل ومشاركتها له جنباً بجنب ، و حَدَّوْا بِحَدِّوْ ، فى شتى ميادين العمل ، وسائر دروب الحياة !!

وهذا ما يشهد به واقع المرأة الغربية التى مَسَّهَا الضُّرُّ ، وأدركها الشقاء ، بل وأشرفت على الهلاك والفناء ؛ من جرَّاء مساواتها بالرجل ومشاركتها أعماله ، غير أنها أفاقت من سُبَاتِهَا ، وعادت إلى فطرتها ؛ فهبَّت للمطالبة باحترام أنوثتها ، والعودة إلى بيتها ، ولعلها يوماً ما تحقق هدفها ، وتدرک مرادها .

وسبحان الحكيم الخبير الذى جعل فطرته هى الحق ، وأن ما دونها من الظن هو الباطل ؛ ومن ثم فلا يحق فى النهاية إلا الحق ، ولا يبيد إلا الباطل ، وتلكم هى الحقيقة التى ينطق بها قول الله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ الآية^(٢) .

(٢) نشر البنود على مراقى السعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ١٥٤/٢ (ضمن مبحث مسالك

العلة) .

(٢) النجم : ٢٨ .

المطلب السادس

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ففى مَعْرِضِ تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية^(١) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك خلافاً لما قد يَتَوَهَّمُ من ظاهرها من عدم وجوبها ، وإزاء هذا يقول ما نصَّه :

اعلم أن الجاهل قد يَتَوَهَّمُ من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يَهْتَدِ ، وهذا ما قال به كل من ابن عمر وابن مسعود وحذيفة وسعيد بن المسيب وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ، كما أن من العلماء من قال فى قوله الله تعالى : ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أى إذا أمرتكم فلم يُسْمَعْ منكم ، ومنهم من قال : إن الأمر بالمعروف يدخل فى المراد بالاهتداء فى الآية ، وهو ظاهر جداً ولا ينبغى العدول عنه لمنصف .

ومما يدل على أن تارك الأمر بالمعروف غير مهتد أن الله تعالى قد أقسم أنه فى خُسْرٍ ذلك فى قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ الآيات^(٣) فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبعد أداء الواجب لا يضر الأمر ضلال من ضلَّ .

وقد دلت الآيات كقول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية^(٤) كما دلت الأحاديث على أن الناس إن لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فإن الله تعالى يعمهم بعذاب من عنده ، ومن تلك الأحاديث ما خرجه الشيخان فى صحيحيهما عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت : «إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً مرعوباً يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ ففتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها ؛ فقلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون !؟ قال : نعم ، إذا كثرت الخبث» الحديث^(٥) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ؛ فصار بعضهما أعلاها وبعضهم أسفلها ؛ وكان الذين

(١) العصر : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

(١) المائدة : ١٠٥ .

(٤) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) الأنفال : ٢٥ .

فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً « الحديث (١) .

وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ الآية (٢) وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يده ؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » الحديث (٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ؛ فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٧٩) ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ (٨٠) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ الآيات (٤) ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً (٥) ولتقصرنه على الحق قصراً (٦) أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم ليلعننكم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الشركة (باب) هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه - (طبع) بيروت) .

(٢) المائدة : ١٠٥ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) الفتن (باب) ما جاء فى نزول العذاب ما لم يغير المنكر - (طبع) بيروت) - وقد صحح الترمذى هذا الحديث - كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الملاحم (باب) الأمر والنهى - (طبع بيروت) .

(٤) المائدة : ٧٨ - ٨١ (أربع آيات) .

(٥) أطر الشيء يأطره ويأطره أطرًا فأناطرَ انعطارًا وأطره فأناطرَ : أى ثناه وعطفه فانتنى وانعطف ، بأن قبض على أحد طرفيه فعوججه كالعود ونحوه - انظر مادة (أطر) فى لسان العرب : ٩١/١ .

● ومعنى (لتأطرنه على الحق أطراً) أى لتحمِلنه على اتباع الحق والالتزام به ، رغماً عنه ، وخلافاً له .

(٦) قَصَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ قَصْرًا : أى رَدَّهُ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَيْهِ - انظر مادة (قصر) فى لسان العرب : ٣٦٤٤/٥ .

كما لعَنَهُمْ « الحديث (١) .

وفى رواية أخرى قال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ؛ نهتهم علماءهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ؛ فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال : لا والذي نفسى بيده حتى يأتروهم على الحق أطراً » الحديث (٢) والأحاديث فى الباب كثيرة جداً ، وفيها الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كقول الله تعالى : ﴿ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

ويؤيد ذلك كثرة الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كقول الله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية (٣) وقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الآية (٤) وقوله تعالى : ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿ الآيتان (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ الآية (٦) وقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ الآية (٧) وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ الآية (٨) وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأُتَصِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ الآية (٩) والتحقيق أن تلك الفتنة التى تعم الظالم وغيره هى أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بالعذاب ، صالحهم وطالحهم ، وبهذا المعنى فسرها جماعة من أهل العلم ، فضلاً عن الأحاديث الصحيحة الشاهدة لذلك والتى قدمنا طرفاً منها (١٠) .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) تفسير القرآن (باب) ومن سورة المائدة - (طبع بيروت) - كما

أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الملاحم (باب) الأمر والنهى - (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب) تفسير القرآن (باب) ومن سورة المائدة - (طبع بيروت) - وقال :

هذا حديث حسن غريب .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٦) الكهف : ٢٩ .

(٥) المائدة : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٨) الأعراف : ١٦٥ .

(٧) الحجر : ٩٤ .

(٩) الأنفال : ٢٥ .

(١٠) أضواء البيان : الشنيطى ١٦٩/٢ - ١٧١ .

● رأي البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي في استنباطه هذا من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ذات ما يليبى حاجة الأمة ، ويقوم اعوجاجها ، من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، وهو ما يؤكد عظمة هذا الدين وخلوده ، بل وبقاء الخير في أتباعه من خلال قيامهم بدورهم ، ونهوضهم بأمانتهم ، من لدن رسول الله ﷺ وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وفضلاً عن جملة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي ساقها الشنقيطي في معرض احتجاجه لهذا المعنى ، والتي تضافرت جميعها لتأكيد والدلالة عليه ؛ فإن مما يُستأنس به في هذا المقام تأكيد رسول الله ﷺ على بقاء الخير في أمته إلى يوم الدين على وجه العموم حيث قال : «الخير في أمتى إلى يوم الدين» الحديث^(١) ثم تأكيده ﷺ ذلك أيضاً على وجه الخصوص حيث قال «لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ؛ حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» الحديث^(٢) .

وفى هذا ما فيه من البرهان على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبقائهما بقاء الأمة ذاتها بما يلزم علماءهم ودعاة الخير فيها ببذل أقصى جهدهم ، والعمل وسع طاقتهم ؛ للقيام بأمر الله في الأمة ، وإلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها .

(١) أورد العجلوني هذا الحديث بلفظ : «الخير فيّ وفي أمتى إلى يوم الدين» قائلًا : قال شيخنا في (المقاصد) : (لا أعرفه ، ولكن معناه صحيح) ويعنى به حديث : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة» .

● انظر (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت (١١٦٢هـ = ١٧٤٩م) - (٣٩٦/١) - (٣٩٧) - حديث رقم (١٢٦٧) - (عن نسخة كتبت برسم فخر الأشراف السيد سعيد بن الحافظ الشيخ أحمد الحلبي العطار ، مع المقابلة بنسخة خزنة آل العطار بدمشق ، ومعارضة الملتبس منها بنسخة دار الكتب المصرية) - الطبعة ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

كما ضعف الشيخ الألباني هذا الحديث في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة) : ١٠٤/١ - حديث رقم (٣٠) - الطبعة ١ - (من الطبعة الجديدة) - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

(٢) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

المطلب السابع

الجهاد فَرَضُ كَفَايَةِ

ففي مَعْرِضِ تفسير الشنقيطي لقول الله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآية^(١) نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة أن الجهاد فَرَضُ كَفَايَةِ لا فَرَضُ عَيْنٍ ، وإزاء هذا يقول ما نصّه :

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه فَضَّلَ المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجراً عظيماً ، ولم يبيّن سبحانه هنا تفضيل بعض المجاهدين على بعض ، ولكنه يبيّن ذلك جلّ وعلا في موضع آخر وهو قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الآية^(٢) .

وقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾ يفهم من مفهوم مخالفته أن مَنْ خَلَفَهُ العذر إذا كانت نيته صالحة يُحَصِّلُ ثواب المجاهد كما صرح رسول الله ﷺ بهذا المفهوم في حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ ؛ إِلَّا وَهَمَ مَعَكُمْ فِيهِ ، قَالُوا : وَهَمَ بِالْمَدِينَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ» الحديث^(٣) .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

يا ظاعنين إلى البيت العتيق لقد
سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ وعن قدرٍ
ومن أقام على عذرٍ فقد راحاً

ومن ثم ؛ فإنه يؤخذ من قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أن الجهاد فَرَضُ كَفَايَةِ لا فَرَضُ عَيْنٍ ؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركين فَرَضاً لما

(٢) الحديد : ١٠ .

(١) النساء : ٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الجهاد والسير (باب) مَنْ حَبَسَهُ الْعَذْرُ عَنِ الْغَزْوِ - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الإمارة (باب) مَنْ حَبَسَهُ عَنِ الْغَزْوِ مَرَضاً أَوْ عَذْرًا - (طبع بيروت) .

ناسب ذلك وعد الله تعالى لهم بالحسنى التى هى الجنة والثواب الجزيل (١) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه هذا من أن الجهاد فَرَضُ كفاية لا فَرَضُ عَيْنٍ هو ذات ما يوافق فطرة الله التى فطر الناس عليها ؛ إذا لو كان الجهاد فرضَ عينٍ لتأدى عنه بالضرورة أن يقوم به بعضُ مَنْ لا طاقة لهم به كالمُسْنِين والمرضى فضلاً عن النساءِ وَمَنْ فى حكمهن من المعذورين والضعفاء .

وفى هذا ما فيه من المشقة والخرج ما يُوقِعُ الأُمَّة فى دائرة الضرِّ والعُسْرِ ، وينأى بها عن دائرة النفع واليسر ، وهو ما يخالف بدوره أصول شرعنا الحنيف التى تقرر أن دَفْعَ المَضْرَةِ مقدَّم على جلب المنفعة ، وأن رفع الحرج والعُسْر هو نهجها الثابت ، وطريقها الراسخ ، لإدراك غايتها المرجوة ، وتحقيق هدفها المنشود ، والمتمثل فى التخفيف على هذه الأُمَّة ، وشمولها بنعمة التيسير .

وعلى وجه العموم فقد نطق القرآن العظيم فى غير ما آية برفع هذا الحرج ودفع هذا العسر فى أمر الدين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآية (٢) وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الآيتان (٣) .

وهذا ما نطق به أيضاً فى أمر الجهاد على وجه الخصوص ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الآية (٤) وقوله تعالى : ﴿قَلِمَ تَقَتْلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٥) .

وتأتى حكمة هذا التيسير فى أمر الدين بوجه عام ، وكذا علة هذا التخفيف فى أمر الجهاد بوجه خاص ؛ بناءً على ما فُطِرَ عليه الإنسان من الضعف ، وما جُبِلَ عليه من افتقاره للعون ، وهذا ما يشير إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ الآية (٦) ومن هنا فإن كون الجهاد فرض كفاية

(٢) الحج : ٧٨ .

(٤) الأنفال : ٦٦ .

(٦) النساء : ٢٨ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٣) الشرح : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٥) الأنفال : ١٧ .

لهو مما يلائم الأمة ويناسب طاقتها ؛ بحيث إذا قام به بعض أبنائها سقط بذلك عن بقيتهم .

وسقوط الجهاد عن هذه البقية مشروط في رأينا بشرطين ، وكلاهما دلّ عليه القرآن العظيم :

● أما الشرط الأول : فلا بد أن يكون من أصحاب الأعذار التي يقرها الشرع الخفيف ، والتي حددها ونصّ عليها في غير ما آية ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمِ آبَائِهِمْ فِي مَا رَكِبُوا مِنَّا وَإِن نَّتَّخِذْ لَهُمْ قِطْعًا مِّنَ الْأَرْضِ فَغَنَاءٌ وَمَن يَعْتَدِ عِندَنَا بِكُفْرٍ كَبِيرٍ وَلَا نَعْلَمُ لَهُ سُدْعًا﴾ (١٦) لئس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذبه عذاباً أليماً﴾ الآيتان (١) .

فاستثنى كل من الأعمى والأعرج من الجهاد ومعناهما ظاهر ، أما المريض فالمقصود به كل من المجنون الذي سقط عنه عموم التكليف بذهاب عقله (لأن العقل مناط التكليف) كما هو معلوم ، وكذا المريض الذي يعاني مرضاً عضوياً أو نفسياً ، مزماً كان أو عارضاً ؛ بحيث يقعه عن أمر الجهاد .

كما استثنى الحق سبحانه من أمر الجهاد كلاً من الضعفاء من الرجال ممن تقدّمت بهم السن ، وتأخّر بهم العمر ، حتى وهنت منهم عظامهم ، واشتعلت شيباً رؤوسهم ، وذلك فضلاً عن النساء ومن في حكمهم من الولدان ؛ فأنتى لهؤلاء أن يجاهدوا وتلك حالهم !؟

لهذا كان استثناء القرآن العظيم لهم في قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَاوَاهُم جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ الآيتان (٢) .

● وأما الشرط الثاني : فهو صدق النية ، وسلامة الطوية ، في القعود عن الجهاد ، والتخلف عن ركب المجاهدين ؛ وذلك حتى يُقبلَ عذرهم ، ويسوغ استئذانهم ، وقد عرّض القرآن العظيم لكلا الأعمودجين من الكاذبين والصادقين بما أبان معه عن فساد وضلال الفريق الأول ، ثم صلاح وهُدَى الفريق الثاني .

وعن حال الفريق الأول يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ أَن آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا

(٢) النساء : ٩٧ - ٩٨ (آيتان) .

(١) الفتح : ١٦ - ١٧ (آيتان) .

مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْدَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ الْآيَاتَانِ (١) ﴾ ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٢) ﴾ يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ الْآيَاتَانِ (٢) ﴾ ويقول تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ الْآيَةُ (٣) ﴾ .

أما عن حال الفريق الثاني : فيقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ الْآيَاتِ (٤) ﴾ .

لهذا كان الجهاد فَرَضَ كفاية لا فَرَضَ عَيْنَ لِناسب حال هؤلاء المعذورين الصادقين ، ويدين أولئك المدَّعين الكاذبين ، وليشرك الأولين في ثواب الجهاد وجزائه ، في حين يُوقِع الآخرين في إثم تركه وعقابه .

* * *

وبعد : فقد كانت هذه بعض استنباطات الشنقيطى التى سقناها تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثانيا تفسيره المختلفة ، والتى انضح من خلالها مدى تنوعها وشمولها ، فضلاً عن احتكام الشنقيطى إلى كل من اللغة والأصول كضابطين يصدر عنهما ، ويعول عليهما ، إزاء ما يذهب إليه من استنباطات ، أو يعرض له من استنتاجات .

وفى هذا ما فيه من المنهجية والموضوعية ما يؤكد حرص الشنقيطى على حشد أدلته ، ودعم حجته ، فى كل ما يعرض له ، أو يصل إليه ؛ وبما يتأدى عنه فى النهاية اتفاهه مع ما تقرره القواعد المتبعة ، وتشهد به الأصول المعتمدة .

(١) التوبة : ٨٦ - ٧٨ (آيتان) .

(٢) التوبة : ٩٣ - ٩٤ (آيتان) .

(٣) التوبة : ١١٨ .

(٤) التوبة : ١١٩ - ١٢١ (ثلاث آيات) .

الفصل الثالث

الاجتهاد

ويتنظم المبحثين التاليين :

- ١- المبحث الأول : التععيد النظرى .
- ٢- المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول التقعيد النظري

ويتنظم المطالب السبعة التالية :

- ١- المطلب الأول : ماهية الاجتهاد .
- ٢- المطلب الثاني : حُجِّيَّة الاجتهاد .
- ٣- المطلب الثالث : ضرورة الاجتهاد .
- ٤- المطلب الرابع : شروط الاجتهاد .
- ٥- المطلب الخامس : ضوابط الاجتهاد .
- ٦- المطلب السادس : مجال الاجتهاد .
- ٧- المطلب السابع : معجم الاجتهاد .

ونعنى به جملة الخصائص والسّمات التي يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادئ أساسية ، يعتمد عليها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يذهب إليه من اجتهادات ذاتية ، وما ينتجها من آراء خاصة ، مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

ماهية الاجتهاد

يمثل الاجتهاد المحور الثانى من محورى التأويل الذى يُعدُّ آلة التنفيذ الفعلية ، وأداة التطبيق العملي ، للتفسير بالرأى ، وذلك إضافة إلى المحور الأول المتمثل فى الاستنباط .
وبهذه الحيثية يتوجه الاجتهاد إلى النصّ الظاهر الجليّ ، أو المشكل الخفيّ ، وسواء كان من كتاب الله تعالى بصفة خاصّة ، أو من سنة رسوله ﷺ وأثار سلفه الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بصفة عامّة من خلال إقدام المفسر على استخدام عقله وإعمال رأيه ؛ وذلك بقصد أن يقيس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض عن نتائج غير مألوفة .

ومن ثم ؛ فإنّ الاجتهاد تالٍ للإستنباط فى الرتبة ، ومتأخر عنه فى الترتيب ؛ وذلك من حيث كونه يقوم بالدور الثانى ، ويمثل الخطوة التالية ، من عمل التفسير بالرأى ، ونطاق تأثيره ؛ والاجتهاد بهذه الكيفية يبدأ من النصّ الظاهر أو الخفيّ ، ثم يتجاوز فلكه ، ويتعدى إطاره ، ولا ينتهى به إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه ، وذلك بخلاف الاستنباط الذى يبدأ من النصّ المشكل الخفيّ وينتهى إليه .

والشنقيطى يسلك إزاء اجتهاداته المختلفة ذات السبيل الذى يبدأ من النصّ الظاهر الجليّ ، أو المشكل الخفيّ ، ولا ينتهى به إلا فيما وراء هذا النصّ أو ذاك ، بعد أن يحمله إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إيحاء ، مجتهداً فى قياس غيره عليه ، ومنتجاً رأيه الخاص به ، وليُعبّرَ بذلك فى النهاية عن الشطر الثانى من تفسيره بالرأى والمتمثل فى هذا (الاجتهاد) .

المطلب الثانى

حُجُبِيَّةُ الاجتهاد

وعلى الرغم من التأويل يقوم على محورى الاستنباط والاجتهاد ؛ إلا أننا رأينا الشنقيطى يذهب فيما ذكرنا إلى إقامة الحجة على مشروعية الاستنباط ضمن إقامته الحجة على مشروعية التأويل بصفة عامة .

القسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يفرض له _____ الفصل الثالث : الاجتهاد

وذلك على خلاف ما ذهب إليه من أفراد الاجتهاد بإقامة الحجة على مشروعيته بصفة خاصة ، وهو ما سبق أن فصلنا فيه القول بأدلة الشنقيطي عليه من القرآن والسنة والآثار بما موجزه ما يلي :

● أدلة الاجتهاد :

١ - من القرآن :

حيث استدل الشنقيطي على مشروعية الاجتهاد بثلاث آيات من كتاب الله تعالى نكتفى هنا بمجرد الإشارة إليها على النحو التالي :

الآية الأولى :

وهي قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الآية (١) .

الآية الثانية :

وهي قول الله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان (٢) .

الآية الثالثة :

وهي قول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية (٣) .

● الإشارة إلى آية رابعة :

حيث أشار الشنقيطي إلى عزمه على تناول آية في (سورة الحشر) توضّح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، دونما أن يذكر هذه الآية أو ينص عليها ، وقد اخترتمه المنية قبل أن يفى بذلك .

ومن جانبنا فقد رجحنا أن تكون الآية التي قصدها هي قول الله تعالى : ﴿وَتَلَكَّ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية (٤) أو قول الله تعالى : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

(١) الإسراء : ٣٦ . (٢) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٣) سورة محمد ﷺ : ٢٤ - وانظر تفصيل استدلال الشنقيطي بهذه الآيات الثلاث على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

(٤) الحشر : ٢١ .

الأبصار ﴿ الآية (١) ﴾ .

٢- من السنة :

حيث استدل الشنقيطى على مشروعية الاجتهاد بحديثين من السنة المطهرة نكتفى هنا أيضاً بمجرد الإشارة إليهما على النحو التالى :

الحديث الاول :

وهو قول رسول الله ﷺ : « إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » الحديث (٢) .

الحديث الثانى :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاد بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قائلاً له : « فبم تحمك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأى ؛ قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » الحديث (٣) .

٣- من الآثار :

حيث استدل الشنقيطى على مشروعية الاجتهاد بجملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين والتي نكتفى هنا كذلك بمجرد الإشارة إليها على النحو التالى :

١- من آثار الصحابة :

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، والتي لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ، ومن هذه الاجتهادات سبق أن سقنا استشهاده بثلاثة منها تمثلت فى كل من :

(١) الحشر : ٢ - وانظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر تخريج هذا الحديث وتفصيل استدلال الشنقيطى به على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

(٣) انظر تخريج هذا الحديث وتفصيل استدلال الشنقيطى به على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

الاجتهاد الاول (صلاة العصر) :

والتي اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بشأنها فى حياة رسول الله ﷺ فصلاًها بعضهم فى الطريق خشية تأخيرها ، فى حين صلاًها بعضهم الآخر فى (بنى قريظة) وقد أقر رسول الله ﷺ كلا الفريقين فيما اجتهد فيه (١) .

الاجتهاد الثانى (غلام اليمن) :

والذى اجتهد على ﷺ بشأن الثلاثة الذين اختصموا فيه ، فأقرع بينهم ثم جعل الولد للفارغ ، غير أنه ألزمه بثلاثى لدية للرجلين الآخرين ، وقد أقر رسول الله ﷺ علياً ﷺ فى اجتهاده هذا الذى ذهب إليه (٢) .

الاجتهاد الثالث (مسألة الكلاكة) :

وهى التى اجتهد بشأنها الصديق أبو بكر ﷺ فى خلافته على المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث رأى أن الكلاكة هى تركة من مات وليس له ولد ولا والد ، وقد تابعه فى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من بعده (٣) .

ب- من آثار التابعين :

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بما أورده الشعيبى من أسس ومبادئ الاجتهاد التى ضمنها عمر بن الخطاب ﷺ رسالته إلى شريح ﷺ ليقضى بموجبها ، ويعمل بمقتضاها (٤) .

● خلاصة موقف الشنقيطى :

وحالما يفرغ الشنقيطى من سرد أدلته من الكتاب والسنة والآثار ؛ فإنه يخلص عندئذ إلى القول بمشروعية الاجتهاد لمن اتفقت له وسائله وأدواته المعروفة ، فضلاً عن ضوابطه وشروطه المعبرة .

وهذا ما ذهب ليؤكد من خلال رده على دعوى متأخرى الأصوليين الذين قالوا بانقراض الاجتهاد ، وانسداد بابه وعدم إمكان وجود مجتهد فى هذه الأمة قبل ظهور المهدي المنتظر ، حيث بين بطلان دعواهم تلك ، ومناقضتها لحديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ؛ لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله » الحديث (٥) .

(١) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٤) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

القسم الثاني : الباب الثالث : السُّمة الثالثة التحليل لسائر ما يُعرضُ له _____ الفصل الثالث : الاجتهاد

ومن ثم ؛ فإن كل ما ناقض الحق فهو الباطل دونما شك أو نزاع ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ﴾ الآية^(١) .

● رأي البحث :

وعلى الرغم من أن الشنقيطيّ قد ذهب إلى القول بمشروعية الاجتهاد وجوازه ؛ إلا أننا نرى وجوب الاجتهاد ولزومه ، لأن هذا هو ما تقضيه الضرورة ، وتدعو إليه الحاجة .

وهذا ما اعتضدنا للاحتجاج له ، وإقامة الدليل عليه ، بما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتمدين ، والذين اكتفينا بذكر اثنين منهم تنبيهاً بهما على غيرهما ، ألا وهما :

١- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

٢- الشيخ محيي الدين الكافيحي .

حيث ذهب كل منهما إلى القول بوجوب الاجتهاد فضلاً عن القول بجوازه ، وهو ذات ما يتفق مع ما ذهبنا إليه ويؤيده، وذلك من خلال أدلتها الشرعية، وشواهدهما المعتبرة^(٢) .

المطلب الثالث

ضرورة الاجتهاد

تنبع الضرورة الداعية إلى الاجتهاد عند الشنقيطي من ذات المعين الذي تنبع منه الضرورة الداعية إلى الاستنباط ؛ وذلك على اعتبار أنهما يمثلان معاً محوري التأويل الذي يُعدُّ آلة التنفيذ الفعليّ ، وأداة التطبيق العمليّ للتفسير بالرأى عنده .

ولما كان الأصل عند الشنقيطي هو التوجه إلى الأخذ بظاهر القرآن وعدم العدول عنه إلا لضرورة تلجئه إلى ذلك ، وهو ذات ما يصرّح به قائلاً : (إنّ ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه)^(٣) لذا ؛ فإن الضرورة الداعية إلى الاجتهاد عنده إنما تتمثل في حالة عدم غنائه بظاهر النصّ في وضوح المعنى ، وبيان المراد ؛ ومن ثم فإنه يتحتم عليه أن يلجأ مضطراً إلى العدول عن الظهور إلى التأويل بمحوريه المتلازمين حيث الاستنباط أولاً ، ثم الاجتهاد ثانياً .

(١) يونس : ٣٢ - وانظر تفصيل موقف الشنقيطي إزاء مشروعية الاجتهاد وقوله به ص من هذا البحث .

(٢) انظر تفصيل رأي البحث بشأن وجوب الاجتهاد فضلاً عن جوازه ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٥٧٥/٤ .

وهكذا يجب في رأينا على الشنقيطى وغيره من المفسرين أن يتوجَّه أولاً إلى المعنى الظاهر المتبادر من النصّ ؛ من حيث وجوب أخذه به ، وضرورة صدوره عنه ، خاصة وأنه يُبينُ عن نفسه بنفسه ، ويدل بذاته على معناه ؛ ومن ثم فلا حاجة لأن يلجأ الشنقيطى إلى الاجتهاد إلا عندما لا يفى ظاهر النصّ بوضوح المعنى ، وبيان المراد ، وتلكم هي الضرورة التي تُعدُّ في رأينا دافعاً للاجتهاد بصفة خاصة ، وللتأويل بصفة عامّة .

وهذا ما يؤكده الشنقيطى من خلال منعه التقليد الأعمى ، وقوله بكفر متبعه ؛ لما يتأدى عن ذلك من منع الاجتهاد ، وانسداد بابه ، وهو ما يدل القرآن على خلافه ، وتبرهن السُّنة على سواه ، وفي ذلك يقول ما نصّه : لاشك أن التقليد الأعمى الذى ذمّ الله به الكفار تدل الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، ومنها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الآية^(١) .

وأما ذهاب بعض الظاهرية كابن حزم ومن تبعه إلى منع الاجتهاد فى الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه ، كما هى حال كثير من الظاهرية ؛ لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بفتياه ؛ هو أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامى يسأل بعض أصحاب رسول الله ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل بفتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين .

وقد ذمّ الله جلّ وعلا المُعرضَ عن هذا القرآن العظيم فى آيات كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الآية^(٢) ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعرض عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق بذلك هذا الإنكار والتوبيخ المذكور فى الآيات ، إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يقدر به على التدبر .

وقد شكّا رسول الله ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الآية^(٣) فأعراض كثير من الأنظار عن النظر فى كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السُّنة الثابتة المبيّنة له ؛ لهُو من أعظم المناكر وأشتعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى .

(٣) الفرقان : ٣٠ .

(٢) الكهف : ٥٧ .

(١) البقرة : ١٧٠ .

وهكذا تدل الآيات المذكورة على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لا بد منه للمسلمين^(١) .

● رأى البحث :

١- وجاهة الضرورة وملاءمتها :

وعلى الرغم من أن الشنقيطي قد ذهب إلى القول بمشروعية الاجتهاد وجوازه ؛ إلا أن ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين كابن تيمية والكافيجي من القول بضرورة الاجتهاد ووجوبه ، إنما هو أمر له وجاهته التي تتلاءم مع التطورات المتلاحقة ، والتغيرات المتتابعة ، والتي تفرزها حياة الأمة المتجددة ، ويمليها عليها واقعها المنظور .

لأن هذا الواقع إنما يتسم بمعطياته الجديدة ، وتطوراته المتلاحقة ، يوماً بعد يوم ؛ الأمر الذي يستلزم معه حركة دائبة متنامية ، في إطار الفهم المتجدد للنص القرآني وتفسيره ؛ بما يلائم حركة المجتمع ، ويراعي مصلحته العامة^(٢) .

وفي ضوء هذا الفهم ومن منطلقه ؛ انبعثت أول حركة دينية إصلاحية تجديدية في العصر الحديث ، حيث قامت على أساس فهم الواقع الإسلامي ، ومراعاة مصالحه العامة ؛ فها هو (الإمام محمد عبده) رائد هذه الحركة يلفت النظر إلى دراسة أصول الاجتماع الإنساني ، وضرورة الاستفادة من ذلك لتجديد التشريع الإسلامي ؛ ومن ثم تجديد حركة التفسير ، ليوكب واقع الأمة ، وما يطرأ عليها من تغيير .

وهذا هو تلميذه (السيد رشيد رضا) الذي يتابع ذات النهج ، ويسير على نفس الدرب ؛ حيث يجعل من مراعاة المصلحة العامة للمجتمع الإسلامي أساساً من أسس منهجه في التفسير ، بل لا يلبث أن ينبّه على ذلك ويشير إليه من حين إلى آخر ؛ حتى جاء تفسيره ترجمة حقيقية لما يُعْرَفُ به (الاتجاه الاجتماعي) في التفسير^(٣) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٧٧/٣ - ٤٢٨/٧ (بتصرف) .

(٢) دراسات في القرآن : د. السيد أحمد خليل ص ١٤٢ - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(٣) وإزاء التعريف الموجز بهذه الحركة الإصلاحية التي انبعثت في منتصف (القرن الثالث عشر الهجري = التاسع عشر الميلادي) راجع كلاً من :

● الإمام محمد عبده ومنهجه في تفسير القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته ص ٦٠ - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

● دراسات حول القرآن : د. إسماعيل أحمد الطحان ص ٢١٣ - تحت عنوان : (الاتجاه الاجتماعي في التفسير) - الطبعة ١ - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

والحق أن هذا الفهم المستنير لواقع المجتمع الإسلامي ، والذي يهدف لنهضته وإصلاحه ، إنما يتسق في الأصل مع القول بوجود الاجتهاد والضرورة الداعية إليه ؛ وذلك لأن الاجتهاد خاصة ، والتفسير بالرأى عامة ، إنما يُنَاطُ به أن (يكشف ويبرز ما استكن في النصوص من مفاهيم ودلالات ، ويفتح الباب لارتداد آفاقها ، وتمثُّل معطياتها ، وتجسيم مفاهيمها ، في صورة أحكام تقنن لما يستحدث من مشكلات الحياة ، ولتضع بذلك أمام المسلم حلولاً واختيارات عدة ، تقبلها النصوص ، فتتسع لها ، ولا تتناقض معها)^(١) .

وتلكم هي وجهة القول بوجود الاجتهاد ، وهذه هي ملاءمة ضرورته ، والتي تلبى في النهاية حاجة الأمة الماسّة إليه ؛ فتفى بمطالبات حياتها المتطورة ، وتستوعب واقعها المتجدد ، في شتى الأعصار ، ومختلف الأمصار .

المطلب الرابع

شروط الاجتهاد

يمثل الاجتهاد مع الاستنباط محوري التأويل الذي يُعدُّ بدوره آلة التنفيذ الفعليّ ، وأداة التطبيق العمليّ للتفسير بالرأى عند الشنقيطيّ .

ومن ثم ؛ فإن الشروط التي تَرِدُ على الاجتهاد لتَصُدُرُ بدورها من ذات المعين الذي تَصُدُرُ منه الشروط التي تَرِدُ على الاستنباط ، وليس ثمة فارق بين شروطيهما سوى فيما يتعلق بمحل كل منهما ونطاق تأثيره ؛ ففي حين يبدأ الاستنباط من النصّ ويتهيّ إليه دونما أن يتجاوز إطاره ، أو يتعدى حدوده ، فإننا نجد أن الاجتهاد يبدأ من النصّ كذلك إلا أنه يتهيّ به فيما وراءه بعد أن يَحْمَلَهُ إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إحياء .

وعلى الرغم من أن الشنقيطيّ قد عرَّضَ من قبل لشروط التأويل والتي تشمل بدورها شروط محوريّ التمثيل في كل من الاستنباط والاجتهاد بصفة عامة^(٢) إلا أننا نراه يُعْرِضُ هنا لشروط الاجتهاد بصفة خاصة ؛ وذلك في سياق رده على متأخريّ الأصوليين بشأن ما وضعوه من شروط لا مستند لهم في أكثرها ، فضلاً عن رده ما ذهبوا إليه بشأن انقراض

= • التفسير ورجاله : محمد الفاضل بن عاشور ص ١٥٨ - نشر مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠ م .

(١) اتجاه التفسير الفقهيّ : لأخي وزميليّ الدكتور محمد المنسيّ ص ١٩ - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

الاجتهاد وانسداد بابه ، بل وعدم إمكان وجود مجتهد في هذه الأمة قبل ظهور المهدي المنتظر .

وإزاء هذا ، يعرض الشنقيطي لشروط الاجتهاد من خلال شروط المُجْتَهَد ، ثم شروط المُجْتَهَد فيه ، وذلك على النحو التالي :

١- شروط المُجْتَهَد :

يسوق الشنقيطي جملة هذه الشروط التي بلغت اثني عشر شرطاً على لسان متأخري الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على المجتهدين الذين تم لهم تحصيلها دون غيرهم .

وحالما يفرغ من سرد شروطهم تلك فإنه يعتمد عندئذ إلى القول بعدم استناد كثير منها إلى دليل ، وافتقار معظمها إلى حجة ، ومبيناً في ذات الوقت أن كل مَنْ له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معاني الكتاب والسنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما^(١) .

٢- شروط المُجْتَهَد فيه :

ويوجز الشنقيطي تلك الشروط من خلال عبارته المحددة التي يوجب بها الاتباع ، ويمنع بموجبها الاجتهاد ، في كل ما نصت عليه آيات الكتاب وأحاديث السنة ، وهذا ما سبق أن أوضحناه من قبل مقروناً بنص كلامه فيه^(٢) .

● رأي البحث :

ليس ثمة شك في أن ما ذهب إليه الشنقيطي إنما يتفق مع ما يقصده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) .

والحق أن هذا القول بحاجة في رأينا إلى توجيه من خلال ما سنعرض له بعد قليل أثناء حديثنا عن (مجال الاجتهاد) ومدى الدور الذي يقوم به النص وجوداً وعدماً إزاء هذا المجال ، ونطاق عمل الاجتهاد فيه .

(١) انظر تفصيل هذه الشروط الاثني عشر مع رد الشنقيطي على أصحابها من متأخري الأصوليين ،

وذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر في ذلك ص من هذا البحث .

المطلب الخامس

ضوابط الاجتهاد

تتمثل ضوابط الاجتهاد عند الشنقيطي في ذات الضوابط التي تحكّم الاستنباط عنده ، وذلك على اعتبار أنهما يُكوّنان معاً محوريّ التأويل ، والذي يمثل بدوره آلية التنفيذ الفعلية ، وأداة التطبيق العمليّ ، للتفسير بالرأى عنده .

وتنحصر هذه الضوابط في ضابطين اثنين لا يخرج الشنقيطي عن إطاريهما، ولا يتجاوز حدودهما ، إزاء ما يلجأ إليه من اجتهاد بصفة خاصة ، أو تأويل بصفة عامة ، ألا وهما :

١- الضابط الأول (اللغة) :

حيث يحتكم الشنقيطي إلى اللغة كضابط أول قبل غيرها ؛ وهذا على اعتبار أسبقية الوضع ، وأولية الوجود ، حيث إنها هادية إلى أصل المعنى ، وحاکمة لتوجهه ، وذلك منذ أن كان للإنسان وجود ، ومنذ أن كانت له لغة خطاب ، على نحو ما أوضحناه من قبل^(١) .

٢- الضابط الثاني (الأصول) :

ويأتي احتكام الشنقيطي إلى هذا الضابط الأصولي بعد احتكامه إلى الضابط اللغوي ، بناء أيضاً على أسبقية وضع اللغة قبل الأصول ، وأولية وجودها قبله . وقد فصلنا القول إزاء أعمال الشنقيطي هذا الضابط الأصولي من خلال قاعدتين أصوليتين تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة^(٢) .

المطلب السادس

مجال الاجتهاد

ينحصر مجال الاجتهاد عند الشنقيطي فيما لا نص فيه ، أما ما ورد فيه نص فلا يرى فيه إلا الاتباع ، وفيما يلي نعرض لموقفه من كلا الأمرين من حيث تعامله مع النص وجوداً وعدمًا ، ثم نتبعه ببيان مستوي الاجتهاد إفراداً وتركيباً ، وذلك على النحو التالي :

(١) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

أولاً : موقفه من النص وجوداً وعدماً :

ويتوزع ذلك بين موقف الشنقيطي إزاء الاجتهاد فيما يوجد فيه نص ، والاجتهاد فيما لا يوجد فيه نص ، وهذا ما يتضح من خلال عرضنا لكل من :

١- ما فيه نص :

يذهب الشنقيطي إلى القول بمنع الاجتهاد في كل ما نصَّتْ عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنَّة ، حيث لا يرى في هذه النصوص سوى الاتباع ، وإزاء رأيه هذا يقول ما نصَّه :
والأمور المنصوصة في نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنَّة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ، ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلَّ عليه نصٌّ من كتاب أو سُنَّة سالم من المُعَارِض^(١) .

● رأى البحث :

(لا اجتهاد إلا مع النص) :

وليس ثمة شك في أن ما ذهب إليه الشنقيطي بشأن منع الاجتهاد في المنصوص عليه ؛ إنما يتفق مع ما يقصده علماء الأصول بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) والحق أن هذا القول بحاجة في رأينا إلى توجيهه من خلال الوجوه الثلاثة التالية :

١- الاجتهاد الباطل :

حيث نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النص) إنما يعنى أنه (لا اجتهاد باطلاً أو مُعَارِضاً أو مُخَالَفاً) لما تدل عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنَّة .

ومن ثم ؛ فإنه يسوغ لنا أن نُوجِّهَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلا مع النص) أى لا اجتهاد فيما يراد فيه الاجتهاد إلا في ضوء ما تدل عليه النصوص الأخرى ، وفي ظل ما تَهْدِي إليه .

٢- افتقار النص :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ، وتعيين نطاق عمله ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلا عند افتقار وغياب النص محلَّ هذا الاجتهاد وموضعه .

ومن ثم ؛ فلا يَعْمَدُ المفسرُ إلى الاجتهاد إلا عندما يفتقد النصَّ في المسألة التي يريد أن

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٤٧/٧ .

يجتهد فيها ، غير أن ذلك لا يكون إلا مع وجود النصوص الأخرى التي يستضيء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

٣- محل الاجتهاد :

أما إعمال المفسر عقله ، وإنعامه نظره ، فيما تحت يديه من نصوص الكتاب والسنة ؛ فهذا ما يتنازع (الاستنباط) أولاً ، فإما أن يفى بالهدف المنشود ، ويدرك الغاية المرجوة ؛ وإلا تنازعه (الاجتهاد) ثانياً ، حيث يفى بذلك ويدركه .

وذلك لما سبق أن فصلنا فيه القول بشأن مستوي التأويل اللذين يتمثلان في كل من : (الاستنباط) الذي يعمل داخل النص الخفي المشكل ، فلا يتعدى إطاره ، ولا يتجاوز حدوده ، ومن ثم فهو يبدأ من النص وينتهي إليه ، ثم يأتي بعد ذلك (الاجتهاد) الذي يعمل عند غياب النص وافتقاده فيما يراد الاجتهاد فيه ، إلا أنه يبدأ في ذات الوقت من النص أيضاً غير أنه لا ينتهي إلا فيما وراء النص ، بعد أن يحمله إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إحياء ؛ فلا يُحَدِّدُ حَدًّا ، ولا يقيد بإطار ، اللهم إلا استضاءته بالنصوص الأخرى واسترشاده بها ؛ وذلك ضماناً لسلامته من التعارض ، ويُعَدِّهِ عن التناقض اللذين يتأدَّى عنهما بطلانه وعدم قبوله .

وهو ذات القيد الذي يشير إليه الشنقيطي بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالف النص ؛ فهو اجتهاد باطل ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة حاکمة على كل المجتهدين فليس لأحد منهم مخالفتها كائناً مَنْ كان^(١) .

ب- ما ليس فيه نص :

وقبل أن يعمد الشنقيطي إلى اجتهاده فيما لا نص فيه ؛ فإنه يأخذ نفسه بالخطر ، ويلزمها الحيطة ، سالكاً إزاء ذلك السبل الثلاثة التالية :

١- استنفاد المظان :

فلا يلجأ إلى الاجتهاد إلا بعد أن يستنفذ كل ما يستطيعه من طرق البحث والاستقصاء ، ومظان الحصر والاستقراء ، وسع طاقته ، وقدر إمكانه ؛ علّه يلتمس ما قد يكون ورد بشأنه هنا أو هناك ، وتدور هذه المظان حول رجوع الشنقيطي إلى كل من المصادر الثمانية التالية :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٤٧/٧ .

● **الكتاب :**

حيث يبدأ دائماً باستقراء آيات القرآن الكريم إزاء ما يتناوله قائلًا ما نصّه : واعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على . . . (١) .

● **السُّنة :**

وتلى القرآن من حيث رجوعه إليها ، واعتماده عليها ، وهذا ما يشير إليه قائلًا ما نصّه : وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق ؛ لأن الكتاب والسُّنة الصحيحة دالّان عليه ، والله تعالى يقول : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية (٢) .

● **الآثار :**

وتشمل الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين كما يلي :

آثار الصحابة :

حيث يخصّ منهم الخلفاء الراشدين الأربعة الذين يأتون عنده على رأس الصحابة وفي مقدمتهم ، ثم يليهم المهاجرون ، ومن بعدهم الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين (٣) .

آثار التابعين :

ويعرّض لهم ملحقاً بهم تابعي التابعين ومن يلوّنهم من أهل القرون الثلاثة الأولى على وجه الخصوص فيقول : ولم يقل به أحد من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير (٤) وقد يشير إليهم بلفظ (السلف) على وجه العموم فيقول : والسلف مجمّعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم في ذلك (٥) .

● **الإجماع :**

وإليه يشير بلفظ (إجماع عامة أهل العلم) فيقول : وإجماع عامة أهل العلم ، إلاّ من شدّد عن السواد الأعظم ؛ فإنه يكفي في الدلالة على . . . (٦) وقد يشير إليه بلفظ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤١٧/٧ .

(٢) النساء : ٥٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٣٣/٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٣٠/٦ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣٣/٥ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٤٣/٥ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦٢/٢ .

الضم الثاني : الباب الثالث : السُّمَّةُ الثالثة التحليل لسائر ما يَعرِضُ له _____ الفصل الثالث : الاجتهاد

(كافة علماء المسلمين) فيقول : واعلم أن الحق الذي دلَّ عليه فعلُ كافة علماء المسلمين هو (١) .

● الأئمة الأربعة :

حيث يذكرهم في غير موضع من تفسيره قائلاً : وهذا ما عليه الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى (٢) .

● فقهاء الأمصار :

وإليهم يشير بقوله : ولم يُقلْ به أحد من فقهاء الأمصار المعروفين (٣) .

● كبار المفسرين :

حيث يذكرهم في ثنايا تفسيره المختلفة بقوله : وبه قال كبار المفسرين (٤) .

● العُرف السائد :

وهذا ما يشير إليه بقوله : والحاصل إن كان هناك عُرفٌ خاصٌّ ؛ فإنه وجِبَ اتِّباعُهُ في ذلك (٥) وقد يشير إليه ببعض التفصيل قائلاً : ومن الأدلة المقنعة المرائي المتواترة ، وما اتصل بها من عمل المسلمين في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار (٦) .

وهكذا تندرج هذه (المطازن الثمانية) تحت مصادر الشنقيطي من المأثور المتمثلة في كل من (الكتاب - السُّنَّة - الآثار) ثم مصادره من الرأى المتمثلة في كل من (الإجماع - الأئمة الأربعة - فقهاء الأمصار - كبار المفسرين - العُرف السائد) .

٢- الحذر والحيطه :

وحالما يفرغ الشنقيطي من استقراء مصادره الثمانية المذكورة دون أن يلتمس فيها شيئاً إزاء ما لا نصَّ فيه ؛ فإنه يعمد عندئذ إلى إعمال عقله ، واجتهاد رأيه ؛ غير أنه يأخذ نفسه بالحذر ، ويلزمها الحيطه بشأن ما يجتهد فيه ، وهذا ما يشير إليه بقوله : وأما هذا الأمر فلا نصَّ فيه ؛ والأحسن تركه احتياطاً (٧) وقد يشير إلى ذلك بقوله : واعلم أن هذه المسألة ليس

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٥١/٧ - ٤٨٨/٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣٧/٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٤١/٧ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣٧/٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣٤/٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦٧/٥ .

فيها نصّ ، وسنذكر هنا بعض ما يظهر لنا أنه أقرب للصواب مع الاختصار لعدم النصوص في ذلك^(١) .

٣- التوقف والامتناع :

وإذا كان الشنقيطي قد أخذ نفسه فيما سبق بالحذر ، وألزمها الحيطة ، إلا أنه قد يتوقف في بعض الأحيان الأخرى عن إعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، فيما لا نص فيه ، وفي تعليقه ذلك نراه يصرح بأنه لا علم له بدليل يرجع إليه في هذا الأمر أو ذاك ؛ ومن ثم فمثل ذلك لا يُعْرَفُ عنده بالرأى .

والى هذا يشير في غير موضع من تفسيره قائلاً ما نصّه : وأما هذا الأمر فلا أعلم له دليلاً يجب الرجوع إليه ، والعلم عند الله تعالى^(٢) وقد يشير إليه بقوله : وأما هذا الأمر فلم يثبت فيه نقل صحيح ، ومثله لا يُعْرَفُ بالرأى^(٣) وأخيراً ربما يشير إليه قائلاً : وأما هذا الأمر فلا نعلم أية من كتاب الله تبيّنه^(٤) .

ثانياً : مستوي الاجتهاد أفراداً وتركيباً :

ولما كان النصّ القرآني يتألف من كل من اللفظ المفرد والجملة المركبة شأنه في ذلك شأن لغته التي نزل بها ، بل وسائر اللغات الفاعلة في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ؛ لذا فقد كان من المنهجية أن يشمل الاجتهاد عند الشنقيطي فيما لا نصّ فيه كلاً من :

١- اللفظ المفرد :

وهو كل لفظ لم يردّ بشأنه نصّ يمكن أن يرجع إليه الشنقيطي ؛ ومن ثم يتوجّه إليه بأعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، ليدرك الهدف المنشود منه ، ويبلغ الغاية المرجوة فيه .

وتنبهياً ببعض هذه الألفاظ المفردة على غيرها مما يتناولها الاجتهاد عند الشنقيطي نذكر كلاً من : (الخطميّ - القرطبان - القرنان - الكشخان)^(٥) .

٢- الجملة المركبة :

وهي كل جملة لم يردّ بشأنها نصّ يمكن أن يرجع إليه الشنقيطي ؛ ومن ثم يتوجّه إليها

(١) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٢٩٦/٥ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطيّ ١٢٢/٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٧٥٠/٧ .

(٤) وسوف نفصل القول في ضبط ومعاني هذه الألفاظ المفردة من خلال اجتهاد الشنقيطي بشأنها بعد قليل .

أيضاً بإعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، ليدرك الهدف المنشود منها ، ويبلغ الغاية المرجوة فيها .

وتنبهياً ببعض هذه الجملة المركبة على غيرها مما يتناولها الاجتهاد عند الشنقيطي نذكر كلاً من : قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية^(١) وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الآية^(٢) وقوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية^(٣) وقوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ﴾ الآية^(٤) .

● استدراك أصولي :

ومن خلال تأكيدنا فيما سبق على أن التأويل إنما يعدُّ آلة التنفيذ الفعلي ، وأداة التطبيق العملي للتفسير بالرأى ، ثم من خلال تأكيدنا أيضاً على أن التأويل إنما يقوم على محورين اثنين يتمثلان في الاستنباط أولاً ، فالاجتهاد ثانياً ، وذلك على مستوى اللفظ القرآني المفرد ، ثم على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

لذا ؛ فقد استدرکنا على الأصوليين قَصْرَهُمُ التَّأْوِيلَ عَلَى اللفظ المفرد دون الجملة المركبة ، وكذا تعبيرهم عن ذلك بلفظ (الصَّرْف) وليس (الحَمْل) وهذا ما عاجلناه من خلال الأمرين التاليين :

١- لماذا اللفظ دون الجملة !؟

٢- بين الصَّرْف والحَمْل .

ثم انتهينا بعد ذلك إلى تعريف التأويل بما نصّه :

● تعريف التأويل :

هو حَمْلُ النِّصِّ القرآنيِّ إفراداً وتركيباً إلى أقصى ما يمكن أن ينتهي إليه المعنى بضوابطه المعتمدة من اللغة والأصول عندما لا يفي ظاهر النص بذلك^(٥) .

(١) الإسراء : ٩ . (٢) الفرقان : ٦٧ . (٣) الشورى : ١٠ .

(٤) الزخرف : ٣٢ - وسوف نفصل القول في معاني هذه الجمل القرآنية المركبة من خلال اجتهاد الشنقيطي بشأنها بعد قليل .

(٥) انظر تفصيل هذا الاستدراك الأصولي من خلال وجهيه المذكورين ، وذلك ص من هذا البحث .

المطلب السابع

معجم الاجتهاد

يتوزع معجم الاجتهاد عند الشنقيطي بين ألفاظه التي يعبر بها عن حذره وكذا توقفه عن الاجتهاد أولاً ، ثم ألفاظه التي يعبر بها عن اجتهاده ثانياً ، وهذا ما يتضح لنا من خلال مايلي :

١- الفاظ الحذر والتوقف :

وهي ما سبق أن عرّضنا لبعض منها تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة، وذلك من خلال تناولنا لموقفه مما لا نص فيه ، سواء من حيث (الحذر والحيلة) أو (التوقف والامتناع) .

٢- الفاظ الاجتهاد وإجرائه :

ونسوق هنا بعضاً منها تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ، حيث يعبر عن إعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، ببعض الألفاظ الدالة على إنفاذ ذلك الاجتهاد وإجرائه ، ومنها ما نصّه :

أ- قوله : ومن المعلوم أنّ المسألة إن لم يوجد فيها نصّ من كتاب الله تعالى أو سنّه نبيه ﷺ فاجتهاد العالم حيثئذ بقدر طاقته في تفهم كتاب الله تعالى ليعرف حكم المسكوت عنه من المنطوق به ؛ فإن ذلك لا وجه لمنعه ، وقد كان ذلك جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين^(١) .

ب- وقوله : واستدلال البعض على منع الاجتهاد في الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، هو من وضع القرآن في غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه^(٢) .

ج- وقوله : ومشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بفتياه ؛ هو أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامي يسأل بعض أصحاب النبي ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل بفتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين^(٣) .

د- وقوله : ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أي تصفحها

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٧٧/٣ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٣٠/٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٧٧/٣ .

وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعرض عنها ، غير متدبر لها ؛ وبهذا فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إن كان الله تعالى قد أعطاه فهماً يقدر به على التدبر^(١) .

هـ- وأخيراً قوله : وعراض كثير من الأنظار عن النظر في كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السنة الثابتة والمبيّنة له ؛ لهُوَ من أعظم المناكر وأشنعها ، وإن ظن فاعلوه أنهم على هُدَى ؛ وعليه فإن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لا بد منه للمسلمين^(٢) .

* * *

وبعد : فإن جملة تلك المبادئ هي التي تحكم سائر ما يُعرض له الشنقيطي سواء من حيث حذره أو توقفه عن إعمال عقله وعدم اجتهاد رأيه أحياناً ، أو من حيث إقدامه على إعمال عقله واجتهاد رأيه أحياناً أخرى ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التععيد النظريّ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٤٢٨/٧ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٤٢٨/٧ .

المبحث الثاني التطبيق العملي

ويتنظم المطالب الستة التالية :

● أولاً : ما توقّف فيه :

- ١- المطلب الأول : استعمال الخطميّ في الإحرام .
- ٢- المطلب الثاني : كيفية إجماب الشياطين .
- ٣- المطلب الثالث : احمرار السماء عند انشاقها .

● ثانياً : ما اجتهد فيه :

- ١- المطلب الأول : القذفُ ببعض الألفاظ .
- ٢- المطلب الثاني : الانتفاع بلحوم الأضاحي .
- ٣- المطلب الثالث : بطلان الشيوعية وسقوطها .

ونعنى به السلوك العملي الذي اتبعه الشنقيطي في سائر اجتهاداته التي عرّض لها في مختلف فنون العلم وفروعه ؛ حيث يُجسّد من خال ذلك تطبيقه العملي على ما ذهب إليه في تععيد النظرى .

ولما كان منهج البحث يقوم على أساس الاختيار والانتقاء، لا الحصر والاستقصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فيما يلي بذكر جملة من اجتهادات الشنقيطي، سواء ما توقّف فيه أو ما أقدم عليه تنبيهاً بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

أولاً : ما توقّف فيه

المطلب الأول

استعمال الخطمي في الإحرام

وقبل أن نعرّض لتوقف الشنقيطي إزاء الاجتهاد في ذلك ؛ فإننا نقدّم بين يديه لضبط ومعنى الخطمي في اللغة كما يلي :

• تعريف الخطمي :

أما من حيث ضبطه اللغويّ ففيه وجهان ، حيث يقال له في الأول منهما : (الخطمي) بفتح الخاء المعجمة ، في حين يقال له في الثاني منهما : (الخطمي) بكسرها ، مع سكون الطاء المهملة وكسر الميم بعدهما ياء مشددة في كل منهما ، كما يلاحظ غلبة الوجه الأول وشهرته دون الوجه الثاني .

وأما من حيث معناه اللغويّ فهو عبارة عن نبات من الفصيلة الحَبَّازِيَّة ، كثير النفع ، ذكيّ الرائحة ، يُدقُّ ورقه يابساً ثم يُغسلُ به الرأسُ فينظفه وينقيه ؛ ومنه قولهم : (مِسْكٌ خَطْمٌ) أى يملأ الخيشوم من حِدَّة رائحته الذكيّة .

وفي الحديث : «أنه كان ﷺ يغسل رأسه بالخطمي وهو جنب* ؛ يجتزىء بذلك ولا يصبُّ عليه الماء» الحديث^(١) أى أنه كان ﷺ يكتفى بالماء الذي يغسل به الخطمي ناوياً به غُسل الجنابة ، دون أن يستعمل بعده ماءً آخر يخصُّ به الغُسل^(٢) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب) الطهارة (باب) في الجنب يغسل رأسه بخطمي أيجزئه ذلك ! - (طبع بيروت) .

(٢) انظر مادة (خطم) في كل من لسان العرب : ١٢٠٣/٢ - مختار الصحاح : ص ١٨١ - المعجم الوسيط : ٢٥٤/١ .

• توقُّفُ الشنقيطي :

ففي مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ الآية^(١) من خلال تناوله لمناسك الحج وأحكامه ، نراه يتوقف عن الاجتهاد في حكم المُحْرَمِ الذي يَتَدَلَّكَ في الحَمَامِ مستعملاً الحَطْمِيَّ في غسل رأسه ، وهل تلزمه الفِدْيَةُ إن هو فعل ذلك أم لا ؟

ويعلل الشنقيطي توقفه عن الاجتهاد في ذلك بعدم وقوفه على نصٍّ يعولُّ عليه ، أو دليل يرجع إليه ، وبهذا يصرِّح قائلاً : أما التَدَلُّكُ في الحَمَامِ ، وَغَسْلُ الرَّاسِ بِالْحَطْمِيَّ فلا نصٌّ فيه ؛ والأحسن تركه احتياطاً ، وأما لزوم الفِدْيَةِ فيه فلا أعلم له دليلاً يجب الرجوع إليه ، والعلم عند الله تعالى^(٢) .

المطلب الثاني

كيفية إنجاب الشياطين

ففي مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الآية^(٣) نراه يثبت ما أثبتته هذه الآية الكريمة من أن للشيطان ذرية من نسله ، غير أنه يتوقف عن الاجتهاد في كيفية ولادة هذه الذرية وإنجابها .

ويعلل الشنقيطي توقفه عن الاجتهاد في ذلك بعدم ثبوت نقل صحيح فيه ؛ ومن ثم فمثله لا يُعْرَفُ بالرأى ، وبهذا يصرِّح قائلاً : وقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَذُرِّيَّتُهُ﴾ دليل على أن للشيطان ذرية ؛ فادعاء أنه لا ذرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة كما ترى ، وكل ما ناقض صريح القرآن فهو باطل بلا شك ، ولكن طريقة وجود نسله هل هي عن تزويج أو غيره فلا دليل عليها من نص صريح ، والعلماء مختلفون فيها .

قال الشعبيُّ : سألتني رجل : هل لإبليس زوجة ؟ فقلت : إن ذلك عُرْسٌ لم أشهدها ! ثم ذكرتُ قول الله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ فعلمتُ أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة ؛ فقلتُ : نعم ، وما فهمه الشعبيُّ من أن الذرية تستلزم الزوجة قد رُوِيَ مثله عن قتادة ، وقال مجاهد : إن كيفية وجود النسل منه أنه أدخل فرجَه في فرج نفسه فباض خمس بيضات ، قال : فهذا هو أصل ذريته .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٦٧/٥ .

(١) البقرة : ١٩٦ .

(٣) الكهف : ٥٠ .

وقال بعض أهل العلم : إن الله تعالى خلق له في فخذة اليمنى ذكراً ، وفي اليسرى فرجاً ؛ فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات ، ثم يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة .

ولا يخفى أن هذه الأقوال ونحوها لا معول عليها لعدم اعتضاها بدليل من كتاب أو سنة ؛ فقد دلت الآية الكريمة على أن لإبليس ذرية ، أما كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح ؛ ومثله لا يعرف بالرأى^(١) .

المطلب الثالث

احمرار السماء عند انشقاقها

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية^(٢) نراه يورد قولين للعلماء في معنى (الدّهان) غير أنه يتوقف عن الاجتهاد في القول الأول منهما ، والمتمثل في أن السماء ستشق يوم القيامة ثم يحمرُّ لونها حتى تصير كلون الجلد الأحمر .

ويعلل الشنقيطي توقفه عن الاجتهاد في ذلك بعدم وجود نص من كتاب الله تعالى يمكن الرجوع إليه ، وبهذا يصرح قائلاً : ذكر الله جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن السماء ستشق يوم القيامة ، وأنها إذا انشقت صارت وردة كالدهان ، وقوله تعالى : ﴿وَرْدَةً﴾ أي حمراء كلون الورد ، وقوله تعالى : ﴿كَالدِّهَانِ﴾ فيه قولان معروفان للعلماء :

• الأول منهما : أن الدهان هو الجلد الأحمر ؛ وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مُشابهة للجلد الأحمر في لونه .

• والثاني : أن الدهان هو ما يدهن به ؛ وعليه فقد قيل : إنه جمع دهن ، وقيل : هو مفرد ؛ لأن العرب تسمى ما يدهن به (دهانا) على الأفراد ، ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَا مُتَعَجِّلٍ فَرِيَانٍ لِمَا تَدَهْنِي بِدِهَانٍ

• وحقيقة الفرق بين القولين :

أن القول الأول على أن الدهان هو الجلد الأحمر : فيكون الله تعالى قد وصف السماء عند انشقاقها يوم القيام بوصف واحد وهو الحمرة ، فشبها بحمرة الورد وحمرة الأديم الأحمر ، حيث قال بعض أهل العلم : إنها يصل إليها حرُّ النار فتحمرُّ من شدة الحرارة ،

(٢) الرحمن : ٣٧ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٢٢/٤ .

وقال بعضهم الآخر : إن أصل السماء حمراء إلا أنها لشدة بعدها وما دونها من الخواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته ، غير أنها تُرى يوم القيامة على حقيقة لونها .

أما القول الثاني على أن الدهان هو ما يدهن به : فإن الله تعالى قد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين معاً ، أحدهما حمرة لونها ، وثانيهما أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن .

وحالما يفرغ الشنقيطى من عَرْضِهِ لكلا القولين الواردين عن العلماء فى معنى (الدّهان) نراه يتوقف عن الاجتهاد فى القول الأول منهما قائلاً ما نصّه :

• أما على القول الأول ؛ فلم نعلم آية من كتاب الله تعالى تبين أن السماء ستحمرّ يوم القيام حتى تكون كلون الجلد الأحمر .

وهو فى ذات الوقت يسوق الآيات التى تشهد للقول الثانى وتؤيده قائلاً ما نصه :

• وأما على القول الثانى المتمثل فى أن السماء ستذوب وتصير مائعة ، فقد أوضحه الله جلّ وعلا فى غير هذا الموضع ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ الآية^(١) والمهل شىء ذائب على كلا القولين سواء قلنا : هو ردىء الزيت وعكره ، أو قلنا : إنه الذائب من الحديد أو النحاس أو نحوهما ، وقد أوضح الحق سبحانه أن المهل شىء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الآية^(٢) .

ثانياً : ما اجتهد فيه

المطلب الأول

القذف ببعض الألفاظ

ففى مَعْرِضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ الآية^(٣) نراه يجتهد رأيه إزاء القذف ببعض الألفاظ التى لم يردّ فيها نص ، حيث يقول فيها إمّا بالحدّ وإمّا بالتعزير وفقاً للعرف السائد بشأنها فى مواطنها ؛ وذلك قياساً لها على غيرها من

(١) المعارج : ٨ . (٢) الكهف : ٢٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧ / ٧٥٠ .

(٣) النور : ٤ .

الألفاظ المنصوص عليها ، ومن تلك الألفاظ التي لم تردّ النصوص بتحديدتها ثم اجتهد فيها الشنقيطي رأيه نذكر كلا من :

● القَرَطَبَان :

ويُعرفه الشنقيطي بقوله : هو الديوث الذي يُدخِلُ الرجالَ على (امراته) وقيل : هو الذي يرى مع امرأته رجلاً فيدعه خالياً بها ، وقيل : هو الذي يبعث امرأته مع غلام بالغ أو مع مُزارِعِهِ إلى الضيعة ، أو يأذن لهما بالدخول عليها في غيبته ، وقيل : هو القَوَاد الذي يجمع أو يكون سبباً في الجمع بين رجل وامرأة لمعنى غير ممدوح ، وأخيراً قيل : هو كل مَنْ لا غيرة له على امرأته ومحارمه^(١) .

ويُوصَلُ صاحبُ اللسان لهذا اللفظ مؤكداً معناه المذكور أخيراً فيقول : وأما (القَرَطَبَان) الذي تقوله العامة لـ (الذي لا غيرة له) فهو مُغَيَّرٌ عن وجهه ؛ لأن أصله الكَلْتَبَان (المأخوذ من (الكَلْب) وهو القيادة ، و(التاء والنون) رائدتان ، وهذه هي اللفظة القديمة عن العرب ، ثم غَيَّرْتَهَا العامة الأولى فقالت : (القَطَبَان) ثم جاءت بعدها عامةٌ سَفَلَى فغَيَّرَتْ على الأولى فقالت : (القَرَطَبَان)^(٢) .

● القَرَتَان :

ويُعرفه الشنقيطي بقوله : ومعناه عند العامة مثل معنى الديوث أو قريب منه ، وقيل : هو مَنْ له (بنات) ويُدخِلُ الرجالَ عليهن ، وقيل : هو الديوث المشاركُ قريبته في زوجته ، وقيل : إنه ليس من كلام العرب^(٣) .

وأما صاحب اللسان فيُعرفه بقوله : هو الذي يُشَارِكُ في امرأته كأنه يُقَرَّنُ به غيره ، وقيل : هو نعت سَوءٍ في الرجل الذي لا غيرة له ، وقيل : هو عربي صحيح ، كما قيل : إنه من كلام أهل الحَضْر ، أما أهل البادية فلم يلفظوا به ولم يعرفوه^(٤) .

● الكَشْحَان :

ويُعرفه الشنقيطي بقوله : ومعناه عند العامة أيضاً مثل معنى الديوث أو قريب منه ، وقيل : هو مَنْ له (أخوات) ويُدخِلُ الرجالَ عليهن ، وقيل : قد يُكسَّرُ فيقال (الكَشْحَان)

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ١٢٠/٦ - ١٢١ .

(٢) انظر مادة (قَرَطَب) في لسان العرب : ٣٥٩٢/٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ١٢١/٦ .

(٤) انظر مادة (قَرَن) في لسان العرب : ٣٦٠٧/٥ .

أى الديوث ، ومنه قولهم : (كَشَخَه تَكْشِيخًا وَكَشَخْتَةً) أى قال له : (يا كَشَخَان) وقيل : إنه ليس من كلام العرب^(١) .

وأما صاحب اللسان فيوجز تعريفه بقوله : هو الديوث ، ويقال للشاتم : لا تَكْشِخْ فلاناً ، ومنه (الكَشَخْتَةُ) وهى مؤلدة وليست عربية ، كما أن (الكَشَخَان) دخيل فى كلام العرب^(٢) .

ويعد أن يُعرّف الشنقيطى بهذه الألفاظ الثلاثة نراه يجتهد رأيه بشأن حكم من قذّف غيره بها فيقول ما نصّه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذى يظهر أن التحقيق فى هذه الألفاظ المذكورة أنها تتبع العرف الجارى فى البلد الذى قيلت فيه ؛ فإن كان من عرفهم أن المراد بها الشتم بما لا يوجب الحد ؛ فقد وجب فيها (التعزيز) لأجل الأذى ، ولا حد فيها ؛ وإن كان من عرفهم أنها يراد بها الشتم بالزنا أو نفي النسب ، وكان ذلك معروفاً أنه هو المقصود عرفاً ؛ فقد وجب فيها (الحد) لأن العرف متبع فى نحو ذلك ، والعلم عند الله تعالى^(٣) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى إنما يتفق والواقع المشاهد فى مختلف الأمصار والأعصار ؛ وذلك لأن بعض الألفاظ التى يقبلها ويستسيغها العرف السائد فى بلد ما ، قد لا يقبلها ولا يستسيغها العرف السائد فى بلد آخر ؛ ومن ثم فإن بعض هذه الألفاظ التى توجب التعزيز فى بلد ما ، هى ذاته التى توجب الحد فى بلد آخر ؛ وذلك وفقاً لما يقره العرف السائد فى كل منهما .

ولما كان إعمال العرف مما تعتبره أصول شرعنا الحنيف ما لم يخالف منصوصاً عليه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أو مجمعاً عليه من قبل علماء الأمة سلفها وخلفها ؛ لذا فقد علم أن اجتهاد الشنقيطى بشأن تردد حكم القذف بهذه الألفاظ بين (التعزيز والحد) وفقاً للعرف السائد فى مواطنها ، إنما يخص غير المنصوص عليه أو المنطوق به ، والذى بذات حكمه ألحق الشنقيطى حكم المسكوت عنه وقاسه عليه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٢١/٦ .

(٢) انظر مادة (كَشَخ) فى لسان العرب : ٣٨٨١/٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٢١/٦ .

المطلب الثاني

الانتفاع بلحوم الأضاحي

ففي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الآية^(١) نراه يجتهد رأيه إزاء انتفاع بؤساء الأمة وفقرائها في شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى بلحوم تلك الأضاحي التي يتركها الحجيج في (منى) يوم النحر دون أن تصل إلى من هم أهل للانتفاع بها .

ومن ثم ؛ فإنه يترتب على تركها نبتها وفسادها مما يتأدى عنه إيذاء سائر الحجيج بها ، فضلاً عما في ذلك من إضاعة الأموال التي أنفقت في شرائها ؛ وهذا مما يتعارض دون أدنى شك مع الهدف الذي من أجله شرع الهدى ، ألا وهو التقرب به إلى الله تعالى بما شرعه الله تعالى .

وإزاء الاجتهاد في انتفاع المسلمين بلحوم هذه الأضاحي ، وإصابة الهدف الذي من أجله شرعت ، يقول الشنقيطي ما نصه : واعلم أن ما يفعله كثير من الحجاج الذين يزعمون التقرب بالهدى يوم النحر من ذبح الغنم في أماكن متفرقة من (منى) لا يقدر الفقراء على الوصول إليها ، والتمكن منها ، فتركها مذبوحة ليس بقربها فقير يتفجع بها ، يؤدي إلى أن تضيع تلك الغنم بكثرة ، بل تتفخ ويتشربن ريحها في أقطار (منى) حتى يعم أرجاءها النتن كأنه نتن الجيف .

وكل ذلك لا يجوز ، وهو إلى المعصية أقرب منه إلى الطاعة ، ولا يجوز لمن بسط الله تعالى يده لإقرارهم على ذلك ؛ لأنه فساد وأذية لسائر الحجاج بالأرواح المنتنة ، كما أنه إضاعة للمال وإفساد له باسم التقرب إلى الله تعالى .

ودواء ذلك الداء المنتشر في (منى) كل سنة أن يعلم كل مُهدٍ وكل مُضحٍ أنه يلزمه إيصال لحم ما يتقرب به إلى الفقراء ؛ فعليه إذا ذبحها أن يؤجر من يسلخها طرية حين ذبحها ، أو يسلخها هو ويحملها بنفسه أو بأجرة ، حتى يوصلها إلى المستحقين ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الآية^(٢) ويقول تعالى : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الآية^(٣) فلا يمكنه إطعام أحد ممن أمره الله تعالى بإطعامهم إلا بإيصال ذلك إليهم ، ولو اجتهد في إيصاله إليهم لأمكنه ذلك ؛ لأنه قادر عليه .

(٣) الحج : ٣٦ .

(٢) الحج : ٢٨ .

(١) الحج : ٢٨ .

وعلى مَنْ بسط الله تعالى يده أن يعين الحجّاج المتقرّبين بهذه الدماء على طريق الإيصال إلى الفقراء بالطرق الكفيلة بتيسير ذلك كتهيئة عدد ضخّم من العاملين للإيجار يوم النحر على سلخ الهدايا والضحايا طريّة وحمل لحومها إلى الفقراء في أماكنهم ، وكتعدد مواضع الذبيح في أرجاء (منى) وفجّاج (مكة) ونحو ذلك من الطرق المعينة على إيصال الحقوق لمستحقيها .

ثم علم أن التحقيق في فقراء الحَرَم أنهم هم الموجودون فيه وقت نحر الهدايا من الأفاقيين وحاضري المسجد الحرام ؛ فإن ذَبِحَ في موضع فيه فقراء وختلّ بينهم وبين الذبيحة فقد أجزأه ذلك ؛ لأنه يَسَّرَ لهم الأكل منها بطريق لا كلفة عليهم فيها ، فكانه أطعمهم بالفعل ، والعلم عند الله تعالى^(١) .

● (رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطي إزاء اجتهاده بشأن انتفاع المسلمين بلحوم الهدى والأضاحي في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، هو ذات ما أقدمت على إنفاذه حكومة المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) ولا يزال قائماً حتى الآن .

وفي حوار أجرته (مجلة الأمة القطرية) مع الدكتور أحمد محمد علي (رئيس البنك الإسلامي) بجِدَّة حول (مشروع لحوم الهدى والأضاحي وكيفية الاستفادة منها) يقول :

جاء التفكير في هذا المشروع إثر الازدياد الكبير لأعداد الذبائح التي تضيغ في موسم الحج هَدْرًا ، وهذه المشكلة رغم صعوبتها إلا أنها تعتبر حديثة نسبياً ؛ لأن عدد الحجّاج كان محدوداً في الزمن السابق ، وقد كانوا يقيمون مدة أطول في المشاعر قبل العودة إلى بلادهم في قوافلهم ، ومن ثم فقد كانوا يمضون أياماً وليالي يدخرون لها بعض لحوم الهدى والأضاحي التي يتزودون بها .

وبعد أن تيسرت والله الحمد سبلُ الحج ، وظهرت وسائل السفر الحديثة ؛ فقد زاد عدد حجّاج بيت الله الحرام حتى وصل عدد الحاضرين في المشاعر إلى نحو ثلاثة ملايين نسمة ، كما ازدادت أعداد الذبائح في (منى) حتى وصلت إلى نحو مليون ذبيحة في كل موسم ، وهذا ما يستحيل معه الإفادة منها كلها في أثناء الموسم ؛ لأن ما يذبح منها من مطلع شمس أول أيام النحر إلى ظهر ذلك اليوم يُقدَّرُ بنحو نصف مليون ذبيحة .

وقد أوجد هذا التزايد مشكلة صحية كبيرة حيث كانت تُتركُّ هذه الذبائح على الأرض

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٥٣/٥ .

في المجازر ؛ ومن ثم فإنها تتعرض للتعفن والتلف وتكون سبباً في الأوبئة ؛ وهذا مما يتنافى ولاشك مع مقاصد الشرع من تقديم الهدى والأضحية ، كما أن فيه إهداراً وإضاعة للمال ؛ وقد أدى هذا الأمر بالمسؤولين فسى (المملكة العربية السعودية) إلى أن يبادروا في أيام الموسم إلى دفن وحرق ما يتركه الحجاج من الذبائح والفضلات حرصاً على سلامة الناس وصحتهم العامة .

وتلافياً لهذا الوضع المؤسف فقد قرروا القيام بدراسات متعددة بشأن الإفادة المُتلى من هذه اللحوم ، وقد كان هذا المشروع من نتائج تلك الدراسات ؛ حيث أمر خدام الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تعالى بتكوين لجنة المشروع الإفادة من لحوم الهدى والأضاحي ، تُشرف على كل ما يتصل بهذا المشروع وطرق تنفيذه .

وبناءً عليه ؛ فقد بدأت الاستفادة من لحوم كافة الأغنام التي ذبحت في مجزرة (المعيصم) النموذجية ، حيث استفيد مع بداية هذا المشروع عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) من حوالي (٧٠٠٠٠) رأس ، ثم ارتفع هذا العدد عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) إلى حوالي (١٨٦١٩٥) رأساً ، ثم ارتفع مرة أخرى حتى وصل عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) إلى حوالي (٣٠٧٢٦٧) رأساً .

وقد تم توزيع كميات من هذه اللحوم على فقراء الحَرَم ، كما تم شحن كميات منها إلى عدد من الدول الإسلامية لصالح الفقراء واللاجئين في كل من : (باكستان - بنجلاديش - الأردن - مالي - تشاد - جيبوتي - بوركينافاسو - اليمن الشمالي - السودان - موريتانيا) حيث تم نقل اللحوم إلى هذه الأقطار عبر وسائل النقل المختلفة برّاً وبحراً وجواً ، وعلى أن تظل هذه اللحوم أثناء النقل مُبرّدة أو مجمدة حسب الحاجة ، وذلك لضمان وصولها إلى المستفيد منها وهي في حالة مُرضية .

وأخيراً فإن الترتيبات الموضوعية لتوزيع هذه اللحوم على اللاجئين والمحتاجين في جميع هذه الدول هي ترتيبات ممتازة وفعالة بفضل الله تعالى^(١) .

(١) انظر تفصيل هذا المشروع مع بيانات البنك الإسلامي للتنمية إلى حجاج بيت الله الحرام ، وكذا الجداول الإحصائية المقارنة المبيّنة لأعداد الذبائح التي استفاد بها مستحقوها في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، وذلك من خلال الحوار الذي جاء بعنوان :

• لحوم الأضاحي (التنمية وتثمين الموارد الإسلامية) : حوار مع الدكتور أحمد محمد علي (رئيس البنك الإسلامي بجدة) - أجراه وائل صبري ميرزا - مجلة الأمة : ص ٢٤ - العدد ٧٢ - السنة ٦ - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية قطر - ذو الحجة ١٤٠٦ هـ = أغسطس ١٩٨٦ م .

وهكذا ينتقل اجتهاد الشنقيطي هنا بشأن (الانتفاع بلحوم الأضاحي) من حيز النظر إلى حيز التطبيق .

ولئن كان هذا المشروع قد رأى النور عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م) بعد رحيل الشنقيطي بقرابة عشر سنوات ؛ إلا أنه جاء تلبية لحاجة الأمة الماسة ، والتي طالما أملت فيه ، بل وتطلّعت إليه ؛ وذلك لما يعود به على فقرائها ومعوزيها بالخير العميم ، فضلاً عما يحققه لها من انتفاعها الأمثل بهذه اللحوم ، من خلال حفظها من التلف ، وصون أموالها من التبديد ؛ وفي هذا ما فيه من امتثال أمر الله تعالى ، واتباع سُنَّة نبيه ﷺ ما يحقق معنى التقرب إلى الله تعالى بما شرعه الله تعالى .

المطلب الثالث

بطلان الشيوعية وسقوطها

ففى مَعْرَضِ تفسيره لقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ الآية^(١) نراه يبدأ بتأكيد ما نطقت به هذه الآية الكريمة من تفاوت الخلاق فى الحظوظ والأرزاق ، وتباينهم فى المنازل والدرجات ؛ وذلك وفق ما اقتضته حكمة الخالق عز وجل ، العالم بأمورهم ، والمتصرف فى أحوالهم ، بما شاء وكيف شاء ، وهو على كل شىء قدير .

ثم يَعْمَدُ الشنقيطى بعد ذلك إلى اجتهاد رأيه إزاء بطلان الشيوعية وسقوطها فيما تدعو إليه من المساواة المزعومة بين أتباعها من خلال حملهم على التزام مبادئها الفاسدة ، والسير على نَظْمِها الهابطة ، والتي من أهمها قتل حرياتهم ، ونزع ملكياتهم ، فضلاً عن حصولهم على طعامهم ببطاقاتهم ، وحرمانهم مغادرة بلادهم ؛ فى مقابل إطلاق أيديهم فى ممارسة شهواتهم ، وتغيب عقولهم .

وإزاء تفسير الآية المذكورة ثم الاجتهاد من خلالها بشأن بطلان الشيوعية وسقوطها يقول الشنقيطى ما نصه : يبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه سبحانه لم يفوض إليهم أمر معايشهم وحظوظهم فى الدنيا ، بل تولى هو جلّ وعلا قسمة ذلك بينهم ؛ فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً ، وهذا ربيعاً وهذا ضبيعاً ، وهذا خادماً وهذا مخدوماً ، ونحو ذلك .

وإذن فالله جلّ وعلا لم يفوض إليهم حظوظهم فى الدنيا ، ولم يحكمهم فيها ، بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء وكيف شاء ، فكيف يفوض أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا فيمن يتزل إليه الوحي ؟! وكما ترى فإن هذا مما لا يعقل ، ولا يظنه إلا غيبى جاهل كالكفار المذكورين .

ثم إن قول الله تعالى هنا فى هذه الآية الكريمة : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ﴾ دالّ على أن تفاوت الناس فى الأرزاق والحظوظ إنما هو سُنّة من سُنن الله السماوية الكونية القدرية التى لا يستطيع أحد من أهل الأرض البتة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجوه كما فى قول الله تعالى : ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ الآية^(٢) .

وبذلك تَحَقَّقَ أَنَّ ما يتذرع به الآن الملاحدة المنكرون لوجود الله تعالى ، بل وللجميع النبوات والرسائل السماوية ، إلى ابتزاز ثروات الناس ، ونزع ملكهم الخاص عن أملاكهم ،

(١) الزخرف : ٣٢ .

(٢) فاطر : ٤٣ .

بدعوى المساواة بين الناس فى معاشهم ؛ لاشك أنه أمر باطل ، ولا يمكن بحال من الأحوال .

مع أنهم لا يقصدون ذلك الذى يزعمون ، وإنما يقصدون استثثارهم بأمالك جميع الناس ؛ وذلك ليتمتعوا بها ويتصرفوا فيها كيف شاءوا تحت ستار كثير من أنواع الكذب والغرور والخداع ، وهذا ما يتحققه كل عاقل مُطَّلِع على سيرتهم ، عَارِفٍ بأحوالهم مع مجتمعهم فى بلادهم ، فالطغمة القليلة الحاكمة ومن ينضم إليها هم المتمتعون بجميع خيرات البلاد ، فى حين أن غيرهم من عامة الشعب محرومون من كل خير ، مظلومون فى كل شيء ، حتى ما كسبوه بأيديهم يُعلفونه ببطاقة كما تُعلف البغال والحمير .

وقد علم الله جلّ وعلا فى سابق علمه يأتى ناس يغتصبون أموال الناس بدعوى أن هذا فقير وأن هذا غنى ، وقد نهى جلّ وعلا عن اتباع الهوى بتلك الدعوى ، بل وأعد من لم يتنه عن ذلك بقوله تعالى : ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآية^(١) وقوله تعالى هنا فى هذه الآية : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك أو أقدم عليه^(٢) .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى إزاء اجتهاده هنا بشأن بطلان الشيوعية وسقوطها ، فضلاً عن خيانة دعواتها وضلالهم ؛ لهُوَ مما يشهد له واقع تلك الأقطار ، وتؤيده أحوال قاطنيتها ، والذين ظلوا يرزحون تحت نير هذا الظلم ولا يزالون ، محكومين فى ذلك بالحديد والنار ، منهوبة مقدراتهم ، ومهدرة آدميتهم .

وإن نظرة عاجلة للتعريف بهذا المذهب الفكرى لتبين عن مدى سقوطه وبطلانه ، فضلاً عن اكتواء من اتخذوا فيه بناره ولظاه^(٣) .

* * *

(١) النساء : ١٣٥ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٤٣ - ٢٤٧ .

(٣) لمزيد من التفصيل عن (الشيوعية) وسائر ما يتعلق بها (من حيث نشأتها وأبرز مؤسسيها وأفكارها ومعتقداتها وانتشارها ومواقع نفوذها) راجع فى ذلك :

● الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة : ص (٣٠٩ - ٣١٣) - الطبعة ٢ -

إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ =

١٩٨٩ م .

الاسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يعرض له _____ الفصل الثالث : الاجتهاد

وبعد : فقد كانت هذه بعض اجتهادات الشنقيطى التى سقناها تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وسواء تلك التى توقف فيها ، أو الأخرى التى اجتهد فيها .

وقد اتضح من خلال تلك الاجتهادات مدى تنوعها وشمولها ، فضلاً عن احتكام الشنقيطى إلى كل من اللغة والأصول كضابطين يصدر عنهما ، ويعول عليهما ، إزاء ما يذهب إليه من اجتهادات ، أو يعرض له من آراء .

وفى هذا ما فيه من المنهجية والموضوعية ما يؤكد حرص الشنقيطى على حشد أدلته ، ودعم حجته ، فى كل ما يعرض له ، أو يصل إليه ؛ وبما يتأدى عنه فى النهاية اتفاقه مع ما تقرره القواعد المتبعة ، وتشهد به الأصول المعتمدة .

جماع القول فى هذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصوله الثلاثة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى كل من الأمرين التاليين :

١- الشمول :

ونعنى به شمول هذا التحليل بمحاورة الثلاثة المتمثلة فى كل من (الانتقاد) ثم (الاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) والتي انطوى كل منها بدوره على جملة من النماذج المختلفة ، وطائفة من الشواهد المتعددة ، والتي تتسم جميعها بالشمول ، وتميز فيما بينها بالتنوع ؛ وهذا ما يتضح جلياً من خلال محتوى كل محور منها على حدة .

فقد حوى (الانتقاد) موقف الشنقيطى النقديّ من ثمانية فروع تمثلت فى نقده كلاً من : (الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - المتكلمين - اللغويين - المؤرخين) .

ثم اشتمل (الاستنباط) على سبعة استنباط تمثلت فى كل من : (استخراج اللؤلؤ والمرجان - أقلّ أمد للحمل - مدة خلق السموات والأرض - ملاءمة جعل الطلاق بيد الرجل - بطلان دعوى مساواة المرأة بالرجل - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الجهاد فرض كفاية) .

وأخيراً فقد اشتمل (الاجتهاد) على ستة اجتهادات ، توقّف الشنقيطى فى ثلاثة منها تمثلت فى كل من : (استعمال الخطمى فى الإحرام - كيفية إنجاب الشياطين - احمرار السماء عند انشقاقها) فى حين اجتهد فى ثلاثة أخرى تمثلت فى كل من : (القذف ببعض الألفاظ - الانتفاع بلحوم الأضاحى - بطلان الشيوعية وسقوطها) .

وبالنظر إلى تلك الأمثلة التى سقناها تنبهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ يتبين لنا مدى شمولها وتنوعها ؛ بما يُخرِجها عن التحديد والاختصار ، أو القصور والاختصار ، وهذا ما يصيب الهدف منها ، ويحقق الغاية فيها .

٢- المنهجية :

ونعنى بها منهجية الشنقيطى فى تعاقب تلك المحاور الثلاثة وتلازمها ؛ الأمر الذى يتأدى عنه تمهيد السابق منها للاحق ، وارتباط اللاحق منها بالسابق .

القسم الثاني : الباب الثالث : السمة الثالثة التحليل لسائر ما يفرض له الفصل الثالث : الاجتهاد

فها هو يبدأ تحليله بـ (الانتقاد) حيث يُنعم النظر ، ويُجبل الفكر ، إزاء نقده جملة الآراء المُختلف فيها ، ولا يزال كذلك حتى ينتهي إلى ترجيح ما يراه راجحاً منها ، وفق أدلته الشرعية ، وضوابطه المعتمدة .

فإما أن يصيب هدفه ، ويدرك غايته ؛ وإلا عمَدَ عندئذ إلى (الاستنباط) حيث يستتج ما يراه ، ويستخرج ما يعنُّ له ؛ بما يُزيل إشكال ذلك النص الخفي ، ويرفع غموضه وإجماله ، وهو في هذا يبدأ من النص وينتهي إليه ، فلا يتعدى حدوده ، ولا يتجاوز إطاره .

وأيضاً إما أن يصيب هدفه ، ويدرك غايته ؛ وإلا عمَدَ أخيراً إلى (الاجتهاد) حيث يقدح زناد فكره ، ويُعمل غاية عقله ؛ بما تتحقق به آراء غير مطروقة ، وتتمخض عنه نتائج غير معروفة ، وهو في هذا يبدأ من النص وينتهي وراءه ، متعدياً حدوده ، ومتجاوزاً إطاره .

وفى هذا ما فيه من الترتيب المنهجي ، والترابط العلمي ؛ ما يحقق أتم فائدة مستطاعة ، ويبلغ أقصى نفع ممكن ؛ من هذا التفسير ومنهج صاحبه فيه ، وذلك من خلال مراحل المتعاقبة ، وخطواته المتتالية ، والتي تُسلم كل منها إلى ما بعدها ، وتعتمد كل منها على ما قبلها .

وبهذا ينتهي هذا الباب .

تعقيب

حول هذا المنهج

وبعد هذا التطواف في منهج الشنقيطي بأبوابه الثلاثة المتمثلة في (الجمع بين المأثور والمعقول) ثم (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) وأخيراً (التحليل لسائر ما يعرض له) فإنه يطيب لنا أن نشير في الختام إلى الأمور الثلاثة التالية :

(أولاً: الشمول :

ونعنى به شمول هذا المنهج الذى بدأ واضحاً جلياً في كل سمة من سماته الثلاث ؛ فإذا ما أنعمنا النظر وأجلنا الفكر في السمة الأولى مثلاً وجدناها وقد جمعت بين المأثور والمعقول ، واللين يشملان بدوريهما القرآن والسنة والآثار إلى جانب أقوال وآراء العلماء المحققين والمفسرين الاعتباريين .

ثم السمة الثانية حيث تُوصّل للعلوم العربية والإسلامية والتي تشمل بدورها سبعة علوم تمثلت في كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

وتأتى بعد ذلك السمة الثالثة والأخيرة المتمثلة في تحليل سائر ما يعرض له الشنقيطي في ثانيا تفسيره المختلفة حيث نقده لثمانية فروع تمثلت في كل من : (الإسرائيليات - المفسرين . المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - الفرق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) ثم يُردف ذلك النقد باستنباطاته المختلفة ، ومنها إلى اجتهاداته الخاصة التي يختتم بها هذا التحليل .

والناظر إلى طبيعة هذه السمات وما احتوته من جملة هذه العلوم وتلك الفنون ليبين له مدى شمول هذا المنهج وعمومه ، الأمر الذى كَفَلَهُ للشنقيطي ظرفه الزمنى من حيث تأخره ومعاصرته مما مكّنه من جمع حصاد المفسرين السالفين ، ومطالعة جهود العلماء المحققين ، وفى هذا ما فيه من الشمول والعموم ما لا يفتقد مثله إلى دليل ، ولا يفتقر إلى برهان .

ثانياً : الاصالة :

ونعنى به أصالة هذا المنهج الذى وافق به الشنقيطي ما سبق أن أجمع عليه العلماء وتواضع عليه المفسرون من أن أعظم وأجل ما يفسر به القرآن إنما هو القرآن ذاته ثم سنة

رسول الله ﷺ وأخيراً آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهو ما يُعرَف بـ : (المأثور) وبعده يأتي التفسير بأقوال العلماء وآراء المفسرين متى دعت إليها الحاجة واقتضتها الضرورة ، وهو ما يُعرَف بـ : (الرأى أو المعقول) .

وبالنظر إلى طرفى هذا المنهج المتمثلين فى (المأثور والمعقول) يتبين لنا مدى ما يتسم به هذا المنهج من الأصالة التى أقرها سلف الأمة وخلفها ، والتى سبق لنا الاستشهاد عليها والتدليل لها بما ورد عن كل من : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية والشيخ محبى الدين الكافيجى ، وذلك فى معرض جوابهما على ذلك السؤال الذى مفاده : ما هى أفضل الطرق لتفسير القرآن الكريم ؟

ثالثاً : المنهجية :

ونعنى بها هذا الترتيب المنطقى ، وذلك الترابط العلمى ، بين سمات هذا المنهج وركائزه الأساسية الثلاث بصفة عامة ، ثم بين المحاور الثلاثة (الانتقاد ثم الاستنباط وأخيراً الاجتهاد) والتى تقوم عليها السمة الثالثة المتمثلة فى التحليل بصفة خاصة .

فالشنقيطى يبدأ بالجمع بين المأثور والمعقول ، ثم يعمد إلى هذا المجموع ليؤصله من خلال جملة العلوم العربية والإسلامية التى عرّض لها فى ثانياً تفسيره المختلفة ، وأخيراً يتناول هذا كله بالنقد والاستنباط والاجتهاد .

وفى هذا ما فيه من الترتيب المنطقى ، والترابط العلمى ما يشهد لهذا المنهج بتلك المنهجية التى يتأدى عنها بالضرورة أثر تُسلم كل سمة من سمات هذا المنهج إلى ما بعدها ، وتعتمد فى ذات الوقت على ما قبلها ، وهل المنهجية إلا ارتباط السابق باللاحق ، واعتماد اللاحق على السابق ؟ !!

* * *

وأخيراً :

فإنه بالرغم مما يتسم به منهج الشنقيطى من (الشمول) و (الأصالة) و (المنهجية) إلا أن هناك من الملاحظات المنهجية التى يمكن أن تُحسب له ، وكذا الأخرى التى يمكن أن تُحسب عليه ، ما تقتضينا الضرورة أن نلفت النظر إليها ، وتلزمنا الحجة أن ننبه عليها ، وهذا ما تتكفل به نخامة هذا البحث فضلاً عن أهم نتائجه وتوصياته .

الخاتمة

وتتظم المطالب الثلاثة التالية :

- ١ - المطلب الأول : تقويم المنهج .
- ٢ - المطلب الثاني : أهم النتائج .
- ٣ - المطلب الثالث : أهم التوصيات .

المطلب الأول تقويم المنهج

ويتنظم المسألين التاليين :

- ١ - المسألة الأولى : ما يُحَسَّبُ له .
- ٢ - المسألة الثانية : ما يُحَسَّبُ عليه .

ونعنى بهذا التصويم رَصَدَ ما يمكن أن يُحَسَّبَ للشنقيطى وكذا ما يمكن أن يُحَسَّبَ عليه من جملة الملاحظات المنهجية التى عَرَضْنَا لها على مدار هذا البحث مشفوعة بشواهدا التفصيلية على النحو الذى وردت به فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ ومن ثم فإننا نكتفى هنا بمجرد الإشارة إلى جملة هذه الملاحظات من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

مَا يُحَسَّبُ لَهُ

وتتمثل جملة هذه الملاحظات المنهجية التى يمكن أن تُحَسَّبَ للشنقيطى فيما يلى :

١ - موافقة بعض عنوان التفسير :

ونعنى بذلك موافقة كل من قول الشنقيطى : (أضواء البيان) وكذا قوله : (إيضاح) فى دلالتهما على مضمونهما الذى التزم تطبيقه على مدار منهجه فى ثنايا التفسير المختلفة .

فقوله : (أضواء البيان) يعنى تسليط الأضواء الكاشفة التى تبدد الظلام ، وتبتر الطريق أمام الناظر فى المُجْمَل أو المُشْكَل أو الحَفِي من آيات القرآن ؛ وذلك طلباً لفهمها ، وتحصيلاً لمعناها ، وهذا ما يشير إليه الشيخ عطية محمد سالم من خلال إباتته عن منهج شيخه قائلاً : ما مات إلا بعد أن ترك فى كل مكتبة ، بل وفى كل منزل (أضواء البيان) التى تبدد الظلام ، وتهدى السبيل^(١) .

وأما قوله : (إيضاح) فيعنى تَوَجُّه منهجه إلى تلك الآيات التى يحتاج فهمها إلى الكشف والإبانة والإظهار لإزالة ما يقع بها من إجمال وإشكال وخفاء ، وبدهي أن تمثل هذه الآيات بعض القرآن وليس كل القرآن الذى يشتمل على غير ذلك من الآيات الظاهرة والتى تمثل بعضه الآخر .

ومن هنا فإن عمل الشنقيطى إنما ينحصر فى تفسير بعض آيات القرآن وليس كل آياته ، وهذا ما يؤكد تلميذه الشيخ عطية بقوله : ينبغى أن يُعْلَم أن تفسير (أضواء البيان) ليس تفسيراً شاملاً لجميع القبان كما يظنه البعض ممن يتطلبون فيه تفسير كل ما أُشْكَلَ عليهم^(٢) .

وبهذا تتضح مدى موافقة كل من كلمة (أضواء البيان) وكذا كلمة (إيضاح) فى دلالتهما

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/١ (من المقدمة بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٨ (الجزء الأول من التمهة بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم) .

على معنى (البعضية) من حيث تَوَجُّه كل منهما إلى بعض الآيات ، وليس كل الآيات ، وهذا ما التزمه الشنقيطى من خلال منهجه الذى طبقه فى ثنايا تفسيره المختلفة .

٢ - مناسبة المقام :

وإعمالاً لما هو معلوم من أن (لكل مقام مقال) لذا فإننا نجد الشنقيطى لا يفتر عن أن يذكر لكل مقام ما يناسبه من التعظيم والإجلال ، والاحترام والإكبار ، وهذا ما تجلّى واضحاً من خلال ذكره ربّ العزة سبحانه مقروناً بتزويده جلّ وعلا بما يليق بجلاله وكماله ، ثم ذكره رسول الله ﷺ مقروناً بالصلاة والسلام عليه ، ثم ذكره الصحابة والتابعين مقروناً بالترضية عليهم أجمعين ، وأخيراً ذكره العلماء الأعلام ، والأئمة الأفاضل ، من سلف هذه الأمة وخلفها ، مقروناً بالترحم عليهم والدعاء لهم .

٣ - الحب والخيرية :

لا يفتأ الشنقيطى يدعو لخاصة المسلمين وعامتهم بكل خير ، ويتعوذ من كل شر ، واجياً الحق سبحانه أن يُسَلِّمَهُ وإياهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يُوقِّفَهُ وإياهم إلى الصواب والسداد ، وأن يَهْدِيَهُ وإياهم سبيل الرشاد ؛ وفى هذا ما فيه من الدلالة على خيريته وحبه لأمة ما جعله ينزع فى منهجه ما بين الحين والآخر إلى الدعاء لابنائها بكل خير ، وتعويذهم من كل شر .

٤ - لزوم المشيئة :

وانطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآياتان^(١) يلزمُ الشنقيطى نفسه بتقديم المشيئة بين يدي كل ما يعتزم تناوله من تفسير آيات قادمة ، أو كل ما يتنوى أن يعرض له من قضايا مختلفة .

٥ - تفويض العلم لله تعالى :

لا يكاد يفرغ الشنقيطى من تفسير ما يعرض له من الآيات ، أو ما يتناوله من القضايا ، فى شتى فنون العلم وفروعه ؛ حتى يختم ذلك بخاتمته التى لا تكاد تغيب عمّن يتصفح تفسيره أو حتى يطالع فيه ، ألا وهى قوله : (والعلم عند الله تعالى) أو قوله : (والله تعالى أعلم) إلى غير ذلك مما يماثله فى المبنى والمعنى .

(١) الكهف : ٢٣-٢٤ (آيتان) .

٦ - رجاءه عفو الله تعالى فيما يقول :

وأما الجملة الثانية التي لا يكاد الشنقيطي أن يتخلف عن ذكرها عن ثنانيا تفسيره المختلفة فهي قوله دائماً : (قال مقيده عفا الله عنه) أو قوله : (قال مقيده عفا الله عنه وغفر له) وذلك في بدء ترجيح له ، أو رفع إشكال ، أو دفع توهم ، أو نقد رأى ، أو استنباط آخر ، أو اجتهاد خاص به .

٧ - تحوطه من الرأي :

وقد جاء هذا كنتيجة حتمية لما عُرِفَ عنه من تورعه عن الفتيا وحذره منها ، إلا فيما دعت إليه الضرورة ، واقتضته الحاجة ؛ حتى إن المحيطين به من أبنائه وطلابه ومحبيه إذا أرادوا أن يستنطقوه بالفتوى فليس أمامهم من سبيل إلى ذلك إلا أن يتكلموا أمامه بالخطأ ؛ وعندئذ لا يجد بدءاً من أن يفتى فيما سمع ، ويصوب ما قيل ؛ لأنه لا يُقَرُّ خطأ ولا يَسْكُتُ عليه اقتداءً في ذلك برسول الله ﷺ .

ثم بعد أن يفتى مضطراً نراه يعمد إلى الإعذار إلى الله تعالى فيبرئ ذمته من خلال مخاطبة المحيطين به قائلاً : (هذا كلام العلماء ، أما أنا فلا أحمّل شيئاً منه في ذمتي) كما كان يردد دائماً قوله : (إن الإنسان في عافية مادام بمنأى عن ابتلاء السؤال)^(١) .

وهذا ما انعكس بصورة واضحة من خلال منهجه الذي سلكه في ثنانيا تفسيره المختلفة حيث تحوطه من الرأي وحذره منه ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين ، فإما أن يُقدِّم على الرأي مضطراً إليه ، وإما أن يتوقف فيه إن لم تسعفه أدلته الشرعية ، أو تنهض به ضوابطه المعتمدة .

٨ - الرجوع إلى الحق :

ومما يُحمَد للشنقيطي ويُحسَب له رجوعه إلى الحق والتزامه به متى تبيَّن له ذلك ووقف عليه ، وهذا ما تجلَّى واضحاً من خلال منهجه الذي سلكه إزاء بعض القضايا التي عرَّضَ لها في ثنانيا تفسيره المختلفة كمسألتى : (الأشهر الحُرْم) و(زكاة الحلي) حيث رجع في الأولى عن قوله بنسخها إلى القول بأنها محكمة ، كما رجع في الثانية عن قول من حرم لبس الذهب للنساء وقت أن سأل رسول الله ﷺ المرأة اليمنية عن زكاته إلى القول بإباحة لبسه آنذاك ؛ لأنه ما كان لرسول الله ﷺ أن يسأل عن زكاة مُحَرَّم ولا يَسْكُتُ عليه^(٢) .

(١) الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطي (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٨/١ (من المقدمة) .

٩ - الأمانة العلمية :

لا يستنكف الشنقيطى عن اعترافه بعدم علمه فى بعض ما يعرض له ، ومن ذلك ما صرح به أثناء تناوله للأحد عشرَ لفظاً التى يشملها قوم الرجل والمتمثلة فى كل من : (الذرية - البنين - العقب - الولد - النسل - الآل - الأهل - القرابة - العشيرة - القوم - الموالى) حيث يُردف ذكره لها بقوله : ولم يحضرنى الآن تحديد يتميز به ما يدخل فى كل واحد منها وما يخرج عنه إلا على سبيل التقريب إلا لفظين منها وهما القرابة والعشيرة^(١) .

بل قد تقتضيه أمانته العلمية لأن يذكر ما زاده من عنده أحياناً فوق النص الذى ينقله عن غيره ، ومن ذلك ما صنعه فى معرض استشهاده ببيت من الشعر أورده الزمخشري فى تفسيره (الكشاف) حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصه : وما ذكره الزمخشري على طريقة قول رائد بن صعصعة الفقعسى :

إِذْ مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَيْسِمَةً وَلَمْ تُجَدِي مِنْ أَنْ نَقَرَى بِهَا بُدًّا

ثم يشير الشنقيطى بعد فراغه من هذا النقل بنصه عن الزمخشري قائلاً : (أهـ. منه بلفظه ، إلا أننا زدنا اسم قائل البيت وتكلمته)^(٢) .

١٠ - توثيق نقوله :

حيث يُعمد الشنقيطى فى نهاية نقله عن غيره من علماء السلف والخلف إلى تصريحه بنهاية نقله نصاً عنهم كقوله مثلاً : (أهـ. كلام السيوطى فى الإكليل)^(٣) أو تصريحه بنهاية نقله تلخيصاً عنهم كقوله مثلاً : (انتهى من التلخيص بلفظه)^(٤) .

وقد يصل به الأمر أحياناً إلى تصويب ما قد يقع من أخطاء فيما ينقل عنه من مصادر ، ومن ذلك ما صنعه مثلاً فى معرض نقله عن ابن كثير فى (تاريخه) حيث يقول ما نصه : (واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من تاريخ ابن كثير التى هى من الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ فيها تحريف مطبعى فى الكلام الذى ذكرنا ، ففيها : محمد بن سعد بن حسان والصواب محمد بن سعيد لا سعد ، وفيها : عن معاذ بن بشر والصواب عن عبادة بن نسي)^(٥) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٣٦/٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٥/٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٥/٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٢/٣ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٠٠/٤ - والسنة التى ذكرها الشنقيطى هنا هى بالتقويم الهجرى ، ويقابلها بالتقويم الميلادى عام ١٩٣٢ م .

بل قد يبلغ به الأمر أحياناً إلى ذكر المصدر الذي يتقل عنه محدداً عدد الصفحات التي رجع إليها ، ومن ذلك ما صنعه في نقله عن شيخ الإسلام (ابن تيمية) في (مجموع الفتاوى) حيث يقول ما نصه : (ومِمَّنْ جزم بهذا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فقد قال في الجزء الرابع من مجموع الفتاوى من صحيفة خمس وتسعين ومائتين إلى صحيفة تسع وتسعين ومائتين ما نصه : ...)^(١) .

١١- التآدب في مواطن الخلاف :

ويُعدُّ هذا التآدب من أهم ما يميز منهج الشنقيطي إزاء نقده غيره من علماء السلف والخلف أو خلافه معهم في هذا الرأي أو ذلك ، وقد سبق أن عرضنا في ثنايا البحث إلى العديد من شواهد تأدبه هذا في مواطن الخلاف ، ومنها مثلاً : إجلاله الطبري وذكر منزلته وعلو كعبه فضلاً عن إمامته وريادته في التفسير وذلك بين يدي خلافه معه ، وكذا إجلاله الإمام أحمد بن حنبل والإشادة بورعه وعبادته فضلاً عن ذمِّه عن السنة وذوِّده عن حياضها وذلك بين يدي خلافه معه في بعض الرأي .

بل إنه لم يترك تأدبه هذا حتى مع بعض المُحدِّثين الذين خاضوا فيه دونما حدٍّ أو حقٍّ ، ومنهم (أحمد الصاوي) حيث سَمَّاهُ في مَعْرِضِ رده عليه مرتين ذكره في الأولى منهما بقوله : (الشيخ أحمد الصاوي) ثم كان أقصى ما ذكره به في المرة الثانية أن قَلَّبَ اسمه فَحَسَّبَ حيث قاله : (الصاوي أحمد المذكور)^(٢) .

١٢- نقاد لا نقال :

والناظر في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ليتضح له بجلاء أنه نَقَّادٌ بصير وليس نَقَّالاً أو خَطَّابٌ ليل ؛ حيث لا يعمد إلى النقل دون النقد ، أو الجمع دون التحليل ، وهذا ما عرضنا له من خلال نقده كلاً من : (المفسرين - المُحدِّثين - الأصوليين - الفقهاء - المتكلمين - اللغويين - المؤرخين)^(٣) .

١٣- إعراضه عن الإسرائيليات :

ومما يُحَسَّبُ للشنقيطي ذلك المنهج الذي سلكه إزاء إعراضه عن ذكر بعض الإسرائيليات

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢٦/٦ .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص ٦٨٧-٦٩٣ من هذا البحث .

(٣) راجع تفصيل ذلك ص ٧٠٥-٧١٧ من هذا البحث .

التي لا جدوى منها ولا طائل وراءها ، ومن ذلك (اسم ولون كلب أصحاب الكهف) و (اسم الغلام الذي قتله الخضر وأنكر عليه موسى قتله) و (خشب سفينة نوح وكم طولها وعرضها) إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه ، ولا دليل على التحقيق فيه .

أما تلك الإسرائيليات التي تتعلق بأصول هذا الدين وحدوده ، أو تمس رسول الإسلام ﷺ وعصمته ؛ فإن الشنقيطي ينبرى للرد عليها مبيّناً سقوطها وحاكمياً ببطانها من خلال أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتمدة ، ومن أشهرها (قصة الغرائق) التي عرضنا لها بالتفصيل في موضعها من البحث^(١) .

١٤- الاستنباط والاجتهاد :

وتأتى استنباطات الشنقيطي واجتهاداته لتمثلان المحورين الثاني والثالث بعد المحور الأول المتمثل في انتقاداته ، حيث تقوم على هذه المحاور الثلاثة السمة الأولى من سمات منهجه في التفسير والمتمثلة في (التحليل لسائر ما يعرض له) بعد سمته الأولى المتمثلتين في (الجمع بين المأثور والمعقول) ثم (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) .

وبهذا يتّوجّ الشنقيطي منهجه بجملة هذه الاستنباطات وتلك الاجتهادات التي تُعدُّ ثمرة علمه ، وتناج فكره ، وهذا مما يُحسب له ، ويثري منهجه الذي بثّه ثانياً تفسيره المختلفة .

١٥- عزّمه على إكمال التفسير :

وأخيراً فإن مما يُحْمَد للشنقيطي ويُحسب له ذلك العزم الذي بدا واضحاً من خلال تصريحه برغبته الملحة ورجائه من الله تعالى أن يُطيل عمره وأن يُحسّن خاتمته حتى يختم تفسير القرآن كله ، غير أن المنية قد اخترمته دون أن يُدرك ما أراد حيث انتهى تفسيره بنهاية سورة (الحشر) وبها ينتهي الجزء (السابع) من (أضواء البيان) .

وفى هذا ما فيه من حرص الشنقيطي على أطراد منهجه ، وتطبيق طريقته ؛ ما جعله يتمنى أن تكون خاتمته ، بختام تفسيره لكامل القرآن من مبدئه إلى منتهاه ؛ وذلك حتى يتسنى للناظر في تفسيره أن يقف على منهجه في أى موضع منه متى تيسر وكيفما اتفق له هذا ، بقطع النظر عن أن يبدأ بأول التفسير ثم ينتهي بآخر ما وقف عليه الشنقيطي .

ولإدراك هذا الهدف ، وبلوغ تلك الغاية ؛ نهض الشيخ عطية محمد سالم بإكمال تفسير شيخه الشنقيطي فيما أسماه بـ (تتمة أضواء البيان) والتي تقع في الجزأين (الثامن

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٦٩٧-٧٠٤ من هذا البحث .

والتاسع) وهو إن كان قد صرَّحَ غير مرة بأنه لن يستطيع أن يكون كشيخه من حيث المنهج ، إلا أنه يكفيه أنه حاول الاقتراب منه قَدْرَ إمكانه وَوَسَّعَ طاقته ؛ خاصة وأنه استعان بكثير من الآيات التي فسَّرَها شيخه في ثنايا تفسيره المختلفة مما لم يفسره في الجزأين (الثامن والتاسع) وحسبنا أن نشير من هذه الآيات إلى آيات سورة (الناس) وهي آخر سور القرآن الكريم والتي عرَّضَ لها الشنقيطي من خلال تفسيره لسورة (هود)^(١) .

المسألة الثانية

ما يُحَسَّبُ عَلَيْهِ

وتتمثل جملة هذه الملاحظات المنهجية التي يمكن أن تُحَسَّبَ على الشنقيطي فيما يلي :

١ - عدم موافقة بقية عنوان التفسير :

ونعنى بذلك عدم موافقة قول الشنقيطي (القرآن بالقرآن) في دلالاته على مضمونه الذي لم يلتزم تطبيقه على مدار منهجه في ثنايا تفسيره المختلفة .

لأن هذا يفيد بذاته معنى الحصر والقصر ؛ حيث يُفهمُ من هذا التركيب أن الشنقيطي إنما أراد أن يَلْفِتَ الانتباه إلى أنه سيقْتصر في تفسيره هذا على تفسير القرآن بالقرآن فقط دون غيره ، وهذا ما لا يمكنه الالتزام به ، ولا يستطيع له .

ومن ثم ؛ فإنه تَرَدُّ على استخدام الشنقيطي لهذا المصطلح ومدى التزامه به بعض الملاحظات التي يمكن أن نرصدها فيما يلي :

● الملاحظة الأولى (لا وجه لهذا التحديد) :

إن قصر الشنقيطي تفسيره على القرآن بالقرآن كما حدده بالمدلول الذاتي لهذا المصطلح، إنما يُعدُّ حصراً وتضييقاً لا وجه له ؛ ومن ثم فهو مردود من وجهين :

الأول : من المُحَال أن يقتصر أيُّ مُفسِّر في تفسيره للقرآن على القرآن وحده ؛ ذلك لأن القرآن كله لم يفسَّر نفسه بنفسه من مبدئه حتى منتهاه ، وإنما فسَّرَ بعضه بعضاً ، ثم ليبقى الكثير منه بعد ذلك بحاجة إلى تفسيره بغيره ، ونعنى بغيره أي السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ثم آثار صحابته وتابعيه من السلف الصالحين ﷺ وهو ما يعرف بـ : (التفسير بالمأثور) هذا بالإضافة إلى تفسيره بما صحَّ عن تابعي التابعين ومن بعدهم من علماء

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٣/٨-٣/٥٠ .

الامة ، على اختلاف أعصارهم ، وتعدد أمصارهم ، إلى يومنا هذا ، بل وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهو ما يعرف بـ : (التفسير بالرأى) .

الثاني : لم يتفق هذا التحديد لغير الشنقيطى من مفسرى الأمة على امتداد مسيرة التفسير ، بمراحله العديدة ، وأطواره المختلفة ، فلم نعهد أحدهم وقد قصر تفسيره على القرآن بالقرآن فحسب ، وإنما نراهم وقد وسموا تفاسيرهم بما يشير إلى اتساع مجال التفسير ليشمل تفسير القرآن بالقرآن وبغير القرآن من المأثور والرأى ، ودون أن يقعوا فى هوة هذا الحصر ، أو يتقيدوا بإسار هذا التحديد ، والذي ألزم الشنقيطى به نفسه ، دونما أدنى مبرر، وفى غير ما إلزام .

● الملاحظة الثانية (عدم الالتزام بهذا التحديد) :

وعلى الرغم من تحديد الشنقيطى لمساره الذى قصره على تفسير القرآن بالقرآن كما جاء فى عنوان تفسيره ؛ إلا أنه لم يلتزم ذلك فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ حيث نجد تفسير القرآن بالقرآن وبغير القرآن من المأثور والرأى ، على غرار غيره من المفسرين السابقين واللاحقين ، الذين سلكوا ذات السبيل ، وساروا على نفس الدرب .

وبناءً عليه ؛ فلم يلتزم الشنقيطى بما ألزم نفسه به من قصر تفسيره على القرآن بالقرآن لا غير ؛ وأنى له أو لغيره أن يقدر على ذلك ، أو يستطيع له ؟ ! .

● الملاحظة الثالثة (ردُّ الحَمَلِ عَلَى الأَعْلَبِ) :

ولئن قيل : إن الذى حَمَلَ الشنقيطى على تضمين عنوان تفسيره ذلك المصطلح المحدد بقوله : (القرآن بالقرآن) إنما هو قصده فى الإشارة إلى أن الأغلِب والأوْلى فى تفسيره هو تفسير القرآن بالقرآن ذاته ؛ غير أن هذا مردود من وجهين :

الأول : أن هذا المصطلح المحدد موهم بخلاف مراده فى ذلك ؛ حيث إن قوله : (القرآن بالقرآن) لا يفيد سوى الحصر والتحديد .

الثانى : لم يعمد الشنقيطى إلى رفع هذا الإيهام بالتنبيه عليه فى مقدمة تفسيره ؛ وليقطع بذلك معنى القصر ، وينفى به معنى الحصر ، الحادث فى قوله : (القرآن بالقرآن) .

● الملاحظة الرابعة (ضَرْبٌ مِنَ السَّجْعِ المُوهِمِ) :

ولم يبقَ لنا إلا أن نرجح أن الذى حَمَلَ الشنقيطى على ذلك التحديد ، وقاده إلى هذا الحصر ، إنما هو رغبته فى تحقيق السَّجْعِ بين طرفى عنوان تفسيره ؛ ليوافق الطرف الأوْل فى قوله : (أضواء البيان) طرفه الثانى فى قوله : (القرآن بالقرآن) .

ولئن كان السَّجْعُ أمراً غير معيب ، بل قد يكون مندوباً إليه عند كثير من قدامى العلماء ومحدثهم ، على ما جرت به العادة على اتباعهم ذلك في تفاسيرهم وتصانيفهم .

إلا أن هذا السَّجْعُ يصير مردوداً ولا وجه له بحال ؛ إذا ما أدى إلى خلاف المراد منه ، أو حتى التباس الفهم بشأن المقصود به ، وهو ذات ما وقع فيه الشنقيطي بهذا السَّجْعُ الذي يوهم بخلاف مراده من تفسيره .

● الملاحظة الخامسة (صنيعٌ غيره من المفسرين) :

ينقسم المفسرون إزاء وقوعهم من عدمه في تحديد تفاسيرهم وقصرها على القرآن بالقرآن إلى فريقين :

أ - الفرق الأول (المعمّمون) :

وهؤلاء لم يقيّدوا عناوين تفاسيرهم بقصرها على تفسير القرآن بالقرآن ، ولم يلزموا أنفسهم حصرها فيه .

ولخروجهم من هذا التحديد فقد لجأ بعضهم إلى تضمين عنوان تفسيره ما يفيد عموم التفسير بالقرآن وغيره ، كإضافتهم لفظ (جامع) أو (الجامع) أو (مجمع) ومن أمثلة ذلك : (جامع البيان) للطبري ت (٣١٠ هـ = ٩٢٧م) - (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣م) - (مجمع البيان) للطبرسي ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣م) .

في حين لجأ بعضهم الآخر إلى استعمال بعض الألفاظ التي تدل بذاتها على الاتساع والشمول مثل (المحيط) و (البحر) و (النهر) ومن أمثلة ذلك : (البحر المحيط) و (النهر الماد من البحر) وكلاهما لأبي حيان الأندلسي ت (٧٥٤ هـ = ١٣٥٣م) .

أما أغلب المفسرين وأكثرهم فقد تركوا عناوين تفاسيرهم على إطلاقها لتفيد العموم والشمول بذاتها ، ومن أمثلة ذلك (الكشف والبيان) للثعلبي ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦م) - (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ت (٧٧٤ هـ = ١٣٧٣م) .

ب - الفريق الثاني (المحدّدون) :

وهؤلاء قد وقعوا فيما وقع فيه الشنقيطي ، من حيث قصر عناوين تفاسيرهم وحصرها في تفسير القرآن بالقرآن ؛ ومن ثم فإنه يُردُّ على صنيعهم هذا بمثل ما ردّ به على صنيع الشنقيطي من قبل .

وهؤلاء المفسرون وإن كانوا قلّة ؛ إلا أننا نمثّل لهم بكل من : الشيخ عبد الكريم

الخطيب ، والدكتور حسن عز الدين الجمل ، حيث وسَمَ كلاهما تفسيره بعنوان : (التفسير القرآني للقرآن)^(١) .

٢ - النقص والتداخل في صياغة المنهج :

عرَضَ الشنقيطي في مقدمة تفسيره لمنهجه الذي يعتزم أن يسلكه في ثنايا تفسيره المختلفة، غير أن ما نصَّ عليه في المقدمة لا يُعبَّر عما التزمه في سائر التفسير ؛ الأمر الذي تأدَّى عنه نقص وتداخل هذا المنهج من حيث صياغته والإبانة عنه .

فالذي ذكره الشنقيطي يتمثل في أنه سيبيِّن القرآن بالقرآن ملتزمًا في ذلك بالقراءات العشر ، إضافة إلى بيان الأحكام الفقهية بأدلتها من السنَّة وأقوال العلماء في غير ما تعصب مذهبي ، ثم تحقيق المسائل اللغوية ، وكذا الاستشهاد بشعر العرب ، مع تحقيق ما يُحتَاج إليه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث^(٢) .

وبإنعام النظر فيما ذكره الشنقيطي وُفِّقَ هذا الترتيب يتبين لنا مدى افتقار هذه الصياغة إلى كثيرٍ مما طَبَّقَه في ثنايا تفسيره دون أن يشير إليه أو يدرجه ضمن صياغته لمنهجه المذكور ، ومن ذلك تفسيره للقرآن بآثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم تفسيره كذلك بالرأي عندما تدعو إليه الضرورة وتقتضيه الحاجة ، وذلك من لدن عصر الاستشهاد بتابعي التابعين وحتى عصره الذي يعيش فيه بما في ذلك علم الكلام والتاريخ والسير ، إضافة إلى رأيه الذاتي واجتهاده الخاص على نحو ما فصلناه في موضعه من البحث .

وفضلاً عن هذا الافتقار فإننا نلاحظ ذلك التداخل الحادث في صياغته لهذا المنهج حيث كان الأحرى به أن يبدأ بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنَّة ثم بيانه الأصول ثم الفقه ثم اللغة خلافاً لترتيبه الذي ذكره في مقدمته آنفاً .

(١) راجع في ذلك كلاً من :

• التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب ت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) - القاهرة - (بدون بيانات) .

• التفسير القرآني للقرآن : د. حسن عز الدين الجمل - طبع الدار الفنية - القاهرة - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطي ١/٦٧-٦٨ (من المقدمة) .

٣ - الإطالة والاستطراد :

يستطرد الشنقيطي أحياناً في مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات بما يرقى لأن يكون بحثاً أصولياً أو فقهياً مستقلاً ومن ذلك مثلاً نذكر ما يلي :

● ففي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ الآية^(١) نراه يتحدث عمّا يحلُّ ولا يحلُّ من المطعومات من لحوم وغيرها بما يبلغ (٣٢) صفحة^(٢) .

● وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية^(٣) نراه يتحدث عن (الغنيمة والفيء بما يبلغ (٥٢) صفحة^(٤) .

● وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الآية^(٥) نراه يتحدث عن (هدى القرآن للأقوم) بما يبلغ (٥٠) صفحة^(٦) .

● وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ الآية^(٧) نراه يتحدث عن (القتل والقصاص وما يتعلق بهما من أحكام) بما يبلغ (٧٧) صفحة^(٨) .

● وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان^(٩) نراه يتحدث عن (القياس والاجتهاد) بما يبلغ (٧٦) صفحة^(١٠) .

● وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية^(١١) نراه يتحدث عن (الاجتهاد والتقليد) بما يبلغ (١٥٥) صفحة^(١٢) .

- | | |
|--|--------------------------------|
| (٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٢٤٦/٢-٢٧٧ . | (١) الأنعام : ١٤٥ . |
| (٤) أضواء البيان : الشنقيطي ٣٥١/٢-٤١٣ . | (٣) الأنفال : ٤١ . |
| (٦) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٠٩-٤٥٧ . | (٥) الإسراء : ٩ . |
| (٨) أضواء البيان : الشنقيطي ٩٩٤-٥٧٦ . | (٧) الإسراء : ٣٣ . |
| (١٠) أضواء البيان : الشنقيطي ٥٩٦/٤ - ٦٧٢ . | (٩) الأنبياء : ٧٨-٧٩ (آيتان) . |
| (١٢) أضواء البيان : الشنقيطي ٤٢٨/٧-٥٨٣ . | (١١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ . |

• بل إن أمر الإطالة والاستطراد قد بلغ بالشنقيطى إلى الحد الذى جعله يوقف (الجزء الرابع بكامله) على (تفسير سورة الحجّ وحدها) حيث استغرقت (٧٢٧) صفحة^(١) .

والشنقيطى فى هذا كله ليس بمَعزِلٍ عن إحساسه بإطالته واستطراده ؛ والدليل على ذلك تصريحه فى كثير من الأحيان بهما ، وتنبيهه القارىء إليهما ، كقوله مثلاً : (ولنكتفِ بما ذكرنا من الأحكام التى تتعلق بهذه الآية الكريمة خوف الإطالة المملة) وذلك فى نهاية تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية^(٢) .

وتفادياً لهذه الإطالة المملة على حد تعبيره فقد يلجأ إلى الاختصار كقوله مثلاً : (وقد جاءت فى ذلك قصة مطوّلة ملخصها : . . .) وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان^(٣) .

وقد يلجأ أحياناً أخرى إلى الإحالة على المصادر الموسّعة كقوله مثلاً : (ومن أراد الاطلاع فعليه أن ينظر كتب فروع المذاهب) وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الآية^(٤) .

٤ - التفريع :

وإزاء بيان سائر ما يتعلق بالآية من حكم وأحكام يلجأ الشنقيطى إلى التعقيب على هذه الآية أو تلك بعد فراغه من تفسيرها ، وذلك من خلال انتهاجه أسلوباً من التفريع يشمل عشرة أنواع تمثلت فى كل من : (الفصول - المسائل - الفروع - القضايا - التسيهات - الأسئلة - الأمور - النقاط - الجوانب - الوجوه) .

وهذا التفريع يتأدى عنه بالضرورة نوع من الاستقصاء والإطناب والتفصيل مما ينأى بالقارىء عن موضوع الآية لِيَجْرَهُ إلى جملة غير قليلة من الأقوال والآراء ، فضلاً عن المناقشات والترجيحات التى تُنْسِبُها ما هو بصدد طلبه أو النظر فيه ، وذلك على مدار التفسير كله .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤ - ٧٢٧ (الجزء الرابع بكامله) .

(٢) الأئفال : ٤١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/٤١٣ .

(٣) الأنبياء : ٧٨-٧٩ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٥٩٨ .

(٤) الزخرف : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/٢٣٥ .

٥ - التكرار :

وقد يلجأ الشنقيطي أحياناً أخرى إلى إعادة وتكرار تفسير ما سبق أن فسّره من الآيات المماثلة للآية التي يعرضُ لها ، وأكثر ما يقع منه ذلك في تفسيره للقرآن بالقرآن وهو ما سبق أن عرّضنا له بالتفصيل في موضعه من البحث من خلال (تفسير الشنقيطي بالمأثور) وذلك ضمن (جمعه في تفسيره بين المأثور والمعقول) .

٦ - الغموض :

ونعنى به إعراض الشنقيطي عن شرح المفردات اللغوية الغامضة ؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى استشكال فهمها على القارئ ، ومن ثم عدم وصوله إلى وجه الصواب فيها ، وليس أدلّ على ذلك من (حديث الدجال) الذي احتوى على سبعة وعشرين (٢٧) لفظاً غامضاً كلها بحاجة إلى الشرح وبيان المعنى وهو ما سبق أن عرّضنا له بالشرح والتفصيل في موضعه من البحث من خلال تناولنا (جمع الشنقيطي في تفسيره للقرآن بين القرآن والسنة) .

هذا بالإضافة أيضاً إلى عدم تناوله للمفردات الشعرية الغامضة بالشرح وبيان المعنى ، الأمر الذي يتأدى عنه التباس فهم القارئ فضلاً عن عدم وضوح الشاهد بالنسبة إليه في محلّ الاستدلال به ، وذلك على مدار شواهد الشنقيطي الشعرية في ثنايا تفسيره المختلفة ؛ وهذا ما حملنا على شرح بعض تلك المفردات التي استشهدنا بها في مواضعها المختلفة من البحث .

٧ - مآخذ عزوه وتوثيقه :

وتتراوح هذه المآخذ بين الخطأ في العزو والتوثيق ، ثم العزو دون تحقيق أو توثيق ، وأخيراً عدم العزو والتوثيق بالكلية ، وفي الأمثلة التالية تبيينها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

● الخطأ في عزو ونسبة بعض الأقوال إلى أصحابها مثل الخطأ في عزو قول الميبرقيّ إلى السخاويّ ، ونعنى بذلك قوله : (مَنْ وَرَّخَ مُؤمناً فكأنما أحياه) وقد عرّضنا لتحقيق ذلك من خلال تمهيدنا لترجمة الشنقيطي .

● العزو دون التوثيق مثل عزوه القول بأن (شعيب هو صهر موسى) إلى الخنابلة ، غير

أنه لم يوثق هذا العزو حيث اكتفى بالإشارة إلى أن صهر موسى قد يكون واحداً آخر غير شعيب دون أن يُحَقِّق ذلك^(١) .

● أما إعراضه عن العزو والتوثيق بالكلية فهذا مما يكثُر في ثنايا تفسيره المختلفة ، ويشمل كثيراً من الأقوال والآراء ، فضلاً عن النظم والأشعار .

٨ - مآخذ إيراده للآيات :

وتتمثل هذه المآخذ في كل من : (الخطأ - عدم الترتيب - عدم الترخيب - عدم الترتيب - عدم المنهجية) وفي الأمثلة التالية تنبيه بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

● فمن أخطاء الآيات ذلك الخطأ الذي تكرر مرتين في قوله : (ثم هم) وصوابه قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ الآية^(٢) .

● ومن عدم ترقيم الآيات التي يعرض لها بالتفسير جميع الآيات التي وردت في تفسيره عدا الجزء الرابع منه حيث التزم بترقيم جميع آياته في سورها الأربع التي شملت (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) .

● ومن عدم تخريج الآيات التي يعرض لها بالتفسير جميع الآيات التي وردت في تفسيره عدا آيات الجزء الرابع أيضاً .

● ومن عدم التزامه بالترتيب المصحفي للآيات التي يسوقها ليفسر بها الآية المطلوبة جميع الآيات التي وردت في تفسيره ، مع الأخذ في الاعتبار أنه قد يُخَرِّج بعضها في سورها أحياناً .

● ومن عدم المنهجية عدم تناوله لكثير من القضايا في أول موضع لها من القرآن ، ومثال ذلك إعراضه عن تناول الحروف المقطعة في (أول سورة البقرة) بل تجاوز أيضاً أوائل كل من (آل عمران - الأعراف - يونس) ولم يعرض لها إلا في (أول سورة هود)^(٣) وقد سبق أن فصلنا القول في ذلك من خلال حديثنا عن (علوم القرآن) ضمن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) في تفسيره .

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٧٠ / ٢ .

(٢) الذاريات : ١٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ٤٠٧ / ٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطي ٧-٣ / ٣ .

٩ - مآخذ إيراده للأحاديث :

وتشمل هذه المآخذ كلاً من : (الخطأ في الحكم على الحديث - الخطأ في التخريج - نقص التخريج - عدم التخريج - عدم ترتيب الروايات) وفي الأمثلة التالية تنبيه بها على غيرها مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالي :

● فمن الخطأ في الحكم على الحديث حكمه بالضعف على قول مَنْ قال : (إن الرؤيا التي أراه الله تعالى إياها هي رؤياه في المنام بنى أمية على منبره ﷺ وإن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية) بيد أن هذا القول لا أصل له من الصحة ، وليس ضعيفاً كما حكم عليه الشنقيطي ، وقد عَرَضْنَا لتفصيل هذا من خلال تناولنا لـ (علوم الحديث) ضمن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) في موضعه من البحث .

● ومن الخطأ في التخريج تخريجه لحديث رسول الله ﷺ الذي يبشر فيه بـ : «أن نصف أمته سيدخلون الجنة» حيث أخطأ في (الكتاب) و (الباب) اللذين ورد تحتها هذا الحديث في (صحيح البخارى) .

● ومن النقص في التخريج تخريجه لإحدى روايات الحديث السابق بذكره (الكتاب) و (بعض من الباب) دون ذكر بقية باب الطويل الذي أورده تحت البخارى في صحيحه .

● ومن عدم التخريج إعراضه عن تخريج بعض الأحاديث الذائعة كقول رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله» وكذا إعراضه عن تخريج بعض الأحاديث غير الذائعة كقول رسول الله ﷺ : «مَنْ أَعْتَقَ شِرْكَاً لَهُ فِي عَبْدٍ» .

● ومن عدم ترتيبه للروايات وفق ترتيب كتبها وأبوابها التي وردت تحتها في مصادرها من كتب السنة المختلفة ذات الحديث الذي يبشر فيه رسول الله ﷺ بـ : «أن نصف أمته سيدخلون الجنة» حيث خرَّجه في (كتاب التفسير) ثم (كتاب الرُّقَاق) ثم (كتاب أحاديث الأنبياء) وذلك بخلاف ترتيب البخارى لهذه الكتب في صحيحه والتي بدأها بـ (كتاب أحاديث الأنبياء) ثم (كتاب الرُّقَاق) وأخيراً (كتاب التفسير) .

هذا ، وقد عَرَضْنَا بالتفصيل لكل من : (الخطأ في التخريج - النقص في التخريج - عدم التخريج - عدم ترتيب الروايات) من خلال تعقيبنا على (علوم الحديث) ضمن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) في موضعه من البحث .

١٠- مآخذ إيراده للأحكام:

ومن ذلك ما وقع منه في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية^(١) حيث يرد تأويل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بعدم سماع الموتى لمخالفته النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، ثم يُعَقَّبُ على ذلك قائلاً : (وهذا التأويل لا يجب الرجوع إليه) .

فقوله : (لا يجب) ليس دقيقاً في الدلالة على مراده ؛ لأنه يُوهِمُ باحتمال (الجواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول : (لا يصح) بدلاً من (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتمل ، وهذا ما عرَضْنَا له بالتفصيل من خلال تعقيباتنا على (تفسير الشنقيطى للقران بالآثار) ضمن (جمعه في التفسير بين المأثور والمعقول) في موضعه من البحث .

ونعني بهذه النتائج أهم ما تَمَخَّصَ عنه البحث من جوانب الأصالة أو جوانب الجِدَّة التي يَتَسَمُّ بها هذا التفسير ومنهج الشنقيطى فيه ، والتي تتمثل بدورها فى النتائج الثلاث التالية :

النتيجة الأولى

الأصالة المنهجية

وتتمثل هذه الأصالة المنهجية فى موافقة الشنقيطى لمنهج سَلَف هذه الأمة فضلاً عن خَلْفها من العلماء المحققين والمفسرين المعتمدين الذين يُجْمَعُونَ على أن أشرفَ وأجلَّ ما يُفسَّر به القرآن هو القرآن ذاته إذ لا أحد أعلم بكلام الله عزَّ وجلَّ من الله عزَّ وجلَّ ، ثم تفسير القرآن بسُنَّة رسول الله ﷺ إذ لا أحد أعلم بكلام الله عزَّ وجلَّ بعد الله عزَّ وجلَّ من رسول الله ﷺ وأخيراً تفسير القرآن بما صَحَّ من آثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين إذ لا أحد أعلم بكلام الله عزَّ وجلَّ بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك ما يُعرَف بـ (التفسير بالمأثور) .

وبعد ذلك يأتى تفسير القرآن بما صَحَّ من أقوال العلماء من لدن عصر تابعى التابعين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومنَّ عليها ، وذلك ما يُعرَف بـ (التفسير بالرأى أو بالمعقول) .

وهذا ما سار عليه الشنقيطى والتزمه فى ثنايا تفسيره المختلفة حيث جمع بين (المأثور والمعقول) فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما أو الاستغناء بأحدهما عن الآخر بحال ، وهو ما يشهد به واقع التفسير فضلاً عما عليه عمل المفسرين على امتداد مسيرة التفسير وعبر مراحل وأطواره المختلفة .

وتلكم هى أصالة المنهج التى يؤكدُها شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه : (مقدمة فى أصول التفسير) والتى عَرَضْنَا لها بالتفصيل من خلال حديثنا عن (جمع الشنقيطى فى تفسيره بين المأثور والمعقول) وذلك فى موضعه من البحث .

النتيجة الثانية

الاتجاه الأصولى

يُيسَّرُ مَسَلِكُ الشنقيطى فى تفسيره بميلاد اتجاه جديد يمكن أن نطلق عليه (الاتجاه الأصولى فى التفسير) والذى يقوم فى الغالب على استخدام مصطلحات علم الأصول

وتوظيف قواعده المختلفة ، كما يُشكّل أسلوب علماء الأصول سدّاته ولُحمتَه في معظم ما يتناوله من المباحث الشرعية ، وجُلُّ ما يَعْرِضُ له من المسائل العلمية .

وليس أدلّ على تأثر الشنقيطي بهذا الأسلوب الأصولي الذي يَسْرِي بوضوح وجلاء في ثنايا تفسيره المختلفة من ذلك التناول الذي يبدو بالاستقراء والاستقصاء ، ثم يُرَدُّهُ بالسبب والتقسيم ، ويختمه في النهاية بالتحليل والاستنتاج .

ويأتي هذا التأثير الأصولي كنتيجة حتمية وردّ فعلٍ بدّهي لنشأته العلمية على علم الأصول وتضلعه منذ مرحلة الطلب من مباحثه العديدة وقواعده المختلفة ، وذلك من خلال توفره على المصدر الأصولي الأول بالنسبة إليه خاصة ، وغيره من طلاب العلم في بلاده عامة ، وهو المعروف بـ (مَرَأِي السُّعُود) مع شرحه المعروف بـ (نَشْرُ البُنُود) وكلاهما للأصولي الكبير عبد الله العلوي الشنقيطي .

وهذا ما دَفَعَ الشنقيطيّ لأن يُوجّهَ اهتمامه الخاص ، ويُولِي عناية الفائقة لشرح هذا المصدر الأصولي المنظوم ، بقصد تبسيط مباحثه وتقريب مطالبه لطلاب العلم من المعنيين بهذا الفن خاصة فضلاً عن غيرهم من المعنيين بعلوم الشرع عامة ، وذلك من خلال شرحه الموسوم بـ : (نثر الورد علي مراقي السُّعُود) وهم ما سبق أنت عَرَضْنَا له بالتفصيل ضمن حديثنا عن (مؤلفات الشنقيطي المطبوعة) في موضعها من البحث .

وهكذا يَصُبُّ هذا الاهتمام وتؤول هذه العناية إلى تأثير الشنقيطي الواضح بعلم الأصول وأتبعه البين لأساليب الأصوليين في تناول شتى المباحث الشرعية ، ومعالجة مختلف المسائل العلمية ؛ وهو ما يؤكد بدوره ما سبق أن أشرنا إليه من أن هذا المسلك من الشنقيطي في تفسيره إنما يُبَشِّرُ بميلاد اتجاه جديد يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصولي في التفسير) .

النتيجة الثالثة

الموسوعة التفسيرية

يعدُّ تفسير الشنقيطي الموسوم بعنوان : (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) أضخم أعماله المطبوعة وأدللها على الشمول والموسوعية ، وهو ما يبدو واضحاً جلياً من خلال استقرائه واستقصائه ثم تحليله واستيعابه لأقوال المفسرين المعتبرين وآراء العلماء المحققين على امتداد مسيرة التفسير وعبر مراحل المختلفة من لدن عصر تابعي التابعين وحتى عصره الذي يعيش فيه ، وقد ساعده على ذلك تأخُّره ومعاصرته مما يسرّ له الاطلاع على

سائر ما كتبه المفسرون قبله خاصة ، فضلاً عما أنتجته قرائح غيرهم من العلماء المعنيين عامة .

وإن نظرة فاحصة إلى هذا الكم الهائل من المصادر المختلفة التي حشدتها الشنقيطي في تفسيره لتؤكد ذلك الشمول وتبرهن على تلك الموسوعية ، حيث بلغت هذه المصادر مائتين وخمسة وأربعين (٢٤٥) مصدرًا جاءت مصنفةً وفق الجدول الإحصائي التالي :

م	المصدر	العدد
١	كتب التفسير وعلوم القرآن	٢٤٠
٢	كتب السنة وعلوم الحديث	٧٤
٣	كتب الفقه وأصوله	٦٢
٤	كتب العقيدة وعلم الكلام	١٢
٥	كتب العربية وعلومها	١٨
٦	كتب التاريخ والسير	١٦
٧	كتب العلوم المختلفة	١٠
٨	الكتب المبهمة	١٩
٩	كتبه الخاصة	٨
١٠	الأقوال العديدة	١
١١	الأشعار العديدة	١

وإذا ما أخذنا في الاعتبار تكرار كل نوع من هذه المصادر بما يند عن الحصر في ثانيا تفسيره المختلفة ، فضلاً عن تعدد الأقوال والأشعار التي استشهد بها ورجع إليها في ثانيا تفسيره المختلفة ؛ لتبين لنا أمام هذا الكم الهائل ، ولتأكد لنا أمام هذا الحشد الضخم من المصادر مدى ما يتسم به تفسير الشنقيطي من الشمول ، ومدى ما يتصف به من الموسوعية؛ الأمر الذي يمكننا معه أن نعتبره بمثابة (المعجم الجامع) أو (السجل الشامل) لتصانيف المفسرين السالفين ، وتأليف العلماء المعنيين ، وهو ما يصدق على وصفنا لتفسير الشنقيطي بـ (الموسوعة التفسيرية) .

المطلب الثالث أهمُّ التوصيات

وينتظم التوصيات الثلاث التالية :

- ١ - التوصية الأولى : القرآن بين التفسير والمنهج .
- ٢ - التوصية الثانية : التحقيق العلميّ الدقيق .
- ٣ - التوصية الثالثة : الإدراج ضمن مقررات الدراسات العليا .

ونعنى بهذه التوصيات أهمّ الأمور التي يرى البحث ضرورة أخذها بعين الاعتبار والعمل على تحقيقها إتماماً للفائدة وتعميماً للنفع بهذا التفسير ومنهج الشنقيطي فيه ، والتي تتمثل بدورها في التوصيات الثلاث التالية :

التوصية الأولى

القرآن بين التفسير والمنهج

وتتمثل هذه التوصية في ضرورة القرآن بين كل تفسير وبين منهج صاحبه فيه ، وهذا ما ينطبق بدوره على ضرورة التلازم بين (تفسير أضواء البيان) وبين (منهج الشنقيطي) بحيث لا تمتد أيدي الباحثين المعنيين خاصة ، فضلاً عن غيرهم من طلاب العلم عامة ، إلى هذا التفسير أو ذلك إلا وتمتد في ذات الوقت إلى منهج صاحبه فيه .

لأننا نرى أن (المنهج) إنما يعدُّ بمثابة (الخارطة) التي يسير على هديها كلُّ مَنْ أراد أن يطالع (التفسير) أو هو (الدليل) الذي يرشده إلى طريقة هذا المفسّر أو ذلك ؛ الأمر الذي يوفر عليه الجهد والوقت ويكفيه مؤنة البحث والتنقيب من خلال وقوفه على بُغْيَتِهِ من أقصر طريق وبلوغه مرآده من أيسر سبيل .

وليس أدلّ على ذلك من أن طالب العلم لو أراد مثلاً أن يقف على رأى الشنقيطي بصدد مسألة أصولية معينة ، أو قضية فقهية محدّدة ؛ فليس عليه سوى أن يرجع إلى السّمة الثانية من سمات منهجه والموسومة في هذا البحث بعنوان : (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) ثم يُعمد من خلاله إلى (علم الأصول) ومن بعده إلى (علم الفقه) وذلك حتى يتبين طريقة الشنقيطي في كليهما قبل أن يطالع تفسيره أو يبحث فيه دون أن يكون على بينة من أمره فيما يريد ، أمّا إذا عرّف منهجه ووقف عليه فإنه يمكنه بعد ذلك أن يسير على هُدَى في التفسير ليقيس الشبية بالشبيه ويضمّ النظر إلى النظر في غير ما إضاعة للوقت أو إهدار للجهد .

التوصية الثانية

التحقيق العلمي الدقيق

وتنبئنا هذه التوصية على ما سبق أن أشرنا إليه في النتيجة الثالثة من أن تفسير الشنقيطي إنما يعدُّ بمثابة (الموسوعة التفسيرية) وهو الأمر الذي يدعو إلى العناية بهذا التفسير ويُلفتُ الانتباه إلى ضرورة خدمته خدمة شاملة متميزة من خلال تناوله بالتحقيق العلمي الدقيق لسائر ما يحتويه وكافة ما يشمل من فنون العلوم وفروعها المختلفة .

فتفسير بهذا الشمول وهذه الموسوعية لَحَرَىٰ بأن تمتد إليه يد التحقيق الدقيق من ضبط وتخريج وتوثيق وفهرسة وتصنيف لاستخراج دُرِّهِ ولآلئهِ ، ومجلية فوائده ولطائفهِ ؛ وذلك لتيسير الاستفادة منه على الوجه الأمثل الذى يناسب شموله وموسوعيته .

وإنَّا لنسأل الله تعالى أن يوفقنا للنهوض بهذا العمل الضخم وأن يعيننا على إنجازهِ نظراً لما يستلزمه من الجهد والوقت ، وما يقتضيه من التفرغ والانقطاع ؛ خاصة وأنه يقع فى عشرة (١٠) أجزاء كاملة بلغت جملة صفحاتها ما يقرب من ستة آلاف وخمسمائة (٦٥٠٠) صفحة من القطع الكبير ، والله وحده المستعان ، وعليه التكلان .

التوصية الثالثة

الإدراج ضمن مقررات الدراسات العليا

وتأتى هذه التوصية فى النهاية لتضع تفسير الشنقيطى بين يدي طلاب الدراسات العليا المعنيين بالتفسير ومناهجه خاصة ، وغيره من العلوم الشرعية عامة ، وذلك من خلال إدراجه ضمن مقرراتهم الدراسية كأحد المصادر الموسوعية الشاملة فى مختلف فنون العلم وفروعه .

وليس من المبالغة فى شيء إذا قلنا إن هذا التفسير بما له من الشمول والموسوعية لَيَصْلُحُ لأن يكون مجالاً خصباً ثرياً للبحث فى العلوم اللغوية بصفة عامة ، فضلاً عن العلوم الشرعية بصفة خاصة .

فإدراج مثل هذا التفسير ضمن مقررات الدراسات العليا ليتأدى عنه بالضرورة تقوية ملكة البحث واتساع الفكر ، والذى يُسهم بدوره فى تحصيل أكبر نفع ممكن ، وتحقيق أقصى فائدة مرجوة .

وفى الختام

طائفة من :

الماء ثور عنه والماء ثور فيه

١ - من الماء ثور عن الشنقيطى :

- إن الدنيا أصغر من أن تكون لحي ووطناً .
- لو كانت الدنيا مية لأباح الله منها سد الخلة .
- الدنيا كالماء المالح كلما شرب منه الإنسان زاد ظمأ .
- ما ليس فى بطنك لا تعوّل عليه ، فالنصوص لا تُضيع ولا يُفرط فيها .
- تكايسوا ؛ فالغيبه ضَعْفٌ وخور .
- لا تأكلوا الغيبه فى مجلسى ؛ فأخذُ حسناتى وأنا شائب هذا لا صبر عليه ، والله لو تقتلوا أبنائى وتأخذوا أموالى لسامحتكم ، لكن أن تأخذوا حسناتى فلا .
- لو أنكم مُتّم ولم تَسبوا فرعونَ لم يقل لكم الله يوم القيامة لما لم تسبوا فرعون ؛ فاتركوا أعراض المسلمين ولا تتكلموا عليها ، واعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة .

٢ - من الماء ثور فى الشنقيطى :

- كان مثل (ابن جرير الطبرى) حيث كان يبدو كالمختصص فى كل العلوم .
(ابنه الدكتور عبد الله الشنقيطى)
- كان فى علمه مثل (الإمام مالك) فى زمانه .
(تلميذه وابن عمه أحمد بن أحمد المختار الشنقيطى)
- كان فى تفرغه للعلم والاشتغال به مثل (الإمام الشافعى) .
(تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم المصرى)
- كان يذكرنى بـ (شيخ الإسلام ابن تيمية) فى قوة استحضاره للآيات التى تناسب مع البحث .

(الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى)

● لو كان في هذا الزمن أحد يستحق أن يُسمى شيخ الإسلام لكان هو .

(تلميذه الدكتور بكر أبي زيد)

● لقد مُلِيَءَ عِلْمًا من رأسه حتى أخمص قدميه .

(سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى الحجاز سابقاً)

● كان إذا تكلم في الآية تتسابق إليه العلوم من بلاغة ونحو وشواهد عربية وغيرها بما يُدهشُ الحاضرين لما يرون من سعة علمه .

(فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري)

● كان بحراً في العلوم ، ولم يكن له منافع في تفسير القرآن بأنواعه الأربعة : بالقرآن والسنة وأقوال السلف واللغة العربية ، وعنده في اللغة استحضر عديم النظير ، وله حافظة نادرة قوية ، ويعتبر في وقته نادراً .

(فضيلة الشيخ حماد الأنصاري)

● كان واسع العلم بالتفسير واللغة وأقوال أهل العلم ، مع زهده وورعه وثبته في الأمر ، ومن سمع حديثه حين يتكلم في التفسير يعجب كثيراً من سعة علمه وإطلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يملُّ حديثه ؛ فرحمه الله رحمة واسعة ، ونفع المسلمين بعلومه .

(سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى الحجاز السابق)

* * *

واخيراً:

فإني لا أملك إلا أن أضرع إلى الله العليّ القدير أن يرحمَ الشنقيطيّ وسائر علماء المسلمين جزاء ما قدّموا وكفّاء ما أعطوا لدينهم وأمتهم .

كما أسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في السرّ والعلن ، وأن يُجَنِّبَنَا الخطأ والزلل ، وأن يطيل في أعمارنا ويحسن في أعمالنا ؛ ليستعملنا في خدمة شرعه الحنيف بكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم .

اللهمّ اكتبْ عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم ، واجعله وسائر أعمالنا في ميزان حسناتنا يوم اللقاء ، وامتنّ علينا يا مولانا بالقبول والرّضاء .

﴿ وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية (١) .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية (٢) .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلاماً على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

في الأولين والآخرين

أهـ

فهرس الفهارس

وينتظم الفهارس الخمسة التالية :

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس المراجع .
- ٥ - فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	٢
		١ - سورة الفاتحة	
٤٠٢	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١
٣٨١	٧	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ... ﴾	٢
		٢ - سورة البقرة	
٥٠٨	١	﴿ أَلَمْ ﴾	٣
٥٠٨-٣٨٠	٢	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٤
٣٨٠	٣	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا ... ﴾	٥
٣٨٠	٤	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ ... ﴾	٦
٦٤٣-٣٨٠	٦	﴿ نَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ ... ﴾	٧
٦٤٣-٣٨٠	٧	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى ... ﴾	٨
٥٢٩	٢٠	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ... ﴾	٩
٥١٠-١٣	٢٣	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ... ﴾	١٠
٥١٠-١٣	٢٤	﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي ... ﴾	١١
٣٤٦	٢٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ ... ﴾	١٢
٦١٤-٢٠٥	٣٠	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	١٣
١٢	٣٢	﴿ أَلَوْا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ ... ﴾	١٤
٣٥٩	٣٤	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... ﴾	١٥
٣٦٣	٣٧	﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ... ﴾	١٦
٣٦٣-٣٥٤	٤٠	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ ... ﴾	١٧
٥٠١-٣٩٠-٢٠٥	٤٣	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَّ ... ﴾	١٨
٣٥٤	٤٥	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا ... ﴾	١٩
٣٦٣	٤٧	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ ... ﴾	٢٠

٣٦٣-٣٥٥	٤٩	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءًا ... ﴾	٢١
٥٨٩	٥٤	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ ... ﴾	٢٢
٣٦٣-٣٥٥	٥٧	﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ... ﴾	٢٣
٤٥٨	٦٧	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ ... ﴾	٢٤
٥٤٩	٧٤	﴿ تَتَّقُوا اللَّهَ فَمَا كَانَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ ... ﴾	٢٥
٦٩٩	٧٩	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ ... ﴾	٢٦
٥٨٤	٨٠	﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ ... ﴾	٢٧
٣٩٠	٨٣	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ ... ﴾	٢٨
٣٩٠	١١٠	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا ... ﴾	٢٩
٤٩٧-٤٩٠	١١٥	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ ... ﴾	٣٠
٧١٥	١٢٥	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا ... ﴾	٣١
٦٣٣-٥٤٧-٢٩٥	١٤٠	﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ... ﴾	٣٢
٤٩٧-٤٩١	١٤٤	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ... ﴾	٣٣
٤٩٧	١٤٩	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ... ﴾	٣٤
١٤٨	١٥٦	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا ... ﴾	٣٥
٣٦٥	١٥٧	﴿ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴾	٣٦
٣٦٤	١٦٧	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ... ﴾	٣٧
٧٦٢-٦١٢-٤٤٣	١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ ... ﴾	٣٨
٣٩٠	١٧٧	﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ... ﴾	٣٩
٥٨٨-٥٨٦	١٧٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي ... ﴾	٤٠
٥٩٣-٥٨٩			
٤٩٧	١٨٠	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ ... ﴾	٤١
٥٩٣-٤٩٧	١٨٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا ... ﴾	٤٢
٤٩٧	١٨٤	﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ ... ﴾	٤٣

٤٩٧	١٨٥	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى ... ﴾	٤٤
٤٩٧-٤٨٦	١٨٧	﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ... ﴾	٤٥
٨٢٧	١٩٦	﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ... ﴾	٤٦
٤٦٣-٣٣٨	١٩٨	﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾	٤٧
٦٥٥	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ... ﴾	٤٨
٤٩٧	٢١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ ... ﴾	٤٩
٤٨٦	٢٢٢	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى ... ﴾	٥٠
٧٩١-٦٠٨-٤٨٦	٢٢٣	﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... ﴾	٥١
٦١٥	٢٢٩	﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ ... ﴾	٥٢
٧٩١-٦٢٠-٦١٥	٢٣٠	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَكَحَّحَ ... ﴾	٥٣
٧٩١	٢٣١	﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ ... ﴾	٥٤
٧٩١	٢٣٢	﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ... ﴾	٥٥
٧٨٧-٧٨٦	٢٣٣	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ... ﴾	٥٦
٤٩٨	٢٣٤	﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا ... ﴾	٥٧
٧٩١	٢٣٦	﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ ... ﴾	٥٨
٧٩١-١٦٠	٢٣٧	﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ ... ﴾	٥٩
٥٠١	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ... ﴾	٦٠
٤٩٨	٢٤٠	﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا ... ﴾	٦١
٦٣٠	٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ ... ﴾	٦٢
٦٤٠	٢٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي ... ﴾	٦٣
٦٤٠	٢٦٦	﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ... ﴾	٦٤
٤٢٩-٣٩٠	٢٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا ... ﴾	٦٥
٣٦٥	٢٧٥	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ... ﴾	٦٦
٣٦٥	٢٧٦	﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ ... ﴾	٦٧

٢٩٠	٢٧٧	﴿ نَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ... ﴾	٦٨
٧٤٠-٧٣٢	٢٨٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ ... ﴾	٦٩
٦٣٨-٤٩٨	٢٨٤	﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ ... ﴾	٧٠
٤٩٨	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا ... ﴾	٧١
٣ - سورة آل عمران			
٥٠٨	١	﴿ اَلَمْ ﴾	٧٢
٥٠٨	٢	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	٧٣
٥٠٨	٣	﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا ﴾	٧٤
٧٧١-٤٤٢	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ ... ﴾	٧٥
٢٣	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ ... ﴾	٧٦
٧٢٧	١٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ ... ﴾	٧٧
١٤٠	٢٣	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾	٧٨
٥٠٢	٢٤	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا ... ﴾	٧٩
٥٨٨	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ... ﴾	٨٠
٤٨٠	٥٩	﴿ نَ مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ ... ﴾	٨١
٤٩٩	٧٨	﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ... ﴾	٨٢
٤٤٥	٧٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ ... ﴾	٨٣
٧٠٧	٨٥	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾	٨٤
٣٣٧	٩٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا ... ﴾	٨٥
٣٦٦-٢٧٨-٢٣٤	٩٧	﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ ... ﴾	٨٦
٤٩٧	١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا ... ﴾	٨٧
٢٢٦-٨٨	١٠٣	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾	٨٨
٧٩٩-٢٤٠-١٦	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... ﴾	٨٩
٧٩٩	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ... ﴾	٩٠

٧٠٦	١٤٦	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا ... ﴾	٩١
٧٠٧	١٦٠	﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ .. ﴾	٩٢
٧٧٢-٤٧٠	١٨٦	﴿ لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ ... ﴾	٩٣
٤٥٩-٣٦٣-٣٥٥	١٨٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾	٩٤
٧٧٢-٤٧٠			
٦٢٩	١٨٩	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ ... ﴾	٩٥
٤٧٠	١٩٠	﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ... ﴾	٩٦
٧٧٢	١٩١	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ ... ﴾	٩٧
٣٦٦	١٩٨	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي ... ﴾	٩٨
		٤ - سورة النساء	
٣٨٥	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ... ﴾	٩٩
٣٦١	٣	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا ... ﴾	١٠٠
٥٠٧	٧	﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ... ﴾	١٠١
٨٠٠-٦٣٠-٥٠٧	٨	﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ... ﴾	١٠٢
٥٠٧	٩	﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ... ﴾	١٠٣
٥٠٧	١٠	﴿ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا ... ﴾	١٠٤
٥٠٧-٤١٢	١١	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ... ﴾	١٠٥
٥٠٧	١٢	﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ ... ﴾	١٠٦
٤٩٣-٤٩١	١٥	﴿ وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا .. ﴾	١٠٧
٥٠٢-٤٩٨			
٣٣٧	١٨	﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ ... ﴾	١٠٨
٣٦١	٢٤	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. ﴾	١٠٩
٣٦١	٢٥	﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ ... ﴾	١١٠
٨٠٢	٢٨	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾	١١١

٤١٥	٣١	﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ ... ﴾	١١٢
٤٩٨	٣٣	﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ ... ﴾	١١٣
٧٩٢	٣٤	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ ... ﴾	١١٤
٣٦١	٣٦	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ ... ﴾	١١٥
٣٤٦	٤٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً ... ﴾	١١٦
٤٩٣-٤٧١	٤٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ ... ﴾	١١٧
٦٩٨	٤٦	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ... ﴾	١١٨
٤٤٢-٤٠٠	٥٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	١١٩
٨١٩-٣٧١			
٧٧٢-٧٠٧-٤٧٠	٧٤	﴿ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ ... ﴾	١٢٠
٦٦٣	٧٦	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ... ﴾	١٢١
٥٨٨	٨٠	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى ... ﴾	١٢٢
٧٧٢-٤٤٤	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ... ﴾	١٢٣
٤٧٠	٨٣	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ ... ﴾	١٢٤
٧٧٢-٤٧٠	٨٤	﴿ فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ... ﴾	١٢٥
٨٠١	٩٥	﴿ لَا يَسْتَرِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ... ﴾	١٢٦
٨٠٣	٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ... ﴾	١٢٧
٨٠٣	٩٨	﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ .. ﴾	١٢٨
٨٠٣	١٠٠	﴿ وَمَنْ يهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	١٢٩
٥٠١-٣٨٩	١٠٣	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ... ﴾	١٣٠
٤٣٥	١١٩	﴿ وَلَا ضَلَّيْتُمْ وَلَا مَنِيتُمْ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلْيَتَكَنَّ أَدَانَ ... ﴾	١٣١
٧٥٠	١٢٣	﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ... ﴾	١٣٢
٧٥٠	١٢٤	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ... ﴾	١٣٣
٧٥٠	١٢٥	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ ... ﴾	١٣٤

٨٣٦	١٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ... ﴾	١٣٥
٣٣٧	١٣٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ... ﴾	١٣٦
٣٥١	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ ... ﴾	١٣٧
٧٥١	١٦٦	﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ ... ﴾	١٣٨
٧٧٥-٤١٢	١٧٦	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ ... ﴾	١٣٩
٥ - سورة المائدة			
٧٩٨-٢٢٦	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا ... ﴾	١٤٠
٢٧٢	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... ﴾	١٤١
٥٧٠-٥٢٧	٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... ﴾	١٤٢
٥٠٠	١١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾	١٤٣
٣٦٣-٣٥٥	١٢	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا ... ﴾	١٤٤
٦٩٨	١٣	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ ... ﴾	١٤٥
٦٢٩	١٩	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ... ﴾	١٤٦
١٥٧	٢٧	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ... ﴾	١٤٧
٧٢٥-٦٠٢-٥٨٥	٣٢	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ ... ﴾	١٤٨
٦٠٣-٦٠٢	٣٣	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	١٤٩
٦٢٩	٣٤	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٥٠
٣٨٣	٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ ... ﴾	١٥١
٣٦٤	٣٧	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ ... ﴾	١٥٢
٦٢٩	٤٠	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	١٥٣
٤٩٨	٤٢	﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ ... ﴾	١٥٤
٥٨٨-٥٦٧-٥٨٦	٤٥	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ ... ﴾	١٥٥
٥٩٠-٥٩٣-٥٨٩			
٦٠٢			

٥٩٣-٥٨٧	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ ... ﴾	١٥٦
٧٢٦-٧٢٥			
٤٩٨	٤٩	﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ ... ﴾	١٥٧
٧٦٦	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ... ﴾	١٥٨
٦٦٦	٧١	﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ ... ﴾	١٥٩
٧٩٩-٧٩٨	٧٨	﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ ... ﴾	١٦٠
٧٩٩-٧٩٨	٧٩	﴿ كَانُوا لَا يَتَّاهَرُونَ عَنْ مُكْرِمٍ فَعَلَوْهُ لَبِئْسَ مَا ... ﴾	١٦١
٧٩٨	٨٠	﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا ... ﴾	١٦٢
٧٩٨	٨١	﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ ... ﴾	١٦٣
٤٩٣-٤٩١	٩٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... ﴾	١٦٤
٧٨٤	٩٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ... ﴾	١٦٥
٧٧٥	١٠٣	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ ... ﴾	١٦٦
٧٩٨-٧٩٧-٣٩٥	١٠٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ ... ﴾	١٦٧
٤٩٨	١٠٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ ... ﴾	١٦٨
٦ - سورة الاتعام			
٧٥٦	١٤	﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ... ﴾	١٦٩
٢٣٤	١٩	﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي ... ﴾	١٧٠
٤١١	٢٣	﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا ... ﴾	١٧١
١٤	٣٣	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا ... ﴾	١٧٢
٧٠٧	٣٤	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَيَّ مَا ... ﴾	١٧٣
٦٤٤	٣٥	﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ ... ﴾	١٧٤
٣٤٤-٢٦-١٤-٤	٣٨	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ ... ﴾	١٧٥
٣٧١	٥٧	﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا ... ﴾	١٧٦
٥٠١	٧٢	﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ ... ﴾	١٧٧

٤٦٢	٧٦	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ... ﴾	١٧٨
٤٦٢	٨١	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ ... ﴾	١٧٩
٤٦٢	٨٢	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ ... ﴾	١٨٠
٤٦٢	٨٣	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ ... ﴾	١٨١
٧٢٦	٨٤	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا .. ﴾	١٨٢
٧٢٦	٨٥	﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١٨٣
٧٢٦	٨٦	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا ... ﴾	١٨٤
٧٢٦	٨٧	﴿ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ... ﴾	١٨٥
٧٢٦	٨٨	﴿ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾	١٨٦
٧٢٦	٨٩	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ .. ﴾	١٨٧
٥٩٢-٥٨٨	٩٠	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ قُل ... ﴾	١٨٨
٧٢٦-٧٢٥			
٦٩٩	٩١	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ... ﴾	١٨٩
٦٣٨-٣٦٢	١٠٣	﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ ... ﴾	١٩٠
٥٣١-٣٣٧	١٠٥	﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾	١٩١
٦٤٤	١٠٧	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ ... ﴾	١٩٢
١١٢	١١٦	﴿ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن ... ﴾	١٩٣
٣٧٢	١١٩	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... ﴾	١٩٤
٦٣٤-٤٠٤-٣٧٦	١٢٥	﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... ﴾	١٩٥
١٢	١٣٤	﴿ إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	١٩٦
٣٩٠	١٤١	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ ... ﴾	١٩٧
٥٨٤	١٤٣	﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ ... ﴾	١٩٨
٧٤٠-٣٩٠-٣٧٢	١٤٥	﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ ... ﴾	١٩٩
٨٥٢-٧٤١			

٧٧٦	١٤٦	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنْ ... ﴾	٢٠٠
٦٤٤	١٤٩	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٢٠١
٢٨	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا .. ﴾	٢٠٢
٦٥٤	١٦١	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا ... ﴾	٢٠٣
٧ - سورة الاعراف			
٥٠٩	١	﴿ الْآنص ﴾	٢٠٤
٥٠٩-٣٨١	٢	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ... ﴾	٢٠٥
٧٥١-٧٥٠	٧	﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾	٢٠٦
٣٦٠	١١	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ... ﴾	٢٠٧
٣٦٠-٢٩٠	١٢	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ .. ﴾	٢٠٨
٣٦٣	٢٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا .. ﴾	٢٠٩
٦٤٤	٣٠	﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ ... ﴾	٢١٠
٣٠٣	٣١	﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾	٢١١
٤٠١	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ .. ﴾	٢١٢
٧٧١	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ ... ﴾	٢١٣
٦٢٨-٥٤٧-٣٨٢	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ .. ﴾	٢١٤
٧٨٩-٦٣٠			
٧٨٤	٥٦	﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ .. ﴾	٢١٥
٤	٨٩	﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ... ﴾	٢١٦
٣٦٢	١٣١	﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ ... ﴾	٢١٧
٦٣٨-٦٣٦	١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ... ﴾	٢١٨
٦٤٠-٦٣٩			
٣٦٦	١٥٠	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ .. ﴾	٢١٩
٥٦٩	١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي ... ﴾	٢٢٠

٧٩٩	١٦٥	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ ... ﴾	٢٢١
٨ - سورة الأنفال			
٨٠٢	١٧	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ ... ﴾	٢٢٢
٤٠٣-٤٠٢	٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا ... ﴾	٢٢٣
٧٩٩-٧٩٧	٢٥	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ ... ﴾	٢٢٤
٧٣٢	٢٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ لَجْعَلْ لَكُمْ ... ﴾	٢٢٥
٦٧٦-٤٩٩-٤٨٩	٤١	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ... ﴾	٢٢٦
٧٣٩-٧٣٦-٧٣٥			
٨٥٣-٨٥٢			
٢٧٧	٦١	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ .. ﴾	٢٢٧
٤٩٨-٤٩٢-٤٩١	٦٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ ... ﴾	٢٢٨
٨٠٢-٤٩٩-٤٩١	٦٦	﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ... ﴾	٢٢٩
٧٩٢	٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ... ﴾	٢٣٠
٧٩٢	٧١	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ... ﴾	٢٣١
٧٧١	٧٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ .. ﴾	٢٣٢
٥٦٧-٧٩٨-٤٢٤	٧٥	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ... ﴾	٢٣٣
٩ - سورة التوبة			
٤١١	٥	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ... ﴾	٢٣٤
٤٩٩	٢٩	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ﴾	٢٣٥
٣١٧	٣١	﴿ تَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾	٢٣٦
٦٢٨-٥٦٥	٣٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ ... ﴾	٢٣٧
٧٣٧-٧١٢			
٤٩٨-١٢٦	٣٦	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي ... ﴾	٢٣٨
٥٠٠-٤٩٩	٤١	﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ ... ﴾	٢٣٩

٨٠٤	٧٨	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ ... ﴾	٢٤٠
٦٥٤	٨١	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ... ﴾	٢٤٢
٨٠٤	٨٦	﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ ... ﴾	٢٤٢
٢٥٨	٨٧	﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَيْهِ ... ﴾	٢٤٣
٥٠٠-٤٩٩	٩١	﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا ... ﴾	٢٤٤
١٠٠	٩٢	﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا ... ﴾	٢٤٥
٨٠٤	٩٣	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ ... ﴾	٢٤٦
٨٠٤	٩٤	﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا .. ﴾	٢٤٧
٤٢٣	١٠٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ... ﴾	٢٤٨
٨٠٤	١١٨	﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ ... ﴾	٢٤٩
٨٠٤	١١٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ... ﴾	٢٥٠
٨٠٤	١٢٠	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ .. ﴾	٢٥١
٨٠٤	١٢١	﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ... ﴾	٢٥٢
٥٠١-٤٩٩	١٢٢	﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ ... ﴾	٢٥٣
١٠ - سورة يونس			
٧٨٩-٦٣١	٣	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ﴾	٢٥٤
٧٧٧	٥	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ... ﴾	٢٥٥
٦٣٧-٣٢٣	٢٦	﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ .. ﴾	٢٥٦
٨١١-٤٥٩	٣٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا ... ﴾	٢٥٧
٧٧١-٤٤٢	٣٩	﴿ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ ... ﴾	٢٥٨
٦٥٥	٤٧	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ ... ﴾	٢٥٩
٨٥١-٧٢٨-٣٤٦	٦١	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ... ﴾	٢٦٠
١١ - سورة هود			
٥٤٤-٥١٣	١	﴿ الرِّيبَاتِ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ ... ﴾	٢٦١

٦٥٥	٨	﴿ وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ... ﴾	٢٦٢
٥٠٩-١٣	١٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ ... ﴾	٢٦٣
٥٠٩	١٤	﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ ... ﴾	٢٦٤
٤٠٠	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ .. ﴾	٢٦٥
٤٠٠	١٦	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ... ﴾	٢٦٦
٣٨١	٢٩	﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا ... ﴾	٢٦٧
٦٣١	٤٤	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ... ﴾	٢٦٨
٦١٤	٦١	﴿ وَإِنِّي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا ... ﴾	٢٦٩
٧٨٩	٧٠	﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ .. ﴾	٢٧٠
٤٨٥	٧٣	﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ... ﴾	٢٧١
٧٦٣	٨٠	﴿ قَالَ لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾	٢٧٢
٥٨٨	٨٣	﴿ وَإِنِّي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا ... ﴾	٢٧٣
٧٦٣	٩١	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا ... ﴾	٢٧٤
٣٩٠	١١٤	﴿ وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ... ﴾	٢٧٥
١٢ - سُورَةُ يُوسُفَ			
٣٩٨	١٤	﴿ قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا ... ﴾	٢٧٦
٥٨٢	١٨	﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ ... ﴾	٢٧٧
٢٦٨	٢٤	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ ... ﴾	٢٧٨
٥٩١-٥٩٠	٢٦	﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ .. ﴾	٢٧٩
٥٩١-٥٩٠	٢٧	﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ ... ﴾	٢٨٠
٦٦٣-٥٩٠-٨٧	٢٨	﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ ... ﴾	٢٨١
٣٦٦	٣١	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ .. ﴾	٢٨٢
٣٧١	٤٠	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ ... ﴾	٢٨٣
٧٦٠	٥٦	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا ... ﴾	٢٨٤

٥٤٨-٢٩٣	٧٧	﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلِهَا ... ﴾	٣٦٧
٤١٦-٤٠٩	٨٣	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ ... ﴾	٣٦٨
٤٨٤-٤١٧			
٤١٦-٤٠٩	٨٤	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾	٣٦٩
٤٨٤-٤١٧			
٤٨٤	٨٥	﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾	٣٧٠
٤٨٤	٨٦	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ ... ﴾	٣٧١
٤٨٤	٨٧	﴿ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعْتَبُهِ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ ... ﴾	٣٧٢
٤٨٤	٨٨	﴿ وَأَمَا مِنْ أَمْنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ... ﴾	٣٧٣
٤٨٤	٨٩	﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾	٣٧٤
٤٨٤	٩٠	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَيَّ ... ﴾	٣٧٥
٤٨٤	٩١	﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾	٣٧٦
٤٨٤	٩٢	﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾	٣٧٧
٤٨٤	٩٣	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا ... ﴾	٣٧٨
٤٨٤	٩٤	﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ ... ﴾	٣٧٩
٤٨٤	٩٥	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ... ﴾	٣٨٠
٤٨٤	٩٦	﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ... ﴾	٣٨١
٤٨٤	٩٧	﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾	٣٨٢
٤٠٧-٣٩٤-٣٩٣	٩٨	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ... ﴾	٣٨٣
٧٨٤-٤٨٤			
٤٠٧-٣٩٤-٣٩٣	٩٩	﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ ... ﴾	٣٨٤
١٠٠	١٠١	﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ... ﴾	٣٨٥
٤١٤	١٠٥	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ... ﴾	٣٨٦
١٥٧	١٠٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ ... ﴾	٣٨٧

١٥٧	١٠٨	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾	٣٨٨
١٥٧	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ ... ﴾	٣٨٩
١٥٧	١١٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُم ... ﴾	٣٩٠
١٩ - سورة مريم			
٥١٥-٥٠٩	١	﴿ كَهَيْعَتِمْ ﴾	٣٩١
٥٠٩	٢	﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾	٣٩٢
٣٧٤	١١	﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ... ﴾	٣٩٣
٧٢٦	١٦	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ آهْلِهَا ... ﴾	٣٩٤
٣٧٤	٢٥	﴿ وَهَزَيْ إِلَيْكَ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ ... ﴾	٣٩٥
٣٧٤	٢٦	﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ ... ﴾	٣٩٦
٣٢٨	٣٤	﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ ... ﴾	٣٩٧
٣٧٥-٣٦٧	٤١	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٣٩٨
٣٧٥-٣٦٧	٤٢	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا ... ﴾	٣٩٩
٣٧٥-٣٦٧	٤٣	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ... ﴾	٤٠٠
٣٧٥-٣٦٧	٤٤	﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ ... ﴾	٤٠١
٣٧٥-٣٦٧	٤٥	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنْ ... ﴾	٤٠٢
٣٦٧	٤٦	﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمَ لئن لَّمْ ... ﴾	٤٠٣
٣٦٧	٤٧	﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ ... ﴾	٤٠٤
٣٦٧	٤٨	﴿ وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا ... ﴾	٤٠٥
٣٦٧	٤٩	﴿ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا ... ﴾	٤٠٦
٣٦٧	٥٠	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ ... ﴾	٤٠٧
٦٣٠	٥٧	﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	٤٠٨
٢٧٧	٧١	﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	٤٠٩
٥٨٣	٧٧	﴿ أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾	٤١٠

٦٧٥-٥٨٣-٥٨٢	٧٨	﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾	٤١١
٦٧٥-٥٨٣-٥٨٢	٧٩	﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾	٤١٢
٤٣٠	٨٣	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾	٤١٣
١٥٧	٩٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ ... ﴾	٤١٤
٣٣٨-١٥٧	٩٧	﴿ فَإِنَّمَا يَسِرُنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ ... ﴾	٤١٥
١٥٧	٩٨	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ ... ﴾	٤١٦
٢٠ - سورة طه			
٥١٤	١	﴿ طه ﴾	٤١٧
٦٣١	٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾	٤١٨
٦٣١	٦	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا ... ﴾	٤١٩
٤	٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾	٤٢٠
٤	٢٦	﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾	٤٢١
٣٥٨-٣٥٧-٤	٢٧	﴿ وَاحْتَلَّ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾	٤٢٢
٣٥٨-٣٥٧-٤	٢٨	﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾	٤٢٣
٧٩٢	٥٠	﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾	٤٢٤
٣٥٧	٨٦	﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمْ ... ﴾	٤٢٥
٧٤٤-٣٥٧	٨٧	﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا ... ﴾	٤٢٦
٧٤٤-٣٥٧	٨٨	﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُزَارٌ فَقَالُوا هَذَا ... ﴾	٤٢٧
٧٤٤-٦٦٤	٨٩	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ ... ﴾	٤٢٨
٧٤٣	٩٠	﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ ... ﴾	٤٢٩
٧٤٣	٩١	﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾	٤٣٠
٢٩٥	١١٠	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ ... ﴾	٤٣١
٣٦٠	١١٦	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... ﴾	٤٣٢
٣٣٢	١٢٣	﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾	٤٣٣

٢٤-١٤	١٢٤	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ... ﴾	٤٣٤
٢٤-١٤	١٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾	٤٣٥
٢٤-١٤	١٢٦	﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ ... ﴾	٤٣٦
٣٥٤	١٣٢	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا ... ﴾	٤٣٧
٢١ - سورة الانبياء			
٣٩٤	١	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٣٨
٢٤٤	٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ... ﴾	٤٣٩
٧٢٦	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي ... ﴾	٤٤٠
٣٥٨	٢٦	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ ... ﴾	٤٤١
٣٥٨	٢٧	﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾	٤٤٢
٤١٠	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ ... ﴾	٤٤٣
٧٦٥	٤٤	﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٤٤٤
٣٤٦	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا ... ﴾	٤٤٥
٣٦٧	٥١	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾	٤٤٦
٣٦٧	٥٢	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي ... ﴾	٤٤٧
٣٦٧	٥٣	﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾	٤٤٨
٣٦٧	٥٤	﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	٤٤٩
٣٦٧	٥٥	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾	٤٥٠
٣٦٧	٥٦	﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ... ﴾	٤٥١
٣٦٧	٥٧	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي لَا تُكِيدُنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾	٤٥٢
٣٦٧	٥٨	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	٤٥٣
٣٦٧	٥٩	﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	٤٥٤
٣٦٧	٦٠	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾	٤٥٥
٣٦٧	٦١	﴿ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَيَّ أَعْيُنَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يُشْهَدُونَ ﴾	٤٥٦

٣٦٧	٦٢	﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾	٤٥٧
٣٦٧	٦٣	﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا ... ﴾	٤٥٨
٣٦٧	٦٤	﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٤٥٩
٣٦٧	٦٥	﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ ... ﴾	٤٦٠
٣٦٧	٦٦	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ... ﴾	٤٩١
٣٦٧	٦٧	﴿ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٤٦٢
٥٧٣-٤٤٤-٤٢٩	٧٨	﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ ... ﴾	٤٦٣
٨٠٨-٧١٦			
٨٥٣-٨٥٢			
٤٤٤-٧٢٩-١٢٦	٧٩	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ ... ﴾	٤٦٤
٨٠٨-٥٧٣			
٨٥٣-٨٥٢			
٦٦٤	٨١	﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ... ﴾	٤٦٥
٦٥٦	٩٢	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	٤٦٦
٣٩٤	٩٦	﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ ... ﴾	٤٦٧
٧١٦-٣٩٤	٩٧	﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ ... ﴾	٤٦٨
٤٨٠	٩٨	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ... ﴾	٤٦٩
٢٧٧	١٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ ... ﴾	٤٧٠
٢٧٧	١٠٢	﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ ... ﴾	٤٧١
		٢٢ - سُورَةُ الْحَجِّ	
٤٠٩-٤٠٨-٣٨٥	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ ... ﴾	٤٧٢
٤١٧-٤١٦			
٤٠٨-٣٨٥-١١٣	٢	﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ ... ﴾	٤٧٣
٤١٧-٤٠٩			

٤٦٣	٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴾	٤٧٤
٦٩١-٦٩٠-٦٦١	٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ... ﴾	٤٧٥
٤٦٣	٨	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴾	٤٧٦
٤٦٣	٩	﴿ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا ... ﴾	٤٧٧
٣٦٤	٢٢	﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا ... ﴾	٤٧٨
٧٦١-٧٥٩	٢٦	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ ... ﴾	٤٧٩
٦٩٠-٢٢٧	٢٧	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ ... ﴾	٤٨٠
٦٨٨-٣٣٨-٢٢٧	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي ... ﴾	٤٨١
٨٣٢-٦٩١-٦٩٠			
٧١٥	٢٩	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا .. ﴾	٤٨٢
٨٣٢	٣٦	﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ ... ﴾	٤٨٣
٧٠٣-٧٠١-٢٧٩	٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا ... ﴾	٤٨٤
٥٠١-٣٦٦	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ... ﴾	٤٨٥
٨٠٢-٦٥٣			
٢٣ - سورة المؤمنون			
٧٣٨-٣٧٥	٥	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاهِهِمْ حَافِظُونَ ﴾	٤٨٦
٣٧٥-٣٦١	٦	﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ... ﴾	٤٨٧
٧٣٨	٧	﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	٤٨٨
٣٦٦	٨	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	٤٨٩
٣٦٦	٩	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾	٤٩٠
٤٣١	١٤	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ... ﴾	٤٩١
٢٨٢	١٧	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا ... ﴾	٤٩٢
٧٨٤	٢١	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي ... ﴾	٤٩٣
٧٨٤	٢٢	﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾	٤٩٤

٦٣١	٢٨	﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ قُلْ ... ﴾	٤٩٥
٣٧٧-٣٧٦-٣٦٠	١٠٧	﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾	٤٩٦
٣٧٧-٣٧٦-٣٦٠	١٠٨	﴿ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	٤٩٧
٢٤ - سورة النور			
٤٩٨-٤٩٣-٤٩١	٢	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً ... ﴾	٤٩٨
٧٤٠-٥٠٢			
٤٩٩	٣	﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ ... ﴾	٤٩٩
٨٢٩	٤	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ ... ﴾	٥٠٠
١٠٦	٦	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ ... ﴾	٥٠١
٢٧٦	٢٦	﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ... ﴾	٥٠٢
٧٩٤	٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا ... ﴾	٥٠٣
٣٦٨-٣٦١	٣١	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... ﴾	٥٠٤
٧٩٤-٤٢٨			
٤٩٩	٣٢	﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ ... ﴾	٥٠٥
٣٦١	٣٣	﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ ... ﴾	٥٠٦
٥٠٠-٣٦١	٥٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ ... ﴾	٥٠٧
٥٠٠-٤٩٩	٦١	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ ... ﴾	٥٠٨
٢٥ - سورة الفرقان			
٧٥٥-٦٥٤	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ ... ﴾	٥٠٩
٨١٢-٤٤٥	٣٠	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا ... ﴾	٥١٠
٧٨٤	٥٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ... ﴾	٥١١
٥٢٩-٣٨٦	٥٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا ... ﴾	٥١٢
٣٦٩	٥٥	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا ... ﴾	٥١٣
٣٨١-٣٦٩	٥٦	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٥١٤

٣٨١	٥٧	﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ ... ﴾	٥١٥
٤٨٣-٣٨١	٥٨	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ ... ﴾	٥١٦
٦٣١-٣٨٢	٥٩	﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾	٥١٧
٨٢٢	٦٧	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ... ﴾	٥١٨
٦٦١	٧٥	﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ ... ﴾	٥١٩
٢٦ - سورة الشعراء			
٥١٥	١	﴿ طسّم ﴾	٥٢٠
٦٣٠	٦٣	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ ... ﴾	٥٢١
٥٤٤	١٩٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	٥٢٢
٦٤٣	٢١٤	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	٥٢٣
٧٠٢	٢٢١	﴿ هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴾	٥٢٤
٧٠٢	٢٢٢	﴿ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾	٥٢٥
٥ - سورة التمل			
٥١٥	١	﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾	٥٢٦
٦٨٧	٣٤	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ... ﴾	٥٢٧
٧٧٦	٤٤	﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ... ﴾	٥٢٨
٤١٠	٤٧	﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ ... ﴾	٥٢٩
٧٦٣	٤٩	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ... ﴾	٥٣٠
٧٨٥	٦١	﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَّ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ... ﴾	٥٣١
٨٥٧-٤٣٤	٨٠	﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ .. ﴾	٥٣٢
٢٨ - سورة القصص			
٥١٥	١	﴿ طسّم ﴾	٥٣٣
٤٦٤-٣٥٥	٥	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَّفُوا فِي ... ﴾	٥٣٤
٤٦٤-٣٥٥	٦	﴿ وَنُؤْتِيهِمْ فِي الْأَرْضِ نُرْيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ... ﴾	٥٣٥

٦٥٥	٢٣	﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ ... ﴾	٥٣٦
٥٩٣-٥٩٢	٢٧	﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْتِئَاتِي هَاتَيْنِ ... ﴾	٥٣٧
٦٦٠	٦٦	﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾	٥٣٨
٣٧١	٧٠	﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى ... ﴾	٥٣٩
٦٦٠	٧٦	﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ... ﴾	٥٤٠
٢٩	٨٥	﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ ... ﴾	٥٤١
٨٦٧-٣٧١	٨٨	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ ... ﴾	٥٤٢
٢٩ - سورة العنكبوت			
٦٦٦	٢	﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ... ﴾	٥٤٣
٧٥٥	١٧	﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَتَخْلُقُونَ ... ﴾	٥٤٤
٧٥٩	٢٦	﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ ... ﴾	٥٤٥
٣٥٤	٤٥	﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ... ﴾	٥٤٦
٣٠ - سورة المائدة			
٣٩٠	١٧	﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾	٥٤٧
٦١٤-١٣٥	٢١	﴿ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... ﴾	٥٤٨
٣٦١	٢٨	﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّن ... ﴾	٥٤٩
٧٢٨	٣٠	﴿ فَأَقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي ... ﴾	٥٥٠
٧٢٨	٣١	﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا ... ﴾	٥٥١
٣١ - سورة لقمان			
٧٨٩-٦٣١	٤	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ... ﴾	٥٥٢
٤٣٣	١١	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن ... ﴾	٥٥٣
٣٦٥	١٢	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن ... ﴾	٥٥٤
٣٦٥	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا ... ﴾	٥٥٥
٧٨٧-٧٨٦	١٤	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِرِأْدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ ... ﴾	٥٥٦

٣٤٦	١٦	﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ ... ﴾	٥٥٧
٣٦٤	٢٠	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾	٥٥٨
١٤٦	٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ... ﴾	٥٥٩
٣٢ - سورة الأحزاب			
٧٢٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ ... ﴾	٥٦٠
٧٢٧	٢	﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ ... ﴾	٥٦١
١٠٠	١٩	﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ ... ﴾	٥٦٢
٧٢٧-٦٧١-٥٨٨	٢١	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	٥٦٣
٤٩٩	٢٥	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ... ﴾	٥٦٤
٧٢٨	٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ... ﴾	٥٦٥
٧٢٨	٢٩	﴿ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ ... ﴾	٥٦٦
٧٩٥	٣٢	﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ ... ﴾	٥٦٧
٧٩٥-٤٨٥	٣٣	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ... ﴾	٥٦٨
٧٩٥-٤٨٥	٣٤	﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾	٥٦٩
٧٢٨-٧٠٩	٣٧	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ... ﴾	٥٧٠
٧٩١	٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ ... ﴾	٥٧١
٧٢٨-٤٩٩-٣٦١	٥٠	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ... ﴾	٥٧٢
٣٦١	٥٢	﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ ... ﴾	٥٧٣
٣٦٨	٥٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ... ﴾	٥٧٤
٣٦١	٥٥	﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا ... ﴾	٥٧٥
٣٧٠-٣٥٨	٦٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ... ﴾	٥٧٦
٣٧٠-٣٥٨	٦٥	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءً وَلَا نَصِيرًا ... ﴾	٥٧٧
٣٧٠-٣٥٨	٦٦	﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا ... ﴾	٥٧٨
٣٧٠-٣٥٨	٦٧	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ... ﴾	٥٧٩

٣٧٠-٣٥٨	٦٨	﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾	٥٨٠
		٣٤ - سورة سبأ	
٣٤٦	٣	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ... ﴾	٥٨١
٧٠٢	٢١	﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ... ﴾	٥٨٢
٣٤٦	٢٢	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا... ﴾	٥٨٣
٣٦٢	٢٧	﴿ قُلِ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ... ﴾	٥٨٤
١٢	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... ﴾	٥٨٥
٢٥٩-١٠٠	٥٤	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ... ﴾	٥٨٦
		٣٥ - سورة فاطر	
٧٨٥-٧٨١	١٢	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٍ سَائِعٌ... ﴾	٥٨٧
١١٣	٣٢	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... ﴾	٥٨٨
٣٦٥	٣٧	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ... ﴾	٥٨٩
٨٣٦	٤٣	﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ... ﴾	٥٩٠
		٣٦ - سورة يس	
٥١٥	١	﴿ يَسَ ﴾	٥٩١
٦٤٣	٧	﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٩٢
٦٤٣-٥٨٩	٨	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ... ﴾	٥٩٣
٦٤٣	٩	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا... ﴾	٥٩٤
٦٤٣	١٠	﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٩٥
٧٧٦	٣٩	﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾	٥٩٦
		٣٧ - سورة الصافات	
٢٧٥	٢٤	﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ ﴾	٥٩٧
٢٧٥	٢٥	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾	٥٩٨
٥٦٩	٦٢	﴿ أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴾	٥٩٩

٥٦٩	٦٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾	٦٠٠
٥٦٩	٦٤	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾	٦٠١
٥٨٢	١٣٧	﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾	٦٠٢
٥٨٢	١٣٨	﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٠٣
٧٠٦	١٧١	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦٠٤
٧٠٦	١٧٢	﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾	٦٠٥
٣٨ - سورة ص			
٦٦٢	٢	﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾	٦٠٦
٦٥٢	٣	﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تِلْكَ ... ﴾	٦٠٧
٣٦٨	٤	﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ ... ﴾	٦٠٨
٣٦٨	٨	﴿ أَوْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ... ﴾	٦٠٩
٤٨٥	٣١	﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾	٦١٠
٤٨٥	٣٢	﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ... ﴾	٦١١
٤٨٥	٣٣	﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾	٦١٢
٤٨٥	٣٤	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ... ﴾	٦١٣
٤٨٥	٣٥	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي ... ﴾	٦١٤
٣٥٩	٧٤	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	٦١٥
٣٦٠	٧٥	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ ... ﴾	٦١٦
٣٦٠	٧٦	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾	٦١٧
٣٩ - سورة الزمر			
٣٨٣	٣	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ ... ﴾	٦١٨
٤٠٥-٣٧٦	٢٢	﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ ... ﴾	٦١٩
٦٥٥	٢٨	﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	٦٢٠
٧٢٨	٦٥	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ ... ﴾	٦٢١

٧٦٠	٧٤	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ... ﴾	٦٢٢
		٤٠ - سورة غافر	
٥٠٧	١	﴿ حَمَّ ﴾	٦٢٣
٥٠٧	٢	﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	٦٢٤
٣٨٤	٦	﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	٦٢٥
٣٨٤	٧	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ ... ﴾	٦٢٦
٣٨٤	٨	﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ ... ﴾	٦٢٧
٣٨٤	٩	﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ ... ﴾	٦٢٨
٣٨٤	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ ... ﴾	٦٢٩
٣٨٤-٣٦٥	١١	﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا ... ﴾	٦٣٠
٣٨٤-٣٦٥	١٢	﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ ... ﴾	٦٣١
٧٥٦-٣٨٤	١٣	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	٦٣٢
٧٥٦-٣٨٤	١٤	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	٦٣٣
٣٨٤	١٥	﴿ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ ... ﴾	٦٣٤
٣٨٤	١٦	﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ... ﴾	٦٣٥
٣٨٤	١٧	﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ... ﴾	٦٣٦
٣٦٢	١٨	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ... ﴾	٦٣٧
٣٨٤	٢٣	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾	٦٣٨
٣٨٤	٢٤	﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾	٦٣٩
٣٨٤	٤٧	﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ ... ﴾	٦٤٠
٣٨٤	٤٨	﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ ... ﴾	٦٤١
٧٠٦	٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾	٦٤٢
٣٨٤	٨٢	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾	٦٤٣

٤١ - سورة فصلت			
٧٩٠-٧٨٩-٧٨٨	٩	﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي ... ﴾	٦٤٤
٧٩٠-٧٨٨	١٠	﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ... ﴾	٦٤٥
٧٩٠-٧٨٩-٧٨٨	١٢	﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ ... ﴾	٦٤٦
٧٠٣-٢٨-٢٦-١٤	٤١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ ... ﴾	٦٤٧
٧٠٣-٢٨-٢٦-٤	٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ... ﴾	٦٤٨
٣٠	٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ ... ﴾	٦٤٩
٤٢ - سورة الشورى			
٥١٥	١	﴿ حَمَّ ﴾	٦٥٠
٥١٥	٢	﴿ عَسَقَ ﴾	٦٥١
٦٤٤	٨	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ ... ﴾	٦٥٢
٨٢٢-٣٧١-٣١٧	١٠	﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ... ﴾	٦٥٣
٥٨٤-٢٩٥	١١	﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ... ﴾	٦٥٤
٦٣٣-٦٣٢			
٧٢٧-٧٢٦	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ... ﴾	٦٥٥
٤٠٠	٢٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ... ﴾	٦٥٦
٤١٥	٣٧	﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ... ﴾	٦٥٧
٤٣ - سورة الزخرف			
٦٣١	١٣	﴿ لَتَسْتَوْا عَلَىٰ ظَهْرِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ ... ﴾	٦٥٨
٦٥٦	٢٢	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ... ﴾	٦٥٩
٨٥٣-٦٥٦	٢٨	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٦٦٠
٦٥٦	٣٠	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾	٦٦١
٨٣٥-٨٢٢	٣٢	﴿ أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا ... ﴾	٦٦٢
٧٢٦	٤٥	﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا ... ﴾	٦٦٣

٤٨٠	٥٧	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴾	٦٦٤
٤٨٠	٥٨	﴿ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا ... ﴾	٦٦٥
٣٦٥	٧٧	﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ ... ﴾	٦٦٦
٣٦٩	٨١	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾	٦٦٧
٤٤ - سورة الجاثية			
١٧٠	١٠	﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ... ﴾	٦٦٨
٤٥ - سورة الاحقاف			
٣٣٨	٩	﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ ... ﴾	٦٦٩
٧٨٨-٧٥٧-٧٨٦	١٥	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ... ﴾	٦٧٠
٦٥٩-٤٣٥-٤٠٠	٢٠	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذهبتم ... ﴾	٦٧١
٤٥ - سورة محمد ﷺ			
٣٧٥-٣٦١	٤	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى ... ﴾	٦٧٢
٥٨٧	١٠	﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾	٦٧٣
٣١٥-٢٥٨-١٢٦	٢٤	﴿ أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	٦٧٤
٦٩٢-٤٦٨-٤٤٤			
٨٥٢-٨٠٨-٧٢٩			
٢٧٧	٢٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ... ﴾	٦٧٥
٤٧ - سورة الفتح			
٥٤٧	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ ... ﴾	٦٧٦
٨٠٣	١٦	﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ ... ﴾	٦٧٧
٨٠٣	١٧	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ ... ﴾	٦٧٨
٥٠٠	٢٠	﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ ... ﴾	٦٧٩
٥٢٩-٥٠٠	٢١	﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ... ﴾	٦٨٠
٥٠٠	٢٢	﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا ... ﴾	٦٨١

٥٠٠	٢٣	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ .. ﴾	٦٨٢
٥٠٠	٢٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ... ﴾	٦٨٣
٣٥٠	٢٧	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ... ﴾	٦٨٤
٤٨ - سورة الحجرات			
٥٥٨	٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾	٦٨٥
١٥٨	٧	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي ... ﴾	٦٨٦
١٥٨	٨	﴿ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٦٨٧
٦٨٨	١١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ... ﴾	٦٨٨
١١١	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ... ﴾	٦٨٩
٧٦٢-٦٥٦	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ... ﴾	٦٩٠
٤٩ - سورة ق			
٧٨٥	٥	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾	٦٩١
٣٦٩	٦	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ... ﴾	٦٩٢
٧٨٩	٣٨	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾	٦٩٣
٥٠ - سورة الذاريات			
٨٥٥-٤١٠	١٣	﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾	٦٩٤
٣٦٩-٣٥٨	٢٤	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾	٦٩٥
٣٦٩-٣٥٨	٢٥	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ ... ﴾	٦٩٦
٣٦٩-٣٥٨	٢٦	﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾	٦٩٧
٣٦٩-٣٥٨	٢٧	﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾	٦٩٨
٣٦٩-٣٥٨	٢٨	﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ ... ﴾	٦٩٩
٣٦٩-٣٥٨	٢٩	﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا ... ﴾	٧٠٠
٣٦٩-٣٥٨	٣٠	﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾	٧٠١
٣٦٩-٣٥٨	٣١	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	٧٠٢

٣٦٩-٣٥٨	٣٢	﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾	٧٠٣
٣٦٩-٣٥٨	٣٣	﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾	٧٠٤
٣٦٩-٣٥٨	٣٤	﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا ... ﴾	٧٠٥
٣٦٩-٣٥٨	٣٥	﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٠٦
٣٦٩-٣٥٨	٣٦	﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٧٠٧
٣٦٩-٣٥٨	٣٧	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	٧٠٨
٣٦٩	٤٧	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	٧٠٩
٧٥٦	٥٧	﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُونَ ﴾	٧١٠
٧٥٦-٦٣٠	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٧١١
٥١ - سورة التَّجْم			
٧٠٨-٦٦٠	١	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	٧١٢
٧٠٨-٦٦٠	٢	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	٧١٣
٢٦٠-٢٥٦-٣٣	٣	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	٧١٤
٦٣٣-٥٤٧-٢٩٥			
٦٩٩-٦٦٠			
٧٠٨-٧٠٢			
٢٨٥-٢٥٦-٣٣	٤	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٧١٥
٦٣٣-٦٢٠-٥٤٧			
٦٩٩-٦٦٠			
٧٠٨-٧٠٢			
٦٤٠-٦٣٨-٦٣٧	٨	﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	٧١٦
٦٤٠-٦٣٨-٦٣٧	٩	﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾	٧١٧
٦٤٠	١٠	﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾	٧١٨
٦٤٠	١١	﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾	٧١٩

٦٤٠-٥٦٩	١٢	﴿ أَقْتَمَارُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى ﴾	٧٢٠
٥٦٩	١٣	﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾	٧٢١
٥٦٩	١٤	﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾	٧٢٢
٥٦٩	١٥	﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾	٧٢٣
٥٦٩	١٦	﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾	٧٢٤
٦٤٠-٥٦٩	١٧	﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾	٧٢٥
٥٦٩	١٨	﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾	٧٢٦
٧٠٤-٧٠١	١٩	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾	٧٢٧
٧٠٤-٧٠١	٢٠	﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾	٧٢٨
٧٠٢	٢٣	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ... ﴾	٧٢٩
٧٩٦	٢٨	﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ... ﴾	٧٣٠
١١٣	٣١	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ... ﴾	٧٣١
٤١٥-١١٣	٣٢	﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا ... ﴾	٧٣٢
٣٧٠-٣٥٨	٣٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾	٧٣٣
٣٧٠-٣٥٨	٣٤	﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾	٧٣٤
٣٧٠-٣٥٨	٣٥	﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يَرَى ﴾	٧٣٥
٣٧٠-٣٥٨	٣٦	﴿ أَمْ لَمْ يَبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾	٧٣٦
٣٧٠-٣٥٨	٣٧	﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾	٧٣٧
٣٧٠-٣٥٨	٣٨	﴿ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	٧٣٨
٣٧٠-٣٥٨	٣٩	﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾	٧٣٩
٣٧٠-٣٥٨	٤٠	﴿ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ﴾	٧٤٠
٣٧٠-٣٥٨	٤١	﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾	٧٤١
٣٨٥	٤٥	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾	٧٤٢
٣٨٥	٤٦	﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾	٧٤٣

٣٧٠	٤٧	﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشَاةَ الْأُخْرَى ﴾	٧٤٤
٤١٧-٤١٦	٥٧	﴿ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾	٧٤٥
٧٠٤	٦٢	﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾	٧٤٦
٥٢ - سورة القمر			
٤٠٦-٣٨٤	١	﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	٧٤٧
٤١٧-٤٠٩			
٦٨٨	٤	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾	٧٤٨
٣٦٨	٢٤	﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي... ﴾	٧٤٩
٣٦٨	٢٥	﴿ أَوْ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾	٧٥٠
٦٦٢	٢٩	﴿ فَنَادُوا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾	٧٥١
٣٥٢	٤٠	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾	٧٥٢
٦٦١	٤٥	﴿ سِيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾	٧٥٣
٧٩٢-٣٦٩	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	٧٥٤
٢٥٩-١٠٠	٥١	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾	٧٥٥
٥٣ - سورة الرحمن			
١٢	١	﴿ الرَّحْمَنُ ﴾	٧٥٦
١٢	٢	﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾	٧٥٧
١٢	٣	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾	٧٥٨
١٢	٤	﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾	٧٥٩
٧٧٧	٥	﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾	٧٦٠
٧٨٥-٣٨٣	١٩	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾	٧٦١
٧٨٥-٣٨٣	٢٠	﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾	٧٦٢
٧٨١-٢٦٨	٢٢	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾	٧٦٣
٤٥٨	٢٩	﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ... ﴾	٧٦٤

٨٢٨-٣٧٩	٣٧	﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾	٧٦٥
٢٧٥	٣٩	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾	٧٦٦
٣٢٣	٦٠	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾	٧٦٧
٣٩٨	٦٨	﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾	٧٦٨
٥٤ - سورة الواقعة			
٥٣٠	١٨	﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾	٧٦٩
٥٣٠	١٩	﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَرُونَ ﴾	٧٧٠
٥٣٠	٢٠	﴿ وَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾	٧٧١
٥٣٠	٢١	﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾	٧٧٢
٥٣٠	٢٢	﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾	٧٧٣
٥٣٠	٢٣	﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾	٧٧٤
٤٦٤	٤٣	﴿ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾	٧٧٥
٤٦٤	٤٤	﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾	٧٧٦
٤٠٧	٧١	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾	٧٧٧
٤٠٧	٧٢	﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾	٧٧٨
٦٦٢-٤٠٧	٧٣	﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾	٧٧٩
٧٢٠٨	٧٥	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾	٧٨٠
٥٥ - سورة الحديد			
٥٢٩	٢	﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ... ﴾	٧٨١
٦٢٩	٣	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ ... ﴾	٧٨٢
٧٨٩-٧٥١-٦٣١	٤	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ ... ﴾	٧٨٣
٨٠١	١٠	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ ... ﴾	٧٨٤
٧٣٢	٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ... ﴾	٧٨٥

٥٦ - سورة المجادلة			
٣٨٠	١	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾	٧٨٦
٤٤٥٧	٤	﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ ... ﴾	٧٨٧
٧٥١	٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ... ﴾	٧٨٨
٥٠٠-٤٩٣-٤٩١	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ ... ﴾	٧٨٩
٤٩٣-٤٩١	١٣	﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ ... ﴾	٧٩٠
٥٠١-٥٠٠			
٣٨٠	١٨	﴿ يَوْمَ يَعْثُورُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا ... ﴾	٧٩١
٣٨٠	١٩	﴿ اسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ... ﴾	٧٩٢
٧٠٨	٢٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذِينَ ... ﴾	٧٩٣
٧٠٨-٧٠٧	٢١	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ... ﴾	٧٩٤
١٥٨-١٥٦	٢٢	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾	٧٩٥
٧٦٣-٤٦٩			
٥٧ - سورة الحشر			
٤٦٩	١	﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٧٩٦
٨٠٩-٤٦٩	٢	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ... ﴾	٧٩٧
٥٢٩	٦	﴿ وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ ... ﴾	٧٩٨
٣٤٧-٣٤٤-٣٣٠	٧	﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ... ﴾	٧٩٩
٨٥٥-٣٤٨			
٧٦٠	٩	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾	٨٠٠
٧٢٤	١٠	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ ... ﴾	٨٠١
٨٠٨-٤٦٩	٢١	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ... ﴾	٨٠٢
٥٨ - سورة الممتحنة			
٤	٤	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ... ﴾	٨٠٣

٤٩٩	١١	﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ... ﴾	٨٠٤
		٥٩ - سورة الجمعة	
٤٢٤	٣	﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٨٠٥
		٦٠ - سورة المنافقون	
٦٦٢	٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا ... ﴾	٨٠٦
		٦١ - سورة التغابن	
٤٩٧	١٦	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ... ﴾	٨٠٧
		٦٢ - سورة الطلاق	
٧٩١-٧٢٧-٦١٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ ... ﴾	٨٠٨
٤٩٨-٤٠١	٢	﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ ... ﴾	٨٠٩
٤٠١	٣	﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ ... ﴾	٨١٠
		٦٣ - سورة التحريم	
٧٢٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي ... ﴾	٨١١
٧٢٧	٢	﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ ... ﴾	٨١٢
٧٩١	٥	﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا ... ﴾	٨١٣
٢٧٦	١٠	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ ... ﴾	٨١٤
٢٧٦	١١	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... ﴾	٨١٥
		٦٤ - سورة القلم	
٥٠٩	١	﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	٨١٦
٥٠٩	٢	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾	٨١٧
		٦٥ - سورة المعارج	
٨٢٩	٨	﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾	٨١٨
٦٥٧	١٣	﴿ وَفَصَّلَتِهَا الَّتِي تُرْوِيهِ ﴾	٨١٩
٧٣٨-٣٧٥	٢٩	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾	٨٢٠

٧٣٨-٣٧٥	٣٠	﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ... ﴾	٨٢١
٧٣٨	٣١	﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	٨٢٢
٦٦ - سورة نوح			
٦٩١	١٦	﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾	٨٢٣
٦٧ - سورة الجن			
٢٧-١٢	١	﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا ... ﴾	٨٢٤
٢٧-١٢	٢	﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾	٨٢٥
٤١٠	١٧	﴿ لَنفَتَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ ... ﴾	٨٢٦
٤١٠	١٨	﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾	٨٢٧
١٤٩	٢٦	﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	٨٢٨
٦٦٥	٢٨	﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا ... ﴾	٨٢٩
٦٨ - سورة المزمل			
٤٩١-٤٩٠	١	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴾	٨٣٠
٤٩٩-٤٩٣			
٤٩١-٤٩٠	٢	﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٣١
٤٩٩-٤٩٣			
٤٩٠	٣	﴿ نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	٨٣٢
٤٩٠	٤	﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾	٨٣٣
٤٩١-٤٩٠-٢٣٢	٢٠	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ ... ﴾	٨٣٤
٥٠٠-٤٩٩-٤٩٣			
٨٦٧-٦٦٥-٥٠١			
٦٩ - سورة المدثر			
٦٤٣	١	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾	٨٣٥
٦٤٣	٢	﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾	٨٣٦

١٣	١١	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾	٨٣٧
٣٣٧	٢٤	﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾	٨٣٨
٣٣٧	٢٦	﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ﴾	٨٣٩
٧٠ - سورة القيامة			
٦٩٩	١٦	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾	٨٤٠
٦٩٩	١٧	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾	٨٤١
٦٣٧	٣٢	﴿ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾	٨٤٢
٦٣٧	٣٣	﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُّ ﴾	٨٤٣
٥٨٥	٣٦	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾	٨٤٤
٥٨٥	٣٧	﴿ أَلَمْ يَكْ نُطْفَأْ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾	٨٤٥
٥٨٥	٣٨	﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾	٨٤٦
٥٨٥	٣٩	﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾	٨٤٧
٥٨٥	٤٠	﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾	٨٤٨
٧١ - سورة الإنسان			
١٤٦-٩٨	٣٠	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ ... ﴾	٨٤٩
٧٢ - سورة المرسلات			
٤٦٤	٣٠	﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾	٨٥٠
٤٦٤	٣١	﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾	٨٥١
٧٣ - سورة التكويد			
٦٤٣-٩٨	٢٩	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٨٥٢
٧٤ - سورة المطلقين			
٢٥٨	١٤	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	٨٥٣
٧٥ - سورة البروج			
٤١٠	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ ... ﴾	٨٥٤

٧٦ - سورة الاعلى		
٤٠٣	١	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ٨٥٥
٧٩٢-٤٠٣	٢	﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ﴾ ٨٥٦
٧٩٢-٤٠٣	٣	﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ ٨٥٧
٤٠٣	٤	﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾ ٨٥٨
٧٧ - سورة القجر		
٦٦١	٢٢	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ٨٥٩
٧٨ - سورة الضحى		
٤٨٤	٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ٨٦٠
٧٦٢	٦	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ٨٦١
٧٩ - سورة الشرح		
٨٠٢	٥	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ٨٦٢
٨٠٢	٦	﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ٨٦٣
٨٠ - سورة البيته		
١٥٦	٨	﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ ... ﴾ ٨٦٤
٨١ - سورة الزلزلة		
٣٤٦	٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ٨٦٥
٣٤٦	٨	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ٨٦٦
٨٢ - سورة العنصر		
٧٩٧	١	﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ٨٦٧
٧٩٧	٢	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ٨٦٨
٧٩٧	٣	﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا ... ﴾ ٨٦٩
٨٣ - سورة النصر		
٦٤٤	١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ٨٧٠

٦٤٤	٢	﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾	٨٧١
٦٤٤	٣	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾	٨٧٢
		٨٤ - سورة المائدة	
٧٦٣	٣	﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾	٨٧٣
		٨٥ - سورة الإخلاق	
٥٩٥	٤	﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفْرًا أَحَدٌ ﴾	٨٧٤

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث	٢
٦٣٤	اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ	١
١٢٩	أَتُؤَدِّينَ زَكَاةَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : لَا	٢
٤٤١	إِذَا حَكَمَ أَحَدُكُمْ فَاجْتَهِدْ ثُمَّ أَصَابَ	٣
٧١٩	إِذَا اِخْتَلَفَ الْمُتَبَايعَانِ فِي الثَّمَنِ	٤
٥٨١	إِذَا شَرِبَ الْكَبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ	٥
٤٥٧	إِذَا صُرِفَتِ الطُّرُقُ وَضُرِبَتِ الْحُدُودُ	٦
٦٣٥	اسْتَنْتَ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ	٧
٥٩١	اسْتَنْتَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا عَزَا	٨
٥٧٢	أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَحْوِ بَشْرٍ (جَمَلٌ)	٩
٣٤٧	اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ	١٠
٤٠٣-٤٠٢	أَلَا أَعْلَمُكُمْ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ	١١
٢٥٦-١٢-٤	أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ	١٢
٤١١	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا	١٣
٤٠٣	أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ	١٤
١٣٥	أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا إِنِّي	١٥
١٠٦	إِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَحْتَمَ	١٦
٧٩٨	إِنْ رَأَى النَّاسُ الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا	١٧
٣٣٠	إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	١٨
٧٢٦	إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَاتِ	١٩
٧٩٨	إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ	٢٠
٨٠١	إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مِنْ مَسِيرِ	٢١
٤٠٧	إِنَّ حَرَارَةَ نَارِ الْآخِرَةِ مُضَاعَفَةٌ عَلَى حَرَارَةِ	٢٢

٦٣٧	إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ عِيَانًا	٢٣
٦٣٧	إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٢٤
٦٣٦-٦٣٨	إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبِّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا	٢٥
٦٦٣	إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ	٢٦
٢١٩	إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ	٢٧
٤٠١	إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمَلَ حَسَنَةً	٢٨
٥٦٧	إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ	٢٩
٤٠١	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً	٣٠
٣٤٦	إِنَّ اللَّهَ لَوْ أَغْفَلَ شَيْئًا لَأَغْفَلَ الدَّرَةَ	٣١
٧٦٣	إِنَّا نُوَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ	٣٢
٦٧٧	إِنَّمَا بَنُو الْمُطَلَبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ	٣٣
٥٧٢	إِنَّمَا يَكْفِيكَ هَذَا وَضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَفِّهِ	٣٤
٥٥٧	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	٣٥
٤١٤	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ	٣٦
٣٤٦	إِنِّي لَا أَحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ	٣٧
٥٤٩	إِنِّي لَأَعْلَمُ حَجْرًا كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ بِمَكَّةَ	٣٨
٤٥٧	أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا	٣٩
٧٢٧	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ	٤٠
٧٣٠-٤	تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ	٤١
١٣٥	تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوَلُودَ	٤٢
١٥٦	تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ كَمَا يُعْرَضُ الْخَصِيرُ	٤٣
٦٢٠	ثَلَاثُ جِدْهِنَ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ	٤٤
٤٥٧	الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ	٤٥
١٢٨	الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ	٤٦

٦١٧	حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكَّانَةَ	٤٧
٥٤٩	حَنِينُ الْجَذَعِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ عَلَيْهِ ﷺ	٤٨
٧٣٥	الْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ	٤٩
٨٠٠	الْحَيُّ فِي أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ	٥٠
٤٤٥-٣٣٠	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	٥١
١٥٦	خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ	٥٢
٧١٩	الدَّيَّةُ عَلَى الْعَاقِلَةِ	٥٣
٣٩٥	ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ	٥٤
٤٨٤	سَأخْبِرُكُمْ غَدًا	٥٥
٣٤٤-٢٧-١٤	سَتَكُونُ فِتْنٌ؟ قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟	٥٦
٧٦٤	سَلَامَانٌ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ	٥٧
٦٢١	الطَّلَاقُ يَمِينُ الْفُسَّاقِ	٥٨
٧٣٠	عَلَيْكُمْ بِسِتِّي	٥٩
٥٧٣-٤٤٨	فِيمَ تَحْكُمُ؟ قَالَ: بَكِتَابِ اللَّهِ	٦٠
٨٠٩-٧١٦		
٢٣٤-١٦٠	الْقُرْآنُ هُوَ حَلْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ	٦١
١٣	قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ	٦٢
٤٤٧	الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ	٦٣
٧١٩-٥٩٠	قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدِيَةِ شِبِّهِ الْعَمْدِ	٦٤
٦٨٨	كَانَ خُلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ	٦٥
٧٥٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ قُوْتَ سَتِّهِ	٦٦
١٢٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَدَّرُ مِنْهُ الْعَرَقُ	٦٧
٧٤٠-٧٣٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ	٦٨
٨٢٦	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ بِالْحَطَمِيِّ	٦٩

٥٠٦	كان رسولُ الله ﷺ يقرأُ في صلاةِ الصبحِ	٧٠
٧٧١-٤٤١	كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ	٧١
٦٨٨	كان رسولُ الله ﷺ قرأنا يمشى على الأرض	٧٢
٥٩٠	كتاب الله القصاص	٧٣
٢٣٤	كتاب الله هو حبلُ الله المَحْدُودُ	٧٤
٧١٨	كيف تصنعُ إن عرضَ لك قضاءٌ	٧٥
٧٩٧	لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب	٧٦
٨١٠-٨٠٠	لا تزالُ طائفةٌ من أمتي قائمةٌ بأمر الله	٧٧
٦٩٩	لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبُوهم	٧٨
٧١٧	لا تَقْضِينَ ولا تَفْصِلِينَ إلا بما تَعْلَمُ	٧٩
٢٨٢	لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا التُّركَ	٨٠
٢٧٧	لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا اليهودَ	٨١
٧١٢	لا زكاةَ في الحليِّ	٨٢
٧١٩-٤٩٧	لا وصيةَ لوأرث	٨٣
٥٩٠-٥٨٦	لا يحلُّ دمُ امرئٍ مُسلمٍ	٨٤
٤٧٩	لجميعِ أمتي كلِّهم	٨٥
٣٤٨	لَعَنَ اللهُ الوَاشِحَاتِ والمُسْتَوْشِمَاتِ	٨٦
٧٨٣	لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ	٨٧
٥٥٩	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ	٨٨
٤٤١	اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ	٨٩
٧٧١	اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ	٩٠
٥٨٩	لَمَّا قرأ رسولُ الله ﷺ من البقرة	٩١
٧٩٩	لَمَّا وَقَعَتْ بنو إسرائيلَ فِي المَعاصِي	٩٢
٤٧٩	لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي	٩٣

١٣٥	لَمْ تَرَ لِلْمُتَحَابِّينَ مِثْلَ النِّكَاحِ	٩٤
٢٩٧	مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ	٩٥
٢٩٧	مَا تَرَكْتُ خَيْرًا إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ	٩٦
٢٩٧	مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِهِ	٩٧
٢٩٧	مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقَرَّبُ بِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ	٩٨
٧٩٧	مِثْلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا	٩٩
٥٠٨	مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ	١٠٠
٥٠٨	مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ	١٠١
٤١٣	مَنْ أَعْتَقَ شَرِكًا فِي عَبْدٍ	١٠٢
٤١٢	مَنْ أَعْتَقَ شَرِكًا لَهُ فِي عَبْدٍ	١٠٣
٧٢٦	مَنْ أَيْنَ أَخَذَتِ السَّجْدَةَ فِي (س)	١٠٤
١٥٨	مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ	١٠٥
٦٩	مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ	١٠٦
٧	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ	١٠٧
٥٥٨	نَصَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتي	١٠٨
٧٢٧	هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ	١٠٩
٧١٧	هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ ، الْحِلُّ مِيتَتُهُ	١١٠
٥٢٨	وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ	١١١
٣٩٤	وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ	١١٢
٧١٥	يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا	١١٣
٦١٧	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ طَلَّقْتَهَا ثَلَاثًا	١١٤
١٥٩	يُقَالُ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَأَرْتِقِ	١١٥
٤٠٩	يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ	١١٦

ثالثا : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	٢
٨٦	أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي	١
٨٥	أحمد بن الأمين الشنقيطي ت (١٣٣١هـ = ١٨٠٥م)	٢
٨٥	أحمد البدوي الشنقيطي ت (١٢٢٠هـ = ١٨٠٥م)	٣
٥٣٧	أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م)	٤
٨٦	أحمد المختار الجكني الشنقيطي	٥
٥٣٦	أبو إسحاق الإسفراييني (اللغوي) ت (٤١٨هـ = ١٠٢٧م)	٦
٨٦	باب بن أحمد الشنقيطي ت (١٢٦٠هـ = ١٨٤٤م)	٧
٣٤٨	ابن برجان اللخمي ت (٥٣٦هـ = ١١٤٢م)	٨
٧٤٣	أبو بكر الطرطوشي ت (٢٤٠هـ = ١١٢٧م)	٩
٥٢٠	أبو جعفر المدني (القاريء) ت (١٢٨هـ = ٧٤٦م)	١٠
٥١	جلال الدين السسوطي ت (٩١١هـ = ١٥٠٥م)	١١
٧٤٨	الجنيد بن محمد القواريري ت (٢٩٨هـ = ٩١١م)	١٢
٢٨٨	أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥هـ = ١١١٢م)	١٣
٨٧	الحسن بن أبيه الشنقيطي	١٤
٥٢١	الحسن البصري (القاريء) ت (١١٠هـ = ٧٢٩م)	١٥
٥٢٠	حمزة الكوفي (القاريء) ت (١٢٦هـ = ٧٧٣ن)	١٦
١٠١	حماد المجلسي الشنقيطي	١٧
٥٠	ابن الخطيب القرناطي ت (٧٧٦هـ = ١٣٧٤م)	١٨
٥٠	ابن خلدون ت (٨٠٨هـ = ١٤٠٦م)	١٩
٥٢٠	خلف البزار البغدادي (القاريء) ت (٢٢٩هـ = ٨٤٤م)	٢٠
٥٤٠	ابن خويز منداد المالكي ت (٤٠٣هـ = ١٠١٣م)	٢١
٧٤٥	أبو سليمان الداراني ت (٢١٥هـ = ٨٣٠م)	٢٢

٧٤٧	سهل التستري ت (٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م)	٢٣
٤٩	ابن سينات (٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م)	٢٤
٥٢٢	الشنبوذى البغدادي (القارىء) ت (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م)	٢٥
٧٤٧	أبو طالب المكي ت (٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م)	٢٦
٧٥٦	الطرمأح بن حكيم (الشاعر) ت (نحو ١٢٥ هـ = نحو ٧٤٣ م)	٢٧
٥٢٠	عاصم الكوفي (القارىء) ت (١٢٧ هـ = ٧٤٥ م)	٢٨
٥١٩	ابن عامر الشامي (القارىء) ت (١١٨ هـ = ٧٣٦ م)	٢٩
٦٨	عبد الله العلوي الشنقيطي ت (١٢٣٠ هـ = ١٨١٥ م)	٣٠
٣٤٩	أبو عبد الله المرسي ت (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م)	٣١
٧٤٧	أبو عثمان التيسابوري ت (٢٩٨ هـ = ٩١١ م)	٣٢
٥٣٥	أبو علي الفارس ت (٣٧٧ هـ = ٩٨٨ م)	٣٣
٤٩	العماد الأصفهاني ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م)	٣٤
٥١٩	أبو عمرو البصري (القارىء) ت (١٥٤ هـ = ٧٧١ م)	٣٥
٧٤٦	عون بن عبد الله (حكيم الأمة) ت (بعد ١١٠ هـ = بعد ٧٢٩ م)	٣٦
٥٣٦	أبو الفتح ابن جني (اللغوي) ت (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م)	٣٧
٥٤١	ابن القاص الشافعي ت (٣٥٥ هـ = ٩٤٧ م)	٣٨
٢٨٥	ابن قدامة المقدسي الجماعيلي ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م)	٣٩
٥٣٨	ابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م)	٤٠
٥١٩	ابن كثير المكي (القارىء) ت (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م)	٤١
٥٢٠	الكسائي الكوفي (القارىء) ت (١٨٩ هـ = ٨٠٥ م)	٤٢
٨٧	محمد بن أبي مدين الشنقيطي	٤٣
٨٧	محمد بن أحمد الداه الشنقيطي	٤٤
٨٣	محمد الأمين الشنقيطي (السنير) ت (١٣٨٠ هـ = ١٦٦٠ م)	٤٥
٨٣	محمد الأمين الشنقيطي (الشارح) ت (١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م)	٤٦

٨٤	محمد الأمين الشنقيطي (المؤسس) ت (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م)	٤٧
٨٧	محمد بن حنبل الشنقيطي	٤٨
٨٥	محمد الخضر الشنقيطي ت (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م)	٤٩
٨٦	محمد بن محمد الشنقيطي كان حياً بعد عام (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م)	٥٠
٨٨	محمد المصطفى الشنقيطي	٥١
٨٥	محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي ت (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م)	٥٢
٥٢٣	ابن مُحَيِّضِ المكي (القاريء) ت (١٢٣هـ = ٧٤١م)	٥٣
٦٧	المختار بن بُون أو بُونَا الجكني الشنقيطي ت (١٢٢٠هـ = ١٨٠٥م)	٥٤
٤٩٣	أبو مُسَلِّم الأصفهاني ت (٣٢٢هـ = ٩٣٤م)	٥٥
٥١٩	نافع المدني (القاريء) ت (١٦٩هـ = ٧٨٦م)	٥٦
٧٤٨	يَحْيَى بن مُعَاذِ الرازي ت (٢٨٥هـ = ٨٧٢م)	٥٧
٥٢٣	يَحْيَى اليزيدي البصري (القاريء) ت (٢٠٢هـ = ٨١٨م)	٥٨
٥٢٠	يعقوب البصري (القاريء) ت (٢٥٠هـ = ٨٦٤م)	٥٩

• (ابعا: فهرس المرجع •

• (ولا: المصاحف الشريفة :

١ - المصحف الشريف (برواية حفص عن عاصم) :

تشرف بالامر بطباعته خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وتمت طباعته بـ (مجمع خدام الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف) بالمدينة المنورة - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٢ - المصحف الشريف (برواية ورش عن نافع) :

تشرف بالامر بطباعته جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بإشراف لجنة من كبار علماء المسلمين بالمدينة المنورة برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، وتمت أولى طباعته فى دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .



• ثانيًا: التفسير وعلوم القرآن :

٣ - اتجاه التفسير الفقهى :

لأخى وزمبلى د. محمد المنسى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

٤ - الإلتقان فى علوم القرآن :

للمحافظ جلال الدين السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - طبع : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٥ - أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم :

بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٦ - أحكام القرآن :

لابى بكر الجصاص الحنفى ت (٣٧٠ هـ = ٩٨١ م) - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د . ت) .

٧ - أحكام القرآن :

للقاضى أبى بكر بن العربى المالكى ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩ م) - تحقيق : على محمد
البحارى - دار المعرفة - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٨ - أحكام القرآن :

عماد الدين الطبرى المعروف بـ (إلكيّا الهَرَّاس) الشافعى ت (٥٠٤ هـ = ١١١١ م) -
تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .

٩ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث :

د. محمد حسين الذهبى ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - نشر مجمع البحوث الإسلامية -
القاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

١٠ - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير :

د. محمد محمد أبى شهبه - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة
(البحوث الإسلامية) - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١١ - أضواء البيان :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - طبع على
نفقة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد بن عبد العزيز - ويوزع مجاناً وفقاً لله تعالى - الطبعة ١
- المطابع الأهلية للأؤنست - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٢ - الإكليل فى استنباط التنزيل :

للحافظ جلال الدين السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - راجعه وصححه : أبو الفضل
عبد الله محمد الصديق الغمارى الحسنى - طبع على نفقة السيد : أسعد الدرايزونى - دار العهد
الجديد - الخرنفش - القاهرة - (د. ت) .

١٣ - البحر المحيط :

محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) -
وبهامشه (تفسير النهر الماد من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط لتلميذه تاج الدين
الحنفى ت ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة -
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

- ١٤ - البرهان فى علوم القرآن :
بدر الدين الزركشى .
- ١٥ - البسيط فى تفسير القرآن الكريم :
لاى الحسن على بن أحمد الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) - مخطوط بدار الكتب
المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية الجزء الأول
(التفسير) - المخطوط رقم (٢٨٢) .
- ١٦ - التفسير القرآنى للقرآن :
د. حسن عز الدين الجمل - طبع الدار الفنية - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .
- ١٧ - التفسير القرآنى للقرآن :
عبد الكريم الخطيب ت (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م) - القاهرة - (بدون بيانات) .
- ١٨ - التفسير البيانى للقرآن الكريم :
دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطى) ت (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) - طبع القاهرة -
(بدون بيانات) .
- ١٩ - التفسير بين الماضى والحاضر :
لاستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - دار الاعتصام - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ٢٠ - التفسير الكبير المشهور بـ (مفاتيح الغيب) :
فخر الدين بن عمر الرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠ م) - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب
العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .
- ٢١ - التفسير ورجاله :
محمد الفاضل بن عاشور - نشر مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٠ هـ =
١٩٧٠ م .
- ٢٢ - التفسير والمفسرون :
د. محمد حسين الذهبى ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب
الحديثة - القاهرة - ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

٢٣ - التيسير فى قواعد علم التفسير :

محيى الدين الكافيجى - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) -
(تفسير) .

٢٤ - تفسير سورة الإخلاص :

شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - راجع نصوصه وجرج أحاديثه
وعلق عليه : د. عبد العلى عبد الحميد حامد - الطبعة ٢ - (الدار السلفية بومباى الهند) مع
دار الريان للتراث بالقاهرة) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٥ - تفسير الجلالين :

للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّى ت (٨٦٤ هـ = ١٤٥٠ م) وجلال الدين عبد
الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - طبع دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ =
١٩٦٦ م .

٢٦ - تفسير الكاشى

مُلاً محسن الكاشى - (بدون بيانات) .

٢٧ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ (تفسير المنار) :

للإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا ت (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) - الهيئة المصرية العامة
للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٨ - تفسير القرآن العظيم :

للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م) - الطبعة ١ - (مكتبة
التراث الإسلامى حلب سوريا) مع (مكتبة الإرشاد بالقاهرة) - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
• وانظر طبعة أخرى : دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٩ - تفسير القرآن العظيم :

لأبى محمد سهل بن عبد الله التُّسْتَرِى ت (٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م) - (بدون بيانات) .

٣٠ - تفسير القرآن العظيم مُسْتَدَاً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين :

للإمام الحافظ عبد الرحمن الرازى المعروف بابن أبى حاتم ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) -
تحقيق : أسعد محمد الطيب - الطبعة ٢ - المكتبة العصرية - (صيدا - بيروت) - لبنان -
١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

٣١ - تنزيه القرآن عن المطاعن :

إملاء قاضى القضاة عماد الدين عبد الجبار - على نفقة : محمد سعيد الراضى صاحب المكتبة الازهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .

٣٢ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن :

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

• وانظر طبعة أخرى : دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

• وكذا الطبعة المحققة : سلسلة (تراث الإسلام) - حققه وعلّق حواشيه : محمود محمد شاكر - راجعه وخرّج أحاديثه : أحمد محمد شاكر - الطبعة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م) - نشر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) .

٣٣ - الجامع لأحكام القرآن :

لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبيّ ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) - تحقيق : أحمد عبد العليم البردونى - الطبعة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

• وانظر طبعة أخرى : سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٣٤ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

لشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م) - طبع مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

٣٥ - حقائق التفسير :

لأبى عبد الرحمن السلمى ت (٤١٢ هـ = ١٠٢٢ م) - (بدون بيانات) .

٣٦ - دراسات حول القرآن :

د. إسماعيل أحمد الطحان - الطبعة ١ - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٣٧ - دراسات فى القرآن :

د. السيد أحمد خليل - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٣٨ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنسى الشنقيطى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - نفس
بيانات المرجع رقم (٩) السابق ذكره .

٣٩ - زاد المسير :

لابى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بـ (ابن الجوزى) ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) -
الطبعة ٣ - المكتب الإسلامى - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٤٠ - شرح طيبة النشر :

أحمد بن محمد بن محمد بن الجزرى (الابن) ت (٨٥٩ هـ = ١٤٥٥ م) - طبع القاهرة
(بدون بيانات) - ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م .

٤١ - شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن :

د. عبد المتعال الجابرى - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٤٢ - عرائس البيان :

لابى محمد الشيرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠ م) - (بدون بيانات) .

٤٣ - علم التفسير :

د. محمد حسين الذهبى ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم (٩)
- دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٤٤ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير :

محمد بن على بن محمد الشوكانى ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) - الطبعة ٢ - طبع
مصطفى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

٤٥ - الفتوحات المكية :

محبى الدين بن عربى ت (٦٣٨ هـ = ١٢٤١ م) - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى -
تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مذكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم
الاجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا فى السربون بفرنسا) - طبع الهيئة
المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤٣ . الفوز الكبير في أصول التفسير :

رلى الله الدهلوى - عربّه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة
القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

٤٤ . فى ظلال القرآن :

بقلم سيد قطب ت (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية
(عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - (د . ت) .

• وانظر الطبعة الشرعية الثالثة عشر - دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٤٥ . القرآن محاولة لفهم عصريّ :

د . مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د . ت) .

٤٦ . القرآن والتفسير العصريّ :

د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ت (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) - دار المعارف -

القاهرة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٤٧ . الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل :

لابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ ت (٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م) -

بهامشه (حاشية السيد شريف الجرجاني ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكي ، وكتاب تنزيل

الآيات لمحّب الدين أفندى ، وبأعلاه النص القرآنى يرسم وضبط الدورى) - طبع مصطفى البابى

خلى - القاهرة - (د . ت) .

٤٨ . الكشف والبيان فى تفسير القرآن :

لابى إسحاق الشعلبيّ ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م) - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم

(٢٠٥٦ / ١٣٦٦) - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر - القاهرة .

• كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) -

ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

٤٩ . كلمات القرآن تفسير وبيان :

الشيخ حسنين محمد مخلوف - الطبعة ١ - مكتبة الأمين - المدينة المنورة - ١٤٠٩ هـ =

١٩٨٩ م .

٥٣ - لباب التأويل فى معانى التنزىل :

علاء الدين على بن محمد الشهىر بالخازن ت (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م) - وبهامشه (تفسىر معالم التنزىل) لأبى محمد الحسين البغوى ت (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .

٥٤ - متن الجزوىة (أو منظومة المقدمة فىما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) :

من نظم إمام القراء وفخر المقرئىن العلامة محمد بن محمد بن محمد الجزوى (الأب) ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - تشرف بتصحيحها ومقابلتها على نسخة خطية مقروءة على الناظم وعليها خطه : خادم القرآن الكرىم أئىن رشدى سويد دمشقى - إصدار : جمعية القرآن الكرىم بجدة - يطلب من (مكتبة الرشاد للنشر والتوزىع) مع (مكتبة السوادى للتوزىع) - جدة - المملكة العربىة السعودىة - شعبان ١٤٠٧ هـ = أبريل ١٩٨٧ م .

٥٥ - مجاز القرآن :

صنعة أبى عبيدة معمر بن المثنى ت (٢١٠ هـ = ٨٢٦ م) - تحقيق : محمد فؤاد سزكىن - نشر : مكتبة الخانجى - القاهرة - (د . ت) .

٥٦ - مجمع البيان :

لأبى على الطبرىسى ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) - طبع مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .

٥٧ - محاضرات فى تاريخ تفسىر القرآن الكرىم (اتجاهاته ومناهجه) :

لأستاذنا الدكتور محمد بن إبراهيم شريف - ألقىت على طلاب الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة - نشر : دار العربىة بالكوىت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٥٨ - مقاصد القرآن الكرىم (مقدمة فى التفسىر مع تفسىر الفائحة وأوائل البقرة) :

للإمام الشهىد حسن البنا - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٥٩ - مقدمة فى أصول التفسىر :

شىخ الإسلام نقى الدين أحمد بن تىمىة ت (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م) - تحقيق : محب الدين الخطىب - الطبعة ٢ - عنىت بنشره : المطبعة السلفية ومكتبها - القاهرة - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

- وانظر طبعة أخرى : تحقيق د. عدنان رزور - (دار القرآن الكريم بالكويت) - مع مؤسسة الرسالة بيروت لبنان) - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .
- وكذا طبعة أخرى : تحقيق أبي حذيفة إبراهيم بن محمد (مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٦٠ - منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز :
- محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - نفس بيانات المرجع رقم (٩) السابق ذكره .
- ٦١ - منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم :
- لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٦٢ - منهج أهل السنة فى تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) :
- د. صبرى المتولى - الناشر : مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- ٦٣ - المهذب فى القراءات العشر من طريق طيبة النشر :
- د. محمد سالم محيسن - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .
- ٦٤ - النسخ فى القرآن الكريم :
- د. مصطفى زيد - الطبعة ١ - الناشر : دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .
- ٦٥ - النشر فى القراءات العشر :
- للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى (الأب) ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - قدّم له صاحب الفضلة : الأستاذ على محمد الضباع (شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية) - وخرّج آياته : الشيخ زكريا عميرات - الطبعة ١ - منشورات محمد على ييضمون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ٦٦ - هميان الزاد :
- محمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) - (بدون بيانات) .

٦٧ - الواحدى ومنهجه فى التفسير :

د. جودة محمد محمد المهدي - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٦٨ - الوسيط فى تفسير القرآن الكريم :

لأبى حسن الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٨٠ - ٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .

٦٩ - الوجيز فى تفسير القرآن العزيز :

للواحدى السابق ذكره - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٤ - ٢٥٣ - ٢٥٢) - (التفسير) - وهو مطبوع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) - مطبعة عيسى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م .



• ثالثاً: السنة وعلوم الحديث:

٧٠ - ألفية علم الحديث :

للمحافظ جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - الطبعة ١ - (مكتبة العلم بجلدة) مع (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٧١ - ألفية مصطلح الحديث المعروفة بـ (نظم الدرر فى معرفة الأثر) :

للمحافظ زين الدين العراقى ت (٨٠٦ هـ = ١٤٠٤ م) - ضمن مجموعة بعنوان (نقائس) - تحقيق : محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - (د. ت) .

٧٢ - الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان :

الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسى ت (٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م) - حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

٧٣ - تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية :

الشيخ محمد نجيب المطيعى - مطبعة حسّان - القاهرة - ١٣٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٧٤ - التاريخ الكبير :

للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ت (٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) - طبع تحت
مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -
(د . ت) .

٧٥ - التحقيق فى أحاديث الخلاف :

لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت (٥١٠ هـ = ٥٩٧ م) - تحقيق : مسعد عبد الحميد
محمد السعدنى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٧٦ - التمهيد :

لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ - تحقيق (مصطفى بن أحمد العلوى - محمد
عبد الكبير البكرى) - وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية -
١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٧٧ - تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير :

للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م) -
عُنِي بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة -
١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م (دون ذكر بيانات الطبع) .

٧٨ - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال :

للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجّاج يوسف المزّى ت (٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) - حققه
وضبط نصه وعلّق عليه : د. بشار عواد معروف - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
- ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م) .

٧٩ - تيسير مصطلح الحديث :

د. محمود الطحان - الطبعة ٧ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية -
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٨٠ - الجامع :

للإمام معمر بن راشد الأزدى - برواية عبد الرازق الصنعانى - الجزء الحادى عشر - عُنِي
بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى -
الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى - عمّان - الأردن ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٨١ - جامع الأحاديث (للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) :

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - تقديم : د. عبد
الخليم محمود (شيخ الأزهر) - جمع وترتيب : (عباس أحمد صقر - أحمد عبد الجواد) -
قراءة ومراجعة : (محمد المهدي محمود - شعبان على خليل - محمد الفاتح الكتانى) - طبع
على نفقة د. حسن عباس زكى - الطبعة ١ - مطبعة خطّاب - القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٨٢ - الجواهر النقى :

العلامة علاء الدين على بن عثمان الماردنى الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ =
١٣٤٤ م) - الطبعة ١ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند -
١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

٨٣ - السنن الكبرى :

للحافظ أبى بكر أحمد بن على البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - (ويذيله الجواهر
النقى لابن التركمانى) - نفس البيانات السابقة .

٨٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة
العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٨٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأمة :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية
السعودية - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٨٦ - سنن الترمذى المعروف بـ (الجامع الصحيح) :

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَورَةَ الترمذى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) - تحقيق : كمال
يوسف الحوت - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٨٧ - سنن أبى داود :

للإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأردى ت (٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) -
دار الحديث - القاهرة - (د. ت) .

● وانظر طبعة أخرى: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٨٨ - سنن الدارمي :

للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) - طبع بعناية : محمد أحمد دهمان - ونشرته : دار إحياء السنة النبوية - (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

● وانظر طبعة أخرى : دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٨٩ - سنن سعيد بن منصور :

سعيد بن منصور ت (٢٧٧ هـ = ٨٤٢ م) - دراسة وتحقيق : د. سعد بن عبد الله آل حميد - الطبعة ١ - دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .

٩٠ - سنن ابن ماجه :

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد القزويني المعروف بابن ماجه ت (٢٧٣ هـ = ٨٨٧ م) - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م .

● وانظر طبعة أخرى : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٩١ - سنن النسائي :

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت (٢١٤ هـ = ٨٣٠ م) - دار العشائر الإسلامية - عمان - الأردن - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٩٢ - صحيح البخاري :

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) - دار القلم - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٩٣ - صحيح مسلم :

للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت (٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م .

● وانظر طبعة أخرى : بعناية محمد فؤاد عبد الباقي - وإشراف محب الخطيب - المطبعة

السلفية ومكبتها - القاهرة - (د. ت) .

٩٤ - صحيفة على بن أبى طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

دراسة توثيقية فقهية لأستاذنا الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب - الطبعة ١ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٩٥ - ضعيف سنن الترمذى :

للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - إشراف : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامى - عمان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٩٦ - العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية :

للإمام أبى الفرج عبد الرحمن الجوزى ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) - تحقيق : إرشاد الحق الأسدى - نشر : إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د. ت) .

٩٧ - العلل الواردة فى الأحاديث النبوية :

للمحافظ أبى الحسن على الدارقطنى ت (٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) - الطبعة ١ - تحقيق : د. محمفوط عبد الرحمن السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٩٨ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى :

للمحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م) طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

● وانظر طبعة أخرى: بعناية محمد فؤاد عبد الباقي - وإشراف محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبها - القاهرة - (د. ت) .

٩٩ - فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) :

لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف سليمان - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٠٠ - كتاب الجرح والتعديل :

للمحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - الطبعة ١ - (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند) بالتعاون مع (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

١٠١ - كتاب الضعفاء الكبير :

للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو العقيلى المكى - الطبعة ١ - تحقيق : د. عبد المعطى أمين قلجى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٠٢ - كتاب المراسيل :

لأبى داود سليمان بن أشعث السجستانى الأردى ت (٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) - الطبعة ١ - دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٠٣ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس :

للشيخ إسماعيل العجلونى الجراحى ت (١١٦٢ هـ = ١٧٤٩ م) - برسم : السيد سعيد الحلبي العطار - مع المقابلة على نسخة خزانة آل العطار بدمشق - مع المقابلة على نسخة خزانة آل العطار بدمشق - مع المعارضة بنسخة دار الكتب المصرية - الطبعة ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٠٤ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد :

للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى - طبع مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

١٠٥ - المستدرک على الصحيحين فى الحديث :

للحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (تلخيص المستدرک) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د . ت) .

● وانظر طبعة أخرى : تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١٠٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل :

للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى ت (٢٤١ هـ = ٨٥٦ م) - شرح وفهرسة : أحمد محمد شاكر - طبع دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

● وانظر طبعة أخرى : مؤسسة التاريخ العربى - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٢ م .

● وكذا طبعة أخرى : مؤسسة قرطبة - الهرم - القاهرة - (د . ت) .

١٠٧ - مسند الطيالسى :

لأبى داود سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - الطبعة ١ - تحقيق :
(د . محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (دار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع
والإعلان - القاهرة - ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

١٠٨ - المُصنَّف :

للمحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعانى ت (٢١١ هـ = ٨٢٧ م) - ومعه (كتاب
الجامع للإمام مَعْمَر بن راشد الأزدي برواية الصنعانى) - بعناية : حبيب الرحمن الأعظمى -
الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى - عمَّان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٠٩ - المعجم الأوسط :

للمحافظ أبى القاسم سليمان الطبرانى ت (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م) - قسم التحقيق بدار
الخرمين : (أبو معاذ طارق بن عوض الله) مع (أبى الفضل عبد المحسن الحسينى) - نشر :
دار الخرمين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١١٠ - المعجم الكبير :

للإمام الطبرانى السابق ذكره - تحقيق وتخرىج : حمدى عبد المجيد السلفى - الطبعة ١ -
(الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع (لجنة إحياء التراث الإسلامى بوزارة الأوقاف) -
العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١١١ - معرفة السنن والآثار عن الإمام الشافعى على ترتيب مختصر المنزنى :

تصنيف الإمام البيهقى السابق ذكره - تحقيق : سيد كسروى حسن - الطبعة ١ - دار الكتب
العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

١١٢ - مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح :

د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤)
- دار المعارف - القاهرة - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١١٣ - موسوعة أطراف الحديث النبوى :

إعداد : أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة
والنشر - بيروت - لبنان - المحرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

١١٤ - الموطأ :

للإمام مالك بن أنس الأصبهى ت (١٧٩ هـ = ٧٩٦ م) - دار إحياء العلوم - بيروت -
لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١١٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :

للحافظ شمس الدين الذهبى السابق ذكره - تحقيق : على محمد البجاوى - الطبعة ١ - دار
إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبي) - القاهرة - ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

١١٦ - نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر :

للحافظ ابن حجر العسقلانى السابق ذكره - تعليق : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفلاح
بمكة المكرمة) - نشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١١٧ - الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث :

د. محمد محمد أبى شهبة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .



• رابعا: الفقه وأصوله :

١١٨ - الإجماع بين النظرية والتطبيق :

د. أحمد حمد - الطبعة ١ - دار القلم - الكويت - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

١١٩ - إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول :

للإمام محمد بن على الشوكانى ت (١٢٠٥ هـ = ١٨٣٤ م) - تحقيق : محمد سعيد
البدري - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٢٠ - أصول التشريع الإسلامى :

للشيخ على حسب الله - الطبعة ٦ - مطابع المكتب المصرى الحديث - نشر : دار المثقف
العربى - إشراف : أسرة مسجد السلام بالهمم - الجيزة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢١ - أصول الفقه و خلاصة التشريع الإسلامى :

للأستاذ عبد الوهّاب خلّاف - الطبعة ٣ - القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٩٦ هـ =
١٩٤٩ م .

١٢٢ - أصول الفقه :

للشيخ محمد الحضري - الطبعة ٧ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٩١ م .

١٢٣ - الأصول من علم الأصول :

للشيخ محمد صالح العثيمين - الطبعة ١ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢٤ - إعداد المَهَج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي :

أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي - الطبعة ١ - مراجعة : عبد الله الأنصاري - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامي - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

١٢٥ - الإقليد في الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد :

مجتزي من (تفسير أضواء البيان للشنقيطي) - تحقيق : شريف هزّاع - الطبعة ١ - طبع : (المكتبة الإسلامية عمّان الأردن) - نشر : (مكتبة ابن تيمية الطالبية الهرم الجيزة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٢٦ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع :

للإمام علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي الملقب بـ (ملك العلماء) ت (٥٨٧ هـ = ١١٩١ م) - الطبعة ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٢٧ - تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام :

لأبي الوفاء إبراهيم بن فرحون المالكي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الشرفية بمصر - ١٣٠١ هـ = ١٨٨٤ م .

١٢٨ - التمهيد :

لأبي محمد عبد الرحيم الإسنوي - تحقيق : د. محمد حسن هيتو - الطبعة ١ - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٢٩ - تحفة المودود بأحكام المولود :

للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن قِيم الجوزية ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م) - طبع المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٣٠ - تخريج الفروع على الأصول :

لأبي المناقب محمود بن أحمد الزنجاني - تحقيق : د. محمد أديب صالح - الطبعة ٢ -
مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٣١ - ٩٩ سؤالاً وجواباً في البيع وصوره :

جمع : صالح بن ذياب - إجابة : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية
السعودية - الطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١٣٢ - جمع الجوامع :

للإمام تاج الدين السبكي ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - شرح المحلى - حاشية البناني - دار
إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة - (د. ت) .

١٣٣ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير في الفقه المالكي :

محمد عرفة الدسوقي - تحقيق : محمد عيش - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٣٤ - الحاوي للفتاوى :

للحافظ السيوطي السابق ذكره - مطبعة السعادة - القاهرة - (د. ت) .

١٣٥ - الرسالة :

للإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - تحقيق : أحمد
محمد شاكر - طبع مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م .

١٣٦ - روضة الناظر وجنة المناظر :

لأبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) - تحقيق :
د. عبد العزيز السعيد - الطبعة ٢ - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض المملكة العربية
السعودية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٣٧ - فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة :

محمد بن أحمد الملقب بـ (الداه) الشنتقطي - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة - الأزهر - مصر -
شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧ م .

١٣٨ - فتح القدير :

محمد بن عبد الواحد بن الهمام السيواسي الحنفي - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان
- (د. ت) .

١٣٩ - القوانين الفقهية :

محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي المالكي - (بدون بيانات) .

١٤٠ - القول السديد في كشف حقيقة التقليد :

مجتزئ من (تفسير أضواء البيان للشنقيطي) - نشر : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١

- دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٤١ - مجموع الفتاوى :

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية السابق ذكره - جمع : عبد الرحمن بن محمد القاسم -

الطبعة ١ - الدار العربية - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٤٢ - المُحَلَّى :

لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري - تحقيق : أحمد محمد شاكر - تصحيح :

ريدان أبي المكارم - مكتبة الجمهورية - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٤٣ - مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة الحنبلي :

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - من

مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

١٤٤ - المُغْنَى :

لابن قدامة الحنبلي السابق ذكره - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ =

١٩٨٥ م .

● وانظر طبعة أخرى : تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركي - د. عبد الفتاح

الحلو) - الطبعة ١ - دار هجر - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

١٤٥ - مُغْنَى المحتاج :

محمد الخطيب الشربيني الشافعي - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٤٦ - مواهب الجليل من شروح مختصر خليل في الفقه المالكي :

لأبي عبد الله محمد المغربي المعروف بـ (الخطَّاب) - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت -

لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٤٧ - نشر الورود على مراقى السعود :

شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود الحضر القاضى - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١٤٨ - نشر البنود على مراقى السعود :

عبد الله العلوى الشنقيطى ت (١٢٣٣ هـ = ١٨١٨ م) - الطبعة ١ - إهداء وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٤٩ - نيل الأوطار :

محمد بن على الشوكانى السابق ذكره - دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

١٥٠ - الهداية شرح البداية :

لأبى الحسين على بن أبى بكر المرغينانى الحنفى - المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان - (د. ت) .



• خامساً: العقيدة وعلم الكلام :

١٥١ - آداب البحث والمناظرة :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - طبع : (مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة) مع (مكتبة العلم بجدة) - (د. ت) .

١٥٢ - الإقليد فى الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد :

نفس بيانات المرجع رقم (١٢٥) السابق ذكره .

١٥٣ - بطلان المجاز وأثره فى إفساد التصور ، وتعطيل نصوص الكتاب والسنة :

بقلم مصطفى عيد الصياصنة - دار المعراج للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٥٤ - الحاكمة فى أضواء البيان :

جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة

المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٥٥ - الردُّ على الجهميَّة والزنادقة :

للإمام أحمد بن حنبل السابق ذكره - تحقيق : عبد الرحمن عميرة - دار اللواء - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٥٦ - السلفية وأعلامها في موريتانيا :

الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م .

١٥٧ - شعب الإيمان :

للإمام أبي بكر البيهقي السابق ذكره - تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

١٥٨ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :

للإمام ابن قيم الجوزية السابق ذكره - اختصره الشيخ محمد بن الموصلي - تصحيح الناشر : زكريا على يوسف - مطبعة دار البيان - القاهرة - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

١٥٩ - مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة :

للإمام ابن قيم الجوزية السابق ذكره - تحقيق : محمود حسن ربيع - الطبعة ٣ - مكتبة حميدو - الإسكندرية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٦٠ - المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات :

محمد بن عبد الرحمن المغراوي - (القسم الرابع : الرد على المفسرين الخلفين) - طبع : دار المنار - توزيع : مؤسسة الجريسي - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د . ت) .

١٦١ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - طبع وإهداء وتوزيع : (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) - (دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .



• سادسا: العربية وعلومها :

١٦٢ - ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية :

يحيى بن البراء - مذكورة تخرُّج - مدرسة تكوين الأساتذة - نواكشوط - موريتانيا -

١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٦٣ - الحَصَائص :

لأبى الفتح ابن جُنَيْت (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) - تحقيق : محمد على النجار - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د . ت) .

١٦٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

١٦٥ - فى عِلْمَى العَرُوض والقافية :

لأستاذنا الدكتور أمين على السيد - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٦٦ - المَزْهَر فى علوم اللغة وأنواعها :

للحافظ السيوطى السابق ذكره - بعناية (محمد أحمد جاد المولى بك - على محمد البجاوى - محمد أبى الفضل إبراهيم) - الطبعة ٣ - دار التراث - القاهرة - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .



• سابعاً: التاريخ والسير :

١٦٧ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم :

لشمس الدين البَنَاء المقدسى البَشَّارى ت (٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) - مطبعة بريل بمدينة ليدن (١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م) - وأعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد بالعراق (د . ت) .

١٦٨ - الإحاطة فى أخبار غرناطة :

لذى الوزرارين لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٦٩ - الإعلام بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ :

للحافظ شمس الدين السَّخَاوى ت (٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م) - نشر دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د . ت) .

١٧٠ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور :

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألماني للأبحاث العلمية

- ١٧٩ - رحلة ابن بطوطة
 طبع القاهرة بدون بيانات .
- ١٨٠ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :
 بقلم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الشروق -
 جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- ١٨١ - السيرة النبوية :
 لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ت (٢١٣ هـ = ٨٢٩ م) - بعناية : طه عبد
 الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .
- ١٨٢ - العالم بين يديك (مورتانيا) :
 إسماعيل شوقى - الطبعة ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد (٣٧٩) - دار المعارف - القاهرة -
 ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- ١٨٣ - فتوح البلدان :
 أحمد بن يحيى البلاذرى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) - بعناية : د. صلاح الدين المنجد -
 مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٦ م .
- ١٨٤ - الكامل فى التاريخ :
 عز الدين أبى الحسن على الشيبانى المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م) - (دار
 صادر للطباعة والنشر) مع (دار بيروت للطباعة والنشر) - بيروت - لبنان - ١٣٨٥ هـ =
 ١٩٦٥ م .
- ١٨٥ - معجم قبائل العرب :
 عمر رضا كحالة - (طبعة بدون بيانات) .
- ١٨٦ - المقدمة فى التاريخ :
 عبد الرحمن بن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة -
 ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- ١٨٧ - منسك الإمام الشنقيطى :
 الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - مجموع من تفسيره بعناية : (د.

عبد الله الطيار - د. عبد العزيز الحجيلان - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

١٨٨ - موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض في القارة السوداء) :

محمد يوسف مقلد - الطبعة ١ - دار الكتاب اللبناني - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .



• ثامن: التراجم والطبقات :

١٨٩ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) :

خير الدين الزركلي - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٩٠ - الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) :

للحافظ أبي حفص البزار - (بدون بيانات) .

١٩١ - الأغاني :

لأبي الفرج الأصفهاني ت (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) - الطبعة ١ - مطبعة دار الكتب المصرية

- القاهرة - ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .

١٩٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة :

للورير جمال الدين القسطنطيني ت (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) - تحقيق : محمد أبي الفضل

إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

١٩٣ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبي حنيفة ومالك والشافعي) :

للحافظ أبي عمر بن عبد البر ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - (عن نسخة دار الكتب المصرية

مع إتمامها من نسخة كوبريلى محمد باشا بالآستانة) - نشر مكتبة القدسي - الأزهر - القاهرة -

١٣٥٠ هـ = ١٩٧٠ م .

١٩٤ - إيضاح المكنون في الذليل على كشف الظنون :

إسماعيل باشا البغدادي - نشر مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د. ت) .

١٩٥ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

للحافظ السيوطي السابق ذكره - تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة

عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

- ١٩٦ - التعليق الصواب حاشية تحفة الألباب فى شرح الأنساب :
- الشيخ حمّاد بن الأمين المجلسى الموريتانى - الطبعة ١ - مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- ١٩٧ - التكملة لوفيات النقلة :
- ركى الدين المنذرى ت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) - تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف - (ساعدت جامعة بغداد على نشره) - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
- ١٩٨ - تذكرة الحُفّاظ
- للحافظ الذهبى السابق ذكره - طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
- ١٩٩ - تراجم إسلامية :
- محمد عبد الله عنان - مكتبة الأسرة (الأعمال الدينية) - إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٠٠ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :
- للقاضى أبى الفضل عياض اليَحْصِي السَّبْتِي ت (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) - (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت) مع (منشورات دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا) - (د. ت) .
- ٢٠١ - ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :
- جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .
- ٢٠٢ - الجواهر المُضِيَّة فى طبقات الحنفيَّة :
- محمى الدين أبى محمد بن أبى الوفاء القرشى الحنفى ت (٧٧٥ هـ = ١٣٧٤ م) - تحقيق : د. عبد الفتاح الحلوى - مطبعة عيسى البابى الحلبي - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- ٢٠٣ - الحافظ جلال الدين السيوطى (إمام المجتهدين والمجددّين فى عصره) :
- عبد الحفيظ القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .
- ٢٠٤ - حليّة الأولياء وطبقات الأصفياء :
- للحافظ أبى نُعَيْم الأصبهائى ت (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

- ٢٠٥ - ابن خلدون (أبو علم الاجتماع) :
- سليمان فياض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر : مركز الأهرام
للتريجة والنشر - مؤسسة الأهرام الصحفية القاهرة - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .
- ٢٠٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :
- للحافظ ابن حجر العسقلاني السابق ذكره - تحقيق : محمد سيد جاد الحق (من علماء
الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د . ت) .
- ٢٠٧ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :
- لابن فرحون المالكي ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧ م) - تحقيق : د. محمد الأحمدى أبي النور
- دار التراث للطبع والنشر - القاهرة - (د . ت) .
- ٢٠٨ - رشيد رضا أو إضاء أربعين سنة :
- لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٧ م .
- ٢٠٩ - سير أعلام النبلاء :
- للحافظ الذهبي السابق ذكره - إشراف وتحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين - الطبعة ١ -
مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- ٢١٠ - سيد قطب (الشهيد الأعزل) :
- محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامي -
القاهرة - (د . ت) .
- ٢١١ - سيد قطب (صفحات مجهولة) :
- محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة -
١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٢١٢ - شجرة الزكية في طبقات المالكية :
- للعلامة محمد بن محمد مخلوف - طبعة جديدة بالأوست عن الطبعة الأولى للمطبعة السلفية
ومكتبتها عام (١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - (د . ت) .
- ٢١٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب :
- لابن العماد الحنبلي ت (١٠٨٩ هـ = ١٧٣٠ م) - نشر المكتب التجاري - بيروت - لبنان
- (د . ت) .

٢١٤ - الشعر والشعراء :

لابن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦ هـ = ٨٩٠ م) - تحقيق : أحمد محمد شاكرا - مراجعة : السيد أحمد صقرا - طبع : دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

٢١٥ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

أحمد بن حجر آل أبو طامى - (قاضى المحكمة الشرعية بقطر) - الطبعة ١ - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢١٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :

شمس الدين السخاوى السابق ذكره - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د . ت) .

٢١٧ - طبقات الحنابلة :

للقاضى أبى الحسين محمد بن أبى يعلى ت (٥٢٦ هـ = ٨٧٠ م) - تصحيح : محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

٢١٨ - الطبقات الكبرى :

لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٢١٩ - طبقات الشافعية الكبرى :

تاج الدين السبكى السابق ذكره - تحقيق : (د . عبد الفتاح الحلوى) مع (د . محمود الطنحاحى) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

٢٢٠ - طبقات الصوفية :

لابن عبد الرحمن السلمى ت (٤١٢ هـ = ١٠٢٢ م) - تحقيق : نور الدين شريفة (من علماء الأزهر الشريف) - طبع دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

٢٢١ - طبقات المفسرين :

للحافظ شمس الدين الداودى ت (٩٤٥ هـ = ١٥٣٨ م) : على محمد عمر - الطبعة ١ - إصدار مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية - نشر مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٢٢ - الطبرى :

د. أحمد الحوفى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣ م .

٢٢٣ - العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

لابن عبد الهادى الحنبلى - مطبعة المدنى (المؤسسة السعودية بمصر) - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٢٤ - علماء ومفكرون عرفتهم :

محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار الفنائس بيروت لبنان) - نشر : (دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٢٢٥ - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء :

موفق الدين أبى العباس أحمد الخزرى المعروف ب : (ابن أبى أصيبعة) ت (٦٦٨ هـ = ١٤٦٢ م) - تحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

٢٢٦ - غاية النهاية فى طبقات القراء :

شمس الدين أبى الخير محمد بن الجزرى (الأب) السابق ذكره - عنى بنشره : ج. برجستراسر - الطبعة ١ - طبع بنفقة الناشر مع مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٥٢ هـ = ١٩٩٣ م .

٢٢٧ - الفهرست :

لابن التديم - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .

٢٢٨ - فوات الوفيات :

لابن شاکر الکتبى - دار صادر - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢٢٩ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة :

للحافظ زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى - تصحيح : محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

٢٣٠ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون :

مصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجى خليفة) و (كاتب جلى) - تقديم : العلامة آية

الله العظمى السيد شهاب الدين السنجفى المرعى - أعادت طبعة بالأوقست منشورات مكتبة المنى
- بغداد - العراق - (د . ت) .

٢٣١ - المنى (ومعه رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا)

لشيخ العربية أستاذنا أبى فهر محمود محمد شاکر ت (ربيع الآخر ١٤١٨ هـ = أغسطس
١٩٩٧ م) - الطبعة ١ - الناشر : (دار المنى بسجدة) مع (مكتبة الخانجى بمصر) - ١٤٠٧ هـ
= ١٩٨٧ م .

٢٣٢ - مصطفى محمود (حياتى وفكرى ، آرائى ومواقفى) :

مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سلمى للنشر والتوزيع -
القاهرة - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .

٢٣٣ - معجم الأدباء :

لساقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٩٩ م) - الطبعة الأخيرة - راجعته وزارة
المعارف العمومية - طبع دار المأمون - القاهرة - (د . ت) .

٢٣٤ - معجم المؤلفين :

عمر رضا كحالة - (طبعة بدون بيانات) .

٢٣٥ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار :

للحافظ شمس الدين الذهبى السابق ذكره - بعناية : محمىد سيد جاد الحق (من علماء
الأزهر الشريف) - وبآخر الجزء الثانى منه (ذيل القراء الكبار) : لابن مکتوم ت (٧٤٩ هـ =
١٣٤٨ م) - الطبعة ١ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د . ت) .

٢٣٦ - من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة :

عبد اللطيف الدلىشى الخالدى - سلسلة (الكتب الحديثة) - الكتاب رقم (٢٠) - الطبعة ١
- وزارة الأوقاف والشئون الدينية - بغداد - العراق - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٣٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة :

لابن تغرى بردى الأتياكى ت (٨٧٤ هـ = ١٤٧٠ م) - نشر المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والنشر - القاهرة - (د . ت) .

٢٣٨ - الوافى بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ت (٧٦٤ هـ = ١٣٦٣ م) - صدر بعناية :

س. ديدرينغ - نشر : دار فرائز شتاينر بقسبادن - طبع بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية
بيروت فى مطابع دار صادر - بيروت - لبنان ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٣٩ - الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط :

أحمد بن الأمين الشنقيطى ت (١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م) - بعناية : فؤاد سيد (أمين
المخطوطات بدار الكتب المصرية) - نشر : (مكتبة الخانجى بمصر) مع (مكتبة الوحدة العربية
بالدار البيضاء) - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٢٤٠ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

لابى العباس شمس الدين أحمد بن خلّكان ت (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) - تحقيق :
د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٢٤١ - اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة :

محمد البشير ظافر الأزهرى - مطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى -
القاهرة - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .



• تاسعا : الكتب العامة :

٢٤٢ - آداب زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله ﷺ :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١١) - الطبعة ١ -
مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٣ - الإسلام دين كامل :

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - طبع مكتبة ابن تيمية - القاهرة -
١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٤ - أصول الخطابة والإنشاء :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٧) الطبعة ١ - مكتبة
دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٥ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشحدّ الذاهن والهائجس :

لابى عمر يوسف بن عبد البرّ النمريّ القرطبيّ - تحقيق : محمد مرسى الخولى - مراجعة :
د. عبد القادر القط - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - (د. ت) .

- ٢٤٦ - التراويح (أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام) :
 الشيخ عطية محمد سالم (سلسلة الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - مكتبة
 دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- ٢٤٧ - التمثيل والمحاضرة :
 لأبى منصور الثعالبى - تحقيق : د. عبد الفتاح الحلو - طبع دار إحياء الكتب العربية
 (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .
- ٢٤٨ - تحريم نكاح المتعة :
 لأبى الفتح المقدسى (٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م) - تحقيق : الشيخ حماد الأنصارى ت
 (٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م) - تحقيق : الشيخ حماد الأنصارى - تقديم : الشيخ عطية محمد سالم
 - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٣) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة -
 ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٤٩ - تعريف عام بعموميات الإسلام :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٥) - الطبعة ١ -
 مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥٠ - حكمة التشريع فى تعدد الزوجات وتحديد النسل :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ -
 مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥١ - حلية طالب العلم :
 د. بكر بن عبد الله أبى زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة
 العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .
- ٢٥٢ - دراسات إسلامية :
 عبد المتعال الصعدي - دار الفكر العربى - القاهرة - (د. ت) .
- ٢٥٣ - الرق (أصله ومشروعيته فى الإسلام) :
 الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - من مطبوعات وإهداء وتوزيع
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (د. ت) .

- ٢٥٤ - رمضانيات من الكتاب والسنة :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١٠) - الطبعة ١ -
 مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥٥ - الروض الفتيق الفالِق ومؤنس الكئيب العاشق :
 لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهَّاب الهمداني - الطبعة ٢ - تحقيق : سعيد ناصر الدهان -
 مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٢٥٦ - زكاة الحلي على المذاهب الأربعة :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٤) الطبعة ١ - مكتبة
 دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥٧ - الصوارم والأسنة في الذب عن السنة :
 محمد بن أبي مدين الشنقيطي - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -
 ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- ٢٥٨ - العقد الفريد :
 لأبي عمر أحمد بن عبد ربه - بعناية : (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبياري) -
 الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .
- ٢٥٩ - الفقيه والمتفقه :
 للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن الخطيب البغدادي ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - الطبعة ١
 - تحقيق : أبي عبد الرحمن عادل العزاي - دار ابن الجوري للنشر والتوزيع - المملكة العربية
 السعودية - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .
- ٢٦٠ - لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية :
 سيد الأمين المامى الشنقيطي - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٢٦١ - محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه :
 مجموع من (تفسير أضواء البيان للشنقيطي) - تحقيق : ساعد عمر غازي - الطبعة ١ -
 المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- ٢٦٢ - محاضرات الجامعة الإسلامية :
 الموسم الثقافي للعام الدراسي (١٣٩٤/٩٣ هـ) = (١٩٧٤/٧٣ م) - المدينة المنورة .

- ٢٥٤ - رمضانيات من الكتاب والسنة :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١٠) - الطبعة ١ -
 مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥٥ - الرؤى الفتيق الفائق ومؤنس الكتيب العاشق :
 لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهاب الهمداني - الطبعة ٢ - تحقيق : سعيد ناصر الدهان -
 مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٢٥٦ - زكاة الحلي على المذاهب الأربعة :
 الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٤) الطبعة ١ - مكتبة
 دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٥٧ - الصوارم والأسنة في الذب عن السنة :
 محمد بن أبي مدين الشنقيطي - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -
 ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- ٢٥٨ - العقْد القريد :
 لأبي عمر أحمد بن عبد ربّه - بعناية : (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبياري) -
 الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .
- ٢٥٩ - الفقيه والمتفقه :
 للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن الخطيب البغدادي ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - الطبعة ١
 - تحقيق : أبي عبد الرحمن عادل العزاري - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية
 السعودية - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .
- ٢٦٠ - لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية :
 سيد الامين المامى الشنقيطي - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٢٦١ - محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه :
 مجموع من (تفسير أضواء البيان للشنقيطي) - تحقيق : ساعد عمر غازي - الطبعة ١ -
 المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- ٢٦٢ - محاضرات الجامعة الإسلامية :
 الموسم الثقافي للعام الدراسي (١٣٩٤ / ٩٣ هـ) = (١٩٧٤ / ٧٣ م) - المدينة المنورة .

- ٢٦٣ - معالم على طريق الهجرة :
- الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٨) - الطبعة ١ -
مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٦٤ - مع الرسول ﷺ فى حجة الوداع :
- الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١٢) - الطبعة ١ -
مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٦٥ - مع الرسول ﷺ فى رمضان :
- الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٢) - الطبعة ١ -
مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٦٦ - المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد :
- سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقى - الطبعة ١ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٢٦٧ - مقالات الكوثرى :
- الشيخ محمد زاهد الكوثرى ت (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) - طبعة القاهرة (بدون بيانات) .
- ٢٦٨ - منزلة السنة فى الإسلام :
- الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - المطبعة الفنية - توزيع لجنة البيان بدار المسلم - القاهرة
- ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .
- ٢٦٩ - منهج الإسلام فى كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين :
- الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٦) - الطبعة ١ -
مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٢٧٠ - منهج التشريع الإسلامى وحكمته :
- الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقى - الطبعة ١ - الكتاب رقم (٦٧) -
من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .



• عاشرًا: الدواوين والقصائد :

٢٧١ - ديوان الإمام الشافعي :

لابي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - بعناية : محمد عفيف
الزعيبي - الطبعة ٣ - نشر : (دار الجيل) مع (مؤسسة الزعيبي) - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ
= ١٩٧٢ م .

٢٧٢ - ديوان امرئ القيس :

طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

٢٧٣ - ديوان امرئ القيس

تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم - طبع دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

٢٧٤ - ديوان جرير :

شرح : محمد حبيب - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة -

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

٢٧٥ - ديوان حسن بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه :

بعناية : د. محمد عزت نصر الله - من منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت -

لبنان - (د. ت) .

٢٧٦ - ديوان ابن الرومي :

تحقيق : د. حسين نصار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز

تحقيق التراث) - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٢٧٧ - ديوان زهير بن أبي سلمى :

شرح الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بـ (ثعلب) - نسخة مصورة عن

طبعة دار الكتب المصرية ضمن سلسلة (المكتبة العربية) - من إصدار : (وزارة الثقافة والإرشاد

القومي بالجمهورية العربية المتحدة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م) - نشر : الدار القومية للطباعة والنشر

- القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

٢٧٨ - ديوان عمر بن أبي ربيعة :

شرح محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة ٢ - (مطبعة السعادة) مع (المكتبة التجارية

الكبرى) - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٢٧٩ - ديوان المتنبى :

شرح أبى البقاء العكبرى المسمى : (التبيان فى شرح الديوان) - بعناية : (د. مصطفى السقا) بالاشتراك مع : (إبراهيم الإييارى - عبد الحفيظ شلى) - طبع ونشر : مصطفى البابى الخلبى - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .

٢٨٠ - ديوان المتنبى :

شرح أبى العلاء المعرى - تحقيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

٢٨١ - ديوان المتنبى :

بعناية : د. عبد الرهأب عزأم - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

٢٨٢ - ديوان النَّابغة الذبيانى :

صنعة الإمام أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بـ (ابن السكيت) ت (٢٤٤ هـ = ٨٥٩ م) - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكرى فيصل - دار الفكر - القاهرة - (د. ت) .

٢٨٣ - ديوان النابغة الذبيانى :

بتحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

٢٨٤ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات :

لأبى بكر محمد بن قاسم الأنبارى - تحقيق : عبد السلام هارون - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - الطبعة ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢٨٥ - شرح المعلقات السبع :

للزوزنى - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٢٨٦ - شعر نُصَيْب بن رباح :

جمع وتقديم : د. داود سلوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ =

١٩٦٧ م .

٢٨٧ - الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) :

للإمام ابن قيم الجوزية السابق ذكره - تحقيق : محمد خليل هراس - مطبعة الإمام - القاهرة

- (د . ت) .



• **حادى عشر : المعاجم :**

٢٨٨ - القاموس المحيط :

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) - الطبعة ٤ - دار

المأمون - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٧ م .

٢٨٩ - لسان العرب :

لابى الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور الإفريقى ت (٧١١ هـ = ١٣١١ م) -

بعناية : (عبد الله الكبير - محمد حسب الله - هاشم الشاذلى) - طبع دار المعارف - القاهرة -

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٩٠ - مختار الصحاح :

زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ت (بعد ٦٦٦ هـ = بعد ١٢٦٨ م) -

ترتيب : محمود خاطر ت (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) - تحقيق : حمزة فتح الله ت (١٣٣٦ هـ =

١٩١٨ م) - طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٢٩١ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير :

أحمد بن محمد بن على الفيومى ت (٧٧٠ هـ = ١٣٦٧ م) - الطبعة ٢ - الهيئة العامة

لشئون المطابع الأميرية - بولاق - القاهرة - ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

٢٩٢ - معجم الشواهد العربية :

عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٩٣ - معجم شواهد النحو الشعرية :

د. حنا جميل حداد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية -

١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٩٤ - معجم المطبوعات العربية والمُعَرَّبَة :

يوسف إيلان سر كس - مكتبة ومطبعة سر كس - القاهرة - ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

٢٩٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكرم :

وضع محمد فؤاد عبد الباقي - دار التراث - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٩٦ - المعجم الوجيز :

إصدار مجمع اللغة العربية - الطبعة ١ - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢٩٧ - المعجم الوسيط :

إصدار مجمع اللغة العربية - الطبعة ٣ - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .



• ثاني عشر : الموسوعات :

٢٩٨ - دائرة المعارف الإسلامية :

وضع مجموعة من المستشرقين - تعليق : أمين الخولي - طبع دار الشعب - القاهرة -

(د . ت) .

٢٩٩ - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية :

د . أحمد شلبي - الطبعة ٨ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٣٠٠ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة :

إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الطبعة ٢ - الرياض - المملكة العربية السعودية -

١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .



• ثالث عشر : الدوريات :

٣٠١ - التعليم في موريتانيا من المنحصر إلى الجامعة :

مجلة الأمة - العدد (٦٠) - السنة (٥) - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية -

قطر - ذو الحجة ١٤٠٥ هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥ م .

٣٠٢ - جريدة الشعب الموريتانية الحكومية :

العدد (٢٥٠٢) - طرف السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ أباً - السبت
٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ٧ من مايو ١٩٨٨ م - والجدير بالذكر أن هذه الجريدة تقع
فى (٨) صفحات وتصدر فى العاصمة (نواكشوط) .

٣٠٣ - دور التعليم التقليدى فى نشر الإسلام والعربية فى موريتانيا :

الشيخ خليل السنحوى - مجلة الأمة - العدد (٦٧) - السنة (٦) - إصدار رئاسة المحاكم
الشرعية والشئون الدينية - قطر - رجب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦ م .

٣٠٤ - ذكريات مع الشيخ الراحل محمد الأمين الشنقيطى :

عدنان سارى الزين - مجلة الشريعة - العدد (٢٩٠) - إصدار وزارة الشباب - عمان -
الأردن - رجب ١٤١٠ هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠ م .

٣٠٥ - الشنقيطى ومدرسة النجاة فى الزبير :

د. على أباً حسين - مجلة الدارة - العدد (١) - السنة (١٣) - الرياض - المملكة العربية
السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧ م .

٣٠٦ - العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن :

د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (من ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر -
١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٣٠٧ - لحوم الأضاحى (التنمية وتثمين الموارد الإسلامية) :

حوار مع د. أحمد محمد على (رئيس البنك الإسلامى بجدة) - أجراه : وائل صبرى
ميرزا - مجلة الأمة - العدد (٧٢) - السنة (٦) - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية -
قطر - ذو الحجة ١٤٠٦ هـ = أغسطس ١٩٨٦ م .

٣٠٨ - مجلة التوحيد :

العدد (١١) - السنة (٢٩) - (عدد خاص) - إصدار جماعة أنصار السنة المحمدية -
القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

٣٠٩ - مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط :

أحمد ولد الحسن - مجلة المستقبل العربى - العدد (٧٢) - السنة (٢) - بيروت - لبنان -

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣١٠ - موريتانيا :

عبد الله عنان - مجلة العربي - العدد (٢٥) - السنة (٢) - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ =
١٩٨٥ م .

٣١١ - النشرة الإخبارية :

إصدار وحدة المعلومات التابعة للندوة العالمية للأنشطة العلمية الإسلامية - العدد (٥) - دار
البحوث العلمية - الكويت - جماد الأول ١٤٠٢ هـ = مارس ١٩٨٢ م .



• رابع عشر : المحاضرات :

٣١٢ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

د. رغلول النجار (أستاذ الجيولوجيا وعلوم الأرض بالجامعات العربية والعالمية ، ومدير
معهد مارك فيلد للدراسات العليا بالملكة المتحدة) - حوار أجراه معه الأستاذ أحمد فراج من
خلال برنامج الشهر (نور على نور) على مدار حلقتين على القناة الأولى بالتلفزيون المصرى ،
واللتين تم إعادتهما مرتين كان آخرهما الاثني من ٤ ذى القعدة ١٤٢١ هـ الموافق ٢٩ من يناير
٢٠٠١ م .

٣١٣ - الدرّ الثمين في سيرة الشيخ الأمين :

د. عبد الله الشنقيطى (ابن صاحبنا الشنقيطى) - محاضرة مسجلة أقيمت ليلة الثلاثاء
الموافق ٣ من جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ = ٩ من ديسمبر ١٩٩١ م - وقد سُجِّلَتْ على شريط
أصدرته كل من : (تسجيلات الأثار الإسلامية بجدة) و (تسجيلات مكتبة النجاة السمعية بالمدينة
المنورة) .

٣١٤ - ردّ الشيخ عطية محمد سالم المسجّل على رسالتنا إليه :

كانت رسالتى إليه بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨ م
على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .

ثم كان ردّه المسجّل بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩ هـ = ١٨ من أبريل
١٩٨٩ م حيث مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .



• خامس عشر : الأطلس :

٣١٥ - أطلس العالم الإسلامى :

جمع وإعداد مجموعة من المتخصصين جغرافيا وتربوياً بإشراف : دة . دولت أحمد صادق
(أستاذة الجغرافيا البشرية) - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية -
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٣١٦ - الأطلس العربى :

طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - الطبعة ٥ - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٣١٧ - الأطلس المدرسى :

د . محمد صبحى عبد الحكيم مع آخرين - إصدار مركز النشر الجغرافى - (اسكتلندا)
و (المملكة المتحدة) - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .



• سادس عشر : التقويم :

٣١٨ - تقويم أمّ القُرى :

برنامج (المؤذن العربى) - الإصدار رقم (١٠١) - شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا
المصرية - القاهرة - (د . ت) .

٣١٩ - التقويم الهجرى الميلادى :

البرنامج اليابانى - الإصدار رقم (هيل هـ - م ١) طوكيو - لحساب شركة كهرياء الشرق
- جدة - المملكة العربية السعودية - (د . ت) .

● خامساً: فهرس الموضوعات ●

الصفحة	الموضوع
٣	● الافتتاحية
٦	● شكر واجب
٩	● إهداء
١١	● المقدمة

التمهيد

**فى تاريخ التفسير
منذ نشأته وحتى عصر الشنقيطى**

٢٤ - ٤٤

٢٦	المطلب الأول : شمول القرآن وتماه
٢٨	المطلب الثانى : حاجة الأمة المتجددة إلى التفسير .
٣٠	المطلب الثالث : نشأة التفسير ومراحل تطوره
٣٥	المطلب الرابع : تعدد التفاسير وتنوعها
٤٢	المطلب الخامس : الافتقار إلى منهج تفسيرى واضح المعالم
٤٣	المطلب السادس : تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير

القسم الأول

الترجمة

سيرة الشنقيطى

حياته الشخصية ومسيرته العلمية

٤٥ - ٣٢٣

٤٧	● تمهيد: بين الترجمة ومسلك البحث
٤٨	المطلب الأول : الترجمة
٥٦	المطلب الثانى : مسلك البحث

الباب الأول

حياته الشخصية

٦٠ - ١٦١

الصفحة	الموضوع
٦١	● تمهيد: بين يدى هذا الباب
٦٢	● الفصل الأول: قبيلته وأسرته:
٦٣	المبحث الأول: قبيلته
٧١	المبحث الثانى: أسرته
٧٤	● الفصل الثانى: اسمه ولقبه وسميه:
٧٥	المبحث الأول: اسمه وشهرته
٧٩	المبحث الثانى: لقبه واشتقاقه
٨٢	المبحث الثالث: سَمِيهِ وشهبيه
٩٠	● الفصل الثالث: مولده ونشأته:
٩١	المبحث الأول: مولده
٩٥	المبحث الثانى: نشأته
١٠٤	● الفصل الرابع: صفاته الخلقية والظقية والعلمية:
١٠٥	المبحث الأول: صفاته الخلقية
١٠٩	المبحث الثانى: صفاته الخلقية
١١٧	المبحث الثالث: صفاته العلمية
١٣٢	● الفصل الخامس: زواجه وأولاده:
١٣٣	المبحث الأول: زواجه
١٣٧	المبحث الثانى: أولاده
١٤١	● الفصل السادس: وفاته ورثاؤه وحسن خاتمته:
١٤٢	المبحث الأول: وفاته
١٤٧	المبحث الثانى: رثاؤه
١٥٥	المبحث الثالث: حُسن خاتمته

الباب الثانى مسيرته العلمية ١٦٢ - ٣٢١

١٦٣	● تمهيد: بين يدى هذا الباب
١٦٤	● الفصل الأول: شيوخه من أهله ومن غير أهله:

الصفحة	الموضوع
١٦٦	المبحث الأول : شيوخه من أهله
١٦٩	المبحث الثاني : شيوخه من غير أهله
١٧٤	● الفصل الثاني : أقرانه ومعاصروه :
١٧٥	المبحث الأول : أقرانه
١٨٠	المبحث الثاني : معاصروه
١٨٧	● الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة :
١٩٠	المبحث الأول : تلامذته من أقرانه
١٩٤	المبحث الثاني : تلامذته من الشناقطة
١٩٩	المبحث الثالث : تلامذته من غير الشناقطة
٢٠٨	● الفصل الرابع : نشاطه في بلاده وفي خارج بلاده :
٢٠٩	المبحث الأول : نشاطه في بلاده
٢١٣	المبحث الثاني : نشاطه خارج بلاده
٢٣١	● الفصل الخامس : رحلاته للحج والدعوة والعلاج :
٢٣٣	المبحث الأول : رحلة الحج
٢٣٩	المبحث الثاني : رحلة الدعوة
٢٤٥	المبحث الثالث : رحلة العلاج
٢٥٥	● الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة :
٢٥٧	المبحث الأول : مؤلفاته المخطوطة
٢٦٢	المبحث الثاني : مؤلفاته المطبوعة
٣٠١	المبحث الثالث : مؤلفاته المسجلة
٣٠٤	المبحث الرابع : مؤلفاته الشعرية
٣١٢	المبحث الخامس : مؤلفاته المفقودة
٣١٤	المبحث السادس : مؤلفاته المنسوبة
٣١٨	المبحث السابع : حصر مؤلفات الشنقيطي وتصنيفها
٣٢٢	● تعقيب : حول هذه الترجمة

القسم الثاني

المنهج

السمات العامة

لمنهج الشنقيطى فى التفسير

٣٢٤ - ٨٤٢

- ٣٢٦ • تمهيد: بين المنهج ومسلك البحث
- ٣٢٧ المطلب الأول : المنهج
- ٣٢٩ المطلب الثانى : مسلك البحث

الباب الاول

السّمّة الاولى

الجمع بين المأثور والمعقول

٣٣٥ - ٤٧١

- ٣٣٦ • تمهيد: بين يدى هذا الباب
- ٣٤٠ • الفصل الاول: تفسير القرآن بالمأثور :
- ٣٤١ المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن
- ٣٨٧ المبحث الثانى : تفسير القرآن بالسنة
- ٤١٩ المبحث الثالث : تفسير القرآن بالآثار
- ٤٣٧ • الفصل الثانى : تفسير القرآن بالرأى :
- ٤٣٨ المبحث الأول : التععيد النظرى :
- ٤٤٠ المطلب الأول : محورا الرأى
- ٤٤٢ المطلب الثانى : أدلة الرأى
- ٤٥٢ المطلب الثالث : ضابطا الرأى
- ٤٥٣ المطلب الرابع : شروط الرأى
- ٤٥٦ المطلب الخامس : أنواع الرأى
- ٤٦١ المبحث الثانى : التطبيق العملى :
- ٤٦٢ المطلب الأول : أخذه برأى عالم واحد
- ٤٦٢ المطلب الثانى : أخذه بما اتفقت عليه آراء العلماء
- ٤٦٤ المطلب الثالث : أخذه بما تعددت فيه آراء العلماء
- ٤٦٥ المبحث الثالث : التعقيب :
- ٤٦٦ الملاحظة الأولى : تخصيص الرأى

الصفحة	الموضوع
٤٦٦	الملاحظة الثانية : قسما الرأى
٤٦٧	الملاحظة الثالثة : الخلط فى الرأى
٤٦٨	الملاحظة الرابعة : ألفاظ الرأى
٤٦٩	الملاحظة الخامسة : غياب بعض أدلة الرأى

الباب الثانى
السِّمَة الثانية
التأصيل
للعلم العربية والإسلامية
٤٧٢ - ٦٨١

٤٧٣	● تمهيد : بين يدى هذا الباب
٤٧٥	● الفصل الأول : علوم القرآن :
٤٧٧	المبحث الأول : أسباب النزول
٤٨٨	المبحث الثانى : النسخ والمنسوخ
٥٠٣	المبحث الثالث : الحروف المقطعة
٥١٧	المبحث الرابع : القراءات القرآنية
٥٣٣	المبحث الخامس : المجاز فى القرآن
٥٥٢	● الفصل الثانى : علوم الحديث :
٥٥٣	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٥٥٤	المطلب الأول : الاحتجاج بخبر الأحاد
٥٥٨	المطلب الثانى : الاحتجاج بالحديث المرسل
٥٦٠	المطلب الثالث : عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف
٥٦٢	المطلب الرابع : تتبع الحديث سنداً ومتناً
٥٦٤	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٥٦٥	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٥٦٧	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية
٥٦٨	المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة
٥٧٢	المطلب الرابع : تطبيق القاعدة الرابعة

الصفحة	الموضوع
٥٧٤	● الفصل الثالث : علم الأصول :
٥٧٥	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٥٧٦	المطلب الأول : المقدمة الأصولية
٥٧٦	المطلب الثانى : الشواهد الأصولية
٥٧٧	المطلب الثالث : الأدلة الأصولية
٥٧٧	المطلب الرابع : المسائل الأصولية
٥٧٨	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٥٧٩	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٥٨٠	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية
٥٨٢	المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة
٥٨٥	المطلب الرابع : تطبيق القاعدة الرابعة
٥٩٥	● الفصل الرابع : علم الفقه :
٥٩٦	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٥٩٧	المطلب الأول : المذهبية واللامذهبية
٥٩٩	المطلب الثانى : تصنيف الأحكام الفقهية
٦٠١	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٦٠٢	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٦٠٨	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية
٦٢٢	● الفصل الخامس : علم الكلام :
٦٢٣	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٦٢٤	المطلب الأول : القضايا العقائدية
٦٢٤	المطلب الثانى : الفرق الإسلامية
٦٢٥	المطلب الثالث : المباحث المنطقية
٦٢٧	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٦٢٨	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٦٣٤	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية
٦٣٦	المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة
٦٤٦	● الفصل السادس : علوم العربية :

الصفحة	الموضوع
٦٤٧	المبحث الأول : التعميد النظرى :
٦٤٨	المطلب الأول : أصول علوم العربية
٦٤٩	المطلب الثانى : تصنيف علوم العربية
٦٥١	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٦٥٢	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٦٦٤	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية
٦٦٨	● الفصل السابع : علم التاريخ :
٦٦٩	المبحث الأول : التعميد النظرى :
٦٧٠	المطلب الأول : الوقائع
٦٧٠	المطلب الثانى : السير
٦٧٢	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٦٧٣	المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى
٦٧٦	المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية

الباب الثالث

السمة الثالثة

التحليل

لسائر ما يعرض له

٦٨٢ - ٨٣٩

٦٨٣	● تمهيد : بين يدى هذا الباب
٦٨٥	● الفصل الاول : الانتقاد :
٦٨٦	المبحث الأول : التعميد النظرى :
٦٨٧	المطلب الأول : النظر إلى ذات القول لا إلى قائله
٦٨٧	المطلب الثانى : التأذب فى مواطن الخلاف
٦٩٣	المطلب الثالث : تفويض العلم إلى الله تعالى
٦٩٥	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٦٩٧	المطلب الأول : نقد الإسرائيليات
٧٠٥	المطلب الثانى : المفسرين

الصفحة	الموضوع
٧١١	المطلب الثالث : المحدثين
٧٢٤	المطلب الرابع : الأصوليين
٧٣٤	المطلب الخامس : الفقهاء
٧٤٢	المطلب السادس : الفرق الإسلامية
٧٥٣	المطلب السابع : اللغويين
٧٥٨	المطلب الثامن : المؤرخين
٧٦٨	● الفصل الثاني : الاستنباط :
٧٦٩	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٧٧٠	المطلب الأول : ماهية الاستنباط
٧٧٠	المطلب الثانى : حُجَّة الاستنباط
٧٧٢	المطلب الثالث : ضرورة الاستنباط
٧٧٣	المطلب الرابع : شروط الاستنباط
٧٧٣	المطلب الخامس : ضوابط الاستنباط
٧٧٥	المطلب السادس : مجال الاستنباط
٧٧٨	المطلب السابع : معجم الاستنباط
٧٨٠	المبحث الثانى : التطبيق العملى :
٧٨١	المطلب الأول : استخراج اللؤلؤ والمرجان
٧٨٦	المطلب الثانى : أقل أمد للحمل
٧٨٨	المطلب الثالث : مدة خلق السماوات والأرض
٧٩٠	المطلب الرابع : ملاءمة جعل الطلاق بيد الرجل
٧٩٣	المطلب الخامس : بطلان دعوى مساواة المرأة بالرجل
٧٩٧	المطلب السادس : وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
٨٠١	المطلب السابع : الجهاد فرض كفاية
٨٠٥	● الفصل الثالث : الاجتهاد :
٨٠٦	المبحث الأول : التقعيد النظرى :
٨٠٧	المطلب الأول : ماهية الاجتهاد
٨٠٧	المطلب الثانى : حُجَّة الاجتهاد
٨١١	المطلب الثالث : ضرورة الاجتهاد

الصفحة	الموضوع
٨١٤	المطلب الرابع : شروط الاجتهاد
٨١٦	المطلب الخامس : ضوابط الاجتهاد
٨١٦	المطلب السادس : مجال الاجتهاد
٨٢٣	المطلب السابع : معجم الاجتهاد
٨٢٥	المبحث الثاني : التطبيق العملى :
٨٢٦	أولاً : ما توقف فيه :
٨٢٦	المطلب الأول : استعمال الخطمى فى الإحرام
٨٢٧	المطلب الثانى : كيفية إجاب الشياطين
٨٢٨	المطلب الثالث : احمرار السماء عند انشقاقها
٨٢٩	ثانياً : ما اجتهد فيه :
٨٢٩	المطلب الأول : القذف ببعض الألفاظ
٨٣٢	المطلب الثانى : الانتفاع بلحوم الأضاحى
٨٣٥	المطلب الثالث : بطلان الشيوعية وسقوطها
٨٤٠	● تعقيب : حول هذا المنهج

الخاتمة

٨٤٣ - ٨٦٧

٨٤٥	● المطلب الاول : تقويم المنهج :
٨٥١	المسأل الأولى : ما يُحسبُ له .
٨٦١	المسألة الثانية : ما يحسب عليه .
٨٦٢	● المطلب الثانى : أهم النتائج :
٨٦٢	النتيجة الأولى : الأصالة المنهجية
٨٦٢	النتيجة الثانية : الاتجاه الأصولى
٨٦٣	النتيجة الثالثة : الموسوعة التفسيرية
٨٦٥	● المطلب الثالث : أهم التوصيات :
٨٦٦	التوصية الأولى : القرآن بين التفسير والمنهج
٨٦٦	التوصية الثانية : التحقيق العلمى الدقيق
٨٦٧	التوصية الثالثة : الإدراج ضمن مقررات الدراسات العليا

وفى الختام

٨٦٨	● طائفة من الماثور عنه والماثور فيه :
٨٧١	فهرس الفهارس :
٨٧٢	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
٩١١	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
٩٢٦	ثالثاً : فهرس الأعلام
٩٢٩	رابعاً : فهرس المراجع
٩٦١	خامساً : فهرس الموضوعات
٩٧١	● الملخص العربى للبحث
٩٧٤	● الملخص الإنجليزى للبحث .

تم الفهرس بحمد الله تعالى

أهـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

يستهدف في هذا البحث التعريف بواحدٍ من أعلام المفسرين في العصر الحديث ، وبيان منهجه في التفسير ؛ ومن ثم فقد جاء موسوماً بعنوان : (الشنقيطي ومنهجه في التفسير ، في كتابه : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) .

والشنقيطي هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، وُلِدَ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ (سَنَقِيْط) أو ما يعرف الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز في أول خروج له من بلاده لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قَدَّرَ له المقام بمدينة رسول الله ﷺ حيث استغل هناك بالتدريس في كلِّ من الحرم النبوي الشريف ، ثم بالجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) .

كما تنقل بين كلِّ من الرياض العاصمة مدرساً بكلياتها ومعاهدها العلمية المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حيث كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلامي ، وداعية بارزاً في مؤتمر الحج السنوي ، فضلاً عن رحلته للدعوة بارزاً في مؤتمر الحج السنوي ، فضلاً عن رحلته للدعوة في عشرة من الأقطار الإفريقية التي انتهت ببلاده موريتانيا .

وبعد عمر حافل بالعطاء العلمي قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجاز ، حطَّ الشنقيطي عصا الترحال ليلقي ربه سبحانه عقب أداء مناسك حجة الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليدفن بمقبرة (المعلّاة) بمنطقة (رَبِيعِ الْحُجُون) التي تضم بين جنباتها مثوى أمّ المؤمنين السيدة خديجة رَضِيَ اللهُ بِبِلْدِ اللهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ التي بدأ مقامه في أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

وأما من حيث بناء منهجه في التفسير فيقوم على ثلاث ركائز أساسية ، تمثل كل منها سِمَةً بارزة ، وترسم معلماً واضحاً ، من سمات هذا المنهج ومعاله ، والتي تمثلت في كلِّ من :

• الجمع بين المأثور والمعقول :

وفيه يفسر الشنقيطي القرآن بالمأثور الذي يشمل القرآن وما أُثِرَ عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ثم بالمعقول الذي يشكّل رأى كل من سبقوه من عامة المفسرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعي التابعين وحتى عصره الذي كان فيه .

• التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وفيه يؤصّل الشنقيطي لموضوع الآية تحت أحد العلوم السبعة المتمثلة في كل من :
 (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

• التحليل لسائر ما يعرض له :

وفيه يحلل الشنقيطي ما جمعه وأصله من خلال ثلاث محاور تمثلت في كل من :

١- المحور الأول (الانتقاد) : حيث نقده كلاً من : (الإسرائيليات - المفسرين - المحدثين - الأصوليين - الفقهاء - الفرق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

٢- المحور الثاني (الاستنباط) : وفيه يلجأ الشنقيطي إلى النص الحفيّ المشكّل ؛ فيرفع خفاءه ، ويزيل إشكاله ، في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة .

٣- المحور الثالث (الاجتهاد) : وفيه يلجأ الشنقيطي إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به عندما يفتقد النص الذي يمكن أن يستنبط منه ، وليصل من خلال ذلك إلى نظرية الذاتية ، ورأيه الخاص ، أيضاً في إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعبرة .

والناظر إلى بناء هذا المنهج لَيَتَبَيَّنَ له مدى ما يتسم به من المنهجية والشمولية ، أمّا المنهجية : فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقي ، وذلك التعاقب العلمي ، الذي يربط بين مراحل الثلاث (الجمع والتأصيل والتحليل) وأمّا الشمولية : فتبدو واضحة كذلك من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، التي تجمع المأثور والمعقول ، ثم توصل وتحلّل مختلف العلوم العربية والإسلامية نقداً واستنباطاً واجتهاداً .

وختاماً : فإن منهج الشنقيطي في تفسيره هذا إنما يُشِيرُ بجلاد اتجاه جديد يمكن أن نطلق عليه (الإتجاه الأصولي في التفسير) وهو أحد أهمّ النتائج التي توصل إليها هذا البحث ، كما أن هذا التفسير بحاجة ماسّة إن شاء الله تعالى إلى (التحقيق العلمي الدقيق) وهو أيضاً أحد أهمّ التوصيات التي وصّى بها هذا البحث .

2- Rooting Arabic and Islamic Sciences:

He roots the theme of the Quoranic verse under the seven sciences that are represented in (Quoron studies, Hoeith, Usouls, Jurisprudence, Doctrine, Arabic language, History) .

3- Analysing all what he studied:

Al - Shankeety analyses, in this part, all what he collected and rooted through these three pillars:

A- Criticism: He criticized (the false stories (Israelites), interpreters, Mohadditheen, Usouliyeen, Juris prudence men, Islamic sects, Linguists, Historians).

B- Deduction L He returns to the ambiguous text. He clears its ambiguity according to the legal proofs, and their considerable criterica.

C- Diligence: He returns to measyring the unknown to the well - Known when the text doesn't have that rule. Agter that. he concludes his own opinion according to the legal. rules.

Who studies the structure of that method will recognize the degree of it and its comprehensiveness. Al shankeety's method is clear through the logic serial and scientific succession that connects the three stages together (combining, rooting and analysis) .

Comprehensiveness is clear thoygh understanding and the knowledge that contains the traditinal and the rational. Then rooting and analysing the various Arab and Islamic sciences critically, deductively and diligently.

Finally, Al shankeety's interpretation method is a new and good finding that can be called. "the original (usouli) Tendency in the interpretation". It is one of the most important findings that this research achieved. scientific Investigation". Is's also one of the most important recammendations that this research has recommended.

The Research Summary

This research aims to introducing one of the leading interpreters in the modern age, and explaining his method in the interpretation of the Holy Quoran. Hence, It was entitled "Al Shankeety and his method in the interpretation" through his book, "Highlights of eloquence in illustrating Quoran by Quoran" .

Al - Shankeety is Mohammed Al - Amin som of Mohammed Al - Moukhtar Al - Gakany Al - Shankeety - Hewas born in shankeet, that is now called Mouritania in (1325 of Higr = 1907 A. D.). After that, he travelled to Saudi Arabia foe the first time to perform pilgrimage in (1367 of Higr = 1948 A. D.) .

Then he went to Riyadh where he taught at ist colledges and ist various learning institutes. After - that he went to Mecca where he worked as amember in the world Muslim League and a preacher. at the Annual Pilgimage Conference, as well as his numerous journeys to the African countries that ended at his home country. Mouritania.

After his life that was full of his scientific efforts, He was 86 years old of Higr. Those years were distributed between judgement and legol decision in his country, Then teaching and calling to Islam in the Arabia. He died after performing the rituals of pilgrimage for the last time in (1393 of Higr = 1974 A. D.) He was buried in the tomb of (Al Maloh) at (Rapa Al Gohoun) area where the mother of believers, Al Sayida khadiga (May Allah be pleased with her) was buried at Blessed Mecca, where his life started and ended .

Al - Shankeety's method in the interpretation is based on three leading carnerstines. Each one Each one of them represents an outstanding feature. They draw a clear bose for his method and its charastrictics. These cornerstones are as follows:

1- Combining between the tradional and the ratianal :

In this cornerstine. Al - shankeety interprets the Quiran by the traditional which contains the Quoran and what was taken from the prophet of Allah - pray and peace ne upon him - his fellows and their followers - May Allah. be pleased with them - Then by the rational which contains the opinions of all the previous interpreters, starting with thge age of the followers' followers and ending with his Time when he Lived.

Cairo University
Dar El-Oloum Colledge
Islamic Jurisprudence
Department

Al - Shankeety and His Method
in the Interpretation Through His Book

“Highlights of Eloquence in Illustrating
Quoran by Quoran”

Master of Arts

Prepared by

Ahmed Sayed Hassanein Ismael Al - sheemy
The Department Administrator

Supervisor.

M. Dr.

Ahmed Youssif Soliman
Department Master

Cairo

1422 H = 2001 A.D.